العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج١ و٢ س٥٥

رجب وشعبان ١٤٤٠هـ

آذار-نيسان/مارس-أبريل ٢٠١٩م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الأول والثاني – السنة ٥٥

رجب وشعبان ١٤٤٠هـ
آذار – نيسان / مارس – أبريل ٢٠١٩م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

مرحبًا بالخط والإملاء

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب(*)

نقلت إلينا وسائل الإعلام أن وزارة التعليم في المملكة تعتزم إعادة مادتي الخط والإملاء إلى منهج التعليم العام، وهما المادتان اللتان أُزيلتا من المنهج منذ زمن، وكان ذلك ضمن خطة استهدفت مواد اللغة العربية بالتقليص والحذف والتغيير، ليحل محلها منهج (لغتي)، الذي رأى مُعدُّوه أنه يشتمل على كل ما يحتاجه الطالب من دروس اللغة العربية. وقد أثبتت التجربه أنه منهج مبتَسر، مشوَّش، لا يفضي إلا إلى الجهل بالعربية، لا إلى إتقانها.

وهذا الخبر الجديد مرحَّب به، ونرى أنه خطوة ضرورية جيدة ومشكورة، تخطوها وزارة التعليم، تتمثل في التراجع عن إلغاء هاتين المادتين من المنهج، بعد أن تبين تأثير فقدانهما على مستوى الطلاب، وذلك من خلال النظر إلى كيفية كتاباتهم السقيمة، وخطوطهم الرديئة، ونرجو أن تكون بداية خطوة تصحيحية في مجال تعليم اللغة العربية في مدارسنا، يتبعها بذل المزيد من الجهود لجعل منهج اللغة العربية في التعليم العام ذا فائدة حقيقية للطلبة، يتماشى مع احتياجات الطالب العملية والثقافية في الحياة، ومع طموح الوطن في تكوين

أجيـال قويـة، جادة ومبدعـة، لا مجرد مادة عابـرة ـ كما هـي الآن ـ لا يهتم بها الطالب ولا يتحمس لها المدرس.

إن إضعاف مواد اللغة العربية في التعليم العام يُعد جناية كبرى على الوطن وعلـى الطالب، الذي يُفترض فيه أن يكون علـى معرفة جيدة بلغة دينه، وهويته، وثقافتـه العربيـة الإسـلامية. وتخريج طلاب ضـعفاء في اللغة العربيـة ليس إلا وسيلة لمسخ هوياتهم، وإضعاف مشاعرهم نحو الدين، والوطن، والثقافة العربية المشـتركة. إلى جانب تأثير ذلك السـلبي على مسـتوى تفكيرهم، وقدرتهم على الإبـداع والابتـكار، وهو الهـدف الذي تتوخـاه خططنا النهضـوية الحديثة، وفي مقدمتها رؤية ٢٠٣٠.

إن منهـج تدريـس اللغـة العربية لابد أن يشـتمل علـى المهارات الأساسـية للاتصـال، وهي القراءة، والكتابة، والاستماع، إلى جانب الإلقاء والحديث. وإذا نظرنا إلى المنهج الدراسـي في هذا الصـدد، وجدنا أنه يفتقـر إلى التركيز على هذه المهارات، كما أنه لا يحسُـن تقديم القواعد النحوية بطريقة وظيفية سلسة، تجعل التلميذ يُلِم بها بسهوله.

إن تنميـة التواصـل اللغوي، وبناء السـليقة اللغوية السـليمة، لابـد أن يكونا هدفًا أساسيًّا من أهداف تعليم اللغة العربية في مدارسنا، وهذا لا يتم إلا بقراءة النصـوص العربية الراقية ، وتدبرها، والإنصـات إليها، وتشـجيع الطلاب على ذلـك، وتنمية القدرة على الحديث بالعربية، والكتابة الصـحيحة، والتمكين من اسـتيعاب النصـوص المختارة وفهمها، مع تطبيق ما يمكن أن يعطَى للطالب من قواعد النحو الوظيفي، وفنون البلاغة على تلك النصوص .

ولابـد لهـذا المنهج مـن أن يهتـم بالكتابة بكافـة أشـكالها اهتمامًـا بالغًا، وبخاصة تلك التي يحتاج إليها في حياته العملية، من رسائلَ، وتقاريرَ، وتغريداتٍ، ومذكرات، ناهيك عن الكتابة الإبداعية للموهوبين من الطلاب.

وللكتابة أدوات لا بد من إتقانها؛ فعلاوة على الثراء اللغوي والأسلوبي، والصواب الإعرابي، المستمد من القراءة والتدريب، تحتاج الكتابة إلى أدوات استقامة اليد من خط، وإملاء، وعلامات ترقيم، كما تحتاج إلى الإلمام بمعرفة بعض الأخطاء الشائعة، والقدرة على استخراج الألفاظ من المعاجم، ونحو ذلك.

أما القواعد النحوية التي يحتاج إليها الطالب في حياته العامة، فهي قليلة، ويمكنه أن يُلِم بها بسهولة، إذا ما وُضع له منهج وظيفي ميسر، يُدرَّب عليه عمليًّا، ويُركّز فيه على ما يحتاجه من ضروريِّ النحو، الذي يعصمه - بإذن الله - من الأخطاء الفادحة، تلك التي تقتحم أسماعنا كل يوم، من قِبل المذيعين والمذيعات في وسائل الإعلام، حتى كأن أحدًا منهم لم يسمع بأيسر قواعد الفاعل والمفعول، والمبتدأ والخبر ونحوها.

إن التدريب العملي على اللغة الفصيحة للطلاب مهم جدًّا. ويمكن أن يساعد النشاط غير الصَّفِّي في ذلك كثيرًا. فمن الملحوظ خُفوتُ الفقرات التي تؤدَّى باللغة العربية الفصيحة في برامج هذا النشاط، وعُلُوُّ نبرة العامية شعرًا ومسرحياتٍ ونحوها، وانحسار المسابقات التي تخدم الفصحى، الأمر الذي ساعد على إقصاء اللغة الفصيحة من أذهان الطلاب، وتسبب في إفساد ذائقتهم، وانصرافهم عن اللغة الأم.

ونجاح أي خطة تطويرية لتعليم اللغة العربية، مرتهَن بإعداد المعلمين في المدارس، بجميع تخصصاتهم، إعدادًا لغويًّا، يجعلهم يسهمون في الارتقاء بمستوى الطلاب؛ فاللغة العربية لا بد أن تكون سليمة من قبل المدرس والطالب في جميع الصفوف والتخصصات؛ لأنها لغة الجميع، وليست خاصة بطلاب اللغة العربية ومعلميهم، ولن نكون بِدّعًا في ذلك ، فالتربويون الإنجليز لهم مقولة مشهورة في هذا الصدد؛ هي قولهم: «كل المعلمين معلمون للغة الإنجليزية». فليكن جميع معلمينا معلمين للغة العربية. وذلك أمر يسير إذا نُبّه المعلمون، قبل أن ينخرطوا في مهنة التدريس، إلى الاهتمام بذلك، وأُعطوا دروسًا وتدريباتٍ

علـى اللغة، وشُـجِّعوا بالحفز والمكافـآت المادية والمعنويـة. وإذا أخلص كل واحد منهـم لمهنته، بل لرسـالته، فحرص على الإتقان في أدائه اللغوي، فسـيتمكن من بلوغ الغاية المرجوة في مهمته النبيلة.

أما معلـم اللغة العربية، فعليه العبء الأكبر، وينتظـر منه الإبداع في أدائه، كي تصـل العربية إلى طلابه عذبةً صافيةً، وهو أجدر بأن يتحمل هذه المسؤولية، ولذلك لابد من أن يكوّن نفسه تكوينًا ملائمًا لحمل هذه الرسالة. وعلى الوزارة أن تختاره من المتفوقين دراسـيًّا في اللغة، المتذوقين لها، فليس كل من حمل الشهادة قـادرًا على أداء هـذه المهمة، كما يحسُـن ألا يُمكَّن من التدريسـ إلا بعد أن يمر بمراحلَ من التدريب والاختبار، وأن يثبت جدارته بحمل هذه الرسالة السامية.

إن هذه ليست أمنيات، وإنما هي آمال نعلقها على إدارة وزير التعليم الجديد معالي الدكتور حمد بن محمد آل الشيخ، الذي نعرف حرصه على اللغة العربية، واهتمامه بها. وهو جدير، إن شاء اللّه، بتحقيقها.

(*) رئيس التحرير

مظاهر احتذاء التراث
في شعر ابن خميس

د. سعود بن سليمان اليوسف[*]

مدخل

يعد عبدالله بن خميس أحد أبرز الشعراء في المملكة العربية السعودية في مرحلة الإحياء؛ إذ ينتمي إلى جيل الرواد، كما يعود ذلك أيضًا إلى نشاطه الإعلامي على اختلاف أنواعه.

لهذا كله، ولغزارة إنتاجه عامة، وإنتاجه الأدبي على وجه الخصوص؛ رأيت أن أدرس ظاهرة برزت في شعره بروزًا لا يُحتاج معها إلى تأمل، وهي ظاهرة احتذاء التراث الأدبي، وقد تجلت هذه الظاهرة في عدد من المظاهر والوجوه، سأبسط القول فيها في مواضعها من الدراسة بإذن الله.

نبذة من سيرة عبدالله بن خميس:

هو شاعر، وكاتب، وجغرافي، ومحقق، وأديب. ولد عام ١٣٣٩هـ في بلدة الملقى بالدرعية. تلقى تعليمه الأوليّ على يد والده بالدرعية، ثم قرأ على بعض المشايخ، ثم التحق عام ١٣٤٦هـ بدار التوحيد بالطائف، ثم التحق بكلية الشريعة بمكة المكرمة ونال شهادتها[(١)]. تقلب في عدد من الوظائف. وفي عام ١٣٧٩هـ أسس **مجلة الجزيرة** الشهرية التي أصبحت فيما بعد جريدة يومية. وهو عضو

هيئة تحرير **المجلة العربية**، وعضو المجمع العلمي العراقي ببغداد، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. نال جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٣هـ، ونال تكريم قادة مجلس التعاون الخليجي في القمة العاشرة بمسقط في شهر جمادى الأولى ١٤١٠هـ، وكُرِّم في المهرجان الوطني للتراث والثقافة السابع عشر سنة ١٤٢٢هـ. توفي رحمه الله عام ١٤٣٢هـ.

له من الدواوين: **على ربى اليمامة** ١٩٨٣م، و**أهازيج الحرب** ١٩٨٩م.

أعماله الإبداعية الأخرى: **من أحاديث السمر** (قصص واقعية) ١٩٧٧م.

ومن مؤلفاته الأخرى: **الأدب الشعبي في جزيرة العرب**، و**الشوارد**، و**المجاز بين اليمامة والحجاز**، و**شهر في دمشق**، و**بلادنا والزيت**، و**معجم اليمامة**[٢].

رأي ابن خميس في الشعر الحديث:

مما يلفت النظر في شعر ابن خميس أن الشاعر نفسه ممن وقفوا ضد تحديث القصيدة العربية. ورأيُه هذا انعكاس لرغبته الجادة في أن تستعيد القصيدةُ العربية بريقَها، واللغةُ العربية قوتَها؛ ولهذا نجده يهدي إحدى قصائده لأحد الشعراء بعد نشره قصيدة من الشعر الحر، جاء في مقدمتها: «مهداة للأستاذ عبدالرحيم نصار رجعًا لقصيدته (سنوات حزن فلسطينية) من الشعر الحر - كما يسمونه - التي نشرت في ملف **اليمامة** الصادر في ذي الحجة ١٣٩١هـ»[٣]. وجليّ من هذه المقدمة أنه يرى أن الشعر هو ما كان تناظريًا أو عموديًا فحسب، جاء في القصيدة:

ما أنصفتك قوافي الشعر يا دارُ ... وفيك للملهَم المنطيق أسرارُ
ضنّوا عليك بأوزانٍ وتقفيةٍ ... يشتارها مثل أَرْيِ النحلِ مشتارُ
وأركبوا الشعرَ - إما قصّروا - شططًا ... وبعضُهم عن ثمينِ الشعرِ قُصّارُ
بَكاكِ نصّارُ لكنْ دمعُه شبِمٌ ... لم يسقه بدمِ الفرصاد (نصّارُ)
وكان لو شاء ألقاها مدمدِمةً ... كأنها في دمِ الأحرار إعصارُ[٤]

ويلحظ أن عبارتيه: «كما يسمونه» و«إمّا قصّروا» تنطويان على تهكّم وتنقّص من هذا النوع الشعري، وتعكس رؤيته النقدية للشعر الذي يرى أنه الجديرُ بالاهتمام، وأن على الشعراء أن يعودوا إلى الشعر القديم، وخاصة أن البيئة الأدبية التي وُجد فيها ابن خميس غلب عليها الشعر العامي، أو النظم العلمي الفصيح(٥).

ومن المظاهر التي تجلّى فيها تأثر ابن خميس بالتراث الأدبي ما يأتي:

القوالب الإيقاعية

لم يبعد ابن خميس عن القصيدة العمودية في أيٍّ من قصائده، ولهذا فكل شعره عمودي أو تناظري، وليس في هذا مغمز على الشاعر، إلا أن الشاعر بالتزامه هذا النوع من الإيقاع جعله يتأثر بكثير من التقاليد الشعرية في بنائه.

ومن أبرز التقاليد الشعرية في بناء القصيدة العربية تصريعُها(٦). وباستعراض آراء النقاد قديمًا وحديثًا في التصريع يتبين «أنه من المستحب إن لم نقل من المشروط في نظم الشعر عند العرب أن يصرَّع المطلع»(٧).

واستجابةً لهذه التقاليد؛ صرّع ابن خميس معظم قصائده، فديوان **على ربى اليمامة** يتضمن خمسًا وثمانين قصيدة، جاءت كلّها مصرَّعةً إلا خمسًا، وهذا ما يعني ارتفاع نسبة التصريع قياسًا إلى عدد القصائد.

عدد القصائد	القصائد المصرعة	نسبتها	القصائد غير المصرعة	نسبتها
٨٥	٨٠	٩٤.١١ ٪	٥	٥,٨٨ ٪

هذا من جهة، ومن ناحية أخرى نلمس حرصه على التزام القافية الموحدة في قصائده، وهو مظهر من مظاهر التأثر بالشعر العربي القديم، إلا أنه في قصيدتين من قصائده لجأ إلى التنويع في القافية، وهما: «جندي الحرس»، و«النشيد الوطني». يقول في «جندي الحرس»:

رايــةَ الإســـلام ســـودي واغـلـبـي — وتـسـامَـي في ذراك الأرحــبِ
واخـفـقـي إنّــا لــكِ الجـنـدُ الأبــي — من صميم في صميمٍ يعرُبي
حرسٌ نحمي حمانا وطني[٨].

ولعل ما أغراه بتنويع القافية هو ما يتطلَّبه الإنشاد من تنوّع في القافية[٩].

كما أن ابن خميس من الشـعـراء الذيــن يرون أن ركوب القوافي النافرة دليل على اقتدار الشــاعر، وتمكّنه من الشـعـر؛ وربما لهذا الســبب أنشــأ قصيدة على حرف الضاد، قال فيها:

الـثـأرُ يـوقـظُـه الحـسـامُ المنتضى — والـحـقُّ كـلُّ الحـقِّ فيما قد قضى
والـقـولُ تـرجـمَـه الـفـداءُ قذائفًا — أصداؤهـن تشقُّ أجـوازَ الفضا[١٠]

ولــه قصــيدة أخرى اختــار لها حرف الزاي رويًّا، وجَّههــا إلى الدكتور غازي القصيبي عندما كان وزيرًا للصناعة والكهرباء، منها:

على الـذُّبـالـةِ والـفـانـوسِ والـغـازِ — عيشي ظلامك حتى يـأذنَ الغازي
أوسعتُه الصبرَ مهمازًا فأوسعَني — صدًّا فحطّمَ هذا الصدُّ مهمازي[١١]

وقد يكون اســم غازي حمله على إنشــاء هذه القصــيدة، وخاصة أن الجناس في المطلع قد يلطّف العتاب، ويدهش الوزير، فيتفاعل مع موضــوع الشـكوى الذي أُنشـئت القصــيدة من أجله، كما أن غرابة القافية وعدم شيوعها يمكن أن يمنح القصيدة قدرًا من الظرف.

وفي صدد الحديث عن القوافي لستُ أميل إلى رأي من يقول: إن «من مظاهر علوق طرائق القدماء بابن خميس عَمْدَه إلى هاء الوصل في بعض قوافيه؛ مثل:

مـفـعَـمـاتُ الـبـيـانِ غُـزرُ الـبـدائـهْ — هـنّ مِـن مـدِّه ومـن إيـحـائـهْ»[١٢]

ذلك أنّ تأمُّل مدونة الشــعر المعاصــر، ودواوين مَن يكتبون القصيدة الحديثة العمودية يجلّي شيوع هذه الطريقة في اختيار القوافي.

المطالع التقليدية

يظهر من خلال تأمل شعر ابن خميس أنه كان حفيًّا باستلهام أساليب الشعراء القدماء، ولئن كان الشعر المعاصر والقصيدة الحديثة يجنحان عن التقاليد الأدبية التراثية، فإن ابن خميس لم يتأثر بأساليب القدماء في بناء القصائد أو هيكلها الذي يسمّى عمود الشعر، وقد كانت العرب تحفل به أشد من اهتمامها بالتشبيه والاستعارة. قال القاضي الجرجاني: «وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن ... وتسلّم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، ... ولم تكن... تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض»(١٣). وعمود الشعر أن يبدأ الشاعر القصيدة بوصف الأطلال، ثم يتخلص من هذه الديباجة إلى الغرض الأساس الذي أنشأ من أجله القصيدة.

إلا أننا لا نكاد نجد لهذا التقليد مسحة من أثر في شعره، سوى قصيدة واحدة عنوانها «هذه الجزيرة»، غير أنه نأى بها عن تقليدية الشعر إلى أن جعلها في مقام الموازنة بين حال الجزيرة قبل مبعث النبي ﷺ وحالها بعد أن أرسله الله رحمة للعالمين، فتساوى الناس في نظرة الإسلام، لا يفضل أحدٌ أحدًا إلا بالتقوى، فألبس ابن خميس المقدمة الطللية مضمونًا جديدًا(١٤)؛ قال:

لو أباحت بما لديها الطلولُ ... أيُّ شيءٍ تُبينُه لو تقولُ

واكبتْها من الحياة ضروبٌ ... وامتطاها من الأنام شكولُ(١٥)

وبعد أن أورد الجانب المظلم لما كانت عليه الجزيرة صوّر لنا الجانب المشرق الذي كساها الله به بعد أن أشرقت شمس الإسلام عليها:

نسجتْ بين أهلها حيث كانوا ... آصرات دعا إليها الرسولُ

جمعَتْ بين هاشمٍ وصُهيبٍ ... لا فروعٌ تحوكها أو أصولُ(١٦)

أما قصيدة «مصر والاحتلال»، فقد استحث بها الركب استحثاثًا أوهمنا

في البداية بأنها تنحو منحى استيقاف الركب ونحوها، غير أن الركب نفسه هو الأمة، فلم يكن مطلعًا تقليديًا بالمعنى الدقيق، بل كان مزجًا بينهما جديرًا بأن يحمل المتلقي على الإعجاب، قال ابن خميس:

أما لك يا ركبَ الحياةِ هُداةُ وقد ضلَّ في الليلِ البهيم سُراةُ
وجُنّ جنون السفْر واستأثرَتْ به على غيرِ هدي المقسطين غُواةُ[١٧]

ولكننا نجده في جانب آخر يهتم بالمطالع التقليدية، مقتفيًا في ذلك أثر الطابع العباسي في الشعر، وخاصة المتنبي وأبي تمام؛ إذ هما حريصان على أن يكون مطلع القصيدة أو مصراعها إلماحةً لفكرة القصيدة بأسرها، أو موجزًا لها[١٨]؛ قال ابن خميس في مطلع قصيدة عنوانها «نداء فلسطين» أنشأها بمناسبة قيام حرب ١٩٦٧م، وألقاها في مهرجان شعبي في الرياض:

قِنَنٌ بأُولى القبلتين تنادي قد طال في الضيم المُمِضِّ رقادي[١٩]

فالمطلع لم يكن مجرد وشاية بموضوع القصيدة، بل كان ذا دلالة صريحة على موضوعها، ولو قرأنا القصيدة كلها لما وجدناها تخرج عن إطار شكوى فلسطين من الاحتلال...

وقال في مطلع قصيدته «أخت لبنان: على ربوات غامد وزهران»:

يا أخت لبنان تدبيجًا وتكوينا يا نفثة السحر مجلوًّا ومكنونا[٢٠]

وقراءة القصيدة تبيّن أنه يرى في ربوات غامد وزهران من الطبيعة ما يراه في لبنان.

عناوين القصائد

لم يكن الشاعر العربي قديمًا معنيًّا بتسمية قصائده، وما كان من ألقاب لبعض القصائد كسمطي الدهر لعلقمة بن عبدة[٢١] فإنما كان من قِبَل جمهور النقاد، ولم يكن من الشاعر.

ولعل من مظاهر تأثر ابن خميس بالتراث أنه لم يكن يحفل بتسمية قصائده تسمية نابضة بالشعرية، وإنما نجده يسمي أكثر قصائده باجتزاء أي تركيب فيها، كما نسمي نحن المتلقِّين بعض القصائد المشهورة: (قفا نبكِ، أراك عصي الدمع، واحرّ قلباه، ...). وهذه طريقة شائعة لدى شعراء العامية كذلك، وقد يكون ابن خميس تأثّر بهم في هذا الأمر، وخاصة أنه كان معنيًّا بجمع بعض الشعر العامي، حيث جمع شعر راشد الخلاوي[٢٢] وهو شاعر عامي، وله كتاب **رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح**[٢٣]، ومن هنا جاءت عناوينه على غرار: (عجبي من أمة، سلمت يدا شعب الجزيرة، يا دار، أنا حيّ، لا أملك القول، أخت لبنان)، وهي كلها مجتزَأة من أبيات في تلك القصائد، ليس فيها من الإشعاع الشعري ما يكفي لإدهاش المتلقي، وفيما يأتي بعض الأبيات التي اجتُزئت منها هذه العناوين:

عجبي من أمةٍ قد أنجبَتْ	**خيرةَ الدنيا وفخرَ الحِقَبِ**
سلمَتْ يدا شعبِ الجزيرة إنه	**أولى العروبةِ بالتجِلّةِ والرضا**
ما أنصفَتْكِ قوافي الشعرِ يا دارُ	**وفيكِ للملهَمِ المنطيقِ أسرارُ**
أنا حيٌّ في العلمِ يبدعُ بعضي	**وببعضي أمضي لسحقِ اليهودِ**
لا أملكُ القولَ إنصافًا وتجسيدا	**كيما أوفّيه تقريظًا وتمجيدا**[٢٤]

جُمل التمثيل الخطابي

مما هو ظاهر في شعر عبدالله بن خميس جُمَلُ التمثيل الخطابي، وتوصف هذه الجُمل بأنها «جمل تأتي في الشعر ونعرفها عادة بأنها الحِكَم، وهي أقوال تزخر بالبلاغة وتغَصُّ بالمعاني، ومنها في الشعر العربي الكثيرُ، وهي جمل بلاغية تعتمد على التمركز المنطقي، وتتجه نحو تأسيس قول جامع لمعنى ثابت، وفيها تُسخّر الكلمات بكل طاقتها البلاغية لأداء ذلك المعنى وخدمته، وهدف الشاعر منها هو المعنى»[٢٥].

وإذا فحصنا الشعر العربي القديم وجدناه في جانب كبير حفيًّا بهذه الجمل، نقل ابن رشيق أنه «يجمع أصنافَ الشعر أربعة: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون؛ فيكون من المديح المراثي والافتخار والشكر، ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، ويكون من اللهو الغزل والطرد»(٢٦).

والشعراء الإحيائيون والمحافظون عامةً يغلب عليهم أن يسوقوا في شعرهم أبياتًا حِكْميةً، وابن خميس واحد منهم، قال في قصيدة رثى بها الشيخ عبدالله ابن حسن آل الشيخ:

مآثرُ يبقيها لك الدهرُ، والفتى ... يموتُ ويبقى ذكرُه بعدَ جيلِهِ(٢٧)

ومع كونها حِكمة، فإن معناها وفكرتها قد تسرّبا إلى ذاكرته من بيت المتنبي:

ذِكرُ الفتى عمرُه الثاني، وحاجتُه ... ما فاته، وفضولُ العيشِ أشغالُ(٢٨)

وهذا ما يؤكد ارتواءه بالشعر القديم. أما الحكمة الذي أنشأها قائلًا:

وما الفخرُ أنْ تسمو بحيٍّ جدودُه ... ولكنْ بمجدٍ يزدهي بنبيلِهِ(٢٩)

فإنها تنظر من طرْف خفيٍّ إلى الحكمة السائرة:

كنِ ابنَ مَن شئتَ واكتسبْ أدبًا ... يغنيكَ محمودُه عن النسبِ
إنّ الفتى مَن يقولُ: هأنذا ... ليس الفتى مَن يقولُ: كان أبي(٣٠)

إن كثيرًا من جمل التمثيل الخطابي عند ابن خميس ذات رنين خطابي، يصدُق عليها أنها مشحونة بتصوُّرات عقلية ذات جذور منطقية، لا يجد فيها المتلقي جهدًا ممتعًا في التفسير والتأويل، فما هي إلا نوع يقدّم الشعر كما تقدَّم المعلومة(٣١)، ومن ذلك أيضًا قوله:

ليس مَن يبني ويُحْيي أمّةً ... كالذي قد أشبعَ الدنيا كلاما(٣٢)

المعارضات الشعرية

من أبرز مظاهر احتذاء التراث عند ابن خميس ظاهرة المعارضات، وبالنظر إلى الزمن الذي عاش فيه ابن خميس وكثر فيه نتاجه الأدبي؛ يتبين أنه واحد من شعراء الإحياء في المملكة، وواحد من الشعراء المحافظين[٣٣] الذين طغت على شعرهم مظاهر النزعة التقليدية؛ رغبةً منهم في استرداد الشعر العربي رونقَه ونصاعتَه.

والناظر في قصائد شعراء الإحياء، والمتأثرين بهم يجد «أن مختلف تأثيرات الصياغة تنطلق من الذاكرة التي تختزن صيغًا محفوظة»[٣٤]، وعبدالله بن خميس أحد الشعراء الذين يصدق عليهم أنهم «ليسوا سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي، وهم يكتبون من فيض هذا المخزون الثقافي في ذاكرتهم»[٣٥]، وما التناصُّ مع الحِكَم التي سبقت إلا أثر من آثار تحكم الذاكرة في الصياغات الشعرية، كما تظهر التراكيب المحفوظة في قصائده نتيجة لوقوعه تحت سطوة الذاكرة، ولعل هذا من أسباب معارضته لبعض القصائد الخالدة.

أما المدلول الاصطلاحي للمعارضة، فهو «أن ينظم شاعر قصيدة أو مقطوعة يحتذي فيها نصًّا لشاعر آخر ينسج على منواله»[٣٦].

إلا أن النقاد ألمحوا إلى سِمة مهمة في المعارضة، هي «أن المحتذِي لا بد أن يتوخى في نظمه ألا يقصر دون المحتذَى»[٣٧]، فهل تحققت هذه السمة في معارضات ابن خميس، أم جاءت معارضاته دون ما يتطلع إليه متذوّقو الشعر؟

من النماذج الشعرية التي خلّدتها ذاكرة الشعر العربي نونية ابن زيدون، ومطلعها:

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا   ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا[٣٨]

وحين دعت حكومة المغرب ابنَ خميس إلى مهرجان ذكرى ابن زيدون؛ أنشأ قصيدة عنوانها «ابن زيدون»، وألقاها هناك، عارض بها نونية ابن زيدون، ومنها:

يا رائدَ الشعرِ إبداعًا وتلوينا ... كيما تخلّد منه الخُرَّدَ العينا
ألهمتَه نفثاتِ السحرِ راقصةً ... ورُضتَه ليكون الدرُّ موضونا[٣٩]

وله كذلك عينية عنوانها «عاشت بلاد الرافدين»، ألقاها في مؤتمر الأدباء العرب الثاني ببغداد، قال فيها:

هواها لأجزاع الحمى، ونزوعُها ... تجاذبُها سرَّ الهوى أو تطيعُها
تراءى لها الأقصى فهاجت شجونُها ... وعنَّتْ لها يافا فزادَ وُلوعُها[٤٠]

يعارض بها عينية البحتري ذات المطلع:

مُنى النفسِ في أسماءَ لو تستطيعُها ... بها وَلْيُها من غادةٍ وولوعُها[٤١]

وفي قصيدته «سعيت وما أجدى» التي أهداها إلى صديقه الغزالي حرب وقد رغب إليه أن يشفع له لدى جهة تعليمية لاستصفائه معلمًا، فأخفق ابن خميس في وساطته؛ فأوسعه صاحبه عتابًا، قال ابن خميس:

غزلتُ لهم غزلًا دقيقًا فما أجدى ... وأذهبتُ نفسي أمتري عطفَهم وجدا
وأوسعتُهم قُربًا وحبًّا وأُلفةً ... وقد أوسعوا زُهدًا وقد أمعنوا بُعدا
ولا ذنْبَ لي إلا بياني وسَوْرةٌ ... عُرفتُ بها أن يُهضَمَ الحقُّ أو يُردَى
فإن يخذلوني واشجًا في صميمهم ... فما أخطأَ القصدَ الغزاليُّ إذ أكدى
يعاتبني لُطفًا لك الله مُعتبًا ... يرى القوم منه ما أعاد وما أبدى[٤٢]

وقراءة هذه القصيدة تستثير في الذاكرة قصيدة المقنَّع الكندي الدالية التي شكا فيها من عتاب قومه إياه وقد أرهقته الديون، قال فيها:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلفٌ جِدّا
فما أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمُ ... وليس رئيسُ القومِ من يحملُ الحقدا
وليسوا إلى نصري سراعًا وإن همُ ... دعوني إلى نصرٍ أتيتُهمُ شدّا

إذا أكلوا لحمي وفَرتُ لحومهمْ وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا
يعاتبني في الدَّيْنِ قومي وإنما تديّنتُ في أشياءَ تُكسِبُهم حمدا[43]

وإن لم تكن معارضةً لها، فإنه واقع تحت سطوتها في ذاكرته.

معارضة الفكرة

في التراث الشعري قصائد كان من أسباب خلودها تفردُها بموضوعها، أو فكرتها، ومن هذه القصائد بائية ابن خفاجة في وصف الجبل، ومطلعها:

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائب[44]

ومنها قوله:

وأرعنَ طماحِ الذؤابةِ باذخ يطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ
أصختُ إليه وهو أخرسُ صامتٌ فحدّثني ليلُ السرى بالعجائبِ
وقال: ألا كم كنتُ ملجأَ قاتلٍ وموطنَ أوّاهٍ تبتَّلَ تائبِ
ولاطمَ من نكبِ الرياحِ معاطفي وزاحمَ من خُضرِ البحارِ غواربي
فما كان إلا أن طوتْهم يدُ الردى وطارت بهم ريحُ النوى والنوائبِ[45]

وابن خميس - وهو من منطقة اليمامة - كثيرًا ما يتردد في شعره الحديث عنها، وفي منطقة اليمامة جبل طُويق، وقد جعل منه الشاعر رمزًا يدل على اليمامة، فكان هذا الرمز واحدًا من موضوعات قصائده؛ إذ أنشأ قصيدة يتحدث فيها إلى هذا الجبل، نكاد نسمع في كل أبياتها صوت ابن خفاجة وهو يتحدث إلى ذاك الجبل، قال ابن خميس:

يا أيها العملاق زدنا خبرةً عمّن أقاموا في ذراك معاقلا
واقصص علينا اليوم من أخبارهم ما ثَمّ من أحد يجيب السائلا
عن طسمَ حدِّثنا وعن جبروتها لمّا استباحت من جديسَ عقائلا
وجديس إذ هبّت لتثأر منهمُ تخفي لهم تحت الرغام مَناصلا
واذكر عن الزرقاء ما فاهت به عن نظرةٍ تطوي الحزونَ مراحلا

وعن الحمائم إذ مررن خواطفًا   **هل كان ذاك الحكمُ منها باطلا؟**
واذكر حديثًا عن حنيفةَ مسهبًا   **واذكر ربيعة في حماك ووائلا**(٤٦)

سطوة السياق التقريري

باستعراض سيرة ابن خميس المختصرة تبيّن أنه من العلماء الأدباء؛ ولكونه من هذه الفئة من الأدباء كان لهذا الأمر أثرٌ جليٌّ في شعره، ولعله امتد إليه بحكم كثرة مطالعته في كتب الأدب، ومدارسته للأدباء، ومذاكرتهم، ومن ذلك أنّا نجد ابن خميس الجغرافي صاحب **المجاز بين اليمامة والحجاز** يزاحم بمعرفته الجغرافية ابنَ خميس الشاعر في كثير من قصائده، ويكاد يطل برأسه في مواضع كثيرة من القصيدة الواحدة، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من ذكر موضع أو بلد يأتي به في سياق تقريري أكثر من كونه في سياق شعري، كقوله في قصيدة (المارد الجبار: وقفة على سد جازان):

شاقتك (رامةُ) و(الغويرُ) و(لعلعٌ)   **فأرقتَ حُرَّ الدمعِ في عَرَصَاتِها**

ثم قال بعد أبيات:

وإذا علوتَ على الربى متأملا   **أبصرتَ ما أبصرتَ من جناتها**
تنسيك (بوّانا) وناضرَ شعبه   **وخمائلَ (الفيحا) وشوقياتها**
إنْ تحتفلْ هذي البلاد بسدِّها   **فاستبشري بالنُّجحِ يا جاراتِها**
في (بيشَ) في (صَبيا) و(ريمَ) و(تعشرٍ)   **في (عتودٍ) في (بيضَ) في (ليّاتِها)**(٤٧)

فقد ذكر تسعة أسماء لمواضع في بيتين اثنين فحسب، وهي في سياق ترديد أسماء تلك المواضع، إلا أنه لا يضفي عليها أي رمزية تكسبها طاقة شعرية، وترتفع بها عن المستوى التقريري، وخاصة أن البيت كان حشدًا لأسماء المواضع لا مسوّغ له إلا استعراض ثقافة الشاعر، وهو عمل يمكن أن يوجَّه إليه النقدُ الذي قوبلَتْ به نونية أبي البقاء الرُّندي ذات المطلع:

لـكـلِّ شــيءٍ إذا مـا تمَّ نقصـانُ   فلا يغرَّ بطيبِ العيشِ إنسانُ

فإن أبا البقاء في بعض أبياتها إنما انشـغل بسـرد أسـماء المدن في الأندلس عن تكثيف الشعرية التي من أهم خصائص الشعر، كقوله:

فـاسـأل بـلـنسيةً: مـا شـأنُ مـرسيـة   وأين شاطبةٌ أم أين جيّانُ؟[٤٨]

ولو استعرضتُ الشواهد التي حشد فيها أسماء المواضع حشدًا فارغًا من الشعرية لطال الحديث.

المفردات والتراكيب المعجمية

وعبـد الله بن خميس من الأدبـاء الذين ينحون نحو مذهب الفن للحياة، وله دعواته الإصلاحية التي يستثير بها الهمم، ولهذا نجد أن أدبه عمومًا - وفيه شعره - قائم على تجسـيد المعاني، وتبسـيطها[٤٩] تبسيطًا اقتضـى منه أنه يكون تعبيره بهـذا المسـتوى الذي لا يحتاج معه القـارئ إلى تدبُّر وتأمُّـل، ولا إلى إعمال ذهن في محاولة التأويل والتفسـير؛ فهو من الشـعراء الذين يمتازون بصـفاء طبعهم الشـعري وتدفقه؛ ولهذا يجانبـون الكد الذهني، وربما كان هـذا نتيجة للارتواء مـن مناهل الشـعر القديم ارتـواء يجعـل ذاكرتهم متخمـة بالقوالب الشـعرية الجاهزة[٥٠].

ولهـذا تأتـي ألفاظـه مثـل: (العِيسـ، العراجين، التمـوك، الذميـل، ثماد، المنتضَـى، أوفَضَ، مُقـرِف، أرمض، خَفَر، السـراحين، النقع، طخيـاء، المطايا، أرعـن، المَهْمَه، إدلاج، ...)، وحين أصـف هـذه الألفاظ بأنهـا معجمية؛ فلأنه استعملها بمعناها المباشر، ولم يدخلها في سياق مجازي.

وتراكيبه التي يغلب عليها الطابع التأثري بالتراث الأدبي والشـعري خاصـة هي من قبيل: (هذا أوان الشـد، شُـدّي بنا الأزر، طلائع الفتح، شـاه وجه البغْي،

يــا جارة الفيحاء، معاهد لا يُنســي حُلاها دثورُها، ســقتها الغوادي، من الشــيح والقيصوم والبان نشرُها، أجزاع الحمى، ...).

وابــن خميس ـ حتــى عندما يحضّ الشــعراء على أن يتخذوا مذهب الشــعر للحياة، ويصدّوا عن مذهب الفن للفن ـ يورد أسماء النساء التي درجت في الشعر القديم، من قَبيل لبنى وسُعدى، على غرار قوله:

عـزفَ الـشعـرُ عـن حـديـثِ الـكواعـبْ	وتجـافـى عـن وِرد تـلـك الـمـشـاربْ
وتـعـالـى عـن ذِكــر لـبـنـى وسـعـدى	وعِـذابِ اللمى وزُجِّ الحـواجـبْ[٥١]

وهي أسماءٌ إنما تسللت إلى معجمه بفعل التأثر الشديد بالتراث الأدبي.

إلا أن استلهام ابن خميس للتراث الاستلهامَ المتمثلَ في استدعاء الرموز يظهر ثقافة تراثية واسعة، فلا تكاد تمر قصيدة إلا ويستدعي الرموزَ المعالمَ؛ كأسماء المواضع والجبال، وأسماء القصور القديمة، أو يستدعي الرموز السياسية؛ كقادة الجيوش الإســلامية في مختلف العصــور، أو يســتدعي الرموز الفنيــة كمَعبد، أو يستدعي الرموز الأدبية، كعمرو بن كلثوم وجرير وأبي تمام... إلخ[٥٢].

التضمين

يُعــد التضــمين البلاغــي[٥٣] أداةً تعبيرية عصــرية للإفادة من النصــوص التراثية، مختلفًا بذلك عن نمط اســتخدامها في الشعر القديم، فالشعراء قديمًا كانوا يســتخدمون هذه الأداة على أنها لون من ألوان البديع. أما الشاعر المعاصر فإنه استخدم هذه الأداة استخدامًا مختلفًا[٥٤]، فحمَّل التركيب أو البيت المضمَّنَ دلالاتٍ نفسيةً، وأبعادًا للأفكار التي يتناولها[٥٥].

وبحكم أن ابن خميس واقع تحت ســطوة التراث في كثير من قصــائده، فقد جاء تفاعله مع التراث من خلال تضمين الشعر، وتضمين الأمثال:

١. تضمين الأبيات

لا شك أن التضمين ذو فاعلية في ربط الشعر الحديث بالشعر القديم، واستثمار دلالاته، وتكثيفها، وإسقاطاته التي تُحوله إلى رموز ترتقي بمستوى الشعرية.

إلا أن من مزالق التضمين «أن الشاعر حين يهتم به يُضيع القصيدة، إذ لا بدَّ له أن يقدم له ببيت أو أبيات»[٥٦]، وهذا ما تحقق في شعر ابن خميس حين ضمّن بعض قصائده أبياتًا، فكان تضمينه من التناصّ الدوني الذي لا يعدو أن يكون إعادة إنتاج[٥٧]، وقد ضمَّن قصيدته التي يعارض بها عينية البحتري بيتًا للبحتري، غير أنه قدَّم له ببيتٍ سلب بيتَ البحتري رونقَه، وأفقد التضمينَ إدهاشَه:

أفي الحقِّ أن يستفحلَ الخُلفُ بينها	ويصدعَ من بعد التئامٍ جميعُها
ومن قبلِ ذا قال الوليدُ مباهيًا	ليُحمدَ بين العالمين صنيعُها
«إذا احتربَتْ يومًا ففاضت دماؤها	تذكّرتِ القربى ففاضت دموعُها»[٥٨]

وهذا مما سماه الحاتمي الالتقاطَ والتلفيق، وهو «ترقيع الألفاظ وتلفيقها، واجتذاب الكلام من أبيات، حتى ينظم بيتًا»[٥٩].

ولابن خميس قصيدة قالها في جبل طويق، جاء فيها:

وأراك معتدلَ المناكبِ سامقًا	تبدو بك الشُّمُّ الرعانُ مواثلا
وكأن عَمرًا خالَها إذ أعرضتْ	مثلَ السيوفِ المصلَتاتِ نواصلا[٦٠]

ولا شك أن المهاد الذي سبق صورة «مثل السيوف المصلتات نواصلا»؛ حيث ذكر أن عمرو بن كلثوم قد خالَها كذلك، لا شك أنه قد جعل الصياغة تأتي خافتة الوهج، كابية الصورة، منزوعة الدهشة، فمجرد الحديث عن جبل باليمامة، وإيراد اسم عمرو بن كلثوم يكفي لأن يترقّب المتلقي مجيءَ هذه الصورة الشعرية المستقرة في ذاكرته:

فأعرضت اليمامةُ واشمخرّتْ كأسيافٍ بأيدي مصلتينا[٦١]

وما يصدُق على الشاهدين السابقين يصدُق كذلك على قصيدته التي ضمَّنها بيتًا للبحتري:

من اللاء أثملن المعنّى فواترًا فقال وما أضناه إلا فتورُها:
«وما صرعتني الكأسُ، لكنْ أعانها علىَّ بعينيه الغداةَ مديرُها»[٦٢]

بل إن قوله: «وما أضناه إلا فتورها» كشف جمال بيت البحتري كشفًا نقديًا أشبه بنثر المنظور!

وفي قصيدتيه اللتين عارض بهما عينية البحتري ونونية ابن زيدون أبيات مضمّنة للشاعرين، ولكنها على هذه الطريقة.

وقد أجاد ابن خميس في التضمين الآتي في قصيدته يرثي الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ:

إذا تمثلْتُ من آبائه علَمًا فهو المثالُ الرضا من ذلك السَّننِ
وإن أردتُ له في الجودِ منزلةً «فالعارضُ الهتنُ ابنُ العارضِ الهتنِ»[٦٣]

إذ ضمَّنها شطرًا للمتنبي يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله الخطيب الخصيبي، وكان حينئذ يتولى القضاء بأنطاكية:

العارضُ الهتنُ ابنُ العارضِ الهتنِ ابـ نِ العارضِ الهتنِ ابنِ العارضِ الهتنِ[٦٤]

وفي قصيدة «مأساة جلاجل» رثى ابن خميس الطالبات اللاتي توفين من جراء انهيار مبنى المدرسة عليهن، يقول:

وما ضَحِكُ الصبحِ الجديد بشاشةً ولكنه مستأسدٌ فاغرٌ فما[٦٥]

ولا يمكن أن نقرأ هذا البيت دون أن يوقظ في ذاكرتنا بيت المتنبي:

إذا نـظـرتَ نـيـوبَ الـلـيـثِ بــارزةً   فلا تظنَّنَّ أن الليث مبتسمُ(٦٦)

٢. تضمين الأمثال

من سـمات المثل التي تميزه من غيره مـن الأنماط التعبيرية أنه «يجتمع فيه أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسن التشبيه، وجـودة الكنايـة، فهو نهايـة البلاغـة»(٦٧)؛ ولهذا قال أحـد الأعـراب: «الأمثال مصابيح الأقوال»(٦٨)؛ ولعل السبب الذي جعل الأمثال واحدًا من الروافد النصية في شـعر ابن خميس هو كونها من جُمَل التمثيـل الخطابي، ولقدرتها على تكثيف المعنـى، وتَهيِئـة المتلقي لتقبُّل الرأي، وأنها تقوم بدورٍ تواصـلي بـين أفراد البيئة الثقافية المشتركة، كما أنها دليل على اطِّلاعه الواسع على التراث.

قال ابن خميس:

يغدو (حُـنـيْنٌ) كـي يعود بخفّه   دهـرًا ولا يلقـى (حُـنـيْنُ) مجيبـا(٦٩)

مضمّنًا في ذلك المثل القائل: «أخيب من حُنين»(٧٠)، كما قال:

لتفوق في التأميل والـد يوسفٍ   وتـبـزّ في صـبـر الــورى أيّــوبـا(٧١)

و«صــبـر أيوب»(٧٢) مَثَل، إلا أنه ليس ذا طاقة شـعرية؛ لكونه سائرًا على ألسنة العامة.

وفي قصيدة «عِبر الأحداث» التي يشي عنوانها بمضمونها، قال ابن خميس:

قُـوِّضــوا بـيـن الـبـرايــا زُمَـــرًا   ذهبَت أيـدي سبا تلك الـزُّمَـرْ(٧٣)

وقد ضمّنه قولهم «أيدي سبأ»، وهو من أمثال العرب في التفرق(٧٤).

خاتمة

حفل شعر ابن خميس بتأثر واضح بالتراث العربي الشعري خاصة، وظهر ذلك التأثر في سمات كثيرة، فلم يخرج عن إيقاعات الشعر العربي أو بحور الخليل، كما أنه لم يترك وحدة القافية إلا في بعض القصائد.

أما احتذاؤه بعض المطالع والتراكيب والألفاظ التراثية، فإنه يدل على رغبة جادة في الاحتذاء وترسّم آثار السابقين، إلا أن هذه الرغبة أظهرت بعض سياقات التضمين والمعارضة في شعره بمستوى قصَّر بها عن المستوى الشعري بعض الشيء.

ومهما يكن من أمر، فإن سَعة اطِّلاعه على التراث وثقافته قد تجليتا في شعره.

الهوامش:

(*) الهيئة العامة للسياحة والآثار - الرياض.

(١) يُنظر: **شؤون وشجون من واقع حياتي**، عبدالله بن خميس، ص٣٧، (غير منشور)، نقلاً عن: **عبدالله بن خميس ناثرًا**، د. هيا بنت عبدالرحمن السمهري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥٣.

(٢) يُنظر: **الموسوعة الأدبية**، عبدالسلام الساسي، دار قريش للطباعة والصحافة والنشر، مكة المكرمة، ط١، ١٣٨٨هـ، ٣/١٤٩، و**معجم الأدباء والكتّاب**، الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٠٥، و**معجم مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث**، عبدالكريم بن حمد الحقيل، د.ن، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١/٤٢-٤٣، و**قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية**، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤٣٥هـ، ١/٤٨٨.

(٣) **على ربى اليمامة**، عبدالله بن محمد بن خميس، د.ن، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١١٢

(٤) المصدر السابق، ص١١٣

(٥) يُنظر: **في حومة الحرف: دراسات ومقالات عن الأدب العربي في المملكة العربية السعودية**،

د. عبدالله بن سُلَيم الرشيد، كرسي الأدب السعودي بجامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٩٣.

(٦) يُنظر: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ١/٢٧٨

(٧) **خصائص الأسلوب في الشوقيات**، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط١، ١٩٨١م، ص٥٢، (بتصرف).

(٨) **على ربى اليمامة**، ص٦٩

(٩) يُنظر: **شعر عبدالله بن خميس: دراسة فنية موضوعية**، د. هيا بنت عبدالرحمن السمهري، كرسي الأدب السعودي بجامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٤٢٦.

(١٠) **على ربى اليمامة**، ص٩٣.

(١١) المصدر السابق، ص٤٩٣.

(١٢) **في حومة الحرف**، ص١٩٣.

(١٣) **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت، ص٣٣-٣٤.

(١٤) يُنظر: **شعر عبدالله بن خميس**، ص٤٤٤. وقد بنيتُ حكمي على شعره الذي اطلعت عليه، وهو ديوان **على ربى اليمامة** فحسب.

(١٥) **على ربى اليمامة**، ص٦٣

(١٦) المصدر السابق، ص٦٥

(١٧) المصدر السابق، ص١٩٩.

(١٨) يُنظر: **في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية**، د. عبدالله الحامد، د.ن، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٣٢-٣٣.

(١٩) **على ربى اليمامة**، ص١٠٩.

(٢٠) المصدر السابق، ص١٦٣.

(٢١) يُنظر: **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس، وآخرين، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ٢١/١٤٤.

(٢٢) **راشد الخلاوي: حياته- شعره- حِكَمه- فلسفته- نوادره- حسابه الفلكي**، تأليف عبدالله بن خميس، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، د.ط، د.ت.

(٢٣) **عبدالله بن محمد بن خميس**، دار الخضرمة للنشر والتوزيع، الرياض، د.ن، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٤) **على ربى اليمامة**، ص٧٩، ٩٥، ١١٥، ١٣٧.

(٢٥) **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية**، د. عبدالله الغذامي، د.ن، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٩٧.

(٢٦) **العمدة**، ١٢١/١.

(٢٧) **على ربى اليمامة**، ص٤٥٨.

(٢٨) **ديوان المتنبي**، شرح: عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ٤٠٧/٣.

(٢٩) **على ربى اليمامة**، ص٤٥٨

(٣٠) **المستطرف في كل فن مستظرف**، الأبشيهي، تحقيق: د. أحمد أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، المنصورة، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٣٢.

(٣١) يراجع في هذه الفكرة: **الخطيئة والتكفير**، ص٩٨.

(٣٢) **على ربى اليمامة**، ص١٥٧.

(٣٣) يُنظر: **في الشعر المعاصر**، ص٣٢، وفي **حومة الحرف**، ص٩٣.

(٣٤) **مدرسة الإحياء والتراث دراسة في أثر الشعر العربي القديم على مدرسة الإحياء والتراث**، د. إبراهيم السعافين، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤١٤.

(٣٥) **الخطيئة والتكفير**، ص٥٦.

(٣٦) **المعارضات في الشعر العربي**، د. محمد بن حسين، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٠٠هـ، ص٣٠، وللتوسع في مفهوم المعارضة يُنظر: **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م، ص٧.

(٣٧) **المعارضات في الشعر العربي**، ص٣٠.

(٣٨) **ديوان ابن زيدون**، شرح: د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٩٨

(٣٩) **على ربى اليمامة**، ص٣٢٩.

(٤٠) المصدر السابق، ص٣٥٧.

(٤١) **ديوان البحتري**، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ١٢٩٦/٢.

(٤٢) **على ربى اليمامة**، ص٥٣١

(٤٣) **الأغاني**، ٨١/١٧.

(٤٤) **ديوان ابن خفاجة**، شـرحه وضبط نصوصـه وقدم له: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، د.ت، ص٤٧.

(٤٥) المصدر السابق، ص٤٨.

(٤٦) **على ربى اليمامة**، ص٢٨٠-٢٨١، وينظر للاستزادة من الموازنة بين النصين: **شعر عبدالله بن خميس**، ص١٣٦-١٣٩.

(٤٧) **على ربى اليمامة**، ص٣١٩-٣٢٤.

(٤٨) **نفح الطيب**، المَقّري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ٤/ ٤٨٤.

(٤٩) يُراجع في هذه الفكرة: أدب الرحلة عند عبدالله بن خميس، د. هيا بنت عبدالرحمن السمهري، ضمن كتاب **أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية**، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٨٨-٨٩.

(٥٠) ينظر: **في الشعر المعاصر**، ص٣٢.

(٥١) **على ربى اليمامة**، ص٥٢٠ .

(٥٢) يُنظر على سبيل المثال: **على ربى اليمامة**، ص٧٨، ١١٠، ١١٨، ١٣٢، ١٦٨، ١٨٥، ١٩٤.

(٥٣) التضمين: أن يُضمَّن الشعرُ شيئًا من شعر الغير. **الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، حققه وعلق عليه وفهرسه: عبدالحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٣٥٣.

(٥٤) يُنظر: **توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر**، أشجان الهندي، النادي الأدبي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٩٦.

(٥٥) يُنظر: **معارضات سينية البحتري في العصر الحديث**، سعود بن سليمان اليوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٣٢هـ، ص١٨٥.

(٥٦) **الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥-١٣٩٥هـ)**، د. عبدالله الحامد، دار الكتاب السعودي، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٨٣

(٥٧) يُنظر: **في حومة الحرف**، ص٩٣.

(٥٨) **على ربى اليمامة**، ص٣٥٩، وبيت البحتري في: **ديوانه**، ٢/ ١٢٩٩.

(٥٩) **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، الحاتمي، تحقيق: د. جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٧٩م، ٢/ ٩٠ .

(٦٠) القصيدة في ديوانه: **على ربى اليمامة**، ص٢٧٩، والبيت الثاني ليس فيها، وإنما هو في كتابه:

المجاز بين اليمامة والحجاز، مطابع الفرزدق، الرياض، ط٤، ١٤١٠هـ، ص١٧، نقلا عن **أدب الرحلة عند عبدالله بن خميس**، ص٢١٧.

(٦١) **ديوان عمرو بن كلثوم**، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٧٠.

(٦٢) **على ربى اليمامة**، ص٢١٨، وبيت البحتري المضمّن في: **ديوانه**، ٢/٩٩٩.

(٦٣) **على ربى اليمامة**، ص٤٥١.

(٦٤) **ديوان المتنبي**، ٤/٣٤٨.

(٦٥) **على ربى اليمامة**، ص٤٦٣.

(٦٦) **ديوان المتنبي**، ٤/٨٥.

(٦٧) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، النويري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ٣/٢.

(٦٨) **البصائر والذخائر**، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط٥، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ١/١٦٢.

(٦٩) **على ربى اليمامة**، ص١٢٢.

(٧٠) **مجمع الأمثال**، الميداني، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ١/٢٥٦.

(٧١) **على ربى اليمامة**، ص٥٢٠.

(٧٢) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٥٢.

(٧٣) **على ربى اليمامة**، ص٥٢٠.

(٧٤) **ثمار القلوب**، ص٢٧٦.

البيان في أن يثرب ليست مدينة سيد ولد عدنان

أ. حسين محمد علي شكري(*)

هـذا بحـث علميّ يتعلّق بمسـألة إثبات أن اسـم مدينة رسـول الله ﷺ، ودار هجرته قد سمّاها الله تعالى في الأزل المدينة بنص كتابه الحكيم، ونفي أن يكون اسـمها يثرب كما يذهب البعض مستندًا لما ورد في (الصّحيحين)، وغيرهما من قولـه ﷺ: (أمـرت بقريةٍ تـأكل القرى، يقولـون يثرب؛ وهي المدينـة)، جاعلين من قوله ﷺ: (من سـمّى المدينة يثرب؛ فليسـتغفر اللّه عـزّ وجلّ، هي طابة، هي طابة)، وما ورد من حديث سيدنا الزّبير رضي الله عنه: (من قال للمدينة يثرب؛ فليسـتغفر الله عزّ وجلّ)؛ مع أن ما يستدلّون به، وما أيّدوا به من الأحاديث ليس في محلّـه، ولا يؤيّده قولهم هم أوّلًا حيث نقلوا عمّن سـبقهم الوصـف الجغرافيّ للجهـة المعروفة بـ (يثرب)، والوصـف النّبويّ لدار الهجرة، مع توافر النّصـوص المتكاثـرة الواضـحة، المبيّنـة والمزيلة لكلّ لبسٍ أنه لا يمكن أن يصـحّ القول بأن اسـم دار الهجـرة (يثرب)، بل هو اسـم لناحيةٍ غير مدينة رسـول الله ﷺ التي سـمّاها اللّه تعالـى في الأزل (المدينـة) في قولـه تعالـى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التّوبـة: ١٠١]، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التّوبة: ١٢٠]، ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: ٨].

وسـأبيّن بتوفيـقٍ من الله تعالى، وتوجيهٍ من شـيخي وأسـتاذي الإمام، وهو

العلّامـة المتفنّـن، حبيب الله قربـان المظاهري المدني، أن لا تضـادّ ولا اختلاف بين الوصـف النّبويّ لموضـع دار الهجرة والواقع، وأن فهم مـا ورد من الأحاديث المستدلّ بها على إثبات أن الاسم القديم لدار الهجرة (يثرب) لا يدل على ذلك، وأن النّهي الوارد في إطلاق هذا الاسـم هو بسـبب ما يحمله من معنى لا يتناسب من كونها دار هجرته ﷺ؛ وفيما ذهبوا إليه نظر، ومراجعة.

والسّبب المؤدّي لمجانبة الصّواب له جانبان:

أحدهما: عدم مطابقة قوله مع واقع الأمر.

الثاني: التّقليد، أو ما قد يسمّيه البعض (التّوارد)، لكون المصرّح الأول ممّن لـه مكانة وقيمة علميّة، فيقدّس قوله كتقديسـ ذاته؛ دونما مراجعةٍ ونظرٍ وبحثٍ في النّصوص.

سؤال: (يثرب) هل هو اسم للنّاحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، أو للمدينة نفسها، أو لموضعٍ مخصوصٍ من أرضها؟

طرح الإمام الفقيه المحدّث، مؤرّخ المدينة المنوّرة، نور الدّين عليّ السّمهودي رحمه الله، المتوفّى سـنة ٩١١هجريّة هذا السّؤال في كتابه **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ١/ ٦٠-٦٢، ثمّ قال: «أقوال: الأوّل لأبي عبيدة، والثاني عن ابن عبّاس رضـي الله عنه؛ ومشـى عليه الزمخشـري رحمه الله، والثّالث هـو المعنيّ بقول محمد بن الحسن رحمه الله، أحد أصحاب مالكٍ رحمه الله؛ ويعرف بابن زبالة: وكانت (يثرب) أمّ قرى المدينة، وهي ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)، وما بين المال الذي يقال له (البرني) إلى (زبالة)...».

ثمّ قال ص ٦٤: «قلت: ويرجح القول الثالث أيضًـا قول الحافظ عمر بن شبّة النُّميري: قال أبو غسّـان: وكان بالمدينة في الجاهليّة سـوق بـ (زبالة) في النّاحية التي تدعى (يثرب)، انتهى. ولا شـكّ في إطلاق (يثرب) على المدينة نفسـها كما

ثبت في الصّحيح؛ وشواهده أشهر من أن تذكر، وسيأتي أوّل (الفصل الرّابع عشر) من (الباب الثاني) [ص٢٣٦] ما يقتضي أنه تعالى سماها به قبل أن تعمر وتسكن، فإما أن يكون موضوعًا لها، أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكل، أو من باب عكسه على الخلاف المتقدم»، انتهى.

قلت: **أولًا فيما قال الإمام السّمهودي تعقّب واستدراك.**

(١) قوله: «والثاني عن ابن عباس رضي الله عنه؛ ومشى عليه الزمخشري رحمه الله»؛ ولم يذكر أقوالهم، وذكر محقق كتابه **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ٦٢/١ حاشية [٢] أن الإمام السّمهودي رحمه الله نقل أقوال أبي عبيدة، وابن عبّاس، والزمخشري من كتاب الإمام بدر الدّين الزّركشي رحمه الله، المتوفّى سنة ٧٩٤ هجريّة المسمّى **إعلام السّاجد بأحكام المساجد.**

قلت: نص عبارة الإمام الزّركشي رحمه الله في كتابه ص٢٣٥: «وقال ابن دقيق العيد في **شرح الإلمام**: اختلفوا في (يثرب): هل هو اسم لقطر محدود؛ والمدينة في ناحية منه؟ وعن أبي عبيد رحمه الله (يثرب) اسم أرض؛ ومدينة الرسول ﷺ في ناحيةٍ منها. وقال الماوردي رحمه الله: في (يثرب) وجهان: أحدهما المدينة، حكاه ابن عباس رضي الله عنهما، والثاني أن المدينة في ناحيةٍ منها؛ قاله أبو عبيد». وفي **الكشاف** (يثرب) اسم للمدينة، وقيل: أرض وقعت المدينة في طرفٍ منها) .....»، انتهى.

وعبارة الإمام الزركشي رحمه الله هي نقول؛ لزم التّحقّق منها بمراجعتها للوقوف على أصل نص العبارة. وهذا ما يؤكد عليه شيخي العلامة حبيب الله قربان المظاهري حفظه الله تعالى ويصرّ عليه.

فنص عبارة الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله المنقولة من كتابه **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام** ٤٠٥/٤ (اختلفوا في (يثرب)، هل هو يرادف المدينة، أو هو اسم لقطرٍ محدودٍ؛ والمدينة في ناحيةٍ منه؟.

عن أبي عبيد رحمه الله (يثرب) اسم أرضٍ؛ ومدينة الرسول ﷺ في ناحيةٍ منها.

وقال الماوردي رحمه الله: في (يثرب) وجهان: أحدهما المدينة، حكاه ابن عيسى[1]، والثاني أن المدينة في ناحيةٍ من (يثرب)؛ قاله أبو عبيد.

وفي **الكشّاف**: «(يثرب) اسم للمدينة، وقيل: أرض وقعت المدينة في طرف منها)».

وكذا قال ابن عطيّة رحمه الله (يثرب) قطر محدود؛ المدينة في الطّرف منه)، انتهى.

وأما نص عبارة الإمام الماوردي رحمه الله، المتوفّى سنة ٤٥٠ هجرية، في تفسيره **النكت والعيون** ٣٨٢/٤: والمراد بـ (يثرب) المدينة؛ وفيه قولان أحدهما أن (يثرب) هي (المدينة)؛ حكاه ابن عيسى، والثاني أن (المدينة) في ناحيةٍ من (يثرب)؛ قاله أبو عبيدة»، انتهى.

وأما عبارة الإمام الزمخشري رحمه الله، المتوفّى سنة ٥٣٨ هجريّة في تفسيره **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ٥٣٥/٣: «و(يثرب) اسم (المدينة)، وقيل: أرض وقعت (المدينة) في طرفٍ منها»، انتهى.

ونص عبارة الإمام ابن عطيّة رحمه الله، المتوفّى سنة ٥٤١ هجريّة، في تفسيره **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ٣٧٣/٤: «روي أن بني حارثة قالوها، و(يثرب) قطر محدود؛ (المدينة) في طرفٍ منه»،انتهى.

فممّا سبق من أقوال الأئمّة المنقولة، تبيّن:

(أ) أن نسبة الإمام السّمهودي رحمه الله لسيدنا ابن عبّاس رضي الله عنهما القول إن (يثرب) هي (المدينة)؛ إنما هو تصحيف لعبارة الإمام الماوردي رحمه الله، حكاه ابن عيسى.

(ب) أن قوله: «ومشى عليه الزمخشري»، لا يظهر ذلك في نص عبارته، بل كلامه عرض للأقوال؛ بدلالة قوله: «وقيل: أرض وقعت المدينة في طرفٍ منها».

(ج) قول الإمام السّمهودي رحمه الله: «ويرجّح القول الثالث، وهو قول الإمام محمد بن الحسن رحمه الله (يثرب) أم قرى المدينة، وهي ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)؛ قول الحافظ عمر بن شبّة النُّميري رحمه الله: «قال أبو غسان: وكان بالمدينة في الجاهلية سوق بـ (زبالة) في الناحية التي تدعى (يثرب)»، انتهى.

(د) ظهر من ذكره رحمه الله ترجيح قول الإمام محمد بن الحسن رحمه الله؛ أن ذهابه للقول بأن (يثرب) هي (المدينة) مع التّردّد في ذلك، وعدم الجزم منه؛ وختمه بقوله: «...ما يقتضي أنه تعالى سمّاها به قبل أن تعمر وتسكن؛ فأما أن يكون موضوعًا لها، أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكلّ، أو من باب عكسه على الخلاف المتقدّم»، هو من باب اجتهاده واختياره، لا من باب القطع والجزم.

(هـ) عرّف رحمه الله ٣٠٧/٤ (زبالة)، فقال: «شمالي المدينة، بينها وبين (يثرب)...»، وقال ٥٢٢/٤: «وقال ابن زبالة: (يثرب) أمّ قرى المدينة، وهي ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)، أي حدّها من المشرق إلى المغرب. وما بين المال الذي يقال له (البرني) إلى (زبالة)، أي من الشام إلى القبليّة، وفي شامي الموضع المعروف اليوم بـ (يثرب) نخل يعرف بـ (المال)»، انتهى. وهذا النّقل بتحديد موضع (يثرب)، ثمّ التّأييد بتعيّين ذلك؛ تناقض لا يمكن الجمع بين موضع هجرته ﷺ، ومكان تخطيط مدينته، وموضع مسجده.

ونجده قد خالف الأئمّة المتقدّمين المعتمد هو النّقل عنهم، في التّفريق بين (يثرب) و(المدينة) وجعلهما موضعًا واحدًا، وهم الإمام محمد بن الحسن بن زبالة رحمه الله، الذي يُكثر النّقل عنه الإمام السّمهودي رحمه الله في كتابه **وفاء**

الوفا بأخبار دار المصطفى، قال عنه ٦٥/٢: «وابن زبالة، ويحيى عمدة في ذلك؛ فإنهما أقدم مَن أرّخ للمدينة.....، ويؤخذ من كلامه أنه وضع كتابه في صفر سنة تسعٍ وتسعين ومئة»، انتهى.

قلت: له كتاب **أخبار المدينة**، وتوفّي سنة ١٩٩هـجريّة.

والحافظ عمر بن شبّة النُّميري رحمه الله قال عنه ٦٥/٢: «...فإنه يوضّح الأمور إيضاحًا تامًّا؛ وهو إمام ثقة»، انتهى.

قلت: له كتاب **أخبار المدينة**؛ طبع جزء منه، توفّي سنة ٢٦٢ هجريّة.

وأما شيخ الحافظ عمر بن شبّة النُّميري رحمه الله: أبو غسّان؛ فهو الإمام محمد بن يحيى بن علي الكناني رحمه الله، لم أقف على تاريخ وفاته، ونقل الإمام السّمهودي عن الإمام الأقشهري، المتوفّى سنة ٧٣٩ هجريّة، من كتابه **الرّوضة الفردوسّية والحضرة القدسيّة**، في وصفه: «كان عالمًا بأخبار المدينة، ومن بيت كتابةٍ وعلمٍ»، انتهى.

وقال عنه الإمام الدّارقطني رحمه الله في **سؤالات الحاكم** ص٢٧٢ سؤال [٤٨٠]: «حجّة».

وعزا الإمام السّخاوي رحمه الله، المتوفّى سنة ٩٠٢ هجريّة في كتابه **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** في ترجمته، عن الإمام الأقشهري رحمه الله أن له كتابًا في أخبار المدينة؛ وهو وهْم، فهو راوية له روايات، والظاهر أنه توهم ذلك من قول الإمام الأقشهري: «ومن بيت كتابة».

ثانيًا: سياق نصوص الأئمة المتقدمين في تعيين (يثرب)

(١) قال الإمام محمد بن الحسن بن زبالة رحمه الله، المتوفّى سنة ١٩٩هـجريّة: «وكانت (يثرب) أمّ قرى المدينة، وهي ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)، وما بين المال الذي يقال له (البرني) إلى (زبالة)»، انتهى.

نقله الإمام السمهودي رحمه الله في **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ١/ ٦٢.

وعزاه الإمام محمد بن يعقوب الفيروزابادي رحمه الله، في كتابه **المغانم المطابة في معالم طابة** ١/ ٢٦٤ إلى الإمام الزُّبير بن بكّار، رحمه الله، المتوفّى سنة ٢٥٦ هجرية.

وقال الإمام ابن زبالة أيضًا، فيما نقله الإمام محمد بن يعقوب الفيروزابادي في كتابه **المغانم المطابة في معالم طابة** ١/ ٢٠٠: «فركحوا - أي اليهود - منها حيث شاؤوا - أي تفسّحوا وتبوّؤوا - فكان جميعهم بـ (زهرة)، وكانت لهم الأموال بالسّافلة، و(زهرة) ثبرة - أي أرض سهلة بين الحرّة والسّافلة ممّا يلي (القفّ) - ونزل جمهورهم بمكان يقال له (يثرب) بمجتمع السُّيول مما يلي (زغابة..)»، انتهى.

وذكره الإمام السّمهودي في **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ١/ ٢٩٩.

(٢) قال الإمام أبو عُبيدة مَعمر بن المثنّى، رحمه الله، المتوفّى سنة ٢٠٩ هجريّة: «(يثرب) اسم أرضٍ، ومدينة النبي ﷺ في ناحيةٍ منها»، انتهى.

نقله الإمام محمد بن محمود النجار رحمه الله، المتوفّى سنة ٦٤٣ هجريّة في كتابه الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص ٢٨.

(٣) قال الإمام محمد بن يحيى بن علي الكناني رحمه الله: «وكان بالمدينة في الجاهليّة سوق بـ (زبالة) في الناحية التي تدعى (يثرب)»،انتهى.

نقله الإمام السّمهودي في **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ١/ ٦٤.

(٤) قال الإمام شيخ المفسّرين، محمد بن جريرٍ الطّبري، المتوفّى سنة ٣١٠ هجريّة في **جامع البيان في تأويل القرآن** ١٠/ ٢٧٠ في تأويل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزاب الآية ١٣]: «و(يثرب) اسم أرضٍ، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحيةٍ من (يثرب)..»، انتهى.

(٥) قال الإمام المحدّث أبو الحسن رَزين بن معاوية العبدري الأندلسي، المتوفّى سنة ٥٣٥هجريّة، في كتابه **أخبار دار الهجرة**: «إن (يثرب) اسم أبي عبيل، وقيل اسم موضعٍ بالمدينة»،انتهى.

نقله الإمام أبو بكر بن الحسين المراغي في كتابه **تحقيق النُّصرة بتلخيص معالم دار الهجرة** ص٢٣.

(٦) قال القاضي عياض بن موسى اليحصبي،المتوفّى سنة ٥٤٤ هجريّة، في كتابه **مشارق الأنوار على صحاح الأخبار** ص٦٥٥: «(يثرب) اسم مدينة النبي ﷺ .....، وقيل سُمّيت بأرضٍ بها تسمّى كذلك؛ (المدينة) بناحيةٍ منها..»، انتهى.

(٧) قال الإمام ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفّى سنة ٦٢٦ هجريّة في كتابه **معجم البلدان** ٥/٤٩٣: «ثم اختلفوا، فقيل: إن (يثرب) للنّاحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، وقال آخرون: بل (يثرب) ناحية مدينة النبي ﷺ...»، انتهى.

(٨) قال الإمام عبد المؤمن البغدادي، رحمه الله، المتوفّى سنة ٧٣٩ هجريّة في كتابه **مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ٣/١٤٧٤: «(يثرب).. مدينة الرسول ﷺ، سُمّيت بأول من سكنها، وهو يثرب بن قانية، من ولد سام بن نوح عليه السلام. واختلفوا؛ فقيل: (يثرب) اسم للناحية التي منها (المدينة)، وقيل لناحيةٍ منها، وقيل (المدينة) نفسها... انتهى.

(٩) قال الإمام محمد بن أحمد المطري رحمه الله، المتوفّى سنة ٧٤١ هجريّة في كتابه **التّعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة** ص٥٨ عقب ذكره لقول الإمام أبي عُبيدة المتقدّم: «قلت: وهي معروفة اليوم بهذا الاسم، وفيها نخيل كثير مُلك لأهل (المدينة)، وأوقاف للفقراء وغيرهم، وهي غربي مشهد أبي عُمارة حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه، عمّ رسول الله ﷺ، وشرقي الموضع المعروف بـ (البركة)...»، انتهى.

(١٠) قال الإمام أبو بكر بن الحسين المراغي رحمه الله، المتوفّى سنة ٨١٦ هجريّة في كتابه **تحقيق النُّصرة بتلخيص معالم دار الهجرة** ص٢٢ عقب ذكره لقول الإمام أبي عُبيدة المتقدّم: «وهذا الاسم يطلق الآن على أرضٍ غربي مشهد حمزة بن عبد المطّلب، عمّ رسول الله ﷺ، وشرقي الموضع المعروف بـ (البركة) مصرف (عين الأزرق)، وتُسمّيها الحجّاج (عيون حمزة)، وكانت (يثرب) منازلَ بني حارثة بن الحارث. بطن من الأوس. وكانت قبل نزول الأوس والخزرج أمّ قرى المدينة..»، انتهى.

(١١) قال الإمام محمد بن يعقوب الفيروزابادي رحمه الله، المتوفّى سنة ٨١٧ هجريّة في كتابه **المغانم المطابة في معالم طابة** ٢٠١/١: «قالوا: وكانت (يثرب) سقيفةً طويلةً فيها بغايا؛ يضرب إليهنّ من البلدان، وكانوا يروّحون في قريةٍ بـ (يثرب) ثمانين جملًا جونًا..»، انتهى.

وقال ص ٢٦٤: «ثمّ اختلفوا؛ فقال بعضهم: (أثرب، و(يثرب) اسمان للنّاحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، وقيل: اسمان لمدينة الرسول ﷺ هُجرا في الإسلام»، انتهى.

خلاصة ما سبق: أن (يثرب) لم يُجزم بدليلٍ قاطعٍ أنه اسم لـ (المدينة)؛ وما ذهب إليه الإمام محمد بن يعقوب الفيروزابادي، وتبعه الإمام السّمهودي وغيرهما، مستندين لما ورد في الصّحيحين وغيرهما من قوله ﷺ: «أُمرت بقريةٍ تأكل القرى، يقولون يثرب؛ وهي المدينة» هو من باب التّرجيح لا الجزم.

وسأفصّل فيما يأتي ما يُثبت أن (يثرب) اسم ناحيةٍ، أي قريةٍ، وأن (المدينة) اسم ناحيةٍ، أي قريةٍ أخرى.

فأقول مستعينًا بالله، وسائلًا منه التّوفيق والسّداد:

أولًا: المنطقة المعروفة حاليًّا بـ (المدينة المنوّرة)، كانت في الزمن القديم

عبـارةً عـن عدّة قرى متناثـرة ما بين (بُطحـان) جنوبًا إلى (الزّهرة) شـمالاً؛ ودليل ذلك:

(١) مـا في **الموطـأ** للإمـام مالـك رحمـه الله، المتوفّـى سـنة ١٧٩ هجريّة، حديـث [٥٠٧] عـن عبد اللّه بن عبد اللّه بن جابر بـن عتيكٍ رحمه الله أنه قال: «جاءنـا عبـد اللّه بن عمر رضـي الله عنهما في بني معاويـة، وهي قرية من قرى الأنصار،...»، انتهى.

(٢) وفي **المسـند** للإمام أحمد (٢٢٣٤٨)، و**المعجم الكبير** للإمام الطبراني ٨٤/٧ (٦٤٤٥) من حديث سـيدنا سـفينة رضـي الله عنه، مولى رسول الله ﷺ، قال: «خطبَنا رسـول الله ﷺ، فقال: «ألا إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاّ قد حذّر الدّجّال أمّتَه...... حتّى يأتي المدينة؛ فلا يؤذَن له فيها، فيقول هذه قرية ذلك الرّجل....»، الحديث.

(٣) وقـال الإمام المطري رحمـه الله في كتابه **التعريف بما آنست الهجرة مـن معـالم دار الهجرة** ص٢٠٥ عند ذكره للمسـاجد غير المعروفة بالمدينة: «... ويعـرف بعض أماكنهـا؛ يذكر أنه ﷺ صـلّى فيها، وهي في قرى الأنصـار......، وجهات القرى التي كانت فيها...»،انتهى.

(٤) قـال الإمـام السـمهودي رحمـه الله في كتابه **وفـاء الوفـا بأخبـار دار المصـطفى** ٣٧٩/١ عنـد تعريفه بمنزل بني حديلة: «قال الجوهري: هي قرية من قرى الأنصار»، انتهى.

(٥) وصـف رئيس القلم العربي في ديوان محافظ المدينة، والإمام بالمسجد النّبوي الشّـريف، علي بن موسى المدني، رحمه الله، عـام ١٣٠٣ هجريّة في كتابه **وصـف المدينة المنوّرة**، فقال ص٧٠: «الفصـل الثاني فيمـا في الجهات الأربع من المآثـر.. في الجهة القبليّة قرية (قباء)......، والقرية الثانية (قربان) شـرقي

(قبــاء)........، والقرية الثالثة (العوالي) شــرقي (قربــان)........، وفي الجهة الشّرقيّة (قرية العريض) .....»، انتهى.

(٦) وقال السيد علي حافظ رحمه اللّه، المتوفّى سنة ١٤٠٧ هجريّة، في كتابه **فصول من تاريخ المدينة المنوّرة** ص ٢٩٢، وذكر ص٣٢٠ تاريخ تسويد الكتاب عام ١٣٨٥ هجريــة «فـ (الغابــة) على ما يبدو كانت قريةً تعــجّ بالمعمّرين، والزُّرّاع في القرون الأولى للهجرة، ولا يبعد أن تكون في موقع قرية (العيون) اليوم...».

وقــال صــ ٢٩٧-٢٩٨: «والحياة التي كانــت تنبض في قريــة (العيون) بقوّة ونشــاط.......، وانتقل نشــاط زراعة النخيل وغيره الــذي في (العيون) إلى قرى المدينــة الأخرى ذات الماء العذب الحلوكـ (قبــاء)، و(قُربان)، و(العوالي)، وما جاورهم...».

وقــال صــ ٣٠٠: «وينطلق ماؤهما إلــى قرية (البركة) تروي بســاتينها...»، انتهى.

قلت: وتقدّم قول الإمام ابن زبالة رحمه اللّه «(يثرب) أمّ قرى المدينة».

وقــال الإمام الزُّبير بن بكَّار رحمــه اللّه: «كانت (يثرب) في الجاهلية تدعى (غلبــة)، نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها، ونزلت الأوس والخزرج على اليهود فغلبوهم عليها، ونزل الأعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها»، انتهى.

وتقدّم أيضًــا ـ فيما نقلــه الإمامان الفيروزابادي والسّــمهودي ـ قوله: «ونزل جمهورهم ـ أي اليهود ـ بمكانٍ يقال له (يثرب).....»، انتهى.

فائــدة: قــال الإمام السّــمهودي في **وفاء الوفــا بأخبار دار المصــطفى** ٧٩/١ عقب نقله نصًّــا عن الإمام ابن زبالة: «... كذا في النّســخة التي وقفتُ عليها من كتــاب ابن زبالة، ونقله المجد ـ أي الفيروزابادي ـ عن الزُّبير بن بكّار؛ راوي كتاب ابن زبالة»، انتهى.

فممًّا سبق؛ تأكد أن (يثرب) اسم لناحيةٍ - أي قرية - وليس هو اسم لمدينة الرسول ﷺ.

ثانيًا: نقل الأئمة رحمهم الله تعالى ممن ذهب إلى أن (يثرب) اسم للمدينة، عمّن تقدّمهم أن (يثرب) اسم ناحيةٍ، وعيّنوا جهتها؛ وفي هذا تأكيد وإثبات لناحيةٍ معروفةٍ بهذا الاسم، ويوافقه الواقع في عصرنا الحاضر.

قال السيد إبراهيم العيّاشي رحمه الله تعالى، المتوفّى سنة ١٤٠٠ هجريّة، في كتابه **المدينة بين الماضي والحاضر** ص ٣٤٣ عقب نقله عن الإمام السّمهودي لحدود (يثرب): «إن هذا ينطبق على المنطقة التي فيها (بئر رومة)، و(الأزهري)، وهذه المنطقة تعرف الآن بـ (عقاب)، وتمضي إلى ناحية (كومة أبي الحمراء الرّابض) شرقًا، ويكون (العقيق) هو الحدّ الغربي ممّا يلي أسفل (الجرف)..»، انتهى.

قلت: منطقة (بئر رومة)، و(الأزهري) معروفتان ماثلتان للعيان.

وأما (كومة أبي الحمراء)، فقد عرّفها ص٣٤٢ بقوله: «المعروفة اليوم بـ (الزّبارة الحمراء)»، وقال ص ٤٧٨: «وهي لاتزال كومة ترابٍ....عند ملعب التّعليم»، انتهى.

قلت: (ملعب التّعليم) يقع خلف مبنى (سوق المدينة الدّولي) ضمن (مدرسة الإمام عليّ رضي الله عنه).

ثالثًا: أفادت النصوص المتقدمة أن دار هجرة النبي ﷺ كانت لموضع قرية (المدينة) بين قرىً للأنصار واليهود، لها أسماء صُرّح ببعضها فيما تقدّم، يجمعها اسم أمّ قراها (يثرب)، كما قال الإمام السمهودي: «فأما أن يكون موضوعًا لها، أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكلّ، أو من باب عكسه على الخلاف المتقدّم».

قلت: يؤيد قول الإمام السّمهودي «... من باب إطلاق اسم البعض على

الكلّ»، أي إن اسـم (يثرب) اسم لقريةٍ غلبت على قرى المنطقة المتفرّقة؛ ما رواه الأئمّة رحمهم اللّه تعالى؛ البخاري، ومسـلم، وابن ماجه، من حديث سـيدنا أبي موسـى رضـي اللّه عنه، عـن النبي ﷺ أنه قـال: «رأيت في المنـام أني أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهب وهَلي إلى أنها اليمامة، أو هَجَر؛ فإذا هي المدينة يـثرب...»، فنجـد الإمام ياقوت بن عبد اللّه الحمـوي رحمه اللّه في كتابه **معجم البلدان** في تعريفه لـ (اليمامة)، و(هجر) كإقليمين، ويبيّن في ثنايا قوله أن أصل التّسمية لموضعٍ غلب على إقليمٍ.

فثبت بذلك ـ وهو ما أشار إليه الإمام السّمهودي أن اللّه سمّاها قبل أن تعمر ـ أن ما رواه الإمام الطّبراني رحمه اللّه، المتوفّى سنة ٣٦٠ هجريّة في كتابه **المعجم الكبير** ٢٣٧/٤ من حديث سـيدنا ذي مخبر رضـي اللّه عنه ـ ابن أخي النجاشي ـ أن النبـي ﷺ قـال: «إن اللّه عـزّ وجل اطّلع إلى أهل المدينـة وهي بطحاء قبل أن تعمر، ليس فيها مدر، ولا بشـر....»،الحديث.

ومـا رواه الإمـام ابـن النجار رحمـه اللّه في كتابه **الـدُّرَّة الثمينـة في أخبار المدينة** ص ٢٧ من طريق الإمام ابن زبالة، عن إبراهيم بن أبي يحيى رحمه اللّه، قال: «للمدينة في التّوراة أحد عشـر اسـمًا: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسـكينة، وجابرة، والمجبورة، والمرحومة، والعذراء، والمَحَبّة، والمحبوبة، والقاصمة».

وروى أيضًـا من طريقه كذلك، عن كعب الأحبـار رحمه اللّه، قال: «نجد في كتاب اللّه الذي نزل على موسى عليه السلام أن اللّه تعالى قال للمدينة: يا طيبة!، يا طابة!، يا مسـكينة!؛ لا تقبلي الكنوز، ارفعي أجاجيرك على أجاجير القرى..»، انتهى.

وله شـواهد في الصـحيحين وغيرهما أن (المدينة) هو اسـم للقرية المعيّن هجـرة النبـي ﷺ إليهـا من تلـك القـرى، وهـي المسـمّاة (طيبـة)، و(طابة)، و(المسـكينة)، و(جابرة)، و(المجبـورة)، إلخ؛ والمأمورة ناقتـه ﷺ بالتّوجّه إليها

لتكون مكان منزله، ومسجدُه في وسط دور الأنصار، والتي ستنشأ فيها مدينته التي تأكل القرى، أي تغلب باسمها ومكانتها على غيرها من القرى.

وليست هي قرية (يثرب) أمّ قرى المنطقة كما نُقل عن الإمام ابن زبالة وغيره، رحمهم الله تعالى، والتي هي ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف).

دليل ذلك: ما نقله الإمام السّمهودي في **وفاء الوفا بأخبار دار** ٤٤٢/١:

«روى يحيى[٢] أنه ﷺ لمَّا شخص - أي من (قباء) - اجتمعت بنو عمرو بن عوفٍ.

فقالوا: يا رسول الله! أَخَرَجْتَ ملالًا لنا؛ أم تريد دارًا خيرًا من دارنا؟.

قال ﷺ: «إني أُمرت بقريةٍ تأكل القرى»، فخلّوها - أي ناقته - «فإنها مأمورة»،....»، انتهى.

فلمّا وصلت ناقته ﷺ للموضع المأمورة به - ولم يكن ذا اسم يُعرف به - شرع في تخطيط مدينته، فأسَّس مسجده، ثمّ أقطع النّاسَ الدّورَ والرّباع حول مسجده.

وروى الإمام محمد بن سعد رحمه الله، المتوفّى سنة ٢٣٠ هجريّة في كتابه **الطّبقات الكبير** ٩٦٣، عن عبيد اللّه بن عبدالله بن عتبة: «أن رسول اللّه ﷺ لمَّا خطّ الدّور بالمدينة..»، انتهى.

وروى عن يحيى بن جعدة رحمه الله تعالى ١٤٠/٣: «قالوا: قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ أقطع النّاس الدّور..»، انتهى.

وقال الإمام ياقوت الحموي رحمه الله في كتابه **معجم البلدان** ١٠٢/٥: «.. فلمّا قدم رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة مهاجرًا؛ أقطعَ النّاس الدُّور والرّباع، فخطّ لبني زهرة في ناحيةٍ من مؤخَّر المسجد، فكان لعبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه الحصن المعروف به، وجعل لعبد الله، وعتبة ابنيِّ مسعودٍ الهذليّين رضي الله عنهما الخطّة المشهورة بهم عند المسجد، وأقطع الزّبير بن العوّام رضي الله عنه بقيعًا واسعًا، وجعل لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه موضع دوره،

ولأبي بكرٍ رضـي الله عنه موضـع داره عند المسـجد، وأقطع كلّ واحدٍ من عثمان بـن عفان، وخالد بـن الوليد، والمقـداد، وعبيـد، والطّفيل، وغيرهم رضـي الله عنهم مواضـع دورهم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع أصحابه هذه القطائـع، فما كان في عفًا من الأرض، فإنه أقطعهم إيّـاه، وما كان من الخطط المسـكونة العامرة، فإن الأنصـار رضي الله عنهم وهبوه له، فكان يقطع من ذلك ما شاء»، انتهى.

فتبيّـن أن النبـي ﷺ أسّـس مدينته في موضـعٍ قد سـمّاه الله تعالى المدينة، وطيبة، وطابة، ......، إلخ؛ ولم تكن لها تسمية بين الأنصار قبل مقدمه.

لطيفـة: أُمِـر ﷺ بالهجرة لمكانٍ قد صـلّى فيه قبل هجرتـه إليه، كما ورد في حديث الإسـراء: «أتدري أين صـلّيت؟ صـلّيتِ بطيبة؛ وإليهـا المهاجَر». ولم تكن البقعة بتلك التسـمية معروفةً له ﷺ، فأعلَم الله نبيَّه ﷺ أن ناقته مأمورة بالذهابِ لموضـعٍ اختاره له عز وجل ليؤسس مدينته؛ لذا قال ﷺ: «فإنها مأمورة»، وأعلَمَ الله تعالى ناقته ﷺ بموضـع (طيبة)؛ وفي هذا مشـابهة بينه ﷺ وبين سيدنا إبراهيم عليه السلام في تأسيس مدينته بمكانٍ لم تعهد النّاس له تسميةً.

ظهر بذلك أن تأيّيد الأئمة رحمهم الله تعالى القول بأن (يثرب) اسم مدينة النبـي ﷺ بما ورد من حديث سـيدنا أبي هريرة رضـي الله عنه في الصـحيحين وغيرهمـا من قوله: «أُمرت بقريةٍ تأكل القـرى، يقولون يثرب؛ وهي المدينة»، وما ورد من حديث سـيدنا البراء رضـي الله عنه من نهيه ﷺ؛ حيث قال: «من سـمّى المدينة يثرب؛ فليسـتغفر الله عز وجل، هي طابة، هي طابة»، ومن حديث سـيدنا الزبير رضي الله عنه: «من قال للمدينة يثرب؛ فليستغفر الله عز وجل».

وما روي عن سـيدنا عبد الله بن عبّاس رضـي الله عنهما: «من قال للمدينة يثرب، فليستغفر الله تعالى ثلاثًا؛ إنما هي طيبة»؛ متعقّبٌ بـ:

(أ) أنهم لم ينفوا القول بأنه اسم لناحيةٍ، أي قرية، بل نقلوه وأقرُّوه في كتبهم، وفي هذا الإثبات حجّة.

(ب) قولهم رحمهم اللّه تعالى: إن يثرب اسم مدينة الرسول ﷺ، يعارض بما يأتي:

(١) روى الحكيم التّرمذي رحمه اللّه، المتوفّى سنة ٢٨٥ هجريّة بسنده في كتابه **نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول** ﷺ ٢/١١٣-١١٦، عن عبد اللّه ابن مسعودٍ رضي اللّه عنه،أن رسول اللّه ﷺ قال: «إذا كان أجل العبد بأرض، أُتيت له الحاجة إليها، حتّى إذا بلغ أقصى أثره، قبضه اللّه سبحانه».

وعقّبه بقوله: «إنما صار أجلُه هناك؛ لأنه خُلق من تلك البقعة، وقد قال عزّ وجلّ في تنزيله الكريم ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ [طه الآية ٥٥]، وإنما يعاد المرء من حيث بدأ».

ثمّ روى حديث سيدنا أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: خرج رسول اللّه ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة، فإذا بقبرٍ يُحفر، فأقبل حتى وقف عليه، فقال: «لمن هذا»؟ قيل: لرجلٍ من الحبشة، فقال: «لا إله إلّا اللّه، سِيق من أرضه وسمائه؛ حتّى دُفن في التّربة التي منها خلق».

قلت: ورواه الإمام الحاكم رحمه اللّه في المستدرك ٢/١٩٨ (١٣٧٢) من حديث سيدنا أبي سعيدٍ الخدري رضي اللّه عنه بلفظ: «مر النبي ﷺ بجنازةٍ عند قبرٍ.....»،الحديث، وقال رحمه اللّه: «هذا حديث صحيح الإسناد؛ ولم يخرجاه......، ولهذا الحديث شواهد؛ وأكثرها صحيحة..»،انتهى.

وقال الحكيم الترمذي رحمه اللّه ٢/١١٧: «وسمعت الزّبير بن بكّارٍ الزّبيري المدني رحمه اللّه يذكر كتابًا صنّفه بعض أهل المدينة في فضل المدينة، وكتابًا صنّفه بعض أهل مكة في فضل مكة، فلم يزل كلّ واحدٍ منهما يذكر بقعته [بفضيلةٍ

يريد كلّ واحدٍ منهما أن يبرز على صاحبه بها]؛ حتى برز المدني على المكي في خلّةٍ واحدةٍ عجز عنها المكي.

فقال: إن كل نفس إنما خُلقت من تربتها التي دُفنت فيها بعد الموت؛ فكأن نفس الرسول ﷺ إنما خُلقت من تربة مدفنه؛ فبان أن تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرضين.

وروي عن ابن سيرين رحمه الله[٣] ما يحقّق ذلك، فذكر بسنده إليه: «لو حلفت، حلفت صادقًا بارًّا غير شاكٍّ، ولا مستثنٍ، أن الله عزّ وجلّ ما خلق نبيّه ﷺ ولا أبا بكرٍ، ولا عمر رضي الله عنهما؛ إلّا من طينةٍ واحدةٍ، ثمّ ردّهم إلى تلك الطينة»، انتهى.

وروى الإمام عبد الرحمن ابن الجوزي رحمه الله، المتوفّى سنة ٥٩٧ هجريّة، بسنده في كتابه **الوفا بتعريف فضائل المصطفى** ﷺ ١/ ٩٢ عن كعب الأحبار قال: «لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق محمدًا ﷺ، أمر جبريل عليه السلام فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله ﷺ؛ فعُجنت بماء التسنيم، ثم غُمست في أنهارالجنّة.....»، الحديث.

قال الإمام السّمهودي رحمه الله في **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ١/ ١٦٥ في معرض سرده خصائص المدينة: «الخاصّة الأولى: ما تقدّمت الإشارة إليه من كونه ﷺ خُلق من طينتها، وكذا أبو بكرٍ، وعمر رضي الله عنهما، وأكثر الصحابة، والسّلف ممّن دفن بها»، انتهى.

قلت: البقعة التي سبق تسمية الله لها بـ (المدينة)، و(طيبة، و(طابة)، والمكان الذي أسّس فيه مسجده ومدينته، وأخبر ﷺ أنها تنفي خبثها، وينصع طيّبها؛ وأقسم أن تربتها مؤمنة، وخلق ﷺ من بعض تربتها، وضمّت جسده الشّريف، وحدّدت معالمها وحدودها؛ غير (يثرب) منزل اليهود، ومكان السّقيفة

التي فيها بغايا يضـــرب إليهنّ من البلدان، فلا الوصف الجغرافي، ولا الاصطفاء الرَّبَّاني لصفوة خلقه يطابقها.

وأمـا قول سـيدنا جبريل عليه السـلام في حديث الإسـراء - كمـا في **البحر الزّخّار**..... للإمام البزّار - من رواية سـيدنا شـداد بن أوسٍ رضي اللّه عنه قال: «صليت بيثرب، صلّيت بطيبة»، فهو لفظ أحد رواة طرق الحديث، وورد من طريقٍ أخرى بلفظ: «صـليت بطيبة» فقـط. أو يُحمل على أن جبريل عليه السـلام ذكر (يثرب) لمعرفته ﷺ بها، ثمّ ذكر عليه السلام له (طيبة) تعريفًا بموضع هجرته؛ والمشـمول باسـم (يثرب)، وهذا - كما تقدّم من قول الإمام السّمهودي - من باب إطلاق اسم البعض على الكل.

(٢) فُهم من قوله ﷺ: «أُمرت بقريةٍ تأكل القرى، يقولون يثرب؛ وهي المدينة» - مجــرّدًا عمّا سـبق بيانه - أنه ﷺ كره تسـمية (المدينة) بـ (يـثرب)، باعتبار أن حرف (الواو) حـرف عطفٍ.

وهذا فهْم مغاير لواقع الأمر، ومخالف له، لذا يلزم لفهم مراد أيّ نص جمْع النصــوص المتعلقة به، ثم تطبيقها على الواقع الوارد فيه النص. وهذا ما يؤكده ويحث عليه ويشــدد فيه شيخنا العلامة النّبّاهة صاحب الفنون حبيب اللّه قربان المظاهري المدني، حفظه المولى وأيّده ونصـره.

ومن النصــوص المؤكدة أن اســم (المدينة) هو لموضــعٍ غير الموضــع المسمى (يثرب):

(١) حديث السيدة عـائشة رضي اللّه عنها الذي رواه الإمام البخاري رحمه اللّه برقـم (٣٩٥٣/٢٣٤١)، قـال النبــي ﷺ: «أُريت دار هجرتكـم ذات نخلٍ بين لابتين»، فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامّة من كان هاجر بأرض الحبشة إلــى المدينــة». ثمّ قال: «فيه عن أبي موســى وأســماء، عن النبي صــلى اللّه عليه وسلم»، انتهى.

قلت: ورواه غيره من الأئمة رحمهم الله تعالى؛ فقد وقفت على ثلاث عشرة روايةً للحديث[٤].

(٢) وما رواه الشّيخان وغيرهما، من حديث سيدنا أنس بن مالك، وسيدنا رافع بن خديج، وغيرهما بألفاظٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار بيده إلى المدينة، قال: «اللّهمّ إني أُحرّم ما بين لابتيها؛ كتحريم إبراهيم مكّة...».

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «لو رأيت الظِّباء ترتع بالمدينة؛ ما ذَعَرْتُها، أن رسول اللّه ﷺ قال: ما بين لابتيْها حرام».

قال الإمام الترمذي رحمه اللّه في (باب فضل المدينة) عقب روايته له برقم (٤٣٠٠): «وفي الباب عن سعدٍ، وعبد اللّه بن زيدٍ، وأنس، وأبي أيّوب، وزيد بن ثابتٍ، ورافع بن خديجٍ، وسهل بن حنيفٍ، وجابرٍ رضي اللّه عنهم»، انتهى.

(٣) تقدم في قصة إسلام سيدنا سلمان رضي الله عنه قول الراهب له (مهاجره بين حرّتين، إلى أرضٍ سبخةٍ ذات نخيلٍ»، وفي لفظ رواية الإمام البزار في **البحر الزّخّار** ٤٦٢/٦ (٢٥٠٠): «يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرضٍ بين حرَّتين»؛ أي: المنطقة التي بين حرَّتين.

(٤) روى الحافظ عمر بن شبَّة النُّميري رحمه الله في كتابه أخبار المدينة ٩٣/١، عن محمد بن المنكدر رحمه اللّه، قال: «وكان أبي يخبرنا أن مصعب ابن الزُّبير دخل المدينة، فدخل من طريق (البقيع)، ومعه ابن رأس الجالوت، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول: هي هي.

فدعاه مصعب، فقال: ماذا تقول؟.

قال: نجد صفة هذه المقبرة في التوراة بين حرَّتين؛ محفوفةً بالنخل، اسمها كفتة....»، انتهى.

(٥) قال الإمام مجد الدين المبارك ابن الأثير رحمه الله، المتوفّى سنة ٦٠٦

هجريّة، في كتابه **النهاية في غريب الحديث والأثر** ٤/٢٧٣: «.... والمدينة ما بين حرّتين عظيمتين»،انتهى.

تنبيه: قوله «ما بين حرَّتين» أي يشملهما، وهذا اللفظ تعريف بحدود حرم (المدينة)، لا (المدينة) التي هاجر إليها النبي ﷺ التي (بين حرَّتين)، فلا يشملهما؛ نبَّه إليه شيخي حفظه الله تعالى.

قلت: ومن النصوص المبيّنة أن (المدينة) هي البقعة التي اختطّها النبي ﷺ، وأسّس فيها مسجده؛ والمسمّاة من الله تعالى قبل الهجرة

ما قال الإمام محمد بن أحمد الأزهري رحمه الله، المتوفّى سنة ٣٧٠ هجريّة، في كتابه **تهذيب اللغة** (باب العين والصّاد مع النون): «وأرى أن (المناصع) موضع بعينه خارج المدينة»،انتهى.

وقال الإمام محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي رحمه الله، المتوفّى سنة ٥٦٠ هجريّة، في كتابه **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ١/١٤٣ «... و(بقيع الغرقد) خارج (باب البقيع) في شرقي المدينة........، و(قباء) خارج المدينة على نحو ميلين ممّا يلي القبلة..»، انتهى.

وقال الإمام المطري رحمه الله في كتابه **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة** ص ١٠٧: «وكان الزُّقاق نافذًا إلى (المناصع) خارجًا عن المدينة...»، انتهى.

وقال الإمام محمد بن يعقوب الفيروزابادي رحمه الله في كتابه **المغانم المطابة في معالم طابة** ١/٤٢٦ «.. للطريق السالك من (باب جبريل عليه السلام) إلى باب المدينة الخارج منه إلى (البقيع)...»، انتهى.

وما أورده الإمام السمهودي رحمه الله في كتابه **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، قال ٢/٤١٥: «هذا ما حصل لأهل المدينة الشّريفة من الدّهشة

العظيمة والحيرة لَمَّا شـاهدوا من هول هذه النار ......، وخرج بعضـهم من باب المدينة الذي يلي البقيع، وبعضهم من بابها الذي يلي (المصلّى)..»، انتهى.

وقال في (الفصـل الخامسـ والثلاثون) في البلاط وما ظهـر لنا ممّا حوله مـن منـازل المهاجريـن ٦٩/٣: «ثمّ يمتد البـلاط الآخذ من (باب السـلام) في الاستقامة من المدرسة الزمنية فيمر بالموضع المعروف اليوم بـ (سويقة)، فيجاوز باب المدينة المعروف بـ (باب سويقة) حتى يصل إلى (المصلى)..»،انتهى.

وقال ص٧٦: «زقاق عبد الرحمن بن الحارث، هو أول زقاقٍ يلقاك عن يمينك إذا دخلـت من باب المدينة اليوم تريد المسـجد، وظهر لي أيضًـا أن دار هشـام، والدار الثانية التي تليها في الميسـرة، وبعض الثالثة؛ كُنّ من خارج سـور المدينة»، انتهى.

وقال ص٧٧: «وهو اليوم الزُّقاق الذي بين سـور المدينة، وبين البيوت المقابلة له؛ ولمشـهد سيدنا مالك بن سنان رضـي اللّه عنه على يسارك عندما تدخل من باب المدينة»، انتهى.

وقـال ٣١٦/٣: «قال أبو غسـان راويـه: فأما (أحد)، فبناحيـة المدينة على ثلاثـة أميالٍ منهـا في شـاميّها.....، وأما ما بين بـاب المدينة المعـروف بـ (باب البقيـع) وبـين أول (جبل أحـدٍ)؛ فميلان وأربعة أسـباع ميلٍ يزيد يسـيرًا، وبين (باب البقيع)، و(مشهد سيدنا حمزة رضي اللّه عنه)؛ ميلان وثلاثة أسباع ميل وخُمس سُبع ميل، وأذرع يسيرة»، انتهى.

وغير ذلك من النصـوص المتوافرة التي ذكر فيها معالم ماثلة للعيان، يمكن بواسـطتها تعيّن موضع (المدينة) دار الهجرة، والتي على ضوئها يظهر لنا المعنى المراد من أقواله ﷺ.

(١) قوله ﷺ: «أُريت دار هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين»، وقول الرّاهب لسيدنا

سلمان رضي الله عنه: «مُهاجره بين حرّتين، إلى أرضٍ سبخةٍ ذات نخيلٍ»، وقول ابن رأس الجالوت لمصعب بن الزّبير: «نجد صفة هذه المقبرة في التّوراة بين حرّتين؛ محفوفةً بالنخل».

يبيّن مجموع هذه الألفاظ «بين لابتين»، «ذات نخلٍ»، «إلى أرضٍ بها نخل»، «ذات نخيلٍ»، «محفوفةً بالنخل»؛ أن الهجرة كانت إلى موضعٍ جغرافي محدّدٍ، وله علامات تميّزه.

ومعنى «ذات نخلٍ»، «إلى أرضٍ بها نخل»، و«ذات نخيلٍ» يجمعها لفظ «محفوفةً بالنخل».

ويؤكّد هذا المعنى أن موضع المسجد كان موضعًا يصلّي فيه رجال من المسلمين، ومربدًا - الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف - وقول الإمام ياقوت الحموي المتقدم: «فكان رسول الله ﷺ يقطع أصحابه هذه القطائع، فما كان في عفًا من الأرض؛ فإنه أقطعهم إيّاه، وما كان من الخطط المسكونة العامرة...»؛ فأفاد ذلك أن الموقع الذي بنى فيه النبي ﷺ المسجد وخطّ في دور المهاجرين أرض فضاء في معظمها غير مسكونة، ولا مزروعةٍ، ولا مسمّاةٍ باسمٍ تُعرف به؛ وهي المسمّاة في الأزل من قبل الله تعالى في محكم كتابه (المدينة)، وفي **التوراة** كما تقدم، وطابة، و...إلخ.

و(يثرب) لا يتوافق موضعها الجغرافي المعرّف بأنه ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجُرف)، وما بين المال الذي يقال له (البرني) إلى (زبالة)، وهذا الموضع الجغرافي ليس بين لابتين؛ كما عرّف ﷺ مكان دار هجرته.

(٢) وقوله ﷺ: «أمرت بقريةٍ تأكل القرى»، أي ستكون قرية تُسمى جميع القرى باسمها؛ قابل به قولهم (يثرب) أمّ قرى المدينة، فنفاه صلى الله عليه وسلم بقوله: (وهي المدينة)؛ أي مدينتي، و(الواو) هنا ليست (واو العطف)، بل

(واو الحـــال)، والحـــال أن (المدينـة) هي التي تأكل القـرى. أي تغلب. كلّ القرى حتى (يثرب) التي كانت غالبةً على القرى.

(٣) وقولــه ﷺ: «مــن قال للمدينة يثرب؛ فليســتغفر اللّه عزّ وجل»، المنع من أن يطلــق على مدينته اسـم (يثرب). وهذا قاله ﷺ بعد الهجرة وسـكنى المدينة. التــي كانــت منزل اليهود، ومكان السـقيفة التــي فيها بغايا يضــرب إليهنّ من البلــدان، والاســتغفار هو في مقابل التسـمية لها بغير ما سـماها بــه اللّه تعالى، وطهَّره واصــطفاه. وتكراره صلى اللّه عليه وسـلم: «هي طابة، هي طابة»؛ تأكيدًا لطهــارة بقعة مدينته ﷺ؛ وتثبتًا لاسـمها، فلا هي (يـثرب)، وهي الغـالبة عليها، وعلى غيرها من القرى.

(٤) وقولــه ﷺ: «... فإذا هي المدينة يـثرب»؛ أي هي (المدينة) التي تقولون (يثرب)، ولم تكن بقعة قرية (المدينة) معلومةً له ﷺ، ولا للمهاجرين، أو الأنصار؛ وإنما الشهرة لـ (يثرب) أمّ قرى المنطقة.

نكتـة: في قـول الإمام ابن زبالــة رحمه اللّه: «يثرب أمّ قـرى المدينة»، إثبات للتفرقة بين موضــعين واســمين؛ فلا يوافق قول من قال: (يثرب) هي (المدينة)؛ بدلالة تعريفه لموضــعها بقوله: «ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)، وما بين المال الذي يقال له (البرني) إلى (زبالة)..».

ملخّص البحث ونتائجه:

(١) إثبــات اختلاف المؤرخين في أن (يثرب) هل هو اسـم للــ (مدينة)، أو لناحيةٍ منها؟

(٢) اتفــاق مؤرخي المدينة المنورة أن (يثرب) موضــع ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)، وما بين المال الذي يقال له (البرني) إلى (زبالة).

(٣) توافر النصوص المؤيدة أن (يثرب) اسم لموضع الهجرة الأولى لليهود.

(٤) ذكـر النصـوص الدالَّة على أن ما يعرف الآن بـ (المدينة المنورة) كان عبارةً عن قرى متناثرةٍ واقعةٍ بين بطحان جنوبًا والغابة شمالاً.

(٥) تحقيـق موقـع (يـثرب)، و(زبالـة)، و(قنـاة)، و(الجـرف) من قبل المؤرخين المتقدّمين والمتأخّرين.

(٦) بيـان أن قريـة (يثرب) كانـت أمَّ قرى المنطقة، وأنـه كان في الجاهلية سوق بقرية (زبالة) الواقعة شمالي المدينة، بينها وبين (يثرب).

(٧) أن اللّه تعالى أعلم نبيَّه ﷺ بالهجرة إلى قريةٍ تأكل القرى معلومة الجهة له (ذات نخلٍ بين لابتين)، مجهولة الموقع، مأمورة ناقته بالمناخ بها.

(٨) أن اللّه تعالى هو الذي سـمّى دار هجرة النبي ﷺ (المدينة)، و(طيبة)، و(طابة)، ولم يعرفه النّاس إلا بعد الهجرة.

(٩) أن النبي ﷺ هو أول من أسّس وخطّ موقع المدينة.

(١٠) قول النبي ﷺ: «أُريت دارَ هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين»، و«أُمرت بقريةٍ تأكل القرى، يقولون يثرب؛ وهي المدينة»،و«من قال للمدينة يثرب؛ فليستغفر اللّه عز وجل»، هي تأكيد أن مدينته ﷺ ليست قرية (يثرب).

(١١) أنه ﷺ خُلق من طينة قرية (المدينة)، وكذا أبو بكرٍ، وعمر رضـي اللّه عنهما، وأكثر الصّحابة، والسّلف ممّن دُفن بها؛ وليس من طينة قرية (يثرب).

(١٢) أن صلاته ﷺ وهو في مسراه لبيت المقدس كان بمدينته (طيبة).

(١٣) أنـه كان للمدينة سـور تقـع خارجه - أي خارج المدينـة - مواقع لا يزال بعضها قائمًا؛ مثل (بقيع الغرقد)، و(المصلّى)، موضع مسجد الغمامة حاليًّا.

ومما سبق نتج ما يأتي:

(١) أن (المدينة) بالمعنى الأخصّ والمقصـود في حديث الهجرة، هي البقعة

التي اختطَّ ﷺ مسجده فيها، ودور أصحابه رضي الله عنهم حوله، وهي المحدَّدة بقوله: «بين لابتين».

(٢) أن حرم (المدينة) هو ما ورد في قوله: «المدينة حرم ما بين عيرٍ، إلى ثورٍ»، وقوله: «حرام ما بين حرّتيها». وهي المحدّدة بقوله ﷺ: «ما بين».

(٣) أن (منطقة المدينة المنوّرة الإداريّة) تشمل عدد ستِّ محافظاتٍ، وهي: ينبع، والحناكيّة، ومهد الذهب، وخيبر، وبدر، والسّويرقيّة، والعيص، ووادي الفرع؛ وعددًا من المراكز.

الهوامش:

(*) باحث في تاريخ المدينة المنوّرة.

(١) من أئمّة الوجوه في المذهب الشّافعي؛ ولم أجد ترجمته.

(٢) هو أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر العبيدلي العقيقي رحمه الله، المتوفّى سنة ٢٧٧ هجريّة، جمع مرويات كتابه في تاريخ المدينة، الباحثُ عبد العزيز عوض الجهني، ونال بها درجة الماجستير من جامعة طيبة بالمدينة المنوّرة.

(٣) هو التّابعيّ الإمام أبو بكر، محمد بن سيرين البصري رحمه الله، المتوفّى سنة ١١٠هجريّة.

(٤) وهي هذه:

(١) «أني قد أريت دار هجرتكم، أني أريت دارًا سبخةً ذات نخلٍ بين لابتين». **مصنّف عبدالرزاق**.

(٢) «أُريت دار هجرتكم، رأيت سبخةً ذات نخلٍ بين لابتين وهما حارّتان». **مسند إسحاق بن راهويه**.

(٣) «قد أُريت دار هجرتكم، أُريت سبخةً ذات نخلٍ بين لابتين وهما الحرّتان». **صحيح ابن خزيمة**.

(٤) «أُريت دار هجرتكم، أُريت سبخةً ذات نخلٍ بين لابتين، وهما حرّتان». **صحيح ابن حبّان**.

(٥) «قد أُريت دار هجرتكم، أُريت سبخةً ذات نخلٍ، بين لابتين، وهما الحرّتان». **صحيح ابن حبّان**.

(٦) «أُريت دار هجرتكم سبخةً بين ظهراني حرّةٍ، فأما أن يكون هجر، أو يكون يثرب». **المعجم الكبير للطبراني**.

(٧) «قد أُريت دار هجرتكم، أُريت سبخةً ذات نخلٍ بين لابتين وبهما حرّتان». **شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي**.

(٨) «إني أُريت دار هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين، وهي الحرّتان». **شرح السنة للبغوي**.

(٩) «قد أُريت دار هجرتكم، رأيت سبخةً ذات نخلٍ بين لابتين، وهما الحرّتان». البخاري.

(١٠) «أُريت دار هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين». البخاري.

(١١) «إني أُريت دار هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين، وهما الحرّتان». البخاري.

(١٢) «إنه قد رفعت لي أرضٌ ذات نخلٍ ولا أراها إلا يثرب». **مسند الطّيالسي**.

مراجعة نقدية لتحقيق رسالة
في توجيه قراءة ابن مُحيصن في الإستبرق
لعبدالقادر البغدادي

(١)

د.محمد جمعة الدِّربي (*)

قام بنشر **رسالة في توجيه قراءة ابن محيصن في الإستبرق** فاضلان من كلية التربية بجامعة القادسية، وهما: م.د أصيل محمد كاظم، وأ.م خالد عبد فزَّاع. وطُبع الكتاب في العدد الرابع والعشرين (المجلد الأول) من **مجلة كلية التربية** بجامعة واسط عام٢٠١٦م. وهالني أن الكتاب لم يُتَّبع فيه أيسر وسائل النشر والتحقيق، فأصبحتْ نشرتهما نسخة جديدة مشوَّهة تضاف إلى النسختين الخطيَّتين المحفوظتين للكتاب. وقد أخذتُ عليهما، بلا مبالغة أو ادِّعاء، زهاء أربعمئة خطأ! (والأرقام الأولى بعد التسلسل لصفحات تحقيقهما في المجلة، والثانية لصفحات المخطوطة الوحيدة التي اعتمدا عليها، وهي عندنا مسوَّدة بخط المؤلِّف، فهي أصل بجانب نسخة أخرى منقولة عنها):

١- ص٤٧: يقول الفاضلان دون إحالة في ترجمة المؤلف: إنه كان «يتقن اللغات الثلاث: العربية والفارسية والتركية كلَّ الإتقان»! وهذه مبالغة، مع الاعتراف بقول المحبي في **خلاصة الأثر** ٤٥١/٢: «وحفِظ اللغة الفارسية والتركية، وإتقانهما كل الإتقان».

٢–ص٤٧: يقول الفاضلان دون إحالة في ترجمة المؤلف: إنه ارتحل ثانية بعد الشام إلى مصر، وقد تابع فيها الأخذ عن جمع من مشايخ الأزهر، ثم ذكر الفاضلان «نقيب الشام محمد بن كمال الدين الحسيني»! وأقول: إن هذا العالم ليس من علماء مصر، وقد التقى به عبدالقادر في دمشق قبل زيارته إلى مصر.

٣–ص٤٨: ذكر الفاضلان أن شرح **شواهد شرح الكافية** للرَّضي الاسترابادي! والصواب بالهمزة قبل السين، والألف بعد الراء: الإسْتَراباذي، بالكسر، كذا في **تاج العروس** ٩/ ٣٧٤. وفي **شرح شواهد شرح شافية ابن الحاجب** نصَّ المحققون ص٣ على فتح الهمزة.

٤–ص٤٨: ذكر الفاضلان أن الشاهدي صاحب **التحفة الشاهدية** توفِّي عام ٩٥٧م! وفي مقدمة تحقيق **خزانة الأدب** التي اعتمدا عليها أنه توفي عام ٩٢٧م.

٥–ص٤٨: ذكر الفاضلان كتاب **شرح التحفة الشاهدية** للشيخ إبراهيم بن سليمان الأزهري الأنصاري! ولم يذكرا بيانات نشره، ولم يدرجاه في المصادر والمراجع!

٦–ص٤٨: ذكر الفاضلان أن من كتاب **شرح التحفة الشاهدية** للبغدادي نسختين في الخزانة التيمورية! ولم يذكرا رقم النسختين!

٧–ص٤٨: ذكر الفاضلان أن من مؤلفات البغدادي **شرح شواهد التحفة الوردية**! والصواب: **شرح شواهد شرح التحفة الوردية**، كما في ترجمتنا له.

٨–ص٤٨: ذكر الفاضلان أن «**التحفة** مقدمة في النحو اختصر فيها ابن الوردي **اللمحة البدرية** لأبي حيان»! ولم يذكُر الفاضلان رأي من يرجِّح أن **التحفة الوردية** من ابتكار ابن الوردي بدءًا وختامًا، وليست حملاً على **خلاصة** ابن مالك الطائي، ولا على **لمحة** أبي حيان الأندلسي.

٩-ص٤٨: ذكر الفاضـلان أن من **شـرح شـواهد مغني اللبيب** لابن هشـام نسـخة في خزانة أيا صوفيا باستانبول (كذا بألف وصل!) دون إشارة إلى بيانات النسـخة، ويبدو أن الفاضـلين لم يسـمعا عـن تحقيق هذا الكتاب الصـادر عام ١٩٧٣م!

١٠-ص٤٨: ذكر الفاضلان أن من مؤلفات البغدادي «**شرح شواهد الشافية** للرضـي والجاربردي»! والصواب: **شرح شواهد شـرح الرضي والجاربردي** على شافية ابن الحاجب.

١١-ص٤٨: ذكر الفاضلان أن من مؤلفات البغدادي **شرح شواهد مقصورة ابن دريد**! ولا داعي لكلمة شواهد!

١٢-ص٤٨: أشار الفاضلان ضمن مؤلفات البغدادي إلى «كتاب في التراجم، من دون عنوان، في مكتبة عاشـر أفندي وغيرهـا»، وأحالا إلى كتاب **تاريخ الأدب العربـي في العراق**، ولم يتنبَّها إلى المطبوع باسـم **تراجـم الأدباء**، في الأردن عام ٢٠٠٥م!

١٣-ص٤٩: قال الفاضـلان: «وردت المخطوطة منسـوبة إلى عبدالقادر بن عمر البغدادي بصـراحة ووضـوح في نص المخطوطة (صفحة العنوان)، وكذلك في تراجم المؤلِّف منها **خلاصـة الأثر**، **وهدية العارفين**! وأقول: صـفحة العنوان شـيء ونص المخطوطة شـيء آخر، وليس في **خلاصـة الأثر** ولا **هدية العارفين** نسبة المخطوطة إلى البغدادي، ومن العجيب قول الفاضلين بعد قليل: «خلوّ سائر الأثبـات التي عُنيت بسـرد جريدة آثـاره من ذكر هذه الرسـالة لا ينهض ـ وحده ـ دليـلاً معتبراً (!) على نفي نسـبة هذه الرسـالة إلى مؤلِّفها لعـدم إحاطة هذه الأثبـات بجميـع عنوانات آثـاره العلمية»! وانظر إلى وضـع التنويـن على الألف، وسوف يتكرَّر عشرات المرَّات!

١٤-ص٤٩: قال الفاضلان: «اعتمدنا في تحقيق هذه المخطوطة على نسخة وحيدة لها محفوظة في خزانة المخطوطات في مكتبة الأسد بسوريا تحت رقم (١٤١٧٣)، ولم نتمكن من العثور على غيرها مع طول البحث»! ولا أدري أين بحث الفاضلان عن نسخ المخطوطة؟ ففي خزانة دار الكتب المصرية نسخة أخرى مكتوبة بخط واضح! والنسخة التي اعتمدا عليها مصوَّرة عن مصوَّرة أخرى في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية برقم (٤٧٤٨)، وعن مصوَّرة الكويت. وليس عن الأصل المحفوظ في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب!. مصوَّرة مكتبة الأسد ١٩٩٧/٧/٢٩م المسجَّلة في صفحة البيانات باسم كتاب **المعربات** للجواليقي! ولم يذكر الفاضلان شيئًا من هذه الحقائق!

١٥-ص٤٩: وصف الفاضلان النسخة التي اعتمدا عليها بأنها «نسخة خزائنية نفيسة... ...وهي مشكولة... ... ويطالعنا في صفحة العنوان والصفحة الأولى اسم المؤلف وعنوان الرسالة، وأهملنا قياساتها طولًا وعرضًا؛ لأننا لم نتمكن من رؤية الأصل كما هو، وإنما حصلنا على صورة المخطوطة»! وأقول: كان من الواجب الإشارة إلى أن المخطوطة مسوَّدة المؤلف، وأنها مشكولة في مواضع كثيرة منها، وليس في المواضع كلِّها، وأن اسم المؤلف على صفحة العنوان فقط، وليس على الصفحة الأولى، وكان في إمكانهما رؤية الأصل إن كان مهمًّا في قياسات المخطوطة!

١٦-ص٥٠: أكَّد الفاضلان أن هذه الرسالة «لا أختَ لها في المكتبات المفهرسة التي تيسَّر لي (كذا بالإفراد!) الاطلاع على كشافات مخطوطاتها»! ولا أدري كيف غفل الفاضلان عن كشافات مخطوطات دار الكتب المصرية؟

١٧-ص٥٠: قال الفاضلان عن منهج تحقيقهما: «ضبطنا النصَّ بالشكل»! والحق أنهما ضبطا بعض الكلمات، وفي ضبطهما أخطاء كثيرة، وأهملا ضبط كثير ممّا يحتاج إلى ضبط!

١٨–ص٥٠: قال الفاضـلان عن منهج تحقيقهمـا: «قمنا بتوثيق أغلب ما في الرسـالة، والتعليق عليه، خاصة في المواضـع المهمَّة التي تحتاج إلى زيادة إيضاح ونقْل أهل العلم»! وليس هذا صحيحًا؛ فقد افتقر تحقيقهما ـ كما سيأتي ـ إلى كثير من التوثيق والتعليق!

١٩–ص٥١: قال الفاضـلان عن منهج تحقيقهما: «ترجمنا الأعلام المهمَّة»! وحـقُّ الفعل هنـا أن يتعدَّى بالـلام؛ يقال: ترجـم لفلان. وكلمـة (المهمَّة) محلّ نظر؛ فهل ابـن عباس أوْلى بالترجمة من الضـحاك وعكرمة؟! وهل البغوي وأبو البقـاء العكـبري والتبريزي والزجَّـاج وأبو علـي الفارسـي والفيروزآبادي وابن منظـور أوْلى بالترجمة مـن الأهوازي والجاربردي والجرجـاني والجعبري وأبي حاتم السجسـتاني وابن خلكان والداني والصـفدي وأبي عبيد القاسم بن سلام وأبـي عمران الجوني والقباقبي وابـن كمال الوزير والمرزوقـي والمعدَّل ومكّي بن أبي طالب؟! وهل سـحيم بن وثيل أوْلى بالترجمة من الدَّقيقي وعريف الشـيرازي وعمعق البخاري والفردوسي؟ وهل ابن عامر وعاصم وأبو عمرو وابن كثير ونافع أوْلى بالترجمة من الحسـن البصـري ؟! وهـل وَرْش أوْلـى بالترجمة من حفْص ورُوَيْس؟!

٢٠–ص٥٢: وضع الفاضلان صورة صفحة العنوان من المخطوطة، ووضعا في الصـفحة التي تليها صورة الصـفحة الأولى، وليس فيها ما ادَّعاه الفاضلان من نسبة الرسالة إلى البغدادي!

٢١–صـ٥٥= العنوان: زاد الفاضـلان ـ دون إشـارة ـ تاريخ وفـاة البغدادي (ت١٠٩٣هـ). وهذه زيادة غير مقبولة!

٢٢–ص٥٥=١ب: «لم يُطبق المفصِـل، ولم يأت بالخبر من قصـة المتصـل»! والفعل (يُطبِّق) بتشديد الباء كما في المخطوطة، وكلمة (قصة) صوابها (فَصِّه) كما في المخطوطة، والسياق يطلبه.

٢٣-ص٥٥ = ٢أ: «مسـندي ومعتمدي في كتاب (!) أحمد أفندي»! والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «مسندي ومعتمدي في كل بابٍ أحمد أفندي».

٢٤-صـ٥٥ =٢أ: «فبـادرتُ إلـى التهذيـب، والتنقيح والتمييـز بين الجريح والصحيح»! وحقُّ الفصلة أن تكون بعد التنقيح.

٢٥-ص٥٥ =٢أ: عرَّف الفاضـلان بالشـهاب الخفاجي، فذكرا في الحاشية أنـه «مشـارك في بعض العلـوم»! وأن له **شـفاء الغليل فيما مـن كلام العرب من الدخيل**! والصـواب كما في مصـادرهما **شـفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** .

٢٦-صـ٥٥ =٢أ: «وجمعـتُ هـذه العجالـة فيما أنعم بـه الفكر مـن التدبُّر والإحالة»! والصـواب كما في المخطوطة «وجمعتُ هذه العجالة ممَّا أنعم به الفكر من التدبُّر والإجالة».

٢٧-ص٥٥ =٢أ: «الحائزُ لرتبتي العلم، والوزارة. والجامعُ بين جودة الذهن، وحسـن العبارة والبارعُ في فنون الآداب والحِكَم»! والصـواب كما تقتضـي قواعد الإعـراب والترقيـم «الحائزِ لرتبتي العلـم والوزارة، والجامعِ بـين جودة الذهن وحسن العبارة، والبارعِ في فنون الآداب والحِكَم».

٢٨-ص٥٥ =٢أ: «والحاوي على زربة السيف ودُلامة القلم. كثيرُ الحكم وكبيرُ الهمـم»! ولا معنًى هنـا للزربة، بالزاي، والدلامة، بالدال! والصـواب: «والحاوي بين ذُربة السيف وذَلاقة القلم ،كثيرِ الحكم وكبيرِ الهمم».

٢٩-ص٥٦ =٢أ: «موضح الأغراب أتى به علم لاقيتُ رَسطاليس والإسكندرا»! والصواب:

مـن مُبلـغُ الأعـرابِ أنِّي بعدهم   **لاقـيـتُ رَسـطـاليـس والإسـكـنـدرا**

وهذا بيت شعر للمتنبي، وضع المصنف قبله كلمة (شعر) كي يتنبَّه من لا علم له بالشعر والعروض؛ فانظر!

٣٠-ص٥٦ = ٢ب: «اقام ليؤتي الفضائل على ساقها، وابدع في ظهور محاسنها واتساقها»! والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «أقام سُوق الفضائل على ساقها، وأبدع في ظهور محاسنها واتساقها». وقد علَّق الفاضلان على كلمة (ظهور)؛ فقالا في الحاشية: «في متن الأصل: نهج، ثم أثبت (ظهور) فوقها، وهو ما أثبتناه»، وهذا تعليق يمكن، بل يحسن، الاستغناء عنه.

٣١-ص٥٦ = ٢ب: «استغرق مُدّة شبيبته في دراسة معارفه، وافاضة عوارف معنى صارا ما قبح لسانه وروضة اجفانه»! والصواب كما في المخطوطة «استغرق مُدّة شبيبته في دراسة معارف وإفاضة عوارف حتى صارا مَلْهَج لسانه وروضة أجفانه».

٣٢-ص٦٥ = ٢ب: «كالنسيم المعطاء»! والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «كالنسيم المعطار»!

٣٣-ص٥٦ = ٢ب:

بلغ السيادةَ في أيام شبابه ... ان الشباب مظنه السُّؤدَدِ!

والصواب كما في المخطوطة :

بلغ السيادةَ في أوان شبابه ... إنَّ الشباب مظنة للسُّؤدَدِ

ويبدو أن الفاضلين لا يعرفان علم العروض ولا **ديوان البحتري**!

٣٤-ص٥٦ = ٢ب: «وقد باهَتْ بوجوده الايام (!)، واختالت في انامله (!) الاقلام (!) بنظم ينثر الدرَّ النظيم ونثر ينظم اللطافة على اللئيم (!)، شعر (!) وزراء الدولة»! والصواب كما في المخطوطة «وقد باهَتْ بوجوده الأيام، واختالت في أنامله الأقلام بنظم ينثر الدرَّ النظيم ونثر ينظم اللطافة على النسيم، فَخْر وزراء الدولة». فانظر إلى السرعة في القراءة وكتابة الهمزات!

٣٥-ص٥٦ = ٢ب: «بحضرة الوزارة الهدير بالرأي»! والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «حضرة الوزير المشير بالرأي».

٣٦-ص٥٦ = ٢ب: «مولانــا وسـيدنا غازي بما شــاء»! ولم يكتفِ الفاضــلان بسوء القراءة حتى علَّقا في الحاشية بقولهما: «في الأصل: شأ، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتطرفة، والصــواب ما أثبتناه»! ولا يخفى أن الصواب كما في المخطوطة والسياق: «مولانا وسيدنا غازي باشا».

٣٧-ص٥٦ = ٢ب: «وفقــه اللّه تعالى لما يعلو، لازال آخــذاً بيده وجاعلاً يومه عظيماً لغده، ولابرحت (!) سماء معاليه مُشرفة السُّعود، ودوحة امياله مخضرة العود»! والصــواب كمــا في المخطوطة: «وفقــه اللّه تعالى لما يشــاء، ولا زال آخذًا بيده وجاعلًا يومه حاســدًا لغده، ولا برحت سماء معاليه مُشرفة السُّعود، ودَوْحةُ إقباله مخضــرة العود». وانظر إلى كتابة التنوين على الألف، وإلصاق أداة النفي بما بعدها!

٣٨-ص٥٦ = ٣أ:

ولازالــت الاقــدار تجـري بـأمـره ويــدفــع عــن حــوبــائــه مــا يــهــاذرُ

والصواب:

ولا زالــت الأقــدار تجـري بـأمـره ويُـدفَـع عـن حـوبـائـه مـا يُـحـاذرُه

ويبدو أن الفاضــلين لا يعرفان **ديوان سـبط ابـن التعاويـذي**، ولا يحافظان على الهمزات!

٣٩-ص٥٦ = ٣أ: «وجعلتهــا على مقدمة وثلاثة فصــول»! والصــواب كما في المخطوطة بخط واضح «وجعلتها مشتملة على مقدمة وثلاثة فصول». فانظر إلى السقط!

٤٠-ص٥٦ = ٣أ: وثَّق الفاضلان عبارة «أكثر العلماء على أن الإستبرق معرَّب» مــن **المعرَّب** للجواليقي ص١٦٣! وليســت فيه، وحقُّ توثيقهمــا أن يكون للكلام الذي بعدها، وحقُّ إحالتهما أن تكون، كما في الطبعة التي اعتمدا عليها، إلى ص٥٣.

٤١-ص٥٦ = ٣أ: عــرَّف الفاضــلان بالجواليقــي، فذكــرا في الحاشـية أنه

«مشارك في بعض العلوم، له: تكملة إصلاح ما تغلط به العامة»! والصواب: **تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة**. وليس في مصادرهما التي أحالا إليها!

٤٢-ص٥٦=٣أ: عرَّف الفاضلان بأبي عبيد القاسم بن سلام، فذكرا له **الأمثال** و**الغريب المصنف**، **المقصور والممدود**! و**الأمثال** كتاب آخر يجب فصله عن **الغريب المصنف**.

٤٣-ص٥٦=٣أ: على الرغم من تعريف الفاضليْن بالجواليقي وأبي عبيد وابن عباس وابن أبي حاتم، لم يترجما لعكرمة ولا للضَّحَّاك! وقد سبق تعليقنا على قولهما عن منهج تحقيقهما: «ترجمنا الأعلام المهمَّة»! كما أنهما ترجما لأبي بكر بن مجاهد صاحب **السبعة** (ت٣٢٤هـ)، مع أن المصنف يقصد مجاهد بن جبر صاحب **التفسير** (ت١٠٢هـ)!

٤٤-ص٥٦=٣أ: وضع الفاضلان عبارة «كما في **الإتقان** للسيوطي» بين معقوفين، وعلَّقا عليها في الحاشية، فقالا: «سقطت من متن الأصل، وقد استدركها الناسخ في الحاشية»! وهذا التعليق تزيُّد مع وجود علامة الإلحاق في المخطوطة. ولا يزال الفاضلان يصرّان على أن المخطوطة لناسخ لا لمؤِّلفها!

٤٥-ص٥٦=٣أ: علَّق الفاضلان على «وقول صاحب **لطائف الإشارات** تبعاً (!) لصاحب **اللوامح**...» بأنه القشيري «له **حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح**، و**لطائف الإشارات**»! ولم يدرِ الفاضلان أن المراد في نص المخطوطة هو القسطلاني (ت٩٢٣هـ) صاحب **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، فانظر إلى التوثيق! وانظر إلى وضع التنوين على الألف!

٤٦-ص٥٧=٣أ: ضبط الفاضلان كلمة (مختلف) بفتح اللام في عبارة «تكسيره وتصغيره عليهما مختلَف لا أبارق»!

٤٧-ص٥٧=٣أ: «كما في **معرَّبات** الجواليقي و**الكشاف**، وشرح **الكافية**

للرضـــي» ! صــوابها كما في المخطـوط: «كما في **المعرَّبـات** للجواليقي، و**الكشـاف**، وشرح **الشافية** للرضي»، وانظر إلى اضطراب علامات الترقيم!

٤٨-ص٥٧=٣أ: عـرَّف الفاضـلان بالرَّضـي، فذكـرا في الحاشـية أنـه الاسترآبادي السمنائي!

٤٩-ص٥٧=٣ب: عرَّف الفاضلان بصاحب **الدر المصون** دون توثيق ما نقله المصنف عنه!

٥٠-ص٥٧=٣ب: لم يفطن الفاضلان إلى علامة الإلحاق الواضحة، فوضعا في الهامش ما يأتي: «وقال ابن الخطيب أصـله بالفارسـية ستَبْرَك بمعنى ديباج ثُخيِّن مصـغَّر ثَخين والإستبرق من (!) الديباج الثخين، وكما أنّ الديباج معرَّب، وأن (!) العـرب لم يكن عندهـم ذلك ،لكنَّ (!) العجم تصـرَّفوا فيه، فزادوا في أوّلـه همـزة، وأبدلوا (!) الكاف قافـاً (!)، أما للهمزة ثـلاث (!) حركات أوائل الكلم في لسان العجم غير مبيّنة في كثير من المواضع، فصارت كالسكون، فأثبتوا همزة كما يثبتون (!) همزة الوصـل عند سـكون أول الكلمة، ثـم أن (!) البعض جعلها همزة وصل، وقال من استبرق (!) ،والأكثرون علمناها (!) همزة قطع لأن أول الكلمة متحرك في الأصـل لكن بحركة فاسدة ،فأتوا بهمزة ،فسقطت الحركة الفاسدة ،وتمكّنوا من تسكين الأوّل ،لأنه (!) عند فساد الحركة العَوْد إلى السكون أقرب، وأما الثاني (!) ،فلأنهم أرادوا إظهار كونها أعجميّة (!)، فأسـقطوا كاف التصـغير، وجعلوا مكانها قافاً (!) لئلا تشتبه بكاف الخطاب. هذا كلامي (!)، ولا يخفى ما فيه، والصحيح أنه معرَّب استبره»!

والصواب وضع كلام المصنف في المتن بعد تصويب الخطأ وإصلاح علامات الترقيم بلفظ: «وقال ابن الخطيب: أصـله بالفارسية سَتَبْرَك بمعنى ديباج ثُخيِّن مصـغر ثَخين، والإسـتبرق هو الديباج الثخين، وكما أن الديباج معرَّب بسبب أن العـرب لم يكـن عندهم ذلك إلا من العجم تصـرَّفوا فيه، فـزادوا في أوله همزة

وبدَّلـوا الـكاف قافًا،أما الهمزة فـلأن حركات أوائل الكلم في لسـان العجم غير مبيّنة في كثير من المواضـع، فصـارت كالسـكون، فأثبتوا فيه همزة كما يجلبون همزة الوصل عند سكون أول الكلمة، ثم إن البعض جعلها همزة وصل، وقال: (من استبرقٍ)، والأكثرون على أنهـا همزة قطع؛ لأن أول الكلمة متحرك في الأصـل، لكن بحركة فاسـدة؛ فأتوا بهمزة فسقطت الحركة الفاسدة، وتمكنوا من تسكين الأول؛ لأن عند فساد الحركة العود إلى السكون أقرب، وأما القاف فلأنهم أرادوا إظهار كونها عجميّة، فأسـقطوا كاف التصـغير، وجعلوا مكانها قافًا لئلا تشتبه بكاف الخطاب. هذا كلامه، ولا يخفى ما فيه، والصحيح أنه معرب استبره».

٥١–صـ٥٧=٣ب: عبارة «أما اسـتبر فمعناه في الفارسـية الغليظ والفخم»! صواب قراءتها: «أما استبر فمعناه في الفارسية الغليظ والضخم».

٥٢–ص٥٧=٣ب: لم يترجم الفاضلان للدقيقي ولا للفردوسي!

٥٣–ص٥٧=٣ب: أخطأ الفاضلان في كتابة الشعر الفارسي أخطاء مضحكة مبكية، فلم يرسـما الحروف رسـمًا دقيقًا، ولم يسـتعينا بمتخصِّـص، وليس في مصادرهما مصدر واحد في اللغة الفارسية!

٥٤–ص٥٧=٣ب: «وايد الفهر»! صـوابه كما في المخطوطة بخط واضح «وأُيِّد الظَّهر».

٥٥–ص٥٧=٣ب: «فيقال: سـتبر»! الصواب «فيقال: سِـتَبْر». وقد سبق قول الفاضلين: «ضبطنا النص بالشكل»!

٥٦–صـ٥٧=٣ب: عبـارة «فـإن اسـتبر معنـاه كل شـيء اختص بالغلـظ والضـخامة»! صـوابها كما في المخطوطة: «فإن اسـتبر معناه كل شـيء اتصـف بالغلظ والضـخامة»، وكلمة (الضخامة) تؤكد كلمة (الضخم) التي سبقت آنفًا. وقد علَّق الفاضـلان في الحاشـية على كلمة (شيء)، فقالا: «في الأصل شئ، وهو

خطأ في كتابة الهمزة المتطرفة، والصواب ما أثبتناه»! وهذا لا داعي له؛ فهناك أمثلة كثيرة على التحريف واختلاف الرسم لم يشر إليها الفاضلان (وقد ذكرتُها في حديثي عن وصف مخطوطة الكتاب)، مع أن المصنف يضع نقطتين بين الشين والهمزة!

٥٧-ص٥٧ = ٤أ: لم يترجم الفاضلان لعرفي الشيرازي ولا لعمعق البخاري، وأخطآ في كتابة الشعر الفارسي، وكان في إمكانهما أن يستعينا بمتخصص أو معجم في اللغة الفارسية!

٥٨-ص٥٧ = ٤أ: عبارة «فإنه قسّم النسبة في لغة الفرس إلى نسبة مطلقة - لازمة كانت أولاً (!) - وحرفها الياء الخفيفة، وإلى نسبة لازمة وحرفها هذه الهاء. ومثل هذا الاختصاص الهاء (!) موجود في العربية»! صوابها كما في المخطوطة بخط واضح «فإنه قسّم النسبة في لغة الفرس إلى نسبة مطلقة ـ لازمة كانت أو لا ـ وحرفها الياء الخفيفة، وإلى نسبة لازمة وحرفها هذه الهاء. ومثل هذا الاختصاص بالهاء موجود في العربية». والعبارة لابن كمال الوزير، ولم يترجم له الفاضلان ولم يوثّقا عبارته!

٥٩-ص٥٨ = ٤أ: «ومثل استبره يتجه وخفته (!)، فإنهما بدونها لها (!) اسمان للخمسة، والسبعة مطلقا (بدون تنوين!)، ومعها اسمان للكف، والأسبوع»! وأخطاء العبارة تدل على ضعف الفاضلين في اللغة الفارسية؛ فهما لا يعرفان بدايات الأعداد والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «ومثل استبره پنجه وهفته، فإنهما بدون الهاء اسمان للخمسة والسبعة مطلقًا، ومعها اسمان للكف والأسبوع».

٦٠-ص٥٨ = ٤ب: «قال ابن دريد»! الصواب كما في المخطوطة بخط واضح «وقال ابن دريد»،وقد ترجم له الفاضلان في الحاشية، فذكرا أنه «واسع الراوية» كذا بالألف قبل الواو!

٦١–ص٥٨ = ٤ب: ترجم الفاضـلان لصاحب **القاموس** فذكرا أنه «الفيروز آبادي (كذا بالفصـل هنا !) ... ... لغوي مشـارك في عدة علوم (!)، له: **بصـائر ذوي التمييـز**... ... و**المثلثـات اللغويـة**»! والكتاب الأخير اسـمه: **الدرر المبثثة في الغرر المثلثة**.

٦٢–صـ٥٨ = ٤ب: زعم الفاضـلان أن عبارة «إن أصـل إسـتبرق اسـتروه» موجـودة بنصـها في **الجمهرة** و**القاموس** وهذا غير صـحيح، مع الإصـرار على كتابة «الفيروز آبادي» بالفصل!

٦٣–ص٥٨ = ٤ب: «فإن الياء (!) كثير (!) ما تُبدَل واواً (!) في لغتهم، نحو: واز أصـله ياز (!) بمعنى المفتوح، وورد (!) أصـله تـبره (!) بمعنى الحرب، و آو (!) أصـله آپ (!) بمعنى المـاء، ومحتمل (!) أن يكون نحوهـا (!) من الكتاب»! والصـواب كما في المخطوطة بخط واضح «فإن الباء كثيرًا ما تُبدَل واوًا في لغتهم نحو: واز أصـله باز بمعنى المفتوح، ونَوَرْد أصله نَبَرْد بمعنى الحرب، وآو أصله آب بمعنى الماء. ويحتمل أن يكون تحريفًا من الكُتّاب».

٦٤–صـ٥٨ = ٤ب: ترجم الفاضـلان لمحمد بن مكرم (ابـن منظور) فذكرا دون ضـبط كلمـة (مكرَّم) أنه «محمد بـن علـى (!) ... ...الأفريقي (!)... ... أديب، لغوي،ناظم، ناثر، مشـارك في علوم»! ثم نقَل الفاضلان عن الزركلي دون إحالة!

٦٥– ص٥٨ = ٤ب: عبارة «أصـلها اسـتقره»! صوابها كما في المخطوطة بخط واضح «أصله استقره».

٦٦–صـ٥٨ = ٤ب: عبارة «وقع التصـريف في مثله»! يقتضـي السـياق وخط المخطوطة أن تكون «وقع التعريب في مثله».

٦٧–صـ٥٨ = ٤ب: عبارة «من سِـنْخ الكلمة في ثلاثة أوجه»! صـوابها كما في

المخطوطة بخط واضـح «من سِنْخ الكلمة على ثلاثة أوجه». ولم يفسِّر الفاضلان كلمة (سنخ)!

٦٨-ص٥٨ = ٥أ: «عند العرب»! الصواب كما في المخطوطة بخط واضح «عند التعريب».

٦٩-ص٥٨ = ٥أ: عبارة «إستبرق معرب اسبتره (!) والطاق»! صوابها كما في المخطوطة بخط واضح «الإستبرق معرب استبره. والطاق...»!

٧٠-ص٥٨ = ٥أ: على الرغـم من وجـود علامة الإلحـاق علّق الفاضـلان على عبارة «تاه بمعناه»؛ فقالا في الحاشـية: «سـقطت من متن الأصـل، والسياق يقتضـيها، وقد اسـتدركها الناسخُ في حاشية الأصـل». ولا يزال الإصرار على أن المخطوطة لناسخ غير المصنِّف!

٧١-ص٥٨ = ٥أ: عبارة «شـقق الحريـر الأبيض معرب سـره بمعناه كما في مؤيد الفضـلاء»! صوابها كما في المخطوطة بخط واضـح «شُقَق الحرير الأبيض معرب سَـرَهْ بمعناه كما في مؤيد الفضلا» بدون همزة، ومن مهامّ التحقيق ضبط ما يحتاج إلى ضبط مع توثيق النقول.

٧٢-ص٥٨ = ٥أ: عبارة «والجردق وهو الرغيف»! صـوابها كما في المخطوطة بخط واضح «والجَرْدَقةُ وهو الرغيف» بالتاء، ولا تخفى أهمية الضبط والتوثيق.

٧٣-ص٥٨ = ٥أ: عبـارة «السَّـذَق محرَّكـة معـرَّب سـده»! صـوابها كما في المخطوطـة بخط واضـح «والسَّـدَق محرَّكة معرب سَـدَهْ» بالواو وبالـدال المهملة فيهما، مع ضرورة ضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧٤-ص٥٨ = ٥أ: كتب الفاضـلان «مئة ولد» وقالا في الحاشـية: «في الأصـل: مائة، وما أثبتناه هو الذي ارتضـاه أهل اللغة والتحقيق في يومنا هذا»، وتعليقهما أستحيي من التعليق عليه، والكلمة في الأصل (ماية).

٧٥-ص٥٨=٥أ: «زوّج الذكور بالإناث، وصنع له (!) عُرساً (!) أكثر فيه من النار، فاتخذوه عيداً (!)، وسُمِّي سدماية»! صوابها كما في المخطوطة بخط واضح «زوَّج الذكور بالإناث وصنع لهم عُرسًا أكثر فيه من النار فاتخذوه عيدًا، ومعنى سَدْ مائة». وكان في إمكان الفاضلين التوصّل إلى القراءة الصحيحة بالتوثيق من المراجع الفارسية، ومن خلال رسم الكلمة الأخيرة (ماية)، وانظر إلى التنوين!

٧٦-ص٥٨=٥أ: لم يحسن الفاضلان توثيق ما نسبه المصنف إلى **القاموس** بلفظ: «السَّدَقُ ليلة الوقود، وبالصاد لحن»!

٧٧-ص٥٨=٥أ: «الستُّوق كتُّور وقُدُّوس الدينار المَزَيَّف (!) معرَّب سه تاه»! الصواب «والستُّوق كتنُّور وقُدُّوس الدينار الزَّيْف معرب سه تاهْ». والفاضلان يكثران من إسقاط واو العطف!

٧٨-ص٥٨=٥أ: «خلافاً (!) لصاحب **القاموس** فإنه قال: (!) معرب سه طاق»! والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «خلافًا لصاحب القاموس، فإنه قال: إنه معرب سه طاقْ». فانظر إلى الحذف وإهمال الضبط! وزعم الفاضلان أن العبارة الأخيرة موجودة في **القاموس** وليست فيه!

٧٩-ص٥٨=٥أ: «ومعنى اللفظ ثلاث طيات؛ فإن طاقاً (!) معرب تاه كما تقدَّم»! ولم يضبط الفاضلان كلمة (طِيّات)، مع إصرارهما على وضع التنوين فوق الألف، ولم يفطنا إلى السياق فوضعا عبارة «فإن طاقًا معرب تاهْ كما تقدَّم» في الحاشية في غير موضعها!

٨٠-ص٥٨=٥أ: «والزِّيق ما (!) أحاط بعنق القميص»! الصواب كما في المخطوطة بخط واضح «والزِّيق وهو ما أحاط بعنق القميص».

٨١-ص٥٨=٥ب: «والزئبق معرب زيوه وهو معرَّب»! والصواب «والزئبق معرب ژيوه وهو معروف»، ولو استعان الفاضلان بمراجع في اللغة الفارسية لعرفا

الزاي المثلثة الواضحة في المخطوطة، ولا أفهمُ تكرار كلمة معرب ولا ضبطها في الموضع الثاني دون الأول!

٨٢-ص٥٨ = ٥ب: «بمعناه والباذق بكسر الذال، وفتحها معرَّب باده، وهو ماطبخ (!) من عصير العنب أو في طبخه»! والصواب. بعد وضع علامات الترقيم في موضعها. كما في المخطوطة بخط واضح: «بمعناه. والباذق بكسر الذال وفتحها معرب بادَهْ وهو ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخة». والعبارة في **القاموس** فهل ثقل على الفاضلين الرجوع إليه؟!

٨٣-ص٥٨ = ٥ب: «فصار شديداً (!) واليَلْمَق كجَعْفَر معرب يَلمه، وهو القباء»! والصواب: «فصار شديدًا. واليَلْمَق كجعفر معرب يَلْمَه، وهو القَباء»، وانظر إلى ضبط جعفر وإهمال ما هو أحقُّ بالضبط!

٨٤-ص٥٨ = ٥ب: «ويَرْمَق،كجَعْفَر أيضاً (!) معرب يرمه»! والصواب كما في المخطوطة «والنّرْمَق كجعفر أيضًا معرب نَرْمَه»، وكأن كلمة جعفر أولى بالضبط من الفارسيّ والمعرَّب!

٨٥-ص٥٨ = ٥ب: «والفُسْتَق معرب بسته»! والصواب كما في المخطوطة بخط واضح «والفُسْتَق معرب پِسْتَه وهو معروف»، فانظر إلى السقط وإهمال الضبط!

٨٦-ص٥٨ = ٥ب: «والبَرَق محركةً معرب بره»! أهمل الفاضلان ضبط (بَرَهْ)!

٨٧-ص٥٨ = ٥ب: «والحمَل والزُّريانقة (!)، بالضم جبّة من صوف لا كُمَّيْن لها معرَّب اشترانها في (!) متاع الجمَّال»! والصواب كما في المخطوطة، والمراجع تؤيده «والحَمَل. والزُّرْمانَقة. بالضم. جُبّة من صوف لا كُمّين لها معرب أُشْتُرْ بانه أي: متاع الجمَّال».

٨٨-ص٥٨ = ٥ب: «والبيدق (!) معرب (!) بمعنى الدليل في السفر، وذابة

(!) الشـطرنج»! والصواب كما في المخطوطة «والبَيْذَق معرب پيادهْ بمعنى الدليل في السـفر، ودابة الشـطرنج»، فانظر إلى السـقط وإهمال الضبط وعدم المعرفة بالكلمات الأساسية في اللغة الفارسية!

٨٩-ص٥٨ = ٥ب: «ولايارق (!) معرب ياره وهو سـواد (!) اليد»! والصـواب كما في المخطوطة،والمراجع تؤيده «واليارَق معرب يارَهْ وهو سِوار اليد».

٩٠-ص٥٨ = ٥ب: «والسطر من النخل معرَّب رسته»! والصواب «والسطر من النخيل معرب رَسْتَهْ»، فانظر إلى سرعة القراءة وإهمال الضبط!

٩١-ص٥٨ = ٥ب: «الصف والخَوَرْنَق معرب خوره نكاه»! والذي في المخطوطة، وتؤيده المصادر «الصف. والخَوَرْنَق معرب خُورَنْكاه».

٩٢-ص٥٨ = ٥ب: لم ينتبه الفاضـلان إلى بيت شـعر بالفارسـية لخاقاني؛ فسقط منهما؛ فانظر إلى آثار السرعة!

٩٣-ص٥٩ = ٦أ: «لبعض الأكاسـرة كالأول فوُصـف له عراء»! والصواب كما في المخطوطـة «لبعض أولاد الأكاسـرة كان به داء فوُصِـف له هـواء»، فانظر إلى السقط والسرعة في القراءة!

٩٤-ص٥٩ = ٦أ: «البنفسج معرب بنفسه بمعناه»! والصواب كما في المخطوطة «البَنَفْسَج معرب بَنَفْشَه بمعناه»، فانظر إلى السرعة وإهمال الضبط!

٩٥-ص٥٩ = ٦أ: «والدسـفنج معرب دشـيفه، هو سوار اليد»! صوابها كما في المصادر والمخطوطة «والدَّسْتِينج معرب دَسْتِينه وهو سِوار اليد» فانظر!

٩٦-ص٥٩ = ٦أ: «والديـارج معـرَّب ايـاره»! والصـواب كمـا في المخطوطة «والأيارج معرب أيارَه».

٩٧-ص٥٩ = ٦أ: «آمُله، بمد الهمزة، وضـم الميم بمعناه»! والضبط والترقيم يقتضى «آمُلَهْ - بمد الهمزة وضم الميم - بمعناه».

٩٨-ص٥٩=٦أ: «والأوارجة معرب اوراه» كذا بالوصل وتقديم الراء! والصواب كما في المخطوطة، وتؤيده المراجع «والأوارَجَة معرب أوارَه».

٩٩-ص٥٩=٦أ: «البَرْدَج كجعفر، ماسُبى (!) من ذراري الروم معرَّب بَرْده بمعنى مطلق السبي»! والصواب كما في المخطوطة «والبَرْدج كجعفر: ما سُبي من ذراريّ الروم معرب بَرْدَهْ بمعنى مطلق المَسْبِيّ»، والفاضلان يسقطان واو العطف!

١٠٠-ص٥٩=٦أ: «والروزامج جريدة يُكتب فيها ما يجري ويقع في كل يوم معرَّب روزنامه بمعناه»! والصواب كما في المخطوطة، وتؤيده المراجع «والرُّوزَنامج جريدة يُكتب فيها ما يجرى ويقع في كل يوم معرب رُوزنامَهْ بمعناه»، والفاضلان لا يضبطان ما يستحق الضبط، وقد علَّقا في الحاشية على كلمة (يجرى)؛ فقالا: «مطموس بعضها، بسبب التصوير، وقد أفدناها من سياق الكلام»!

١٠١-ص٥٩=٦أ: «البارنامج معرَّب بارنامه... ...وتُسمى آلاه (!) الإجازة»! والصواب كما في المخطوطة «والبارَنامج معرب بارَنامه... ... وتُسمَّى الآن الإجازة»، والفاضلان لا يرجعان إلى المصادر الفارسية، ولا يحافظان على حرف العطف!

١٠٢-ص٥٩=٦أ: «والبرنامج معرَّب برنامه»! وقد أثبت الفاضلان واو العطف هنا، ولكن من واجب التحقيق ضبط النص «والبَرْنامج معرب بَرْنامه»، ولكنهما يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط!

١٠٣-ص٥٩=٦أ: «والكرْج كقبر معرَّب كره وهو الفأر (!) والمهر»! صوابه من المخطوطة «والكرَّج كقُبَّر معرب كُرَّهْ وهو الفَلُوّ والمُهْر»، والفاضلان يهتمان بضبط كلمة (معرب)، ولا يرجعان إلى مصادر فارسية، ولم ينتبها إلى السياق!

١٠٤-ص٥٩=٦أ: «والموزج معرب مزه»! والصواب كما في المخطوطة «والمُوزَج معرب مُوزَه».

١٠٥–ص٥٩=٦أ: «والشبج محرَّكة معرَّب شبه»! والصواب كما في المخطوطة، والمصادر تؤيده «والسَّبَج محرَّكةً معرَّب شَبَه».

١٠٦–ص٥٩=٦ب: « والفَنْوَخ كجَعْفَر رقص العجم بلغة بعضهم بيد بعض معرَّب بجه»! والصواب كما في المخطوطة والمصادر الفارسية «والفنزج كجعفر رقصٌ للعجم يأخذ بعضهم بيد بعض معرَّب پنْجه»، والفاضلان يهتمان بضبط (جعفر)!

١٠٧–ص٥٩=٦ب: «والدَّبْرخ (!) كجعفر أيضاً (!) الأدغم من الدوابِ وهو الذي يعلو سوادَه خضرةٌ معرَّب دِبره»! والصواب كما في المخطوطة والمصادر الفارسية «والدَّيْزج كجعفر أيضًا الأدغم من الدوابّ وهو الذي يعلو سوادَهُ خُضرة معرب دِيزَهْ»، والفاضلان يهتمان بضبط كلمة (معرب)!

١٠٨–ص٥٩=٦ب: «بمعناه والدستجة معرَّب دسته، وهو الحزمة والربطة من كلِّ شيء»! والصواب كما في المخطوطة «بمعناه. والدَّسْتجة معرب دَسْتَه، وهو الحُزْمة والرَّبطة من كل شيء»،والفاضلان يهتمان بضبط الاسم المجرور، وقد علَّقا على كلمة (الربطة)، فقالا - مع وجود علامة الإلحاق - في الهامش: «سقطت من الأصل، والسياق يقتضيها، وقد استدركها الناسخُ في حاشية الأصل»!

١٠٩–ص٥٩=٦ب: «شيء والدَّرْواسيج (!)، بالفتح، ما قُدّام العروس (!) من فضلة دفة السرج معرَّب دروازه كاه»! والصواب كما في المخطوطة «شيء. والدَّرْواسَنْجُ - بالفتح - ما قُدّام القَرَبُوس من فَضْلة دَفَّة السَّرج معرب دَرْوازه كاهْ»، والفاضلان يهتمان بضبط كلمة (معرب)، ولا يميزان بين العروس والقربوس! والحمد لله أنهما لم يعلِّقا على رسم همزة (شيء) على الرغم من تعليقهما عليها فيما مضى!

١١٠–ص٥٩=٦ب: «والدهبرّح (بالحاء!)،مشدَّد الراء معرَّب ده بره»!

والصــواب كما في المخطوطة، والسـياق يطلبه «والدَّهْبرّج مُشدَّد الراء معرب دَهْ پرّهْ».

١١١–ص٥٩=٦ب: «معرَّب زرده»! والأحقّ بالضبط كلمة (زَرْدَه).

١١٢–ص٥٩=٦ب: «أيضاً (!) كما في المصباح خلافاً (!) لصاحب **القاموس** في منعه معرّب نَمُّونه (!)»! وقواعد الصـرف والإملاء والتعريب تقتضـي: «أيضًا كما في **المصباح**. خلافًا لصاحب **القاموس** في منعه. معرّب نَمُونه».

١١٣–ص٥٩=٦ب: «ومثال الشــيء» عاد الفاضــلان إلى رسم الهمزة، فعلَّقا - مع الغفلة عن النقطتين بين الشـين والهمزة - في الحاشـية «في الأصل شئ، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتطرفة، والصواب ما أثبتناه»!

١١٤–صـ٥٩=٦ب: «وقع في شـعر أبي تمـام في قوله: وللكَذَج العليا سَـمَتْ بك هِمّةٌ»! لم يذكر الفاضــلان هنا أن المصـنف استعمل حرف (ع) للدلالة على الشـعر! وعلَّقـا في الهامش: «يُنظر **ديوان أبـي تمـام**: ١٣٨/٣، مع اختلاف رواية البيت المذكور:

ولـلـكَذَج العليا سَمَتْ بـك هِـمَّةٌ طَموحُ يروح النصرُ فيها ويَغْتَدِي»!

ولا أدري! أين اختلاف الرواية؟ لقد استشهد المصنِّف بالشطر الأول فقط، وهذا لا يعدّ اختلافًا مع الديوان! وضـبطُ كلمة (الكذج) ينبغي أن يكون بتشديد الذال اتساقًا مع كلام المصنِّف!

١١٥–صـ٥٩=٧أ: «قالـه التبريـزي في **شـرح ديوانـه**». علَّق الفاضـلان في الحاشـية: «الضمير المتصـل (الهاء) عائد إلى أبي تمام». وأقول: هذا سوء ظن بالقارئ! ولو ترجم الفاضلان لأبي تمام لكان أفضل.

١١٦–صـ٥٩=٧أ: «اللوزبـخ (!)، واللوزنيق (!) والجـوزنج (!) والجوزينق - كمـا في المعرّبـات للجواليقي،وهمـا معرَّب نوزينه وكوزينه»! والصـواب كما في

المخطوطة بخط واضح «اللوزينج واللوزينق والجوزينج والجوزينق. كما في المعرّبات للجواليقي. وهما معرب لَوْزينه وكَوزِينه»، والفاضلان مشغولان بضبط (معرَّب)، و(المعرَّبات) عن القراءة الصحيحة وضبط الملبس!

١١٧-ص٥٩=٧أ: «في **تذكرة الصفدي** بخطِّه نقلاً (!) من خط ابن خلكان ما نصه: الجوزينق القطايف (!) المحشوة بالجوز واللوزينق، وهو الذي يُحشَى باللوز»! وقواعد الإملاء والترقيم تقتضي «الجوزينق القطائف المحشوة بالجوز، واللوزينق وهو الذي يُحشَى باللَّوز»، وهمزة القطائف واضحة في المخطوطة! وحقُّ التنوين أن يكون قبل الألف! ولم يترجم الفاضلان للصفدي ولا لابن خلكان!

١١٨-ص٥٩=٧أ: «ويقال فيها: اللوزينج والجوزينج بالجيم»! والصواب حسب المخطوطة، والسياق يطلبه «ويقال فيهما: اللوزينج والجوزينج بالجيم».

١١٩-ص٥٩=٧أ: «كما جرت عادة العجم»، علَّق الفاضلان في الهامش، فقالا في الهامش: «في متن الأصل: الجيم، بسبب انتقال النظر، وقد استدرك الناسخُ ذلك، فضرب عليه وأثبت الصواب في الحاشية، وهو ما أثبتناه»، وهذا تعليق أستحيي من التعليق عليه!

١٢٠-ص٥٩=٧أ: «وعاداتهم (!) أن يلحقوا القاف في آخر النسبة، وكما (!) قالوا»! الصواب كما في المخطوطة بخط واضح «وعادتهم أن يلحقوا القاف في آخر النسبة كما قالوا».

١٢١-ص٦٠=٧أ: «جمعه ماني القوي»! ولا معنى للقوة هنا وفي المخطوطة بخط واضح «جمعه ماني الثَّنويّ».

١٢٢-ص٦٠=٧أ: «يُنسَب إليه الطائفة المانوية» كتبها الفاضلان «تنسب إليه الطائفة المانوية»! وقالا في الحاشية: «في الأصل: يُنسب، والمناسب ما أثبتناه»! وأسأل الفاضلَيْن عن قاعدة تأنيث الفعل مع الفاعل، ولا أنتظر منهما جوابًا،

ولكن أذكّرهما ببعض آيات التنزيل؛ مثل: قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ﴾ [الأعراف: ٨٧/٧]، وقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠/١٢]، وقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥/٤٦]، مع أنهما تركا بعض النظائر كما هي دون تغيير أو تعليق مثل قول المصنف (ص٦٢=٩ب): «وسندسة لا تدل على كونه جمعًا صناعيًّا، بل يدل (كذا بالياء لأن سندسة لفظٌ) على صِدْقه على الكثرة»، وقول المصنف (ص٧٠=١١٩أ): «جميع ألفات الوصل يُحذف (كذا بالياء حملًا على لفظ جميع) في التصغير».

١٢٣–ص٦٠=٧ب: «أمّا أولاً، فقوله: وهو معروف والأول مجهول ممنوع»! والفاضلان مشغولان بضبط (أما)، ويضعان التنوين على الألف، ويظنان أن كلمة (ممنوع) نعت لكلمة (مجهول)! والصواب «أما أولاً: فقوله: وهو معروف والأول مجهول ـ ممنوع».

١٢٤–ص٦٠=٧ب: «وأمّا ثانياً، فقوله: فلمّا عرَّبوه...إلى آخره»! والصواب «وأما ثانيًا: فقوله: فلما عرَّبوه، إلى آخره»، وقد ذكر الفاضلان في منهج تحقيقهما أن النقاط توضع مكان المطموس، والممحوّ، والمشوَّه، فما قيمة النقاط هنا؟!

١٢٥–ص٦٠=٧ب: «بإبدال الجيم قافاً»! وأذكّر الفاضليْن بأن التنوين لا يوضع على الألف!

١٢٦–ص٦٠=٧ب: «وأمّا ثالثاً، فقوله: وكأنهم نسبوا ذلك...إلخ أقول»! والصواب «وأما ثالثًا: فقوله: وكأنهم نسبوا ذلك، إلى آخره ـ أقول»، وكان في إمكان الفاضلين توحيد النظائر والإشارة إلى تنويع المؤلف في كتابة «إلى آخره».

١٢٧–ص٦٠=٧ب: «على طريق التحقيق لا على طريق الظن وتحقيقه...»! وإهمال الترقيم هنا معيب. والصواب «على طريق التحقيق لا على طريق الظن وتحقيقه...».

١٢٨–ص٦٠=٧ب: «والنون في لغتهم تزاد بعد الياء لتأكيد [النسبة]»! لا داعي مطلقًا للمعقوفين، ولا داعي للتعليق في الحاشية بلفظ: «سقطت من متن الأصل،والسياق يقتضيها، وقداستدركها الناسخُ في حاشية الأصل». فالكلمة مكتوبة في السطر نفسه، ولا أدري متى يشعر الفاضلان بأن المخطوطة مسوَّدة المؤلف؟!

١٢٩–ص٦٠=٧ب: «ولمّا كان مفهوم النسبة عامًّا صالحاً لكل شيء»! ولا أفهم التنويع في كتابة التنوين مرَّة على الألف ومرَّة على الحرف السابق! وقد نسي الفاضلان انتقاد المصنف ـ بغير حق ـ في رسم همزة شيء. ويبدو أن هذا أيضًا من التنويع!

١٣٠–ص٦٠=٧ب: «وأمّا رابعاً، فقوله: وعادتهم أن يلحقوا...إلخ أقول»! والصواب «وأما رابعًا: فقوله: وعادتهم أن يلحقوا، إلى آخره ـ أقول»، وكان في إمكان الفاضلين توحيد النظائر والإشارة إلى تنويع المؤلف في كتابة «إلى آخره».

١٣١–ص٦٠=٨أ: «وإن كان المعنى أن العجم يلحقون القاف في آخر النسبة بإرجاع الضمائر إلى العجم فالقاف ليست من حروفهم»! وعلامات الترقيم تقتضي: «وإن كان المعنى أن العجم يلحقون القاف في آخر النسبة ـ بإرجاع الضمائر إلى العجم » فالقاف ليست من حروفهم».

١٣٢–ص٦٠=٨أ: «وقد نظمتها بقولي: < البسيط >

مـن الحــروف ثـمـانٍ لا وجــود لـها   في بنية الفُرس افهمْ بها قافي!

وإن يُرى واحــدٌ منها بها فمنَ الدْ   دَخـيـلِ وهــذا عـدُّهـا الــوافي!

بـالـتاء والـحـاء منها صـادٍ ومعجمِها   والطـاءِ ثم أخيرها الـقـاف»!

وقد ضبط الفاضلان الكلمة الأخيرة بالضم والكسر، ولم يعرفا أن التاء من الحروف الفارسية، وأن الحرف الثامن ناقص في قراءتهما! والصواب حسب

المعنى والعَروض والمخطوطة والنسخة الثانية التي غفَلا عنها:

من الحروف ثمانٍ لا وجود لها	في بنية الفُرس ما منهم لها نائي
ولو يُرى واحد منها بها فمنَ الـ	حرف الدَّخيل وهذا عدُّها الوافي
بالثاء والحاء صِل صادًا ومعجمَها	والطاء والظاء ثم العين والقافِ

١٣٣–ص٦١=٨أ: «وأمّا خامساً، فقوله: كما قالوا في كتاب الزند الحر (!). أقول»! والصواب كما في المخطوطة «وأما خامسًا: فقوله: كما قالوا في كتاب الزند، إلى آخره. أقول».

١٣٤–ص٦١=٨أ: «أصلهما جزق وجوزة (!) ثم لما عرَّبوا لحق القاف»! وهذه قراءة غريبة خاطئة؛ والصواب كما في المخطوطة «أصلهما لَوزين وجَوزين ثم لما عُرِّبا أُلحق القاف».

١٣٥–ص٦١=٨أ: «بل لَوزينه وكَوزينه»! الصواب «بل أصلهما لَوزينه وكَوزينه». فانظر إلى السقط وإهمال الضبط!

١٣٦–ص٦١=٨أ: «سابقاً» لا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف!

١٣٧–ص٦١=٨ب: «وأمّا سادساً، فقوله: الذي جمّعه ماني لقول كتاب الزند»! وأرجو من الفاضلين تفسير إسكان الميم والصواب «وأما سادسًا: فقوله: الذي جمعه ماني. أقول: كتاب الزند».

١٣٨–ص٦١=٨ب: «أظهره مزدك»! أهمل الفاضلان ضبط «مَزْدَك».

١٣٩–ص٦١=٨ب: «الفرقة المزدكية من الفرقة المنوية في زمن كسرى قياد»! الصواب في المخطوطة «الفرقة المزدكية من الفرقة الثنوية في زمن كسرى قباد». فانظر إلى خطأ القراءة وعدم التوثيق!

١٤٠–ص٦١=٨ب: «كذا في **أبكار الأفكار** للآمدي»! اكتفى الفاضلان بكلام

المصـــنف دون توثيق من **أبكار الأفكار** المطبوع قبل نشرتهما بسنين، ودون ترجمة للآمدي!

١٤١–ص٦١=٨ب: «وأما سابعاً» ! لا يزال التنوين على الألف.

١٤٢–ص٦١=٨ب: «هذا مبني على أن أعجميَّته إنما هو زَنْدي»! الصواب في المخطوطة «هذا مبني على أن أعجميَّه إنما هو زَنْدي»، وانظر إلى إهمال السـياق النحوي والضبط!

١٤٣–ص٦١=٨ب: «وليس كذلك»! تابع الفاضــلان المصنف في إنكار تعريب زنديق عن زندي، والمصادر تخالفه!

١٤٤–ص٦١=٨ب: «فقال صاحب **المعرَّب**»! والصواب «فقال صاحب المغرِب». وقد خلط الفاضلان بين المطرزي والجواليقي ،وزادا في الخطأ، فقالا في الهامش: «يريد الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، وقد سـبق التعريف به»! ولو رجع الفاضــلان إلى ما سـبق، لعرفا أن المصــنف يذكـر الجواليقي بلفظــه أو بلفظ كتابه **المعرَّبـات**، وأن الاقتباس المذكور أقرب إلى كتاب المطرزي.

١٤٥–صــ٦١=٨ب: «وقال صــاحب القاموسـ: معرَّب زن ديـن»! كذا بدون ضــبط «زَنْ دِين» انشغالاً بضبط كلمة (معرب)، ولم يفطن الفاضلان إلى الرأي الآخر لصاحب القاموس!

١٤٦–ص٦١=٨ب: «وقال الشريف الجرجاني»! كذا بدون تعريف به أو توثيق لكلامه!

١٤٧–ص٦١=٨ب: «تبعاً»! لا يزال التنوين على الألف!

١٤٨–ص٦١=٨ب: «معرب زندي»! كذا بدون ضبط!

١٤٩–ص٦١–٨ب: «ورجّح ابنُ الكمال الوزير الأولَ، كما هو مذكور في رسالة

التعريـب لـه» كذا دون توثيـق، وكأن الرسـالة مفقودة، ودون ترجمـة لابن كمال الوزير!

١٥٠–ص٦١=٨ب: «تكلمتْ به العرب قديماً»! لا يزال التنوين على الألف!

١٥١–ص٦١=٩أ: «واشتقت عنه»! في المخطوطة بخط واضح «واشتقت منه».

١٥٢–ص٦١=٩أ: «والطُّنْبُور،بالضـم، معـروف معرَّب ذنب بره (!) ،أي إلية الخروف، كذا في **القاموس**»! والصـواب «والطُّنْبُور ـ بالضم ـ معروف معرَّب دُنْبِ بَـرَه أي أليـة الخروف، كذا في **القاموس**»، ولم يفطن الفاضـلان إلى عدم وجود العبارة في المطبوع من **القاموس**(*) فانظر إلى إهمال الضبط والتوثيق!

١٥٣–ص٦١=٩أ: لم يفطن الفاضـلان إلى علامة الإلحاق الواضحة، فقالا في الهامش: «جاء في حاشـية الأصـل: وفي الشـرفنامة (!) ،وهو كتـاب في اللغة الفارسـية: أنّ الطُّنبور بالفارسية اسـمه دَنْبره، بفتح الدال، وسكون النون، وفتح الباء العربية، ليكون (!) أصـله دنب بره (!) كما في **القاموس**»! ولا أدري عن أيّ أصـل يتكلمان وقد اعتمدا على نسـخة واحدة! ومع وضع الكلام في غير مكانه لم يحسـن الفاضلان قراءة النص: والصواب: «وفي السُّرُفْنامة ـ وهو كتاب في اللغة الفارسـية ـ أن الطنبور بالفارسـية اسـمه دَنْبَره ـ بفتح الدال وسكون النون وفتح الباء العربية ـ فيكون أصـله دُنْبِ بَرَه، كما في **القاموس**»، وانظر إلى الرواية عن **القاموس** هنا بالدال المهملة، وسبقت آنفًا بالمعجمة!

١٥٤–ص٦١=٩أ: «،ولهذا يُعَرَّف وينوّن وهمزته قطع»! والصـواب: «؛ ولهذا يُعَرَّف وينوّن، وهمزته همزة قطع»، فانظر إلى السقط وخطأ الترقيم!

١٥٥–ص٦١=٩أ: «وقد وقع في أربع سور من القرآن»! كذا بدون تحديد السور في الحاشية!

١٥٦–صـ٦١=٩أ: «بقطـع الهمـزة والتنويـن من نـون التبعيـة»! وأرجو من

الفاضلين توضيح نون التبعية هنا. والصواب «بقطع الهمزة والتنوين من طُرُق السبعة»!

١٥٧–ص٦١=٩أ: «في أربع مراتب»! والصواب كما في المخطوطة «على أربع مراتب».

١٥٨–ص٦١=٩أ: «رفعها»! الصواب كما في المخطوطة «رفعهما»؛ لأن الضمير يعود إلى خضر وإستبرق!

١٥٩–ص٦١=٩أ: ترجم الفاضلان للأئمة نافع وأبي عمرو وابن عامر وابن كثير وعاصم، ولم يترجما لحفص! وذكرا أن الأخوين لقب حمزة والكسائي دون توثيق!

١٦٠–ص٦١=٩أ: ذكر الفاضلان في ترجمة أبي عمرو بن العلاء أنه «زبان ابن العلاء بن عمرو... ... إمام في اللغة والأدب»، وأحالا إلى **غاية النهاية**، وفيها «زبان بن العلاء ... ... بن مالك بن عمرو»!

١٦١–ص٦١=٩أ: ذكر الفاضلان أن ترجمة ابن عامر موجودة في **غاية النهاية** جـ١/١٧٣، وبمراجعة طبعتهما وجدنا الترجمة ص٤٢٣!

١٦٢–ص٦١=٩أ: ذكر الفاضلان أن ترجمة ابن كثير موجودة في **غاية النهاية** جـ١/٤٣٣، وبمراجعة طبعتهما وجدنا الترجمة ص٤٤٣!

١٦٣–ص٦١=٩أ: ترجم الفاضلان لعاصم؛ فذكرا أنه «عاصم بن بهدلة أبو (!) النجود»! والصواب «أبي» صفة لأبيه بهدلة.

١٦٤–ص٦١=٩أ: تعليقًا على «فأما القراءة الأولى»؛ قال الفاضلان في الحاشية: «في الأصل: القرأة، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتوسطة، والصواب ما أثبتناه»!

١٦٥–ص٦١=١٩أ: «ورفع إستبرق نسقاً على الثياب»! والصواب مراعاة للإملاء والمعنى «ورفع (إستبرق) نسقًا على الـ (ثياب)».

١٦٦–ص٦٢=٩ب: «هو اسم للجمع، وقيل: هو جمع سندسة. واسم الجنس وصفه»! زعم الفاضلان أن هذه العبارة لمكي. وهذا خلط بين كلام مكي وغيره! وزعما كذلك أنهما رجعا إلى الكشف عن وجوه القراءات!

١٦٧–ص٦٢=٩ب: «واسم الجنس وصفه والجمع شائع فصيح»! الصواب كما في المخطوطة، والسياق يطلبه «واسم الجنس وصفه بالجمع شائع فصيح».

١٦٨–ص٦٢=٩ب: «وإذا كانوا قد وصفوا»! في المخطوطة «وإذا كانوا وصفوا». فانظر إلى الزيادة!

١٦٩–ص٦٢=٩ب: «لكونه مراداً»! لا يزال وضع التنوين على الألف!

١٧٠–ص٦٢=٩ب: «أهلك الناسَ الدِّينارُ الصُّفْرُ»! في المخطوطة «أهلك الناسَ الدِّينارُ الحُمْرُ». فوجب الالتزام والتنبيه.

١٧١–ص٦٢=٩ب: «اسماء الأجناس»! الصواب كما في المخطوطة «أسماء الأجناس».

١٧٢–ص٦٢=٩ب: «وردَّ عليه الجعبري فقال ... ...جمعاً صناعيّاً»! لم يوثِّق الفاضلان كلام الجعبري، ولم يترجما له، مع الإصرار على الخطأ في مكان التنوين!

الهوامش:

(*) باحث معجمي ومحقِّق لغوي ـ القاهرة

(*) **العرب**: ورد في المطبوع من **القاموس المحيط**: «الطُّنْبُورُ والطِّنْبارُ، بالكسر، مُعَرَّبٌ، أَصْلُه دُنْبَه بَرَّه، شُبِّهَ بأَلْيَة الحَمَل». انظر **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٤٣١.

المقام في الدرس البلاغي

أ. د. العرابي لخضر(*)

افتتاح:

بالعودة إلى قواميس اللغة العربية، نجد أن مفهوم (المقام) قد اتخذ معاني متعددة؛ منها: موضع القدمين، ومنه مقام إبراهيم، وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت. والمقام في الحساب: هو العدد الأسفل في الكسر الاعتيادي، وفي الموسيقى: هو مجموعة سُلَّمية من النغمات المتتابعة تقدر بسبع نغمات. وهو كذلك الضريح أو الولي الصالح.

ومن معاني المقام أيضًا: المجلس أو الجماعة من الناس، أو الموقف المهم، أو الدرجة والمنزلة، أي مركز اجتماعي يصل إليه الفرد بفضل التقدير الاجتماعي والاحترام والإعجاب.

والمقام هو المناسبة، ولكل مقام مقال؛ يعني الدعوة إلى الملاءمة بين القول والموقف.

ومن هذه المعاني اللغوية يتضح أن مصطلح (المقام) في البلاغة هو المجلس، و(المقال) هو القول الذي يُقال فيه. ومراعاة المقام معناه مراعاة القول لأهل المجلس وأقدارهم ومراتبهم، ومراعاة المناسبة أو الظرف، والزمان والمكان.

لقد شاع مصطلح (المقام) عند العرب قديمًا وحديثًا، وارتبط بالبلاغة ارتباطًا وثيقًا، اعتمد البلاغيون حين صاغوا تعريفات علم البلاغة على جهات نظر متعددة. فمنهم من راعى جانب المرسل للخطاب، فصاغ له شروطًا لتأدية ما يريده من خطاب إلى المرسل إليه، ومنهم من ركّز على جانب المتلقي لكونه العنصر الثاني في عملية التواصل والاتصال، ومنهم من راعى جانب المقام (السياق) الذي يقال فيه الخطاب.

البحث البلاغي في مصطلح (المقام):

والمقام هو مجموع المعطيات المشتركة بين الباثّ والمتلقي في مقام ثقافي ونفسي لتجارب كل منهما. وقد تناثرت أجزاء من بحث المقام في كتب النقد والبلاغة؛ لأن المقام هو الذي يحدد المعنى المراد، من خلال الظروف المصاحبة لقول الخطاب. ومن هنا كان البلاغيون العرب «عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقام أو المقال، بوصفهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعد الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة»[١].

ويبدو إدراك أهل البلاغة لأهمية السياق من اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا مفاده أن المعنى لا يقتصر على السياق اللغوي (المقال)، بل يتعداه إلى سياق الحال (المقام)، وهذا ما عبَّرت عنه صحيفة بشر بن المعتمر الذي نقل عنه قوله: «المعنى ليس يشرُف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يقبُح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»[٢].

والناظر في كتاب **البيان والتبيين**، يجد أن الجاحظ قد عقد مبحثًا عن سياق المقام، حيث بدأ حديثه عن تمييز أصناف الدلالات على المعاني، الذي يعدّ مدخلاً لتمييز أساليب الدلالة على الأغراض، وما تنتهجه تلك الأساليب للوصول إلى غرض الباثّ وغايته، كما يظهر من قوله: «أصناف الدلالات على المعاني من

لفظ وغير لفظ خمسة: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكن لكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبها، وحِلية مخالفة لحِلية أختها، وهي التي تكشف من أعيان المعاني في الجملة، ثم حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصّها وعامّها، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ، وعمَّا يكون منها لغوًا بهرجًا، وساقطًا مطَّرحًا»(٣).

وما يستشف من هذا الاقتباس أن غرض الجاحظ من الحال هو الدلالة على ملمح السياق الذي يعدّ مناط الأمر في عناصر الرسالة اللغوية، حتى تؤتي ثمارها الموجودة، لذا يؤكد الجاحظ مراعاةَ أحوال المخاطَبين، وسياق التلقي. فالتواصل بكل أبعاده يتحدد في أن: لكل ضرب من الحديث ضربًا من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوعًا من اللفظ، ولذلك يجب إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم(٤).

إذن، مقتضى الحال هو الذي يزيل الإبهام، ويحدّد الدلالة المقصودة عند تنوع دلالات اللفظ؛ لأنه من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

وعليه، فقد «اهتم البلاغيون بملمح السياق، وعدّوه أصلاً لما يمكن أن توصله الرسالة اللغوية، وتنوعت تعليقاتهم حول السياق في إطار بحوثهم المختلفة للنص القرآني»(٥).

وعند حديثه عن أسباب اختلاف المتلقين في مقامات التعبير، أشار القاضي الجرجاني إلى تأثير بعض المواقف على سياق البناء اللغوي، حيث «يرق شعر أحدهم ويصلب، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعّر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بمقدار دماثة الخلقة. وأنت تجد ذلك ظاهرًا في أهل عصرك، وأبناء زمانك، وترى الجافي منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعر الخطاب، حتى إنك

ربما وجدت ألفاظه في صـوته ونغمته، وفي جرسـه ولهجته، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك»[٦].

والملاحظ أن القاضـي الجرجاني قد ربط سلامة اللفظ بسلامة الطبع، أي اتفاق العبارة مع الموقف النفسي للباثّ أثناء صياغة الملفوظ، مع مراعاة ما يتعلق بالرسالة من ظروف محيطة بها، وملابسات تتجسد في المقام أو سياق الموقف.

ولقد أوصى ابنُ قتيبة الكاتبَ أن يراعي مقتضى الحال أثناء صياغة رسالته اللغويـة، وذلك في المعاني والألفاظ على السـواء، بقوله: «ونسـتحبّ له أيضًـا أن يُنـزل ألفاظـه في كتبه، فيجعلهـا على قدر الكاتـب والمكتوب إليـه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام، فإني رأيت الكُتاب قد تركوا تفقّد هذا من أنفسهم وخلّطوا فيه»[٧].

وإذا كان الدارسـون يعرّفـون البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضـى الحال مع فصـاحته، فقد أوجبوا على المبدع أن يكون كلامه ملائمًا للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص المخاطبين به. ولا يكون بليغًا مؤثرًا في النفوس ما لم يراعِ الواقع النفسـي، ومسـتوى إدراك المخاطَب. ومن الذين أكدوا مطابقةَ الكلام لمقتضـى الحال - بوصـفه قيمة بلاغية - وأكثروا من الإشـارة إليه: الجاحظ، الذي ما فتئ يردّد قوله: «حق المعنى أن يكون الاسـم له طبقًـا، وتلك الحال له وفقًا.... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم»[٨].

وهكذا نلحظ أن الجاحـظ حرص الحرص كله على أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضـى الحال، وأن يتحرى المبدع الموضـوع المتحدّث عنه، وأن يختار ما يلائمه مـن الألفـاظ بغية التأثـير، وإثارة الانفعال الـلازم لدى المتلقي مـن أجل اتخاذ الموقف المناسب من التجربة الفنية، وذلك ما يوضّحه قوله:

«ولكل ضـرب من الحديث ضـرب من اللفظ، ولكل نـوع من المعاني نوع من الأسـماء: فالسـخيف للسـخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح

في موضع الإفصاح، والكتابة في موضع الكتابة، والاسترسال في موضع الاسترسال...»[٩].

ويشير الجاحظ إلى أن هناك ألفاظًا اصطلاحية خاصّة بكل موضوع متحدَّث عنه. وعليه، فإن مطابقة الكلام للموضوع المتحدَّث عنه تقتضي من الأديب، أو الشاعر، أو الخطيب، «أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. فإنْ كان الخطيب متكلمًا تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفًا أو مجيبًا أو سائلاً، كان أَوْلى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهمَ، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحنَّ وبها أشغف»[١٠].

ومقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، أو الصورة المخصوصة التي ترد عليها العبارة؛ أي إيراد الكلام على صورة مخصوصة، ومن ثمّ وظّف البلاغيون القدامى مصطلح (مقتضى الحال) مرادفًا لصفة التناسب؛ إذ ألحُّوا على أن يكون البيان مناسبًا للمقام والموقف وشخصية المتلقي، فلا يخاطِب ذوي الرفعة والجاه بما يخاطِب به السُّوقة، ولا يكلم السُّوقة بما يكلم به الملوك والوجهاء، كما جاء ذلك على لسان الجاحظ: «... لايكلم سيدَ الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السُّوقة»[١١].

يستدعي مقتضى الحال اشتمال الملفوظ على خصائص فنية، وسمات أسلوبية تناسب الحال أو المقام الذي يُلقى فيه الخطاب؛ إذ لكل مقام مقال، ولا «يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام

البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وجميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»(١٢).

إن خير الكلام ما كان مطابقًا لمقتضى الحال، ومن هنا كان اعتناء الباثّ بحال من يخاطَب أو يُكتَب له؛ إذ لكل صنعة مقتضياتها، ولكل حرفة شكل. «ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحُسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحُسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحُسن الكلام تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفًا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك السند، فحُسن الكلام وروده عاريًا عن ذكره..»(١٣).

وهكذا يلحظ الدارس أن السكّاكي يلحّ على مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال من جهة اختلاف مقامات التعبير عن بعضها بعض، وذلك حسب مقامات المتلقي للرسالة اللغوية، أي مراعاة لسياقاتها المختلفة. وهذا الفهم ينمّ عن إدراك السكّاكي لأهمية السياق وأثره في اختيار أساليب التعبير، آخذًا في الحسبان أحوال المتلقين للخطاب، مع مراعاة البيئة الثقافية المنتمين إليها.

ويذهب القزويني المذهب نفسه، حين ينقل كلام السكّاكي السابق الذكر ملخصًا له، ومبينًا لوجهة نظره في بيان المقصود بمقتضى الحال بقوله: «أما البلاغة، فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر

يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام»(١٤).

ويؤكد صاحب **الصناعتين** على مراعاة حال المخاطبين، وظروف الخطاب، مستعملاً تقريبًا الألفاظ نفسها التي استعملها الجاحظ قبله، وذلك بقوله: «وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلامًا، ولكل حال مقامًا، وحتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات... وأقدار المستمعين على أقدار الحالات. واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»(١٥).

وفي الباب الأول من كتابه **الفروق في اللغة**، يبيّن أبو هلال العسكري أن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني في كل لغة، وأن السياق هو الذي يفرّق بين قصدية معنى في مقام عن معنى آخر، وأن المعاني تناسب ما تشير إليه، كما يبدو من قوله: «الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أُشير إلى الشيء مرةً واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة...»(١٦). ومؤدّى هذا أن دلالة اللفظ تتّضح من خلال السياق الذي قيل فيه، أو مقامه الذي يدلّ عليه. وقد أحسن الذي قال: لكل مقام مقال.

ولا تختلف فكرة المقام عند صاحب كتاب **نقد الشعر**، حيث يذهب إلى ما ذهب إليه أبو هلال العسكري، وذلك عندما يتحدث عن المدح بقوله: «...أما مدح ذوي الصناعات، فأن يُمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة والرَّويَّة، وحسن التنفيذ والسياسة.... وأما مدح القائد فبما يجانس البأس والنجدة، ويدخل في باب الشدة والبطش والبسالة... وأما مدح السُّوقة من البادية والحاضرة، فينقسم بحسب انقسام السوقة إلى المتعيِّشين بأصناف الحِرف، وضروب المكاسب، وإلى الصعاليك والخراب والمتلصّصة، ومن جرى مجراهم»(١٧).

ولقد اعتمد ابن رشيق المقولة البلاغية (لكل مقام مقال) أساسًا لفكرة السياق وتمثُّلاتها في الإبداع بشقيه: الشعر والنثر، وذلك أثناء حديثه عن معرفة مقاصد الكلام، حيث قال: «فأول ما يحتاج إليه الشاعر، بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية، حسن التأتّي والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذَلَّ وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أقلّ وأوجع، وإن فخر خبّ ووضح، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنّ ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطَب كائنًا من كان؛ ليدخل إليه ممن بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سرّ صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا، وقد قيل: لكل مقام مقال»[١٨].

ولقد رأى رَدّةُ الله بن ضيف في هذا الاقتباس، أن ابن رشيق يربط قول الشعر بأغراضه التي هي عنده المقامات التي يقال فيها، بل ويجعل هذه المقامات على نوعين؛ هما:

- المقامات الفردية التي تتمثل في الأغراض الشعرية الذاتية للشاعر.
- المقامات الجماعية الاحتفالية، أي خطاب الشاعر للآخرين.

وقصْدُ ابن رشيق من ذلك إنما يتعلق بما أورده من وجوب معرفة الشاعر بعلم مقاصد القول، أي الأغراض (السياقات) التي ينبغي على الشاعر أن يراعيها عند إنشاء الشعر[١٩].

ولا تقتصر فكرة المقام، التي كانت محور أعمال البلاغيين، على مراعاة حال المخاطَبين فحسب، بل الأمر يتعدى ذلك إلى خصائص الخطابة ذاتها، فإن «سبيل ما يكتب به في باب الشكر لا يقع فيه إسهاب... وسبيل ما يكتب به إلى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة التطراء ألاَّ يكثُر في شكاية الحال ورِقَّتها.. بل يجب أن يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير العائدة»[٢٠].

ومن مظاهر السياق: ما أوضحه العسكري من وجود التأثير لبعض المقامات على سياق البناء اللغوي، وأن الشعر يختلف باختلاف الطبائع، وهذا ما نلحظه في كلامه السابق الذكر، حيث أشار إلى العلاقة بين المشتركين في الخطاب، وهو الأمر الذي أولاه النقاد الغربيون المعاصرون عناية كبرى في نظرية السياق.

ومقتضى الحال هو مطابقة الكلام للمقام أو السياق الذي يتحدّث فيه. ومن هنا ربط البلاغيون حُسن الكلام أو قيمته بانطباقه على مقتضى الحال، «ولحسن الشعر وقبول الفهم إيّاه علّة أخرى، وهي موافقة الحال التي يعدّ معناه لها؛ كالمدح في حالة المفاخرة، وحضور من يكبت بإنشاده من الأعداء، ومن يسرّ به من الأولياء، وكالهجاء في حال مباراة المهاجي، والحطّ منه حيث ينكى فيه استماعه له، وكالمراثي في حال جزع المصاب، وتذكر مناقب المفقود...»[٢١].

والصفة الجامعة التي تتفيّأ في ظلالها كل السمات الفنية الأخرى، هي مراعاة مقتضى الحال؛ لأن مراعاة المقام أو السياق يعني التوافق والتناسب بين الإبداع الفني والمتلقّي والبيئة المكانية والزمانية، «ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه؛ لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ الإفادة في كلامه، وإذا لم يشتمل على شيء منها، فليس من جنس كلام العرب، فإنَّ كلامهم واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة»[٢٢].

ومقتضى الحال من القضايا التي أوْلاها البلاغيون اهتمامًا بالغًا، وأدخلوها في علم المعاني، وهي من أهم قضايا النقد الأدبي عند العرب. ومن ثم يرى بعضهم أن البلاغة في الكلام: «مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته....»[٢٣]. وأن مقتضى النص «هو الذي لا يدل اللفظ عليه، ولا يكون ملفوظًا، ولكن لا يكون من ضرورة اللفظ.... وقيل: هو عبارة عن غير المنطوق منطوقًا لتصحيح المنطوق»[٢٤].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن مقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، أو الصورة المخصوصة التي ترد عليها العبارة؛ أي إيراد الكلام على صورة مخصوصة، قال ابن حجّة الحموي، عند حديثه عن حُسن البيان: «هو عبارة عن الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس؛ إذ المراد منه إخراج المعنى إلى الصورة الواضحة، وإيصاله إلى فهم المخاطَب بأسهل الطرق، وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الإيجاز، وطورًا من طريق الإطناب، وبحسب ما يقتضيه الحال، وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها»[٢٥].

والملاحظ أن الحال، عند علماء البلاغة، أو المقام: هو الأمر الذي يدعو الخطيب أو الشاعر إلى إيراد خصوصية في التركيب. ومقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة. والمقتضى هو الصورة المخصوصة التي ترد عليها الصورة.

ويذهب المراغي إلى أن مقتضى الحال هو «صورة خاصة ترد في الكلام زائدة على أصل معناه قد اقتضها الحال واستدعاها المقام»[٢٦]. وهكذا يبدو جليًّا أن مقتضى الحال مختلف؛ لأن مقامات الكلام متفاوتة، بل هو أمر نسبي، إذ لا يمكن لأي كائن كان أن يحيط بالأحوال جميعًا. ولجلاء هذه الفكرة «نشير مبدئيًا إلى أن المقام يضيق حتى يقتصر على مراعاة حال المخاطَب في لحظة محددة معلومة سلفًا للخطيب. ويتسع المجال أو الإطار الحضاري المشترك بين الناس عامة أو داخل نسق حضاري ذي طابع متميز»[٢٧].

ومن هذا المنظور، يرى تمّام حسّان «أن المقام له ديناميكية لم ينسبها إليه البلاغيون، فهو ليس إطارًا و لا قالبًا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر الكلام جزءًا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له صلة بالمتكلم وكل جوانب الاتصال بين الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا والغايات والمقاصد»[٢٨].

وإن يكن الجاحظ هو أولَ من اصطنع مصطلح (النظم)، الذي تمسك به

الأشاعرة، من بعده، لتعليل الإعجاز القرآني، فإن عبد القاهر الجرجاني هو الذي اشتهر بنظرية النظم من خلال كتابة **دلائل الإعجاز**، ولم تكن نظرية النظم لديه إلا تنظيرًا لفكرة المقام، ومحاولة رصد مختلف السياقات، وما يناسبها من أساليب التعبير وطرقه، فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو ما يسميه باسم النظم الذي هو توخي معاني النحو فيما بين الكلام حسب الأغراض التي يصاغ لها الخطاب.

وبهذا يكون عبد القاهر الجرجاني قد خالف كثيرًا من البلاغيين في تطبيق مفهوم السياق أثناء حديثه عن نظرية النظم، حيث يرى أن اللفظ لا يعدُّ «نقطة البدء - كما يظن - وإنما العكس هو الصحيح، فالسياق هو نقطة البدء، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله، وحينئذ من الواجب رصد السياق، ثم البحث عن الألفاظ وعلاقتها فيه ثانيًا»[٢٩].

ومن المعروف لدى الباحثين في هذا الشأن أن كتابَي عبد القاهر الجرجاني **أسرار البلاغة** و**دلائل الإعجاز** هما خير ما يمثل اهتمام البلاغيين بالسياق اللفظي (النظم) وأهميته في تحديد قيمة الكلمة، وبيان تفاوت البلغاء في إنشائهم حسب مقدراتهم، وتوفيقهم في إحكام النظم، واستعمال وسائله في الدلالة على المعاني[٣٠].

وهكذا، فإن الكشف عن المعاني لا يكون إلا من خلال السياق، أي من التراكيب، حيث تختلف دلالة المعاني في أسلوب عنها في أسلوب آخر، فالمقام هو الذي يحدّد ذلك. وهذا ما بحثه الدارسون في العناصر السياقيّة والمقاميّة التي لها أكبر الأثر في الكشف عن المعاني، وتحديد الكثير من دلالات الألفاظ. إن معنى اللفظ يتمّ تعديله وفقًا لتعدد السياقات أو المقامات التي يقع فيها؛ لأن الألفاظ المفردة والتراكيب تتعرض لأنواع من التغيّر الدلالي بسبب السياقات اللفظية والمقاميّة المختلفة، وهذا ما دعا البلاغيين والنحويين والأصوليين إلى ضرورة الاستعانة بأنواع السياق بجميع عناصره.

وبمـا أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأن علاقة اللفظ بالمعنى عُرفية اعتباطية، وأن الدلالة الحقيقية تابعة لقصـد مرسل النص؛ من هنا وجب مراعاة قصدية البـاثّ المرتبطة هي الأخرى بعلاقة اللفظ بالمعنى، فإدراك أهمية قصـد المتكلم لهـا تأثير كبير في توجيه الدلالة وتحديدهـا، واعتناء البلاغيين وغيرهم بالمعنى كانـت غايتـه التعرف على مراد المتكلم صـاحب النص، وما يقصـده من فحوى الرسـالة. وعليه، فقد كان الاهتمام بقصد مرسـل النص شاغلاً لبيئات ثقافية مختلفـة، وبهـذا تكون الدلالة تابعـة لإرادة الباثّ وقصـده، لا إلى مـا تدل عليه الألفاظ في ظاهرها.

والمتتبع لمفهوم السـياق في دراسـة البلاغيين، يجـد أن فكرتي الحال والمقام مرتبطتـان بالبعد الزماني والمـكاني للخطاب؛ لأن لـكل كلام بعدين يقع فيهما، ولهذه الأسـباب ارتبطت فكرة الحال أو المقام بالمقال، واختلاف المقال ناجم عن اختلاف الحال والمقام.

وتُمثّـل اليوم فكـرة المقام «مركز الدلالية الوضـعية من حيـث كانت مبرزة للجانـب الاجتماعي الـذي تظهر فيه العلاقـات والأحداث والظروف المقتضـية لإيراد الكلام على صورة مخصوصة. ومن المؤكد أن افتقاد المقام يؤدي إلى ورود مفردات متناثرة لا تمثل مقالاً بالمعنى اللغوي، أو بالمعنى البلاغي؛ لأنها لم توضع في سـياق يربـط بين أجزائها بحيـث تؤدي في النهاية معنى معينًـا. وعلى هذا لو قمنا بتحليل هذه المفردات من حيث مستوى الصوت أو الصرف أو النحو، أو من حيـث علاقة اللفظ بمدلوله، فلن نصـل أبدًا إلى دلالة محددة لافتقاد السـياق، أو المقـام الـذي يعطي البعد المـكاني، وافتقاد الحال الذي يعطـي البعد الزماني للصياغة»(٣١).

والكلمة لا تكتسـب قيمتها إلا بدخولها في تركيب ما، ولكن إذا كان «السـياق هـو الـذي يعطي المدلولات، فإنه من جانب آخر هو الذي يعطي الشـكل التركيبي للعبـارة، بحيث يكون هناك تفاعـل أكيد بينهما، وكلما أُتيحت لنا - بدقة - رصـد

السياقات التي تحيط بعملية الإبداع، استطعنا تفهُّم الكثير من العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام»[٣٢].

وبالعودة إلى كتب القدامى من البلاغيين الذين تعرضوا لمصطلح (المقام) نجدهم يقصدون به كل ما يحيط بالموقف الكلامي من ظروف وملابسات داخلية وخارجية، وهو ما يعرف الآن في الدراسات الحداثيّة الغربية بـ (سياق الحال). وفي هذا الشأن يقول تمام حسان: «وحين قال البلاغيون: لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدُقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء، ولم يكن ماليوفسكي، وهو يصوغ مصطلحه الشهير (سياق الحال)، يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها»[٣٣].

ومما سبق يظهر أن البلاغيين قد أجمعوا على أن بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال التي يورد فيها، غير أنهم قد اضطربوا في التمييز بين مفهومي الحال والمقام، فبينما يرى بعضهم أنهما متقاربان في المعنى والمفهوم، وأن التغاير بينهما أمر اعتباري، يرى بعضهم الآخر أنهما أمر واحد، وهو ما يتصل بالموقف الكلامي من وجهة معينة، وظروف مختلفة.

إن البحث البلاغي في مصطلح (المقام) قد أسال حبرًا كثيرًا على مرّ العصور، بل عدّه كثير من البلاغيين الملمح الأهم في تعريفاتهم المختلفة للبلاغة. فالمقام يقوم على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، وهي حال الباثّ، والمتلقي، وسائر ما يتكون منه (المقام)، ومفاد هذا أن القول يتنوع تبعًا لتنوّع المقامات.

الاستخدام البلاغي لمصطلحي (الحال والمقام):

وما يلحظ، كذلك، من النصوص التي سقناها أن الاستخدام البلاغي لمصطلحي (الحال والمقام) ينحو نحو توحيد الاستخدام في سياق لا يقتضي

المغايـرة، بـل المواءمة التامة، علـى الرغم من محاولة بعضـ البلاغيين التفريق بين الحال والمقام تفريقًا منطقيًّا عقليًّا، بحيث جعلوا توظيف مصـطلح (المقام) خاضـعًا للمقتضـى فقط، في حين جعلوا من توظيف (الحال) بحسـب إضـافته للمقتضى، أي مكملاً له وليس أساسًا لعمله.

ينحصر السياق في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التركيب. فالسياق المقامي هو سياق الموقف، أو سياق الحال، أو السياق الخارج عن النص، أو السياق الاجتماعي، كما يقصد به السياق الخارجي للغة، أو نوع القول وجنسه، هو الذي يعطي للفظة دلالتها، كما يمكن أن يتسـع معنى السـياق المقامي ليشمل الظروف التي تحيط بالقول أو الكتابة. وذلك أن «المعنى المعجمي ليس لكل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصـر غير لغوية ذات دخـل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام من ملابسات وظروف ذات صلة»(٣٤).

ومدلول (مقتضـى الحال) في عبارات البلاغيين يجـب التنبّه إليه؛ إذ يبدو أنـه يؤكد امتـداد جذور الصـياغة إلى ذات المبدع، ويشـكل بُعـدًا إدراكيًّا لوعي مرسل النص بالمكونات المتشابكة لجزيئات صياغته عن طريق خلق بنية تتداخل فيها العلاقات، وتتبادل فيها التفاعلات بفنية تسـتمد قيمتها من إدراك مراعاة مقتضى الحال.

ويبـدو لنـا أن إدراك البلاغيـين للسـياقات والمقامات، وما يتصـل بها من متعلّقات، قائم على نظرة عميقة إلى عنصرين قائمين في الصياغة؛ هما الثابت والمتحوّل أو المتغير، وما ينتج عنهما ما يمكن أن نسـميه بالمعنى والدلالة، فالمعنى لا يتغير سواء قدّمنا أو أخّرنا في الصياغة، وإنما يحدث التغير في الدلالة ذاتها. كمـا أن هذه المقامات لها اعتبارات ترتبط فيها بالمبـدع، واعتبارات ترتبط فيها بالمتلقى، واعتبارات تتصل بطبيعة الصياغة ذاتها.

فكرة المقام أو السـياق هي الحجر الأساسي لإثبات الصفة الاجتماعية لأية لغة من اللغات. ولعل حضور فكرة المقام (دلالة الحال) في مجالات علمية شتى لا

يحتاج إلى إثبات، بل لقد كانت حاضـرة بقوة بمسميات مختلفة؛ مثل: الغرض أو الحال، أو مراعاة المخاطَب. ولقد عبّر البلاغيون عن المقام بالحال، كما استعملوا مصـطلح (المقام) للدلالة على الغرض من الخطاب. «والحال في اصـطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه الخصوص، أي الداعي إلى أن يعبّر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصيته...»[٣٥]. فالمقام، وليُسَمَّ الحال، هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصـية ما، فيأتي بكلامه على نحو خاص من الصياغة والتعبير.

ومما تمّ عرضـه من الشواهد، يتبيّن أن مفهوم المقام عند قدامى البلاغيين يتكون من مجموعة من العناصر؛ وهي:

- المخاطب: علمه، جهله، شكّه، حالته.
- معرفة المتكلم بالمخاطَب.
- غرض المتكلم.
- النبر والتنغيم.
- الإشارة وملامح الوجه.

ويمكـن أن نجمـل عناصـر المقـام في: المخاطِـب، والمخاطَـب، والخطـاب. فملابسـات هذه العناصـر الثلاثة هي التي تتحكم في دلالة الخطاب، ففي بعض الأحيان المرسـل هو الـذي يكيّف كلامه اسـتجابة لحالته هو التي يحسّ بها، أو حسـب أحوال المخاطب أو المتلقي، وبهذا يتضـح أن صاحب الحال قد يكون ذات المتكلم، وقد يكون المخاطب، وقد يكون الخطاب نفسـه. وبالتالي فإن تشعب هذه العناصـر وترابطها يشـكل تفاعلها جميعا (سياق الحال)، أو المقام الذي تتحقّق ضـمنه عملية الإبداع والتواصـل. وبهذا تغدو قضـية المقام عاملاً هامًا في تبيان أوجـه الإعجـاز البلاغي، وعليـه، فإن إدراك الأسـرار البلاغية لا يكـون إلا بعد تحديد المقام.

حوصلة:

ومن خلال الشـــروحات التي قدّمناها حول مقولة: لكل مقام مقال، يســتفاد منها ما يأتي:

- إن هذه قاعدة سياقية؛ إذ المقال مرتبط دائمًا بمقامه لا ينفك عنه.

- إن معرفة المقام تساعد على فهم المقال؛ لأنه إذا اختلف المقام اختلف معه المقال، أي تختلف العبارات لاختلاف الاعتبارات.

- إذا تعارض مقتضـــى المقال مع مقتضـــى المقام قُدِّم ما يقتضيه المقام؛ لأن المقال إنما قصد به الاستجابة لما يقتضيه المقام وليس العكس.

ومن خلال النصـــوص المقتبســـة أو التي رجعنا إليهـــا، لاحظنا أن البلاغيين القدامى قد استخدموا عبارات أخرى ترادف المفهوم من المقام، من مثل: القرينة أو القرائـــن، دلالـــة الحـــال، أو الدلالـــة الحالية، مقتضـــيات الأحوال، والســـياق. ويقصـــد بهـــذه المرادفـــات ما يســـبق أو يلحـــق ما هو موضـــع بيـــان أو تأويل، وقد يتســـع مفهومها ليشـــمل ما له علاقة بالمخاطِب أو المتكلم، والمخاطَب أو المســـتمع، وظروف الخطاب وملابساته؛ وقد يمتد ليشمل كل الظروف التي تحيط بالنـــاس، وبالعلاقات الموجودة بين الســـلوك الاجتماعي والســـلوك اللغـــوي، وبين المعطيات المشتركة حول المقام الثقافي والنفسي، والتجارب المشتركة بين المرسل والمستقبل في زمان ومكان ما.

الهوامش

(*) جامعة تلمسان. الجزائر

(١) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**. مكتبة الثقافة، الدار البيضاء. ١٩٩٥ ص ٣٣٧.

(٢) الجاحظ: **البيان والتبيين**. تحقيق عبدالسلام هارون. دار الفكر. ط٤.م١. ص١٣٦.

(٣) المصدر نفسه. ص٧٦.

(٤) المصدر نفسه. ص٩٣.

(٥) عبدالعزيز جاب الله: **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق**. ص١٣.

(٦) **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، المكتبة العصرية. بيروت. ط١. ٢٠٠٦. ص ٢٤. ٢٥.

(٧) **أدب الكاتب**. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. دار الجيل. مصر. ط٤. ١٩٦٣. ص ١٤.

(٨) كتاب **الحيوان**. تحقيق عبدالسلام هارون. دار الفكر. ج٣ . ص ٣٩

(٩) المرجع نفسه. ص ٣٩.

(١٠) **البيان والتبيين**. ج١. ص ١٣٨. ١٣٩.

(١١) نفسه. ص ٩٢.

(١٢) السكاكي: **مفتاح العلوم**. تحقيق عبدالحميد هزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. ط٢. ٢٠١١. ص٢٥٦.

(١٣) المرجع نفسه. ص٢٥٦-٢٥٧.

(١٤) **الإيضاح في علوم البلاغة**. منشورات دار مكتبة الهلال. بيروت. لبنان. ٢٠٠٠. ص ٣٢، ٣٣.

(١٥) أبو هلال العسكري. **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. ١٩٨٩. ص ١٥٣.

(١٦) منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط٣. ١٩٨١. ص١٣.

(١٧) قدامة بن جعفر: **نقد الشعر**. دار الكتب العلمية، بيروت. ص ١٠٦-١١٠.

(١٨) **العمدة**. تحقيق محيي الدين عبدالحميد. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. ج١. ص ١٩٩.

(١٩) ينظر: **دلالة السياق**، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ٢٠٠٥. ص٩١.

(٢٠) أبو هلال العسكري: **الصناعتين**. ص١٧٤.

(٢١) ابن طباطبا، **عيار الشعر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١. ١٩٨٢. ص٢٢.

(٢٢) ابن خلدون. **المقدمة**. الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ج٢. ص٧١٨.

(٢٣) الشريف الجرجاني: كتاب **التعريفات**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥. ص٣٦.

(٢٤) المرجع نفسه. ص١٥٧.

(٢٥) **خزانة الأدب وغاية الأرب**. تحقيق صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية. صيدا بيروت. ط١ ٢٠٠٦. ج٢. ص٤٦٦.

(٢٦) **علم البلاغة**. دار إحياء التراث الإسلامي. مصر. ط١. ١٩٩٢. ص٣٧.

(٢٧) محمد العمري. **مجلة دراسات**: سيميائية أدبية لسانية. العدد ٥ . سنة ١٩٩١. ص٧.

(٢٨) **الأصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٢. ص٣٣٨.

(٢٩) محمد عبدالمطلب: **البلاغة والأسلوبية**. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٤. ص٢٤١.

(٣٠) ينظر الطاهر حمودة: **دراسة المعنى عند الأصوليين**. منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨١. ص ٢٢٤.

(٣١) محمد عبدالمطلب: **البلاغة والأسلوبية** . ص٢٣٠.

(٣٢) المرجع نفسه. ص٢٤٢.

(٣٣) **اللغة العربية معناها ومبناها**. ص٣٧٢.

(٣٤) محمود السعران. **علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي**. دار الفكر العربي. القاهرة. ٢٠٠٦. ص٢٨٨.

(٣٥) التهانوي: **موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون**. ج١. ص٦١٦.

النصيحة عند الإمام الأوزاعي

دراسة في علاقته مع السلطة والمجتمع

الأستاذ الدكتور مزاحم علاوي الشاهري(*)

إن سيرة الإمام عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي مع السلطة والمجتمع لا تقل أهمية عن أفكاره الفقهية والحديثية؛ فقد ولد الأوزاعي ببعلبك في سنة ثمان وثمانين للهجرة[١]، ومات ببيروت مرابطًا يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة سبع وخمسين ومئة للهجرة في آخر خلافة أبي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنة تقريبًا[٢]،يقول ابن خلكان: وقبره مدفون في قرية على باب بيروت يقال لها حنتوش.. وهو مدفون في قبلة المسجد، ومدفنه ظاهر فيها[٣]. فهو بذلك قد عاصَر تسعة خلفاء من الدولة الأموية، فشهد قوة دولتهم وزوالها، كما عاصر أول خليفتين من خلفاء بني العباس، فكان قريبًا من أحداث تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة، وتعرض إلى مواقف صعبة بسببها حتى اضطر في بعض الأوقات إلى التواري عن الأنظار والاختفاء درءًا للأخطار التي يمكن أن تحدق به، كما فعل عندما توارى عن أنظار عبدالله بن علي في دار شيخه واصل ابن أبي جميل[٤]. يقول العباس بن مزيد: دخل محمد بن عبدالله دمشق فهرب الأوزاعي، فبقي ثلاثة أيام صائمًا يطوي لا يجد ما يأكله[٥].

وزيادة على ذلك، فقد عاصر انبثاق العديد من المدارس الفكرية التي راجت وحملها دعاتها، وأخذت تلك الفرق تضع الحجج والأدلة لإثبات وجهة نظرها، فكيف عاش الإمام الأوزاعي؟ وكيف تصرف في مواجهة تلك الأمواج العاتية؟ وكيف كان أمام الخلفاء العباسيين وهم في أوج عنفوان انتصارهم على خصومهم الأمويين؟ وهو يرى بعينيه ما جرى من أحداث مهولة في حاضرة العالم الإسلامي دمشق وبقية المدن الشامية الأخرى؟.

سنحاول قدر ما نستطيع تسليط الأضواء على مواقفه من السلطة، وأوجه العلاقة القائمة بينه وبين الخلفاء والولاة الذين عاصرهم، والأغراض التي حرص على تحقيقها معهم. ومن جانب آخر سنظهر طبيعة علاقته مع مجتمعه بكل شرائحه، مسترشدًا بذلك بمبادئ الإسلام التي أوجبت عليه إيتاء كل إنسان حقه.

أولاً: علاقته مع السلطة:

اتسم موقف الإمام الأوزاعي بالواقعية في تعامله مع أُولي الأمر من خلفاء وأمراء عصره؛ فقد تقدم إليهم بالنصيحة الخالصة استجابة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين نصيحة: قلنا لمن يارسول الله، قال، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». وقد تحقق له النجاح في مسعاه، وجنى منافع عامة لمجتمعه بسبب إسدائها لهم، فقد اتبع النصح من خلال المكاتبة إليهم، فأرسل عددًا من الرسائل وهم في أماكنهم، يوجههم فيها إلى ما يُعينهم على فعل الخير وتجنب المعاصي، كما يذكِّرهم إلى ما كان عليه السلف الصالح من الاهتمام بأمور المسلمين، وأحيانًا كان يذهب بنفسه للقاء الخليفة أو من ينوب عنه لتقديم النصيحة أو عرض حاجة عامة.

ومن بين تلك النصائح القيمة: رسالته إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، يردُّه فيها عن قراره بهجر معارضيه من أهل الثغور، حيث وقعوا في أسر البيزنطيين،

وقد عزم المنصور ألا يفتديهم؛ لأنهم لم يعينوه في حربه مع محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، فكتب له الإمام الأوزاعي قائلاً: «أما بعد، فإن اللّه تعالى استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائمًا، وبنبيه ﷺ في خفض الجناح وبالرأفة متشبهًا، وأسأل اللّه تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سائخة المشركين غلبت عام أول وموطؤهم تحريم المسلمين واستنزالهم العواتق والذراري من المعاقل والحصون، وكان ذلك بذنوب العباد، وما عفا اللّه عنه أكثر؛ فبذنوب العباد استُنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، ولا يلقون لهم ناصرًا ولا عنهم مدافعًا، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر اللّه إلى خلق أعراضه وإعراضهم عنه. فليتّقِ اللّه أميرُ المؤمنين وليتَّبع بالمفاداة بهم من اللّه سبيلاً، وليخرج من محجة اللّه تعالى، فإن اللّه تعالى قال لنبيه: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[٦]. واللّه يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ فَيْءٌ موقوف، ولا ذمة تؤدِّي خراجًا إلا خاصة أموالهم. وقد بلغني عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «إني لأسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة، فأتجوَّز فيها مخافة أن تُفتن أمُّه». فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتنونهم ويتكشفون منهم ما لا نستحله نحن إلا بنكاح، وأنت راعي اللّه، واللّه تعالى فوقك ومستوف منك، ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٧]. فلما وصل إليه كتابه أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بالفداء، وامتثل لرسالته[٨].

يقول الذهبي: «كان المنصور يعظِّم الأوزاعي ويصغي إلى وعظه ويجله»[٩]. وهو الذي يصفه بقوله: «وأين مثل أبي جعفر- على ظلم فيه- في شجاعته وحزمه وكمال عقله وفهمه وعلمه ومشاركته في الأدب ووفور هيبته»[١٠].

وقد كتب المنصور إلى الأوزاعي: «أما بعد، فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل اللّه لرعيته قبلك في عنقه، فاكتب إليه بما رأيت في المصلحة. فكتب إليه: أما بعد، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى اللّه عز وجل، وتواضع يرفعك اللّه تعالى يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول اللّه ﷺ لن تزيد حقَّ اللّه تعالى عليك إلا وجوبًا»(١١).

وكان الخليفة المنصور يتعجب من بلاغة رسائله؛ فقد كان ترد عليه من الأوزاعي كتب يتعجب منها، ويعجز كُتَّابه عن الإجابة، فكانت تنسخ في دفاتر وتوضع بين يدي المنصور، فيكثر النظر فيها استحسانًا لألفاظها. فقال لكاتبه سليمان بن مجالد: ينبغي أن تجيب الأوزاعي عن كتبه جوابًا تامًّا. فقال: واللّه يا أمير المؤمنين ما أُحسن ذلك، وإنما أردُّ عليه ما أُحسن، وإن له نظمًا في الكتب لا أظن أحدًا من جميع الناس يقدر على إجابته عنه، وأنا أستعين بألفاظه على من لا يعرفها ممن نُكاتبه في الآفاق»(١٢).

ومما يروى عنه أنه قال: «بعث إليَّ أبو جعفر المنصور أميرُ المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته... ثم قال: ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي؟ قلت: وما الذي يريده أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم. قلت: انظر لا تجهل شيئًا مما أقول. قال: وكيف لا أجهله وأنا أسالك عنه، وقد وجهت فيه إليك وأقدمتك له ؟ قلت: أن تسمعه ولا تعمل به. قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا عقوبة. فطابت نفسي وانبسطتُ في الكلام. ثم حدَّثه وذكَّره بأحاديث رسول اللّه ووعظه. إلى أن قال: يا أمير المؤمنين، من كره الحق فقد كره اللّه؛ إن اللّه هو الحق المبين. يا أمير المؤمنين، إن الذي يلين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من نبيكم صلى اللّه عليه وسلم وقد كان بهم رؤوفًا رحيمًا مواسيًا نفسه بهم في ذات يده، وإنك عند الناس لَحقيق أن تقوم فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط فيهم قائمًا ولعوراتهم ساترًا، لم

تغلق عليك دونهم الأبواب، تبتهج بالنعمة عندهم، تبتئس بما أصابهم من سوء. يا أمير المؤمنين، قد كنتَ في شغل شاغل من خاصة نفسك من عامة الناس الذين أصبحت ملكهم: أحمرهم وأسودهم، مسلمهم وكافرهم؛ فكل له عليك نصيبه من العدل، فكيف إذا اتبعك منهم فئام وراءهم فئام، ليس منهم أحد إلا ويشكو بليَّة أدخلتها عليه، أو ظُلامة سقتها إليه؟... وقال: يا أمير المؤمنين، إن المُلك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك كما لا يبقى لغيرك... وقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد بُليت بأمر عظيم لو عُرض على السماوات والأرض والجبال لأبيْن أن يحملْنه وأشفقن منه...

واستمر معه يعظه ويذكِّره بقول الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته، حتى أخذ أبو جعفر المنصور المنديل، فوضعه على وجهه، فبكى وانتحب حتى أبكاني. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد سأل جدك العباسُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم إمارةً على مكة والطائف، فقال له: يا عباس، يا عم النبي، إمارة تحييها خير من إمارة لا تحصيها. هي نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه...

إلى أن قال: يا أمير المؤمنين، إن أشد الشدة القيام بحق الله، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، إنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله تعالى، ومن طلبه بمعصيته أذلَّه الله تعالى ووضعه. هذه نصيحتي والسلام عليك. ثم نهض.

وأمر له بمال يستعين به على خروجه إلى بلده، فلم يقبله، وقال: أنا في غنى، وما كنت لأبيع نصيحتي بعَرَض من الدنيا و لا بكلِّها»[١٣].

وبعث برسالتين إلى المهدي أبي عبدالله محمد بن المنصور (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م):

الأولى في شفاعة قوم تخلفوا عن القتال، فافتتح رسالته مخاطبًا إياه بقوله: «هدى الله الأمير فيما ابتلاه للتي هي أقوم، ووقاه تَبِعَته، ولَقَّاه حجته؛ فإن من

نعمة الله عليه وحسن بلائه عنده أن جعله يُعرَف بالعفو وخفض الجناح وطلب التجاوز عن أصحاب الجرائم عند خليفتهم، وحضور أمور رعيته بما تطلع عليه أنفسها وتتبسط في رجائها فيه قلوبها. فبلَّغ الله الأميرَ فوائد الزيادة في الخير وحُسن المعونة على الشكر...»[١٤].

أما الرسالة الثانية، فقد خاطبه في شفاعة لأهل مكة في تقويتهم؛ كتبها الأوزاعي في ٥ ربيع الآخر سنة ١٥٢هـ/٧٩٦م؛ يقول فيها: «أتاني من رجل من مقانع أهل مكة كتاب يذكر الذي هم فيه من غلاء أسعارهم وقلة ما بأيديهم منذ حُبس عنهم بحرهم وأجدب برُّهم وهلكت مواشيهم هزلاً.... وأنه إن لم يأتهم الله بفرج عاجلاً لم يصل كتابي حتى يهلك عامتهم أو بعضهم جوعًا، وهم رعية أمير المؤمنين أصلحه الله والمسؤول عنهم. فإن رأى الأمير، أصلحه الله، أن يلحَّ على أمير المؤمنين في إغاثة أهل مكة ومَن حولهم من المسلمين في بِّره وبحره بحمل الطعام والزيت إليهم قبل أن يُبتلى بهلاك أحد منهم جوعًا...»[١٥].

كما بعث برسالة إلى الخليفة أمير المؤمنين (شفاعة في زيادة أرزاق أهل الساحل) يقول فيها: «... وقد كان أمير المؤمنين، حفظه الله، قصُر بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام سلفًا من عطيّاتهم. وأمير المؤمنين، أصلحه الله، إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لامرئ ذي عيال عِشرة أو أدنى من ذلك أو أكثر كفافٌ، وإن قوَّت عشرة وقتَّر على عياله، فربما جمع الرجل عَشَرته في غلاء السعر في شراء طعام لعياله ما يجد منه بدًّا، ثم يدَّان بعد ذلك في إدامهم وكسوتهم وما سوى ذلك من النفقة عليهم في عشرة لقابل. ولو أجرى عليهم أمير المؤمنين، أصلحه الله، في أُعطياتهم سلفًا في كل عام خمسة عشر دينارًا ما كان فيها عن مُصلح ذي عيال فضل ولا قدر كفاف...»[١٦].

وعلى الرغم مما يذكر عن الإمام الأوزاعي من عدم التقرب إلى العاملين بالسلطة؛ حيث كان يقول: «ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً»[١٧]،

إلا أن ذلك لم يمنعه من تلبية استدعائهم إليه عند الحاجة العامة؛ فقد طلب الخليفة أبو جعفر المنصور من الإمام الأوزاعي أن يلقاه بدمشق، فلما نزل أبو جعفر دمشق استبطأه، وقدِم الأوزاعي إلى دمشق فترك إتيان أبي جعفر، وأتى ابنه المهدي فسلم عليه وهنأه بما أُسند إليه ودعاه، وحدثه بالحديث عن رسول الله ﷺ: «إنكم ستجدون أجنادًا، و تُفتح لكم مدائن وحصون؛ فمن أدرك ذلك فاستطاع أن يحبس نفسه في حصن من تلك الحصون فليفعل. وقد حبست نفسي في بعضها ورجوت أن يدركني أجلي فيها، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين ألقاه، ولست أدري كيف يكون التخلص منه إن لقيته، ولكن رأيت في لقائك خلفًا من لقائه، وفي إذنك خلفًا من إذنه. قال: وترى ذلك؟ قال: نعم. قال: فأُمر له بجائزة. ولما فقده أبو جعفر سأل عامله على دمشق والمهدي عنده قائلاً: ألم أُوجِّه إليك كتابي إلى عبدالرحمن؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين؛ جاءني فسلَّم عليَّ وهنأني بما أسند إليَّ أمير المؤمنين من الخلافة، ودعا لي دعاءً وقع بَرْدُه على قلبي، ثم أخبره بما حدَّثه به أنه استأذنني في الرجوع إلى مكتبه، وأعلمني أن في إذني له خلفًا من إذنك. فقال أبو جعفر المنصور للمهدي: فعلتها يا أبا عبدالله؟ قال: قد كان ذا، قال: ارحلوا»(١٨).

ومن بين رسائله التي بعثها إلى الخلفاء العباسيين: رسالته إلى الخليفة العباسي الأول أبي العباس عبدالله محمد بن علي (١٣٢-١٣٦هـ)، يعظه ويحثه على ما حلَّ بأهل قاليقلا - تقع بارمينية - وطلب الفداء؛ إذ استسهل رسالته بحثِّه على عمل الخير استرشادًا بأحاديث رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى غاية رسالته مخاطبًا الخليفة بقوله: «نسأل الله أن يسكن دهماء هذه الأمة على أمير المؤمنين، ويصلح به أمورها، ويرزقه رحمها والرأفة بها؛ فإن سياحة المشركين كانت عام أول في ديار الإسلام وموطئ حريمهم واستنزالهم نساء المسلمين وذراريهم من معاقلهم بقاليلا، لا يلقاهم من المسلمين لهم ناصر، ولا عنهم مدافع».

إلى قوله: «فليستعن بالله أميرُ المؤمنين، وليتحنَّن على ضعفاء أمته، وليتخذ

إلــى الله فيهن ســبيلاً، وليخرج من حجة الله عليه فيهــن بأن يكون أعظم همِّه و آثر أمور أمته عنده مفاداتهن؛ فإن الله حضَّ رســول الله صــلى الله عليه وســلم والمؤمنين على من أسلم من الضعفاء في دار الشرك، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[١٩]. هذا ولم يكن على المســلمين لوم فيهن، فكيف بالتخلية بين المشــركين وبين المؤمنات يظهر منهن لهم ما كان يحرُم علينا إلا بنكاح».

ثم يختم رســالته بالدعاء له بقوله: «وليعلم أمــير المؤمنين أنه راعٍ، وأن الله مستوفٍ منه وموفيه حين يُوقف به على موازين القسط يوم القيامة. أسأل الله أن يلقى أمير المؤمنين حُجته ويحســن به الخلافة لرســوله في أمته، ويؤتيه من لدنه أجرًا عظيمًا. والسلام عليك»[٢٠].

وزيــادة على ذلك، فقد خاطب وُلاةَ العباســيين في قضــاء حوائج العامة؛ إذ بعث رســالة إلى ســليمان بن مجالد - كاتب المنصــور - في التعطف عن الخليفة في التماســ الفــداء لأهل قاليقلا[٢١]، وبعث برســالة أخرى في أمــر قاليقلا إلى عم المنصــور، عيســى بن علي، يطلب فيها تذكير الخليفة بشــأنهم؛ يقول فيها: «وقد بلغنــي كتابك جواب مــا كنت كتبت به إليك في أهل قاليقلا، تذكر أنه أضــرَّ بهم أنــك لم تر أحدًا بــه طرق يقوم بذلك ولا يذكر به، وتأمــرني بمحادثتك فيهم إن قضى الله لك من غَزاتك إيابًا...»[٢٢].

وكشــفت رســالته إلى الوالي أبي بلج موعظته له في حسن السيرة في الرعية بأهــل الذمة؛ يقول فيهــا: «... وقد رأيــت كتبًا ظهرت فيما عندكم ومقالة ســوء بعقوبة فرط وصحبة غليظة للمسلمين، وقد أوصى رسول الله ﷺ بخفض الجناح لهم وبالرأفة بهم والمعدلة بينهم، يُعفى عن مسيئهم فيما يجعل العفو فيه، ويُعاقب المذنــب على قدر ذنبــه، لا يقتحم بالعقوبة وجهه؛ فإنه بلغنا أن صــكَّة الوجه يوم

القيامة لا تُغفر، فكيف من الموت أجمل من عقوبته لا يثنى إلى حدود الله عطفه، ولا يقف في سيرته على أمره يريد جهله أنه في الأمور مخيَّر، وأن غيَّه رشد، فهو لحرم الله عند غضبه ملغى، وبالعداة في دين الله وعلى عبادة يسفه، فإنكم جعلتم أمانتكم من أهل ذمتكم مأكلاً، وبين أهوائكم حتى هلكت الأموال وعلقت الرجال، مع المُثلة في اللحى وتقطيع الأبشار، ورسول الله ﷺ يقول فيما بلغنا: «من ظلم معاهَدًا، أو كلَّفه فوق طاقته، فأنا حجيجه. فأعظِمْ بندامة من رسول الله ﷺ عن قليل حجيجه! لقد أحدثت تلك الأعمال فيما بلغني من المسلمين ضغائن، ولبعض ذوي النهى في جهاده معكم [ارتيابًا] بما تأتيننا بذلك كتبهم يسألون عنه...» (٢٣).

كما كان الإمام الأوزاعي كريمًا زاهدًا، لم يكترث لمال أو تقرب من سلطان لاستغلال مصلحة خاصة؛ فقد روي عنه أنه قال: «ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً» (٢٤). فقد كان يهابه أمراء المسلمين مهابة كبيرة؛ قال ابن أبي العشرين: «سمعت أمير الساحل يقول، وقد دفنَّا الأوزاعي: رحمك الله يا أبا عمرو، لقد كنت أخافك أكثر من الذي ولاّني» (٢٥). وذكر ابن عساكر: إن واليًا بالشام قد أراد الأوزاعي على شيء، فلم يجده عنده فهمَّ به، فقال له أصحابه: دعه عنك! والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك، فكَف عنه» (٢٦).

غير أن ذلك لا يعني الاستغناء عن تقديم الموعظة والنصح لهم؛ فقد ترك أبا جعفر المنصور باكيًا خائفًا من لقاء الله تعالى، فيسأله عما فعله مع رعيته (٢٧)؛ لأنه في وعظه لهم وحرصه على نصحهم (٢٨) يسترشد بقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٩).

وروي أن أبا جعفر المنصور كتب إلى الأوزاعي: أما بعد، فقد جعل الله لرعيته قبلك في عنقه، فاكتب إليَّ بما رأيتَ فيه المصلحة، فكتب اليه الأوزاعي: أما بعد، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل، وتواضع يرفعك الله يوم

يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله تعالى عليك إلا وجوبًا»[٣٠].

لقد نال الإمام الأوزاعي مكانة مرموقة من لدن الخلفاء الأمويين والعباسيين؛ فقد ذكر ابن كثير أن الإمام الأوزاعي كان له في بيت مال المسلمين إقطاع صار إليه من بني أمية، ووصل إليه منهم ومن بني العباس نحوٌ من سبعين ألف دينار، فلم يمسك منها شيئًا، ولا اقتنى شيئًا من عقار ولا غيره، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه، بل كان ينفق ذلك في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين[٣١].

ولم يكن ميَّالاً إلى التقرب من الأمراء؛ روى أبو مسهر عن سعيد بن عبدالعزيز، قال: وَلِيَ الأوزاعي القضاء ليزيد بن الوليد، فجلس مجلسًا، ثم استعفى فأُعفي. وقال أبو زرعه: جلس لهم مجلسًا واحدًا[٣٢].

وذكر ابن عساكر أيضًا أن سليمان بن عبدالرحمن قال: قال عقبة بن علقمه البيروتي: أرادوا الأوزاعي للقضاء فامتنع وأبى فتركوه، قال: قلت لعقبه: وهم كانوا يُكرهون الناس على ما يريدون، فكيف لم يُكرهوا الأوزاعي، فقال: هيهات! إنه كان في أنفسهم أعظمَ قدرًا من ذلك[٣٣].

وأظهرت قصة لقائه مع عبدالله بن علي - عم السفاح - الذي دخل بلاد الشام وأجلى بني أمية عنها، وقتل الكثيرين منهم، شدة تمسكه بقول الحق والدفاع عنه، غير مكترث لما يعقبه من نتائج؛ يقول الأوزاعي: «دخلت عليه وهو على سرير، وفي يده خيزرانة، والمسوّدة عن يمينه وشماله، معهم السيوف مصلتة، فسلمت عليه فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التي بيده، ثم قال: يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظَّلَمة عن البلاد والعباد: أجهادٌ هو؟ قال: فقلت: أيها الأمير، سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت عمر

بــن الخطاب رضــي الله عنه يقول: ســمعت رســول الله ﷺ يقــول: «إنما الأعمال بالنيــات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورســوله، فهجرته إلى الله ورســوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصــيبها أو امــرأة يتزوجها، فهجرته إلــى ما هاجر إليه. قال: فنكت بالخيزرانة أشــد مــا كان ينكت، وجعل من حوله يقبضــون أيديهم على قبضــات ســيوفهم. ثم قال: يا أوزاعي، مــا تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رســول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مســلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثَّيِّب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة. فقال: فنكت بها أشــدَّ من ذلك. ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيديهم حرامًا، فهــي حرام عليك أيضًــا، وإن كانت لهم حلالاً، فلا تحل لك إلا بطريق شــرعي. قال: فنكت أشــدَّ مما كان ينكت قبل ذلك، ثم قال: ألا نولِّيك القضاء؟ فقلت: إن أســلافك لم يكونوا يشــقُّون علــيَّ في ذلك، وإني أحب أن تتم مــا ابتدؤوني به من الإحسان. فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائي حرمًا، وهم محتاجون إلى القيام عليهن وســترهن، وقلوبهن مشغولة بســببي. قال: وانتظرت رأسي أن يســقط بين يدي. فأمرني بالانصــراف. فلما خرجت إذا رســول من ورائي، وإذا معه مئتا دينار، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: استنفق بهذه. قال: فتصدقت بها، وإنما أخذتها خوفًا. قال: وكنت تلك الأيام صائمًا طاويًا»(٣٤).

ثانيًا: علاقته مع المجتمع:

لم يكــن الإمام الأوزاعي ببعيد عن مجتمعه؛ فقــد كان قريبًا من حاجاتهم، متابعًــا لأمورهم، لا يبخل عليهم بموعظة؛ يقول محمــد بن عجلان: «لم أر أحدًا أنصــح للمســلمين من الأوزاعي». وقال غيره: إن الأوزاعي «كان يعظ الناس، فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط، وكان إذا خلا بكى حتى يُرحم»(٣٥).

وحرصــ على تعليمهم؛ فقد روي أن إبراهيم بــن أدهم مر بالأوزاعي وحوله

الناس، فقال: «على هذا عهدت الناس كأنك معلم وحولك الصبيان. والله لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لعجَز عنهم. فقام الأوزاعي وترك الناس»[٣٦].

ويقول الوليد بن مسلم: «كنا إذا جالسْنا الأوزاعي فرأى فينا حَدَثًا، قال: يا غلام، قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم، قال: اقرأ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾. فإن قال: لا، قال: اذهب وتعلم القرآن قبل أن تطلب العلم[٣٧].

ولم يبخل على أحد بعلمه، ولم يقبل من أحد مالاً أو هدية لقاء ذلك؛ قال محمد بن عيسى: أهدوا للأوزاعي هدية أصحاب الحديث، فلما اجتمعوا قال لهم: أنتم بالخيار؛ إن شئتم قبلت هديتكم ولم أحدثكم، وإن شئتم حدثتُكم ورددت هديتكم. وفي قصة أخرى أنه كان يحب الخردل أو يتداوى به، فقال رجل من أهل صفُّورية: أنا أبعث إليك منه يا أبا عمرو، فإنه ينبُت عندنا كثير برِّيٌّ. قال: فبعث إليه منه بصُرَّة وبعث بمسائل، فبعث الأوزاعي الخردل إلى السوق، فباعه وأخذ ثمنه فلوسًا، فصرَّها في رقعته وأجابه في المسائل، وكتب إليه أنه لم يحملني على ما صنعتُه شيء تكره، ولكن كانت معه مسائل، فخفت أن يكون كهيئة الثمن لها. وهو القائل لولده: «يا بني لو كنا نقبل من الناس ما يعرضون علينا لأوشك بنا أن نهون عليهم»[٣٨].

وكان الإمام الأوزاعي يوقِّر أهل العلم. قال: «الناس عندنا أهل العلم»[٣٩]، وكان يعطيهم حقهم؛ يقول عطاء بن الخفاف: كنت عند الأوزاعي، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق الفزاري، فقال للكاتب: ابدأ به، فإنه والله خير مني»[٤٠].

كما كان الإمام الأوزاعي منفتحًا على العلوم، لا يستهين بأيٍّ منها، ولا يجد غضاضة في أن يتعلم أيَّ علم؛ فمن وصاياه قوله: «تعلم ما لا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به»[٤١].

وكان شديد التواضع، محبًا لمجتمعه؛ فعن أبي إسحاق الفزاري، قال: ما

رأيت أحدًا أشــد تواضــعًا مــن الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منــه، وإن كان الرجل لينـاديه، فيقول: لبيك»[٤٢].

وكان الإمام الأوزاعي مســتجيبًا للناس، أفتى بالكثير في شؤونه؛ يذكر الهقل ابن زياد أنه أفتى في سبعين ألف مسألة أو نحوها[٤٣].

وقــال آخر: «إنه أفتى في ثمانين ألف مســألة[٤٤]. وهو ما دفع البعض إلى أن يعتبره رجلَ عامة؛ فقد قال أبو إســحاق الفزاري: «ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي والثــوري؛ فأما الأوزاعي فكان رجل عامَّة، والثوري كان رجل خاصــة، ولو خُيِّرت لهــذه الأمة لاخــترت لها الأوزاعي؛ لأنه كان أكثر توســعًا، وكان والله إمامًا؛ إذ لا نُصــيب اليوم إمامًا، ولو أن الأمة أصابتها شــدة والأوزاعي فيهم، لرأيت لهم أن يفزعوا إليه»[٤٥].

ومن جانب آخر، فقد ذاعت أخبار مناظراته واشــتهرت بين أهل العلم؛ فقد ناظــر الكثيرين وتذاكــر معهم،ابتغاءً للحق ودفاعًا عن الإســلام، فهو من أشــد الناس مقتًا للجدل ونفورًا منه؛ قال الوليد بن مزيد: ســمعت الأوزاعي يقول: إذا اراد اللّه بقوم شرًّا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل[٤٦].

وزيــادة على ذلك، فقد كانت آراء الإمــام الأوزاعي في العقائد تتفق مع آراء الجماعة؛ إذ حض على التمســك بعقيدة أهل الســنة، ونفرَ مــن البدع؛ فقد رُوي عنــه أنه كان يقول لأبي إســحاق الفزاري: «اصــبر على الســنة، وقِف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكُفَّ عمَّا كفُّوا، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما يسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة»[٤٧].

ومن هنا فضَّله الإمام مالك على غيره؛ قال يحيى القطان عن مالك: «اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة، فقلت: أيهم أرجح ؟ قال: الأوزاعي»[٤٨].

وزيادة على ذلك، فقد اكتسب حضوره مكانة متميزة من حيث إسهاماته في تعليم المجتمع؛ فمن بين مناظراته المشهورة ما جرى مع الإمام مالك، فقد روي أنه اجتمع ومالكًا في مسجد رسول اللّه ﷺ، فتناظرا في المغازي فغمره الأوزاعي، ثم تناظرا في الفقه فغمره مالك[٤٩].

كما ناظر سفيان الثوري في موسم الحج بمنى في مسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه في الصلاة، حيث رأى الإمام الأوزاعي مشروعية ذلك ووجوبه[٥٠].

وناظر أيضًا رجالاً من أهل الفرق، فقد استدعاه الخليفة هشام بن عبد الملك لمناظرة رجل قَدَري، حيث قال الأخير للخليفة: ادع من شئت فيجادلني، فإن أدركت علي بسبب، فقد أمكنتُك من علاوتي (يعني رأسه)، فقال هشام: قد أنصفت. فبعث إلى الأوزاعي، فلما حضر الأوزاعي قال له هشام: يا أبا عمرو، ناظر لنا هذا القدَري، فقال له الأوزاعي: اختر إن شئت ثلاث كلمات... أخبرني عن اللّه عز وجل: هل قضى على ما نهى؟ قال القدري: ليس عندي في هذا شيء. فقال الأوزاعي: هذه واحدة، ثم قال الأوزاعي: أخبرني عن اللّه عز وجل: حال دون ما أمر؟ قال القدري: هذه أشد من الأولى، ما عندي في هذا شيء. فقال الأوزاعي: هذه اثنتان يا أمير المؤمنين، فقال الأوزاعي: أخبرني عن اللّه عز وجل: هل أعان على ما حرَّم ؟ فقال القدري: هذه أشد من الأولى والثانية، ما عندي في هذا شيء، فقال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين هذه ثلاث كلمات. فقال هشام بن عبد الملك للأوزاعي: فسِّر لنا هذه الثلاث الكلمات ما هي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين: أمَا تعلم أن اللّه تعالى قضى على ما نهى؟ نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بأكلها فأكلها. ثم قال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين، أما تعلم أن اللّه تعالى حالَ دون ما أمر؟ أمر إبليس بالسجود لآدم، ثم حال بينه وبين السجود. ثم قال الأوزاعي: أما تعلم يا أمير المؤمنين أن اللّه تعالى أعان على ما حرَّم؟ حرم الميتة والدم ولحم الخنزير، ثم أعان عليه بالاضطرار إليه.

فقـال هشـام: أخبرني عـن الواحدة ما كنت تقـول له؟ قال: كنـت أقول له: أخبرني عن مشـيئتك: مع مشـيئة اللّه عز وجل أو مشـيئتك دون مشـيئة اللّه عز وجل؟ فبأيها أجابني حلَّ ضرب عنقه.

قـال: فأخبرني عن الأربـع الكلمات ما هُنَّ؟ قال: كنت أقول له: أخبرني عن اللّه عز وجل حيث خلقك: خلقك كما شاء أو كما شئت، فإنه كان يقول: كما شاء، فأقول له: أخبرني عن اللّه عز وجل: يتوفاك إذا شئت أو إذا شاء؟ فإنه كان يقول: إذا شـاء، فأقول له: أخبرني عن اللّه عز وجل إذا توفَّاك أين تصـير: حيث شئت أو حيث شاء؟ فإنه كان يقول: حيث شاء.

قـال الأوزاعـي: يا أمير المؤمنين، من لم يمكنه أن يحسـن خلقه،ولا يزيد في رزقه، ولا يؤخّر في أجله، ولا يصيِّر نفسه حيث شاء، فأي شيء في يده من المشيئة يا أمير المؤمنين. إن القدرية ما رضـوا بقول اللّه تعالـى، ولا بقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول الملائكة، ولا بقول أخيهم إبليس[٥١].

وتصدى الإمام الأوزاعي لمسألة خلق القرآن التي أثيرت في عصره؛ فقد كان يقول: إن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر[٥٢].

ومـن جانـب آخـر، فقد عـرف عنـه اهتمامه بشـؤون أهـل الذمة وقضـاء مصـالحهم؛ فبالإضافة إلى ما تقدم من وصيته في رسالته التي بعثها إلى الوالي أبي بلج بشـأنهم[٥٣]، فقد أقام النكير على الأمير صـالح بن علي العباسـي حيث أوقع ببعض نصـارى جبل لبنان؛ فقد جاء في **فتوح البلدان**[٥٤] أنه خرج في جبل لبنان قوم شـكوًا عامل خراج بعلبك، فوجَّه صـالح بن علي بن عبداللّه بن عباس - عـم السـفاح - في قتـل مقاتليهم، وأقر من بقـي منهم على دينهـم، وردهم إلى قراهـم، وأجلـى قومًا من أهل لبنان عـن قراهم. فكتب الأوزاعي رسـالة طويلة حُفـظ منها: «وقد كان مـن إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئًا

لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت، فكيف تُؤخَذ عامة بذنوب خاصة حتى يُخرجوا من ديارهم وأموالهم،وحُكم الله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥٥] وهو أحق ما وُقف عنده واقتُدي به، وأحق الوصايا أن تُحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه قال: من ظلم معاهَدًا وكلَّفه فوق طاقته، فأنا حَجيجُه يوم القيامة»[٥٦].

كما كان الإمام الأوزاعي على صلات اجتماعية وثيقة معهم، فقد أهدى إليه نصراني جرة عسل، وقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك، يعني ليشفع له عنده. قال له الأوزاعي: إن شئت رددتُ الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة، ولم أكتب لك. قال: فرد الجرة وكتب له، فوضع عنه ثلاثين دينارًا. وإنما رد الهدية على الشفاعة خوفًا من الوقوع في الرياء[٥٧].

ويذكر أيضًا أنه نزل بأهل بيت من أهل الذمة وضيَّفوه،فقال لرجل منهم: ألك حاجة؟ فشكا إليه ما أُلزم من الخراج، فكتب إلى ابن الأزرق وكان غلامًا لأبي جعفر على الخراج، قال: فلما دفعت إليه وضعه على عينيه، فقال: حاجتك. فذكرها فقضاها له. ولما عاد إلى منزله أخبر زوجته، فقالت: اهد له هدية. وكان صاحبَ نحل، فملأ قُمقمًا شهدًا، وأقبل على الأوزاعي، فلما رآه الأوزاعي، قال له: ألك حاجة؟ قال: فأمر بقبضه، وسأله عن خراجه، فأخبره أنه بقي عليه ثمانية دنانير. قال: فتجدها؟ قال قد عسُرت علي في أيامي هذه، ثم دخل الأوزاعي منزله وأخرج إليه الدنانير. فقال: اذهب حتى تؤديها عنك، فأبى، قال: فخذ قمقمك، قال: يا أبا عمرو، وأي شيء ذاك؟ إنما ذاك من نحلي، قال: أنت أعلم، إن شئت قبلنا منك وقبلت منا وإلا رددنا ما عليك كما رددت علينا، قال: فأخذ النصراني الدنانير وأخذ الأوزاعي القمقم[٥٨].

وليس غريبًا أن يكون وقْع وفاتِه صدمة كبيرة لمجتمعه بكل أديانه؛ فعن سالم بن المنذر قال: لما سمعت الصيحة بوفاة الأوزاعي خرجت، وأول من رأيت:

نصراني قد ذَرَّ على رأسه الرماد، فلم يزل المسلمون من أهل بيروت يعرفون ذلك له، وخرجت في جنازته أربع أمم ليس منها واحده مع صاحبتها،وخرجنا يحمله المسلمون، وخرجت اليهود في ناحية والنصارى في ناحية والقبط في ناحية[٥٩].

الهوامش:

(*)جامعة الموصل ـ كلية التربية ـ مدير مركز دراسات الموصل السابق.

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق سكينة الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية (دمشق – ١٩٩٨) ٣٥/١٥٠؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام**، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، ط١، نشر دار الكتاب العربي (بيروت: ١٤٠٧): ٩/٤٨٤.

(٢) المصدر نفسه ٣٥/١٥٠، ٢٢٤، ٢٢٥؛ إسماعيل بن عمر، ابن كثير، **البداية والنهاية**، نشر مكتبة المعارف (بيروت: دت): ١٠/١٢٠.

(٣) **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (لبنان: دت): ٣/١٢١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن (الهند: ١٣٢٦هـ): ١١/١٠٢.

(٥) ابن عساكر – المصدر السابق: ٣٥/١٩٧.

(٦) سورة النساء الآية ٧٥.

(٧) سورة الانبياء: الآية ٤٧.

(٨) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط١، مطبعة السعادة (مصر،١٣٥٥هـ): ٦/١٣٥؛ عبدالرزاق قاسم الصفار، **الإمام الأوزاعي ومنهجه كما يبدو في فقهه**، نشر دار الرسالة (بغداد، ١٩٧٦)١١٧ـ١٢٠.

(٩) **تذكرة الحفاظ**، نشر دار إحياء التراث العربي (بيروت (د: ت): ١/١٨٣.

(١٠) المصدر نفسه: ١/٢٤٤.

(١١) زين الدين بن تقي بن عبدالرحمن الخطيب، **محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي**، نقَّحه وعلق عليه شكيب أرسلان، مطبعة الحلبي (مصر: دت): ١٢٠؛ الذهبي، **سير**

أعلام النبلاء، علق عليه وقدم له محمد أيمن الشيراوي، نشر دار الحديث (القاهره: ٢٠٠٦): ٥٥٢/٦.

(١٢) ابن عساكر، المصدر السابق: ١٩٠/٣٥.

(١٣) الخطيب، المصدر السابق ١٢٣-١٣٦.

(١٤) أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، **تقدمه المعرفة لكتاب الجرح والتعديل**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن (الهند، ١٩٥٢): ١٩٠.

(١٥) المصدر نفسه: ١٩١-١٩٣.

(١٦) المصدر نفسه: ١٩٣-١٩٤.

(١٧) الخطيب، المصدر السابق: ١٠١؛ عبدالله محمد الجبوري، **الإمام الأوزاعي حياته وآراؤه وعصره**: ٤٣.

(١٨) الرازي ، المصدر السابق: ٢١٤

(١٩) سورة النساء الآية: ٧٥.

(٢٠) الرازي، المصدر السابق: : ١٩٥-١٩٧.

(٢١) المصدر نفسه: ١٩٧-١٩٩.

(٢٢) المصدر نفسه: ١٩٩-٢٠٠.

(٢٣) المصدر نفسه: ٢٠٠-٢٠٢.

(٢٤) الخطيب، المصدر السابق: ١٠١-١٠٢.

(٢٥) ابن عساكر، المصدر السابق : ٣٥-٢٢٠؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**: ٤٩٦/٩، الجبوري، **الإمام الأوزاعي**: ٤٤.

(٢٦) ابن عساكر، المصدر السابق: ٣٥-٢٢٠.

(٢٧) الأصبهاني، المصدر السابق: ١٣٨/٦.

(٢٨) المصدر نفسه: ١٤٤/٦.

(٢٩) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

(٣٠) الرازي، المصدر السابق: ١٢٠.

(٣١) **البداية والنهاية**، نشر مكتبة المعارف (بيروت: دت): ١١٧/١٠؛ ابن عساكر: ١٩٨/٣٥.

(٣٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**: ٥٤٧٤/٦، ٥٥٠.

(٣٣) ابن عساكر، المصدر السابق: ٢٠٥/٣٥-٢٠٦.

(٣٤) الخطيب، المصدر السابق ٨٠-٨٢، ابن عساكر، المصدر السابق: ٣٥/٢١٠-٢١١.

(٣٥) ابن كثير، المصدر السابق: ١٠/١١٦

(٣٦) ابن عساكر -المصدر السابق: ٣٥/١٨٩.

(٣٧) المصدر نفسه: ٣٥/١٨٧.

(٣٨) المصدر نفسه: ٣٥/ ١٩٨-١٩٩.

(٣٩) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر أباد - الهند: ١٣٥٦): ٤/٢٢٩.

(٤٠) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**: ٨/٥٤٢.

(٤١) ابن عساكر: ٣٥/١٧٣.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**: ١/١٧٩؛ **شذرات الذهب**: ١/٢٤١.

(٤٤) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**: ١/١٧٩؛ **شذرات الذهب**: ١/٢٤١.

(٤٥) ابن عساكر ٣٥/١٧٢، الذهبي، **تاريخ الاسلام**: ٦/٢٢٧.

(٤٦) ابن عساكر ٣٥/٢٠١، الذهبي، **تذكرة الحفاظ** ١/١٧٩.

(٤٧) الأصبهاني، المصدر السابق: ٦/١٤٣، الخطيب، المصدر السابق: ١٣٨-١٣٩؛ ابن عساكر، المصدر السابق: ٣٥/٢٠٠.

(٤٨) الخطيب، المصدر السابق: ٦٧-٦٨.

(٤٩) ابن عساكر، المصدر السابق ٣٥/١٦٩؛ الخطيب، المصدر السابق: ٦٦.

(٥٠) عبدالله محمد الجبوري، **الإمام الأوزاعي حياته وآراؤه وعصره**، نشر جامعة بغداد، مطبعة دار الرسالة (بغداد-١٩٨٠): ٨٤-٨٥.

(٥١) الخطيب، المصدر السابق: ١٠٦-١١٠.

(٥٢) الجبوري، المرجع السابق: ١٩٥.

(٥٣) الخطيب، المصدر السابق، مقدمة المحقق: ١٣-١٤؛ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، نشر دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٠٣): ١٦٩ ؛ الجبوري، المرجع السابق: ٢٩٨-٢٩٩.

(٥٤) ص١٦٣.

(٥٥) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٥٦) سنن أبي داود: ٢/ ١٧١.

(٥٧) الخطيب، المصدر السابق: ١٠٤؛ ابن عساكر، المصدر السابق: : ٣٥/ ١٩٨.

(٥٨) الرازي، المصدر السابق: : ٢١٠-٢١١.

(٥٩) الخطيب، المصدر السابق: ٢٠٢؛ ابن عساكر، المصدر السابق: : ٣٥/ ٢٢٨؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**: ٦/ ٥٥٤.

استدراك ثالث
على ديوان حسان بن ثابت الأنصاري

الدكتور أحمد عبداللطيف بلتاجي(*)

طُبِـع ديوان الصـحابي الجليل حسـان بـن ثابت طبعات عـدة(١) أبرزها طبعتان؛ هما:

١- بتحقيق: سيد حنفي حسنين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢- بتحقيق: وليد عرفات، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤م(*).

وقـد اسـتدرك الشـيخ محمد حسـن آل ياسـين أربعين بيتًا علـى طبعتي (عرفات وحسنين) نشرها في **مجلة البلاغ** ببغداد، السنة السادسة، العدد الأول (١٩٧٦م) ص٥١، ٥٩(٢).

واستدرك سعيد الغانمي ستة وعشرين بيتًا على الطبعتين ذاتهما، نشرهما في **مجلة البلاغ**، السنة السادسة، العدد الخامس (١٩٧٦م) ص٥١، ٥٥(٣).

وتنبغي الإشـارة إلى أن اسـتدراك الشـيخ محمد حسـن آل ياسـين يغلب عليه الطابع المذهبي؛ فكثير من المصـادر التي عثر فيها على الأبيات المستدركة، هي مصـادر شـيعيّة تتبنى آراء مذهبية(٤)، مثل: مسـألة الوصـيِّ، وحديث «مَنْ كُنـت مـولاه». من هنـا، فالأبيات المسـتدرَكة كلها في مديح عليّ رضـي اللّه عنه،

وتـدور في فلـك الولاية له، وأنه وصـيُّ النَّبيِّ ﷺ من بعده. وقد تعرضـتُ في أثناء بحثي لنيل درجة الدكتوراه لهذه الآراء، فأبطلتُ منها ما خالف إجماع أهل السنة والجماعة(٥).

وقد عنَّ لي أبيات لحسّـان بن ثابت بلغت (واحدًا وسـتين بيتًا)، لم أرها في طبعتَـي الديـوان أو الاسـتدراك عليهما، مـع الإقرار بالجهد المبـذول في طبعتي الديوان، لا سيَّما طبعة الدكتور وليد عرفات.

يقول حسّان في رثاء عثمان رضي اللّه عنه(٦): (الوافر)

١- أَلا مَـن مُبلـغ الأنـصـارَ عني ... رسـالـةَ ناصـحٍ مـن ابـي الولـيـدِ
٢- فـإني خـائـفٌ شـفـقٌ عليكم ... مـغـبَّـة رأيـكُـم غـيـر الـرشـيـدِ
٣- فَــرَرتم مـن زعـانِـفَ عـانـدوه ... فـعـنـدَ الله عـــاداتُ الـشـهـيـدِ
٤- فـعـثـمـانُ بـن عـفـانٍ سَـلُـوه ... تُـصـيـبـوا أمـرَكـم لا مِـن بـعـيـدِ
٥- وقـومـوا دونَـه بـالـبِـيـضِ شهرًا ... كـمـا زحـفـت بـخـفَّـان أسـود(٧)
٦- فـإنـكُـم عـلـى أثـبــاجِ أمــرٍ ... ورأي غـيـر مـعـتـدلٍ رشـيـدِ(٨)
٧- وَفُـــوا لله في عـثـمـانَ حـقًـا ... ومـا أعـطـيـتـمـوه مـن الـعـهـود
٨- فـمـهـلاً لا تـقـولـوا لـلـيـالي ... ولـلأيـامِ في عـمـيـاءَ عـودي
٩- فـإنَّـا لـن نـعـودَ إلـى أنـيـسٍ ... بـخـيرٍ غـيـرَ مـعـتركِ الـعـبـيـدِ
١٠- وإني قـد أرى رأيًـا وأمـرًا ... سيكشِفُ بعدُ عن أمـرٍ شـديـدِ
١١- سيوشِكُ أنْ يكشَّفَ عن قليلٍ ... لأهـلِ الـرأي عـن أمـرٍ حـمـيـدِ
١٢- فـبـصِّـر أهـلَـهـا وأعِـنْ بـرأيٍ ... يُـعـاش بـفـضـلـهِ رأي سـعـيـد

ويقول حسّان أيضًا(٩): (البسيط)

١- يا مُحْكَمَ بنَ طُفَيْلٍ قد نصَحْتُ لكُم ... أتاكمُ اللَّيثُ ليثُ الحضْرِ والبادي[١٠]
٢- يا مُحْكَمَ بنَ طُفَيلٍ قد أُتيحَ لكُم ... لله دَرُّ أبيكُم حيَّةَ الوَادي
٣- يا مُحْكَمَ بنَ طُفَيلٍ إنَّكُمْ نَفَرٌ ... كالشَّاءِ أسلَمَها الرَّاعي لآسَادِ
٤- ما في مُسَيْلَمَةَ الكذَّابِ من عِوَضٍ ... من دارِ قومٍ وأموالٍ وأولادِ
٥- فاكْفُفْ حنيفةَ عنهم قبلَ ناعيةٍ ... تَنْعَى فوارسَ حَرْبٍ شَجْوُها بادِ
٦- ويلُ اليمامةِ ويلٌ لا قِوامَ لهُ ... إنْ حالتِ الخيلُ فيها بالقَنا الصَّادي
٧- واللهِ واللهِ لا تُثنَى أعنَّتُها ... حتَّى تكُونوا كأهلِ الحِجْرِ أو عادِ
٨- لا تأمنوا خالدًا بالبُرْدِ مُلْتَثِمًا ... وسطَ العَجَاجةِ مثلَ الضِّيغمِ العادي
٩- تعدُو به سرحُ الرِّجلينِ طاويةٌ ... قُبٌّ مُشرَّفةُ المتنينِ والهادي

ويقول أيضًا[١١]: (المتقارب)

١- حَنيفَةُ قد كادَكِ الكائدُ ... وبعدَ غدٍ جمعُهمْ هامدُ
٢- فَويلُ اليَمَامةِ وَيْلٌ لها ... إذا ما أناخَ بهم خالدُ
٣- فلا تأمَنُوهْ على غِرَّةٍ ... وهل يُؤْمَنُ الأَسدُ اللابدُ
٤- هو القاتِلُ القومَ يومَ البُزاخِ ... وقد طَاعَنُوهُ وقد جَالَدُوا[١٢]
٥- وأوْطَا بني أسَدٍ ذِلَّةً ... وذُبْيانَ أوطا وقد عَانَدُوا
٦- فوَلَّى طُلَيْحَتُهمْ هاربًا ... وما مِثْلُهُ منكمُ واحدُ
٧- وقادَ عُيَيْنَةَ في غِلِّهِ ... فسُبَّ به الجَدُّ والوالدُ[١٣]
٨- وأمكَنَهُ اللهُ من قُرَّةٍ ... ومالكٍ إذْ كُفْرُهُ تالدُ[١٤]
٩- وأنتمْ غدًا مثلُهُ بَهْلَةٌ ... يُعْنَى بها الصَّادرُ والواردُ[*][١٥]

وقال أيضًا[١٦]: (المتقارب)

١- أنيبُوا إلـى الحـقِّ يـا قومَنَا   فــإنِّي لـكم نـاصـحٌ فـاقْبـلُوا
٢- ولا تـأنَفُوا الـيومَ أن تَـرْجِعُوا   فــإنَّ الــرجـوعَ بـكـم أجْـمَـلُ
٣- رَمَـيْـتُ بنُصْـحي لكم جاهـدًا   فـلا تَــرْتَـدُوا ثُـمَّ تَسْـتَجْهِـلوا
٤- فـأنـتـمُ أُنـاسٌ لـكـم سُــؤْدَدٌ   ويُـنْـمِـيكُمُ الـشَّـرَفُ الأطْــوَلُ
٥- صِـبَـاحُ الـوجـوهِ نَمـاكُـمْ إلـى   كــريم الـثَّـنَـا الـشَّـرَفُ الأوَّلُ
٦- فشِيمُوا السيوفَ ولا تبعَثُوا   حُــروبًــا تَــذِلُّ بـهـا الـنُّــزَّلُ

وله أيضًا[١٧]: (الكامل)

١- هـل راكِـبٌ يَـرِدُ المدينـةَ مُخبِرًا   رَهْـطَ الرسُولِ وسَادةَ الأنْصَارِ
٢- ويـقـولُ للصـدِّيقِ عِـنْـدَ لقائِه   والـدَّمْـعُ يَهْملُ كالبَـدِيِّ الجاري
٣- إنَّـــا حُـصِـــرْنَـا فِي تَـــرِيمَ كأنَّنا   نحنُ النُّكُوصُ بها على الأدْبَـارِ
٤- حَشَدَتْ لنا أمْلاكُ كِنْدَةَ واعتدَتْ   بـالمُرْهَـفَـاتِ وبـالقَـنَـا الخَـطَّـارِ
٥- فـامْنَعْهُمُ بمُهَاجرينَ فَوَارِسٍ   فُـرْسَـانِ صِـدْقٍ من بني نَجَّـارِ
٦- وبـكـلِّ قَــرْنٍ فِي الـهِـيَاجِ مُـهَـذَّبٍ   يـسـمـو بـعَـضْـبٍ صَــارمٍ بـتَّـارِ

وقال في الغزل[١٨]: (الكامل)

١-أنسيمُ ريقِكِ أُخـتَ آل العنبرِ   هذا أم استنشَأْته من مجمرِ ؟[١٩]
٢- أبـديـدُ ثـغـرِك مـا أرى أم لمحة   من بارق أم معدن من جوهرِ[٢٠]
٣- أودعتني ببريق ثغرِك حُرقةً   ألـهْبـتِ جمرتها بطـرفٍ أحـورِ
٤- ونشرتِ فرعَك فوق متنٍ واضحٍ   وطويتِ كشحَك فوق خصرٍ مُضمرِ
٥- قولي لِطَرفكِ أنْ يكفَّ عن الحشا   سطواتِ نيرانِ الهوى، ثمّ اهجري[٢١]
٦- وانهَيْ جمالك أنْ ينال مَقاتلي   فينالَ قومَك سطوة مِن مَعشري[٢٢]

٧- إنَّي من القومِ الذين جِيادُهم طلعتْ على كِسْرى بريحٍ صَرْصرِ[٢٣]

٨- وسَلَبْنَ تاجَ المُلك قسرًا بالقنا وأخذنَ قهرًا دربَ آلِ الأصفَرِ[٢٤]

٩- آبايَ من كهلان أربابُ العلى وبنو الملوك عمومتي من حميرِ

١٠- قُدنا من اليمنِ الجيادَ فما انثنتْ حتى حوتْ بالصينِ مهجةَ بعبرِ[٢٥]

١١- ورمت سمرقندًا بكل مثقَّفٍ لهجٍ بأحشاءِ الفوارسِ أسمرِ

١٢- ووطئنَ أرضَ الشام ثم وفارسًا بالحارثِ اليمني وابنِ المنذرِ

١٣- صبحت بلادَ الهند بالبيضِ التي صبحت بها كسرى صبيحة دستر[٢٦]

١٤- ونصرنَ في الأحزابِ حزبَ محمدٍ وكسونَ مؤتةَ ثوبَ موت أحمرِ

١٥- وطلعنَ من رجوى حنين شزَّبا يحملن كل سليل قوم مسعرِ

١٦- ما إن يريد إذا الرماح تشاجرت درعًا سوى سربال طيبِ العنصرِ

١٧- يلقى الرماح الشاجرات بنحره ويقيم هامته مقام المغفرِ[٢٧]

١٨- ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا فهدمت ركنَ المجد إن لم تعقرِ[٢٨]

١٩- وإذا تأملَ ضيفَ شخص طارقٍ متسربلٍ أثوابَ مَحْلٍ مقترِ[٢٩]

٢٠- أوْما إلى الكوماء هذا طارقٌ نحرَتنيَ الأعداءُ إن لم تُنحري

٢١- كم قد ولدنا من نجيبٍ قسْوَرٍ دامي الأظافرِ أو ربيعٍ ممطرِ[٣٠]

٢٢- سلكتْ أناملُه بقائم مرهفٍ وبنشر فائدة وذروة منبرِ[٣١]

٢٣- كم فوقَ وجهِ الأرضِ من ذي قوةٍ لولا فواضلُ رِفدِنا لم يُذكرِ

٢٤- لولا صوارمُ يَعرُبَ ورماحُها لم تسمع الآذانُ صوتَ مُكبرِ

٢٥- نحنُ الذين نذلُّ أعناقَ القنا ونعزُّ بالمعروف قلَّ المعسرِ

٢٦- قحطان والدنا وهود جدنا بهما غَنينا عن ولادة قيدرِ[٣٢]

٢٧- قحطانُ قومي ما ذكرتُ فخارهم إلا علوت على سنام المخفرِ

٢٨- السابقون إلى المكارم والعُلى والحائزون غدًا حياضَ الكوثرِ

٢٩- فإذا أردت بأن ترى مسعاتنا فَصِلِ النواظر بالسِّماك الأزهر

٣٠- لو رامت الجوزاء أن تعلو على أدنى ذؤابة مجدنا لم تَقدِرِ

٣١- ثم الصلاة على النَّبيِّ وآله ما لاحَ برقٌ في غمام ممطرِ

الهوامش:

(*) دكتوراه في الأدب والنقد ـ معلم لغة عربية لدى مدارس رياض القرآن الأهلية بجدة.

(*) **العرب**: نشر **ديوان حسان بن ثابت** بتحقيق د. وليد عرفات، لأول مرة في لندن سنة 1971م، ضمن سلسلة جب التذكارية، وصدر عن دار بلزاك في مجلدين. أ.م.ض

(١) منها: **شرح ديوان حسان بن ثابت**: عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، ١٩٢٩م، ومنها: تحقيق: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م، وتحقيق: عبدالله سنده، دار المعرفة، ٢٠٠٦م، لكنها طبعات تفتقر إلى المنهج العلمي.

(٢) **فهرس دواوين الشعر والمستدركات في الدوريات والمجاميع**، أعدَّه محمد جبّار المُعيبد، معهد المخطوطات العربية، ط ١، ١٩٩٨م، ص٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩.

(٤) انظر على سبيل المثال: **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب**، و**تذكرة الخواص**، **المسترشد في إمامة أمير المؤمنين**، وكتاب **الفصول المهمة**، وكتاب **مناقب آل أبي طالب**.

(٥) انظر: **شعر الأنصار في صدر الإسلام دراسة تحليلية**، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٥م، ص٤٦ وما بعدها.

(٦) كتاب **الرِّدة والفتوح**: لسيف بن عمر التميمي الضبي الأُسيدي، تحقيق قاسم السامرائي، دار أُمية للطباعة، الرياض ١٩٩٧م، ٢/٢٣١، وانظر: **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد** عثمان: للقاضي محمد بن يحيى بن أبي بكر الأندلسي، تحقيق كرم حلمي فرحات أحمد، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٩٥.

(٧) خفان: موضع قرب الكوفة (**معجم البلدان**).

(٨) أثباج: ثَبَجُ كلِ شيء: معظمه ووسطه وأعلاه، **اللسان** (ثبج).

(٩) كتاب **الرِّدة** مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة: المنســوب إلى الواقدي، تحقيق. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م، ص١١٣، ١١٤.

(١٠) ورد البيت الأول فقط في طبعة وليد عرفات، ٤٦٨/١.

(١١) كتاب **الرِّدة** للواقدي، ص١١٦.

(١٢) يوم البزاخ: أحد أيام الحروب التي خاضها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(١٣) عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، كان من المؤلفة قلوبهم. انظر: **معرفة الصحابة** لأبي نُعيم الأصبهاني، ص٢٢٤٧.

(١٤) قرة بن هبيرة بن عامر القشــيري. قال له النّبيُّ ﷺ: «أفلح مَن رُزق لُبًّا». انظر: **الإصــابة** ٥٩/٩. ومالــك بن نُويــرة التميمي اليربوعي، منع الــزكاة بعد وفاة النّبيِّ ﷺ، وقتلــه خالد بن الوليد بعد حروب الرّدة. المرجع السابق ٤٩٣/٩.

(١٥) بهلة: إبل سارحة مُهملة دون راعٍ، اللسان (بهل).

(*) **العرب**: هذا البيت مختل في الأصل.

(١٦) كتاب **الرِّدة**، ص١٩١.

(١٧) كتاب **الرِّدة**، ص ١٩٥، ١٩٦.

(١٨) وردت القصيدة كاملة في **أنوار الربيع**: لابن معصوم، وقد علق عليها ابن معصوم قائلاً: **ديوان حسـان** قليل الوجود. وهذه القصــيدة لم أرها في غير ديوانه ٢٧/٤، ٢٨، ٢٩. والأبيات ١، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ في طبعة سيد حنفي ص٣٨٧.

(١٩) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

أنسيـم ريحك أم خيــار العنبـر ... يا هذه، أم ريـح مسـك أزفر؟

(٢٠) البديد: المثيل والنظير، اللسان (بدد).

(٢١) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

قولي لطيفك أن يصدَّ عن الحشى ... سطوات نيران الأسى ثم اهجري

(٢٢) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

وانهي رماتك أن يصبن مقاتلي ... فينال قومك سطوة من معشري

(٢٣) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

إنـا مـن النفر الذين جيادهم ... طلعت على كسرى بريح صرصر

(٢٤) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

وسلبن تـاجي ملك قيصر بالقنا ... واجتزن باب الدرب لابن الأصفر

(٢٥) (بعبر) الظاهر أنه اسم شخص.

(٢٦) لعلها (تُستر) التي فتحها المسلمون سنة ١٧هـ بقيادة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢٧) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

يلقى الرماح بوجهه وبصدره ويقيم هامتَه مقام المغفر

(٢٨) ورد في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

ويقول للطرف اصطبر لشَبا القنا فهدمت ركن المجد إن لم تصبر

(٢٩) في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

وإذا تأمل شخصَ ضيف مقبل متسربل سربال ثوب أغبر

(٣٠) في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

كم قد ولدنا من كريم ماجد دامي الأظافر أو ربيع ممطر

(٣١) في **نهاية الأرب** ١٩٢/٣:

خُلقت أنامله لقائم مرهف ولبذل مكرُمة وذروة منبر

(٣٢) قيدر: ربما يريد (قُدار) أحد أجداد الأوس والخزرج.

العرب: (قيدر): هو ابن إسماعيل عليه السلام.

الدكتور تمَّام حسَّان

عبقري العربية وفارسها الجسور

د. أحمد إسماعيل عبدالكريم(*)

الدكتــور تمَّام حسَّــان من علماء الأمة الأعــلام، لعب دورًا بارزًا في دراســة العربية، فاستحق عن جدارة أن يكون رائد الدراسات اللغوية، والباعث لأصولها، فحســبه أن كان له قصب الســبق في محاولة تجديد الفكر النحوي، والخروج عن النمطيــة بما شــابها من قصــور، وما اعترى دارســيها من فتور، وخروجٍ ســافر عن مقصــديَّة اللغة من حيث إنها وسيلة اتصــال وأداة فكر، وذلك بما أوتيه من رجاحة العقل وســعة الأفق، وعمق الفكر وحسن الروية، مما مهَّد له الاطِّلاع على التراث، ســابرًا أغواره، مستكنهًا أسراره، فمن خلال ثقافته اللغوية التي جمعت بين الحضارة والمعاصرة، استطاع أن يزاوج بين التراث ومعطيات الدرس اللغوي الحديث، فلم ينكر التراث بما له من أثر في حفظ اللغة والهوية، ولم تمنعه أصوله المحافظــة عن الإفادة مــن الجديد الذي يتلاءم مع خصوصــيتنا، ولا يتنافى مع لغتنا وخصائصــها، ولقد كانت خطواته في ســبيل ذلك مجازفة وأي مجازفة!!، فقــد لقي بعض النفور وكثيرًا من الجحود من المتشــبثين بالقديم لقدمه، لا غير؛ وذلــك لأنه ـ رحمه الله تعالى ـ لم يُســبق لمثل هذه الجهود في مجتمع يضــفي على القديم والتراث وأصولهما هالة من القداسة.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو تمَّام حسَّـان عمر داود. أمَّا عن كنيته، فيذكر في توقيعاته مقدمات كتبه بأبي هانئ، وهو ابنه الوحيد.

مولده ونشأته:

ولد العالم اللغوي الكبير تمَّام حسَّان ـ رحمه الله تعالى ـ في ٢٧ من يناير سنة ١٩١٨م، بقرية الكرنك، إحدى قرى مركز أبي تشت بمحافظة قنا بصعيد مصر.

أما عن نشـأته؛ فكعادة المصـريين يهتمـون بحفظ أبنائهم القـرآن الكريم وحسن تجويده وتلاوته، أتم تمَّام حسَّان حفظ القرآن الكريم وتجويده على قراءة حفص سـنة ١٩٢٩م، ثم غادر قريتـه ليلتحق بمعهد القاهرة الديني الأزهري في السـنة الدراسية: ١٩٣٠- ١٩٣١م، وفيه حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سـنة ١٩٣٤م، وعلى الشهادة الثانوية الأزهرية سنة ١٩٣٩م[١]، والتحق بعد ذلك بمدرسـة دار العلـوم العليا (كليـة دار العلوم بجامعـة القاهرة حاليًا) وحصـل على الدبلوم في اللغة العربية سـنة ١٩٤٣م. وفي العام ١٩٤٥م حصـل على إجازة التدريس من دار العلوم بعد أن أمضـى فيها سنتين لدراسة التربية وعلم النفس، وكان ترتيبه الأول على فرقته[٢].

وبعد تخرجه مباشـرة عينته وزارة المعـارف (وزارة التربية والتعليم حاليًا) معلمًا للغة العربية بمدرسـة النقراشـي النموذجية عـام ١٩٤٥م، ولم يمكث بها طويلاً؛ إذ سـرعان ما اختارته دار العلوم معيدًا بها، وأوفدته في بعثة دراسـية في شـباط ١٩٤٦م إلـى جامعة لندن ليتخصـص في علم اللغة بمشـورة من الدكتور إبراهيم أنيس[٣].

ولـذا كان عليه أن يتعلم اللغة الإنجليزية، فبدأ هناك بتعلمها فأتقنها خلال عام واحد من التحاقه بالجامعة، وانتظم في الدراسـة بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية التابع لجامعة لندن، وحصـل فيه سنة ١٩٤٩م على شهادة الماجستير

في علم اللغة العام فرع الأصوات اللغوية، عن أطروحته دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر [٤] ثم حصل على الدكتوراه في الفرع نفسه سنة ١٩٥٢م، وكان عنوان هذه الدراسة **دراسة صوتية وفونولوجية للهجة عدن في جنوب بلاد العرب** [٥].

ولا شك أن مثل هذه الدراسات يتطلب عملاً ميدانيًا ومقابلات مع متكلمي هذه اللهجة في ضوء شروط ومزايا خاصة بمن ستؤخذ عنهم الاستبيانات، ليكون الاستقراء سليمًا، ونتائج التحليل واقعية، ولذا اقتضى ذلك سفره إلى عدن، وأقام بها ستة شهور في العام ١٩٥١م، وبعد شهر واحد من حصوله على الدكتوراه، عاد إلى مصر وعُيِّن في أغسطس ١٩٥٢م مدرسًا بكلية دار العلوم - قسم فقه اللغة[٦]. وفي العام ١٩٥٧م أرسلته الكلية إلى أمريكا لاختيار أجهزة حديثة لمعمل الأصوات اللغوية والتدريب على استخدام هذه الأجهزة، وكيفية استخراج النتائج منها، وجلب معه أجهزة إلكترونية متطورة كوَّنت نواةً لمعمل لغوى متكامل.

وفي العام ١٩٥٩م رُقِّي إلى درجة أستاذ مساعد، وانتدب سنة ١٩٦١م للعمل مستشارًا ثقافيًّا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة في العاصمة النيجيرية (لاجوس)، فأولى اهتمامًا خاصًّا للتعاون الثقافي بين البلدين، فشهدت هذه الفترة إقبال الطلبة على الوفود إلى مصر للنهل من العلوم العربية والشرعية، فكثرت البعثات إلى الأزهر والجامعات المصرية، ولا سيما الكليات المعنية بتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية[٧].

وأثناء فترة عمله في نيجيريا تقدم بإنتاجه العلمي لكلية دار العلوم للحصول على درجة أستاذ كرسي في النحو والصرف، ورُقي إلى هذه الدرجة العلمية سنة ١٩٦٤م. وفي مطلع العام ١٩٦٥م عاد إلى مصر ليشغل منصبيْ رئيس قسم النحو والصرف، ووكيل كلية دار العلوم، واستمرّ على هذه الحال مدة عامين، أعير بعدهما إلى جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٧م، وهناك كلفته الجامعة بإنشاء قسم للدراسات اللغوية، وعهدت إليه برئاسته[٨].

وعـاد في سـنة ١٩٧٠م إلى كليـة دار العلوم، الكلية الأم، فشـغل المنصـبين السابقين، ثم عُيِّن في سنة ١٩٧٢م عميدًا للكلية، وكُلِّف مع العمادة بأمانة اللجنة الدائمة للغة العربية (لجنة ترقيات الأساتذة) التابعة للمجلس الأعلى للجامعات المصـرية لمدة ثلاث سـنوات) ١٩٧٠- ١٩٧٣م)، كما أسـس خلال العام ١٩٧٢م الجمعية اللغوية المصـرية، وانتُخب أول رئيس لها، وأنشـأ أول قسـم للدراسـات اللغوية بجامعة الخرطوم في السودان، وأعير إلى جامعة محمد الخامس بالرباط في العام ١٩٧٣م، وظل يعمل في المغرب حتى صيف عام ١٩٧٩م .

وفي العـام ١٩٨٠م عـاد إلـى مصـر وانتُخـب عضـوًا بمجمع اللغـة العربية بالقاهرة، في المكان الذي خلا بوفاة الأسـتاذ الدكتور إبراهيم عبدالمجيد اللبَّان (ت١٩٧٧م)، وبقي بالمجمع مدة ثماني سـنوات يؤدي رسالته المجمعية على أكمل وجه، حتى استقالته من عضوية المجمع سنة ١٩٨٨م.

وقَّع في صيف ١٩٨٠م عقدًا للعمل أستاذًا بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بهـا بمكة المكرمة/ بجامعـة الملك عبدالعزيز (جامعة أم القـرى حاليًا)، وأثناء عمله بالمعهد كُلِّف بإنشـاء قسـم جديد هو «قسم التخصـص اللغوي والتربوي»، يتخـرج فيـه معلمو اللغـة العربية لغير الناطقين بهـا، وعُيِّن رئيسًـا له منذ ذلك الحين حتى أواخر العام ١٩٩٤م، حيث قدم اسـتقالته الاضـطرارية من رئاسـة القسـم؛ ليتـم تعيينه بعدها نائبًـا لرئيس وحدة البحوث والمناهـج بالمعهد، وظل يواصـل عطاءه العلمي بالمعهد حتى أواخر العام ١٩٩٦م، بانتهاء عقده بالجامعة نظرًا إلى بلوغه السن القانونية، وعاد إلى مصر بعد ستة عشر عامًا قضاها بمكة المكرمة وجامعتها أم القرى ليعمل أستاذًا متفرغًا بكلية دار العلوم.

وفي العـام ٢٠٠٥م أُعيد انتخابه عضـوًا بمجمع اللغـة العربية بالقاهرة، في المكان الذي خلا بوفاة أحد أعضاء المجمع، وظل مواظبًا على الذهاب إلى المجمع وحضور ندواته برغم تقدم السن به، حتى وافته المنية.

وصفه وسماته الشخصية:

نشأ الدكتور تمَّام حسَّان في بيئة تعتز بقيمها ومبادئها التي لا يُغتفر الخروج عنها أو التهاون فيها، وقد التزم طوال حياته بالقيم والمبادئ التي ترعرع فيها، ولم يحد عن الحياة التي عاشها، وقد عُرف - وهو العالم اللوذعيّ، واللغوي الجهبذ والإمام الجليل والعبقري الفذ - بدماثة خلقه، وذوقه الجم، وأدبه الرفيع، فقد حظيتُ بشرف النهَل من علمه وتعاملت معه عن كثب، فقد يعجز قاموسي اللغوي عن وصفه، فحسبك قربه على بعد المسافات، فإذا هاتفتَه فلن تعدم الرد في ثوانٍ معدودة، وإذا أردت مقابلته فلن تجد في وجهك بابًا موصودًا، بل كان - رحمه الله تعالى - قريبًا من تلاميذه، متفهمًا لظروفهم، مستوعبًا لما يدور في مخيلتهم، فقد كان في عون كل طالب علم، فلم يعرف الكلل ولا الملل، ولا التسويف أو المماطلة، ولم يبخل بوقته عن أحد، أي أحد لجأ إليه، وقد اتسم بروحه العلمية العالية، وصدره الواسع، وعدم ضيقه بالرأي الآخر، وقد أفاد منه تلاميذه الكثير، فقد أضفى علينا من خُلقه وعلمه. وعلى المستوى الشخصي أفدتُ منه الكثير، فبالإضافة إلى كل ذلك أنه زرع حب استقلالية الرأي في روحي العلمية، وكان يؤمن بضرورة تعزيز الآراء بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، ولا مكان بين دفتي بحوثه للحجة الواهية.

ولك أن تتحدث عن تواضعه الشديد، وشغفه بالعلم وحبه لتلاميذه، وإخلاصه في عمله وما يُوكَل إليه من مهام، ويؤكد ذلك ما سطَّرَته حياته العلمية والعملية، فلم يخطُ خطوة واحدة إلا كان له فيها بالغ الأثر، ففي الفترة التي قضاها في العاصمة النيجيرية مستشارًا ثقافيًا بالسفارة، شهدت البلاد - في ظل حيويته ونشاطه الثقافي والإنساني - تعاونًا ملحوظًا في المجال الثقافي، وفُتحت الجامعات المصرية لاستقبال وفود الطلاب لتحصيل العلوم العربية والشرعية في الأزهر وغيره. وكانت له صولات وجولات في الجامعات العربية، فقد كان بحسه

الوطنـي وغيّرته على حياض الأمة يرى العالم العربي والإسـلامي محصـورًا في وجدانه، متربعًا في قلبه، فقد أنشأ في جامعة الخرطوم قسمًا للدراسات اللغوية، ولم يتـوانَ عـن أداء دوره المنوط به في جامعة أم القرى، فقد كُلِّف بإنشـاء قسـم (التخصـص اللغوي والتربوي) بمعهد اللغة العربية لغـير الناطقين بها؛ لتأهيل الكـوادر وتخريجهـا على قدر من الكفـاءة وتعليم غير الناطقـين بالعربية لفهم العربية واستيعابها، ومن ثم فهْم الإسلام وشرائعه، وقد ظل الرجل طوال حياته يواصل عطاءه بجد وإخلاص، باذلاً كل ما في وسعه، دون تراخٍ أو قصور.

وقـد اتسـم الدكتـور تمَّام حسَّـان بمحافظتـه على هويتـه العربيـة والقيم والمبادئ، وتمسكه بتراث أمته، والمحافظة على أصوله وأصالته؛ فيكفي أنه سافر إلـى الغرب، فلم يُفتتن ببريق مدنيَّة الغرب، ولم تُغرِه رفاهيته ولا ترفُه، ولم يغير جلده ولا جلدته، ولم يحد عن القيام بأداء واجب البحث في مهام غربته، بل كان كصائد اللؤلؤ في حنكته، لا يشفي غليله إلا النفيس بل الأنفس.

وممـا يؤكـد محافظته علـى التراث وتمسـكه بقيم السـابقين مـا قاله من تقـدم علماء العربية وأسـبقيتهم غيرهم من الغرب: «ولقـد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي (المقام) و(المقال) باعتبارهما أساسيْن متميزيْن من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشـوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصـر في دراسة اللغة»[٩].

وقد اتصـف الدكتور تمَّام حسَّـان بالروح العلمية، بـكل ما تحمل الكلمة من معـانٍ، فلم ينكر جهود السـابقين، بـل كان ذا نظرة ثاقبة، وكان من الموضـوعية بمـكان، فلم يحِـد عنها، ولم يكـن للهوى في صـرامة فكره نصـيب، فلم يكن ذا شطط في حكمه، ولا تزمُّت في رأيه، ويبدو ذلك واضحًا فيما ورد من نقد أو تعليق

على ما ورد في التراث النحوي العربي، ولا سيما **كتاب سيبويه** باعتباره نبراس النحاة وسراجهم لدخول هذا العلم؛ يقول: «وهكذا نجد في **كتاب سيبويه** دراسة كاملة لأصوات العربية، ولكنَّ هذه الدراسة كانت ملحقة بالنحو، لا ممهِّدة له، ولا مُعينة على فهمه كما ينبغي لها أن تكون، ذلك بأنها جاءت في آخر الكتاب، فلا يراها القارئ إلا بعد الفراغ من النحو والصرف، وفي وضعها هذا الموضع من الكتاب دليل على أن النحاة لم يكونوا يقدرون العلاقة العضوية التي تربط الأصوات والنحو حق قدرها»[١٠].

ويُشهَد للدكتور تمَّام حسَّان أنه كان عالمًا تجلت فيه أخلاقيات العلماء وسلوكياتهم، فقد اتسم بالموضوعية، فلم يتعصب لرأي، ولم يتشبث بفكرة لمجرد أنها تُنسب إليه، وقد تلقَّى سهام النقد التي تجاوزت حد الموضوعية إثر كتابه **اللغة العربية معناها ومبناها** بصدر متسع وابتسامة واثقة، وقد استجاب بوجه خاص لتلك الملاحظة العلمية البنَّاءة التي أبداها كثيرٌ من الباحثين من أن نظريته في القرائن النحوية تفتقر إلى التطبيق العملي والعلمي على أبواب النحو جميعها، فكان ذلك مدعاةً لتأليف كتابه **الخلاصة النحوية**[١١].

مصنفاته وجهوده اللغوية:

آثاره العلمية:

لا يمكن حصر آثار أستاذنا الدكتور تمَّام حسَّان؛ لأنها لا تنحصر في مؤلفاته، ولا تقتصر على بحوثه ودراساته، وإنما تتعدى ذلك لتشمل الرسائل العلمية التي أشرف عليها، والمؤتمرات والندوات التي أُقيمت في طول البلاد العربية وعرضها، ناهيك عما يقدمه من توجيهات وإرشادات، بل يتعدى كل ذلك ليضم آراءه النحوية واللغوية في تراث اللاحقين ممن استقى من فكره وعلمه، وهم كُثر لا يمكن حصرهم ما دامت الحياة وبقيت العربية، وتنقسم آثاره العلمية

إلى مؤلفات ومترجَمات وبحوث:

أولاً: المؤلفات:

لأستاذنا الدكتور تمَّام عددٌ من المؤلفات، يشكِّل كل مؤلَّف منها فتحًا جديدًا في بابه، ومن أشهر مؤلفاته:

١- مناهج البحث في اللغة.

٢- اللغة بين المعيارية والوصفية.

٣- اللغة العربية: معناها ومبناها.

٤- الأصول... دراسة إبستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي.

٥- التمهيد في اكتساب اللغة لغير الناطقين بها.

٦- مقالات في اللغة والأدب (جزءان).

٧- البيان في روائع القرآن (جزءان).

٨- الخلاصة النحوية.

٩- خواطر من تأمل لغة القرآن.

١٠- حصاد السنين من حقول العربية، القاهرة، ٢٠١٢م.

١١- الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، القاهرة ٢٠١٢م، صدر بعد وفاته رحمه الله تعالى.

ترجماته:

من البداهة ألاَّ يقتصر نتاج الدكتور تمَّام حسَّان على التأليف والبحث، وهو العالم اللغوي الجسور، الذي اطَّلع على معظم النظريات اللغوية في الغرب، وقد

أُوتـي عقليــة فطِنــت أهميةَ اللغة، ومن ثم أسـهم في عملية النقـل والترجمة إلى العربية، ومن أهم هذه الترجمات:

١- **مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**، تأليف ديلاس أوليرى[١٢].

٢- **الفكر العربي ومكانته في التاريخ**، تأليف ديلاس أوليرى[١٣].

٣- **اللغة في المجتمع**، تأليف موريس ميكاييل لويس[١٤].

٤- **أثر العلم في المجتمع**، تأليف برتراند آرثر، وليم رسل[١٥].

٥- **النص والخطاب والإجراء**، تأليف روبرت دى بوجراند[١٦].

٦- كما شارك بجهوده في لجنة ترجمة معاني القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

بحوثه ومقالاته:

لا بد لعالم في قامة الدكتور تمَّام وقيمته، وكان شـغله الشـاغل اللغة العربية وتطوير مناهج دراسـتها، وتيسير تحصيلها لدارسـيها، ألاَّ يتوقف قلمه الثَّرُّ عن المشـاركة بجهوده في الدوريات العلمية، ولا سـيما اللغويـة والمحكَّمة، ناهيك عن مشـاركاته في المؤتمرات والندوات ببحوثه، وتوجيهاته وآرائه السديدة، ومن هذه البحوث والمقالات نذكر:

نشـأة النحـو العربي[١٧]، مشـكلة الخـط العربـي[١٨]، النحـو والمنطق[١٩]، مصـطلحات سـيبويه في أصـوات اللغة العربيـة[٢٠]، نظرة في فكـرة النَّظْم كما حددها عبدالقاهر[٢١]، أمن اللبس ووسـائل الوصـول إليـه في اللغة العربية[٢٢]، منهـج النحاة العرب[٢٣]، القرائن النحويـة واطِّراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي[٢٤]، نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية[٢٥]، مشكلة الترجمة[٢٦]، اللغـة العربية والحداثة[٢٧]، من طرق القـرآن الكريم[٢٨]، درجات

الخطأ والصواب في النحو والأسلوب[٢٩]، وحدة البنية واختلاف الأنظمة[٣٠]، تأملات في بعض القيم الصوتية في القرآن الكريم[٣١]، لغة الإعلام[٣٢]، التضامُّ وقيود التوارد[٣٣]، رأي في الارتباطات الطبيعية والنفسية في التذوق الفني[٣٤]، أصول النحو وأصول النحاة[٣٥]، نحن والتراث المعاصر[٣٦]، قضايا اللغة[٣٧]، الازدواج اللغوي[٣٨]، كيف نُعلِّم غير الناطقين بالعربية تحديد المعنى النحوي في غيبة العلامة الإعرابية[٣٩]، التحليل اللغوي للأدب[٤٠]، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني[٤١]، إعادة وصف اللغة العربية ألسُنيًّا[٤٢]، اللغة العربية والشعوب الإسلامية[٤٣]، قرينة السياق[٤٤]، نحوُ الجملة ونحوُ النص[٤٥]، وضع المصطلح العربي في النحو والصرف[٤٦]، أساسيات النحو وتيسير تعليمه[٤٧].

ذلك ما أمكن حصره خلال سنوات عمره التي بذلها في خدمة العربية والذود عنها، بالإضافة إلى العديد من الرسائل العلمية التي أشرف عليها في العديد من الجامعات على مستوى العالم العربي، من المحيط إلى الخليج، ناهيك عن إرشاداته وتوجيهاته لكل طالب علم لجأ إليه؛ سواءً أكان تلميذًا أو أستاذًا، فلم يبخل بوقته أو بجهده، ولم يضِنَّ على أحد بمعلومة تخدم العربية، وترتقي بالبحث في علومها، وتسهم في تيسير تحصيلها والإقبال على تعلمها. وهكذا لم ينقطع عطاؤه العلمي على كافة المستويات إلى أن لقي ربه.

مظاهر تكريمه:

ما قام به الدكتور تمَّام حسَّان في خدمة اللغة العربية، والمجازفة بتجديد مناهج دراستها، في ضوء ما واجهه من تحديات، كان جديرًا بالتقدير، ومقابلته بحُسن التكريم، وقد حصل على عدد من الجوائز الاقليمية والدولية القيمة، ومن أهم الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة آل بصير بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤.

- جائزة صدام عام ١٩٨٧.

- جائزة الملك فيصل العالمية ٢٠٠٦.

تكريمه في المؤتمر الدولي للغة العربية والتنمية البشرية بوجدة، المغرب، ٢٠٠٨

جهوده في خدمة اللغة العربية:

انبنت نظرية الدكتور تمَّام حسَّان لدراسة اللغة من حيث كون اللغة نظامًا متكاملاً، له أُسسه وقواعده، ومن ثم يقتضي أمر دراستها الموضوعية دون مواربة أو مزيد افتراض أو تأويل، بل الموضوعية ركيزته التي يقوم عليها، وتلك هي خصائص العلم المضبوط، كما يؤكد ذلك بقوله: «والنحو صناعة كما يقول النُّحاة، فلا بد أن تتحقق له الموضوعية والشمول والتماسك والاقتصاد»(٤٨). وقد استطاع بفكره النيِّر ونظرته الثاقبة أن يقف على بعض صور القصور في الدرس اللغوي من خلال اختلاف المنظِّرين في دراساتهم للغة وتعدد مذاهبهم في دراستها، فقرأ النحو العربي ووازن بين المذهبين البصري والكوفي، من حيث المنهج والتطبيق، كما أُتيح له أن يدّرس الفكر اللغوي في مدارس الغرب، واستطاع أن ينتقي منها ما يتواءم مع الفكر العربي، ويتلافى ما يتعارض مع الدرس اللغوي في العربية؛ ولذا وجَّه جهوده لتصحيح مسار الدرس اللغوي، وتقويم معوجِّه وتهذيب شَعَثه، ولَمِّ شَتاته. وتجلَّى ذلك مجملاً في كتابه **مناهج البحث في اللغة**. وقد فصَّلها في سياق كتابه القيم **اللغة العربية معناها ومبناها**، وأحسن تطبيقها في كتابه **البيان في روائع القرآن**.

وقد تنبه الدكتور تمام إلى أن اللغة لسانية، وأن النطق والتحدث قبل التدوين والكتابة، ومن ثم يعتبر تحليل الكلام المنطوق أيسر من تحليل الكلام المكتوب؛

لأن الـكلام المكتـوب تغيِـب عنه بعضـ القرائن التـي تعِين على التحليل السـليم الـذي لا يحتاج إلى تعدد الاحتمالات، ولذلك رأى أن اعتماد الدرس النحوي على العلامـة الإعرابيـة فيه كثير من الإجحـاف للعربية ومرونتهـا، ولم يكن الدكتور تمَّام بمنأى عن الموضـوعية حين اعتـبر العلامة الإعرابية مقتصـرة على بعض الأبواب النحوية وليس كلها، حيث إنها قد لا تؤدي أي معنى دلالي في غياب بعض القرائـن الأخرى، فيسـتبعد أن تكون اللغة العربية اعتمـدت على قرينة الإعراب من دون القرائن الأخرى، فيقول: «لم تكن العلامات الإعرابية أكثر من نوع واحد مـن أنواع القرائن، بل هي قرينة يستعصـي التمييز بين الأبواب بواسـطتها حين يكون الإعراب تقديريًّا أو محليًّا أو بالحذف؛ لأن العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليسـت ظاهرة فيسـتفاد منها معنى الباب. حتى حين ننظر إلى مطلق العلامة؛ كمطلق الضمة أو مطلق الفتحة أو مطلق الكسرة، فسنجد أنها لا تدل على باب واحد، وإنما تدل الواحدة منها على أكثر من باب»(٤٩). لذا لا تنهض العلامة الإعرابية دليلاً كافيًا على معنى نحوي، ولا يمكن لها الاستقلال بالدلالة علـى هذه المعاني؛ وذلك لاشـتراك كل حركة من الحركات في عـدد من الأبواب النحويـة،... ومـن ثَمَّ لا يمكن أن تكون بمفردها قرينـة على واحد فقط من هذه الأبواب (٥٠). بالإضـافة إلى أن الأسـماء المبنية لا تظهر عليها العلامة الإعرابية، وكذا الاسم المقصور«لا يتبين فيه الإعراب؛ لأنَّ آخره ألف مقصورة»(٥١)، والمضاف إلى ياء المتكلم لا علامة فيه؛ «لأن الياء تذهب بالعلامة». فابن خالويه يصرح بأنَّ هـذه الأنواع من الأسـماء خالية من العلامات الإعرابية، ولكـنَّ النُّحاة قدَّروا أنَّ لها علامات، وتقديـر العلامة ليس إلا مراعاةً للحالة الإعرابية، أو للوظيفة التي تشغلها الكلمة والربط بين هذه الوظيفة والعلامة الإعرابية(٥٢).

من هنـا يتقلص دور العلامـة الإعرابيـة، ولا تنهض بمفردهـا دليلاً على معنى وظيفي، ولكنها تحتاج إلى قرائن أخرى تتضـافر معها لتحديد المعنى الذي

تضـمنته الرسـالة الإعلامية دون لبس أو غموض، الأمر الذي دفع الدكتور تمَّام حسـان للقراءة المتأنية للغة ونصوصـها، والمقارنة بين المناهج القديمة والحديثة في ضوء المقصدية من دراسة اللغة والهدف الأسمى المتوخى من كل ذلك.

وبعـد مرحلة من الفحص والبحث اسـتطاع الدكتور تمَّـام من خلال ثقافته اللغويـة التي جمعت بين الحضـارة والمعاصَـرة، أن يزاوج بـين التراث ومعطيات الدرس اللغـوي الحديث، فعرف ماهية التعلق وأثره في تراكيب العربية، وكَشْـف المعنـى ودلالته، فوازن بينها وبين السـياق بكافة صـوره، ومن ثـم أفاد من قراءة عبدالقاهـر الجرجـاني وفيرث، بالإضـافة إلـى قراءته الجيدة للواقـع اللغوي، ومعرفته الهدف من دراسة اللغة، وهو الاتصال والتواصل دون غموض أو مواربة، لـذا اعتمـدت النظريـة التمَّامية على الأسـس الآتية: المعاني النحويـة وما يتعلق بالمفـردات والجمل، والقرائن الدالة على ذلك سـواء كانت معنوية أو لفظية، مع رصـيد من القيم الخلافية التي تفرق بين مبنى ومبنى، في ضـوء السـياق بكافة صوره.

وانطلاقًا من هذه الفرضـية يمكننا اسـتنطاق النظرية التمَّامية في العبارة الآتية: «غايةُ اللغةِ دقة تحديد الوظيفة النحوية للمبنى من دون احتمال لمعنى آخر أو لبسـ أو غموض، في ضـوء ما توافر من قرائن هي علامـات على هذا الباب». وعلى ذلك اتخذ الدكتور تمَّام حسَّان (المعنى) القاعدة التي يستمد منها دراسته للغـة وعلومها، وهذا بدوره قـاده إلى الدور الذي تقوم به العلاقات السـياقية في إبراز المعنى وتحديده[٥٣].

وقد عدَّ أستاذنا الدكتور تمَّام حسَّان قرينة السياق من أهم القرائن اللفظية؛ يقول: «القرينة اللفظية هي عنصـر من عناصر الكلام يُستدلُّ به على الوظائف النحوية، فيمكن بالاسترشـاد بها أن نقول: هذا اللفظ فاعل، وذلك مفعول به أو

غـير ذلك، ومثل هــذه القرائن كمثل معالم الطريق الذي يهـدي المرء إلى المكان الذي يقصده، وفي العربية من القرائن اللفظية قرينة البنية، والإعراب، والربط، والرتبة، والتضــامّ، وفيها فوق ذلك كبرى القرائن اللفظية، وهي: قرينة السياق، ولا تــدلُّ واحدة من هــذه القرائن اللفظيــة بمفردها على المعنــى النحوي، وإنَّما يتضح المعنى بعُصبة من القرائن المتضافرة»[٥٤].

وذلك لما للسياق من أثر كبير على مقصود دلالة المتكلم، ونقصد بـ(السياق): الجــو العــام الــذي يحيط بالكلمة ومــا يكتنفها مــن قرائن وعلامــات؛ من ذلك الأسلوب، وقد ترد في سياق آخر، فتكتسب دلالة أخرى [٥٥]. فيكون للفظة، فضلاً عن دلالتها المعجمية، دلالتُها الســياقية، فالســياق هو الذي يحــدد المعنى ويبينه بدقة داخل النص؛ وذلك لأنَّ الجُمل تأخذ معناها من سياق الكلام، ويؤكد ذلك ســالم شاكر بقوله: «إن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوح دومًا على التجديد والتغيير في بنياته المعجمية والتركيبية، حتى غدا تحديد دلالة الكلمــة يحتــاج إلى تحديد مجموع الســياقات التــي ترد فيها، وهــذا ما نادت به النظرية السياقية التي نفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية؛ يقول مارتيني: «خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى»[٥٦].

وقــد اعتــبر الدكتــور تمَّام حسَّــان القرائــن النحويــة شــبكة متكاملة تعمل متضــافرةً، فلا يؤثر غياب إحداها في ظل وجود بعضها، ومن ثَمَّ لا يمكن دراسة القرائــن النحويــة بمعزل عن دراســة القرائن الصــوتية، كالتنغيــم[٥٧] والنبر، والقرائن الصرفية كالصيغة؛ لأنَّ معطيات النظامين الصوتي والصرفي هي التي تقدم للنحو ما يعرف باسم القرائن اللفظية، فلا قرائن لفظية للنحو إلا ما تمده به الأصــوات والصــرف، والغاية التي تسعى إليها دراســة النحو هي أن تنظر في العلاقات لتفهم بوســاطتها النص، فلا يمكن للمتكلــم - مثلاً - أن يخطئ في فهم قرينة البنية الصــرفية، فيعرب الفعل المضــارع مفعولاً به؛ لأنَّ المفعول به لا يكون

إلا اسـمًا، ولا في قرينة العلامة الإعرابية، فيعرب الاسـم المنصـوب فاعلاً؛ لأنَّ الفاعل مرفوع، فالمعرِب يجد صـعوبة في فهم القرائن المعنوية في وقت لا يجد من القرائن اللفظية ما يعين على تحديد المعنى، ومن أمثلة ذلك أن يتردد المعرب في فهم قرينة المعيَّة، أو قرينة التبعيَّة، وهما من القرائن النحوية المعنوية [٥٨].

وقد اعتاد المعرِبون اللجوء إلى السياق (القرينة الكبرى) ليستعينوا بها على تحديد المعنى، وسـبيلهم إلى ذلك معرفة قصد المتكلم، أو مقام النص، ويقصد منــه الظــروف المركبة التي تم فيها التكلم؛ لأنَّ المقام يمكن اســتعادته بالذاكرة، ولكن قصد المتكلم قد لا يكون الوصول إليه ممكنًا[٥٩].

فالمعاني الصــوتية والصــرفية والنحوية التي يُكشــف عنها بالقرائن الدالة على هذه المعاني الوظيفية جميعًا، يقع تحت عنوان المعنى الوظيفي. ويتمثل المعنى الوظيفــي النحوي بمعنــى الأبواب النحوية كالفاعل، ونائبــه، والمفعول، والحال.. إلخ.

وهذه المعاني تحرســها قرائن صــوتية، كالعلامة الإعرابيــة، ونغمة الكلام، أو صــرفية كالبنية الصــرفية، والمطابقة، والربط، والأداة، أو تركيبية كالتضامِّ، والرتبة[٦٠]. ومعنى هذا أن الأبواب النحوية هي معانٍ وظيفية للقرائن، مســتمدة من الأصــوات والصرف الماثلة في التركيب والسياق؛ حيث إن اللغة العربية تتسم بتعــدد القرائــن الدالة علــى معنى الباب النحــوي الذي تندرج تحتــه اللفظة في الســياق الواردة فيه، وفي ضوء تضــافر ما توافر من القرائن أُتيح للغة الإبداعية الترخُّصــ في التركيب، وعليه تعددت المباني اللغويــة، وتبع ذلك تعدد في المعاني والــدلالات، فــبرزت الظواهر اللغوية التــي يتحقق من خلالها الاقتصــاد اللغوي والاختصار والاستغناء والإيجاز، والتلطف في الأسلوب وغيرها؛ مما جعل العربية لغة فصاحة وبيان.

وقد قسمت القرائن على قسمين:

الأول: القرائن اللفظية: وتتمثل في البنية الخاصة للكلمة وموضعها من الجملة، ومضامَّتها لبعض الكلمات، ومطابقتها لما تتساوق معه، وعلاقتها الإعرابية، وغيرها من القرائن اللفظية كالربط والأداة والتنغيم.

والآخر: القرائن المعنوية: وهي العلاقات السياقية التي تفيد في تحديد المعنى النحوي، ومنها قرينة الإسناد، وهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، أو بين الفعل والفاعل، وقرينة التخصيص، وما يندرج تحتها كالتعدية والغائية والمعية والظرفية والتأكيد والملابسة والإخراج والتفسير، ولكل منها معنى تدل عليه، وغيرها من القرائن، حيث إنه لا يمكن لأي قرينة أن تنهض بمفردها دليلاً على معنى نحوي، ولكنها تتضافر مع غيرها من القرائن.

وهكذا استطاع الدكتور تمَّام حسَّان، من خلال استلهامه التراث العربي، واستيعابه المعطيات الثقافية واللغوية التي أتيحت له في هذا العصر، إعادة صياغة الدرس النحوي في ثوب جديد، موظِّفًا الظروف المحيطة بالنص في توصيل الرسالة الإعلامية للمتلقي. وقد كشف عن امتلاك العربية لأصول الدرس اللغوي الحديث، بما توصلت إليه النظريات اللغوية الحديثة، وأن سَعة العربية ومرونتها قيَّضا لها هذا الكم من القرائن: لفظية ومعنوية، مما أكسبها السَّعة والتنوع في المباني والدلالات، وذلك ما سوَّغ لها الترخص من حيث الحذف والاتساع، والتقديم والتأخير، وغيرها من الظواهر اللغوية. كما يبدو واضحًا على هذه النظرية أنها قريبة من الدراسات اللغوية النصية المعاصرة، بل تعتبر نواة (نحو النص) بأُسسها ومكوناتها.

وفي نهاية الحديث عن بعض جهود أستاذنا الدكتور تمَّام من خلال منهجه في دراسة اللغة، لا تبالغ الدراسة حين تؤكد أنَّ نظرية تضافر القرائن التمَّامية

مـن أعظم ما توصلت إليـه العقليـة العربية من النظريـات اللغويـة المتَّفقة مع خصـائص العربيـة وسـماتها، لذا فإن هـذه النظرية تعد من أنسـب النظريات اللغوية وأصلحها لدراسة اللغة العربية.

أقوالهم فيه:

شخصية في مكانة أستاذنا الدكتور تمَّام لا بد أن تُوجه إليها الأنظار، فتأخذ حيزًا كبيرًا من الحديث، وقد انصبَّت آراؤهم فيه؛ سواء في الحديث عن شخصه أو نظريتـه وجهـوده في الدرس اللغوي. وفي هذه العُجالة سـنكتفي بذكر بعض ما قاله فيه بعض جهابذة العلم.

يقول عنه الدكتور سـعد مصـلوح: «ما أورده شـيخنا ـ أي الدكتور تمام ـ على جهـد النحـاة من ملاحظ، فقـد امتـاز باتِّكائه علـى ركائزَ من الفكر اللسـاني الحديث، غير ذي عِوج، وبصـدوره عن كينونة فاذَّة، أسـهمت في صياغتها أزوادٌ معرفية مختلفة الطعوم والألوان، واسـتحال كل ذلـك فيها زكاءً ونماءً وعنفوانًا، ومن ثَم لم يكن للناس عجبًا أن تكتسب ملاحظه مذاقًا خاصًّا، وأن تتنوع وتترادف وتدَّارك على الطريق الموصلة لهذه الغاية، وأن تحظى بالتفرد والخصوصية، منذ أخرج للناس كتابه **اللغة بين المعيارية والوصـفية**، الذي أراده ليكون فرقانًا بين هاتين الطريقتين من طرائق النظر في اللغة؛ أعني المعيارية والوصفية. ثم كان أن تـلاه بكتابه **مناهج البحث في اللغة**. وفي هذين الكتابين تجد كمين البذور الأولى لمذهبـه النحوي، تلـك التي آتت أُكُلَهَا ضـعفين في كتابـه **اللغة العربيـة معناها ومبناهـا**. وبهذا الكتاب الذي جاء آخريًّـا جاوزت معاودة النظر في تراث النحاة جميع محاولات التهذيب والتيسـير، وتخلَّت عن سمة الجزئية والتفتُّت والتشعُّث، لتسـتحيل طرازًا مباينًا لسائر ما سبقه من طرز البحث النحوي. وكما هو العهد بكل تجديد بصير لم يُقم شيخنا مذهبه على المفاصلة المنهجية بينه وبين التراث

النحوي، بل أقامها على الوعي به، والاصطبار عليه واستبار أغواره، معترفًا طوال الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللغوية في الثقافة العربية؛ وهما سيبويه وعبدالقاهر، منوِّهًا بذكر الأول في حقل التحليل، وبذكر الثاني في حقل التركيب»[٦١].

وأثنى الدكتور أحمد علم الدين الجندي على جهوده وآرائه، فقال إنَّ: «آراءه لها وزنها في الدرس الأصولي، ومنها:

- مخالفة التركيب لقواعد النحو غير مُضرة ولا قادحة؛ لورود ذلك في القرآن والحديث.

- القوة الإنتاجية للنحو العربي وسَعة إمكاناته؛ وربط ذلك بما رأته المدرسة الأمريكية التوليدية[٦٢].

- الاختلاف في التأويل والتخريج والاختيار والتوجيه هو الذي أطال نصوص النحو؛ لأنه يتعلق بالمسائل لا الأصول[٦٣].

- أجاز النحاة القياس على قواعدهم، وهي من عملهم وليست من أعمال العرب.

- إنَّ تحكيم النحاة قواعدَهم وأصولَهم فيما سُمع من العرب يعتبر خطأً منهجيًّا؛ إذ ليس من حق النحوي غير الفصيح أن يخطِّئ الأعرابي الفصيح إلا إذا وجد السماع ضده»[٦٤].

وقال عنه الدكتور محمد خليفة الدنَّاع: إنَّه «مؤصِّل للتراث اللغوي، وإنه يبحث في كتبه دائمًا عن الحلقة التي عدَّها كثير من الباحثين مفقودة؛ وهي ربط التراث النحوي واللغوي العربي بالنظريات الحديثة، وهذا يعد تأصيلاً فوق كونه اعتزازًا برصيد هذه الأمة، وكان هدفه في كتابه **مناهج البحث في اللغة** توظيف

الأمثلة والنصوص العربية لتتلاءم مع هذه النظرات وتلك النظريات»[٦٥].

وقد أثنى الدكتور محمد يونس على صنيع الدكتور تمَّام حسَّان في نظريته (تضافر القرائن)، فقال: «ويعود الفضل في التنبيه لهذه الظاهرة إلى اللغوي تمَّام حسَّان، وقد أوْلاها عناية خاصة؛ لأنها السبيل الموصلة إلى المعنى النحوي؛ ذلك لأنه لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدل بمفردها على معنى بعينه...» [٦٦].

وفاته:

توفي إلى رحمة الله تعالى في صباح يوم الثلاثاء الحادي عشر من أكتوبر في السنة الحادية عشرة بعد الألفين من الميلاد، فرحم الله فقيد العربية وأهلها، وتغمده بواسع رحمته وأدخله فسيح جناته.

الهوامش:

(*) عضو رابطة الكتاب والأدباء العرب.

(١) **تمام حسان رائدًا لغويًا**، عبدالرحمن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٣.

(٢) السابق، ص ١٣.

(٣) السابق، ص ١٣.

(٤) عنوانها بالإنجليزية: The Phonitics of EL Karnak Dialect (Upper Egypt)

(٥) عنوانها بالإنجليزية: The Phonitics & Phonology of An Aden of Arabic (South Arabic)

(٦) علم اللغة والدراسات السامية والشرقية حاليًا.

(٧) مما ذكره لنا ونحن في مرحلة الماجستير، وهو يسرد طرفًا من رحلة حياته الثرة، ومن ذلك فترة عمله مستشارًا ثقافيًا في لاجوس.

(٨) **تمام حسان رائدًا لغويًا**، ص ١٣.

(٩) **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص ٣٣٧.

(١٠) **الأصـول، دراسـة ابسـتيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**، د. تمام حسـان، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٩٧.

(١١) ينظر: **الخلاصة النحوية**، ص ٨.

(١٢) نشر بمكتبة الإنجلو المصرية، في العام ١٩٥٧م.

(١٣) نشر في عالم الكتب بالقاهرة، في العام ١٩٦١م.

(١٤) نشر بالقاهرة، في العام ١٩٥٩م.

(١٥) نشر بمكتبة نهضة مصر بالقاهرة، في العام ١٩٥٨م.

(١٦) نشر في عالم الكتب، بالقاهرة، في العام ١٩٩٨م.

(١٧) **مجلة الأزهر**، مجلد ٣٢، الجزء الأول ١٩٦٠م.

(١٨) **مجلة الأزهر**، مجلد ٣٢، الجزء الخامس ١٩٦٠م.

(١٩) **مجلة الأزهر**، مجلد ٣٢، الجزء السابع ١٩٦٠م.

(٢٠) **مجلة منبر الإسلام**، العدد الخامس ١٩٦٨م.

(٢١) **مجلة الأزهر**، مجلد ٣٢، الجزء الأول ١٩٦٠م.

(٢٢) **حوليات كلية دار العلوم**، بالقاهرة، ١٩٦٨ – ١٩٦٩م.

(٢٣) **حوليات كلية دار العلوم**، بالقاهرة، ١٩٦٩ – ١٩٧٠م.

(٢٤) **مجلة اللسان العربي** ، المغرب، مجلد ١١، الجزء الأول ١٩٧٤م.

(٢٥) **مجلة اللسان العربي** ، المغرب، مجلد ١١، الجزء الأول ١٩٧٤م.

(٢٦) **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد ٣-٤، ١٩٧٨.

(٢٧) **مجلة فصول المصرية**، مجلد ٤، العدد ٣، الجزء الأول ١٩٨٤م.

(٢٨) **مجلة مجمع اللغة العربية**، بالقاهرة، الجزء ٤٩، ١٩٨٢م.

(٢٩) **مجلة مجمع اللغة العربية**، بالقاهرة، الجزء ٥٦، ١٩٨٥م.

(٣٠) **مجلة مجمع اللغة العربية**، بالقاهرة، الجزء ٥٧، ١٩٨٥م.

(٣١) **مجلة مجمع اللغة العربية**، بالقاهرة، الجزء ٦٠، ١٩٨٧م.

(٣٢) **مجلة مجمع اللغة العربية**، بالقاهرة، الجزء ٦٢، ١٩٨٨م.

(٣٣) **مجلة المناهل**، المغرب، عدد ٦/ ١٨٧٦م.

(٣٤) **مجلة المناهل**، المغرب، عدد ٩/ ١٨٧٧م.

(٣٥) **مجلة المناهل**، المغرب، عدد ١٠/ ١٨٧٧م.

(٣٦) **مجلة المناهل**، المغرب، عدد ١٢/ ١٨٧٨م.

(٣٧) **مجلة المناهل**، المغرب، عدد ١٤/ ١٨٧٩م.

(٣٨) **مجلة المناهل**، المغرب، عدد ١٦/ ١٨٧٩م.

(٣٩) **مجلة معهد اللغة العربية**، جامعة أم القرى، العدد الأول، ١٩٨٢م.

(٤٠) **مجلة حصاد**، الكويت، العدد الأول، ١٩٨١م.

(٤١) **مجلة الدراسات القرآنية**، جامعة لندن، مجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠١م .

(٤٢) بحث قدم في أعمال ندوة اللسانيات واللغة العربية، التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية في العام ١٩٧٨م.

(٤٣) بحث منشور ضمن كتاب **من قضايا اللغة العربية المعاصرة**، الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٠م.

(٤٤) بحث قدم بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، العام ١٩٩١م.

(٤٥) محاضرة ألقيت ضمن النشاط الثقافي لمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى في العام ١٩٩٢م.

(٤٦) بحث أرسل إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية الأردني، في العام ١٩٩٤م.

(٤٧) محاضرة ألقيت في الموسم الثقافي السادس عشر لمجمع اللغة العربية الأردني في العام ١٩٩٨م.

(٤٨) وحدة البنية واختلاف الأنظمة، د. تمام حسان، **مجلة مجمع اللغة العربية**، القاهرة، ج٥٧، نوفمبر ١٩٨٥م، ص ٢٣.

(٤٩) **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص ٢٠٥ ، وينظر: نظرية تضافر القرائن التمامية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، للباحث، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الدولي الثاني عشر «جهود العلماء المصريين في الدراسات العربية والإسلامية»، بكلية دار العلوم ، جامعة الفيوم، ١٥-١٦ مارس ٢٠١٥، ص ١١٠.

(٥٠) ينظر: **القرائن النحوية**، د. تمام حسان، ص ٤٧، وينظر: نظرية تضافر القرائن التمامية، للباحث، ص ١١٠.

(٥١) **العلامة الإعرابية في الجملة** ، ص٣٠٠.

(٥٢) ينظر: **آراء البصريين النحوية في كتاب إعراب القرآن للنحاس في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، رسالة دكتوراه للباحث، مودعة في مكتبة كلية الألسن، جامعة عين شمس، ٢٠١٠م، الورقة، ٢٢٧.

(٥٣) نظرية تضافر القرائن التمامية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة. ومنطوق هذه النظرية من اجتهاد الباحث في الورقة البحثية المقدمة لأعمال المؤتمر بالفيوم، فعسى أن تكون أصابت عين ما أراده عالمنا اللغوي رحمه الله تعالى.

(٥٤) **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، د. تمَّام حسَّان، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص٧، مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية والأسلوبية، د. رجب عثمان محمد، **مجلة علوم اللغة**، دار غريب، القاهرة، مج ٦، ع ٤، ٢٠٠٣م، ص٩٩.

(٥٥) **منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية**، د. أحمد نصيف الجنابي ، ص١٦٣.

(٥٦) **مدخل إلى علم الدلالة**، سالم شاكر، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢م، ص٣١.

(٥٧) يعتبر التنغيم قسيم السياق في تحديد المعنى الدلالي؛ إذ إنه يعتبر حلقة الوصل بين الكلام المنطوق ودلالته، وقد أدى غياب التنغيم إلى تعدد التوجيهات النحوية؛ لأن النصوص التي وصلتنا مكتوبة، ولم نعرف الطريقة التي قيلت بها ولا أدائها من حيث التنغيم سواء كانت نغمة صاعدة أو هابطة، وغيرها من مساعدات الكلام والظروف المحيطة بالموقف، وقد أدلى الدكتور تمَّام حسان بدلوه في هذه الظاهرة باعتبارها الحلقة المفقودة بين النص المكتوب والمنطوق.

(٥٨) القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي، د. تمَّام حسان، **مجلة اللسان العربي**، المجلد ١١، ج١/ ص ٣٨.

(٥٩) **القرائن النحوية**، ص٣٩.

(٦٠) **الأصول**، تمَّام حسان، ص ٣٢٥.

(٦١) **في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات**، د. سعد مصلوح، ص ٢٠٨.

(٦٢) ينظر: **الأصول**، د. تمَّام حسان، ص ١٧٦.

(٦٣) السابق، ص ١٦٨.

(٦٤) **تمَّام حسان رائدًا لغويًا**، ص ٤١ – ٤٢.

(٦٥) السابق، ص ٣٢٨.

(٦٦) **المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية**، د. محمد محمد يونس، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ٣٥٢.

أعلام في الظل، تأليف محمد بن عبد الرزاق القشعمي، ط ١، الباحة: نادي الباحة الأدبي، ٢٠١٨م، ٣٨٨ص+١٠.

للأستاذ محمد بن عبد الرزاق القشعمي جهود مشكورة في البحث عن التاريخ الثقافي في المملكة، فقد وفق في كثير من أعماله في تتبع كثير من الموضوعات التي لم تأخذ حظها من البحث وإلقاء الضوء عليها بغية الإحاطة بجوانبها المختلفة، وإعطائها حقها من البروز. ومن ذلك: اهتمامه بالتراجم المختلفة، فتناول أشخاصًا بذواتهم في كتب مفردة؛ كعبدالكريم الجهيمان، وعبدالرحمن منيف، وسليمان بن صالح الدخيل، وأحمد السباعي، وغيرهم. كما ترجم لرواد الصحافة السعودية من الأحياء أو أولئك الذين غادرونا إلى دار البقاء.

واليوم يطل علينا بكتاب عن شخصيات قامت بجهود مشكورة في نهضة البلاد من مختلف قطاعات المجتمع؛ كالتعليم والصحة والثقافة والموروث الشعبي، والاقتصاد والإدارة، وغير ذلك. وهي شخصيات لم تأخذ حقها في إلقاء الضوء على أعمالها الجليلة، وتسجيل إنجازاتها المتعددة، وكشف أفكارها ورُؤاها للآخرين. ومن هذه الشخصيات من كان ملء السمع والبصر في يوم من الأيام، لكن سرعان ما توارت أخباره عن الأنظار، وأوشك أن يطويها النسيان.

سمى المؤلف كتابه **أعلام في الظل**، وترجم فيه لثلاثة وخمسين علمًا، مرتبين على الترتيب الألفبائي لأسمائهم، وقد استقى مادته عن كلٍّ منهم بطرق مختلفة ومصادر متعددة، تتفاوت بين اللقاء الشخصي، وسؤال العارفين عنهم، أو دراسة ما خطَّته أناملهم، أو ما كُتب عنهم في الكتب أو الصحف.

تقدم فهرس المحتويات صفحات الكتاب، وأُلحق به مسرد للمراجع.

أ.م.ض.

الجديد من إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي



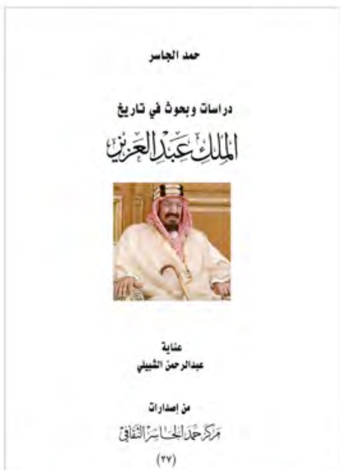












للتواصل مع مكتبنا في الرياض: هاتف ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) جوال: ٠٠٩٦٦٥٤٠٤٧١٥٠٥

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

ج ٣ و ٤ س ٥٥
رمضان وشوال ١٤٤٠هـ
أيار-حزيران/مايو-يونيو ٢٠١٩م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــــدد

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الثالث والرابع - السنة ٥٥

رمضان وشوال ١٤٤٠هـ
أيار - حزيران / مايو - يونيو ٢٠١٩م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ١٣١٩ -٢٦٧١

الفهرس

نشوء بلد الزبير النجدية
أوائل القرن ١٢هـ/ ١٨م

د. عبداللطيف بن ناصر الحميدان(*)

تمهيد:

تمثل البداية الأولى لنشوء بعض المدن والبلدات إشكالية تاريخية، مما يتطلب البحث والتقصي. وإن بلدة الزبير ليست استثناءً من ذلك، والذي ارتبط اسمها (الزبير) باسم الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه، الذي استشهد في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. ويرجع بعض من كتب عن تلك البلدة إلى ارتباط نشوئها ببناء العثمانيين قبة فوق ضريح الزبير بن العوام رضي الله عنه في النصف الثاني من القرن ١٠هـ/ ١٦م، فاتخذ الناس منذ ذلك الوقت السكن بجواره تبركًا بالضريح؛ أي إنّ قدسية المكان كانت السبب الأساس فيما يراه هؤلاء. وأنه مرتبط زمنيًّا بإخضاع العثمانيين البصرةَ لحكمهم. وفي تقديرنا أنّ تمسك هؤلاء بهذا الرأي مردُّه إلى عدم إحاطتهم بما يكفي بالوقائع التاريخية. فكان لزامًا والحالة هذه القيام برحلة تاريخية طويلة شاقة للتنقيب والتقصي بخصوص حالة ضريح الزبير بن العوام نفسه. ومثل ذلك استعراض تاريخ لمدينة البصرة القديمة منذ نشوئها حتى موتها وبناء بصرة جديدة. إضافة لأثر العثمانيين في ذلك كله لكي يتم تأصيل الوقائع والأحداث بما يتوافق مع متطلبات البحث وأهدافه.

ضريح الزبير عبر التاريخ:

إنّ أول ما يلفت الانتباه هو أن مصادرنا لم تشر إلى أي اهتمام قد أبداه أبناء الزبير بن العوام أنفسهم بضريح والدهم بالرغم من أنهم حكموا البصرة لمدة ما بين ثمان سنوات ٦٤-٧٢هـ بشكل مستقل عن حكم الأمويين في دمشق[١]. كما أنّ المؤرخين البصريين في العهد العباسي: ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، وابن خياط (ت: ٢٤٠هـ)، لم يحددا موضع قبر الزبير بن العوام بصورة دقيقة، بل اكتفيا بالقول إنه استشهد بسفوان من ناحية البصرة[٢]. أما موقع سفوان، فقد حدده الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) بقوله: تقع على مرحلة من باب المربد [٣] والمرحلة ثلاثون كيلومترًا. ويظهر أنّ ياقوتًا الحموي (ت: ٦٢٦هـ) [٤] يتفق في هذا القول مع الأزهري. وفي السياق نفسه نرى أنّ ابن حوقل (ت: ٣٦٧هـ) لم يذكر من قبور الصحابة في البصرة سوى قبر أنس بن مالك رضي الله عنه. أما من بين التابعين، فقد ذكر الحسن البصري وابن سيرين[٥]. فهل أنّ قبر الزبير بن العوام كانت معالمه قد اختفت، ولم يكن يُعرف موقعُه نظرًا إلى كون المسلمين إبَّان القرون الأربعة الأولى التي أعقبت ظهور الاسلام، لم يكونوا يعيرون أهمية لتلك القبور، مما عرَّضها للاندثار؟

للإجابة على هذا التساؤل يجدر التأمل في قول ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) عن أحداث سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) أنّ أهل البصرة ادَّعوّا في شهر محرم أنهم كشفوا قبرًا عتيقًا، فوجدوا فيه ميتًا طريًّا بثيابه وسيفه، وأنه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد بين الدربين، وبنى عليه الأثيرُ أبو المسك عنبر بناءً، وجعل الموضع مسجدًا أيضًا. ونقل إليه القناديل والآلات والحُصُر، وأقيم فيه قُوَّامٌ وحَفَظَةٌ، ووَقَف عليه وقوفًا[٦].

ويُفهم من النص المذكور أنّ قبر الزبير بن العوام كان قد اندثرت رسومه، ولم يكن يُعلم موضعه حتى اكتشف سنة ٣٨٤ للهجرة، فدفن في المربد. وبنى عليه

أمير البصرة بناءً، وفي موضعه بنى أيضًا مسجدًا. ويفهم من عبارة ابن الجوزي أيضًا «إن أهل البصرة ادعوا»، أنه غير مطمئن لهذا الادعاء. ومثله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨) الذي نقل الخبر عن ابن الجوزي، وقال: «الله أعلم مَن ذلك الميت»(٧).

والمشهور والمعروف أن العناية بأضرحة الصحابة والأولياء والزُّهاد في العراق لم يحدث إلا في القرن الرابع الهجري وبتشجيع من السلطة في بغداد. كما يرى المستشرق الفرنسي ماسنيون أن التقرُّب من الأولياء بزيارتهم لم تتضح على نحوٍ عامٍّ إلا من خلال القرن الرابع الهجري(٨).

أيًّا ما كان الأمر، فعند زيارة أبي الحسن علي الهروي (ت:٦١١هـ/ ١٢١٤م) للأضرحة في البصرة، قال: «قبر طلحة بداره عند نهر مرة، شرقي الجامع، وقبر الزبير بن العوام بالمربد. ومثل ذلك قبر محمد بن سيرين والحسن البصري. بقيت أسماؤهم وذهبت رسومهم»(٩).

إلا أنّ البصرة شهدت حركة تعمير واسعة بُعيد ذلك، والتي قام بها الأمير باتكين الرومي الناصري، الذي تولى حكم البصرة سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠- ١٢٢٥م)، حيث استمر بها حاكمًا لمدة ثلاثة وعشرين عامًا. فقد جدد مدارس كانت بها قد اندثرت، وأنشأ مدرسة للحنابلة، ولم يكن يُعرف لهم بالبصرة مدرسة. وعمل مدرسة يُقرأ فيها الطب. وعمَّر مارستانًا (مستشفى) كان قد خرب وتعطل. ولما احترق جامع البصرة في سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، وانهدم معظمه، أعاد عمارته، وأحضر حجارة أساطينه من جبل الأهواز، وجلب الخشب والصنوبر والعاج من شيراز والهند. وأنشأ رباطًا متصلاً بالجامع ورباطًا آخر قريبًا منه، وأسكن فيها جماعة من الصوفية .. ووقَف في جميع المدارس كتبًا. وانتشر العلم في زمانه، وكان العلماء وغيرهم يقصدونه من جميع الآفاق. وبنى على قبر طلحة بن

عبيد الله بنيانًا حسنًا، وجعل فيه الفرش والقناديل، وكذلك على قبر الزبير، وبنى سورًا على بني مازن، وسورًا على المدينة محكمًا بالأبواب الحديدية، وجدَّد في البصرة الخانات وغير ذلك[١٠].

إلا أنه في أعقاب تلك الجهود الكبيرة التي بذلها الأمير باتكين، بفترة زمنية قصيرة، هبت الرياح الصفراء من الشرق تدفع بالمغول نحو مركز الحضارة الإسلامية ليطفؤوا أنوارها المشعَّة بسنابك خيولهم أينما حلُّوا. وعندما زار ابن بطوطة، الرّحّالة المغربي المشهور، البصرة في العهد المغولي الجلائريين في حدود عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ذكر «أنّ مشهد الزبير بن العوام خارجها ولا قبّة عليه، وله مسجد وزاوية فيها الطعام لأبناء السبيل. وأنّ القبور هناك على كل قبر قبرية كتب عليها اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته»[١١].

موت البصرة القديمة وقيام بصرة جديدة:

إنّ السياق التاريخي للبحث يتطلب الحديث عن موت البصرة القديمة وقيام البصرة الجديدة؛ فالمدن مثلها مثل الدول تمر بمراحل النشوء والارتقاء، ثم تأخذ بالانحدار والانحلال حتى تزول، وتختفي ولا يبقى سوى أطلالها شاهدًا عليها. ومدينة البصرة القديمة ليست استثناءً من ذلك؛ فازدهارها وغِناها جعلا الطامعين والمتربصين بها يتحيَّنون الفرص للانقضاض عليها، فما إن تضعف السلطة فيها حتى يتم مهاجمتها بعنف، وهذا ما فعله القرامطة حين قاموا بنهبها سنة ٣١١هـ. كما قاست البصرة من هجمات البدو المدمرة والمتكررة، فأخذ الخراب يتسلل إلى معالمها، وكأن تاريخها سجلٌّ من الأحداث الجسام[١٢].

فالإدريسي الجغرافي المغربي، الذي عاش في القرن السادس الهجري، كتب تعليقًا على مخطوطة كتاب ابن حوقل جاء فيه: «دخلت البصرة سنة ٥٣٧هـ/١١٤١م وقد خربت ولم يبق من آثارها إلا الأقل، وطُمست محالُّها، ولم يبق إلا محالٌّ معلومة، ... وجامعها وسط الخراب كأنه سفينة وسط بحر لَجِب،

وســورها القديم قد خرب .... وإن القاضــي عبدالســلام الجيلــي، يرحمه الله، قد بنى في ســنة ٥١٦هـ ســورًا على ما بقي بينه وبين الســور القديم دون النصف فرسخ»[١٣].

أما ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الذي كان قد تردد على البصرة سبع مرات للتجــارة، فقد قال: «كان المربد من أشــهر محالِّها، وهو الآن بائن من البصــرة، بينــه وبينها ثلاثــة أميال، وكان ما بين ذلك كله عامرًا، وهو الآن خراب. فصــار المربد كالمفردة في وسط الصحراء»[١٤].

ورغــم الجهــد الذي بذله فيما بعد الأمير باتكــين في تعمير ما كان قد خرب واندثــر، وهو ما ســبق أن ذكرناه، فإن ســقوط بغداد ســنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على أيدي المغول قد زاد في خراب البصــرة بصــورة أوســع، ودفع كثيرًا من الســكان للنزوح. فحين زارها ابن بطوطة زمن الســلطان الجلائري حسن الكبير (٧٣٦-٧٥٧هــ) ذكر وجود ثلاث محلات عامــرة بأهلها؛ وهي: محلة هذيل، ومحلة بني حرام، ومحلة العجم[١٥].

إنّ قــول ابن بطوطه هــذا يعني دون شــك أن النــزوح النهائي من البصــرة القديمــة قد جــرى بعد التاريــخ المذكور. لذا فــإن قول كل من محمــد بن خليفة النبهــاني، وظريــف الأعظمــي أنّ النــزوح النهائــي مــن البصــرة كان في عــام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م[١٦] يناقض ما سبق أن مرَّ ذكره.

أما الشــيخ عبدالقــادر باش أعيان، فــيرى أنّ النزوح النهائي من البصــرة القديمــة كان في مطلــع القــرن التاســع الهجري/ مطلــع القرن الخامس عشــر الميلادي[١٧] دون أن يُورد ســببًا لذلك. في حين أنّ الســبب الرئيس هو عدم توفر الأمــن والأمــان، مع شُــحِّ المياه العذبة التي تفــي بحاجه الســكان للعيش الكريم، وصــعوبة الوصــول إليها والحصول عليها إلا بمشــقة، بعد أن تزايد الطمْي وردم الأنهار. وقد كانت المياه المختزنة في حوض المربد موزَّعة في أنابيب من الرصاص

إلى مسافة فرسخ، ثم يرفع مستوى هذه المياه بواسطة الدواليب، وقد دمرت هذه المنشآت في سنة ٤٣٨هـ[١٨]، في حين أنّ ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) يرى أنّ السبب هو تعرض الأوقاف نفسها للخراب، والمخصصة لصيانة الدواليب التي ترفع الماء إلى أنهار المدينة. وقد وصف تلك الأوقاف بأنها لم يكن لها في الدنيا نظير[١٩].

ومما يجدر ذكره ويلفت النظر أنه قد اكتشف في الزبير - المربد - قريبًا دلائل لعلها تشير إلى الحوض الذي كان يقوم باختزان الماء في العهد العثماني؛ إذ اكتشف ثلاثة سراديب عميقة دائرية في ثلاثة مواقع مختلفة في الزبير[٢٠].

أيًّا ما كان الأمر، فلأجل الاقتراب من تاريخ النزوح النهائي من البصرة القديمة إلى الجديدة، يقتضي الأمر مراجعة الوقائع التاريخية التي تقرِّبنا من ذلك. فمن المعلوم أنّ السلطان محسن بن فلاح المشعشع انتزع البصرة من أيدي آل شبيب، أمراء المنتفق، ما بين عامي ٨٨١-٨٨٤هـ/ ١٤٧٦-١٤٨٠م، وحمل لقب سلطان البصرة[٢١]. ربما يشير ذلك إلى البصرة الجديدة، التي تمّ النزوح إليها لتوفر الأمن والقرب من شط العرب حيث يتوفر الماء العذب، إضافة إلى تزايد النشاط التجاري فيها مما يوفر العيش الرغيد لسكانها، الأمر الذي حملهم للعمل على توسيع وتعميق نهر العشار - نهر الأُبُلَّة سابقًا - والذي يبلغ طوله حوالي ٦٠٠٠ متر؛ لتمكين السفن التجارية الشراعية الكبيرة ذات المجاديف من الدخول إليه من شط العرب، والوصول إلى مدينتهم الجديدة التي تقع في نهايته[٢٢].

من المحتمل أنَّ تزايد النشاط التجاري مع الهند عبر الخليج العربي كان من الأسباب الرئيسة للنزوح، بحيث حمل بعض سكان البصرة القديمة على الرحيل إلى ساحل فارس خلال القرن ٩هـ/١٥م، حيث السفن التجارية تمر عادة بذلك الساحل، للقيام بخدمتها وتزويدها بالماء والحطب والأدِلاَّء. ولعل بني حرام كانوا من أبرز هؤلاء، حيث لعبوا دورًا مؤثرًا بعد حين[٢٣].

وفي هذا السياق من المفيد التمعن في قول صاحب **تمايم الدرر في مناقب**

السادة الغرر إن أول بناء في البصرة الجديدة هو جامعها؛ لأن المدينة حادثه بانتقالها من البرية ولم يكن فيها جامع للخطبة، لذا حرص مهنا بن رحمة المنتفقي، من مشايخ العرب الذين حكموا البصرة قبل دخول الروم (العثمانيين) إليها، بأن تكون الخطبة والصلاة بجامعه لكونه الأقدم، إذ إنّ الخطبة للقديم من المساجد. ثم يواصل صاحب **تمايم الدرر** قوله إنّ الشيخ محمد أمين الكواز، مؤسس الطريقة الكوازية الشاذلية الصوفية، قد بنى جامعًا من القصب في الوقت نفسه وبسرعة وجيزة لمنافسة الشيخ مهنا في ذلك. إلى أن بناه من الحجر بعد فترة من الزمن(٢٤).

أما عن دور الأسرة العباسية، التي عرفت فيما بعد (بيت باش أعيان)، في إنشاء البصرة الجديدة، فإن أحد أبنائها المعاصرين، وهو أحمد بن برهان الدين باش أعيان، يقول: «إنّ الشيخ علي الساري وولده عبدالسلام تزعَّما حركة الانتقال من البصرة القديمة إلى البصرة الحديثة عند مطلع القرن ٩ هـ/١٥م، فأسسا أول أحيائها المعروفة بالمشراق، تيمُّنًا بالحي الذي كانوا يسكنونه في البصرة القديمة»(٢٥). وهذا القول يثير بعض الإشكالات؛ فهل كان في البصرة القديمة محلَّة بهذا الاسم؟ ثم إنّ الأسرة العباسية لم تبرز في البصرة الجديدة إلا بعد تأسيس الطريقة الكوازية الصوفية، وانتقال رئاستها إليهم في العقود الأخيرة من القرن العاشر/ السادس عشر الميلادي، وهو ما ذكره مؤرخ الطريقة صاحب **التمايم** نفسه، إلا أنّ ذلك لا يمنع من القول إنهم انتقلوا إلى البصرة الجديدة في أثناء القرن ٩هـ/١٥م، وبنوا فيها محلة المشراق، وغلب على سكانها الحضر وأهل الأرياف، في حين أنّ محلة القبلة قد غلب عليها السكان النازحون من البدو من أتباع بيت المنتفق. إضافة إلى أنها قد غدت مقرًّا لحاكم البصرة؛ إذ يذكر تنريرو (Antonio Tenrero)، بعد وصوله إلى البصرة قادمًا من جزيرة هرمز، وهو يحاول اجتياز الصحراء، أنه قابَل الشيخ محمد بن مغامس حاكم البصرة الجديدة في صفر ٩٣٥هـ/ أكتوبر ١٥٢٨م ليسهل له اجتياز

الصحراء، وأنّ المقابلة قد جرت في محلة القبلة(٢٦). لذا فقد اكتسبت تلك المحلة وجامعها شهرة أكثر من غيرها، حيث إنّ إياس باشا بعد دخوله البصرة منتصرًا صلى في جامعها (جامع العرب)، وخطب للسلطان العثماني فيه، وهي أول خطبة تلقى باسمه(٢٧). وهي تحمل دلالات سياسية كبداية عهد ونهاية عهد. على أنه لا يمكن تجاهل أنّ البصرة الجديدة كانت مرتبطة منذ البداية بالتأثير الزهدي الصوفي ممثلاً في الطريقة الكوازية، ومن ثم بالطريقة الردينية والطريقة الرفاعية، التي ارتبطت بهما أسرة المنتفق الحاكمة ارتباطًا وثيقًا منذ البداية. على أن حكم المنتفق الذي حقق الأمن والاستقرار في المدينة الجديدة، إضافة لانتعاشها التجاري، كان جاذبًا لأعداد كبيرة من السكان للاستقرار فيها.

سقوط إمارة المنتفق في البصرة وقيام حكم العثمانيين:

عند وصول البرتغاليين بأساطيلهم إلى السواحل الشرقية للهند عملوا مباشرة على خنق تجارة البحر الأحمر، ومنع السفن التجارية من الدخول إليه لإلحاق الضرر بالمماليك في مصر. وحينما دخلوا إلى الخليج العربي واستقروا في جزيرة هرمز سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) أدّى ذلك إلى ازدياد في النشاط التجاري في رأس الخليج، فكانت البصرة رأس جسر يربط ما بين مياه الخليج والطريق البري إلى حلب. وقد أدى هذا الانتعاش التجاري في البصرة إلى لفت الأنظار إليها. وحين استولى العثمانيون على بغداد أواخر عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م أخذوا يتطلعون إلى السيطرة على البصرة لإجبار البرتغاليين على مشاركتهم في منافع تجارة الهند ذات المردود المالي الكبير. وما إن أتيحت لهم المبررات لذلك حتى زحفوا بقواتهم في النهر والبر بقيادة إياس باشا والي بغداد، وتمكنوا من التغلب بأسلحتهم النارية على المقاومة البصرية، والدخول إلى المدينة منتصرين في سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، حيث انسحبت قوات المنتفق إلى البادية بعد أن أحرقوا سفن أسطولهم لئلا ينتفع بها أعداؤهم الروم (العثمانيون)(٢٨).

إنّ الخسارة الكبيرة التي مُني بها المنتفق، وأدت إلى فقدان مملكتهم الغنية قد أثر كثيراً في قيادتهم؛ فبعضهم فضل المقاومة بقيادة محمد بن عثمان بن محمد بن مغامس، الذي أخذ يطالب بعودة حكم البصرة إليهم، وآخرون فضلوا المساومة والتعاون مع العثمانيين للحصول على ما يمكن الحصول عليه منهم. وكانوا بقيادة أبناء مانع بن راشد بن مغامس. أما الجانب العثماني من جهته، فقد أدرك أهمية تلك القبيلة، فسعى إلى استرضائهم وبناء رابط من المصالح الاقتصادية معهم لجعلهم يصطفون إلى جانبهم لمواجهة الأخطار التي تهددهم؛ سواء من ابن عليان الطائي في الجزائر شمال البصرة، أو من البرتغاليين في هرمز. لذا جرى إعطاؤهم بادية البصرة كسنجق (لواء) خاص بهم ابتداء من سور البصرة الجنوبي الغربي لتكون إيرادات اللواء من نصيبهم، حيث إن رسوم الخفارة (بذرقة) التي تؤخذ من القوافل عندما تحتشد في المربد لأغراض الحج أو التجارة مع حلب. إضافة لذلك جرى إعطاؤهم أربع قرى زراعية مقابل حراستهم لبساتين البصرة، على أن يدفع لهم أصحابها رسومًا سنوية عنها بحسب عدد نخيلهم. مع إعطاء شيوخ المنتفق أيضًا خلعة سنوية بضمنها مبلغ من المال[٢٩].

على أنّه بسبب غرور بعض الولاة العثمانيين وجشعهم، لم يكونوا يلتزمون دائمًا بذاك الاتفاق؛ مما يؤدي أحيانًا إلى التوتر بين الطرفين والإخلال بأمن الولاية، كما أنّ منع العثمانيين لقوافل الحج من سلوك الطرق من البصرة إلى الحجاز، قد أثار أيضًا استياء المنتفق وتحديهم لهذا القرار[٣٠].

وخلاصة الأمر أنّ العثمانيين فشلوا في القدرة على التعامل مع الغالبية العظمى من السكان، ممًّا ولّد استياءً عامًّا في البصرة، وخيَّب الآمال في حكمهم منذ بدايته.

الصلة بين نشأة بلد الزبير والوجود العثماني:

بعد استيلاء العثمانيين على البصرة سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، كما أسلفنا، واضطرار المنتفق إلى الانسحاب إلى باديتها، والتمترس بها، حتى إنّ أياس باشا فاتح البصرة لم يتمكن من تجاوز أسوارها ليزور قبور الصحابة والتابعين هناك، كما فعل حينما زحف بجيشه من بغداد باتجاه البصرة، حيث زار في طريقه ضريح علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النجف[٣١]، إلى أن اضطر العثمانيون مرغمين إلى إعطائهم بادية البصرة لتكون تحت حكمهم. وهو واقع كان قائمًا؛ إذ كان المنتفق قد اتخذوا من قرية كُوَيبدة (جويبدة) الوفيرة الماء مقرًّا شتويًّا دائمًا لهم، فالبادية غدت مرتبطة شكليًّا بالعثمانيين.

ويدَّعي النبهاني أنّ العثمانيين لما دخل العراق في حوزتهم بنوّا مسجدًا عند ضريح الزبير، وهو أول مسجد في هذه القصبة[٣٢]. إن ما ذكره النبهاني يفتقد إلى الدقة؛ إذ إن العثمانيين أخضعوا العراق على عدة مراحل، حيث استغرق منهم ذلك أكثر من أربعة عقود. فقد كانت زيارة القبطان العثماني سيد علي ريس إلى قبور الصحابة سنة ٩٦١هـ/١٥٥٤م من دون أن يجد أثرًا للعثمانيين فيها[٣٣]. لقد استدرك النبهاني بعد ذلك، ليحدد تلك الفترة بقوله: «في رجب ٩٧١هـ، تشرين ٢ نوفمبر ١٥٧١م أمر السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان ببناء قبة على ضريح الزبير وضريح طلحة. وبعد بناء تلك القبة على ضريح الزبير أخذ الناس يقصدون السكن حذاءه تبركًا بالضريح، حتى أصبح الضريح وسط القصبة تحيط به البيوت والمنازل من جميع جهاته»[٣٤].

وقول النبهاني هذا يمكن التحفظ عليه لأسباب عدة:

أولاً: أنه سبق أن ذكر أنّ العثمانيين قد بنوّا مسجدًا عند ضريح الزبير، والآن يقول إنهم بنوّا قبة فقط على الضريح، فأي القولين عنده هو الصحيح؟.

ثانيًا: إنّ وصفه لقصبة الزبير ربما يتوافق مع زيارته الشخصية لها سنة

١٣٤٠هـ/١٩٢١-١٩٢٢، وليس قبلها[٣٥]؛ إذ إنه يقر أنها لم تنشأ، فكيف تحولت إلى قصبة.

ثالثًا: هل كان لقبر الزبير بن العوام تلك المكانة في النفوس ليجذبهم للسكن بجواره؟ ألا يكفي لنفي ذلك عند حديثنا السابق عن ضريحه عبر القرون.

وفي السياق نفسه، فإنّ نسبة بناء قبة على ضريح الزبير إلى السلطان سليم الثاني، الذي دام حكمه ثمان سنوات (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م) لا وجود لسند تاريخي يؤيده. إضافة إلى أنّ الوقائع التاريخية التي حدثت في عهده تجعل من الصعب تصور ذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إنّ القادة العثمانيين الذين يفتحون منطقة ما هم الذين يقومون عادة ببناء مسجد، أو يعمرون ضريحًا للأولياء، ليخلدوا ذكراهم في مركز ذلك الإقليم، وليس في فضاء بعيد عن العمران. وهذا ما فعله إياس باشا فاتح البصرة؛ إذ بنى جامعًا في داخلها، وحمل اسمه، وإنّ الوقفية التي أوقفها على جامعه تعود إلى سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م، قد ذكر فيها أنه ينفق من هذه الوقفية على قراءة القرآن في جامعه ليهدي ثوابه إلى الحسن البصري من دون أن يرد فيها ذكر لضريح الزبير[٣٦]؛ إذ إن القادة العثمانيين عمومًا صوفيو المشرب والتوجُّه.

ثانيًا: تميز عهد السلطان المذكور بكثرة الثورات المكلفة في كل من اليمن ومنطقة الجزائر شمال البصرة، إضافة لمحاصرة محمد بن عثمان شيخ بادية المنتفق في البصرة[٣٧]. حتى إنّ الرحَّالة البرتغالي ألفونسو (Mestre Alfonso) عندما وصل إلى هرمز سنة ١٥٦٥م/ ٩٧٢هـ، وهو ينوي التوجه إلى البصرة لاجتياز الصحراء إلى حلب، اضطر إلى تغيير مسار طريقه إلى تبريز عبر هضبة ايران، ومنها إلى الموصل فحلب، بعد أن علم بمحاصرة العرب للبصرة[٣٨].

ثالثًا: أصيب العثمانيون في عهد السلطان المذكور بكارثة عسكرية كبرى في البحر المتوسط بعد تدمير أسطولهم تدميرًا كاملاً من قِبَل أساطيل التحالف

الأوربي في معركة ليبانتو سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م[٣٩]. لذا يصعب تصور أن يأمر السلطان المذكور والدولة غارقة في مشكلاتها ببناء قبة على ضريح الزبير في بقعة صحراوية قصِيَّة عن مركز الدولة! لا شك أنّ الجواب على ذلك أنه أمرٌ شبه مستحيل. مع ذلك فإن السلطان كان قد أمر بتعمير الكعبة المشرفة في مكة بعد تعرضها لأضرار كبيرة.

وفي السياق نفسه، فإن محمد بن خليفة النبهاني لم يجد ما يعزز فرضيته عند زيارته لضريح الزبير، فكل ما وجده هو رقعة عليها كتابة لا ترقى إلى زمن قديم، بل هي حديثة نسبيًا، تتضمن أنّ بلد الزبير مقدسة لوجود ضريح الزبير فيها، وهو ما جذب الناس للسكنى بها[٤٠]. مع العلم أنّ الشيخ علي الشرقي هو الآخر قد زار مسجد الزبير بن العوام بُعَيد زيارة الشيخ النبهاني له بمدة قصيرة، ولم يجد سوى رقشة عند ضريح الزبير كتب فيها اسم صاحب القبر[٤١]. ولعلها هي القبرية التي سبق لابن بطوطة أن ذكرها. ويجدر بنا أن نذكر هنا أن المؤرِّخ الزبيري عبدالله الغملاس، الذي لا بدّ أنه اطَّلع على ما ذكره النبهاني بخصوص ما يتعلق بتاريخ الزبير، قال: «إنّ أهل نجد أكثرهم جاء وسكن الزبير والكويت قبل بلوغ ابن عبدالوهاب...»[٤٢] درجة الشهرة.

يظهر مما سبق ضعف أقوال النبهاني وتهافتها حين يعزو سبب نشأة بلد الزبير أساسًا إلى قدسية المكان، وأن العثمانيين كان لهم الدور الرئيس في ذلك، متجاهلاً أنّ عموم أهل السنة لا يرون زيارة الأضرحة ضربًا من العبادة المفروضة، كما هو الحال عند طائفة الشيعة، باستثناء المتصوفة منهم.

وقفة عند آراء الصانع والعلي والباحسين:

لقد لاقت فرضية النبهاني قبولاً ودعمًا من عدد غير قليل ممن كتبوا في عصرنا هذا عن بلد الزبير بن العوام، وعلى رأسهم الأستاذان عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي، رحمهما الله؛ إذ يريان أنّ ما ذكره النبهاني ما هو إلا نصٌّ تاريخي محفور على قطعة من المرمر (الرخام) مثبتة على حائط

الضريح[٤٣]. وهو ما لم يقله النبهاني نفسه كما سبق[٤٤]. بل إنهما اخترعا دليلاً آخـر يؤيـد مقولة النبهاني حين قـالا إنّ إمارة الزبير وليدة قريـة نهر ذراع التي كانت تتوسـط ما بين البصـرة القديمة وضـريح الزبير[٤٥]. في حـين أن القرية المذكورة كانت تقع ضـمن حدود البصـرة الجديدة، وبالذات في جهتها الجنوبية الغربية للخارج من بوابة المشـراق حيث البساتين التي ترويها الأنهار والجداول، ومـن بينهـا نهر ذراع. وقـد ذُكرت تلك القرية في المسـح (الطابـو) الذي أجراه العثمانيون للموارد والسـكان في ولاية البصـرة سـنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، حيث ورد في الدفتر المذكور قرية نهر ذراع تنتج العنب والقطن والحنطة والشعير والتمور، ويجنى منها سـنويًّا من الرسوم مقدار ٥٠٠٠ شاهي[٤٦] بصري، وعدد سكانها ما يقارب ١٨٦ نسمة[٤٧]. وقد أشار إلى تلك القرية الرحَّالة نيبور حين قال إنّ بداية البادية القريبة من أسـوار البصـرة تمتاز بخصوبتها؛ إذ تجاور النهر، وجميعها مغطـاة ببسـاتين النخيل، وكانت هنـاك قرية كبيرة لا تبعد عن مدينة البصـرة باسـتقامة الجنوب الغربي عامرة قبل ثلاثين أو أربعين سـنة. أما اليوم فلم يبق شـيء منها سـوى بناية صـغيرة على ضـريح لولي مسـلم[٤٨]. كما أنّ المستشرق الفرنسـي ماسـينيون ذكر خرائب تلك القرية، وأنّ من بين خرائبها قبرَ السـيد شـعبان الرفاعي[٤٩] مؤسس الطريقة الرفاعية في البصرة الجديدة المتوفى عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م[٥٠].

لقد أضـاف الصـانع والعلي دليلاً آخر لدعم ادعاءات النبهاني حول سـبب نشـوء بلـدة الزبـير حينما قـالا إنّ جامعًا ثانيًا قـد بُني سـنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧-١٥٩٨م[٥١]. ولكـي يؤكـدا ادعاءاتهمـا أن بلـدة الزبـير قد سـكنها أهل نجد في التاريخ المذكور، استندا إلى وجود لوحة مثبتة في واجهته، في حين أنه من المعروف والشائع أنّ تلك اللوحة كانت قد وضعت حديثًا بعد أن أعاد الشيخ عبدالله السالم الصباح شيخ الكويت بناءه في حدود سنة ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ.

كما ادعيا أنّ أحد رجالات حسـين باشـا أفراسـياب المخلصـين، التركماني الأصـل، المدعـو محمـد بـداغ (بـوداق)، والـذي قتلـه أهـل البصـرة عـام

١٠٧٦هـ/١٦٥٧[٥٢] ما هو في الحقيقة إلا محمد بن فداغ جدّ أسرة الفداغ، وأنه قد فر هاربًا إلى الزبير حيث تقيم أسرته هناك، وهو ينتسب إلى قبيلة شمر[٥٣].

لقد وقع الصانع والعلي، رحمهما الله، في تصور خاطئ كبير؛ إذ إنّ الأسرة لم تكن قد نزحت بعد من نجد في التاريخ المذكور، بل إنّ الشائع أنهم جلوْا إلى الزبير من نجد بعد قرنٍ ونصف من ذلك التاريخ، خاصةً وأنّ لدينا دليلاً موثقًا على أنهم لا يزالون في نجد. لقد ورد ذلك في رحلة علي بن عبد الله الموسوي، حاكم الحويزة سابقًا، إلى الحج سنة ١٢٢٣هـ/ ١٧١١م، فقد قابل الأخيرُ في المدينة المنورة أحدَ أفراد الأسرة المدعو إبراهيم الفداغ، الذي عرَّف نفسه أنه من تميم، ويسكن في إحدى قرى سدير من نجد[٥٤]. ويبدو أنه قد قدِم من نجد إلى الحجاز لغرض الحج والتجارة. والدليل على قدرته المالية وكرمه أنه عطف على الموسوي عندما شكا له نفاد ما لديه من مال، فأقرضه مبلغًا من المال[٥٥] بعد أن عرف مكانته، مستحضرًا القول الشائع «أكرموا عزيز قوم ذلّ».

وأخيرًا، لا بدّ من وقفة قصيرة عند آراء الأستاذ الباحسين، متّعه الله بالصحة والعافية، رغم غرابتها؛ إذ يقول: لا يمكن الربط بين بناء قبة على ضريح الزبير وتأسيس مدينته، فمدينة الزبير قديمة قِدَم التاريخ الإسلامي!! ثم يعود ليخفف من آرائه القاطعة قائلاً: «ربما لم تُبْنَ فيه قبةٌ على ضريح الزبير إلا في فترة متأخرة، وأقدم ما ورد إلينا هو عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٢م، وأنه قد تمّ على نفقة السلطان عبدالعزيز ووالدته». في حين أنّ السلطان المذكور حكم ما بين عامي ١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م[٥٦]. فالفارق بين التاريخين هو ثلاثمائة وثمانون سنة. وبذا يتبين أن آراء الباحسين لا تستقيم مع ما سبق.

نكتفي بهذا القدر وعدم التطرق لآراء الآخرين الذين عاصروهم؛ لأنهم يرددون ما قاله النبهاني والصانع والعلي حول تاريخ نشأة الزبير مع أنّ اهتمامهم كان منصبًّا أساسًا على الجانب الجغرافي أو النشاط الديني الذي حدث في بلدة الزبير فترة متأخرة، ولا يدخل ضمن نطاق دراستنا هذه.

بدايات النشأة لبلد الزبير:

تتكاثر الأحداث والوقائع التي تشير إلى الزبير ما بين العقدين الأول والثالث من القرن ١٢هـ/ ١٨م. وقبل استعراض ذلك من الأفضل التحدث، ولو بإيجاز، عن الركائز الأساسية التي تدعو الناس إلى الاستقرار في موقع ما، ومن ثم نشوء القرى والبلدات. فقد سبق لكل من ابن أبي الربيع وابن خلدون أن تطرقا لتلك الركائز والأسس، وهي حصانة الموقع والمكان الذي يوفر الأمن والأمان ووفرة ماء الشرب للإنسان والحيوان، ووجود المرعى حوله، والبعد عن وخامة الهواء ومواطن الأوبئة. ويضاف إلى ذلك توفر مواد البناء للسكن، وسهولة الاتصال بالعالم الخارجي من دون عوائق[٥٧].

إذا ما دققنا النظر مليًّا في موقع الزبير الذي هو موقع المربد سابقًا، سنجدها محطة للقوافل منذ نشوء البصرة الإسلامية، حيث كان بنو شيبان يحتكرون قيادة القوافل إلى مكة وغيرها من الجهات[٥٨]. كما سنجد أنّ المنتفق ابن عقيل وبني عامر هم الذين قد تولوا تلك المهمة في أواخر العصور العباسية وما بعدها[٥٩]، حيث انتقلت المحطة إلى الدريهمية المجاورة للموقع السابق، إذ تتوفر فيها آبار المياه العذبة التي تأتيها مياه الأمطار عبر الأودية والشِّعاب من جهاتها الجنوبية الغربية، خاصة من وادي الباطن بنجد (بطن الرمة)، ويتجمع في منخفضها. فالقوافل كانت تتحرك من تلك المحطة في كل الاتجاهات من دون عائق، وما جبل سنام سوى علامة بارزة يهتدي بها السكان والقوافل. ويضاف إلى ذلك وجود المنتفق في هذا الفضاء الصحراوي كضامن أساس لسلامة السكان والقوافل معًا[٦٠].

وهناك دليل بالغ الأهمية لم يُتنبَّه إليه، وهو المكان الأول الذي جرى اختياره من قِبَل السكان الأوائل للاستقرار فيه، ألا وهو القرب من مياه الدريهمية، وأُطلق على تلك المحلة اسم (الكوت)، والكوت يعني القلعة أو الحصن القريب من الماء، مما يعني أن الماء كان هو الجاذبَ للسكن في ذلك المكان، وليس الضريح، بالرغم من أن بعض الأضرحة توفر الأمن للساكنين قربها.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إنّ موقع الزبير (المربد سابقًا) هو الذي أهلّها أساسًا لتكون جاذبة للقوافل التجارية وبالتالي للسكان، خاصة مع قرب المكان من البصرة الجديدة، التي هي نهاية للطرق النهرية وطريق البحر، وليس قدسية المكان كما ذهب إليه بعض المعاصرين الذين سبق ذكرهم.

إنّ بطرس البستاني هو أول من قال إنّ نشأة الزبير يعود إلى كون موقعها محطةً للقوافل التجارية في سيرها إلى الشام، فابتنت سارية من العرب بيوتًا قليلة العدد. إلا أنّ البستاني ابتعد كثيرًا حين قال: «وكان ذلك قبل ٣٠٠ عام»؛ أي إنّ هذا التاريخ قبيل صدور موسوعته بقليل (١٨٨٧م)، ليكون الاستقرار في نظره أوائل القرن ١١هـ/ أواخر القرن ١٦م[٦١]. وقد أيّد صاحبُ **منجم العمران**[٦٢] كلام البستاني، ومثل ذلك الصانع والعلي، إلا أنّ الأخيريْن جعلا المسجد والضريح هما الأساس، أي قدسية المكان، وليس السبب هو الموقع التجاري.

أيًّا ما كان الأمر، فمن الأجدى والأفضل الرجوع إلى دفتر مالية مدورة في إسطنبول لسنة ١٦٨٩-١٦٩١م، الذي تضمَّن وقفية لحضرة الزبير بن العوام ووقفية لطلحة بن عبيد الله[٦٣]، أوقفها أحد أثرياء البصرة. كما يمكن النظر في قول علي خان بن عبدالله خان الموسوي حين لجوئه إلى الشيخ مانع بن شبيب، شيخ قبيلة المنتفق في شتاء عام (١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م): «وصلتُ ظهرًا إلى جويبدة (كويبدة)، وهي ملك آل شبيب وإن كانت خرابًا، إلا أنّ كُوتها (قلعتها) باقية إلى الآن، وقلبانها كالينابيع، يُغرف منها بالقدح لقرب مائها. والتقيت بالشيخ مانع بالبرجسية، الذي رحَّب بي وأكرم وفادتي، وبعد ثلاثة أيام ارتحلنا محاذين الزبير من القبلة والميراد الحُسَي (الحصي)»[٦٤].

إنّ إشارة الموسوي هذه لتدل على وجود ضريح ومسجد الزبير بن العوام، ومن المحتمل وجود عدد قليل من السكان أيضًا. خاصة إذا ما استحضرنا أقوال بعض مؤرخي نجد عن سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٦٤-١٦٦٥م)، وحدوث قحط عظيم في نجد أسموه: (جرمان)، أدى إلى جلاء كثير من أهل نجد إلى الزبير والبصرة

والأحســاء، وأنّ الكثير منهم قد مات جوعًا. واســتمر القحط والغلاء في الســنة التي تلتها (١٠٨٦هـ)، والذي أســموه في نجد (جردان)، وجلا أهلها إلى الزبير والبصرة والأحساء[٦٥].

ويمكننــا القــول إنه تزامن هــذا النزوح من نجد إلى الزبـير مع تزايد نفوذ قبيلة المنتفق وقوتها في فضــائه بزعامة الشــيخ مانع بن شبيب، واتخاذها مركزًا لنشــاطه ضــد الصــفويين في البصــرة والعثمانيين مــن بعدهم، الذيــن أعادوا سلطتهم ثانية على البصرة سنة (١١١٢هـ/ ١٧٠١م)، حتى إنّ علي باشا، الوالي الجديد للبصــرة، توجه إلى مخيم الشــيخ مانع قرب الزبير، وألبسه خلعة شرف عــام (١١١٣هـ/١٧٠٢م)، كما اضــطر الوالي عندما توفي الشــيخ مانع بعد ذلك بقليل إلى الاعتراف بابنه حمود ليكون شيخ المشايخ[٦٦].

ويمكن القول إنّ حضــور المنتفق قرب موقع الزبـير وفّر الأمن للنازحين من نجد، ونتج عنه التعاضد والمساندة، بل والتمازج، وحتى الترابط الأسري بينهما، كما ســوف نرى هذا لاحقًا. ولقد حدث في نجد ســنة (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م) قحط عظيم سُــمي (سمدان)؛ أي بعد ثلاثين عامًا من القحط السابق، حيث جلا أهل نجد إلى الزبير والبصرة والأحساء[٦٧].

ولا بــد لنا من ذكر قول آدموف، القنصــل الروســي في البصــرة، الذي كان موجــودًا فيها أوائل القرن العشــرين: «إنّ بلد الزبير نشــأت بدايــة القرن ١٨م، أوائــل القرن ١٢هـ»[٦٨]. ويحدد الشــيخ عبدالقادر باش أعيان نشــأة الزبير بين عامــي (١١١٨-١١٣٠هــ/١٧٠٦-١٧١٨م)، وهي فترة طويلة نســبيًّا دون شــك، وافتقاره إلى دليل دقيق على ما قاله[٦٩].

وأيًّــا ما كان الأمر، فمن الواضــح أنّ الجلاء من نجد أثناء العقود الســابقة لم يكــن بالعــدد الكبير، خاصــةً وأنهم كانــوا يتجهون إلى بقاع عــدة، في حين أن الجلاء من نجد ســنة ١١٢٨-١١٣١هــ/١٧١٥-١٧١٨م على أثر القحط العظيم الــذي حدث فيهــا. كان قد توجه أهل نجد إلى الزبير والبصــرة والأحســاء[٧٠].

وأخرى سنة (١١٣٥هـ /١٧٢٢م) الذي عمّ منطقة سدير بالذات، وهو قحط مميت وغلاء شديد، استمر للسنة التي تلتها وسُمِّي بـ (سجي)، حيث تحولت الزبير على أثره إلى قرية كبيرة ملفتة للنظر. ومما يلفت الانتباه أيضًا أن بعض الذين جلَوْا خلال ذلك قد ذهبوا إلى الكويت[٧١]، التي ورد ذكرها لأول مره في المصادر النجدية. وقد وصف بعض أدباء سدير الوضع المأساوي الذي خلَّفه قحط (سجي) أثر ذلك بقوله:

غدا الناس أثلاثًا فثلث شريدة ... يلاوي صليب البين عار وجائع
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت ... وثلث إلى الأرياف جال وناجع[٧٢]

بروز بلد الزبير:

أخذت بلد الزبير بالبروز، وأمست تلفت إليها الأنظار أثناء فترة البحث هذا، فقد زارها مصطفى بن كمال الدين الصِّدِّيقي، الذي كان قد وصل إلى البصرة سنة (١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م) قادمًا من الشام عبر بغداد، حيث يقول: «في صبيحة يوم الأحد الحادي عشر من شوال المبارك (١١٣٨هـ) قصدنا زيارة الإمامين المعظَّمين جَناب سيدي طلحة والزبير بن العوام بصحبة بعض الرفاق، ولم نزل نتجارى في السير إلى أن وصلنا إلى حمى طلحة الخير، فزرنا ذلك المقام المهاب ... ودعونا الله تعالى لنا وللأحباب. وركبنا متون الخيل لزيارة زوج عمتي أسماء ذات النطاقين الزبير. وبعد زيارة حضرته والجلوس لدى سَدَنَته، دُعينا لدار قريبة من جامعه المنير، وأقمنا فيها إلى أن اندفع وهج الحرّ الشديد، واضطجعنا فوق سرير وكأنه الحرير ... ثم بعد أن صلينا العصر وزال عنا قيض الهجير توجهنا إلى زيارة سيدي الحسن البصري وسيدي محمد بن سيرين الأوحديّن»[٧٣].

وهنا نجد في أقوال الصِّدِّيقي دليلاً واضحًا على وجود ضريح مشيَّد للزبير ابن العوام، وبجواره جامعه، الذي يقوم في الخدمة فيه عدد من الخُدام، وعلى رأسهم موظف كبير هو السادن. كما يوجد بجواره عدد من المساكن المريحة،

ولربما كانت الغالبية العظمى من أصحاب تلك المساكن قد نزحوا من نجد في وقت ليس ببعيد.

إنّ زيارة الصِّدِّيقي تختلف عن الزيارة أو الزيارات التي كان قد قام بها كل من الشيخ عبدالسلام بن عبدالقادر، شيخ الطريقة الكوازية وشيوخ الطرق الصوفية في البصرة، كشعبان الرفاعي ومريديهم قبل ذلك بقرن تقريبًا أو يزيد قليلاً، أي في حدود (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)؛ إذ كانوا يقومون بتعمير بعض تلك الأضرحة من دون أن يرد ذكر لمسجد مشيَّد هناك، أو وجود ساكنين في ذلك الموقع(٧٤). الأمر الذي ينفي ادعاءات النبهاني والصانع والعلي ومَن حذا حذوهم.

يقتضي هنا استحضار قول نيبور (Nebuhr) الرحّالة الألماني الذي كان في البصرة عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، وجمع معلوماته من أفواه الرجال، إضافة لمشاهداته الشخصية، حيث ذكر أنّ الزبير لم تُبنَ بيوتُها الصغيرة حول قبر الزبير إلا منذ ثلاثين عامًا أو أربعين، أي ما بين (١١٣٧-١١٤٨هـ/ ١٧٢٥-١٧٣٥هـ)، ومنذ ذلك الوقت عُرفت البصرة القديمة بالزبير(٧٥).

لجوء الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى بلدة الزبير:

إنّ لجوء الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الزبير هاربًا من سلطة العثمانيين في البصرة يعد دليلاً قويًّا على أنّ الزبير كانت خارج سلطتهم؛ إذ شعر فيها بالأمن والأمان، وأنه قد أصبح محاطًا بأبناء جلدته النجادى، الذين ساعدوه للوصول إلى الأحساء فيما بعد. وفي السياق نفسه يقتضي معرفة الفترة الزمنية التي وصل فيها الشيخ إلى البصرة، والمدة التي قضاها فيها، خاصة وأنه قد تأثر تأثيرًا كبيرًا في آرائه تجاه ما شاهده ورآه فيها من ممارسات شِركية. فابن غنام(٧٦) والشيخ عبدالرحمن حفيده(٧٧) اللذان كان لهما ارتباط وثيق به، ذكرا أنّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب سافر إلى البصرة أكثر من مرة. في حين أنّ عثمان بن بشر لم يذكر تاريخًا لذلك، ولا المدة التي قضاها فيها ملازمًا لشيخه

في البصـرة محمد المجموعي[٧٨]. أما الباحث المعاصـر راشد العساكر، فيرى أنّ زيارة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب للبصـرة كانت مرتين: إحداهما برفقة عمه إبراهيم بن سـليمان سـنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م)[٧٩]، في حين أن أحمد بن برهان الدين باش أعيان المعاصـر قد تأثر بما ورد في كتاب **لمع الشـهاب في سيرة محمد ابن عبدالوهاب**[٨٠]، فيقول إنّ الشيخ وفد إلى البصرة من نجد سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢- ١٧٢٣م)، وأقـام فيها أربع سـنوات، كان يقوم خلالهـا بالوعظ وإعطاء الدروس في جوامع البصرة، وقد صاحَبَه وجالَسَه أنس بن درويش[٨١].

إنّ هـذا الرأي فيه بعض الغرابة، فكيف يقوم بالوعظ والتدريس في الجوامع وقد جاء إلى البصـرة لغرض التعلُّم في مدرسـة الشيخ محمد المجموعي؟ وكيف يصـاحب الشـيخ محمدُ بـن عبدالوهاب أنسَ بن درويشـ وهو شـيخ الطريقة الكوازية الصوفية التي يُدين الشيخ محمدُ بن عبدالوهاب تصرفاتها، حيث نجد في رسـائله نقدًا لاذعًا لتلك الممارسـات التي يراها، من وجهة نظره، بِدعًا بعيدة عن صفاء الإسلام الحنيف[٨٢].

وقبل أن نغادر هذه النقطة، لا بدّ من التطرق إلى المناخ السياسـي الذي كان سائدًا في البصرة والعراق وإيران على وجه العموم في هذه الفترة القريبة زمنيًا من وجود الشيخ بالبصرة، فقد سقطت الدولة الصفوية في إيران على يد الأفغان أتباع المذهب السـني سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م)، فعمَّت الفوضى في معظم أرجاء المنطقة على اتسـاعها[٨٣]، مما يجعل من غير الممكن قبول ادعاءات صـاحب **لمع الشهاب** من أنّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد زار مناطق عديدة مجاورة.

كما لا بد أن نشير إلى أمرين: أولهما القحط المميت الذي ضرب قرى سدير الذي سـمي (سـجي)، وهو ما مرّ بنا سـابقًا[٨٤]. كذلك الطاعون الذي ضـرب البصـرة سـنة (١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م)، والذي أزهق ما يناهـز ثمانية آلاف نفس، وهرب بعض السكان إلى الزبير أو أبعد من ذلك[٨٥].

ويجدر بنا أخيرًا ذكر قصيدة حميدان الشويعر، الذي قد يكون غادر الزبير

إلى نجد خلال تلك الفترة الحرجة أو بعدها بقليل، حيث يقول:

ظهرت من الحزم اللي به   سيد السادات من العشره

حطّيت سنام باليمنى   وطيت الرقعي مع ظهره[٨٦]

أيًّا ما كان الأمر، فمن الواضح أنّ كيان الزبير الصغير في بداية القرن ١٢هـ/١٨م أخذ في الظهور والانتعاش بعد أن أضحى تحت حماية المنتفق، وخارجًا عن سلطة العثمانيين ونفوذهم منذ العقود الأولى من ذلك القرن، خاصة مع ازدياد حركة القوافل التجارية البرية إلى حلب، فتحسنت أحوال السكان النازحين من نجد. ويؤيد ذلك الدليلان اللذان نسوقهما؛ فوكيل الشركة الهولندية في البصرة ذكر في يومياته أنّ وكيل الباشا (الكِهية) ذهب إلى الزبير (Isebeer) سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م لمقابلة الشيخ محمد بن مانع، شيخ المنتفق، الذي يقيم هناك، وقدَّم له خلعة ولكبار أصحابه، وطلب منه المساعدة في ضبط الأمن في الطريق ما بين بغداد والبصرة، ومنع تجاوزات العرب فيما بين المدينتين[٨٧]. في حين أنّ الرهبان الكرمليين في البصرة ذكروا في يومياتهم أنّ محمد باشا والي البصرة أرسل قوة عسكرية ضد الشيخ ابن مانع في الزبير سنة ١٧٣٠م، الموافق رمضان ١١٤٣هـ، فاستطاع أتباع الشيخ إبادة أغلبهم وجرح من تبقّى منهم، والاستيلاء على ما كانوا يحملونه من عتاد وسلاح. وكان عددهم ثمانين خيَّالاً وثمانية من المشاة يسوقون البغال المحملة بالمؤن والعتاد[٨٨]

الخلاصة:

تعرض البحث لادعاءات بعض المعاصرين الذين يرون أنّ نشأة بلد الزبير قد تم على يد سلطان العثمانيين سليم الثاني، الذي أمر ببناء قبة فوق ضريح الزبير بن العوام ومسجد بجواره، فاندفع الناس للسكن بجواره تبركًا بالضريح؛ أي إنّ قدسية المكان كانت السبب في نشأة الزبير. الأمر الذي دفعنا للتحري عن ذلك طويلاً عبر رحلة تاريخية، فثبت لنا أنّ المعطيات والوقائع تدحض ذلك؛ إذ إن موقع الزبير التاريخي الذي كان محطةً للقوافل منذ القدم، كان الجاذب

الرئيس للسكن هناك، خاصةً مع توفر الماء، مما عزز الاستقرار هناك بداية القرن ١٢هـ/ ١٨م، وهو التاريخ الذي يمكن الاطمئنان إليه لنشوء قرية صغيرة تدعى (الكُوت) قريبة من ماء الدريهمية من جهة، ومن ضريح الزبير بن العوام الذي لم يبدِ النازحون اهتمامًا به لا سابقًا ولا لاحقًا، خاصة لانتعاش حركة القوافل التجارية، والحماية التي توفر لها أثناء هذه الفترة الزمنية.



الهوامش:

(*) جامعة الملك سعود ـ الرياض.

(١) زمباور، **معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ت: زكي محمد حسن وزميله، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٦٢.

(٢) محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ج٣، ص١١٠-١١٣؛ خليفة بن خياط، **طبقات ابن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م.

(٣) محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق أحمد البردوني وزميله، الدار المصرية للنشر، القاهرة، ب. ت، ج١٣، ص٩٤.

(٤) **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ج٥، ص٩٧-٩٨.

(٥) **صورة الأرض**، تحقيق كرامس، أعادت طبعته دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢١٢-٢١٤.

(٦) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا وأخيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج١٤، ص٣٨٣.

(٧) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، حوادث ٣٨١- ٤٠٠.

(٨) **خطط البصرة وبغداد**، ترجمة وإضافة إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص١١٦.

(٩) رحلة أبي الحسن الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق نواف بن عبدالعزيز الجمعة، الكويت، ٢٠١٢م، ص٢٣٧-٢٣٩. ومن الجدير بالذكر أن ماسنيون ذكر أن مقام طلحة قد اختفى نتيجة السيول، فقامت ابنته ببناء مقام آخر له، المرجع السابق، ص٥٣-٥٤.

(١٠) كتاب **الحوادث الجامعة** لمؤلف من القرن الثامن، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبدالسلام، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٣٧-١٣٩، ٢٠٩-٢١١.

(١١) **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مجلد ٢، ص١٤، مجلد ٤، ص٣١٢.

(١٢) عبداللطيف بن ناصر الحميدان، صلة السلطة بالقبائل في العصور العباسية المتأخرة، **مجلة العرب**، الرياض، ج٩ و١٠ و١١ و١٢، سنة ٥٢، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص٦١٤-٦٣٤، ٨٤٥-٨٥٨: كذلك الصلة بين القبيلة والسلطة المغولية في العراق، **مجلة الجمعية التاريخية السعودية**، ١٤٣٦م/٢٠١٥م العدد ٣١، ص١٠٥-١٣٦.

(١٣) **صورة الأرض**، مصدر سابق.

(١٤) **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٢٥.

(١٥) **تحفة النظار**، مصدر سابق.

(١٦) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، المطبعة المحمودية، ط٢، القاهرة، ١٣٤٢هـ، البصرة رقم ٩، ص٩١-٩٢، **مختصر تاريخ البصرة**، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٧م، ١١٩.

(١٧) **البصرة في أدوارها التاريخية**، دار البصري، بغداد، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص٥٤-٥٥.

(١٨) ماسينيون، **خطط البصرة**، مرجع سابق، ص٣٣ الذي ينقل الخبر عن عدد من المصادر من بينها **المنتظم**.

(١٩) **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٦٣-٣٧٣، ومن الجدير بالذكر أنه حدث انهيار في الأرض في منطقة المراغة في الزبير، شوهد من خلال حوض كبير وعميق، وله نفق طويل لعله يؤيد ما ذكرته المصادر الآنفة. كما يذكر ابن الغملاس أنه رأى شمال الجامع معقودةً على ساق، وهو سرداب عظيم عميق عابر إلى السدة، ولا نعلم حده، وهو نظير السرداب الذي وجد في المراغة جنوب الحزم، لعله يصل إلى الدريهمية، **تاريخ الزبير والبصرة**، ص١٤٨، كذلك انظر كتاب الصانع والعلي، **إمارة الزبير**، ج٤، ص٩٤.

(٢٠) قال ابن الغملاس: «رأيت شمال الجامع - البصرة القديم - على إنسان يقطع صخرًا معقودًا على ساق، وهو سرداب عظيم عميق عابر إلى السدة ولا نعلم حده». والسدة التي أشار إليها هي النهاية الشرقية لخرائب البصرة القديمة التي يدعونها (الحصوة) حتى الأطراف الجنوبية الغربية من البصرة الجديدة. ثم يصف ابن الغملاس أنه نظير السرداب الذي وجد في المراغة جنوب الحزم عابرًا جنوبًا لعله إلى الدريهمية، **تاريخ الزبير**، ص١٤٨. أما الأستاذان الصانع والعلي، فقد ذكرا أن القبو في الحصوة قد رآه عبدالوهاب سعود البابطين الذي يعمل جمالاً بين الزبير والبصرة. كما يذكران أيضًا أن القبو معقود بالطابوق اكتُشف في سوق الحزم أمام دكاكين القضيب، فإذا هو كالسرداب، قُطره دائري، بقامة الإنسان المتوسط. ثم ظهر آخر قرب ضريح الزبير بن العوام في المراغة. انظر: **إمارة الزبير بين هجريتين**، ج٤، ص٩٤.

(٢١) عبداللطيف ناصر الحميدان، صلة السلطة بالقبيلة التركمانية في العراق، جنوبه نموذجًا، سوف ينشر قريبًا في **مجلة الدارة**.

(٢٢) Joao de Barros ، DE Asia.dec1v liv111Capx111B331-49.

(٢٣) جلال هارون الأنصاري، **تاريخ عرب بنو حرام**، دار الموسوعات، بيروت، ٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ.

(٢٤) يحيى بن إبراهيم البصري (أبوزكريا) صورة من المخطوط في مكتبتنا الخاصة، ص٧٣؛ عبداللطيف بن ناصر الحميدان، **إمارة المنتفق في البصرة والأحساء والقطيف**، كتاب تحت النشر ضمن إصدارات دارة الملك عبدالعزيز.

(٢٥) **المكتبة العباسية في البصرة، تاريخها ومخطوطاتها**، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١١-١١٢.

(٢٦) Itinerarios de India a Portugal par Terre، [Combia، 1923] pp.110-112.

(٢٧) عبداللطيف ناصر الحميدان، **إمارة المنتفق**، مرجع سابق تحت النشر.

(٢٨) راجع كتابنا **إمارة المنتفق في البصرة**، (تحت الطبع).

(٢٩) محمد راشد أفندي، **تاريخ راشد**، مطبعة السلطنة، إستانبول، ١٢٨٢هـ، مجلد ٣، ص١٩٥.

(٣٠) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، دفتر المهمة رقم ٦، ص ٣٥٥، حكم ٧٦١: الجزيري، عبدالقادر، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق حمد الجاسر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص١١٢٣، ١٢٨٩.

(٣١) عبداللطيف الحميدان، المرجع السابق.

(٣٢) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق، ص١١٨-١٢٢-٢٣.

(٣٣) **رحلات بين العراق وبلاد الشام**.

(٣٤) **التحفة النبهانية**، ص١٢٣.

(٣٥) المرجع نفسه، ص١٢٣.

(٣٦) K. K.Harameyn Mukraamin، Defteri 1377/2.

(٣٧) منجم باشي أحمد، **جامع الدول**، تحقيق غسان علي الرمال، مكة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج٢، ص٨١٦-٨٤٠. محمد بن أحمد الرومي، **نخبة التواريخ**، استانبول: ١٢٧٦، ص١٠٨، ١١٠-١١٤؛ EI2.art، Sellem11، E.ebid; C.E.Boswortthand Other، VOL 1x، Leiden، 1997.

(٣٨) D. Carruithers [Ed] The Desert Route to India، London، 1929، PxVII.

(٣٩) خليل اينالجك، **الدولة العثمانية منذ النشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٨.

(٤٠) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق، البصرة رقم ٩، ص ١١٥.

(٤١) بلدة الزبير والبصرة القديمة، **مجلة لغة العرب**، بغداد ١٩٢٨، العدد ١٤.

(٤٢) **تاريخ الزبير والبصرة**، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف (دار دجلة، عمان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٦٥.

(٤٣) **إمارة الزبير بين هجرتين**، الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج ٤، ص ١٥.

(٤٤) المرجع نفسه، ج١، ص ٤٥.

(٤٥) المرجع نفسه، ج١، ص ٣٣-٤٠.

(٤٦) عملة نقدية من الفضة الخالصة ضربت في البصرة من قبل العثمانيين محاكاة للعملة الصفوية التي تحمل الاسم نفسه، واستمرت في التداول بالبصرة خاصة.

(٤٧) أرشيف رئاسة الوزراء بإستنبول، دفتر التحرير (الطابو) رقم ٢٨٧، ص ١٦٣- ٣٤٠. وهو دفتر منفصل ومجمل.

(٤٨) **رحلة في شبه الجزيرة العربية**، ترجمة عبير المنذر، الانتشار العربي، بيروت ٢٠٠٧م، ج١، ص ١٨٩.

(٤٩) ماسنيون، **خطط البصرة**، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٥٠) شهاب الدين بن أحمد البصري، **أنيس المحزون والسر المكنون**، نسخة مصورة من مخطوطات مكتبة برلين في مكتبتنا الخاصة.

(٥١) **إمارة الزبير بين هجرتين**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٥-٣٦.

(٥٢) فتح الله بن علوان الكعبي، **زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر**، صححه خلف شوقي أمين، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ص٣٦.

(٥٣) **إمارة الزبير بين هجرتين**، مرجع سابق، ج١، ص٨٧-٨٩.

(٥٤) راجع مخطوطة **تاريخ صفوية**، مكتبة سبهلا، ظهران رقم ١٥١٣ ورقة، ص ١٥٤-١٥٦، كذلك راجع بحثنا حول سير بن الموسوي: مخطوطة علي بن عبدالله الموسوي، محتواها وأهميتها. **المجلة التاريخية المغربية**، تونس ١٩٨٣، عدد ٢٩-٣٠، ص ١٦٧-١٩٩.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) **لمحة من تاريخ مدينة الزبير**، مرجع سابق، ص١٩٤- ١٩٧.

(٥٧) ابن أبي الربيع، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، القاهرة، ١٣٢٩هـ، ص١٩٣. ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبدالسلام الشدادي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ج٢، ص١٨٢-١٨٥.

(٥٨) ماسينيون، **خطط البصرة**، مرجع سابق، ص١٧، ٤٠.

(٥٩) راجع دراستنا حول صلة السلطة بالقبائل في العصر العباسي المتأخرة، مرجع سابق، مثل ذلك **الصلة بين القبيلة والسلطة في الحقبة المغولية**، مرجع سابق.

(٦٠) حول مميزات موقع الزبير، مؤيد بن جواد بهجت، **الجغرافية التاريخية لمدينة البصرة**، المنامة، ١٩٨٤م، ص١٤١- ١٤٣. كذلك أحمد بن جارالله الجارلله، **مدينة الزبير وإقليمها**، الدمام، ١٤٢٤هـ، ص٣٥-٦٥، ٨٧- ٩٦.

(٦١) **دائرة المعارف** البستاني، بيروت، ١٨٨٧م، ج٥، مادة (الزبير).

(٦٢) محمد أمين الخانجي، القاهرة (د: ت)، ج١٠، ص ٢٢٧.

(٦٣) أرشيف رئاسة الوزراء، إستانبول، مالية مدور دفتري، رقم ٥٤٦١ لسنة ١٦٨٩-١٦٩١.

(٦٤) **تاريخ صفدية أو الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ورقة ٩٤.

(٦٥) عبدالله بن محمد البسام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، دراسة أيمن الحنيحن وزميله، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٤هـ، ص ٧٧-٧٨؛ محمد بن حمد العوسجي، **تاريخ ابن عباد**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٦.

(٦٦) منشات محمد رامي، المكتبة الوطنية النمساوي رقم 1-86 197 d H.O.

(٦٧) البسام، مصدر سابق، ص٩١.

(٦٨) **ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها**.

(٦٩) **البصرة في أدوارها التاريخية**، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٧٠) البسام، مصدر سابق، ص ٩٧.

(٧١) المصدر نفسه، ص١٠٠؛ ابن بشر، **عنوان المجد**؛ السوابق، تحقيق عبدالله بن محمد المنيف، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، **البصرة في أدوارها التاريخية**، مرجع سابق، ص٣٩.

(٧٢) البسام، مصدر سابق، ص ١٠١، **سوابق عنوان المجد**، ص١٥١.

(٧٣) **كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان**، مخطوطة كمبرج، رقم ٩٣٠/٩٣٠ورقة ٩٢ Brown`s Handlist (Cambridge University) (نسخة مصورة في مكتبتنا الخاصة).

(٧٤) يحيى بن إبراهيم البصري، **تمايم الدرر في مناقب السادة الغرر**، ص ٢٧١ (لدينا نسخة مصورة في مكتبتنا الخاصة): شهاب الدين بن أحمد البصري، **أنيس المحزون والسر المكنون**، مخطوطة، ورقة ٨٠، في مكتبتنا الخاصة نسخة مصورة من مكتبة برلين.

(٧٥) **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، مصدر سابق، ٢، ص١٩١.

(٧٦) حسين بن أبي بكر بن غنام، **تاريخ ابن غنام**، اعتنى به سليمان وصالح الخراشي، دار الثلوثية، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص ٢١٠.

(٧٧) **المقامات**، تحقيق عبدالعزيز بن محمد المطوع، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٦٥-٦٦.

(٧٨) **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، الرياض١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دارة الملك عبدالعزيز، ج١، ص ٣٦٥-٣٧.

(٧٩) ٢٨٠ محادثة مع طالبنا النجيب راشد بن محمد بن عساكر.

(٨٠) مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٥٢-٥٥.

(٨١) **المكتبة العباسية في البصرة، تاريخها ومخطوطاتها**، الدار العربية للموسوعات، بيروت،٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ، ص٥١-١٦.

(٨٢) راجع **تاريخ ابن غنام**، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٨٣) راجع تفصيل ذلك في: A.N.al- Humaidan، theSocial:Political، History of Bagdad and Basra. Ph.D unpublished. Mancy Univ. 1975. pp.85-113.

(٨٤) انظر إبراهيم بن صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص٧٤-٧٥.

(٨٥) A Chronical of Carmilet in Persai. London 1939. p.1192.

(٨٦) الفراج، **ديوان النبط**، الكويت، ج١، ص١٤، ويرى الأستاذ عبدالله يوسف الشبل أن حميدان الشويعر كان لايزال على قيد الحياة عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م، خلافًا لما كان يعتقد أنه كان قد توفي قبل ذلك. راجع **تاريخ ابن عباد**، تحقيق عبدالله يوسف الشبل، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٣١.

(٨٧) DUTCH Archive.VOC 9099 p.2.

(٨٨) A Chronical of Carmilet in Persai. p.1192.

قراءة في التأويل عند نقادنا القدماء

بن عيني عبدالله(*)

عــرف الكلام الأدبيّ البديع منــذُ القديم تبجيلاً ما بعده تبجيل، وكان دائمًا محطّ اهتمام الدراســين؛ ذلك لأنّه لا يعبِّر عــن المعنى بالطرق المعتادة، ويتناولُه مــن الزّاوية الضــيقة للتعبير، بــل يغلّفه بأشــكال تعبيرية رفيعــة، ويقدّمه تحفةً بديعــة، تجعله جليــلاً مطلوبًا، يثير النُّفوس، ويخلُب العقــول، ويدفع إلى الافتتان بالمعاني وطرق إيرادها، ويجعل قارئ النص يبحثُ دائمًا عمّا خفي وغُلِّف، ساعيًا إلــى تحديد دلالات هذا الكلام، محقِّقًا التّأويل المناســب لمــا ورد عليه من أقوال، وعلى هذا يمكنُ القول: إنّ «التّأويل يُولَد مع مولد النّص، وهو فعاليّة أدبيّة وفكريّة ينهضــ بها المتلقّــي، القارئ للنّص والباحــث عن مدلولاته الجماليــة وإيحاءاته الفكريّة؛ لذا يمكن القول إنّ التّأويل هو القراءة الدّقيقة للنّص»[١].

وقــد اهتمّ نقادنا القدماء بالأدب والأدباء، وأولــوْا هذا الكلام الأدبيّ عناية خاصــة لمدّة طويلة من الزّمــن، ووقفوا وقفةً جليلة عند قضــيّة التأويل، مُنظِّرين ومطبِّقــين؛ إذْ حــدّدوا لها قواعــد، وأوردوا فيها رُؤاهم، وحاولوا على ضــوء هذه الــرؤى، وعلى نســق تلــك القواعد، الغوصــ في القول الأدبيّ، وخاصــة في شــقه

الشّعري، معتمدين على ما سبقهم من تأويلات من مُنطلق أنّ «العمليّة الإبداعية تُولِّد نصًّا يوازي النّص الإبداعي»[٢].

أضـفْ إلى هذا أن هــذا النّص الإبداعي يجب أن يتضــمّن «احتمالات تقبل التّأويل، وإمكانــات تأويليّة تنفتحُ أمام الرّؤى المتعدّدة للقرّاء، أي أنّ يكون النّص محتويًا على إشــارات وفراغات وإمكانيّة قرائية متعــدّدة... وهذا التّأويل يتحقّق بصــورة واضــحة في النُّصــوص الأدبيّة»[٣]. وعلى هذا فالنّصــ الأدبي هو وحده ما يتيح للقارئ فرصــة في رحاب التأويل، على أن تكون هذه الفرصــة مصــحوبةً بمؤشــرات وعلامــات تدل على ما خفي، وتوصــل إلى ما جعل مــن المعنى في قمّة الجلال والإثارة.

وقد وجدنا، من خلال اســتقرائنا لبعض نصُــوص الــتراث النّقدي القديم، بعض الرُّؤى في قضية التّأويل، كما لحظنا وقوف نقادنا القدماء عند أقوال أدبية، مُدْلين بتأويلات وما توصــلوا إليه من دلالات، مكمِّلين ما سبقهم من تأويل حينًا، أو مُصــححين ومخالفــين حينًا آخر، ومن هؤلاء الجرجاني صــاحب **الوســاطة**، الذي أدْلى برأيه في التأويل مُشيرًا إلى أنه واسع ولا يقف عنْد حُدود معنى واحد، وذلك عند تعرّضه لبيت المتنبي:

ما بقومي شرُفْت بل شرُفــوا بي   وبنفسي فخَــرت لا بجــدُودي[٤]

فقد علّق الجرجاني على البيْت قائلاً: «فختم القول بأنه لا شــرف له بآبائه. وهــذا هجو صــريح. وقد رأيْــت من يعتذر له، فيزعــم أنّه أراد: ما شــرُفْت فقط بآبائــي، أيْ لي مفاخــر غــير الأُبُوَّة، وفيَّ مناقبُ ســوى الحســب. وبــاب التّأويل واســع، والمقاصد مغيبةٌ. وإنما يُسْتشــهد بالظّاهر، ويتّبع موقع اللفظ، فأمّا قوله: وبنفســي فخْرت لا بجدودي، فهو صالح؛ لأنه لم ينفِ أن يكُون له فيهم وبهم رتبة في الفخْر»[٥].

إنّ الجرجاني يقرُّ بأن التأويل واسعٌ، والمعاني متعددة ظاهرة أحيانًا، وكامنة

أحيانًــا أخرى خلْف الألفاظ، وهذه الألفاظ هي المؤشّـرات التي تقود إلى المعاني الظّاهــرة والخفية، والقــراءة الجيدة لها ثم تفحُّصُــها هو ما يقــود إلى التأويل الصّــحيح، فهو يرى أن هُناك مَن كان اسـتقباله للّفظ في بيت المتنبي خاطئًا، أو أراد أن يلتمس الأعذار للشّــاعر فيما أخطأ فيه، فأشــار الجرجاني إلى أنّ هناك مَن أوَّل شطر البيت الأول تأويلاً خاطئًا بناءً على النية والمقصد، مدعيًا أن المتنبي أراد الإشــارة إلى أن له مفاخرَ أخرى غير مفاخر الأُبُوَّة، في حين يرى الجرجاني أن المقصود هنا هو ذاك الذي ظهر من خلال اللفظ، وهو نفي أن يكون له شرف بالآباء، وهذا يقُود إلى أن المعنى قد صُبَّ في قالب هجْو.

فعلــى الرّغم من أن باب التأويل واســع، ومراد الشــعراء خَفــيٌّ لا يظهر لأيٍّ كان، إلا أنّ هــذا مرتبــطٌ إلــى حد بعيــد بالقراءة الصّــحيحة للّفظ، وما يشــير إليه باعتباره الشّــاهدَ الحقيقــي على المعنى. فالمتنبي من هذا المنطلق، وحســب الجرجاني، لم يقصــد إلى هجاء نفســه، وإنما قصــد الفخر، غير أنه أخطأ في التّعبير عن مقصده.

وســياق اللّفظ لا يدل البتة على هذا المقصد، بمعنى أن مراد المبدع يجب أن يُوطّن بالمؤشــر اللفظي، وانطلاقًا من المؤشّــر هذا يكون التأويــل، ودون أنْ يُقَوَّل المبدع ما لم يقُله، وإن أيقنت أنّ ما توصّلت إليه من تأويل هو الصّحيح، وهو مرادُ المبدع، فلا مفرَّ عندها من أن تجزم بأنّ المبدع قد أخطأ في التّعبير.

ولا يخــرجُ ابن رشــيق بدوره عن هــذا المنحى؛ إذ نجدُه يــوردُ رأيًا قريبًا إلى حدّ بعيد من رأي الجرجاني، وهذا عند تعرضــه للاتِّســاع، والذي يعني عنده أن الشّــاعر قد يأتي ببيت «يتّسع فيه التّأويل، فيأتي كلٌّ واحد بمعنى، وإنّما يقع ذلك لاحتمال اللّفظ وقوته واتّساع المعنى، ومن ذلك قولُ امرئ القيس:

مكرّ مفرّ مقبل مدبــــر معــًا   كجلمود صخر حطّه السّيل من عَلِ

فإنّمــا أراد أنّــه يصلــح للكــرِّ والفرِّ، ويحســنُ مقبــلاً مدبرًا، ثمّ قــال: معًا،

أي: جميع ذلك فيه، وشبّهه في سرعته وشدّة جريه بجلمود صخر حطّه السّيل من أعلى الجبل؛ فإذا انحطّ من عالٍ كان شديد السُّرعة، فكيف إذا أعانته قوّة السّيل من ورائه؟؟ وذهب قومٌ - منهم عبدالكريم[٦] - إلى أنّ معنى قوله: «كجلمود صخر حطّه السّيل من علِ»، إنّما هو الصّلابة؛ لأنّ الصخر عندهم كلّما كان أظهرَ للشّمس والرِّيح كان أصلب. وقال بعض من فسّره من المحدَثين: إنّما أراد الإفراط، فزعم أنّه يُرى مقبلاً ومدبرًا في حال واحدة عند الكرِّ والفرِّ لشدّة سرعته، واعترض على نفسه، واحتج بما يوجد عيانًا؛ فمثَّله بالجلمود المنحدر من قُنّة الجبل، فإنّك ترى ظهره في النّصبة على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبلٌ إليك، ولعلّ هذا ما مرَّ قط ببال امرئ القيس، ولا خطر في وهمه، ولا وقع في خلده، ولا روعه»[٧].

إنّ حديث ابن رشيق عن التّأويل فيه تأكيد أنّ هناك تأويلات للبيت الشِّعري، بعضها مقارب لمراد الشاعر، والبعض الآخر مخالف إلى حدٍّ بعيد - حسبه - لما أراده الشّاعر، وقد استهلَّ الكلام بقراءته هو للبيت الشِّعري، وما وصل إليه من تأويل، فقدّم معنى متداولاً قريبًا يفهمه القارئ دون مشقّة ويتقبَّله؛ إذ أشار إلى أنّ الفرس خارق السُّرعة كالجلمود الذي ينزل بسرعة تضاعفها قوة السّيل، ثمّ يذهب إلى إيراد تأويلات السابقين، حيث إنّهم توصّلوا في تأويلهم إلى أنّ امرأ القيس أراد الإشارة إلى أن فرسه في منتهى الصلابة والقوة، مثل الصخر الذي يزداد صلابة وقوة ومقاومة بحكم تعرضه الدائم للشمس، في حين ذهب البعض إلى أن امرأ القيس أراد المحال لفرسه، فجمع بين ما لا يجتمع، فالإقبال والإدبار نقيضان، وما جمع الشّاعر بينهما إلا رغبة منه في تفعيل عملية التواصل بين المبدع والقارئ[٨].

إنّ القول فيه حديثٌ عن الاتساع، أي التأويلات المتعدّدة للكلام الواحد، فابن رشيق يرى أن التأويل يمكنُ ألا يكون محدودًا، وعدد التّأويلات يخضع لقوة اللّفظ ومدى احتمالاته المفتُوحة على المعاني؛ فبعضُ الكلام في تركيبه وسحر تنسيقه

يجعل باب التأويل مفتوحًا، ويقودُ إلى أكثر من دلالة، وقد استدلّ على ذلك ببيت امرئ القيس هذا.

إنّ ابن رشيق قد ذهب إلى تأويله بشكل مختلف، مخالفًا مَن سبقه، مُوردًا ما وجد من تأويلات، منها تأويل عبد الكريم النهشلي وأمثاله، وتأويل آخر للمحْدَثين من النّقاد، مُومئًا إلى أن تأويل النّهشلي يمكن تقبُّله لأنّه لم يخطِّئه، وبالتالي فتأويل ابن رشيق مكمِّل لتأويل أستاذه، بينما التأويل الثاني لا يمكنُ تقبُّله، خاصة وأنه بدأه بكلمة زعم، ثم ختمه بالإشارة إلى أنّ هذا المعنى لم يخطر حتّى في بال امرئ القيس.

فالتّأويل من هذا المنطلق يرتبط بالمقصد وما أراده المبدع، والمؤشرات اللّفظية تؤازر هذا التّأويل، ومن قال بغير هذا، وأوَّلَ دون التفات إلى الإشارات والدلائل، فهو مخطئ، وقوَّل المبدع ما لم يقلْه دُون دليل من منظور ابن رشيق، وهذا يجعلنا نقول: إن تعدد التّأويل يجب أن يكون متّصلاً بالسّياق اللّفظي، وفي حدود الاتساع الذي يقتضيه المعنى، فلا يجب أن يؤوِّل كلٌّ واحدٍ على هواه بدعوى أنّ باب التأويل واسعٌ، وبيت امرئ القيس دليل على هذا.

أي إنّ التأويل مفتوحٌ ومتعددٌ، ولكن بما يستسيغه المنطق، وتتقبله الذائقة الأدبية، وتحدّده البنية اللّفظية؛ ذلك أنّ «اللّفظ يحتمل تأويلين: أحدُهما يلائم المعنى الذي أنت فيه، والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد»[٩].

ولو فعلنا هذا لأصبح المبدعُ مَلغيًّا، أو لأنقصْنا الكثير من قيمته، حيثُ جعلناه لا يعي ما يقُوله، من قريب أو من بعيد، فاللّفظ يؤدّي إلى معنى مناسب له، وينجُم عنه بالضرورة، وفق دليل أو مؤشّر يؤكد صحّة ما ذهبْت إليه، وقد يذهبُ غيرك إلى ما يُلائم هذا اللّفظ، ويأتي بمعنى دون أن يُقيم حجّة مقنعة على أنه المعنى الخفي المراد.

ومثال ذلك قولُ العرب: «حاتم كثير رماد القِدر»، اللّفظ يأخذُك إلى المعنى

الثـاني المراد، وهــو الكرم، ودليل ذلك مؤشّــر حاتم، وكثرة الرمــاد. وقد يذهب آخــر إلى أن المعنى المــراد هو كثرة عدد العائلة دُون التفــات إلى كلمة حاتم، كما قد يذهبُ آخر إلى أنّ الجوَّ بارد، مُلغيًا من اللّفظ مؤشّر حاتم ومُؤشر القِدر معًا.

وهــذا الطّرح من ابن رشــيق دون شــكّ غايته وضــعُ حدّ للذيــن يؤوِّلون على هواهــم، ويذهبون إلى أشــياء لا تمتُّ إلى البنية اللّفظية بصــلة، بدعوى أنّ باب التأويل واسع، وأنّ المبدع قد لا يتنبه للفكرة أو لجزئية منها عند الإبداع. نعم، إنّ باب التأويل مفتوح، ولكن انفتاحه هذا تضبِطه ضوابطُ، وتحدُّه حُدود، وأحيانًا لا يكون العيبُ في التّأويل، بل يكون في المؤشرات اللّفظية التي توصلُ إليه؛ ومن ذلك ما وقع لابن قيس الرقيات، حيثُ فُهم بيته على غير ما أراد له، وذلك حين قال:

تقدّتْ بيَ الشّهبـاء نحو ابن جعفرٍ سـواءٌ عليها ليلُهـا ونهارُهـا(١٠)

هذا البيت جعل ابن أبي عتيق يســلّم على الرقيات بقوله: «عليك السّــلام يا فارس العمياء، فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمّد بأبي أنت؟! قال: أنت سميت نفسك حيثُ تقول: سواء عليها ليلُها ونهارُها، فما يستوي الليلُ والنهار إلا علــى عمياء، قال: إنما عنيتُ التعب، قال: فبيتُك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه»(١١).

هذا يقودُ إلى القول بأنّ المؤشرات اللّفظية قد يكون فيها خطأ في التّنسيق، أو ينقصها شيء يفتح باب التّأويل، فيؤدي إلى تأويل صحيح، ولكنّه غير مراد، وهذا ما حدث للرُّقيات، ذلك أن اســتواء الليل والنّهار عند العرب يُشــار به إلى التّعب، فكان لزامًا عليه أن يضــع في حســبانه أنّ هنـاك من تغيبُ عنه بعض تقاليد القول العربية(١٢). وقد تكُون المؤشّرات اللفظية سليمة التّنسيق، ولكن يتأوّل السامع غير المقصود، وذلك ما حدث عند تأويل قول امرئ القيس في فرسه.

إنّ ابــن قيس الرُقيات كان لزامًا عليه أن يضــع مؤشّــرًا يقف حائلاً أمام ما ذهب إليه ابن أبي عتيق، ولعلّ أحســن قول في قضــية ارتباط التأويل بلفظه، وما يقــود إليه مــن خلال التركيب، هو ما ذهب إليه ابن طباطبا العلوي حين رأى بأنّ

«أحسن الشعر ما يُوضع فيه كُلُّ كلمة موضعَها حتى يُطابق المعنى الذي أُريدت له، ويكُون شاهدُها معها، لا تحتاج إلى تفسير من غير ذاتها»(١٣).

ويذهبُ الجُرجاني في **أسرار البلاغة** المذهب نفسه، حيث يقرُّ بأن الاستعارة «تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصَّدَفة الواحدة عدة من الدُّرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثّمر»(١٤). اليسير من اللفظ هو إيجاز، وما يرجُوه المتكلم ويقصدُ إليه إلا إظهارًا للبراعة، والقدرة على التّعبير عن كثرة المعاني بأقلّ لفظ، ومن ثَم لا يمكنُ الوقوف في إيجاز الاستعارة عند حُدود اللفظ، بل يجب التّأويل والغوص في باطن الكلام للوصُول إلى تلك المعاني الكثيرة التي جعلتها الاستعارة تظهرُ في شكل ضيِّق، أقلّ ما يقال عنه إنّه خاضع للفظ الاستعارة؛ إذ على ضوء النّظْم الموجود فيها حصل التضييق على المعاني، ولا سبيل للوصُول إليه إلا بفكِّ هذا التضييق والغوص في الاستعارة، لنتمكن من الوصُول إلى تأويل مناسب، وهذا الطرح من الجرجاني نجد فيه أشياء إضافية، فهو يرى الأخذ بظاهر اللّفظ في الاستعارة لا يقُود إلى المعنى، بل على المؤَوِّل أن يتخذ المؤشّرات اللفظية في الاستعارة مطيةً للوصُول إلى المعاني الخفية الملائمة.

ويدلي الجرجاني في موطن آخر من **أسرار البلاغة** برأي مكمِّل لفكرة التّأويل، مناديًا بجمالية الغموض الذي يستدعي إعمال الفكر، وتصريف الخاطر للوصول إلى التّأويل الملائم، واستخراج ما كمُن من المعنى في ثنايا الكلام، فهو يرى أن المعنى «في الأكثر ينجلي لك بعد أن يُحوجِك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه. وما كان منه ألطف، كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد»(١٥).

إن المعنى لا يكون ظاهرًا مكشوفًا، بل يكون كامنًا تحت الألفاظ، ويحتاج إلى إمعان النظر حتّى نستخرجه، ثم إنّ المعاني اللّطيفة الجليلة تكون أكثر خفاءً، واستخراجها يكون بعد مشقة وعَناء، وهذا لهُ قيمته ووزنه في عملية التأويل؛

لأنه يُشـعر المؤوِّل بنشوة وفرحة؛ لأنّه بذل جهدًا جبّارًا للوصول إلى المعنى؛ وذلك لأن «المركوز في الطبع أن الشّـيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشـتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيلُه أحلى، وبالمزِيّة أولى»(١٦).

إنّ المعنــى اللّطيــف - إذًا - لا يكــون ظاهرًا في الكلام، بل يُخفــى بحيثُ يُعمَل الفكرُ، ويُبذَل الجهدُ لتحديده والوصُــول إلى التّأويل، بهذه الطريقة فقط تشـعر بالحلاوة والنّشــوة، والجرجاني لا يعني الخفاء الــذي يؤدي إلى الغموض المطلق فيكُون العجز، بل يريد ذلك الغموض الذي يحتاج إليه معنى بعينه بحيث لا يصلُ إليه أيٌّ كان.

والأمــرُ لا يتوقف عند هذا الحــدِّ، بل إنّ التأويل على هذه الشّــاكلة، والمعنى المتوصَّــل إليــه بهذه الطّريقة يكــون «موقعُه مــن النّفس أجلَّ وألطــفَ، وكانت به أضنَّ وأشغف...فإنك تعلمُ على كل حالٍ أنّ هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصَّــدَف، لا يبرز لك إلاّ أن تشُــقَّه عنه، وكالعزيز المُحتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذن عليه»(١٧).

ويُضــيف الجرجاني فكرة أخرى مكمِّلةً لقضــية التّأويل هذه، مشيرًا إلى أن المؤشــرات اللّفظية لا تكفي في عملية التأويل؛ ذلك لأنه ليس «كلُّ فكر يهتدي إلى وجهِ الكشف عمّا اشتمل عليه، ولا كُلّ خاطر يؤذَن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شَــقّ الصَّــدَفة، ويكونُ في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كلُّ من دنا من أبواب الملوك فُتحت له»(١٨).

بمعنــى أنّ التأويل الصــحيح لا يكون إلا من أصــحاب الدراية والعلم بخبايا الكلام، أولاء الذين يُتقنون اســتقراء المؤشــرات اللفظية، فيتوصلون إلى ما أراد المبدع من وراء كلامه؛ أي إن التأويلات للكلام الواحد لا يمكن أن تكون صحيحة كلها، فبعض التأويلات قد تكون ناقصــة، أو غير صــحيحة، ذلك لكون أصحابها ليسوا من أصحاب المعرفة.

وعبد القاهـر الجرجـاني في **دلائـل الإعجـاز** يقف وقفة أخـرى مميزة عند قضـيّة التأويل، مشيرًا إلى أن الكلام الأدبي يقوم على معنييّن: معنى أول ومعنى ثـانٍ، حيث إنّ المعنــى الأول يكون بدلالة اللّفظ وحده، أما المعنى الثاني فتتوصـل إليه عن طريق المعنى الأول، بحيث تدلُّك الألفاظ على معنى تقتضيه الألفاظ، ثم تـدرك من خلال هذا المعنــى الدلالة الخفيّة المرادة، وفي هذا يقول: «الكلام على ضـربين: ضـربٌ أنت تصـل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده... وضربٌ آخر أنت لا تصــل منه إلى الغرض بدلالة اللّفـظ وحده، ولكن يدلُّك اللّفظ على معناه الذي يقتضــيه موضــوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاسـتعارة والتمثيل. وقد مضـت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة. أوَلا ترى أنك إذا قلت: (هو كثير رماد القدِر)، أو قلت: (طويل النِّجاد)، أو قلت في المرأة: (نؤوم الضُّـحى)، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضـك الــذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفـظ على معناه الذي يُوجبه ظاهره، ثم يعقل الســامع من ذلك المعنى، على سـبيل الاستدلال، معنى ثانيًا هو غرضـك؛ كمعرفتك من (كثير رماد القدِر) أنه مضـياف، ومن (طويل النِّجاد) أنـه طويل القامة، ومن (نؤوم الضـحى) في المرأة أنها مُترَفـة مخدومة، لها من يكفيها أمرها»[١٩].

يقـرّ الجرجاني من خـلال طرحه هذا، مثلمـا أقرّ في باب الاسـتعارة، بأن الـكلام الأدبي يقوم بالأســاس على التأويل، وهذا لن يتأتى - حسـبه - إلا إذا كان هنــاك معنى ظاهر، تكشـف عنه الملاحظة الأولى للألفـاظ، فالقارئ يبحث عن معنى واضح وظاهر، تفصح عنه الألفاظ في نظْمها وطريقة تركيبها بما يقتضيه عُرف التواصـل اللّغوي، ثم تتخذ هذا المعنى الواضـح الظاهر جسـرًا يُوصل إلى المعنــى الخفِيّ مسـتعملاً العقل، خاضـعًا للمنطـق الذي يجعلك تسـتدل على أن المعنى الأول ليس هو المرادَ من الكلام، كما أنه لا يفي بغرض التواصـل المطلوب، فتذهب للتفتيش والتنقير عن المعنى الثاني، فيتحقّق بهذا التأويل.

ويستوقفنا قول لابن الأثير فيه نفَس عبد القاهر الجرجاني، وقد حاول من خلاله وضع تعريف للتأويل، حيث اعتبر أنه «رجوع عن ظاهر اللّفظ، وهو مشتقٌّ من الأول، وهو الرجوع، ويقال آل، يؤول: إذا رجع»[٢٠]. إن المعنى المستنبط من ظاهر اللّفظ لا علاقة له بالتأويل حسب ابن الأثير؛ لأنّه عبارة عن شرح وتفسير ليس إلا، وذلك لأنّه يقدم معنى أول ظاهرًا وبسيطًا، مؤكدًا على أنّ بعض أقرانه قد ذهب مذهبًا غير مقبول في التأويل، وفي هذا يقول: «واعلم أنّ الأصل في المعنى أن يُحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل؛ كقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يُلبس، ومن تأوّل ذهب إلى أنّ المراد هو القلب لا الملبوس، وهذا لا بدّ له من دليل؛ لأنه عُدول عن ظاهر اللّفظ. وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه السّلام أنه قال: إذا أردت أن تصلي فادخل بيتك، وأغلق بابك. فالظّاهر من هذا هو البيت والباب، ومن تأوَّل ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك همَّ قلبك، وتمنع أن يخطر به سوى أمر الصّلاة، فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي تخطر له بإغلاق الباب، وهذا يحتاج إلى دليل؛ لأنه عُدول عن ظاهر اللّفظ، فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف، والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف؛ إذ باب التأويل غير محصور، والعلماء متفاوتون في هذا، فإنه قد يأخذ بعضهم وجهًا ضعيفًا من التأويل، فيكسوه بعبارته قوة تميِّزه على غيره من الوجوه القوية، فإن السيف بضاربه:

إنّ السّيوف مع الذين قلوبهم	كقلوبهنّ إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حدِّه	مثل الجبان بكفِّ كل جبان

وذهب بعضهم في الفرق بين التّفسير والتأويل إلى شيء غير مرضيٍّ، فقال: التفسير: بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصّراط بالطريق والتأويل: إظهار باطن اللّفظ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، فتفسيره من الرصد؛ يقال: رصدته، إذا رقبته. وتأويله تحذير العابد من تعدّي حدود اللّه ومخالفة أوامره. والذي عندي في ذلك أنه أصاب في الآخر، ولم يصب في الأول؛ لأنّ قوله: التفسير

بيـان وضـع اللفظ حقيقة لا مسـتنَد لجوازه، بل التفسـير يطلق على بيان وضـع اللّفظ حقيقة ومجازًا؛ لأنّه من الفسْـر، وهو الكشـف، كتفسـير الرصـد في الآية المشـار إليها بالرقبة، وتفسـيره بالتّحذير من تعدي حدود اللّه ومخالفة أوامره. وأما التّأويل، فإنه أحد قسـمي التفسـير، وذاك أنّه رجوع عن ظاهر اللّفظ، وهو مشـتق من الأول، وهـو الرّجوع؛ يقال: آل يؤول: إذا رجع. وعلـى هذا فإن التّأويل خاص والتفسـير عام، فكلّ تأويل تفسـير، وليس كل تفسـير تأويلاً. ولهذا يقال: تفسير القرآن، ومن تفسيره ظاهر وباطن، وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذِكره ههنا يرجع أكثره إلى التأويل لأنه أدقّ»[٢١].

إنّ قول ابن الأثير هذا في تصـحيح وتحديد لمصـطلحي التّفسـير والتأويل، فاكتفاء الدّارس بتحديد مرادف الكلمة وتبسيطها لا يعدّ تفسيرًا؛ أي إنّ التّفسير أرقى من أن يكون رصـفًا للمرادفات، وإعادة للجُمل نفسـها بشكلها البسيط، إنّه البوابة الأولى للفهم، ذلك أنه يقدم المعنى جاهزًا واضحًا للعيان، يستنبطه العام والخاص، فلو حاولنا عبثًا تفسـير العبارة المشهورة (حاتم كثير رماد القدر)، لما وجدنا في الكلمات ما نفسـره ونشـرحه، بحيث نذهب مذهَب من فسَّر الصراط بالطريق، وبالتّالي يمكن التوجه إلى التأويل مباشـرة. ولكن لو ذهبنا مذهب ابن الأثـير وحاولنا التفسـير وتحديد المعنى مـن ظاهر اللفظ، لقلنا في تفسـير هذه العبـارة: إن حاتمـًا يشـعل النار بكثرة تحت القِـدر، مما أدّى إلى كـثرة الرّماد، والقِدر كما جرت العادة يُستعمل في الطّبخ، وبالتالي فهذا الرجل يُسخِّر جُلَّ وقته وكثيرًا من جهده لطهي طعامه.

وهـذا يقود إلى القول بـأنّ الكلام الأدبي يُنظر إليـه أول الأمر من الظّاهر، ولكن الظاهر غالبًا لا يشـفي الغليل ولا يشـبع الشّغف، وإنْ أشبع فهو لا يدخل في بـاب الأدبي، ممّا يدفع إلى طلب المزيد، فيكون الالتفات إلى باطن الألفاظ، وهو ما يصـطلح عليه ابن الأثير بالتأويل. هنا فقط يكون الدّارس قد رجع عن ظاهر اللّفـظ، وبحث عن المعنى غير الذي يظهر من التفسـير[٢٢]. وعلى هذا الأسـاس يكون التأويل في العبارة المذكورة آنفًا أن حاتمًا يتميز بالكرم، وهو معنى خفِيٌّ قد

لا يتبدَّى لأيٍّ كان، أو قد لا يتبدَّى لأول وهلة، ويمكن أن يكون التأويل بشـكل آخر، كأن يقـال: إن حاتمًا له أولاد كُثر أو عائلة كثيرة العدد، وهو في الوقت ذاته غني، ولكـن هذا المعنى لا يمكـن أن يُتأوَّل لأن مؤشـرًا يمنع ذلك، وهـو لفظ (حاتم)، ولفظ اشتهر عند العرب بكثرة رماده، وبأنه ملجأ لكل عابر صحراء.

والطـرح بهـذا الشـكل يجعل المـؤوِّل يقـدِّم الدليل علـى ما ذهـب إليه، فلو غُيرت العبارة، وقيل: «سـعد كثير رمـاد القدر»، لأمكن أن يكـون التأويل بالمعنى الثاني الذي ذكرت مع تجاهل ما اصـطلحت عليه العرب في التواصـل، بمعنـى أن العبـارة تحتمـل هذين التأويلين معًا، ولا يمكن الجـزم بتأويل واحد إلا إذا وقفت على التفسـير الذي نادى به هؤلاء الذين خطَّأهم ابن الأثير، أي شـرح الكلمات، فأحـدِّد من يكون سـعد هذا، وتحديد مراد العرب مـن كثرة رماد القدر، لأتمكن من تحديد المعنى المقصود.

وعلـى هذا يمكن القـول إنّ عملية التأويـل وفهم النّصـوص، من منطلق ما أورده ابن الأثير، تقوم بالأسـاس على مرحلتين: مرحلة التّفسير ومرحلة التأويل، والوصول إلى المعنى، مع إمكانية أن يقوم أحيانًا أخرى على ثلاث مراحل: مرحلة شرح الكلمات ثم التّفسير ثم التأويل؛ لأن الالتباس في اللّفظ قد يُخلُّ بمصداقية التأويل، والإخلال بهذه المصـداقية جعل ابن الأثير يؤكد «أن الأصل في المعنـى أن يُحمل على ظاهر اللّفظ».

ويـرى ابـن الأثـير أن المعنـى الذي يُسـتفاد من القول يجـب أن يكون ظاهرًا مفهومًا مما تُقدِّمه الألفاظ، كما هي في التواضع ومن خلال سياقها، ومن أراد أن يـؤوِّل ويذكر معنى آخر غير المعنى الظاهر، فما عليه إلا أن يقيم الحجّة الدامغة على ما ذهب إليه، فالآية المذكورة في القول الأصـل في معناها - حسـب ابن الأثير - هـو ما يُلبس، وهو ما يجـب أن يكون ظاهرًا، غير أن هناك من رأى أنّ المراد هو القلـب، ولم يدلِّل لما ذهب إليه، على الرّغم من أنّه عدل عن المعنى الظاهر الذي يُفهم من الكلام.

وحجة ابن الأثير في هذا الطّرح هي أن المعنى يكون ظاهرًا، وتؤديه المؤشرات اللّفظية اللازمة في التّواصل، معتبرًا هذا تفسيرًا لا خلاف فيه، أمّا العدول عن الظاهر، والوقوف على التأويل، فيقع فيه الخلاف، وينتج عنه العديد من التأويلات، وهذا الإنتاج يتفاوت فيه العارفون بخبايا الكلام، والأمر حتى هذه النّقطة وعند هذا الحد يمكن تقبُّله، فالتفاوت والاختلاف بين الناس سنه اللّه في خلقه، غير أنّ ابن الأثير ينبه إلى نقطة تعد أساسية في التأويل؛ إذ هناك من يذهب إلى وجه ضعيف من التّأويل، فيستعمل للتّعبير عنه ما يسحر العقول ويخلب القلوب، فيظهر أحسن وأقوى من ذلك التأويل القوي الصحيح المتناهي الدِّقة، وليس هذا فحسب، بل نجد ابن الأثير في هذه النقطة يثير قضية هامة في التأويل؛ إذ يقصره بدوره على العلماء وأهل الدِّراية دون غيرهم، وهو مصيب إلى حدٍّ بعيد، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن هذا العالم بدوره يخطئ أو يؤوِّل تأويلاً ضعيفًا فيحتال له، ويجعله راقيًا، فما بالُك بالعامة إن طرقتْ باب التأويل.

ونجد ابن أبي الإصبع يخوض بدوره في قضية التأويل هاته، وهذا عند حديثه عن الاتِّساع، معرِّفًا إياه بأنه هو ما جاء فيه «الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه، وبحسب ما تحتمل ألفاظه، كقول امرئ القيس:

إذا قامتا تضوَّع المسك منهما … نسيم الصّبا جاءت بريّا القرنفل

فإنّ هذا البيت اتسع النُّقَّاد في تأويله؛ فمن قائل: تضوَّع مثل المسك منهما نسيم الصبا، ومن قائل تضوَّع نسيم الصَّبا منهما، ومن قائل تضوَّع المسك منهما تضوُّع نسيم الصّبا، وهذا هو الوجه عندي، ومن قائل تضوَّع المسك منهما بفتح الميم، يعني الجلد، بنسيم الصبا.

وكقوله في صفة الفرس طويل:

مِكَرّ مفرّ مقبل مدبر معًا … كجلمود صخر حطّه السّيل من علِ

لأنّ الحجر يطلب جهة السفل لكونها مركزَه؛ إذ كل شيء يطلب مركزه بطبعه الذي جُبل عليه، فالحجر يسرع انحطاطه إلى السفل من العلُوِّ من غير واسطة،

فكيف إذا أعانته قوّة دفاع السيل من عَلٍ، فهو في حال تدحرجه يرى وجهه في الآن الذي يرى فيه ظهره لسرعة تقلُّبه، وبالعكس، ولهذا قال الشّاعر: مقبل مدبر معًا، يعني يكون إدباره وإقباله مجتمعيْن في المعيَّة، ولا يعقل الفرق بينهما، وحاصل الكلام وصف الفرس بلين الرأس، وسرعة الانحراف، وشدة العدْوِ، لكونه قال في صدر البيت إنّه حسن الصّورة، كامل النصبة في حالتي إقباله وإدباره، وكَرِّه وفَرِّه، ثم شبَّهه في عجز البيت بجلمود صخر حطه السّيل من العُلوِّ لشدة العدْو، فهو في الحالة التي يرى فيها لَبَّته يرى فيها كفله وبالعكس.

هذا ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشّاعر في وقت العمل.

وإنّما الكلام إذا كان قويًّا من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوهًا من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه، وعلى مقدار قُوى المتكلمين فيه، ولذلك قال الأصمعي: خير الشّعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة. وقد غلِط بعض النّاس في تفسير هذا الكلام، وغلَّط الأصمعيَّ فيه لسوء تفسيره، لأنّه توهّم أن الأصمعي أراد الشّعر الذي رُكِّب من وحشي الألفاظ، أو وقع فيه من تعقيد التركيب ما أوجب له غموض معناه، ولو كان كذلك كان ذلك شرًّا للشعر، وإنما أراد الأصمعي الشعر القوي الذي يحتمِل مع فصاحته، وكثرة استعماله ألفاظه، وسهولة تركيبه، وجوْدة سبْكه معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلات عدّة، وترجيح ما يترجَّح منها بالدّليل»[٢٣].

يرى ابن أبي الأصبع أن هذا الاتساع حاصلٌ إذا وجد بيت يتّسع فيه التأويل بحسب قدرة مستقبله، وبحسب ما تشير إليه الألفاظ، وقد مثّل الناقد لما ذهب إليه ببيتين لامرئ القيس، حيث أورد تأويلات عدّة للبيت الأول، مشيرًا إلى أنه فضل أحد التأويلات دون تعقيب أو إضافة، ولا دليل على علّة هذا التّفضيل. أما البيت الثاني المتعلق بوصف الفرس، فنجده يورد تأويلات البيت كما جاءت في عُمدة ابن رشيق، مع بعض الإضافة في التدليل على صحتها، وكأنه يريد أن يقول:

إن هذه التأويلات يُكمِّل بعضـها بعضًـا، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أن ما وُجد من هذه التأويلات، وما توصـل إليه النّقاد من معـانٍ خفيَّة لم تقع ببال امرئ القيس وقت العمل.

وقد قال ابن رشيق بالفكرة ذاتها، مخطِّئًا من قال بأن الفرس لسرعته يُرى في حال واحدة كرًّا وفرًّا، إقبالاً وإدبارًا، مثل الجُلمود المنحدر من رأس جبل تراه على هيئة واحدة، ولا تفرِّق بين ظهره وبطنه لسرعته، باعتبار أن اللّفظ لا يمكن أن يوصـل إلى مثل هكذا معنى، واللفظ لم يوصـل إليه لأن الشّاعر لم يقصد هذا المعنى أصـلاً، ولو أراده لوضع بما لا يقبل الشّك مؤشرًا يدل عليه، إلا أن ابن أبي الأصـبع قد خالفه في الطرح حيث لم يفنِّـد ولا تأول ولم يخطِّئ أحدًا. وليس هذا فحسـب، بل لم يحدّد أيّ المعاني التي لم ترد على بال الشـاعر، وترك الأمر عامًّا مبهمًـا، وحجّتُه في فكرته هذه تقوم على أنّ الكلام قويٌّ وصـادر عن فحل، وقوته هـذه أدت إلى وجوه من الاحتمـالات، وعدد من التأويـلات أنتجتها قوى المؤوِّلين على تفاوت درجاتهم.

إنّ الأمـر محـال، إنّ امـرأ القيـس عنـد نظمه للبيـت لم تمـر بخياله هذه التفصـيلات والجزئيَّات التـي أقرها النّقاد من خلال سـياق بيتـه، ولكن الذي لا شـك فيه أن الصـورة العامة للجزئيات قد مرت بذهنه، وتصـورها في خياله بصـورتها العامة، وهو ينشـئ البيت؛ إذ لا يعقل أن يأتي بالمعنى على هذا الشكل دون أن يعيَه، أو يخطر في خَلَده لا من قريب ولا من بعيد. وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة، فإننا دون شكٍّ سنجعل الكثير من المعاني غريبة عن وعي الشّاعر، وكأنه لا معرفة له بها، وبالتّالي سنجد أنفسنا أمام مبدعين خارقين، ولهم الباع الطويل في الأدب عبر العصـور، ومع ذلك نقـرّ عبثًا أنهم لا يعون الكثير من معانيهم ولا يدركونها، ويأتي بعدهم مَن لا علاقة له ببيئتهم لا من قريب ولا من بعيد، فيحدد المعنـى الذي أورده الشـاعر دون إدراك منـه؛ لأنه إن كان التنظـير للفكرة بهذه الصّـورة، فلا أظن أن امرأ القيس، وهو مَن هو، قد وعى كل ما قاله من الشّـعر،

كمـا أن الفكرة ـ كمـا قلنا ـ فيها إلغاء لشـخص امرئ القيس، بل وفيها إسـقاط لفحولته.

ثـمّ إن الإنسـان ابن بيئتـه، تؤثر فيه ويعرف خباياهـا، ولا أحد أعرف ببيئة الجاهلي منه، وامرؤ القيس اتَّقدت شاعريته مع الفرَس، فوصفه وأجاد الوصف، وكان سـبَّاقًا للكثير من المعاني في وصـف الفرس، وفي وصـف غـيره، وفاق أبناء بيئته ومن عاصـره في الكثير من الأمور المتعلقة بقرض الشعر، وظل مثالاً يُحتذى ومـا زال، وطوَّع اللّفظ أكثر من غيره، حتى عُدَّ فحل الشّـعر بـلا منازع، وأعطاه تلـك القـوة التي تفتح بـاب الاحتمالات الكثـيرة إن جاز التعبير، بمعنـى أن قوة اللفظ تخضع للمبدع، فهو أنشأها، فأظهر من خلالها قدرته على صياغة المعاني بالشـكل البديع، غـير المألوف، فكان اللجوء إلى التأويـل، بل هنا تكمن الفحولة، فالفرَسـ لم يكن لامـرئ القيس وحده، بل كان لشـعراء الجاهلية كلهم، غير أنه فاقَهم في الفحولة والشاعرية الفذة، فأورد تلك المعاني بذاك الشّكل.

بقي أن نتعرض لكلام الأصمعي الذي استدل به ابن أبي الأصبع، معتبرًا إياه دليلاً على أنّ قوة اللفظ تؤدي بالضرورة إلى تأويل لم يقع في خَلَد المبدع. إن مقولة الأصـمعي لا تشير بالضـرورة إلى تعدُّد التأويل، ولكنه ينبه إلى قضية الغموض، التي تجعل من الشـعر شـعرًا يبرق أدبية، حتى ولو كان هذا الغموض يخفي معنى واحدًا. ولا شـك في أن الشعر الذي يعطيك المعنى أو المعاني بعد مطاولة، وإمعان نظر وبذل جهد، هو ذاك الذي يتَّسـم بقوة اللفظ المتعارَف عليها في سُـنّة القول العربية، وينِمُّ عن فحولة صاحبه، بما يقتضيه الإبداع الشّعري العربي، ولا توحي الفكرة أبدًا بأن المعاني المترتبة عن الغموض لم تخطر ببال صاحبها.

ونجد أن ابن أبي الأصـبع بدوره يربط عملية التأويل بأهل الدراية بالشعر، الذين لهم القدرة على التأمل والنظر، للوصـول إلى التأويل المناسـب عن طريق القراءة الصـحيحة للَّفظ، منبهًا إلـى أن التّأويلات قد تتعدّد، ولكن هناك دائمًا

مـا هـو مرجّح، على أن التّرجيح لتأويل ما يحتاج إلـى الدّليل المنطقي الذي يقنع بصحته، وهو ما لم يقم ابن أبي الأصبع ذاته عند تأويل لبيت امرئ القيس الذي مثَّل به أولاً.

يمكـن القول مما تقدّم: إن التأويل واسـع، والمعاني متعددة، ظاهرة وخفيَّة، وقـوة اللّفظ ومـا تؤديه من احتمالات المعنـى لا تعني الخـروج في التأويل إلى أي معنـى يلائم اللّفظ، وإطـلاق العنان للهوى، بـل يجب أن تُلتزم حدودٌ يفرضـها مقصد المبدع.

إنّ القدمـاء اشـترطوا في الكلام الأدبـي الإيجازَ والغموض المقبول، بحكم أنهمـا يؤديان إلى خفاء المعاني، مما يقود في الأكـثر إلى التأويل عند قراءة هذا الـكلام الأدبي، فتتحقّق النّشـوة، وتزداد المعاني اللّطيفة جـلالاً، فتكون الإثارة. كما أن التأويل لا يكون على إطلاقه، بل فيه شـيء من التحديد، تحديد يفرضـه المبدع، ويخضـع للمؤشـرات اللّفظية في الغالب، كما قد يخضـع للمعنى الظّاهر، فيكون إلى جانب الألفاظ خير مؤشّر على ما قيل به من تأويل، وهذا كله لا يتحقق إلا بحجة ودليل، كما أن التّأويل الحق لا يكون إلا من أهل الدراية والمعرفة بالكلام البديـع، ولا يكـون ممن لا علاقة لـه بالإبداع، أو مـن أولئك الذيـن يؤوِّلون على هواهم، ويقوِّلون المبدعين ما لم يقولوه، بدعوى أنَّ باب التأويل واسع ومفتوح.

الهوامش:

(*) أستاذ بجامعة بومرداس ـ الجزائر.

(١) **اسـتقبال النص عند العرب**: محمد المبارك، المؤسسـة العربية للدراسـات والنشـر، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٢٢٠.

(٢) **المجلـة العلميـة لجامعة الملك فيصـل**: من صـور التلقي في النقد العربـي القديم، مقال لظافر بن عبدالله الشهري، مج١، ع١، مارس ٢٠٠٠، ص٦١.

(٣) **قراءة النص مقدمة تاريخية**: عبدالكريم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ص٤٧.

(٤) **الوساطة بين المتنبي وخصومه**: للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا، ١٩٦٦، ط٤، ص٣٧٤.

(٥) المصدر نفسه: ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٦) يقصد عبدالكريم النهشلي، أستاذه.

(٧) **العمدة**: ابن رشيق، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، لبنان، ط٥، ١٩٨١، ج٢، ص٩٣.

(٨) ينظر **استقبال النص عند العرب**: ص٢٢٥.

(٩) **العمدة**: ج٢، ص٩٦.

(١٠) **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني، ت: عبدالرحيم محمود، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢، ج٥، ص٤٣.

(١١) المصدر نفسه: ج٥، ص٥٨.

(١٢) ينظر **عيار الشعر**: ابن طباطبا العلوي، ت: زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣، ص٧٣.

(١٣) المصدر نفسه: ص١٦٨.

(١٤) **أسرار البلاغة**: عبدالقاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص٤٣.

(١٥) المصدر نفسه: ص١٣٩.

(١٦) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(١٧) المصدر نفسه: ص١٣٩، ١٤١.

(١٨) المصدر نفسه: ص١٤١.

(١٩) **دلائل الإعجاز**: عبدالقاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٦٢.

(٢٠) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: ضياء الدين ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ج١، ص٦٣.

(٢١) المصدر نفسه:ج١، ص٦٣.

(٢٢) ينظر **نظرية المعنى في النقد العربي**: مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢٣) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم**: لابن أبي الأصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣، ص٤٥٤، ٤٥٥.

الشيخ الإمام
أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني
(حياتُهُ وما تبقّى من شعرِه)
دراسة وصنعة وتوثيق

(١)

أ. د. محمد عويّد محمد الساير(*)

تقديمٌ، لابُدَّ منه

مُذ شُهورٍ خلت اقترحَ عليّ أُستاذي المحقق الدكتور عبدالرازق حُويزي هذا الشاعر لجمعه وصنع ديوانٍ له. وازدحم الوقت بكثرة المشاغل، وقلّة الراحة، وشدّة النصب... فدفعتُه إلى أحد الأخوة الفضلاء المتخصصين في الشعر العباسي. وأبدى موافقته وإعجابه بالأمر جدًّا. ومن ثمّ منَّ اللّه عليَّ سبحانه بزيارة بيت اللّه الحرام في نهاية شهر رمضان المبارك، لأداء مناسك العمرة، وهناك اتصلت بصديقي الفاضل هذا سائلاً إيّاه عن عمله في شعر أبي عامر الجرجاني، وأين وصل فيه؟ وفاجأني باعتذاره عن العمل! وأنه يعاني النزوح، ويفكر في العودة إلى الديار، وليست لديه مكتبة في الوقت الحالي، وطلب مني جمعه وصنعته وإصداره للقارئ والدارس، فهو- الشاعر- يستحق، فشكرته على معروفه معي، وما يقدمه من خدمة كبيرة للعلم وأهله؟!

كنت يومها في مكتبة الحرم المدني، في المدينة المنورة، وهي مكتبة - لمن

دخلها وزارها ـ كبيرة الحجم والبناء، مترامية الأطراف، شديدة التنظيم، كثيرة الخِزانات، ممتلئة الرفوف بأنواع الكتب والفهارس، وهناك فكرت في جمع شعر أبي عامر الجرجاني وتوثيقه وصنعته، فجمعت جُلَّه من هذه المكتبة، عَمَرها الله وحفظ القائمين عليها. بل، وجلبتُ أغلب مظانِّ هذا الجمع والتوثيق في أقراص ليزرية معي إلى بيتي ومكتبتي. ولما عدتُ إلى الوطن الحبيب، وبعد نهاية مراسيم الاستقبال والاحتفال بالعودة المباركة الميمونة من الأهل والجيران والأصدقاء، انتهيت من ترتيب كتابي وتصحيحه عن شعر الحلواني القيرواني (ت ق ٥ هـ)، ومن ثمّ ترتيب كتابي وتصحيحه عن شعر ابن قاضي ميلة (ت ق ٥ هـ)، وأخيرًا كتابي عن شعر البلوي المالقي (ت ٦٠٤هـ)؛ إذ نال حظًّا وافرًا من هذا الترتيب والتصحيح، أيضًا. فقد كانت هذه الكتب في المطبعة في دمشق الحبيبة، وكان الأخ الناشر ـ حفظه الله ـ ينتظر مني تصحيحها لإصدارها، وصدرت بفضل الله ومنّه.

عدتُ بعدها إلى شعر أبي عامر الجرجاني، وهالني ما رأيته في تحقيق الدكتور التونجي لكتاب **دُمية القصر**، للباخرزي، الذي هو ـ كتاب **الدُمية** ـ الأول والأهم في رواية شعر أبي عامر الجرجاني وتوثيقه وتدوينه، فضلًا عن ترجمته طبعًا، والثناء عليه. فلقد تدافعتْ نسبة هذه الأشعار لشاعرنا الجرجاني، إلى الشيخ النحوي والبلاغي عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، ضِلَّةً من قبل المحقق باعتماده على بعض النسخ الخطية غير الكاملة، وغير الأصلية.

ولما عدت إلى التحقيق الأول، والفضل السابق على هذا الكتاب وصاحبه، وهو تحقيق أُستاذي وشيخي المرحوم الأُستاذ الدكتور سامي مكي العاني، وهو من أوائل من حقق **الدُمية** واعتنى بها، وأخرجها إخراجًا علميًا دقيقًا، وعلى أكثر من ثماني عشرة نسخة خطية منها، وجدت أنّ هذه الأشعار هي لأبي عامر الجرجاني، وليست لعبدالقاهر. وأسوق الأدلة الآتية على ذلك:

١- شهرة أبي عامر الجرجاني في الشعر والنظم أكثر منها من شهرة عبدالقاهر الجرجاني، البلاغي والنحوي، على الرغم من أنّ هذا الأخير شاعر أيضًا، وله مقطوعات شعرية مختارة، أوردها صاحب **الدُمية** وغيره.

٢- أغلب النسخ الخطية لكتاب **دُمية القصر** أوردت هذه الأشعار لأبي عامر الجرجاني، كما في النسخ الخطية الكاملة والأصلية الكثيرة التي اعتمدها الدكتور العاني في تحقيقه، والبعض من النسخ التي اعتمدها الدكتور التونجي في تحقيقه أيضًا، وهي النسخ الكاملة والأصلية الموثوقة.

٣- رواية هذه الأشعار لأبي عامر الجرجاني في أغلب المظان، مثل **خريدة القصر**، و**معجم الأُدباء**، و**الوافي بالوفيات**؛ إذ النصوص نفسها، والأغراض نفسها، والأشعار نفسها، هي لشاعرنا الجرجاني، وكما وردت في **الدُمية** بتحقيق الدكتور العاني.

٤- أشعار أبي عامر الجرجاني تدلُّ على حياته ورحلاته، فهو خلال أشعاره المجموعة الصحيحة زار نيسابور وذمَّ أهلها، وكذلك ذمَّ أستراباذ من خلال خطيبها، وأشعاره الموغلة في الهجاء الفاحش، والذمّ المقذع، الذي لا صلة لعبدالقاهر الجرجاني به، من قريب أو بعيد.

وهكذا أمضيتُ رحلة ممتعة مع أبي عامر الجرجاني وشعره، أخذَت مني وقتًا وجهدًا، أتمنى أني وُفِّقتُ فيها، فهذه تكون أول مرة أُسافرُ فيها خارج الأندلس، شعرًا وفكرًا وحضارةً، وأترك الحُكمَ للقارئ اللبيب، والمحقق الثبت، والناقد الحصيف، الذي سينظر في هذا العمل، ويبصر جهد صاحبه فيه.

ولا أتأخرُ لحظةً في شكر أُستاذنا القدير الدكتور حُويزي، وإهداء العمل إليه، فقد كان نِعمَ المعين، ونِعمَ الأخ، ونعم الصديق في السفر إلى جرجان ومصادرها، وصنعة ديوان أحد شعرائها، ولا أقول إلا ما قاله الشاعر الوزير المغربي:

لو كنتُ أعرفُ فوق الشكرِ منزلةً أعلى من الشكرِ عندَ اللهِ في الثمنِ
إذًا منحتُكَها مني مهذَّبةً حذوًا على حذوِ ما واليتَ من حَسَنِ

وأشكر أخي المفضال الدكتور محمود شاكر ساجت الجنابي (أستاذ الأدب الأندلسي في قسم اللغة العربية في كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة الأنبار)، على تعب المراجعة والإضافة لبعض النصوص التي فاتت الباحث والجامع لشعر أبي عامر الجرجاني. فجزاه الله عني وعن العلم كل خير.

ولا أنسى الشكر والتقدير إلى الدكتور حليم حماد سليمان (أستاذ اللغة والنحو في قسم اللغة العربية في كلية التربية الأساسية في جامعة الأنبار)، الذي أجهد نفسه في التقويم اللغوي، ومراجعة العمل في الصياغة والأساليب النحوية السليمة الفصيحة، قدر المستطاع، وفقه الله ورعاه.

والله ولي التوفيق، ومنه السداد والإصابة في كلّ شيء.

القسم الأول: الشاعر الرجل: من المهد إلى اللحد.

هو أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني[١]، نسبه أكثر أصحاب التراجم إلى جرجان[٢]، وترجم له صاحب **الخريدة** في القسم العراقي[٣]. كان الجرجاني أحد أصحاب الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، وكذلك سمع من أبي سعد ابن رامش، وأبي نصر ابن رامش المقرئ، وأبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي[٤]، وسمع أيضًا من الشيخ أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة[٥].

عاش الجرجاني في القرن الخامس الهجري، وإلى سنوات متأخرة من هذا القرن؛ إذ كان في حياة الحافظ عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري (ت ٥٢٩هـ)[٦]، كما يبدو من شعره أنه عاش طويلاً، وعاشر أُناسًا من طبقات المجتمع المختلفة، ووصف هذه الطبقات، وهجاها في بعض الأحيان.

صنّف الجرجاني كتبًا مهمة وقيِّمة، إلا أنها لم تصل إلينا، وقد شهدت له كتبه هذه بالعلم والأدب والفضل على التأليف والبراعة فيه. ومن تصانيفه[٧]:

١- **قلائد الشرف في الشعر**. وهو المصدر الوحيد الذي يذكره الباخرزي في **دُميته**[٨]. وأنّه كان عونًا له في تأليف **الدمية**، وترتيب تراجمها وأشعارها. كما كان مصدرًا مهمًا من مصادر البيهقي في كتابه **تاريخ بيهق**.

٢- **عروق الذهب من أشعار العرب**.

٣- **البيان في علوم القرآن**.

٤- **سلوة الغرباء**.

ولعلّ قابل الأيام تُطلعنا على مخطوط، أو أثرٍ من هذه الآثار العلمية النفيسة، فيجعلنا فخورين بعالمٍ وأديبٍ ومصنّفٍ يستحق منا أكثر مما أُعطي بكثير.

كان أبو عامر في جرجان سنة أربع وأربعين وأربع مائة، حين زاره الباخرزي فيها[٩]. وورد الجرجاني نيسابور[١٠] سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وشكا حاله واعتلاله إلى الشيخ الرئيس الشهيد أبي المحاسن سعد[١١]. ويبدو أنّه لم يهنأ بهذا المُقام في هذه المدينة، فرأيناه يذمُّها وأهلَها في شعره ذمًّا قبيحًا[١٢]!

وأما في غزنة[١٣]، فالتقى شاعرنا وأديبنا الشيخ الأجل عبدالحميد، وأهدى إليه مصنفاته[١٤] التي ذكرناها آنفًا.

ولا نعلمُ جليًّا ما إذا كان الجرجاني قد زار حلب الشهباء؛ لأن أحد نصوصه تشير إلى مدحه أميرها شبل الدولة (نصر بن صالح بن مرداس)، لما هزمَ ملك الروم أرمانوس آنذاك، في سنة ست وعشرين وأربع مائة[١٥].

حاز الجرجاني ثناء كلّ من ترجم له، فنعته الباخرزي في **دميته** بـ: الشيخ الإمام، وقال فيه: «نادرةُ العصر، وناقدةُ الدهر، وريحان الروح، وظرف الظرف، وقرّة الطرف»[١٦].

وقال عنه ياقوت الحموي في **معجمه**: «أديب أريب فاضل لبيب، أحد أصحاب عبدالقاهر الجرجاني النحوي، كان مليح الخط، صحيح الضبط، رائق النظم، فصيح النثر، جيد التصنيف، حسن التأليف»[١٧].

ووصفه صاحب **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور** بقوله: «الأديب الكاتب الشاعر، من أفاضل عصره، وأفراد دهره، حَسَن النظم والنثر، متينٌ في الفضل، صحب الكبار»[١٨].

وقال عنه الصفدي: «كان أديبًا، أريبًا، فاضلاً، مليح الخطّ، صحيح الضبط، حسن التأليف، له نظم ونثر»[١٩].

من هنا، ومن هذي الأوصاف والنعوت كلّها، كان اهتمامنا بشعر أبي عامر الجرجاني وأدبه، الذي لو قدَّر الله له ووصل إلينا كاملاً مع كتبه، لكان من أُدباء وبلغاء ومصنفي القرن الخامس بلا مدافع، ومن شعرائه وشيوخ العلم فيه بلا منازع.

شعر الجرجاني (دراسة تحليلية نقدية):

١- شعر الجرجاني (دراسة في الأغراض والاتجاهات الموضوعية):

إنَّ السابر لنصوص الجرجاني الشعرية، ليجد أنه طرق الأغراض الشعرية كلَّها، فنظم في المديح، وفي الغزل، وفي الوصف، وفي الهجاء، وفي الحكمة.

وكان جُلُّ شعره من المقطوعات، ما خلا قصائد إحداهُنَّ في مدح الشيخ أبي الفضل، الذي لم نعثر له على ترجمة، وأُخرى في وصف هرّة، جاء فيها الوصف بلطائف المعاني، ومبتكرات الصور، وإتقان الفن والنظم، وثالثة في الهجاء.

ووشّحت أغلب مقطوعات شاعرنا الجرجاني بتجربته الحياتية، ولاسيما في غرض الهجاء في شعر العصر العباسي الثاني؛ إذ أبان هذا الغرض، ومن خلال مقطوعات الجرجاني فيه، عن مدى الفحش والقُبح والإسفاف في المعاني

المبتذَلة التي شاعت في هذا العصر، وذكرها مؤرخو الأدب العربي ودارسوه في كلّ مكان، فغرضُ الهجاء هنا ترجَم الواقع المرير الذي عاشه الأدباء والشعراء في هذا العصر. وحكى قصته مع مجتمع متحلِّل، عانى الكثير حتى سقط بيد الدول الأُخرى، وانتهى نهاية مأساوية، يراها الكثيرون مستحقة نتيجة تدني الأخلاق، وتراجع الآداب، وترك الدين، عما كانت عليه الدولة الإسلامية والعربية في عصورها الأولى.

أغراض الشاعر الجرجاني متداوَلة ومفهومة، وهو لا يألو جهدًا في التعبير عن تجربته الشعرية، وما لاقاه في حياته. ولا يعني أنّ شعره من المجون والفحش فقط، بل له في المدح معانٍ مستملَحة، وفي الوصف أفكار مبتكَرة، وله في الحكمة والنصح ما يجعلنا نقف أمام شعره بالثناء والإحسان.

في المديح يتوجّه الجرجاني إلى ممدوحه بالصدق والعرفان. ويُخبر ممدوحه أنّه من يدلُّ عليه، لفضله بين الخلق، بل إنّ حياتهما - هو والممدوح - لا تكونان إلا معًا، وهذه سِمة الجرجاني، الذي يفخر بنفسه ونسبه أمام ممدوحه، كما في قوله في خاتمة قصيدته المدحية في أبي الفضل، أدام اللّه علوَّه:

أُدلُّ عليكَ إدلالَ الموالي ... فلا نُكرٌ لديكَ ولا تعدّي

وتلكَ مزيةٌ لي ليسَ تخفى ... ورثتُ مكانها من ابي وجدّي

فعشْ ألفًا معي في خيرِ حالٍ ... وألفًا بعدَها ألفانِ بعدي

وله أيضًا مقطوعة في المديح، ينعت ممدوحه بملك المشارق والمغارب! ويسبغ على هذا الممدوح صورة يستحق فيها أن يكون متألّقًا، ألمعيًا، ذا شأنٍ وسمعة. كما في قول الجرجاني:

ملكَ المشارقَ والمغاربَ كُلَّها ... بصرير أرقمَ ليسَ كالمنسابِ

لم يشْقَ في سننِ الترابِ وإنما ... يستنُّ بينَ أناملِ أترابِ

ومن البداهة أن يكون هذا المدوح من أصحاب المعالي في التأليف، أو من المشايخ في وزارة القلم، وأرباب الأدب والتأليف[٢٠].

في الوصف، وهو الغرض الثاني الذي أقف عنده في شعر الجرجاني، يأتي مميَّزًا، ومهمًّا أيضًا. فلقد استضاف أهلُ الأدب وأصحاب التراجم والمختارات شعر الجرجاني في هذا الغرض، وأسبغوا عليه لمحاتهم النقدية، من قولهم: أبكار معانيه، ولم يُسبق أحدٌ إلى مثل قوله، وكان غوَّاصًا على المعاني... وهلمَّ جرًّا.

وتقفُ قصيدته في وصف هرة من روائع ما قاله شاعرنا الجرجاني في الوصف. أسلوب السرد والتصوير هما اللذان طغيا على هذا النص؛ فالجرجاني يسرد علينا علاقته مع هذه الهرة، وكيف كانت تعيش معه بفكاهة ودعابة. وهي من استولت على اهتمامه، بل ومشاعره وقلبه، كما في قوله:

وإذا حككتُها، لحستني ... بلسانٍ كالمبردِ المسنونِ
وإذا ما جفوتُها، استعطفتني ... بأنينٍ من صوتِها ورنينِ

على أنّ هذه الدعابة وهذه الفكاهة لا تخلو من خاتمة في النصح والإرشاد، وتَذَكُّر الموت والرحيل عن الدنيا الفانية، والاستعداد للقدر الذي يأتي على الإنسان في أحواله كلِّها، فينسى ما كان فيه، وما عَرفَ في الدنيا، وما عاشه فيها، على مثل خاتمة الجرجاني في نصه هذا:

وكذاكَ الأقدارُ تفترسُ المَرْ ... ءَ وتغتالهُ بقطعِ الوتينِ
بينما كان في نشاطٍ وأُنسٍ ... إذْ سقاهُ ساقٍ بكأسِ المنونِ

وله مقطوعات في الوصف مستملَحة، وعليها آثار الصنعة. فهذا الفن يحتاج إلى رسم دقيق، وفرشاة ماهرة لتأتي الأوصاف كما في الطبيعة، ولتجلب إليها القارئَ والمتلقِّي. ومن تلك المقطوعات الوصفية التي جاءت في شعر الجرجاني قوله في النرجس:

يا نرجسًا لم تعْدُ قامتُه ... سهمَ الزُّمرّد حينَ ينتسبُ
فرصافهُ عظمٌ وقُذَّتُهُ ... قِطعُ اللُّجَيْن وفوقهُ ذهبُ

وله أيضًا مقطوعة يصف فيها الرُّمّان:

خذوا صفةَ الرّمانِ عنّي فإنّ لي ... لسانًا عن الأوصاف غير قصيرِ

حِقاقٌ كأمثالِ الكُرات تضمّنَتْ ... فصوصَ بلخشٍ في غشاءِ حريرِ

تذكرنا أوصاف الشاعر هذه بأوصاف الشعراء الأندلسيين في طبيعتهم الغنّاء، وما قالوه في مظاهرها وجمالها بصدق وعفوية وحُسن تعبير.

ويتداخل في غرض الوصف عند شاعرنا الجرجاني الغزل بمعانيه، والهجاء بمناحيه أيضًا. والباصر لشعره المجموع هذا يرى تعالق هذه الأغراض فيما بينها في شعره تعالقًا حميمًا، يؤدي الغرض، ويرسم الصور، ويبني مقطوعاته بناءً لغويًّا وفنيًّا مُحكمًا.

وأما عن الهجاء في شعر الإمام الشيخ أبي عامر الجرجاني، فيا رأيتَ!! وياليتَ أنّه تجافى عنه، ولم يوغل فيه. فكان الشيخ فيه ليس شيخًا، والإمام به ليس إمامًا، ولربما كانت له ظروف أجبرته على الخوض في هذه المعاني الفاحشة، والألفاظ النابية كثيرًا عن الذوق والحشمة والأدب والخُلُق، أو - كما ذكرت سلفًا - كانت هذه سنّة العصر الأدبية، ومنهج الشعراء العباسيين فيها. فالجرجاني ممن أوغلوا في هذا المنهج، وطبّقوا هذه السنّة المبتدَعة أحسن تطبيق، ولعلّ في مقطوعاته التي قالها في الهجاء الفاحش، والذمّ الساقط، ما يكفينا همَّ البحث في هذه السنّة التي شاعت في العصر الجرجاني، وعند أغلب شعراء وأدباء هذا العصر، وللأسف الشديد.

وليست جميع مقطوعات الجرجاني في الهجاء الفاحش المقذع، فله من الأهاجي الظرف، ذات المعاني الطرف، يَحسُن أن نذكر بعضها في دراستنا هنا.

ومن ذلك قولُهُ يذمُّ شخصًا لجهله:

فلا تعجبنَّ بتذهيبه ... إذا كنتَ بالفضلِ لا تُعجبُ

فإنَّ تذاهيبَهُ تذهبُ ... وشيطانُ جهلِكَ لا يذهبُ

وقوله في هجاء خطيب بأستراباذ(٢١):

أمـا تستحي ويـكَ مـن منظـرِكْ ومـن سـوءِ مـا شـاعَ مـن مخبـرِكْ
وتــزعــمُ أنّـــكَ أنــتَ الخـطـيـبُ فـلِـم يـخـطـبـونَ عـلـى مـنـبـرِكْ!

ويرسم صورة ساخرة لأهل نيسابور، وهو يهجوهم، ويتداخل هنا الوصف مع الهجاء في بناء المقطوعة، ورسم صورها، وتشكيل ألفاظها، بلُغة حسنة تميلُ إلى التراث اللغوي من قصائدَ قيلت قبل عصر الشاعر. فلنستمع لقوله في نيسابور وأهلها:

أرى أهلَ نيسابورَ كالمعدن الذي ينـالُ الجَـدا منهُ بحفر المعاولِ
إذا فزعوا كانوا بُغاثًا مُسفّةً وإن أَمِنوا طاروا بريشِ الأجادلِ

وأما عن الغزل، الغرض الآخر الذي جاء في شعر الجرجاني وبين مقطوعاته، أقول فيه: الجرجاني كان ماهرًا في هذا الغزل، ورأيته من بعيد يحنُّ إلى تجربة الغزل الغلماني، ويريد الوقوع فيها، لعلّها تجربة شعورية، أو من قبيل الصنعة الفنية، والتفوق على مَن نَظَم فيها أولاً من أبناء عصره ولِداته. وهذا العصر المشهور بهذا النوع من الغزل، والمتفوق فيه... ومع هذا وذاك، يُعجب القارئ والمتلقي بغزليات الجرجاني وخمرياته التي جاءت معه، وهي للوصف فقط، ولتداخل الغرضين معًا ليس إلا. ومن ذلك قوله في شادن:

نـفـســي الـــفـــداءُ لـشـــادنٍ بـــلـــواهُ عـــنـــدي تُـســتـحـبُّ
فـــــإذا بـــلـــوتُ خِـــلالـــه فـــالمـــاءُ يُـشـــربُ وهـــو عـــذبُ

ويوغل الجرجاني معه في تجربة تقرب إلى الحسية والتكشُّف في الغزل:

وإذا نـضـوتُ ثـيـابَـهُ فـالـلـوزُ يُـقـشـرُ وهـو رطـبُ
وقـصـارُ وصـفـي أنـهُ فـيـمـا أُحـبُّ كـمـا أُحـبُّ

ومن مقطوعاته التي تتداخل فيها الخمرة من الغزل، قولُه: واستنهضَ غلامًا ليأتي بها، وعلى عُجالة، وقد مضى الأنذال ودولتهم، وآن له الصحو والفرح والطرب، ومثل هذه لا تكون إلا مع شرب الخمر، وإلا من يد هذا الغلام، كما في قوله:

قُمْ يا غلامُ فهاتِ الراحَ بالعجلِ		فقد مضتْ دولةُ الأنذالِ والسّفَلِ
وليسَ في الصحوِ لي عذرٌ ألوذُ بهِ		من بعدِ ما بسطَ الأقبالُ من أملي

وتظهر في مقطوعات الجرجاني الغزلية الأوصاف الحسية للمتغزَّل به، كما تظهر في هذه المقطوعات معاني الصدّ والردّ والنفور من قبل المعشوق للعاشق. كما في قوله:

خدُّه الياسمينُ والخطُّ فيه		سُنبلٌ نابتٌ على ياسمينِ
سُمته قُبلةً فقالَ تحرَّزْ		بينَ صَدغي عُقدَتا التنينِ

ومن العجيب أن نَرى الجرجاني يمزجُ الغزل بالحكمة والنصح، كما في قوله:

ونائم عن سهري قالَ لي		وقد طواني حبهُ طيا
أأنتَ حيٌّ بعدُ؟ قلتُ: انتبهْ		فالميْتُ في النومِ يُرى حيّا

وهذا عائدٌ إلى ثقافته الدينية، وإلى طلبه العلم وسماعه على شيوخ كبار، عُرفوا بالتقوى والورع والدين وحسن الخُلق.

وجاءت في مقطوعات أبي عامر الجرجاني بعض من الأغراض المستحدَثة؛ كشعر الحكمة، ومعاني الشكر، فضلاً عن مدحِ الكتبِ والثناءِ على مؤلفيها. فالحكمةُ اتجاه ظهر مع الرثاء أولاً، ومِن ثَمَّ استقلّ بنفسه ومعانيه، وأفكاره، وألفاظه. ومن قول شاعرنا الجرجاني فيها:

عوِّدْ لسانكَ أن يليـ		نَ على الخطابةِ والخطابِ
وتعهّدِ الفكرَ الجديـ		دَ بصونهِ في كلِّ بابِ
فتأكُلُ السيفِ الصقيـ		لِ بطولِ لبثٍ في القرابِ

فأنت ترى كم هي عميقةٌ هذه المعاني، وكم يتضح فيها أثر الفلسفة الحياتية المعيشة، وكم تنتهي بتشبيه يوافق ما يريده الشاعر. إنَّك تضعُ نفسك من خلال حكمة الجرجاني ونصيحته أمام الحياة بتعويد اللسان على الكتابة والتأليف، وعلى بذل السعي لمعرفة كل ما هو جديد في العلم والفكر، وإلا ستُنسى وتمحوك

الأيام، كما هو السيف الذي يبقى في غمدهِ حتّى يصدأ ويتآكل، ولا يذكره أحدٌ مهما كان لمعانه وبريقه، وقوة صناعته.

ومن حِكَمِه أيضًا قولُهُ في طلب الرزق من الله وحده، والحذر من الدهر وتصاريفه الذي قد يغدر بالإنسان، ويجعله يمدُّ يده إلى غير الله عزَّ وجلَّ؛ يقول الجرجاني:

استرزقِ اللهَ فالأرزاق في يدهِ ... ولا تَمُدَّ إلى غيرِ الإلهِ يدا

وحاذرِ الدهرَ أن يلقاكَ منفردًا ... فمهرقُ النّردِ مأخوذٌ إذا انفردا

ومن أغراضه التي رأيناه مستحدثة القول في معاني الشكر(٢٢)، لبعض من أراد الجرجاني شكره. وأيضًا يفيض الجرجاني على نفسه بالفخر والشموخ لهذا الشكر، ويذكر لمن أراد أن يشكره صورة الظبي الجواد الذي لا فائدة منه أو فيه بلا أرض المرعى الجميلة الطيبة. فلا فائدة من المعروف ومن العمل الصالح إلا بشكره، وشكر صاحبه، وهذا من طيب الأخلاق، وصدق المحتد.

وأمّا عن مدح الكتب والثناء على مؤلفيها، فللجرجاني مديح زاهر لكتاب **دُمية القصر وعُصرةُ أهل العصر** للباخرزي، هذا الكتاب الذي رآه يستحق الثناء والمدح العاطريّن؛ لما فيه من ميزاتٍ حسانٍ، وخصالٍ جنانٍ في التأليفِ والتنظيمِ وحفظ الشعر والأدب، كيف لا وهو في التراجم، وفي المختارات الشعرية، وفي المختارات النثرية، ولعلَّ الجرجاني أسهم بشكل كبير في تأليف هذا الكتاب الخالد، وإتمام مادته الأدبية والعلمية، كما يشهد مؤلفه الباخرزي بنفسه، وكما ذكرتُ ذلك من قبل، وذكره محققو الكتاب، ومن درسه، وألّفَ فيه. يقول الجرجاني في مدح كتاب **الدُمية** وذكر محاسنه، ومحاسن تأليفه:

ما دُميةُ القصرِ إلا روضةٌ أُنُفٌ ... تحوي محاسنَ أهلِ البَدوِ والحضرِ

من كلِّ لفظٍ كنظمِ الدُّرِّ مخترَعٍ ... وكلّ معنىً كنفثِ السحرِ مُبتكَرِ

أبقتْ أسامي من فيها مُخلَّدةً ... منقوشةً بينَ سمعِ الدهرِ والبصرِ

ولا ينسى الجرجاني أن يمدح مؤلف **الدُمية**، ويدعوه إلى أن يصل إلى هذا السفر الخالد إلى كل أرجاء المعمورة لنفاسته وقيمته العلمية والبحثية، كذلك لعظيم شأن هذا الرجل، وعظيم فضلته وصنيعه بهذا الكتاب. يقول الجرجاني:

فذاكَ يدعو عليًّا أن يشيِّعَها بكلّ باهرةٍ أضْوا من القمرِ

فهو الإمامُ الذي تندى خواطرهُ بكلّ معجزةٍ تعيا على البشرِ

تلكم كانت أهم الأغراض والاتجاهات الموضوعية التي جاءت في شعر الإمام والشيخ أبي عامر الجرجاني. شعره مليح، في أغلبه سمات الفكاهة والدعابة والهزل، لكنه لا يخلو أيضًا من الحكمة والموعظة والنصح والإرشاد. وكما لا يخلو من أوصاف مستملَحة، وغزليات رقيقة نظمها شاعر يُحسن إلى حدٍ كبير صنعته، ويتقنُ فنّه، فتواردت الكتب هذه المقطوعات، وصدَّرتها بلطائف العبارات، ولذائذ الإشارات التي تدلُّ على عَلم وعالم ومصنفٍ وشاعرٍ وأديبٍ، يستحق منّا البحث عن آثاره، ودراستها وإخراجها للمكتبة العربية الأدبية في القرن الخامس الهجري.

٢- شعر الجرجاني: (دراسة في السمات والخصائص الفنية):

في هذه الدراسة سأركّز الحديث عن بعض اللمحات الفنية، والصور المتقنة في شعر أبي عامر الجرجاني. فما الشعر إلا التشبيه والاستعارة والكناية والخيال. وما هو إلا الأوزان والقوافي والرَّوِي. ولو أنّ في شعر الجرجاني الميلَ إلى الأوزان المجزوءة، أو الأوزان النثرية كالمنسرح، وفي شعره القوافي النادرة كالصاد، والهمزة مع الهاء.... وأمّا من حيث البناء الهيكلي للنص الشعري عند الجرجاني، فقصائده الواردة في هذا المجموع بُنيت بمهارة، وجسّدت - ولا سيما في قصيدته في وصف الهرّة - صورةً كليةً قائمةً على السرد، وتتابعِ المشاهد.

وأما في باقي نصوصه، وهي المقطوعات، فبناؤها متماسك، ولغتها مسبوكة،

فيها نظرٌ من طرف خفيٍّ إلى تراث الشعراء العرب في الجاهلية والإسلام.

وأما عن صوره، فأحياناً تقوم على الصور الواقعية التي تستند إلى النظر المباشر، وفيها يركّز شاعرنا على الألوان، أو على موحياتها، كما في مقطوعته التي وصف فيها النرجس[٢٣]؛ إذ فيها صورة مزجت بين الطبيعة وبين سمات أدوات الحرب، ولاسيما السهم ونصله وموضع الوتَر منه.

وهناك الصور التي تقوم على التلاعب اللفظي، وهي لا تخلو من خيالٍ تأليفي قائم على الألفاظ وحُسنِ استخدامها، ودقّةِ معانيها، كقول الجرجاني يتغزّلُ:

وقـصـارُ وصـفـي أنّـهُ — فـيـمـا أُحـبُّ كـمـا أُحـبُّ

وقولُهُ يهجو:

فـلا تـعـجـبَنَّ بـتـهـذيـبِـه — إذا كنتَ بالفضلِ لا تُعجبُ

فـإنَّ تـذاهـيـبَـهُ تـذهـبُ — وشـيـطـانُ وجـهِـك لا يـذهـبُ

وقولُهُ في خاتمة قصيدته في المديح:

وأنـتَ الـفـردُ مـكـرمـةٌ فـكـنْ لي — تـكـنْ فـردًا بـلا شـكٍّ لـفـردِ

نرى هنا صور الجرجاني قامت على الألفاظ وتكرارها بين الشطرين. وهي صورٌ خياليةٌ تأليفيةٌ، كذلك أسهمت في تشكيل الإيقاع المتحرك للأبيات والمقطوعات الشعرية من خلال فنون البديع، كالجناس، والتصدير، والتكرار.

وتأتي الصور الساخرة الهزلية ما بين صور الجرجاني الشعرية. وهي تلكمُ الصور التي جاءت في غرض الهجاء، والتي يلحظها القارئ في مجموعه الشعري هذا. فهي صورٌ نُسجت بخيال بارع، قصدُها النيل من المهجو، وإضحاك الناس عليه، ورسم التفكُّه والدعابة لمن يقرأها، أو يقرأ شعر الجرجاني. ومن المؤكد أن مثل هذه الصور، ومثل هذا الهجاء إنّما أُخذا عن واقع معيش، ولاسيما في الأماكن والمدن التي رحل إليها الجرجاني، أو سمع بها، أو عنها وعن القائمين بها، فالشعر شعورٌ ومشاعر، مهما كان فاحشًا، أو بذيئًا، أو ماجنًا، أو خليعًا.

ومن الصور التي جاءت في شعر شاعرنا أبي عامر الجرجاني: الصورة القائمة على التشبيه الضمني. وهو تشبيهٌ عقلي غايته الجمع بين طرفي التشبيه بلا رابط. وتبدو فيه مقدرة الشاعر على الإتيان بصورتين معًا، في مضمون واحد، وفي فكرة واحدة، وفي تعبير لفظي ولغوي واحد؛ كقوله:

لا تُنكرنْ حقَّ الأديـ ب لأنْ تعرّى من ثيابِهْ

فالسيفُ أهيَبُ ما يكو نُ إذا تجرّدَ من قرابِهْ

فالأديب لا ينكَر فضله على الناس، وإلا كان لهم بالمرصاد من الهجاء والسخرية، كالسيف إذا خرج من غمده وسُلَّ أمام الأعادي. ونلحظ أن الربط بين صورتين حسِّيَّتين من خلال هذا النوع من التشبيه الذي يُعملُ فيه العقل، ويحتاجُ دائمًا إلى التأويل والتأمل.

وعن الألوان ودلالاتها وكيفية استخدامها في رسم صورة الجرجاني، فحدّث عنها ولا حرج؛ إذ رأيتها في أغلب نصوصه الشعرية، ولاسيما في الوصف والهجاء والغزل، وأحيانًا يقوم النص عليها قيامًا تامًّا. وتؤدي ما يريده الشاعر من أفكار ومعانٍ يرومُ إيصالها إلى المتلقي. كما في قوله واصفًا:

يا رُبَّ كوماءَ خَضبتُ نَحرَها بمديةٍ مثلَ القضاء السابقِ

كأنّها والدّمُ جاش حولها سوسنةٌ زرقاءُ في شقائقِ

وشبيهُ ذلك، قولُه أيضًا:

أصبحتَ مثلَ عطاردٍ في طبعِهِ إذْ صرتَ مثلَ الشمسِ في الإشراقِ

فلذاكَ ما ألقاكَ يومًا واحدًا إلا قَضيتَ عليَّ بالإحراقِ

فنلحظ جليًّا أن الألوان هي التي أقامت النص، ورسمت الصور، وبعثت الخيال، وأحدثت كل هذا التأمل في التشبيه، ولاسيما الطبيعة المتحركة في (الحيوان) في النص الشعري الأول، وعناصر الطبيعة الفلكية (الكواكب) في النص الشعري الثاني.

في نهاية حديثي عن الدراسة الفنية لنصوص الجرجاني الشعرية، أُحبُّ أن أقف في شعره على ظاهرة محاكاته للفواصل القرآنية، وشدة تأثره بهذه الفواصل في الألفاظ واللغة والإيقاع، فضلاً عن تأثير النص القرآني على الشاعر وشعره، ومن ذلك قوله في الهجاء لقوم استاء منهم كثيرًا على ما يبدو في حياته:

ألم ترَ أنّي ذممتُ الزمانَ ... لخسّة نابتة ناشيهْ؟

وأصبحتُ في جانبٍ منهُمُ ... كما أُخِذَ الرُّخُ في الحاشيهْ

أُمزّقُ أعراضَهم دائبا ... كما وقعَ الذئبُ في الماشيهْ

وهكذا في باقي أبياته الشعرية في هذا النص، الذي تأثر كثيرًا بفواصل القرآن الكريم وآياته، وفيه أيضًا لزوم ما يلزم. كما نلحظ. زاد من وقع الجرّس مع الشين والهاء الساكنة، لتكون أكثر تأثيرًا في المتلقّي، وأشدّ إيلامًا في المهجوّين، وذمِّهم بما يستحقون.

وكذلك برز مثل هذا التأثير في قولِه في الغزل:

ونائم عن سهري قالَ لي ... وقد طواني حُبُّهُ طيا

أأنت حيٌّ بعدُ؟ قلتُ: انتبهْ ... فالمْيتُ في النومِ يُرى حيّا

التأثر بالقرآن الكريم واضحٌ هنا في فواصله وألفاظه، وكذلك تتضح العقيدة الإسلامية في الرؤية وملابساتها مع نصّ الشاعر الجرجاني، بما يعكس الثقافة الإسلامية من وجوهها جميعًا.

فلقد ترك مثل هذا الأثر الإيقاعي نغمًا مطربًا في شعر الجرجاني في مثل نصوصه هذه.

القسم الثاني: عمل المحقق في صنعة شعر أبي عامر الجرجاني:

– جمعتُ شعر الجرجاني من شتيت المظانِّ التي ترجمت له ولسيرته، ورويت هذه الأشعار.

- رتّبتُ هذا المجموع المتناثر من شعره في وحدات شعرية بتسلسل رقمي، وأثبتُّ البحر الشعري مع كل وحدة، ورقمت أبياتها ترقيمًا متسلسلاً.

- ألحقتُ بالوحدات الشعرية المجموعة والمصنوعة حقلاً للشروح والتعليقات التي يحتاج إليها القارئ لمعرفة ما في البيت الشعري من لبس أو غموض. كما ألحقت حقلاً آخر أثبتُّ فيه اختلاف الروايات للبيت الشعري في نص الجرجاني، وبحسب المظانّ التي روت أبياته ونصوصه.

- اعتمدت على تحقيقين لكتاب **دُمية القصر** للباخرزي، وهو الكتاب الأول والأهم في رواية شعر الجرجاني وتدوين أبياته. التحقيق الأول، الأصل والأقدم والسابق لأستاذي المرحوم الدكتور مكي العاني. والتحقيق الآخر، للدكتور محمد التونجي، وفيه ارتباك كبير في رواية شعر الجرجاني وتدافعها وأشعارها مع شعر عبدالقاهر... ضِلَّةً.

- صدَّرت المجموع بدراسة عن الشاعر وهويته المعرفية والثقافية والفكرية، فضلاً عن دراسة لشعر الشاعر من النواحي والأغراض والاتجاهات الموضوعية، والسمات والخصائص الفنية.

القسم الثالث: شعر أبي عامر الجرجاني، صنعة وتوثيق:

(قافية الهمزة)

(١)

وله في غرض اقترح عليه، وسُئل أن ينظم في معناه هذه القوافي: (الرمل)

١- أُمُّ عياشٍ فتاةٌ خُبأهْ ... ضروةٌ عاديةٌ كالّلبوْهْ

٢- زولةٌ إنْ وعدتنا زورةً ... أنجزتها، فعليها تُكأهْ

٣- كلَّما رمتُ مبيتًا عندها ... طلبت مني صعودَ المربأهْ

٤- وإذا جاملتها في حجرِها ... فضحتني بصياحِ الحدأهْ

٥- لو بأيرِ الفيل (...)(**) لم تكنْ مـع أيـــرِ الـفـيـلِ إلا هـــزأهْ
٦- مـا لـنـا لـسـنـا نـرى أولادَهـا غـيـرَ حـبـسٍ أو لـئـيـمٍ زُكـأهْ

(١) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر وعُصرة أهل العصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٦-٢٧، وتحقيق د. التونجي: ١/٥٩٣.

الشروح والتعليقات:

١- الخبأة: المرأة التي تلزم بيتها وتستتر. والضروة: الكلبة الضارية.

٢- الزولة: المرأة البرزة، وقيل: الفطنة الراهية أو الخفية.

٣- المربأة: المرقبة.

٦- زكأة: موسر كثير المال.

اختلاف الروايات:

٦- في تحقيق د. التونجي:

مـا لـنـا لـسـنـا نـرى أولادَهـا غـيـرَ جـبـسٍ أو لـئـيـمٍ زكـأة

والجبس: الجبان، وقيل: الضعيف اللئيم.

(للبحث صلة)

الهوامش:

(*) كلية التربية الأساسية في جامعة الأنبار/ العراق.

(١) تُنظر ترجمته في: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٥، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٦٨، **خريدة القصر**: ٣/٣٤٣، **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٦، **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**: ٤٥٢، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/١٨، **بغية الوعاة**: ٢/٢٤٥، **طبقات المفسرين**: ٢/٣٢، **كشف الظنون عن**

أسامي الكتب والفنون: ١/٢٦٣، **هدية العارفين**: ١/٨١٩ (وفيه سنة وفاته ٤٤٥هـ، وهو سهو من المؤلف)، **معجم الشعراء العباسيين**: ٢٦٦.

(٢) يُنظر: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٥، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٦٨، **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٦، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/١٨، **بغية الوعاة**: ٢/٢٤٥.

(٣) يُنظر: **خريدة القصر**: ٣/٣٤٣.

(٤) يُنظر: **خريدة القصر**: ٣/٣٤٣، **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٦-٢١٦٧، **المنتخب من كتاب السياق لنيسابور**: ٤٥٢، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/١٨.

(٥) يُنظر: **خريدة القصر**: ٣/٣٤٣.

(٦) هو أبو الحسن عبدالغافر بن إسماعيل بن عبدالغافر... الفارسي الحافظ، كان إمامًا في الحديث والعربية، وقرأ القرآن الكريم، ولُقِّنَ الاعتقاد بالفارسية وهو ابن خمس سنين، صنّفَ كتبًا عدة؛ منها **المفهم لشرح غريب مسلم**، و**السياق لتاريخ نيسابور**، و**مجمع الغرائب**، في غريب الحديث... وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وأربع مائة، وتوفي في سنة تسع وعشرين وخمسمائة بنيسابور. ينظر: **وفيات الأعيان**: ٣/٢٢٥.

(٧) ينظر: هامش رقم (١).

(٨) ينظر **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١/١٥ (مقدمة المحقق).

(٩) ينظر: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي٢/١٨، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٦٨.

(١٠) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء. سُمّيت بذلك لأن سابور مرّ بها، وكان المسلمون فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: **معجم البلدان**: ٥/٣٣١-٣٣٣.

(١١) ينظر: **خريدة القصر**: ٣/٣٤٣.

(١٢) ينظر: النص الشعري رقم (٣٧).

(١٣) غزنة: مدينة عظيمة، وولاية واسعة من طرف خراسان، وهي الحدُّ بين خراسان والهند. وقد نُسبَ إليها ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من العلماء. ينظر: **معجم البلدان**: ٤/٢٠١.

(١٤) ينظر: **خريدة القصر**: ٣/٣٤٣.

(١٥) ينظر: **كنوز الذهب في تاريخ حلب**: ١/ ١٩٢.

(١٦) ينظر: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٨، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٦٨.

(١٧) ينظر: **مُعجم الأدباء**: ٥/٢١٦٦.

(١٨) ينظر: **المُنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**: ٤٥٢.

(١٩) ينظر: **الوافي بالوفيات**: ١٨/٢٤.

(٢٠) تنظر مقطوعاته المدحية: ٢٩، ٣٣.

(٢١) أستراباذ: بلدة عظيمة كبيرة مشهورة أخرجت خلقًا من أهل العلم في كلّ فن، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان. ينظر: **معجم البلدان**: ١/١٧٤-١٧٥.

(٢٢) ينظر: النص الشعري رقم (١٢).

(٢٣) ينظر: النص الشعري رقم (٢).

(**) **العرب**: حذفنا ما بين قوسين؛ لأنه مما لا يتّسع له صدور بعض القرّاء.

شعر
أبي اليُمْن ابن عساكر المكيّ (٦١٤ - ٦٨٦هـ)

(١)

جمع وشرح وتقديم

د. عبد الرازق حويزي

توطئة

يهدف هذا البحث إلى التَّعريف بشاعر مشهور في زمنه، مجهول في زمننا هذا، وهو من شعراء القرن السَّابع الهجري، لم يُعرف له ديوان شعر؛ لذا دَعتِ الضَّرورة إلى تَتَبُّع شعره في المصادر المختلفة لجمعه وتوثيقه وضبطه، وتنسيقه، وشرح غريب ألفاظه، وتقديمه إلى مكتبة التراث الشعري لأول مرة كي تَتَّضح الرؤية الإبداعية لدى شعراء هذا القرن، لاسيما وأنَّه من شعراء البلد الأمين، الذي كان له دورُه الإشعاعي في نشر الثَّقافة الإسلاميّة، فكان لابُدَّ من الاهتمام بتراثه الشِّعري في القرونِ الماضية كي تظهر الاتجاهات الشّعرية المختلفة لشُعرائه، وقد مَثَّل شعر (أبي اليُمن ابن عساكر) اتجاهًا من هذه الاتجاهات؛ ألا وهو الحنين الفيَّاض إلى ملازمة الحرمين الشَّريفين، والتعظيم السَّامي للمشاعر المقدَّسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

لمكة المكَّرمة،العاصـمة المقدَّسـة، أثر ملموس في تحقيق الهويّة الإسـلاميّة، ونشر الإشعاع الثقافي في شَتَّى ربوع البسيطة، وقد ظهر أثرُها جليًّا في هذا المجالِ وفي شَتَّى التَّخَصصات، وتباين المستويات، فهي إحدى المراكز الحضاريَّة المعروفة من قَدِيم الزمن، وكيف لا، وهي مهبطُ الوحي، ومحطّ أفئدة المسـلمين، ومَقْصِدُ ألبـاب العلماء العاملين، ومناطُ مَرأى نظر النَّاظريـن. وتَتُوق الأنفسُ بين الحين والحين إلى شَدِّ الرِّحال إلى حَرمها لجلاء القلوب من الأصداء، وتصفية الأَرواح مـن الأدْران، والتَّـزَود من الإيمان، والتّقرب إلى البارئ المصـوّر المنان سـبحانه وتعالـى. يَمَّمَ شـطرَها غيرُ قليل من العلمـاء، واتَّخذوها موطنًا لهـم، بل واتَّخذ بعضـهم المسـجد الحرام سـكنًا له على مـدى ثمانين عامًا لم يخـرج منه، وهذا الأمر وغيره جعل لهذا البلد الأمين مَكانته التي لا تُدانيها مكانة، وصداه في أرجاء المعمورة الذي فاق - ولا يزال - كل صدًى على مَرِّ الأزمان.

ولم يقتصر الأثرُ الحضاريّ للبلد الأمين على الاهتمام بنشر الإشعاع الثَّقافي الإسـلاميّ، فقد تجاوز هذا الأثر في عصـر صدر الإسـلام إلى الإشعاع الأدبيّ، ويَـدُلّ على هذا أن (محمد بن سـلام الجمحي ت ٢٣١ هـ) عدَّ في كتابه **طبقات فحول الشعراء** مكة المكرمـة إحدى القرى ذات الآثار الحضـاريّة في عصـري الجاهليّة وصـدر الإسلام، يشـهد على ذلك تميُّزُ إبداعها الأدبي بممَيِّزاتٍ ذات أثر في الحركة الأدبية آنذاك، لا يقل أثر المدينة المنورة عنه.

وانطلاقًـا من هـذا أدرك رهطٌ من معاصـرينا دورَ العاصـمة المقدّسـة في التاريخ الأدبي، فبادروا إلى إفراد الدِّراسات التي تُجَلِّي أثرها في الإبداع الشِّعري، يأتي في مقدمة هؤلاء (شوقي ضيف)، الذي أَلَّف كتابه **الشِّعر والغناء في المدينة ومكـة لعصـر بني أميّـة**، و(مجدي محمّد الخواجيّ) الذي أَلَّف كتابه **الشِّـعر في مكـة المكرمـة والمدينة المنـورة في القرنـين السَّـابع والثَّامن الهجريين: دراسـة موضوعيّة وفنيّة**[1].

وربمـا يتبادر إلى الذّهن أنّ جـذوة الإبداع الأدبيّ لمكة المكرمة قد خَبَتْ، وأنّ قَرائح شُعرائها قد أتت عليها سنواتٌ عجافٌ بعد العصر الأُموي إلى نهاية القرن السَّـادس الهجري. ومِن وجهة نظري المتواضعة أنّ ما يتبادر إلى الذّهن من هذا في غير محلّه! لماذا؟ لعدم وصـول التُّراث الشِّعري العربي كاملاً، وعدم الالتفات إلى تسجيل التُّراث الشعري لمكة المكرمة مُنفردًا، وظهور عدد من الشُّعَراء الذين شـغلوا الدنيـا والناسـ فَغَطّوا علـى غيرهم، وتنـازع النَّاسُ في أمرهم من دون سواهم، واتحاد الأمّة العربية وتماسكها لعدّة قرون بعد الدّولة الأُمويّة.

وانطلاقًـا من ضـرورة الاهتمام بالتُّراث الشِّـعريّ لمكـة المكرمة جاءت هذه المحاولةُ التي انصـبَّت على جمع ما تبقَّى من شـعر شـاعر حلَّ بها، ولم يغادرها طيلة ثمانية وثلاثين عامًا إلاَّ لشد رحاله إلى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة.

هذا الشَّـاعر هو (أبو اليُمْن ابن عساكر) أحد أعيان القرن السَّابع الهجري المشـار إليهم بالبنان نظرًا إلى عطاءاتهم العلمية التـي أَثْرَوا بها الحياة العلمية فيهـا، وبمـا تخرّج على أيديهـم من علماء أفـذاذ. و(أبو اليُمْن) هذا كان شـيخَ الحجاز في عصـره. كما قيل. قضـى معظم حياته ملازمًا للمسـجد الحرام[٢]، وفي رحابه يلتقيه طلاّبُه، وراغبو التَّزود من الثقافة الإسـلامية، فيسـمعون منه، ويجيزهـم الرّوايـةَ عنه، ويُنشـدهم أشـعاره التي تَسـري فيها نَسـائمُ الإيمان، وتَتَغَلْغَل فيها أرائجُ الإسلام، وتغمرها مدائحُ رسول الأنام ﷺ، وتَنْبَجس شوقًا إلى التَّطْـواف بالأماكن المقدّسـة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهو أحد الشـعراء الذين آثَـرُوا الآخرة الباقية علـى الحياة الفانية، واسـتبدلوا آخرتهم بدنياهم، وهذا واضـح من شـعره الذي ردَّ به على الوزير (ابن حِنَّا) رافضًـا عرضه عليه التّدريسَ في مدرسـته بمصـر، مُؤْثِرًا البقاء في مكة المكرمة، تاركًا عرَض الدّنيا الزائل.

ومهما يكن الاختلاف حول شـاعرية هذا الشاعر ومستوى شعره، فإنني أرى

ضرورة إخراج مثل هذ التراث الشعري ووضعه على مائدة الدَّرْسِ الأدبيّ؛ ليظهر أولاً المستوى الشعري لشعراء ذلك العصر، وليتضح ثانيًا المنهج الذي سلكه شعراء المدينة المنورة ومكة المكرمة في تلك الحقبة، ولتظهر طبيعة الموضوعات التي استحوذت على أفئدة الشعراء وعقولهم فيهما، فجالوا فيها شعرًا ونظمًا. وقد مثَّل شعر هذ الشاعر هذ الاتجاه المتوافق مع طبيعة هاتين المدينتين في عمق اهتمامهما بالحياة الدينية، ومحافظتهما على مبادئ الشريعة الإسلامية.

ولا تأتي أهمية الاهتمام بشعر هذا الشاعر من هذا الجانب فحسب، فهناك أمور أخرى حملت الباحث على الوقوف أمامه متأنيًا، يأتي في مقدمتها كثرة ما اشتمل عليه من أسماء الأماكن في الجزيرة العربية بصفة عامة، ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة، وكذلك كثرة ما تضمن هذا الشعر من ألفاظ غريبة لم يتداولها شعراء عصره بكثرة، وهو يسلط - من جانب آخر - الضوء على آداب العالِمِ والمتعلِّم، ومنهج الرواية، وإجازات المشايخ لطلاب العلم في عصره.

ثم إن هذه المحاولة تعد امتدادًا لما بدأه بعض العلماء، يأتي في مقدمتهم علامة الجزيرة العربية الشيخ (حمد الجاسر) - أسبغ الله عليه شآبيب رحمته وأسكنه فسيح جناته - في **مجلّة العرب**، ج١٠-١١، ١٣٨٩هـ تحت عنوان: «الحجاز في القرن السَّابع الهجريّ على ما في **رحلة ابن رُشَيد الأندلسي**»؛ إذ أتى في بحثه على ذكر هذ الشاعر، وأورد ثلاث قصائد من شعره.

وستظلُّ هذه المحاولةُ - إن شاء الله تعالى - أمانةً في عُنق القائم بها، ينظُر فيها المرَّة تِلْو المرّة، يضيفُ إليها ما يفتقر إلى إضافة، ويشرح منها ما يستحقُّ الشَّرح، ويعدِّلُ منها ما يحتاج إلى تعديل، غير زاعم أنَّها ضَمَّت كلَّ ما حملته مصادر التُّراث العربيّ من شعر (أبي اليُمْن)، فمِنَ المؤكّد أنّ هناك مصادرَ مطبوعة أو مخطوطة لم تصل يده إليها، من المحتمل اشتمالها على أشعارٍ جديدة (لأبي اليُمْن)، ولكنَّ هذه المحاولة - على كلّ حال - بحصيلتها البالغة (٦٥٨)

بيتًا، أتت لتكشف عن الجانب الشعري عند أحد أعيان مكة المكرمة المشهورين الذين طواهم النِّسيان، ولفَّ ذكرَهم الحدثان، وكان الحافز إليها - إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه - عدم وقوف صاحبها على ديوان مجموع أو مخطوط (لأبي اليُمْن ابن عساكر).

وأنتهز هذه الفرصة السانحة لأتقدم بخالص شكري إلى الدكتور عبدالحكيم الأنيس لتفضله بقراءة هذا البحث وإبداء ملحوظاته التي كان لها دور في ظهوره بهذه الصورة، على الرغم من اشتمال بعض القصائد على بعض الأبيات التي لا يزال الغموض يخيم عليها مع أننا اعتمدنا على مصادرها المحققة.

أبو اليُمْن ابن عساكر(٣)

اسمه وكنيتُه ولقبه:

يَلزم - قبل التّعريف الموجز بالشّاعر - التّنويه بالجهد الطَّيب الذي بذله الأستاذ الفاضل (مصطفى عمَّار منلا) في بحثه القيِّم الموسوم بـ«شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزَّائر»، المنشور في الصَّفحات من ١٨٦- ٢٢٥ في العدد الثَّامن من **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوّرة** عام ٢٠٠٤م؛ ففي هذا البحث استقصاء واضحٌ، وعمق في التَّناول، وشموليّة في الطَّرح حول حياة الشّاعر، فقد قام الباحث بجمع كلِّ شاردة وواردة تخصّ أخبار الشّاعر، وساقها في بحثة في ظلِّ منهج محكَم وتوثيق ظاهر، حتى لا يمكن الزّيادة على ما بذل من جهدٍ، ولكن لا بدَّ هنا من التَّعريف بالشّاعر؛ لذا آثرتُ الإيجاز قدر الإمكان، مع تسليط الضَّوء على الخطوط العريضة في حياته، تاركًا للقارئ فرصة الوقوف على تفاصيل الأمور الدّقيقة من خلال الرّجوع إلى البحث السّابق، الذي اعتمدتُ عليه وعلى غيره من المصادر في هذه التّرجمة.

فالشَّاعر هو (عبدالصَّمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله الشافعي)، المكنَّى بـ(أبي اليُمْن)، والملقّب بـ(أمين الدين)، والمعروف

بـ(ابن عساكر)، الدّمشقيّ مولدًا، المكيّ إقامة[٤]، وهو حفيد ابن أخي الحافظ المؤرخ (ابن عساكر)[٥]، مؤلّف كتاب **تاريخ دمشق**.

ولد في (دمشق) يوم الاثنين، الموافق التّاسع عشر من شهر ربيع الأول عام (٦١٤ هـ)[٦]، وتأثر بالبيئة الثقافية التي نشأ بها[٧]، فجدَّ في تحصيل العلوم[٨]، وغلب عليه التّخصص في رواية الحديث النبوي الشريف منذ صغره[٩]. رحل إلى العراق مرتين من أجل طلب العلم ونشره، مرة عام (٦٣٤هـ)، والأخرى عام (٦٤١هـ)، وتَوَجَّه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحجّ عام (٦٣٥هـ)[١٠]، ثم تَوَجَّه إلى مصر، ونال بها الرُّتبة العُليا، وهناك شارك عام (٦٤٧هـ) في التَّصدِّي للفرنج في عدوانهم على مدينة دمياط[١١]، وأصرَّ على نيل الشّهادة، فاستشهد زميلُه، وجُرح هو[١٢]، ثم توجَّه إلى الحرم المكيّ (٦٤٨هـ)[١٣]، فلازمه كثيرًا للعبادة وإلقاء الدُّروس[١٤]. واستقرّ بـ(مِنى)[١٥] في مكة المكرمة (٣٨) عامًا[١٦] لم يخرج منها إلاّ لزيارة مسجد النَّبي ﷺ رافضًا ترغيب الملوك له في تقريبهم إيَّاه لأداء مهمّة التّدريس لديهم[١٧].

شيوخُه وتلاميذه[١٨]:

دأب (ابن عساكر) على مُدارسة العلم، وحرص على ملازمة شيوخه في عدد من المدن الإسلاميّة العريقة التي رحل إليها، وعددُ شيوخه من الكثرة بمكان، ومثلُهم تلاميذه؛ فقد بذل كلَّ نفيس من أجل تحصيل العلم ونشره، فاستهان بمشاق السّفر إلى حلب، وبغداد، والقاهرة، والإسكندريّة[١٩]، في سبيل التَّزَوّد من العلم والتّقوى، فقد أخذ عن شيوخ كثيرين، أحصى منهم الأستاذ (مصطفى عمّار منلا) ثمانين شيخًا، ذكرهم مترجِمًا لبعضهم[٢٠] في بحثه السَّابق الذكر، فمنهم: جدُّه زين الأُمناء، أبو البركات، الحسن بن عساكر، وأبو محمّد، عبدالعزيز بن عبد السّلام بن أبي القاسم السُّلميّ، أخذ عنه بالقاهرة المعزِّيّة، وأبو العباس، أحمد بن عبد الله المقدسيّ.

وأمـا تلاميـذُه [٢١] فكانوا كثيرين أيضًـا، ولا يُسـتغرب هذا مـن إمام وهب حياتـه للعلم والإخلاص في القـول والعمل، وتقديم العلم النَّافع، فقد اشـتهر في مكة وقصـده النَّاس للزّيارة والسـماع منه[٢٢]، والرواية عنـه، فكَثُر طلاب العلم الذين التَفُّوا حوله، ونهلوا من علمه، وقد أحصى منهم الأستاذ (مصطفى عمّار منلا) سبعة عشر تلميذًا؛ منهم[٢٣]: علاء الدّين بن العَطّار، وابن رُشَيْد السَّبتيّ، فقد التقاه بمكّة، وروى عنه كثيرًا في كتابه **ملء العيبة**[٢٤].

مؤلَّفاته[٢٥]:

ترك (ابن عساكر) مجموعة مِن المؤلَّفات التي تشهد له بالنُّبوغ العلمي، وهي تدور في نطـاق الأجزاء الحديثية، وفضـائل الأيام والأماكن والأشـخاص الذين صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد شهد بعض العلماء بقيمة مؤلَّفاته[٢٦]، منها:

١- **إتحاف الزَّائر وإطراف المقيم للسَّائر في زيارة النَّبي** ﷺ، تحقيق: حسين محمد علي شـكري، دار الأرقم بن أبي الأرقـم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ويُسَمّى في بعض المصادر بالزّيارة[٢٧]، وتُحْفَة الزّائر[٢٨]، وغير ذلك[٢٩].

٢- **جزء تمثال نَعْل النَّبيّ** ﷺ: تحقيق: حسين محمَّد علي شكري، دار الكتب العِلميَّـة، بـيروت، ط١، ٢٠١٠م. (طبـع مـع الجواهر النفاس وجـزء حديث أبي عمير)، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم ٤٥٨١.

٣- **أحاديـث السَّـفر**، تحقيق: رياض حسـين الطَّائـي، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤م.

٤- **جزء فيه أحاديث شـهر رمضـان في فضل صيامه وقيامه**، تحقيق: علي ابن حسن، دار ابن عفان، السّعودية، الخُبَر، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٨م.

٥- **حاشية على كتاب الدُّرة الثمينة في أخبار المدينة**[٣٠].

٦- **أحاديث عيد الفطر**[٣١].

٧- **فضائل أم المؤمنين خديجة**[٣٢].

٨- **جزء في ذكر فضائل الصلاة على الرَّسول ﷺ**[٣٣].

٩- **جزء في جبل حراء**[٣٤].

١٠- **مختصر فيه مولد الرَّسول ﷺ**[٣٥].

١١- **غزوة دمياط**[٣٦].

١٢- **الخلق الدَّاثر والمقيم السَّائر**[٣٧].

شعره:

لم تذكر مصادرُ التُّرَاث العربيّ ديوان (أبي اليُمْن)، وهذا يدلُّ على أنه لم يجمعه في ديوان مستقل، ولم يحرص أحدٌ من القدماء والمعاصرين على جمعه وتنسيقه وشرحه، ويبدو أنه كان يقول الشّعر بثًّا لشجُونه، وليس تملُّقًا لأحد، وهذه الشُّجون ترفرف حول الهيام بالأماكن المقدَّسة والشَّعائر الإسلاميّة، فنجده يهيم بذكر أماكن الشَّعائر الإسلاميَّة، ويتشوق إليها في روحانية فيَّاضة بالإيمان، وفكر متطلع للخير وثَّاب نحو الهداية، والدَّعوة إلى الإيمان الخالص.

إن شعر (ابن عساكر) في مجمله يدور في فلك النَّزعات الإيمانيّة، ومدح الرسول ﷺ والحرمين الشَّريفين، مع الإكثار من وصف بعض الأماكن في المسجدين إكثارًا يقطع بما أطلق عليه المؤرخون لفظ (المجاور)[٣٨]؛ أي المجاور للحرمين، الحريص على ملازمتهما.

وشطرٌ كبير من نظمه سطَّره في خطاب تلاميذه وشيوخه ومدْحهم والثناء عليهم، وهو شعر الإجازة بالرِّواية عنه، وبعض هذا النظم يُعَدُّ من المكاتبات، التي تَضَمَّنت في بعضها التّشوق لرؤية أصدقائه.

يُعدُّ نظمه وثيقة تاريخية مهمة، تصف لنا ما كان عليه المجتمع الإسلامي في مكة والمدينة في القرن السّابع الهجريّ، وتعطينا صورةً دقيقة عن الحياة العِلميَّة والأدبيّة، وأدب العالم والمتعلم المتمثّلة في علاقة التلميذ بشيخه والعكس آنذاك،

كما يعد وثيقة جغرافية في غاية الأهميَّة من حيث اشتماله على عدد كبير جدًّا من أسماء الأماكن التي قد لا يعرفها الكثير من المعتمرين أو الزائرين في الوقت الحاضر، خصوصًا في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتبيان عبق هذه الأماكن، وما ينبغي للمسلم أن يفعله ويتذكره إذا مَرَّ بها، أو طافت صورتها بخياله.

إن شعره قَمِينٌ بأن يأخذنا إلى عالم آخر بعيدًا عن عالم الصّراعات والاختلافات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ويحقّر إلينا الدّنيا الفانية، محبِّبًا إلينا الآخرة الباقية، بما اشتمل عليه من ترغيب وترهيب، ولجوءٍ بالدُّعاء إلى اللّه سبحانه وتعالى بأن يعفو ويصفح، ويتجاوز عما يعلم، وضراعة حانية إليه بأن يمُنَّ علينا بالهداية والرَّشاد.

وجملة القول: لقد كان شعره هادفًا، وكان الشَّاعر فيه ذا رسالة في نظم أشعاره، وهي رسالة توجيه وإرشاد، ودعوة وإصلاح، وهذا ظاهر في عدم احتفاله بالمحسِّنات البديعيّة فيما نظم، مخالفًا بذلك شعراء عصره.

إن نشر هذا الدّيوان لأول مَرّة لهو دعوة لمحبي التُّراث الشِّعري أن يلتفتوا إلى هذا الشّاعر بأقلامهم للكشف عن نهجه في النَّظم، وطريقته في توظيف المعجم الشّعري، وأبرز الأفكار التي شغلته فنَظَمها. لقد كانت إسهامات الرجل دافعًا قويًّا للثناء على شخصه وعلمه من قِبل بعض المؤرخين الذين التفتوا إليه بالترجمة[٣٩].

وفاتُه:

اختلف المؤرِّخون في تحديد تاريخ وفاته، ولم يختلفوا في تحديد مكانها، وهو المدينة المنورة، وأجمعوا على دفنه بالبقيع[٤٠]، وقد جمع الأستاذ (مصطفى عمَّار منلا) التَّواريخ المختَلف فيها، وعرضَها بالتفصيل استنادًا على مصادرها، مُرَجِّحًا وفاته في الثَّاني من جمادى الأولى (٦٨٦هـ)، لصدور هذا التاريخ عمَّن عاصر الشَّاعر والتقاه[٤١]، وهذا هو المرجَّح.

[قافية الألف المقصورة]

(١)

قال متشوقًا إلى محيي الدين النَّوَوِي(*): [من الكامل]

١- أمخيِّمينَ على نَوى أَشتَاقُكمْ   شَوْقًا يجدِّدُ ليَ الصَّبابَةَ والجَوَى

٢- وأرومُ قُـرْبَـكُـمُ لأنِّي مُـرتَجٍ   يا سادَتي قربَ المقيم على النَّوى

(*) محيي الدين النَّوَوِي: عالم، فقيه، محدث، واعظ، اسمه يحيى بن شرف الحوراني، ولد عام (٦٣١هـ) في نوى بسورية، وتوفي بها عام (٦٧٦ هـ)، ألف كتبًا غير قليلة؛ منها: **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، و**بستان العارفين**، و**تهذيب الأسماء واللغات**، و**منهاج الطالبين**، و**الدقائق**، وغيرها. ينظر **الأعلام** للزركلي ٨/١٤٩-١٥٠.

التَّخريج:

فوات الوفَيات ٢ /٣٢٨، ومخطوط **عقود الجمان وتذييل وفَيات الأعيان** الورقة ١٤٤ (مكتبة عارف حكمت)، والورقة ١/١٧٧ (مكتبة الفاتح)، و**أبجد العلوم** ١٠٤٣، و**الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ٣/١٠٤.

[قافية الباء]

(٢)

وقال سنة (٦٨٤هـ) يمدح الرسول ﷺ مسجلاً معجزاته، ومطوِّفًا بذكر فضائل الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة: [من الخفيف]

١- بـينَ نَـعْـمَـانَ مَـنْـزِلٌ وكَـسَـابِ   جَادَت السُّحبُ رسمَه بانسكابِ

٢- معهدٌ لـلـرَّبابِ سَقْيًا لعهدي   في رُبـاه، سَقَتْه ذاتُ الـرَّبابِ

٣- مـربـعٌ لـلـهَوى ومـرتـبـعُ الحبْـ   ـبِ قَـدِيمًا ومجمـعُ الأَحْـبَـابِ

٤- ومَغاني العُشَّاقِ يَصْبُو إليها كُلُّ صبٍّ فدمعُه في انصبابِ
٥- تُربةٌ تُكحَلُ النَّواظرُ منْهَا مِن عَماها ومَلعَبُ الأَتْرَابِ
٦- ولَدَيها الأرواحُ قد خُوطبتْ قِدْ مًا فلبَّتْ طوعًا لخيرِ مُجَابِ
٧- وأَقَرَّتْ بالحبِّ حَقًّا لمحبو بِ بديعِ الصِّفات سَامي الجنَابِ
٨- فاجتباهَا بقُرْبِه وسَقاهَا مِن صَفا حبِّه طَهورَ الشَّرابِ
٩- ثم آبتْ فَأُلْقيَتْ ثَمَّ سَكْرَى منه حتَّى تَلْقَاهُ يَوْمَ المآبِ
١٠- وهي ترتاحُ كلَّ عامٍ إليها كلفًا بالتذاذِ ذاكَ الخطابِ
١١- أيها السَّاطرُ الفَلا بحرُوفٍ كحروفٍ قد سُطِّرَتْ في كتابِ
١٢- فَهي تُهوي إلى تهامةَ شَوقًا جادَ تلك الرسومَ هامي السَّحابِ
١٣- أنتَ إمَّا عرَضْتَ عَرِّض بذكْري في سَراةِ النَّادي وبين صِحابِ
١٤- أهلُ وُدِّي والنَّازلون بقَلبي وإليهم في النَّازلات انقلابي
١٥- بيننا ذمَّةٌ وعَهْدُ ودادٍ قَدْ صَفا بالصَّفا من الأَشْوابِ
١٦- مَا تَناسيتُه لَعَمْري وظَنِّي أنَّهم في الهَوى بهم مثلُ ما بي
١٧- بُثَّ شَوقي إن أَنتَ آنستَ منهم شرحَ شَكْوى أو نلْتَ رَجْعَ جَوابِ
١٨- نادِ باسمي بين المشاعرِ وانشدْ عن فُؤادي ما بينَ تلكَ الشِّعابِ
١٩- لا خَلَتْ منكَ مكة يا (أبا اليمـ ـن) تُلَقَّى رُحْبًا بتلكَ الرِّحابِ
٢٠- حيثُ تَضْحَى وأنتَ للّه جارٌ عَائذَ الله بينَ رُكْنٍ وبابِ
٢١- مَاسحًا تارةً وملتزمًا أخـ ـرى تَمُدُّ الأَستارَ بالأَطْنابِ
٢٢- إن خلا منكَ مشعراها فقدْ كنـ ـت قَطينًا بها مَدى أَحْقابِ
٢٣- طَالما قدْ نَعِمْتَ عَيْنًا بنعمَا نَ وَشَطّي أَلالَ بينَ الهضَابِ
٢٤- وَلَكَمْ من عوارفٍ حينَ عرّفـ ـتَ تَعَرَّفْتَها حسَانٍ عذَابِ
٢٥- حيثُ تَسْتَنْزِلُ المواهبَ من بَرْ رٍ رحيمٍ ومُنعمٍ وَهَّابِ

٢٦- بين شُعث غُبرٍ أَفَاضُوا عِشاءً قَدْ أَفَاضُوا دُموعَهم بانسكاب

٢٧- فَلَكَمْ نلْتَ جمعَ شَمْلٍ بجمعٍ بَجدا محسن بغير حسَاب

٢٨- وبرمْي الجمار وفَّيتَ نَذْرًا بانقضاء الأَتْفَاث والآراب

٢٩- ثم وافيتَ فاستلمتَ وجدَّدْتَ مَتابًا للغَافر التَّوَّاب

٣٠- وَرَقيتَ الصَّفَا فَأَحْرَزْتَ سعيًا صَالحًا إذ سَعَيْتَ سَعيَ مُثَاب

٣١- ثمَّ وَدَّعْتَ وانصَرَفْتَ تُرَجِّي عَودةً في تَأَسُّف واكتئاب

٣٢- يا رعَى اللهُ عَهْدَ وصْلٍ تَقَضَّى بالغزالِ الرَّبيب بينَ الرَّوابي

٣٣- إذ مَصيفي على العُذَيب ونجعي بينَ ياجٍ إلى صَفَاء السِّباب

٣٤- وسَقَى ليلة على عذَب السقـ يا سُقينا بها كؤوس عذاب

٣٥- إذ تنصُّ الركابُ يجرينَ شوقًا يتخلّلن بينَ بيض القَبَاب

٣٦- ثم زاحمْنَ في المضيق إلى أن . بعدَ لأْي . أجزنَ نَجْدَ الحقاب

٣٧- يا ليالي منًى لَعَمْري لَفيكُنَّ مَنَالُ المنَى ونيلُ المتَاب

٣٨- ولأَنْتُنَّ غُرَّةٌ للَّيالي في وجوه الأيام كالأذْهَاب

٣٩- تَتَقَضَّى بالذِّكر والشكْر للَّـه وجمع الأَصحاب والأَحْبَاب

٤٠- هَلْ إلى عودَةٍ سَبيلٌ لنَلقى ملْطفات العتَاب بالأعتَاب؟

٤١- طالَ عهدي بها فهلْ لي إليها من مَعاد يُطْفي حَريقَ التهَابي؟

٤٢- ظَلْتَ تَشْتاقُها . وأنْتَ نَزُوح . شوقَ صَبٍّ إلى الأحبَّة صَاب

٤٣- شمْتَ برقًا يمانيًا من شآم من تهام على نَوًى واغتراب

٤٤- بتَّ تَسْتَنْشقُ الجنوبَ وَقدْ هَبَّـتْ بليلٍ بليلةَ الأثْواب

٤٥- كيفَ جَانبْتَها وأَنْتَ محبٌّ هَلْ محبٌّ رأيتَه ذَا اجتنَاب؟

٤٦- فاحمد الله إذ بطَيبةَ طابَتْ أنتَ ثَاوٍ فَكنتَ طَابَ ابنَ طَاب

٤٧- بينَ قبرٍ ومنبرٍ أنتَ منها غَاديًا رائحًا بلا إغْبَاب

٤٨- في رياضٍ من جَنَّة الخُلْد تَمْشي في مَمَرٍّ من رسْمهَا وذهاب

٤٩- جارَ خيرِ الأَنام والمصطفَى الهادي إلى اللهِ والكَريمِ النِّصاب

٥٠- أفضلِ المرسلينَ حَقًّا بلا شَكْ ... لك وَخَيرِ الـوَرى بغيرِ ارتيَاب

٥١- صفوة المصْطَفَيْنَ أُفْـرِدَ بالحُبْـ ... ـب وبالقُرْب فَهْوَ لُبُّ اللُّبَاب

٥٢- مُخْلصٌ من شوائبٍ وحظوظٍ ... معرَقُ الخيمِ طاهرُ الأَنْسَاب

٥٣- صِينَ قَدرًا فَلَمْ يَكُنْ من سِفاحٍ ... بل نكاحٍ مؤكَّدِ الأَسْبَاب

٥٤- من خيارِ القُرون قَرْنًا فقَرْنًا ... وكِرام الأَرحام والأَصْلاب

٥٥- في الصِّبَا قدْ حُميْ نُهًى عن تعرِّيـ ... ـه وعَن وقْفَةٍ لَدى الأَنْصاب

٥٦- غُصُنٌ مادَ بينَ غُصنين حُسنًا ... أَتْلعُ الجيدِ أوطَفُ الأَهْداب

٥٧- وجبِينٌ كأنَّه فَلَقُ الصبـ ... ـحِ يُجَلِّي حنادسَ الغَيهاب

٥٨- ولهُ منطقٌ أَلَـذُّ إلى السمـ ... ـعِ مِن المسمعاتِ بالإطراب

٥٩- بخطابٍ جَـزْلٍ وقولٍ بليغٍ ... منه فصْلٌ من غيرِ ما إغراب

٦٠- وإذا سَاقط الحديث حسبتَ الد ... درَّ حُسْنًا تَساقطَتْ من سخَاب

٦١- من فَمٍ أشنبِ اللِّثات ضَليعٍ ... بَاردِ الظَّلْم واضحِ الأَنياب

٦٢- وثنايَا كاللؤلؤِ الرّطبِ مَنْظُو ... مًا عذابٍ مُعَسَّلات الرُّضَاب

٦٣- شِيَمٌ قُدِّسَتْ وتُمِّمَ منها ... كلُّ نقصٍ للعُنْصُرِيِّ التُّرَاب

٦٤- وخِلالٌ مَا شَانَهَا خَلَلٌ لا ... في اكتهالٍ ولا بحالِ شَبابِ

٦٥- فهْوَ بدرٌ في جُنحِ ليلٍ تَجَلَّى ... وهْوَ شمسٌ بدَتْ خلالَ سَحَابِ

٦٦- وهْو نورٌ في لمعةٍ قدْ تَراءى ... قَد تَوارَى من ظلِّه في حجَابِ

٦٧- شُرِحَ الصَّدْرُ منه فَهْو مُصَفًّى ... قد تزكَّى من كُلِّ ذامٍ وعَابِ

٦٨- أوّلُ النّاس عنه تَنْحَسِرُ الأَرْ ... ضُ وأولاهُمُ بقَرْعِ البَابِ

٦٩- عُقِدَتْ في يديه أَلْوِيَةُ الحمْـ ... ـدِ لأَمْرٍ فاعجبْ لأمرٍ عُجَابِ

٧٠- فعلَى جاهه أُولُو العَزم جَمْعًا ... قَد أحَالُوا في المعضلات الصِّعاب

٧١- وإلى ظلِّه أَوَوْا فتَراهم ... في جُنُوحٍ إلى جَناح العُقاب

٧٢- والمقامُ المحمودُ مَا قامَ فيه ... غيرُهُ من أولئكَ الأنجاب

٧٣- كاشفًا كلَّ كربٍ خطْبٍ عن النَّا ... سِ برجْعٍ لِربِّه وخطاب

٧٤- وبشير عند الإياسِ بفَضْلٍ	وخطيب لهم بفَصلِ الخِطاب
٧٥- وإلى الله صُحبةَ الرّوحِ أَسْرَى	فحباه بزُلْفَة واقْتِراب
٧٦- كمْ مُحَيٍّ لَه وكم منَ ملاق!	إذ سَمَا في السَّمَاء بالتَّرْحَاب
٧٧- كم مَراقٍ إلى العُلا قد ترقّى!	فَتَحَتْ بالمنى له كُلَّ باب
٧٨- فانتهى مُنْتَهَى به قد تَنَاهَى	بالقضايا مطالبُ الطُّلاَّب
٧٩- ثمَّ أُدْني حُبًّا وأُزلِف حَتَّى	كانَ أَدْنى إليه مِن قَدرِ قَاب
٨٠- وله البَدْرُ شُقّ إذْ سَأَلُوه	آيةً جهرةً بنصِّ الكِتَاب
٨١- لَيْسَ فيها للخَلْقِ صُنْعٌ فَتُلْفي	شبهةً مَا لمنكرِ الحقِّ آب
٨٢- شَاهَدَتْه قريشُ والسَّفْرُ أنبا	أَنَّهُم شاهدُوه عنْدَ الإياب
٨٣- ولَهُ الكَوْثَرُ الرَّوي من مَعين	سَلْسَبيل يمدّ في ميزاب
٨٤- وعِدادُ الكَواكب الزُّهْرِ فيه	من أباريقه ومن أكْواب
٨٥- طينُه المسكُ حُفَّ مِن حافتيه	بقصُورٍ مِن لُؤْلُؤٍ وقباب
٨٦- رَبِّ أبرِدْ ظَما «أبي اليُمْن» رَيًّا	بورودٍ من شربِ ذاك الشَّراب
٨٧- لا تُحَلِّئه باقترافٍ لسُوء	عن ورودٍ مِن مائه واكتِساب
٨٨- وحَمَامٌ على فَمِ الغَارِ عَشَّشَـ	ـنَ فأَعْشَينَ أَعينَ المرْتَاب
٨٩- وكذا الرَّاةُ إذْ تَوَلَّج فيه	نَبَتَتْ ثَمَّ فَهي ذاتُ انْشعَاب
٩٠- قد تَوَارَى مِن كيدهم ثانيَ اثنيـ	ـنَ فكانَا عن مَكرهم في حجَاب
٩١- واسأل المُدْلجي سُراقةَ عنهم	آبَ عنهم وَحدّ عُدْوَاهُ نَاب
٩٢- إذ يَقُولُ الصِّدِّيقُ: إنَّا أُتينا	فَانْبرَى عَنْهُ طرفُه وهو كاب
٩٣- جاءَ يسْطُو فعَادَ قد عاذَ مِنْه	بأمانٍ لنَفْسه وكتاب
٩٤- وإليه الأَشْجارُ لَمَّا دَعاهَا	قَدْ أتتْه تَخُدُّ خَدَّ التُّراب
٩٥- ثمَّ عادَتْ إلى المنابتِ سَعْيًا	سَارِيات العُروق في أسْرَاب
٩٦- وبكفَّيْه سَبَّحت حَصَيَاتٌ	أَسْمَعَتْهُمْ فهُنَّ ذَاتُ اصطخاب
٩٧- نبعَ الماءُ مِن أَنامِله الخَمْـ	ـسِ غَزيرًا مُدَغْفقًا ذا عُبَاب

٩٨- وبتصديقه قد اعترفَ الضَّبـ ـبُ مُقرًّا فآمَنَ الأَعْرَابي
٩٩- وبصَاعٍ وبهمَةٍ أشبعَ الألـ ـف فشَادُوا نقابَ تلكَ الجوابي
١٠٠- زوَّدَ الجيشَ مُرملينَ حُيَيْسًا فضلَ تَمْرٍ أحصوه ملءَ جِرَاب
١٠١- وعَلى فَقْدِه فَقَدْ رَدَّدَ الجذْ عُ حَنينًا لبُعدِه بانتحاب
١٠٢- وحقيقٌ لأَعْينٍ فَارَقَتْهُ أن تسحَّ الدُّمُوعَ سَحَّ السَّحَاب
١٠٣- فَعَلَى فُرْقَةِ الأَحِبَّةِ يبكي كلُّ نَاءِ المزار بَعْدَ اقتراب
١٠٤- فَانثنى نَحْوَه يُسَكِّنُ منه باحتضانٍ له جوى الأَوْصَاب
١٠٥- أَيْنَ منَّا النَّشيجُ خوفَ نواه من أنينِ الجماد والأَخْشاب؟
١٠٦- فَضَّ جمعَ الأعداء يَوْمَ حُنَيْن إذ رَماهُم بقبضةٍ من تُرَاب
١٠٧- وإذا ما نَوَى قتالَ عَدُوٍّ قُذفُوا في القُلوب بالإرْعَاب
١٠٨- وثلاثٌ في أَمْرِ زينبَ آيا تٌ عظامٌ منْها نزولُ الحجاب
١٠٩- جَاءَهَا فابْتَنَى بهَا حكْمَةَ اللـ ـه بلا شاهدٍ ولا خُطَّاب
١١٠- بل خصوصيَّةٌ بها خَصَّهُ اللـ ـهُ فكانتْ تَسْمُو عَلى الأَتْراب
١١١- وَلَكُمْ آيةٌ وكمْ من دليلٍ قَدْ أزالت عمايةَ الارتياب!
١١٢- ذاكمُ الفَخرُ لا ممالكُ سَابُو رَ ولا الهرمزانُ في الأَحْقَاب
١١٣- فأطل أو فَأَقْصرِ المدحَ فيه بارتجالٍ للنَّظْم أو باقْتضاب
١١٤- وصْفُه بَيِّنٌ لِكُلِّ رَسُولٍ نعتُه مُثْبَتٌ بكُلِّ كتاب
١١٥- خصَّهُ اللهُ بالمحبَّة والخلْـ ـلة مَعْ رفع ذكره المسْتَطاب
١١٦- ورؤوفٌ بالمؤْمنينَ رَحيمٌ غيرُ فظٍّ جَافٍ ولا صَخَّاب
١١٧- وهَدَانا به الإلهُ فَجلَّى ظُلَمَ الظُّلم فَهْيَ ذَاتُ انجياب
١١٨- فَعَلا دينُهُ عَلى كُلِّ دينٍ مَذْهبًا باقيًا بغير ذهاب
١١٩- وحبيبٌ مُدَلَّلٌ بالأَماني وَرَسُولٌ مُظَلَّلٌ بالسَّحاب
١٢٠- ذَاكُم المصطَفى المحبّ ومَن ذا لَسَواه في فَضْله بالمحابي
١٢١- أَوَحُبًّا لَه سَلام مُحبٍّ شَفَّه شَوقُه إلى الأَحْباب

١٢٢- غُضَّ صَوْتًا لَدى السَّلامِ وكنْ منـ ـه لـردٍّ عَليكَ في الارتقاب
١٢٣- لا تطأ أرضَه بنعلٍ وَطَأْها بجفُونِ العيونِ والأَهْدابِ
١٢٤- انتشِقْ تُرْبَهُ وقبِّلْه واخضعْ وَتَوَسَّد شَريفَ تلْك القباب
١٢٥- وتَضَرَّعْ والصِق به القَلْبَ كَيمَا يَنْثَني عَن وُلوعِه ذَا انقلاب
١٢٦- لا تُضَمِّخْ منك التّرائب طيبًا بلْ تَضَمَّخْ بطيب ذَاكَ التُّراب
١٢٧- وتشفَّع بِهِ إلى اللهِ تَسْلم مِن عَذَابِ خزيٍ وَخزيِ عَذاب
١٢٨- عُذْ بِهِ في النَّجاة فهو مَعاذٌ وتوسَّل ولُذْ بِذَاكَ الجناب
١٢٩- وَتَأَدَّبْ فَلا يكنْ منك إخلا لٌ وَزُمَّ الخِلالَ بِالآدابِ
١٣٠- إنَّ حبّي لَه لِزامٌ ولَمَّا يَزَلِ الحبُّ لازمَ الأحبابِ
١٣١- واشتياقِي إليه شَوقُ مُعَنًّى مُفرطٍ في صَبابة واكتئاب
١٣٢- رَبِّ أَنعم عَيني برؤْيَاه لا عن جُنُبٍ مِنْه بَل بغَيرِ اجتناب
١٣٣- واشف بالقُرْبِ منه غلَّةَ شَوقي فَلبُعْدِي عَنه لَقَدْ جَلّ مَا بي
١٣٤- يا شفيعَ العُصاة كُن لي إلى اللـ ـه شفيعًا مِن الأَليم العذَاب
١٣٥- فَبحَسبي بأنْ تكونَ شَفيعي عندَ رَبّ العِبادِ يَوْمَ الحساب
١٣٦- جئتُ أَشْكُو بَثِّي لَعَلَّكَ تُشكي لِمرزًا في دينِه ومصاب
١٣٧- قدْ توالتْ إلى الخَطايا خُطاه وَأَقَلَّ الأَعْباءَ مِن كُلِّ عاب
١٣٨- مُسْرِفًا في ارتكابها وَمُصِرًّا والجًا في الذُّنُوبِ مِن كُلِّ باب
١٣٩- فَأَعِنْه بعطفة لِتُقَوِّي منه عَزْمًا عَلَى التُّقَى باحتساب
١٤٠- عَلَّهُ أَن يُنيبَ منْها إلى اللـ ـه بصدْقٍ مُسْتَعْصِمًا بمتاب
١٤١- وحنانٍ برأفةٍ منكَ تهديـ ـهَ وتُنْجيهِ مِن شَدِيد العِقاب
١٤٢- أرتجِي وَصْلَةً لَديك وما لي سَبَبٌ مُوصلٌ مِن الأَسباب
١٤٣- غيرَ حُبِّي له وأرجُو بحُبِّي ولآلِ النَّبيِّ والأَصْحابِ
١٤٤- فاسألِ اللهَ لي صَلاحَ فَسادي وادعُ لي بالهدَى دُعَاءَ مُجاب

١٤٥- صَلواتُ الإلـه تَـتْرَى عَليه　باقيات عَلى مَـدَى الأَحْـقاب
١٤٦- وعَلى آلـه الـذين تَـزكَّوْا　لَيسَ فيهم لعائب من مُعاب
١٤٧- حبُّهم مَذْهَبي بِغَير غُلُوٍّ　وإليهم إمَّـا دعيتُ انتدابي
١٤٨- وَرِضَـاهُ ورحمـةٌ من لَدُنه　تَتَوالى عَلَى جَميع الصِّحاب
١٤٩- يا إلاهي وَأنت رَبِّي وَحَسْبي　بك ربًّا أَحْسَنْ إليك مَآبي
١٥٠- وَأَجِزْني عَلَى الصِّراط بِرُحْمى　منْكَ أَنْجُو بهَا وَيَسِّرْ حسابي
١٥١- لا كتابي تَنْشُرْهُ إيْ ربِّ واصفح　عَنْ طَوَايَا صَحَائف الكُتّاب
١٥٢- فَذُنُوبي كَثيرةٌ لَيسَ تُحْصَى　وعُيُوبيَ شَتَّى مَلأنَ عيَابي
١٥٣- فَأَقلْ عَثْرَتي وَثَبِّتْ فُؤَادي　لا يَزِغْ في مَوَاطن الإرْهَاب
١٥٤-واعفُ عَنِّي وارحَمْ وسامح وأعتقْ　ني من النَّار يومَ فكِّ الرِّقاب

الشَّرح:

(١) نَعْمَانَ: هو نعمان الأراك، وهو واد ينبته ويصب إلى ودَّان، بلد غزاه النبي ﷺ، وهو بين مكة والطائف، وقيل: واد لهُذيل على ليلتين من عرفات. **معجم البلدان** ٥/٢٩٣، وكَساب: جبل في ديار هُذيل قرب الحزم لبني لحيان. **معجم البلدان** ٤/٤٥٩.

(٢) الرَّبابُ: السَّحابُ الذي فيه ماء، الواحدةُ: رَبابة، وأَرَبَّتِ السَّحابة بهذه البلدة: أدامت بها المطر. **العين** ٨/٢٥٦.

(٥) عماها: أي سحابها الكثيف الأسود. **تاج العروس** ٣٩/١١١.

(١١) السَّاطرُ: القاطعُ، والفَلا: أي الفلاة، الأرض القفر، وحروف: جمع حَرْف: النَّاقَةُ الضَّامرةُ الصُّلْبَةُ، شُبِّهتْ بحَرْفِ الجبل. **تاج العروس** ١٢/٢٥، ٣٩/٢٥٠، ٢٣/١٢٨.

(٢٢) المشعران: المزدلفة ومنى. **معجم اللغة العربية المعاصرة** ١٢٠٨،

والقَطِـين: أَهْـلُ الـدَّار كالخَليطِ للواحـد والجَمْع؛ أو هو السـاكِنُ في الـدَّار. **تاج العروس** ٣٦/٧.

(٢٣) ألال: بفتـح الهمـزة والـلام وألف ولام أخرى بوزن حمام: اسـم جبل بعرفات، قال ابن دريد: جبل رمل بعرفات. **معجم البلدان** ٢٤٢/١.

(٢٨) الأَتْفَـاث: جمع تفث، وهو في المناسـك: ما كانَ مـن نَحْو قَصِّ الأظْفارِ والشّارِبِ وحَلق الرَّأسِ والعانَة ورَمْي الجمارِ ونَحْرِ البُدْنِ وغَيْر ذلك، وفي التَّنْزيل العَزِيز: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ سورة الحج، الآية رقم (٢٩). **تاج العروس** ١٧٨/٥.

والآرابِ: الحاجات. **تاج العروس** ١٦/٢.

(٣٣) العُذَيبُ: ماء لبنى تميم، كذلك بارق، وديار تميم إنما هي باليمامة... العُذَيِّبـة: تأنيـث الذي قبله: موضـع في طريق مكة، بين الجـار وينبع. **معجم ما استعجم** ٩٢٨، وياج: وادٍ كان في عهد الزمخشـري (ت ٥٣٨ هـ) بين مكة وينبع. **الجبال والأمكنة والمياه** ١٦٨، السّباب: موضع بمكة. **معجم البلدان** ١٨٢/٣.

(٣٥) تنصُّ: من النَّصّ في السَّيْرِ: وهو أقصى ما تَقدرُ عليه الدَّابّةُ. والقبابُ: جمع قبة، بناء من أدم صغير مستدير. **تاج العروس** ٥١١/٣، ١٨٠/١٨.

(٣٦) لأْيِ: أي شـدة واحتباسٍ ومعانـاة. **تـاج العروس** ٤٢٧/٣٩، والنَّجْدُ: الطَّرِيقُ الواضِحُ البَيِّنُ المُرْتَفِعُ من الأَرْض. **تاج العروس** ٢٠١/٩-٢٠٢، والحقاب: موضع بنعمان من منازل بني هذيل. **معجم البلدان** ٣٣٨/٣.

(٤٦) الطَّابُ: الطَّيِّب. **تاج العروس** ٢٨٢/٣.

(٤٧) الإغْبابُ: الفصـل بـين كل زيادة وأخـرى تجنبًا للثقل. **تـاج العروس** ٤٥٢/٣.

(٥٢) الخِيمُ: السَّجِيَّة والطَّبِيعة. **تاج العروس** ١٣٤/٣٢.

(٥٤) القُرون: الأمم السالفة. **تاج العروس** ٤٥٩/٢٣.

(٥٥) الأنصاب: الأوثان. **تاج العروس** ٤/ ٢٧٥.

(٥٦) مَادَ: لان وأصبح ناعمًا، وأتلع: طويل، والوطفُ: كثافة شَعَرِ أَهْدابِ العَيْنَيْنِ. **تاج العروس** ٩/ ١٤٩، ٢٠/ ٤٠١، ٢٤/ ٤٦٣.

(٥٧) الحنادسُ: جمع حندس، وهو الليلُ الشَّديدُ الظُّلْمَة، ولم ترد كلمة الغيهاب في المعاجم، والوارد الغيهب، وهي هنا من تصرف الشَّاعر لمناسبة القافية، والغيهبُ: الليل. **تاج العروس** ١٥/ ٥٦١، ٣/ ٤٩٦.

(٦٠) السِّخَابُ: القلادة. **تاج العروس** ٣/ ٤٤.

(٦١) الشَّنَبُ: مُحَرَّكَةً: مَاءٌ ورِقَّةٌ تَجْرِي على الثَّغْر، واللَّثات: لحمٌ على أُصُولِ الأَسْنانِ، والظَّلْمُ: مَاءُ الأَسْنَانِ وبَرِيقُهَا. **تاج العروس** ٣/ ١٥٧، ٣٦/ ٤٩٣، ٣٣/ ٤١.

(٧١) جُنُوح إلى جَنَاح العُقابِ: كناية عن الجنوح إلى السُّمُوِّ؛ إذ المعروف عن العُقاب الارتفاع في التحليق، والاعتصام بالأماكن الشاهقة. ينظر **حياة الحيوان الكبرى** ٣/ ١٢٥، والرابط الآتي:

http://www.startimes.com/f.aspx?t=15571867

(٧٣) كررت كلمة خطابِ في هذا البيت والبيت التالي له، وتسمح قواعد الشعر بهذا إذا اختلف معنى الكلمتين، وإلا تحقَّق عيب الإيطاء، ومعنى الكلمة في هذا البيت: الدعاء، ومعناها في البيت التالي له: الأمر المشكل.

(٧٥) الرُّوح: جبريل عليه السلام. **تاج العروس** ٦/ ٤٠٩.

(٧٩) قاب: أي مقدار. **تاج العروس** ٤/ ٨٨.

(٨٢) أنبا: أي أنبأ، سهل الشاعر الهمزة.

(٨٣) الميزاب: قناة أو أنبوبة يصرَّف بها الماء من سطح بناء أو موضع عالٍ. **المعجم الوسيط** ١٥.

(٨٧) لا تحلئه: لا تمنعه. **تاج العروس** ١/ ١٩٩.

(٨٩) الرَّاه كذا وردت هذه الكلمة في مصدرها، وهي تخفيف الرّاءَةُ:

«شُـجَيرة تَرتفعُ على سـاق، ثم يَرتفع لها وَرَقٌ مُدَوَّرٌ أَحْرَش... هي شُجيرة جَبليّة كأَنها عِظْلِمَةٌ، ولها زَهْرَةٌ بيضاءُ لينة كأَنها قُطْنٌ. وأَرْوَأَ المكانُ: كَثُرَ به الرَّاءُ، عن أَبـي زيدٍ، حكى ذلك أبو علي الفارسـيُّ، وقال شـيخنا: قالوا: هي نَوْعٌ من شـجرِ الطَّلْعِ، وهي الشـجرةُ التي نَبَتَتْ على الغَارِ الذي كان فيه النبيُّ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه». **تاج العروس** ١/٢٥٥.

(٩١) المُدْلجي سُراقة: هو سُراقة بن مَالك بن جُعْشُم الكِناني المُدْلِجيّ (ت ٢٤هـ)، هو المذكور في هجرة النَّبِيِّ ﷺ بأنْ سـاخت قوائم فرسه، أسلم بعد غزْوة الطائف، وحسُنَ إسلامُه، وقيل: شَهِد حُنينًا. **تاريخ الإسلام** ٢/١٧٢، ٣٧٧.

(٩٤) تَخُدُّ: تحفر. **تاج العروس** ٣٧/٥٣٩.

(٩٧) المُدَغْفِقُ: المنهمر بشدة. **تاج العروس** ٢٥/٢٩١.

(٩٩) البُهْمَة: المعضـلة، والخطة الشـديدة، ورباطة الجأش والشجاعة. **تاج العروس** ٣١/٣٠٩.

(١٠٠) المرَمَّـل: مَن نفد زادُه. **تاج العروس** ٢٩/١٠١، والحَيْسُ، تَمْرٌ يُخلَطُ بسَمنٍ وأقِطٍ فيُعجَن. **تاج العروس** ١٥/٥٦٨.

(١٠٥) النَّشيجُ: الصَّوت. **تاج العروس** ٦/٢٤٠.

(١٠٨) زينب: هي زينب بنت جحش التي أنزل الله فيها قرآنًا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾. سورة الأحزاب، الآية (٣٧).

(١١٢) سـابور: سـابور بـن هرمز: الملك بن نرسـي الملك بـن بهرام الملك، ويقال له الملك شاهنشاه بن بهرام الملك بن هرمز البطل الملك بن سابور الجنود الملك ابن أزدشـير بن بابك بن ساسـان بن بابك بن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهمن الملك، وهو سـابور ذو الأكتاف،... وذكر غيره أنه سـابور بن هرمز بن نرسـي ابن بهرام بن سـابور، وأن بهرام شاهنشـاه أخو نرسـي بن بهرام، قيل:

إنه دخل الشـام وقصـد ملك الروم أبو إلياس إلى أنطاكية، فقبض عليه وحبسه بأنطاكية. **بغية الطلب** ٤٠٨٨/٩. والهرمزانُ: لقب رُسْـتم بن فَرُّح زادَ صـاحب جيش العجم، قُتل يومَ القادسيّة على يد هلالٍ العُقيليّ. **تاج العروس** ٣٨٢/١٥.

(١٢١) كذا ورد البيت في مصدره.

(١٣٢) جُنُب: أي مجاورة. **تاج العروس** ١٨٥/٢، والمعنى: رَبِّ لا تحرم عيني رؤية الرسول ﷺ في المنام.

(١٣٧) أقلَّ: حمل ورفع. **تاج العروس** ٢٧٦/٣٠.

(١٥٢) العِيـاب: جمع العَيْبَة، وهي: زَبيلٌ (زنبيـل) كأمير، مِنْ أَدَم، مُحَرَّكة يُنْقَل فيه الزرْعُ المحصود إلى الجُرْن. **تاج العروس** ٤٤٩/٣.

التَّخريج:

ملء العيبة ١٩٤/٥-٢٠٠. ورد في البيت السابع والعشرين فيه هكذا: «بَجدا محسب»، ولعل الصواب: «بجدا محسن»، وورد البيت الثامن والثمانون فيه هكذا: «عين».

(للبحث صلة)

الهوامش:

(*) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

(١) يقع الكتاب في جزأين، نشـره النادي الأدبي بمكة المكرمة عام ١٤٢٤هـ، وتردد اسـم أبي اليُمْن ابن عساكر في عدد من صفحاته، سيأتي ذكرها.

(٢) **الوافي بالوفيات** ٤٤٧/١٨، وأبجد العلوم **(الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم)** ١٠٤/٣.

(٣) تنظر ترجمته في المصادر والمراجع الآتية:

- **ملء العيبة** ٥/١٤٥.
- **درَّة الأسلاك في دولة الأتراك** ١/٤٣٧-٤٣٩.
- **العِبر في خبر من غبر** ٣/٣٦٢.
- **المختار من تاريخ ابن الجزَري** ٣٢٤.
- **تاريخ الإسلام** ١٥/ ٥٧٢-٥٧٣، ٥١٤.
- **معجم الشُّيوخ الكبير** ١/٣٩٤.
- **برنامج الوادي آشي** ٥٢٦.
- **عُيون التواريخ** ٢١/ ٤٠٦- ٤٠٨، ومخطوطه ١١/١٥٣-١٥٤، ومخطوطه، نسخة متحف طوب قابو سراي، إستنبول، تركيا،رقم ٢٩٢٢.
- **فوات الوفيات** ٢/٣٢٨.
- **الوافي بالوفيات** ١٨/٤٤٧.
- **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** ١/١٣٦.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان** ٤/١٥٢.
- **البداية والنهاية** ١٣/٣١١.
- **تاريخ علماء بغداد** ٧٨-٧٩.
- **الوفيات** لابن رافع السَّلامي ١/٣٢٢، ٣٥٩.
- **عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان** الورقة ١٤٤ (مخطوط عارف حكمت)، والورقة ١/١٧٧ (مخطوط مكتبة الفاتح).
- **إرشاد السالك إلى أفعال المناسك** ٥٥٨.
- **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ١/٤٣، ٦٤، ٨٠، ١٣٠، ١/١٧٢، ١٧٣، ٣٠٨، ٣٦٠، ٤٣٥، ٥٢٢، ٢/٢٠، ٢٧، ٣٨، ٦٩، ١٢٢-١٢٣، ١٤٥، ١٧٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٣٠٩.
- **العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٢-٤٣٩.
- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ٢/٢٠٩.
- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان** ٢/٣٦٧.
- **المعين في طبقات المحدثين** ٢١٩.
- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ** ١/٨١-٨٣.
- **المنهل الصَّافي والمستوفي بعد الوافي** ٧/٢٦٦-٢٦٨.
- **الدَّليل الشافي على المنهل الصافي** ١/٤١٣.
- **البلدانيات** للسخاوي ٢٦٩.

- **التُّحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ٣/١٨-٢٠، ٤٦٧.
- **الدّارس في تاريخ المدارس** ١/٧٨.
- **سبل الهدى والرشاد** ٣/٣١٥.
- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ٣/٢٦١
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ٧/٦٩٢.
- **أبجد العلوم** ٣/١٠٤.
- **هدية العارفين** ١/٥٧٤.
- **المجموعة النبهانية** ٣/٣٩٨
- **الأعلام للزركلي** ٤/١١.
- **معجم المؤلفين** ٢/١٥٣-١٥٤.
- **منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ** ١/٥٧٩.
- الحجاز في القرن السَّابع الهجري على ما في رحلة ابن رُشَيد الأندلسي: لحمد الجاسر، **مجلة العرب**، ص ٩٤٤-١٠٤٣، ج١٠-١١، ١٣٨٩.
- **معجم ما ألف عن مكة** ١٥٦.
- أعلام بني عساكر من القرن السَّادِس الهجري وحتى نهاية القرن العاشر الهجري ٩٢-٩٣ لمحمد مطيع الحافظ، **مجلة التراث العربي**، ع ٢، ١٩٨٠م.
- شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر: لمصطفى عمار منلا، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢٠٠٤م.
- **الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السَّابع والثَّامِن الهجريين: دراسة موضوعية وفنية** د. مجدي محمد الخواجي، وتردد اسم أبي اليُمْن ابن عساكر في عدد من صفحاته، هي: ١/٢٣، ٦٩، ٧٣، ٨٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ١١٨، ١٨٧-١٩٤، ١٩٨-١٩٩، ٢١٥-٢١٧، ٢٢٩-٢٣٢، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٣-٣٢٥، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٨٨-٣٩١، ٢/٥٠٣، ٥٠٥.
- **رحلة الرحلات** مكة **في مائة رحلة مغربية ورحلة** ٢٢٧، ٣٥٠-٣٥٢.
- **الفوائد المنتقاة من الجزء الخامس من رحلة ابن رشيد الفهري ملء العيبة:**

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t -267369.html

مقدمات كتبه الآتية:

- **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ** .
- **أحاديث السفر.**

- **جزء فيه أحاديث شهر رمضان في فضل صيامه وقيامه.**

(٤) **ملء العيبة** ٥/١٤٥، شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ١٨٦.

(٥) **الأعلام** ٤/١١.

(٦) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٣، **ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨١، وفي **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السلامي ٧٩، **وتاريخ الإسلام** ١٥/٥٧٢-٥٧٣: أنه ولد ١٢ من ربيع الأول.

(٧) **تاريخ الإسلام** ١٥/٥١٤.

(٨) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**،ع٨، ١٨٩- ١٩٣.

(٩) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨١.

(١٠) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**،ع٨، ١٩١.

(١١) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٤، والبلدانيات للسخاوي ٢٦٩.

(١٢) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٤، وينظر في جهاده شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه **إتحاف الزائر، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ١٩٣- ١٩٥.

(١٣) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**،ع٨، ١٩٦.

(١٤) **تاريخ الإسلام** ١٥/٥٧٢-٥٧٣.

(١٥) **ملء العيبة** ٥/١٤٧.

(١٦) السابق،ع٨، ١٩٦

وفي بعض المصادر (٤٠) عامًا. ينظر **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ٢/١٢٢، **ولحظ الألحاظ** ٨٢، **والأعلام** ٤/١١.

(١٧) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٤

(١٨) ينظر في شيوخه: **ملء العيبة** ٥/١٤٥-٢٣، حيث ذكر عددًا من شيوخه، وينظر **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السلامي ٧٨، **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٤، **وفوات الوفيات** ٢/٣٢٨، **وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ٢/١٢٢، **ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ١/٨١-٨٣، **وتاريخ الإسلام** ١٥/٥٧٢-٥٧٣.

(١٩) **ملء العيبة** ١٤٥/٥، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥.

(٢٠) للوقوف على كل شيوخه ينظر البحث الموسوم بشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢٠٢- ٢٠٧.

(٢١) ينظر في تلاميذه: **ملء العيبة** ١٤٥/٥- ٢٣٠، حيث ذكر مؤلفُه عددًا منهم، وينظر **تاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥-٥٧٣، و**تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السّلامي ٧٩، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٣/٥،

(٢٢) **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السّلامي ٧٩.

(٢٣) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزّائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢١٠- ٢١١.

(٢٤) **إفادة التصحيح في التعريف بسند الجامع الصحيح** ١١٨.

(٢٥) ينظر البحث الموسوم بشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه **إتحاف الزائر**، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢١٢.

(٢٦) ينظر **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**تاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥.

(٢٧) **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** ١٣٦/١

(٢٨)**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٢/٥، و**سبل الهدى والرشاد** ٣١٥/٣.

(٢٩)ينظر التفصيل في اختلاف العنوان: البحث الموسوم بشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع١١٥،٨.

(٣٠) **مِلْء العَيْبة** ٥/ ٢١٨- ٢١٩، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٢/٥، و**أزهار الرياض في أخبار عياض** ٢٦١/٣، وشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع١١٥،٨.

(٣١) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**الأعلام** ١١/٤، و**معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٢) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**الأعلام** ١١/٤، و**معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٣) **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السلامي ٧٩، **معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٤) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥، و**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**الأعلام** ١١/٤، و**معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٥) **برنامج الوادي آشي** ٥٢٦.

(٣٦) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥.

(٣٧) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، ولعل مؤلفه يقصد **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي** ﷺ.

(٣٨) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٤، و**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** ٧/٢٦٦-٢٦٨.

(٣٩) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢٠٠م، و**فوات الوفيات** ٢/٣٢٨، و**ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ٢/١٢٢، و**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ١/٨١-٨٣، و**الوافي بالوفيات** ١٨/٤٤٧، و**فوات الوفيات** ٢/٣٢٨، و**تاريخ الإسلام** ١٥/٥٧٢-٥٧٣، و**تاريخ علماء بغداد** ٧٩. و١٥.

(٤٠) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٣.

(٤١) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزَّائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوَّرة**،ع٨، ٢١٣ - ٢١٤.

دور بعض الخلفاء والسلاطين في عمارة المسجد الحرام في ضوء النقوش الإسلامية

د. فيصل عبدالله بني حمد(*)

الملخص:

يركز هذا البحث على جهود بعض الخلفاء والسلاطين في عمارة المسجد الحرام في ضوء النقوش الإسلامية المتوافرة التي ورد ذكرها في بعض المصنفات التاريخية والجغرافية، حيث يتتبع تاريخ تلك العمارة، ابتداءً بصدر الإسلام وحتى نهاية العصر المملوكي الثاني ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

تمهيد:

نالت النقوش الإسلامية في مكة المكرمة اهتمامًا كبيرًا من بعض المؤرخين قديمًا وحديثًا، فقلَّما تخلو المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحالة من إشارة إلى نقش أو أكثر عُثر عليه في هذه المدينة المقدسة، وبالذات في المسجد الحرام؛ نظرًا إلى مكانته الدينية في قلوب المسلمين.

ويظهـر من دراسـتنا للنقوش الإسـلامية أن البيت الحرام خـلا تمامًا من أي نقش يعود إلى صـدر الإسـلام (عصـر النبوة والخلفاء الراشـدين)، مع أن بعض المصادر التاريخية أشـارت إلى توسع عمراني ملحوظ في المسجد الحرام، وذلـك في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب[1] (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وعثمان ابـن عفـان[2] (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) رضـي الله عنهما. ولا شـك أن العامل الديني كان له تأثير واضح في هذا الجانب، فلعل الخلفاء حرصوا على عدم وضع أسـمائهم على لوحات تذكارية حتى يكون عملهم خالصًا لوجه الله تعالى، بعيدًا عن الرياء.

أما في العصـر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، فأكدت بعض المصادر والدراسـات الحديثة وجود أكثر من نقش إسلامي يرجع إلى ذلك العصر. وكما يبـدو أن أقـدم نقش إسـلامي عثر عليـه في المسـجد الحرام يعود إلـى الخليفة الأمـوي عبدالملك بـن مـروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م)، وتحديدًا إلى سـنة (٨٠هـ/٦٩٩م). فالخليفة عبدالملك أمر برفع جدران المسـجد الحرام وسـقفه بالسـاج، ثم جعل في كل أسطوانة خمسـين مثقالاً من الذهب، ونقش على بعضها بخط ذهبي ما يأتي: «بسـم الله أمر عبدالله أمير المؤمنين بعمل هذه الأسـاطين على يدي ابن أبي الأزهر سنة ثمانين»[3].

ونظـرًا إلـى اسـتقرار الدولـة العباسـية وازدهارهـا، ثـم انفتاحهـا علـى الحضـارات الأخرى؛ فقد شـهد العصـر العباسـي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٦م) نهضـة عمرانية واسـعة، كان للبيت الحرام نصيب وافر منها؛ فالخليفة أبـو جعفر المنصـور كلف أمير مكة زيـاد بن عبيدالله الحارثـي[4] بالقيام بهذه المهمة الجليلة، حيث بدأ العمل في التوسـعة في شـهر (محرم سنة ١٣٧هـ / تموز (يوليو) ٧٥٤م)، وانتهى العمل في شهر ذي الحجة سنة (١٤٠هـ/ نيسان (إبريل) ٧٥٨م). فعلـى باب بني جُمَـح[5] وُجِد نقشٌ مكتوبٌ يوثق تلك المنجزات المعمارية

التــي جــرت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصــور[٦]. مـع أن بعض تلك المنجزات لم تذكــر تواريخها؛ فمثلاً لم تحدد الســنة التــي كان فيها تجديد الحِجْر في عهد الخليفة المنصــور، حيث اكتفت بعض المصــادر بالقول إن ذلك التجديد جرى في السنة التي حج فيها المنصور، وهذا ما أحدث لَبسًا عند بعض المؤرخين؛ فالفاسي علق على ذلك بقوله: «وهذا لا يفيد معرفة السنة التي فعل فيها ذلك؛ لأن المنصور حــج وهو خليفة أربع حجات»[٧]. وفي رواية أخرى خمس حجات[٨]، فالأولى كانت ســنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)، والثانية سنة (١٤٤هـ/ ٧٦١م)، والثالثة سنة (١٤٧هـ/ ٧٦٤م)[٩]، والرابعة ســنة (١٤٨هـ/٧٦٥م)، والخامســة (١٥٢هــ/٧٦٩م)[١٠]، وفي ســنة (١٥٨هـ/٧٧٤م) توجه المنصور لأداء مناســك الحج، لكن أجله انتهى قبل التروية بيوم عند بئر ميمون[١١] خارج مكة[١٢]. وهذا دفع الفاسي للاجتهاد، فقــال: «والظاهــر ـ والله أعلــم ـ أن ذلك وقع في ســنة أربعين ومائــة؛ لأن في هذه الســنة كان الفراغ من عمارة المســجد التــي أمر بعملها المنصــور على يدي زياد الحارثي كما ذكره الأزرقي في ذلك»[١٣].

كذلك يتبين من دراســة بعض النقوش دور الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) في العناية بعمارة المسجد الحرام، ويبدو أن هذا الخليفة فاق غيره من الخلفاء العباســيين في هذا المجال، فكما نلحــظ أن العمل بدأ بحفر بئر على باب البقّالين[١٤] سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، وجعلها وقفًا ينتفع بها الناس، فالفاكهي شــاهد نقشًا على طاقها وصفه بقوله: «وكتب على وجه الطاق كتابًا بالجِصّ وهو قائــم إلى اليوم: بســم الله الرحمن الرحيم، الملك الحق المبين، وصــلى الله على محمد ســيد العالمين، سقاية مباحة لبادي المســلمين وحاضرهم، محرَّمٌ أجرتُها، رحم الله من دعا لمن أباحها بخير»[١٥].

ولم يكتف الخليفة المهدي بذلك؛ بل أمر بتوســعة المسجد الحرام، فنفذ العمل علــى مرحلتــين: الأولى بــدأت ســنة (١٦٠هــ/ ٧٧٦م)[١٦]، وفي رواية ثانية ســنة

(١٦١هـ/٧٧٧م)[١٧]. وكما يبدو أن هذه المرحلة انتهت سـنة (١٦٤هـ/٧٨٠م)[١٨]. أما سـبب الخلاف بين الروايـات التاريخية حول بداية هـذه المرحلة، فلعل ذلك يرجع إلى عدم عثورنا ـ لغاية اليوم ـ على نقش مؤرِّخ لذلك الحدث.

أمـا المرحلة الثانية، فلا يوجد تضـارب بين الروايـات حول بداية تاريخ هذه المرحلـة، فعلـى الجهة الغربية الشـمالية للبيت الحرام شـاهد ابن جبير نقشًـا مكتوبًا في أعلى جدار البلاط نصُّـه: «أمر عبـدالله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحاجِّ بيت الله وعُمَّاره، في سنة سبع وستين ومئة»[١٩].

وعلى سارية خارج باب الصفا عثر ابن جبير على نقش مكتوب يؤكد توسِعة الخليفة المهدي للمسـجد الحرام. وهذا نصـه: «أمر عبدالله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله تعالى، بتوسعة المسجد الحرام مما يلي باب الصفا، لتكون الكعبة في وسط المسجد، في سنة سبع وستين ومئة»[٢٠].

وعلـق ابن جبير علـى أهمية هذا النقش بقوله: «فدلّ ذلـك المكتوب على أن الكعبة المقدسـة في وسـط المسـجد، وكان يُظنّ بها الانحراف إلى جهة الصـفا، فاختبرنا جوانبها المباركة بالكيْل، فوجدنا الأمر صـحيحًا حسـبما تضمَّنه رسم السـارية»[٢١]. وهذا يؤكد لنا مصـداقية تلك النقوش وما ورد فيها من معلومات دقيقة ومهمة.

كما شـاهد ابن جبير نقشًا آخر على سارية قرب باب الصفا يؤكد منجزات الخليفة المهدي في البيت الحرام، وفيما يأتي نصـه: «أمر عبدالله المهدي محمد أمير المؤمنين، أصلحه الله، بصرف الوادي[٢٢] إلى مجراه على عهد أبيه إبراهيم صـلى الله عليه وسلم، وتوسـعته بالرحاب التي حول المسـجد الحرام لحاجِّ بيت الله وعُمّاره». وأسـفل السارية السابقة شاهَد ابنُ جبير نقشًا آخر يشير إلى قيام المهدي بتوسعة الباب الأوسط[٢٣].

لقد أثنى الفاسي على جهود الخليفة المهدي بقوله: «وليس لأحد من الأثر في النفقة في عمارته مثل ما للمهدي، فالله يثيبه، واسمه إلى الآن في سقف المسجد الحرام قريبًا من منارة الميل»[٢٤] أو ما تعرف بمنارة باب علي[٢٥].

ويظهر أن حالة الاستقرار في عهد المهدي كانت من العوامل الرئيسة في ازدهار العمران، فوالده قضى على أشد الحركات المناهضة للدولة[٢٦]، كما ترك المنصور - عقب وفاته - ثروة هائلة قُدرت بخراج عشر سنين[٢٧]. ولا شك أن الخليفة المهدي خصص جزءًا كبيرًا منها للإنفاق على تشييد المنشآت العمرانية وصيانتها، ومنها عمارة المسجد الحرام.

وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٦٥٦هـ/ ٨٤٦-١٢٥٨م) أشارت بعض النقوش إلى دور الموفق - ولي عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٦٩-٨٩٢م) - في رعاية المسجد الحرام سنة (٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)؛ فقد نقش على بعض الألواح التي غطت به سقفه ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر الإمام الناصر لدين الله أبو أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين - أطال الله بقاءه - بعمارة المسجد الحرام، رجاء ثواب الله والزُّلفة إليه، وجرى ذلك على يدي هارون بن محمد ابن إسحاق بن موسى عامِله على مكة ومخاليفها[٢٨] في سنة اثنتين وسبعين ومائتين»[٢٩].

كما كتب على ألواح أخرى في سقفه وعلى بعض جدران المسجد الحرام ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أخو أمير المؤمنين - أطال الله بقاءهما - القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما رجا في ذلك من ثواب الله تعالى، وأُكْفِرَ به إليه، فأجزل الله ثوابه وأجره، وأجرى ذلك....... في سنة اثنتين وسبعين ومائتين»[٣٠].

ومن جهة أخرى تُشعر بعض النقوش مدى التنافس بين بعض الخلفاء الفاطميين والعباسيين في رعاية المسجد الحرام؛ فالرحالة ناصر خسرو

(ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) استند إلى بعض النقوش لإبراز دور الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) في العناية بالبيت الحرام. أما باقي الخلفاء الآخرين الذين ساهموا في عمارة المسجد الحرام، فيغفل ذكرهم، ويكتفي بالقول: «وحين يدخل السائر في الكعبة يجد على اليد اليمنى زاوية مربعة بمقدار ثلاث في مثلها، وهناك سُلَّم يؤدي إلى سطح الكعبة، عليه باب من الفضة له مصراع واحد، يُسمَّى باب الرحمة، وعليه قفل من الفضة، فإذا صار فوق سطح الكعبة يجد بابًا آخر، مثل الباب السابق، منقوش بالفضة على وجهيه. وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحرير الذي يحجبه عن الأنظار. وعلى حائط الكعبة الأمامي فوق العمد الخشبية كتابة ذهبية فيها اسم العزيز بالله سلطان مصر، الذي استولى على مكة من الخلفاء العباسيين. وعلى الحائط أربعة ألواح أخرى كبيرة من الفضة، متقابلة ومثبتة بمسامير من فضة. وعلى كل لوح منها اسم السلطان الذي أرسله من سلاطين مصر، وكان كل منهم يرسل لوحًا في عهده»[٣١].

ويظهر من دراسة النقوش أن التنافس ظل قائمًا بين الخلافتين العباسية والفاطمية حتى أواخر الدولة الفاطمية، فابن جبير شاهد نقشًا على باب الكعبة المشرفة مذهَّب ومكتوب بخط جميل نصه: «مما أمر بعمله عبدالله وخليفته الإمام أبو عبدالله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين، صلى الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين، وخلّد ميراث النبوّة لديه، وجعلها كلمة باقية في عَقِبِه إلى يوم الدين، في سنة خمسين وخمس مئة»[٣٢].

من جانب آخر علق الفاسي على ما ورد في ذلك النقش وما سار عليه بعض المؤرخين من أمثال ابن الأثير[٣٣] الذين اعتقدوا أن الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) هو من أمر بعمل باب الكعبة، لكن حقيقة الأمر أن الفضل في ذلك إنما يعود إلى الوزير الجواد الأصفهاني[٣٤]، فهو الذي أمر

بصنع ذلك الباب سنة (٥٥٠هـ/١١٥٥م)[٣٥]. وبعد عام واحد أمر بوضعه في مكانه، وكان ذلك في سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) حيث كتب عليه اسم الخليفة «المقتفي العباسي، وحلاه الجواد حلية حسنة، بحيث كان يستوقف الأبصار لحُسن حليته»[٣٦].

ثم نلحظ أن الفاسي في كتابه **شفاء الغرام** حاول تصويب ما ورد ذكره في كتابه **العقد الثمين**؛ فهو لا يرى أيَّ تناقض بين رواية ابن الأثير وما ذكره ابن جبير بقوله: «وليس ما ذكره ابن الأثير من نسبة هذا الباب للمقتفي معارضًا لما ذكره ابن جبير من نسبته للجواد؛ لأن الجواد إنما صنعه بأمر المقتفي، وأضاف إليه هذا الباب بكتابة اسمه عليه، وإنما نبهنا على ذلك، لئلا يتوهم أن كلاً منهما صنع للكعبة بابًا؛ لأنه يبعُد أن يعمل كل منهما للكعبة بابًا في تاريخ واحد»[٣٧].

نلمس من كل ما ذكره الفاسي ضرورة أخذ الحيطة والحذر من بعض النقوش قبل اعتمادها، بل يجب علينا أن ننظر للأحداث التاريخية نظرة شمولية، لنكشف حقيقة محتوى تلك النقوش.

ويظهر كذلك من دراسة النقوش استمرار رعاية الدولة العباسية للمسجد الحرام حتى بعد زوال الدولة الفاطمية، فبعض الرحَّالة شاهدوا نقشًا يرجع إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م)؛ ففي الصفا - وتحديدًا مقابل باب علي رضي الله عنه - يوجد ساريتان خضراوان، على رأس كل واحدة منهما لوح منقوش بخط مذهب كتب عليه ما يأتي: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٣٨]، وبعدها: «أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، أعز الله نصره، في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة»[٣٩].

ونلمس من دراسة النقوش غياب سلاطين الدولة الأيوبية عن إضافة أي منجز عمراني في البيت الحرام، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كانت جهود معظم

حكام تلك الدولة تتجه إلى طرد الصليبيين من البلاد، واستعادة بيت المقدس من أيديهم[٤٠].

وبالمقابل أمدَّتنا النقوش بمعلومات غنية عن دور بعض السلاطين المماليك في رعاية المسجد الحرام؛ فالمماليك شعروا منذ إحيائهم للخلافة الإسلامية على يد السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) أنهم أصحاب الزعامة الدينية على العالم الإسلامي، لذا أولَوا الحرمين الشريفين عناية خاصة، ولقب بعضهم «خدام الحرمين»[٤١]؛ فالرحَّالة البلوي قدّم وصفًا جميلاً لما شاهده من منجزات بارزة في ذلك العصر بقوله: «... والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر المذكور من صُفْر مذهب يغشى الأبصار، وقد خرج عن صفح البيت بمقدار أربعة أذرع، وسعته مقدار شبر، وهذا الموضع تحت الميزاب، وهو أيضًا مظنة استجابة الدعوة بفضل الله تعالى، وموضوع المقام الكريم وهو الذي يصلِّى خلفه يقابل ما بين الباب الكريم والركن العراقي، وعليه قبة خشب مركنة محدودة بديعة النقش، قد نُصبت على الموضع الذي كان فيه المقام. وبإزاء المقام الكريم منبران كبيران حسنان، فيهما ضروب من قطع الخشب الملون المتخيَّر المنتقى المستجاد، والجديد منها منقَّش من جميع جهاته، ووجوه درَجِه وتاجه المذهب بأبدع نقش وأحذقه، وصنائعه مقسومة على تصنيف وتشجير منطبعة كانطباع نسيج الديباج الهاشمي واليوسفي في الاعتدال والروْنق، مسمر بمسامير الفضة الخالصة المذهبة، مقضب بصفائح الفضة المرفشة، منقوش عليه برسم الذهب ما نصه: مما عمل برسم الحرم الشريف في شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة»[٤٢].

وهي تعود إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٤٣]. وقبل ذلك عمل هذا السلطان على تجديد رخام الحِجْر، فاسمُه مكتوب على رخامة، وهو مؤرَّخ سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)[٤٤]. كما أمر السلطان الناصر بصنع باب للكعبة المشرفة من السنط الأحمر، وزخرف بكميات كبيرة من صفائح الفضة[٤٥]. وما زال اسمه

مكتوبًا على بابها كما يقول الفاسي[٤٦]. وبالاعتماد على بعض النقوش تبين دور الملك الظاهر برقوق في رعاية المسجد الحرام، فاسمه مكتوب في أعلى الحِجْر، وهو مؤرخ في (رمضان ٨٠١هـ/ أيار (مايو) ١٣٩٩م)[٤٧].

كذلك شاهَد الفاسي مجموعة أخرى من النقوش دلت على رعاية بعض السلاطين المماليك للبيت الحرام، لكن لم يذكر تاريخ تلك المنجزات، واكتفى بالقول: «واسم مولانا السلطان الملك الأشرف[٤٨] مكتوب بحائط الكعبة اليماني، بسبب ما أنفق في سلطنته من العمارة في الكعبة المشرفة»[٤٩]. وفي موضع آخر قال الفاسي: «واسم الأشرف شعبان بن حسين[٥٠] صاحب مصر مكتوب في أحد جانبي باب الكعبة في الفياريز[٥١] لتحليته لبابها في زمنه[٥٢]. واسم الملك المؤيد[٥٣] صاحب مصر - أبي النصر شيخ - مكتوب في أحد قيارين[٥٤] الباب، لتحليته في زمنه[٥٥]. وبين الركنين اليمانيين[*]، وهو موضع الرخامة في وسط هذا الجانب المكتوب فيها: «عمارة المنصور لاجين[٥٦] للمطاف»[٥٧].

كما استند الفاسي في كتابه **شفاء الغرام** إلى بعض النقوش لتوضيح دور بعض السلاطين المماليك في رعاية المسجد الحرام؛ فعلى العتبة العليا لباب الكعبة المشرفة مكتوب اسم السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٥م)، كما ظهر في ذلك المكان المقدس اسم والده الملك الظاهر، وأسماء بعض الأمراء المماليك؛ مثل: أيتمش[٥٨] ويشبك[٥٩] وغيره[٦٠].

وبالاعتماد على بعض النقوش، تبين جهود الملك الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) في العناية بالمسجد الحرام؛ إذ يعود إليه الفضل في عمارة عدة عقود، فاسمه ظهر على لوح مؤرَّخ في شهر (ذي القعدة ٨٢٥هـ/ تشرين أول (أكتوبر) ١٤٢٢م)[٦١]. كما شاهد إبراهيم رفعت اسم السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م) - آخر سلاطين المماليك الجراكسة - مكتوبًا على يمين باب إبراهيم[٦٢]، لكنه غير مؤرَّخ، وكان نصه: «أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري»[٦٣].

ومما زاد من قيمة هذه النقوش أن بعضها أشار إلى منجزات قام بها

بعض السلاطين لم يرد ذكرها في المصادر التاريخية الأخرى؛ مثل تجديد مقام إبراهيم عليه السلام سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م) في عهد السلطان المملوكي إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٠م)[٦٤].

وأخيرًا نلحظ من بعض النقوش أن رعاية المسجد الحرام لم تقتصر على بعض الخلفاء والسلاطين فحسب، بل كان لبعض حكام الأقاليم والوزراء دور في ذلك؛ فعلى بعض مفاتيح باب الكعبة نقش اسم الملك المظفر[٦٥] صاحب اليمن[٦٦]. كما نُقش اسم المظفر على الرخام داخل الكعبة[٦٧].



نقش إسلامي يؤرخ لتجديد رخام الكعبة المشرفة سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) بأمر من السلطان الرسولي الملك المظفر. مشلح المريخي، **مجلة الدارة**، الرياض، ع٣، ١٤٢٦هـ، ص٢٧٤.

الهوامش:

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة حفر الباطن.

(١) الأزرقي، محمد بن عبدالملك (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي ملحس، ط٨، مكتبة خياط، بيروت،١٩٦٦م، جـ١، ص٥٩٣.

(٢) الأزرقي، **أخبار**، جـ١، ص٥٩٣.

(٣) الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت بين سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م وسنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، كتاب **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٩٩٤م، جـ٢، ص١٦١.

(٤) زياد بن عبيد الله الحارثي (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م): هو خال الخليفتين العباسيين (أبي العباس وأبي جعفر المنصور). تولى إدارة المدينة ومكة والطائف واليمامة عقب وفاة داود بن علي سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٧م ج٧، ص٤٥٩. الصفدي، صلاح الدين، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢ م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١م، جـ١٥، ص٩.

(٥) باب بني جُمَح: ليس له أثر الآن كما يذكر الفاسي، ثم يضيف: «وموضعه فيما أظن بعض الأساطين المتقدمة في زيادة إبراهيم التي في وزان جدار المسجد من هذا الجانب، والله أعلم». أما البلادي فيرى أن مكانه مقابل باب بني هاشم، ثم أدخل فيما بعد ضمن المسجد الحرام. الفاسي، تقي الدين (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد مصر، ٢٠٠٨م، جـ١، ص٣٨٢؛ البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ط٢، دار مكة، ومؤسسة الريان، مكة المكرمة، وبيروت، ٢٠١٠م، ص١٦٠.

(٦) الأزرقي، **أخبار**، جـ١، ص٦٠١-٦٠٢ ؛ ابن فهد، عمر بن فهد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، **إتحاف الورى بأخبار أم القُرى**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القُرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م، جـ٢، ص١٧٥-١٧٦ .

(٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٨

(٨) المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م، ص٦٧.

(٩) ابـن خيــاط، خليفة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م، ص٤٢١، ٤٢٤ ؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٨.

(١٠) ابن خياط، **تاريخ**، ص٤٢٦ ؛ المقريزي، **الذهب المسبوك**، ص٦٧.

(١١) بئر ميمون: نسـبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضـرمي، وهو أخو العلاء بن الحضـرمي والي البحرين، جرى حفر البئر قبل الإسلام، وهو يقع في أعلى مكة. ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، جـ١، ص٣٠٢.

(١٢) ابن خياط، **تاريخ**، ص٤٢٨ ؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٨-٣٥٩.

(١٣) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٩.

(١٤) بـاب البقّالـين: هو باب أجيـاد الكبير. مجهول مراكشـي (ق٦هـ/١٢م) **الاستبصـار في عجائب الأمصار**، نشره وعلق عليه سعد عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٥م، ص٢٥.

(١٥) الفاكهي، **أخبار مكة**، جـ٢، ص١٧٤.

(١٦) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوري وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، جـ١، ص١٨٧.

(١٧) ابن فهد، **إتحاف**، جـ٢، ص٢٠٩.

(١٨) اليعقوبـي، أحمـد بـن أبي يعقـوب (ت ٢٨٤هــ/ ٨٩٨م)، **كتاب البلـدان**، طبعة ليـدن، ١٨٩٠م، ص١٠١؛ سـعاد ماهر، بعض الكتابات التذكارية في العصـر العباسي بمكة المكرمة، **مجلة الدارة**، الرياض، ع٢، رجب، ١٣٩٨هـ، ص٥٩.

(١٩) ابـن جبـير، محمـد بن أحمد الأندلسـي (ت٦١٤هــ/ ١٢١٧م)، **رحلـة ابن جبـير**، بيروت، دار صـادر، دار بيروت، ١٩٦٤م، ص٦٨.

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) يقصـد به الوادي المنسـوب لإبراهيم عليه السـلام، ومجراه على باب الصفا المذكور، **رحلة ابن جبير**، ص٨٦.

(٢٣) **رحلة ابن جبير**، ص٨٦.

(٢٤) **الزهور المقتطفة**، ص١٣١؛ **العقد الثمين**، جـ١، ص٨٣

(٢٥) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥.

(٢٦) مثـل حركـة محمد النفس الزكية في المدينة المنورة سـنة (١٤٥هـ /٧٦٢م)، ابن خياط، **تاريخ**، ص٤٢١-٤٢٣.

(٢٧) الطبري، **تاريخ**، جـ٨، ص١٠٣.

(٢٨) مخاليفهـا: يقصـد بها قرى مكة، حيث اختلف عددها من عصـر لآخر. الفاسـي، **شـفاء**، جـ١، ص٤٤.

(٢٩) الفاكهي، **أخبار مكة**، جـ٢، ص١٧٦.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) خسـرو، ناصر (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص١٤٨.

(٣٢) **رحلة ابن جبير**، ص٦٩.

(٣٣) ابـن الأثير، عز الدين علي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبدالله القاضـي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م. جـ٩، ص٤١٩.

(٣٤) يقصـد به جمال الدين الأصـبهاني: هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي المنصور، الملقب بجمال الدين، المعروف بالجواد الأصفهاني، لكرمه وبذله للمال، تقلد عدة مناصب في العصر السلجوقي؛ منها ديوان العرض للسـلطان محمود بن ملكشـاه، ثم أصـبح وزيرًا، كما كلفـه عماد الدين زنكي بإدارة الموصـل سـنة (٥٢١هـ/١١٢٧م)، وحافظ على حكم آل زنكي للموصـل، لا سيما بعد مقتل سيده عماد الدين عند قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وفي سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) اعتقل نتيجة لمؤامرة دُبرت له، حيث سـجن في قلعة الموصل، فأصابه المرض وتوفي سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م). ابن خلـكان، شـمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيـات الأعيان وأنباء أبنـاء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج٥، ص ١٤٣- ١٤٥.

(٣٥) **العقـد الثمـين**، جـ١، ص٥١؛ ابن فهد، **إتحاف**، جـ٢، صـ٥١٥ ؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، جـ١، ص٤٢.

(٣٦) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٢.

(٣٧) المصدر السابق، جـ١، ص١٧٣.

(٣٨) سورة البقرة، ١٥٨

(٣٩) **رحلة ابن جبير**، ص٨٤ ؛ البلوي، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ/ ١٣٨٧م)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، (د. م، د. ت). ص١٠٧.

(٤٠) ابن شداد، بهاء الدين (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٥٣-٥٦، ١٢٦-١٦٩؛ سعيد عاشور، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٥٥-١٢٦.

(٤١) أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٩٦.

(٤٢) البلوي، **تاج المفرق**، ص١٠٦.

(٤٣) الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ تولى السلطنة ثلاث مرات: الأولى ما بين عامي (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م)، والثانية بين عامي (٦٩٨-٧٠٨هـ/ ١٢٩٩- ١٣٠٩م). أما الثالثة، فكانت ما بين عامي (٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م). المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ٢، ص٢٤٩، ٢٥٩، ٣١٠، ٤٤٢، جـ٣، ص٣٠٦.

(٤٤) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٩.

(٤٥) ابن فهد، **إتحاف**، جـ٣، ص٢٠٣.

(٤٦) **العقد الثمين**، جـ١، ص٥٢؛ **الزهور المقتطفة**، ص٦٤.

(٤٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٩.

(٤٨) المصدر السابق.

(٤٩) الجزيري، **الدرر**، جـ١، ص٤٧.

(٥٠) يقصد به الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون؛ تولى السلطنة بين عامي (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٢-١٣٧٦م). المقريزي، **السلوك**، جـ٤، ص٢٦٧، جـ٥، ص١٤.

(٥١) الفياريز: كلمة معرَّبة، يبدو أن أصلها يوناني، وتعني نوعًا من الزينة تُحَلَّى بها جدران العمائر أو المباني. دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، جـ٨، ترجمة محمد النعيمي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م، ص٤١.

(٥٢) الفاسي، **العقد الثمين**، جـ١، ص٥٢ ؛ الجزيري، **الدرر**، جـ١، ص٤٧.

(٥٣) يقصد به السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي؛ تولى السلطنة بين عامي (٨١٥-٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م). المقريزي، **السلوك**، جـ٦، ص٣٣٨، جـ٧، ص٢٧.

(٥٤) قيارين: لعل المقصود بها زوايا الباب.

(٥٥) في كتاب **شفاء الغرام** ذكر الفاسي أن ذلك العمل انتهى في ذي الحجة سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م). الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٤.

(*) **العرب**: (الركنين اليمانيين) عبارة ملتبسة، وتكررت مرتين في الصفحة نفسها في **العقد الثمين**، ووجدنا لها توضيحًا في كتاب الفاسي الآخر **شفاء الغرام**، ١/١-٢٢٢، حيث قال: «... موضع مصلى النبي ﷺ بين الركن اليماني والحجر الأسود... في وسط هذا الجدار، فإذا هو موضع الرخامة البيضاء المكتوب فيها: أمر بتحديد المطاف الشريف العبد الفقير الراجي عفو ربه الغفور الملك المنصور لاجين» ع.هـ.

(٥٦) الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبدالله المنصوري؛ تولى السلطنة بين عامي (٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م). المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص٢٧٤

(٥٧) الفاسي، الزهور المقتطفة، ص١٢٧؛ **العقد الثمين**، جـ١، ص٨٢.

(٥٨) أيتمش: جعله الملك الظاهر أتابكًا (أي مربيًا) لولده. الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٩؛ محمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص١١.

(٥٩) يشبك: كان خازندارًا (صاحب بيت المال) للملك الظاهر ثم لابنه الملك الناصر، ثم أصبح دوادارًا (حامل دواة السلطان، أي إبلاغ الرسائل عن السلطان) للملك الناصر وأتابكًا له. الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٩-١٨٠ ؛ محمد دهمان، **معجم الألفاظ**، ص٦٨، ٧٧.

(٦٠) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٩-١٨٠.

(٦١) المصدر السابق، جـ١، ص٣٨٠.

(٦٢) باب إبراهيم: يعد من أكبر أبواب المسجد الحرام، واختلف بعض المؤرخين في سبب تسميته؛ فمنهم من نسبه لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ومنهم من نسبه لخياط كان يجلس عنده. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٥م، جـ١، ص٢٣٣.

(٦٣) إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، جـ١، ص٢٣٣.

(٦٤) محمد الفعر، **الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٩٨٦م، ص٢.

(٦٥) الملك المظفر: اسـمه يوسـف بن عمر بن رسـول التركماني اليمني؛ ثاني ملوك الدولة الرسـولية في اليمـن. ولد بمكة سـنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وتولـى الحكم بعد مقتل والده سـنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، وظهـرت في أيامـه فتن وحروب، واسـتمر حاكمًا حتى وفاته سـنة ٦٩٤هــ/١٢٩٥م. ابن كثير، أبو الفداء إسـماعيل بن عمر القرشـي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسـن التركـي، ط١، مركز البحوث والدراسـات العربية والإسـلامية بدار هجر، مصـر، ١٩٩٨م، جـ١٧، ص٦٧٧-٦٧٨.

(٦٦) **الزهور المقتطفة** ص٦٤؛ **العقد الثمين**، جـ١، ص٥٢.

(٦٧) ابن فضل الله العمري، **مسالك**، جـ١، ص١٨١-١٨٢.

مراجعة نقدية لتحقيق

رسالة في توجيه قراءة ابن مُحيصن في الإستبرق

لعبدالقادر البغدادي

(٢)

د.محمد جمعة الدِّربي(*)

١٧٤–ص٦٢=٩ب: «وهو جمع عند الأخفش»! لم يذكر الفاضلان الدليل على أنه الأخفش الأوسط، واكتفيا بالترجمة له، فذكرا أنه «عالم باللغة والأدب»!

١٧٥–ص٦٢=٩ب: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لها طلع نضيد)! وفي المخطوطة (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) فقط؛ فهل تجوز تكملة الآيات في المتن؟!

١٧٦–ص٦٢=٩ب: «عليه.. .. ..»! وفي المخطوطة بخط واضح لا يحتاج إلى نقاط الحذف: «وعليه: ألا إن جيراني العشيةَ رائحُ»، وقد وضع المصنف حرف (ع) للدلالة على الشعر!

١٧٧–ص٦٢=١٠أ: «لأنه جنس عمومه من النحاة، وذلك اسم جنس عمومه من النحاة...»! الصواب: «لأنه جنس عمومه من الأداة، وذاك اسم جنس عمومه

من لفظه فلا قُبح مطلقًا». فانظر إلى السرعة في القراءة والاضطراب في عدد النقاط الدالَّة على الحذف!

١٧٨-ص٦٢= ١٠أ: «وجُرَّ إستبرق نسقاً على سندس»! القراءة الصحيحة «وجَرُّ إستبرق نسقًا على سندس» لمجيئها في بعض المصادر بلفظ «وخفض إستبرق »، ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف!

١٧٩-ص٦٢= ١٠أ: «وأما الثالثة: فرفع خضر نعتاً لثياب، وجرَّ (!) إستبرق نسقاً على (سندس)»! والصواب: «وأما الثالثة: فرفع (خضر) نعتًا لـ (ثياب)، وجرُّ (إستبرق) نسقًا على (سندس)». فانظر إلى وضع سندس وحدها بين قوسين، والإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٠-ص٦٢= ١٠أ: «قال الجعبري: وفيه فصل بين المعطوف، والمعطوف عليه بالصفة التي هي خضر»! والصواب: «قال الجعبري: وفيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالصفة التي هي خضر». فانظر إلى الفصلة مع عدم توثيق كلام الجعبري!

١٨١-ص٦٢= ١٠أ: «وأما الرابعة: فجرُّ خضر نعتاً لسندس، ورفع إستبرق نسقاً على (ثياب)»! والصواب: «وأما الرابعة: فجرُّ (خضر) نعتًا لـ (سندس) ورفع (إستبرق) نسقًا على (ثياب)». فانظر إلى وضع ثياب وحدها بين قوسين، والإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٢-ص٦٢= ١٠أ: «وفاقاً لأبي عبيد وأبي عليّ»! لم يترجم الفاضلان لأبي عبيد، ولم يوثِّقا كلام أبي عليّ، مع الإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٣-ص٦٢= ١٠أ: ترجم الفاضلان لأبي علي الفارسي، فذكرا له «**التذكرة**، و**الحجة** و**المقصور والممدود**، وغيرها»! ونذكّر الفاضلين بضرورة الفصل بين **الحجة** و**المقصور والممدود**؛ لأنهما كتابان.

١٨٤-ص٦٢= ١٠أ: «والعطف لا جمع وفاقاً للجمع عليه فـ ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا

خُضْرًا﴾»! والصواب: «والعطف بلا جمع وفاقًا للمجمع عليه في: ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْـرًا﴾»، وانظر إلى السـرعة في القـراءة بلا فهم، مع عدم تخريج الشـاهد، والإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٥–ص٦٢=١٠ب «والفصـل، أي: بالصـفة بـين المعطوفـين أسـهل من الحذف»! والأفضل «والفصل - أي بالصفة بين المعطوفين - أسهل من الحذف».

١٨٦–ص٦٣=١٠ب: ترجم الفاضلان لوَرْش، ولم يترجما لرُوَيْس!

١٨٧–ص٦٣=١٠ب: ترجـم الفاضـلان لأبـي البقـاء العكـبري، فذكرا له «التصـريف في الترصيف»! والصواب: «**الترصيف في التصـريف**»، كذا في **بغية الوعاة** جـ٢/٣٩.

١٨٨–ص٦٣=١٠ب: «قال ابن السمين: هذا الكلام أحق بأن يكون سهواً، (!) لأنا لا نسـلّم أن هذه القراءة من حذف همزة القطع أعني (!) لها مُجرى همزة الوصل وإنما ذلك من ... نقل حركة الهمزة»! والصواب: كما في المخطوطة: «قال ابن السـمين: هذا الكلام أحق بأن يكون سـهوًا؛ لأنا لا نسـلّم أن هذه القراءة من حذف همزة القطع إجراء لها مُجرى همزة الوصل وإنما ذلك من باب نقل حركة الهمـزة». والعجيـب أن الفاضـليْن رجعا إلى **الدر المصـون** دون الإفـادة منه، مع إصـرارهما على وضـع التنوين على الألف، وعدم التزامهما بعدد النقاط الدالّة على الحذف!

١٨٩–ص٦٣=١٠ب: «فحركـة النون حركـة ثقل»! ومـا في المخطوطة بخط واضح، والسياق يطلبه «فحركة النون حركة نَقْل».

١٩٠–ص٦٣=١٠ب: «ثم قوله: إلا في الأفعال والمصادر»! لم ينتبه الفاضلان إلى ما نقله المصنف آنفًا بلفظ: «لا يكون في الأسماء بل في المصادر والأفعال»!

١٩١–ص٦٣=١٠ب: «ليس هذا الحصـر بصـحيح اتفاقـاً لوجود ذلك في أسماء عشرة ليست بمصادر»! لم يذكر الفاضلان الأسماء العشرة، مع إصرارهما على وضع التنوين على الألف!

١٩٢–ص٦٣=١٠ب: «الفصل الثاني في كونه عربيّاً»! لا يزال الإصرار على وضع التنوين على الألف حتى في العناوين البارزة!

١٩٣–ص٦٣=١١أ: «اعلم أنه إذا كان عربيّاً يكون وزنه اسْتَفْعَل من بَرِق يَبْرُقُ بَرَقاً، بالتحريك، وبَريقاً وبَرَقاناً بمعنى اللَّمَعان»! ومن الواضح خلط الفاضلين بين الفعل برق من باب فرح، وبرق من باب نصر، مع إصرارهما على وضع التنوين على الألف، والانشغال بضبط ما لا يحتاج إلى ضبط!

١٩٤–ص٦٣=١١أ: «إستبرق بمعنى برِق لمائه»! والصواب: «استبرقَ بمعنى برَق بمائه».

١٩٥–ص٦٣=١١أ: «ومثله قول الشاعر: تستبرقُ الأُفُقَ الأقصى إذا ابتسمت»! قال الفاضلان في الهامش: «هذا صدر بيت بلا نسبة، وعجزه: لمَعَ السيوف سوى أغمادها القضب»! وهذا ادِّعاء؛ لأن المصنف نسب الشعر إلى أبي وجزة، وأشار إلى مجيء «الأقصى» في إحدى نسخ الديوان بلفظ «الأعلى»، وذكر عجز البيت بلفظ: «لمَعَ السيوف سوى أجفانها القضب». فما الداعي لهذا الادِّعاء؟!

١٩٦–ص٦٣=١١أ: «فعلى الأول، فهيئة تستبرق أبصار أهل الأفق»! والصواب: كما في المخطوطة «فعلى الأول معناه: تستبرق أبصار أهل الأفق».

١٩٧–ص٦٣=١١أ: «وعلى الثاني: تبرَقُه أي: تأتي بالبَرَق منه»! والصواب: كما في المخطوطة: «وعلى الثاني: تبرُقُه أي: تأتي بالبَرَق فيه».

١٩٨–ص٦٣=١١أ: «فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية ووزن الفعل»! كانت الأمانة تقتضي الإشارة في الحاشية إلى مجيء الكلمتين الأخيرتين في المخطوطة بلفظ «ووزن الوزن». ومن الواضح إصرار الفاضلين على وضع التنوين على الألف!

١٩٩–ص٦٣=١١أ: «وهذا مَجٌّ من صنع الزمخشري»! الصواب: كما في المخطوطة بخط واضح، والسياق يؤكده «وهذا أصحُّ من صنيع الزمخشري»!

٢٠٠–ص٦٣=١١أ: «حيث اعتبر العُجمة، والعلمية لمنع الصـرف»! لم يفطن الفاضـلان إلى استعمال المصـنف «اعتبر» بمعنى «عدَّ»، والترقيم يقتضي «حيث اعتبر العُجمة والعلمية لمنع الصرف»!

٢٠١–ص٦٣=١١أ: ترجم الفاضـلان للزمخشـري، فذكـرا أنه «محمود بن عمـر بن أحمـد... ... له: **الأنموذج في النحو**، و**المفصـل في النحو** و**الكشـاف في التفسـير**»! والصـواب: أنه محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، كما أن **المفصـل** كتاب مستقلّ عن **الكشاف**!

٢٠٢–صـ٦٣=١١ب: «اضـطرّ في القراءة»! عاد الفاضـلان إلـى التعليقات الغريبة الخاصـة بالرسم، فقالا: «في الأصـل: القرأة، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتوسِّـطة، والصـواب: ما أثبتناه»، والفاضلان يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط، ولا يعرفان الإملاء القديم، ولا حرص القدماء على تنسـيق الصفحة! وقد وردت الكلمـة بهـذا الرسـم في أكثر من موضـع لم يلفت نظـر الفاضـلين (انظر مثلاً ص٦٥=١٢ب، ١٣أ ، ٦٦=١٤أ ، ١٤ب، ٦٧=١٦أ،١٦ب، ٦٨=١٦ب)!

٢٠٣–صـ٦٣=١١ب: «اعتبـاره عربيًّا سُـمِّي باسـتفعلَ مـن البريق وهمزته همـزة قطـع»! فطن الفاضـلان هنا إلى موضـع التنوين، ولكـن خانتهم القراءة الخاطئـة وعلامـات الترقيم. والصـواب: «اعتباره عربيًّا مُسـمًّى باسـتفعل من البريق. وهمزته همزة قطع».

٢٠٤–ص٦٣=١١ب: ذكر الفاضـلان في ترجمة ابن الحاجب أنه الأسنائي! هل يعرفان أن الكلمة نسـبة إلى منطقة بجنوب صـعيد مصر تسمَّى إسنا، وأنها بكسر الهمزة؟ نعم يجوز الفتح، ولكنها رمية من غير رامٍ!

٢٠٥–ص٦٣=١١ب: «إذا سُمِّي بـ (اضرب) المنقول من (!) فعل الأمر، فإن سُـمِّي به، ولا ضـمير فيه قلتَه (!) بقطع الهمزة»! والصـواب: كما في المخطوطة

«إذا سُمِّي بـ (اضرب) المنقول عن فعل الأمر، فإن سُمِّي به ولا ضمير فيه (فإنه) بقطع الهمزة». فانظر إلى خلل القراءة والترقيم!

٢٠٦–ص٦٣=١١ب: «جاءني»! علَّق الفاضلان، فقالا في الهامش: «في الأصل: جأني، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتوسطة، والصواب ما أثبتناه»!

٢٠٧–ص٦٣=١١ب: «وإن سمّيت به، وفيه الضمير، فهو إذن فعل وفاعل، وهمزته همزة وصل»! فانظر إلى كثرة الفصلات!

٢٠٨–ص٦٤=١١ب: «ووجه الفرق ظاهر، وهو أنه صار، كالأسماء»! انظر إلى الفصلات لا سيما الفصلة بعد الفعل صار!

٢٠٩–ص٦٤=١١ب: «كا[لا] نطلاق»! هكذا كتبها الفاضلان. وقالا في الحاشية يحسبان أن هذا من الأمانة: «سقط من الأصل، والكلمة تقتضيه، وقد استدركه الناسخ في الحاشية بين السطرين»!

٢١٠–ص٦٤=١١ب: «والعشرة الأسماء وهي: ابن، وابنة، إلى آخرها»! هذه هي المرة الثانية التي يهمل فيها الفاضلان التعريف بالأسماء العشرة، وانظر التزيُّد في علامات الترقيم!

٢١١–ص٦٤=١١ب: «وعلى هذا قرأه ابن محيصن»! ونرجِّح أن القراءة الصحيحة «وعلى هذا قراءة ابن محيصن».

٢١٢–ص٦٤=١١ب: «من طريق المُبهج ،وإِستبرق، بقطع الهمزة وفتح القاف عطفاً»! وقواعد الترقيم والإملاء تقتضي: «من طريق **المُبهج**: (وَإِسْتَبْرَقَ) بقطع الهمزة وفتح القاف عطفًا».

٢١٣–ص٦٤=١١ب: «سندس وعبارة **المُبهج**»! والصواب: «سندس. وعبارة **المُبهج**»، ولم يوثق الفاضلان كلام المؤلف من **المبهج** المحقَّق في أكثر من طبعة!

٢١٤–ص٦٤=١٢أ: «بالرفع والتنوين (!) وترك تنوينه ابن محيصن، وجرَّه

بالفتحة ونوّنه الباقون»! والترقيم هنا أفسد المعنى والصواب: «بالرفع والتنوين، وترك تنوينه ابن محيصن وجرَّه بالفتحة، ونوَّنه الباقون». ولعل الفاضلين يعرفان أن الجر بالفتحة لا يجتمع مع التنوين!

٢١٥-ص٦٤=١٢أ: «وكذلك قال في **لطائف الإشارات** في خضر، وإِستبرق»! ولا معنى للفصلة بين الكلمتين القرآنيتين، ولم يوثِّق الفاضلان قول القسطلاني؛ لأنهما يظنان أن **اللطائف** هنا للقشيري!

٢١٦-ص٦٤=١٢أ: «قرأ نافع، وحفص برفعهما ووافقهما الحسن، لكنه بغير تنوين فيهما، وقرأ ابن كثير، وأبو بكر بخفض الأول، ورفع الثاني، ووافقهما ابن محيصن»! والفاضلان لا يحسنان التعامل مع علامات الترقيم. والأفضل: «قرأ نافع وحفص برفعهما، ووافقهما الحسن لكنه بغير تنوين فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بخفض الأول ورفع الثاني، ووافقهما ابن محيصن»، ولم يترجم الفاضلان للحسن!

٢١٧-ص٦٤=١٢أ: «ضمير التثنية في الموصوف سهو»! والصواب: كما في المخطوطة بخط واضح، والسياق يطلبه: «ضمير التثنية في الموضعين سهو».

٢١٨-ص٦٤=١٢أ: «وروى الأهوازي عنه في الإنسان أيضاً ضم القاف بلا تنوين عطفاً»! لم يترجم الفاضلان للأهوازي، ولم يوثقا كلامه من مفردة ابن محيصن، ولا يزال التنوين عندهما على الألف!

٢١٩-ص٦٤=١٢أ: «وثياب إستبرق،وأما قول الصفراوي»! والترقيم يقتضي «وثياب إستبرق. وأما قول الصفراوي».

٢٢٠-ص٦٤-١٢أ: ترجم الفاضلان للصفراوي، فذكرا له «زهر الرياض المفصح عند المقاصد والأغراض»! والصواب: **زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض**.

٢٢١-ص٦٤=١٢أ: «فيكون على هذه الرواية حالاً ينصرف»! والصواب:

كما في المخطوطة، ويطلبه السياق: «فيكون على هذه الرواية اسمًا لا ينصرف»، وانظر إلى التنوين!

٢٢٢-ص٦٤=١٢ب: لم يتحرَّج الفاضلان من التصريح بعدم العثور على قائل بيت:

نبئتُ أخوالي بني يزيدُ ظلمًا علينا لهمُ فَديد

مع وجود رواية في **ديوان رؤبة**!

٢٢٣-ص ٦٥=١٢ب: «وعلى هذا قرأه ابن محيصن أيضاً»! والصواب كما في المخطوطة: «وعلى هذا قراءة ابن محيصن أيضًا»، ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف!

٢٢٤-ص٦٥=١٢ب: ترجم الفاضلان لابن جني، فذكرا له **الخصائص في اللغة**، و**اللُّمَع في النحو** و**المحتسب في القراءات**»! والفصلة توهم أن **اللمع** و**المحتسب** كتاب واحد!

٢٢٥-ص٦٥=ب١٢: «واستبرق بالوصل، وفتح الآخر»! والصواب: «(وَاسْتَبْرَقَ)، بالوصل وفتح الآخر».

٢٢٦-ص٦٥=١٢ب: «في هذه القراءة أيضاً»! حقُّ التنوين أن يكون قبل الألف.

٢٢٧-ص٦٥=١٢ب: «وإستبرق نصباً»! والصواب: « (وَإِسْتَبْرَقَ) نصبًا».

٢٢٨-ص٦٥=١٢ب: لم يفطن الفاضلان إلى اختلاف نص المطبوع من **الكشاف** للزمخشري عن النص الذي ينقله عنه المصنف!

٢٢٩-ص٦٥=١٣أ: «من الثياب وقرئ واستبرقَ»! والصواب: «من الثياب، وقرئ: (وَاسْتَبْرَقَ)».

٢٣٠-ص٦٥=١٣أ: «بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى بإستفعل من

البريق وليس بصحيح أيضاً»! والصواب: «بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى باستفعل من البريق. وليس بصحيح أيضًا». فانظر إلى أخطاء الكتابة والترقيم!

٢٣١–ص٦٥=١٣أ: «قال أبو حاتم: لا تجوز هذه القراءةُ والصواب: أنه جر(!) لا ينبغي أن يحمل ضميراً»! والصواب: كما في المخطوطة، والمصادر تؤكده: «قال أبو حاتم: لا تجوز هذه القراءة والصواب: أنه جنس لا ينبغي أن يحمل ضميرًا». فانظر إلى السرعة وخطأ الكتابة، ولم يترجم الفاضلان لأبي حاتم، ولم يوثقا كلامه! والفاضلان يضبطان كلمة (القراءة)، وكأنهما يعلِّمان القارئ الفرق بين البناء والإعراب!

٢٣٢–ص٦٥=١٣أ: «ويؤيد ذلك دخولُ لامُ المعرفة عليه»! وأستحيي من التعليق على رفع المضاف إليه!

٢٣٣–ص٦٥=١٣أ: «وإجراؤها على قراءة الجماعة»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «وإجراؤه على قراءة الجماعة»!

٢٣٤–ص٦٥=١٣أ: ترجم الفاضلان للبيضاوي، فذكرا له «تفسير القرآن المسمَّى **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** و**شرح الكافية** لابن الحاجب، و**المنهاج في الأصول**»! ولا أفهمُ معنى الفصلة هنا؛ فهل **التفسير** و**شرح الكافية** كتاب واحد في مقابل **المنهاج**؟!

٢٣٥–ص٦٥=١٣أ: «ووجَّهها الإمام البيضاوي آخذاً من **الكشاف**»! والصواب: كما في المخطوطة: «ووجَّهها الإمام البيضاوى أخذًا من **الكشاف**» بالهمزة لا المدّ، مع وضع التنوين قبل الألف. وقد ترجم الفاضلان للبيضاوي، فزعما أنه توفي عام ٧٩١هـ! والصواب: ـ كما في مصادرهما ـ ٦٩١هـ.

٢٣٦–ص٦٥=١٣أ: «ولم يتعرّض لقراءته»، رجع الفاضلان إلى التعليقات الغريبة على الإملاء، فقالا في الحاشية: «في الأصل: لقرأته، وهو خطأ في كتابة

الهمزة المتوسطة، والصواب: ما أثبتناه». مع أنهما لم يعلِّقا على هذا الرسم في نماذج سبقت!

٢٣٧-ص٦٥=١٣أ: «إما لأنه يعرف ووجَّهها (!) بالقياس؛ وإمّا لأنه لم يثبُت(!) عنده»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «إما لأنه يُعرَف وجهُها بالقياس، وإما لأنه لم تثبت عنده».

٢٣٨-ص٦٥=١٣ب: «قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي، فقال: وقد قرأه(!) ابن محيصن بغير صَرْف وهو وهْم أن (!) جعله اسماً»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «قد سبق الزمخشريَّ إلى هذا مكيٌّ فقال: وقد قرأ ابن محيصن بغير صَرْف وهو وهَمٌ إن جعله اسمًا»، والفاضلان لم يترجما لمكيّ! ولم يلتزما بنص المصنف ولا بموضع التنوين وعلامات الترقيم!

٢٣٩-ص٦٥=١٣ب: «على جعْله فعلاً ماضياً»! وفي المخطوطة «بل جعَله فعلاً ماضيًا»، ولا يزال الفاضلان يكتبان التنوين على الألف! وسيأتي قريبًا ما يؤكد (بل).

٢٤٠-ص٦٥=١٣ب: «جائز في اللفظ ،بعيد في المعنى فقيل»! والترقيم يقتضي «جائز في اللفظ بعيد في المعنى فقيل».

٢٤١-ص٦٥=١٣ب: «فعل ماضٍ على اسْتَفْعَلَ من: برِق»! والفاضلان يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط، ولا يعرفان الفرق بين برِق، وبرَق!

٢٤٢-ص٦٥=١٣ب: «لأانه»! الصواب: «لأنه». فانظر إلى سوء المراجعة!

٢٤٣-ص٦٥=١٣ب: «فإنما دخل في أسماء مُغَيَّرة» ! علَّق الفاضلان فقالا في الحاشية: «في الأصل (دخلت)، ثم استدرك الناسخ الصواب، وهو ما أثبتناه»! وهذا افتراء لا داعي له؛ ففي المخطوطة «دخلت»، والسياق يطلبه، والمصنف يؤنث الحروف، وسيقول بعد قليل: «قُطِعت ألفُه».

٢٤٤-ص٦٥=١٣ب: وثّق الفاضلان كلام مكّي من **الدر المصون**، وكأن **مشكل إعراب القرآن** مفقود!

٢٤٥-ص٦٥=١٣ب: «فدلّ قوله: قُطعت ألفه ا.ه»! في المخطوطة «فدلّ قوله: قُطعت ألفه ، إلى آخره»، وقد استعملها المصنِف في أكثر من موضع، وكتبها هنا (إلخ).

٢٤٦-ص٦٥=١٣ب: «بقطع الهمزة، وفتح القاف، ودل قولهن أولاً، وقيل: بل جعله فعلاً ماضياً»! والصواب: «بقطع الهمزة وفتح القاف، ودل قوله أولًا: وقيل: بل جعله فعلًا ماضيًا». وجاء هنا (بل) الذي قرأه الفاضلان آنفًا في الصفحة نفسها (على)، وانظر إصرارهما على الخطأ في كتابة التنوين!

٢٤٧-ص٦٥=١٣ب: «من برِق أنه»! والصواب: «من برَق. أنه» لأن برِق بمعنى دهش وتحيَّر.

٢٤٨-ص٦٥=١٣ب: «لا يُتصوَّر أن نحْكُم (!) عليه بخطئه (!) غير منقول إلى الأسماء. ويقول»! والصواب، كما في المخطوطة: «لا يُتصوَّر أن يَحْكُم عليه بالفعلية غير منقول إلى الأسماء ويقول».

٢٤٩-ص٦٥=١٣ب: «فهذا جهل للغة»! وفي المخطوطة، والسياق يوجبه: «فهذا جهل باللغة».

٢٥٠-ص٦٥=١٤أ: «قطع ا[لأ]لف»! هكذا كتب الفاضلان، وعلَّقا في الحاشية: «سقط من متن الأصل، والكلمة تقتضيه، وقد استدركه الناسخ في حاشية الأصل بين السطرين»!

٢٥١- ص٦٥= ١٤أ: «انتهى كلام ابن السمين»! لم يوثق الفاضلان كلام ابن السمين، وكأن **الدر المصون** مفقود!

٢٥٢-ص٦٦=١٤أ: «أن يكون علماً»! التنوين يوضع على الحرف الذي قبل الألف!

٢٥٣–ص٦٦ = ١٤أ: «وهذا اسم جنس. انتهى»! أي انتهى كلام صاحب **الدر المصون**، ولم يوثق الفاضلان كلامه!

٢٥٤–ص٦٦ = ١٤أ: «فهذا في تسليم عُجمته»! في المخطوطة «فهذا على تسليم عُجمته»!

٢٥٥–ص٦٦ = ١٤أ: «واستبرق بالوصل، وفتح القاف معرَّب (!) كان لا يدري (!)»! ولا أفهم الطريقة التي يتعامل بها الفاضلان مع المخطوطة؛ ففيها: «(وَاسْتَبْرَقَ) بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه».

٢٥٦–ص٦٦ = ١٤أ: «وإنما توجيه»! الصواب، كما في المخطوطة: «وأمَّا توجيه».

٢٥٧–ص٦٦ = ١٤أ: «لابن مُحَيْصِن وشعبة بوصل الهمزة»! في المخطوطة، والسياق يطلبه «ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) بوصل الهمزة». فمن أين أتى الفاضلان بشعبة؟!

٢٥٨–ص٦٦ = ١٤أ: «فيجوز ابن مُحَيْصِن الهمزة تخفيفاً»! وفي المخطوطة، والسياق يطلبه «فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفًا». فمن أين أتى الفاضلان بابن محيصن حتى حرصا على ضبط حروفه؟!

٢٥٩–ص٦٦ = ١٤أ: «جعلها عربيّة خالصة من برِق يبرَق، فيكون وزنه اِستفعَل»! في المخطوطة بخط واضح «جعله عربيّة خالصة، من: برَق يبرُق فيكون وزنه استفعل»؛ أي: جعل لفظ استبرق كلمة عربية خالصة. ويؤكده عود الضمير بعد ذلك بالتذكير، ولا يزال الفاضلان يخلطان بين (برِق) بمعنى تحيَّر، و(برَق) بمعنى لمع!

٢٦٠–ص٦٦ = ١٤ب: «عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة»! علَّق الفاضلان في الحاشية، فقالا: «في الأصل: في وصل في وصل مكرَّرة سهواً»! وتعليقهما أفحش من وضع التنوين على الألف!

٢٦١–ص٦٦= ١٤ب: «في الصرف والتنوين،.انتهى»! ولا معنى للنقطة بعد الفصلة! ولم يوثق الفاضلان كلام أبي الفضل الرازي!

٢٦٢–ص٦٦= ١٤ب: «فالمفهوم من قوله: فلما سُمِّي به ا.ه.أنه قرأ بالوصل والتنوين»! والصواب: «فالمفهوم من قوله: فلما سُمِّي به، إلى آخره. أنه قرأ بالوصل والتنوين». وقد استعمل المصنف (إلى آخره) في غير هذا الموضع، ولكن الفاضليْن لا يعرفان أنه يكتبها أحيانًا (إلخ)!

٢٦٣–ص٦٦= ١٤ب: «قرأ بالوصل والتنوين وهذه رواية»! والترقيم يقتضي «قرأ بالوصل والتنوين. وهذه رواية».

٢٦٤–ص٦٦= ١٤ب: «مع أنه يخالف قوله في الإنسان»! كذا كتبها الفاضلان وعلَّقا في الحاشية: «في الأصل: يخالفه، والأنسب ما أثبتناه»! وأستحيي من التعليق!

٢٦٥–ص٦٦= ١٤ب: «في الإنسان ابن محيصن واستبرقَ بوصل الهمزة وفتح القاف»! والصواب: «في الإنسان: ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) بوصل الهمزة وفتح القاف».

٢٦٦–ص٦٦= ١٤ب: «مثل اسْتَفْعَلَ لفظاً معنى، ومعنى (!) في الكهف»! والصواب: كما في المخطوطة «مثل: استفعل لفظًا ومعنى. ومضى في الكهف»، وقد انشغل الفاضلان بضبط الفعل «استفعل»، ولم ينتبها إلى سقوط الواو، ولا إلى السياق، ولا إلى خط المخطوطة!

٢٦٧–ص٦٦= ١٤ب: «ولم يمكن حمل كلامه الأول على الثاني يؤتي زيادةَ قيد»! هل يفهم الفاضلان معنى المكتوب؟ والصواب، كما في المخطوطة: «ولم يمكن حمل كلامه الأول على الثاني بزيادة قيد».

٢٦٨–ص٦٦= ١٤ب: «لئلا يبقى التوجيه لغواً»! لا يزال التنوين على الألف!

٢٦٩-ص٦٦=١٤ب: «وقد نقل عبارته ابنُ السمين وصاحبُ **اللطائف** لتوجيه القراءة على صورة الفعل، ولم يُثبِتها (!) على ما فيها»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «وقد نقل عبارته ابن السمين وصاحب **اللطائف** لتوجيه القراءة على صورة الفعل، ولم يتنبَّها على ما فيها. وربما تعجَّب الفاضلان من تعدية الفعل بـ (على)، وقد وضَّحتُ صوابه، وعلَّقتُ عليه في موضعه.

٢٧٠-ص٦٦=١٥أ: «ابنُ جني في **المحتسِب**»! والصواب، كما يعرف المبتدؤون: «ابنُ جني في **المحتسَب**».

٢٧١-ص٦٦=١٥أ: «إستبرق ليس منقولاً من الفعل»! والصواب: «الإستبرق ليس منقولًا من الفعل»، ولو رجع الفاضلان إلى **المحتسَب** - وليس المحتسِب - لتأكد لهما ما في المخطوطة.

٢٧٢-ص٦٦=١٥أ: «توهّمه فعلاً، إذا (!) كان على وزنه فتركه مفتوحاً، كما توهُّم (!) الآخر»! والصواب: «توهّمه فعلًا إذ كان على وزنه فتركه مفتوحًا كما توهَّم الآخر». فانظر إلى سرعة القراءة، وموضع التنوين، ولو رجع الفاضلان إلى **المحتسَب** لتأكد لهما ما في المخطوطة.

٢٧٣-ص٦٦=١٥أ: «ملك الموت من معنى المُلْك»! الذي في المخطوطة «ملك الموت من المُلْك»، فما الداعي إلى الزيادة مع عدم الإشارة؟ ولو رجع الفاضلان إلى **المحتسَب** لتأكد لهما ما في المخطوطة.

٢٧٤-ص٦٦=١٥أ: «قال الشاعر...»! لم يشر الفاضلان إلى وقوع (الشاعر) في المخطوطة بلفظ (ع) اختصارًا، مع أنهما حذفا (ع) في موضع سابق! (راجع تعليقي على: ص٥٩=٦ب).

٢٧٥-ص٦٦=١٥أ: «فمالِكُ موتٍ بالقضاء دهاني»، علَّق الفاضلان على هذا الشعر، فقالا في الحاشية: «صدر بيت بلا نسبة»، وأحالا إلى **لسان العرب** لابن

منظور! وأقول: الشطر المذكور عجز بيت وليس صدرًا، وقد ورد العجز في **اللسان** نفسه (ل أ ك) جـ١٠/٤٨٢ منسوبًا إلى رُوَيْشِد.

٢٧٦-ص٦٦=١٥أ: «وهذا أسـبق ما فيه إلى هذا كلامه»! والصـواب: «وهذا أسـبق ما فيه إليَّ، هذا كلامـه»؛ لأن الكلام لابن جني، ولو رجع الفاضـلان إلى **المحتسَب** لتأكد لهما ما في المخطوطة!

٢٧٧-صـ٦٦=١٥أ: «واختـار أبو حيان هـذا ووجّهه»! وثّق الفاضـلان كلام أبي حيان (ت ٧٤٥) من **المحتسـب** لابن جني (ت٣٩٢هـ)! ولعل هذا الموضع توثيق لكلام ابن جني السابق!

٢٧٨-ص٦٦=١٥أ: «ولما كان قوله: خضر دلَّ (!) على الخضرة»! والصواب: كما في المخطوطة، ويطلبه السياق: «ولما كان قوله: (خُضْرٌ) يدل على الخضرة».

٢٧٩-ص٦٦=١٥أ: «وكانت الخضـرة مما يكون فيها لشدتها دُهْمةً وغُبشةً»! ونصب الكلمتين الأخيرتين أستحيي من التعليق عليه. والفاضلان أكبر من الخطأ في اسم كان وخبرها!

٢٨٠-ص٦٧=١٥أ: «أخبر أن في ذلك اللون بريقاً وحُسناً»! ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف! ولا أزال أذكّرهما بأنه قبل الألف.

٢٨١-ص٦٧=١٥أ: «أو على الاخضرار الدالّ عليه قوله: خضر»! في المخطوطة بخط واضح «أو على الأخضر الدالّ عليه قوله: (خُضْرٌ)».

٢٨٢-ص٦٧=١٥أ: خلط الفاضلان بين ما نقله المصنف عن أبي حيان وبين نسخة **البحر المحيط** التي رجعا إليها، ولم يشيرا إلى الفروق!

٢٨٣-ص٦٧=١٥أ: «هذا العطف إن كان على السـندس أو على الأخضر»! ما قيمة الفصلة المنقوطة هنا؟! وكلمة الأخضر دليل على خطأ الفاضلين في قراءتها آنفًا بلفظ «الاخضرار»!

٢٨٤-ص٦٧ = ١٥ب: «وإن كان معطوفاً على عاليهم»! والفاضلان لا يميزان الشواهد القرآنية، ويصــرّان على وضع التنوين على الألف والصواب: «وإن كان معطوفًا على (عَالِيهمْ)».

٢٨٥-صـص٦٧=١٥ب: «أيضــاً ،كمــا في حلِّ الرمــوز للقبابيي»! صــاحب **حل الرمــوز** اســمه القباقبيّ، ولو ترجم له الفاضــلان لعرفا ذلــك! والتنوين لا يكون على الألف!

٢٨٦-صـص٦٧=١٥ب: «كما لو جعلــت الواو للحال». لم ينتبه الفاضــلان إلى علامة الإلحاق، فقالا في الحاشــية: «سقطت من متن الأصل، والسياق يقتضيها، وقد استدركها الناسخ في حاشية الأصل»!

٢٨٧-ص٦٧=١٥ب: «لا يتمثّل في ســورة الكهف»! والقراءة الصــحيحة: «ولا يتمشّى أيضًا في سورة الكهف».

٢٨٨-صـص٦٧=١٥ب: «وفي الرحمــن لعدم العاطف ، ولعدم ذكر الســندس ، والأخضــر ، ولدخــول حرف الجــرّ». فانظر إلى الإكثار مــن علامات الترقيم مع الاضطراب!

٢٨٩-ص٦٧=١٥ب: «في ســورة الإنســان ،وغيرها فتح القــاف». فانظر إلى خلل الترقيم!

٢٩٠-صـص٦٧=١٥ب: «فقد جعله فعلاً ماضــياً»! وفي المخطوطة «فقد يجعلُه فعلًا ماضيًا»، ولا يزال التنوين على الألف!

٢٩١-صـص٦٧=١٥ب: «وقــد نص الــداني والمعــدل على انــه (!) فعل ماض انتهــى»! والصــواب: «وقد نصَّ الــداني والمعدَّل على أنه فعــل ماض، انتهى»، ولم يوثِّق الفاضلان كلام الداني والمعدَّل، ولم يترجما لهما!

٢٩٢-ص٦٧=١٥ب: «تأويل نصبهما»! وفي المخطوطة، والسياق يطلبه «تأويل نصِّهما».

٢٩٣-ص٦٧=١٦أ: «وأما قوله ،بعد هذا» ! ما قيمة الفصلة؟

٢٩٤-ص٦٧=١٦أ: «ويجوز أن يكون اسماً لا ينصرف معطوفاً»! محلّ التنوين قبل الألف.

٢٩٥-ص٦٧=١٦أ: «الفتحة علامة الخفض»! في المخطوطة «الفتحة علامة للخفض».

٢٩٦-ص٦٧=١٦أ: «لو كان ممنوعاً (!) من الصرف، لكانت الهمزة مقطوعة (!) فلما»! والصواب: «لو كان ممنوعًا من الصرف لكانت الهمزة مقطوعة فلما».

٢٩٧-ص٦٧=١٦أ: «سُمِّي بالجملة، فحكت»! ومن العجيب تعليق الفاضلين في الهامش: «كذا في الأصل»! والذي في المخطوطة بخط واضح «سُمِّي بالجملة فحُكِيت».

٢٩٨-ص٦٧=١٦أ: «إبقاء الهاء على أصلها»! والصواب: «إبقاءً لها على أصلها».

٢٩٩-ص٦٧=١٦أ: «ثم أقول في اعتراضهم على قراءة ابن مُحَيْصِن نظر عن وجهيها»! والصواب، كما في المخطوطة: «ثم أقول: في اعتراضهم على قراءة ابن محيصن نظر من وجهين».

٣٠٠-ص٦٧=١٦أ: «لا وجه لترك [توجيه] قراءته»! هكذا كتبها الفاضلان ولم ينتبها إلى علامة الإلحاق، فقالا في الحاشية: «سقطت من متن الأصل، والسياق يقتضيها، وقد استدركها الناسخ في حاشية الأصل»!

٣٠١-ص٦٧=١٦أ: «او شاذة»! الصواب: «أو شاذة».

٣٠٢-ص٦٧=١٦أ: «وقرئت في الصلاة ،واستُدِلَّ بها في العربية وغيرها لا

تجوز بها، ولكنها»! والصواب، والترقيم يطلبه: «وقرئت في الصلاة واستُدِلَّ بها في العربية. وغيرها لا تجوز بها، لكنها».

٣٠٣-ص٦٧=١٦ب: «كما تُقَرَّدُ في كتب الأصول»! في المخطوطة، والسياق يطلبه: «كما تقرَّر في كتب الأصول».

٣٠٤-ص٦٧=١٦ب: «فردٌّ القراءة، وتخطئة قارئها لا وجه له»! الأفضل أن نكتب العبارة بدون فصلة؛ هكذا: «فردُّ القراءة وتخطئة قارئها لا وجه له».

٣٠٥-ص٦٨=١٦ب: «من نوّنه جعله معرَّباً، ومن قرأ بخلافه جعَله عربيًّا... ...لا يخلو إمّا أن يكون عربيًّا او مُعرّباً»! هكذا بإسقاط همزة (أو)! ووضع التنوين في كلمة (عربيًّا) في مكانه الصحيح، وفي كلمة (مُعرّباً) على الألف!

٣٠٦-ص٦٨=١٦ب: «فما وجه جعله تارة من هذا وتارة من ذاك؟»، علَّق الفاضلان على كلمة (تارة) الثانية، فقالا في الحاشية: «ينبغي أن يقال: أخرى»! ولا وجه لاعتراضهما، مع أنهما لم يعترضا على قول المصنف (ص٥٧=١٤أ): «تارة بالنسبة الاختصاصية وتارة بالنسبة اللازمة»!

٣٠٧-ص٦٨=١٦ب: «لا مانع من ذاك (!) ،فإنَّ عُمَيْرَ (!) من لم ينوِّنه جعله ممنوعاً»! وأرجو من الفاضلين تفسير (عمير)! والصواب: «لا مانع من ذلك فإن عزيزَ من لم ينوِّنه جعله ممنوعًا»، وانظر إلى الترقيم والتنوين!

٣٠٨-ص٦٨=١٦ب: «ومثل: (!) سراويل، فإنه لما ورد ممنوعاً»! والصواب: «ومثله سراويل، فإنه لما ورد ممنوعًا»، وانظر إلى التنوين!

٣٠٩-ص٦٨=١٦ب: «وقالوا : في لغة الصرف إنه عربيّ محض»! والصواب: «وقالوا في لغة الصرف: إنه عربيّ محض».

٣١٠-ص٦٨=١٦ب: «ونظيره (!) ما ذُكر في باب ما لا ينصرف. أمّا بعض الأسماء المقصورة فقد (!) جاء منوَّناً (!) وغير مُنوّن»! وهذا مثال صارخ على

السـرعة في القراءة. وقد أضاف الفاضلان الواو في أول الكلام، وجعلوه معطوفًا على ما قبله! وأضـافا الفاء قبل قد، وعلَّقا عليها في الحاشـية: «زيادة يقتضـيها السياق إذ الفاء لازمة في جواب أمّا الشرطية التفصيلية ! ولا وجود لـ (أمّا) ففي المخطوطة «نظيره ما ذُكر في باب ما لا ينصـرف أن بعض الأسماء المقصورة قد جاء منوَّنًا وغير مُنوّن».

٣١١-ص٦٨=١٧أ: أحال الفاضـلان إلى **مغني اللبيب** لابن هشام، و**الجنى الداني** للمرادي! ومع عدم الحاجة إلى المصدرين هنا فالواجب البدء بالأسبق.

٣١٢-صـ٦٨=١٧أ: «ومن ذلك قولـه تعالى: ؟؟؟»! لم تُكتَب الآية، ووُضـعت طلاسـم فانظر إلى السرعة! والصواب: «ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾».

٣١٣-صـ٦٨=١٧أ: جاء عـن كلمة (تـترى) في الآية السـابقة: «وقرأه ابن عامر ونافع وقالون بلا تنوين»! والصـواب: «وقرأه ابن عامر ونافع والكوفيون بلا تنوين»، ولو رجع الفاضلان إلى كتب القراءات لعرفا الصواب.

٣١٤-صـ٦٨=١٧أ: «وقـد صـحَّ ثبوتهـا فعـدُّوا (!) الألف للإلحـاق (!)»! والصـواب: «وقد سُـمع تنوينها فقُدِّر الألف للإلحاق بجُخْدَب». فانظر إلى خطأ القراءة، والسقط!

٣١٥-صـ٦٨=١٧أ: ترجـم الفاضـلان للزجاج، فذكـرا أنـه «إبراهيم بن محمد السـرّي (!) بن سهل، نحويّ ولغويّ، له **إعراب القرآن**، و**الأمالي**، و**معاني القرآن**، ت ٣٢٢هـ»! وأسأل الفاضلين: هل **إعراب القرآن** كتاب مستقلّ عن معاني القرآن؟ وهل تاريخ الوفاة في المصادر التي أحلتم إليها؟! وعلى أي أساس ضبطتم (السَّرِيّ) بتشديد الراء؟ ولماذا ترجمتم للزجاج دون توثيق ما نقله المصنف عنه؟

٣١٦-ص٦٨=١٧أ: ترجم الفاضلان للبغوي، فذكرا أنه معروف بابن الفداء!

والصــواب: أنه المعروف بالفرَّاء نسـبة إلى عمل الفراء وبيعها، كذا في المصــادر التي اعتمدا عليها، ثم تسـرَّع الفاضــلان فقرآ: «الإســتبرق اسم للحرير للرقيق ترقق بحسن الخاصر للمرأة، والإستبرق الديباج للباسها»! وأسأل الفاضلين: هل تفهمان معنى هذا الكلام؟ ولا أنتظر منهما جوابًا؛ لأن الصواب: «الإستبرق اسم للحرير، وأُنشِد للمرقِّش:

تـراهنَّ يلبسن المشاعر مـرَّةً وإستبرق الديباج طورًا لباسها».

٣١٧-ص٦٨=١٧أ: «وفي **القاموس**... ...أو ثياب حرير، والإستبرق من الديباج أو غيره خصّيصاً»! وهذا أيضًا كلام غير متناسق، ولو رجع الفاضلان إلى **القاموس** لاســتطاعا قراءة النص قراءة صحيحة. والصــواب: «أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج، أو قِدَّة حمراء». وأودّ أن أذكِّر الفاضلين بأن كلمة (خِصِّيصَى) **ممنوعة** مــن الصــرف لانتهائها بألف التأنيث المقصــورة التي تكتب يــاءً إذا وقعت رابعة فأكثر.

٣١٨-ص٦٨=١٧ب: «و[السندس]، واستبر مارقّ (!) من الديباج»! ولا وجود في المخطوطة لكلمة (اســتبر)! وإنما هو شـطب وضع المصـنف علامة الإلحاق، وكتب (والســندس)، وعلى الرغم مــن وجود علامة الإلحاق قال الفاضــلان في الحاشية: «سقطت من متن الأصل، والسياق بقتضيها، وقد استدركها الناسخ في حاشية الأصل»! والذي في المخطوطة «والسندس ما رقّ من الديباج».

٣١٩-صـ٦٨=١٧ب: لم يفطن الفاضــلان إلى الفرق بين ما نقله المصــنف عــن البغوي والفيروزآبــادي وما هو في طبعتهما من **تفسـير البغـوي** و**القاموس المحيط**، ولم يترجما لأبي عمران الجوني!

٣٢٠-ص٦٩=١٧ب: «وقال شيخه (!) كما في **الإتقان**»! ومن العجيب الخطأ في قراءة الكلمة على الرغم من رجوع الفاضــلين إلى **الإتقان**! والصــواب: «وقال شَيْذَلَة كما في **الإتقان**».

٣٢١–ص٦٩=١٧ب: «وذكره الجوهري في الثلاثيّ وجعل النون زائدة»! لم يوثق الفاضلان كلام الجوهري، واكتفيا بالترجمة له، فذكرا له **عروض الورقة** في العروض، و**المقدمة في النحو**!

٣٢٢–ص٦٩=١٧ب: «وهما مفردان عند الجمهور، وهما: (!) إستبرقة وسندسة عن (!) الأخفش»! وفي المخطوطة، والسياق يطلبه: «وهما مفردان عند الجمهور، وجمعا إستبرقة وسندسة عند الأخفش».

٣٢٣–ص٦٩=١٧ب: «والبُزّيُون (!) كجردحل ويُصُفُور (!) بمعنى السندس»! وأسأل الفاضلين عن وزن جردحل وعن معنى يصفور! والصواب: كما في المخطوطة، والمراجع تؤيده «والبِزْيَوْن كجِرْدَحْل وعُصْفُور بمعنى السندس».

٣٢٤–ص٦٩=١٧ب: «اللينّ، مثل الإثمَد في تكبيره وتصغيره»! ولا معنى للجملة مطلقًا، ولو راجع الفاضلان المخطوطة لعرفا أن الصواب، كما في المخطوطة بخط واضح: «الفصل الثالث في تكسيره وتصغيره».

٣٢٥–ص٦٩=١٧ب: «أما في (!) كونه مُعرّباً (!) فتصغيره يتوقف على (!) الأصلي والزائد فيه»! والصواب، كما في المخطوطة: «أما على كونه مُعرّبًا فتصغيره يتوقف على معرفة الأصليّ والزائد فيه». فانظر إلى السقط وأخطاء الكتابة!

٣٢٦–ص٦٩=١٧ب: «قال المرزوقي في **شرح الفصيح**: «المعربات ما استعمله القوم ... المعرَّب يحمل عليها ما كان الفهم له أكثر عنها»! ولو دقق الفاضلان القراءة واستعانا بكتاب المرزوقي لعرفا أن الصواب: «قال المرزوقي في **شرح الفصيح**: المعربات ما كان منها بناؤه موافقًا لأبنية كلام العرب يحمل عليها، وما خالف أبنيتهم منها يراعى ما كان إلفُهم له أكثر فيُختار»، ولم يترجم الفاضلان للمرزوقي!

٣٢٧–ص٦٩=١٨أ: «وكذلك قال الجاربردي في **شرح الشافية** في باب ذي

الزيادة عند الكلام على منجنيق إن (!) الأسـماء المعرَّبة يُحكَم عليها بالأصلي والزائـد؛ لأنها لمَّا تكلَّمت العربُ بها وصـرّفتها في الجمع، والتصـغير... العربي، فلـذا حُكِم........وأمـا يزعـم بـا... لقولهـم لجم مابـازه (!) في يحكـم له.... معنــى أيها ثمّ كانت من كلامهم كان فامّـا (!) أن تكون كذلك»! وهذا كلام غير مفهـوم ولا معنًـى له. والعجيب ادِّعاء الفاضـلين أنهما رجعا إلى **شـرح الشـافية** للجاربردي. ولو رجع الفاضـلان فعلًا لاسـتطاعا قراءة النص قراءة صحيحة، فضــلًا عن العبث في اسـتعمال النقاط الدالّة على الحذف. والصـواب: «وكذلك قال الجارَبَرْدِيّ في **شـرح الشـافية** في باب ذي الزيادة عند الكلام على منجنيق: أن الأسـماء المعربـة يُحكَـم عليها بالأصـليّ والزائـد لأنها لمَّا تكلَّمـت العربُ بها وصرّفتها في الجمع والتصـغير أَجْرَوها مُجرى العربيّ فلذا حُكِم على ألف لجام ويـاء إبراهيم بالزيادة لقولهم: لُجُم، وأباره، وأيضًـا فيحكمون بذلك على معنى أنهـا لو كانت من كلامهم لكان قياسـها أن تكون كذلك». ولم يترجم الفاضــلان للجاربردي!

٣٢٨-ص٦٩=١٨أ: «فإسـتبرق فحُمِـل (!) على ما يناسـبه مـن الأبنية لمه (!) سـوى.. .. .. الفعـل فيحكـم.. .. .. فيكون من بريق، كما وقال (!) صـاحب **القاموس** والجوهـري في مادة سـرق أيضـاً لأنهـم... وحرفاً زائـدة (!)، وأتى بحرف»! وهذا كلام غير مفهوم. والفاضـلان يتسـرَّعان في القراءة، ويسـقطان كلامًا جاء في الحاشـية؛ والصـواب: «فإستبرق يُحمَل على ما يناسبه من الأبنية، ولا يناسبه سوى استفعل من الفعل فيُحكم بزيادة الثلاثة الأولى، فيكون من برق حُكمًا. وذكره صاحب **القاموس** تبعًا للجوهري في مادة سرق أيضًا، وهذا لا وجه له؛ لأن الهمزة المصـدَّرة لا تزاد إلا مع ثلاثة أصـول فقط، وأغربُ من هذا ذكره الأزهريّ في خماسي القاف على أن الهمزة وحـدها زائدة».

٣٢٩-ص٦٩=١٨ب: «في ثلاثيّ مثله أن يحذف ماعدا (!) الزيادة الفضـلى كمُخَـيِّرج، ومُطَيْلِق في مسـتخرج، ومنطلق»! والفاضـلان لا يحسـنان اسـتعمال

علامات الترقيم مع الكلمات الواضحة في المخطوطة. والصواب: «والقاعدة في مثله أن يحذف ما عدا الزيادة الفضلى كمُخَيْرِج ومُطَيْلِق في: مستخرج ومنطلق».

٣٣٠-ص٦٩=١٨ب: «وسبب المفضّل أمور»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «وسبب الفضل أمور». وإن تعجب فعجب حرص الفاضلين على ضبط الضاد!

٣٣١-ص٦٩=١٨ب: «كهمزة النداء، وياء يلث»! هل يفهم الفاضلان معنى يلث؟ والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «كهمزة أَلَنْدَد، وياء يَلَنْدَد».

٣٣٢-ص٦٩=١٨ب: «مماثلتها لأحد الأصول كمُفَيْتِح»! والصواب، كما في المخطوطة، والتوثيق يقويه: «مماثلتها لأحد الأصول كعَفَنْجَج».

٣٣٣-ص٦٩=١٨ب: «عدم إيهامها خلاف الواقع كرُيميس، ولام يُوسيس في مرمريس»! هل يعرف الفاضلان معنى (يوسيس)؟! ولستُ في حاجة إلى جواب؛ لأن الصواب، كما في المخطوطة، والتوثيق يقويه: «عدم إيهامها خلاف الواقع كمُريميس لا مُريريس في مرمريس».

٣٣٤-ص٦٩=١٨ب: «كون غيرهما لا يحوج إلى حذف آخر، نحو: حُزَيْبِين ونُدَمْلين في: حَيزَبُون وندملان»! هل يعرف الفاضلان معنى ندملان؟ والصواب، والتوثيق يقوّيه: «كون حذفها لا يُحوِج إلى حذف آخر نحو: حُزَيبِين ونُدَيْلين في: حَيزَبُون ونِئدِلان».

٣٣٥-ص٦٩=١٨ب: قال الفاضلان في الحاشية رقم (١١٦): «جاء في حاشية الأصل: لأن الهمزة المصدرية (!) لا تُزاد إلّا مع ثلاثة أصول فقط»! وهذه الإشارة في غير موضعها؛ لأنها خاصة بالصفحة (١٨أ) ولا معنى للهمزة المصدرية هنا. والصواب: «الهمزة المصدَّرة»، ولكن الفاضلين مشغولان بضبط ما لا يحتاج إلى ضبط!

٣٣٦-ص٦٩=١٨ب: «أن تكـون محرَّكة ونظير (!) سـاكنة كحُطَيْط (!) لا عليـط في عُطَيْط»! هـل يفهم الفاضـلان العليط والعطيط؟ والصـواب، كما في المخطوطـة، والتوثيـق يقويه: «أن تكـون محرَّكـة ونظيرتها سـاكنة كحُطيِّط لا حُطيّط في حُطائط».

٣٣٧-ص٦٩=١٨ب: «أن لا يؤدي إلى... لا نظير الميزان تساوت عموم الزيادة فحذفا.. .. في قلنسوة ،ففي إستبرق.. .. ..»! وانظر إلى سرعة القراءة وعبث اسـتعمال نقاط الحذف! والصـواب، والنسـخة الثانية للمخطوطة تؤكده: «أن لا يـؤدِّي إلـى بناء لا نظـير له. وإن تسـاوت حروف الزيادة فحـذف أحدها بالخيار كقُلَيْنِسـة، وقُلَيْسِـيَة في قَلَنْسُوَة ففي (إسـتبرق) لا بد من حذف زيادتين وإبقاء واحدة، والألف».

٣٣٨-ص٦٩=١٩أ «.. .. .. هي الفضـلى لتصـدُّرها أو (!) ليست همزة وصل»! والصواب: «وليست همزة وصل»، ولا مسوِّغ للنقاط؛ لأن أول الورقة «هي الفضلى». فانظر إلى الخلط والاضطراب بين الصفحات!

٣٣٩-ص٦٩=١٩أ: «لئلا يلزم ما لا نظير له»! والصـواب، كما في المخطوطة بخط واضح: «لئلا يلزم بناءٌ لا نظير له».

٣٤٠-ص٧٠=١٩أ: «فتقول: أبيرق، كما تقول: أُبيريه، وأسيميع في إبراهيم، وإسـماعيل كمـا نقول (!) في تكسـيره: إبيراق»! والصـواب، كمـا في المخطوطة والمصـادر: «فتقول: أبيرق، كما تقول: أُبيريه وأُسَـيِّميع في: إبراهيم وإسـماعيل، كما تقول في تكسيره: أبارق». فانظر إلى خطأ القراءة وعلامات الترقيم!

٣٤١-ص٧٠=١٩أ: «وأمّا على كونه عربيًّا، ففيه ثلاث زيادات أيضاً»! أوشكت المخطوطة على الانتهاء، ولا يزال الفاضـلان يضـعان التنوين على الألف ما عدا كلمة (عربيًّا)!

٣٤٢-ص٧٠=١٩أ: «فإن كان سُمِّي (!) بالفعل وحده تثبت الهمزة لتصدُّرها،

ويُحـذف (!) السـين، والتاء لما تقدّم، فنقول: أُبَيْرِق أيضـاً»! والصـواب، كما في المخطوطة: «فإن كان مُسمًّى بالفعل وحده تثبت الهمزة لتصدُّرها وتُحذف السين والتاء لما تقدّم فتقول: أُبيرق أيضًا».

٣٤٣–ص٧٠=١٩أ: «وإن كان سُـمِّي بالجملـة»! وفي المخطوطـة: «وإن كان مُسمًّى بالجملة».

٣٤٤–ص٧٠=١٩أ: «جميـع ألفات الوصـل يُحـذف في التصـغير، كفُقَيْقِر (!) ،ونُطَيْلِق في افْتِقار (!) وانْطِلَاق»! وأسأل الفاضلين: كيف تكون فُقَيْقِر تصغير افتقار؟ وكيف يُكسَـر ما قبل ألف المدّ؟ والصـواب، كما في المخطوطة والمصادر: «جميع ألفات الوصل يُحذف في التصغير كفُتَيْقِر ونُطَيْلِق في: افتقار وانطلاق».

٣٤٥–ص٧٠=١٩أ: «فلـو لم تسـقط، لضُـمّت. فكانـت تسـقُط في الدرج»! والصـواب، كما في المخطوطة: «فلو لم تسـقط لضُـمّت فكانت تسقط في الدَّرَج». والفاضلان يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط!

٣٤٦–ص٧٠=١٩أ: «والتاء أفضـل من السـين لأن إثباتها، يقضي (!) إثبات سُتَفَيْعِل (!)، ولا نظير له، والتاء تزاد أولاً (!)، نحو: تِمْثال وتَخْفاف (!) فنقول: تُبَـيْرِق بحذف الألف، (!) والسـين كما تقول في تكسـيره تبارق»! والفاضـلان لا يحسـنان القـراءة ولا علامات الترقيم! والصـواب، كما في المخطوطـة: «والتاء أفضـل من السين لأن إثباتها يقتضي إثبات سُفَيْعِل، ولا نظير له، والتاء تزاد أولًا نحو: تمثال وتجفاف فتقول: تُبيرق، بحذف الألف والسـين، كما تقول في تكسيره: تبارق».

٣٤٧–ص٧٠=١٩ب: «فإن قلتَ: السـين تزاد أولاً (!)، نحو: سنبس (!) فإن السين الأولى زيدت للإلحاق بدَحْرَجَ»! والأفضل: «فإن قلتَ: السين تزاد أولًا نحو: سَـنْبَس فإن السين الأولى زيدت للإلحاق بدحرج»، ولكن الفاضلين يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط!

٣٤٨-ص٧٠=١٩ب: «فتغصيره سنيس»! والصواب: كما في المخطوطة «فتصغيره سُنَيِّس».

٣٤٩-ص٧٠=١٩ب: «وأيضاً (!) قد انفرد ابن مالك في إثباته»! تابع الفاضلان المصنف في القول بانفراد مالك، ولا يزال التنوين عندهما على الألف!

٣٥٠-ص٧٠=١٩ب: «هذا كله سواء كان معرَّباً أو عربيًّا»! وصلنا إلى الصفحة قبل الأخيرة، وحتى الآن لا أعرف سبب وضع التنوين في كلمة (عربيًّا) في موضعه الصحيح، ووضعه في الكلمات الأخرى على الألف!

٣٥١-ص٧٠=١٩ب: «فتقول على الثلاثة بُرَيِّق، كما تقول: بُرَيِّه، وسُمَيع في إبراهيم وإسماعيل، ونحو: حُمَيِّد في تصغير أحمد، ومحمَّد ومحمود وحمودة، وحمدان، وحمّاد، وحامِد، والحمد. والحمد لله رب العالمين»! والصواب: «فتقول على الثلاثة: بُرَيِّق، كما تقول: بُرَيِّه وسُمَيع في: إبراهيم وإسماعيل، ونحو: حُمَيِّد في تصغير: أحمد ومحمد ومحمود وحَمُّودة وحمدان وحمّاد وحامِد. والحمد لله رب العالمين». فانظر إلى العبث والاضطراب في علامات الترقيم! وانظر كيف كرَّر الفاضلان كلمة (الحمد)، ولم يفطنا إلى التكرار الذي تكشفه التعقيبة!

٣٥٢-ص٧٠=٢٠أ: «والحمد لله رب العالمين، وصلواته، وتسليماته على أشرف الخلائق محمّد ،وآله، وصحبه (!) الطاهرين»! والصواب: «والحمد لله رب العالمين وصلواته وتسليماته على أشرف الخلائق محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين». فانظر إلى السقط وعلامات الترقيم!

٣٥٣-ص٧٧ حتى ص٧٩: لا يخلو ثبت المصادر والمراجع من الهفوات؛ فقد وضع الفاضلان كتاب **أمالي ابن الحاجب** في حرف الكاف بلا داعٍ أو تنويه! وأخطآ في بيانات بعض الكتب مثل **المعرب** للجواليقي؛ فقد زعما أن طبعة الشيخ شاكر صدرت في دار الكتب ببيروت! والصواب: أنها بمصر، كما أخطآ في كتاب

الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية للأهوازي، فوقع في تحقيقهما بلفظ (الوجيز في شرح قراءات القراءة العثمانية!)، وزعما أنه منشور في دار العرب (بالعين المهملة)!

ورجع الفاضلان إلى طبعات غير محقَّقة! وأكثرا ـ على الرَّغم من قلة مصادرهما ـ من الاعتماد على منشورات دار الكتب العلمية التي سطت في الفترة الأخيرة على منشورات غيرها فتأثَّرت سمعتُها! ويمكن التمثيل بكتاب **الإصابة في تمييز الصحابة** التي رجعا فيها إلى طبعة دار الكتب العلمية، وزعما أنها بدون تاريخ، على الرغم من صدورها عام ١٤١٥هـ، ولم يذكرا وفاة ابن حجر، وغفلا عن طبعة البجاوي! ومثل **الأصمعيات** التي رجعا فيها إلى تحقيق محمد نبيل طريفي في دار صادر ببيروت عام ٢٠٠٢م، وغفلا عن طبعة شاكر وهارون! ومثل: **البداية والنهاية** لابن كثير (على الرغم من وجود طبعة دار إحياء التراث العربي عام ١٩٨٨م!)، **وبغية الوعاة للسيوطي** (على الرغم من وجود طبعة محمد أبي الفضل إبراهيم!)، **وتفسير البحر المحيط** (على الرغم من وجود طبعة دار الرسالة العالمية عام ٢٠١٥م!)، **وتفسير البغوي** (وكان في إمكانهما الرجوع إلى طبعة دار المعرفة!)، **وتفسير البيضاوي** الذي سماه الفاضلان الشيارزي! (وقد تكون الطبعة القديمة أوثق!)، **وجمهرة اللغة** لابن دريد (على الرغم من وجود طبعة رمزي منير بعلبكي عام ١٩٨٧م!)، **والدرر الكامنة** (على الرغم من وجود طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية عام ١٩٧٢م!)، والدر المصون (على الرغم من وجود طبعة دار القلم بتحقيق الخراط!)، **وطبقات الشافعية الكبرى** (على الرغم من وجود طبعة الطناحي والحلو!)، **وفوات الوفيات** (على الرغم من وجود طبعة الدكتور إحسان عباس!)، **والمصباح المنير** (على الرغم من وجود طبعة الدكتور عبدالعظيم الشناوي الصادرة عن دار المعارف، وقد سطت عليها الطبعة الدَّعية الصادرة عن المكتبة العلمية، فحذفت اسم المحقق ومقدمة

تحقيقه!)، ووفيات **الأعيان** (على الرغم من وجود طبعة إحسان عباس!).

٣٥٤-ختم الفاضلان تحقيقهما للكتاب بملخص إنجليزى يخلو من التماسك النصيّ، ويعتمد على الترجمة الحَرْفيّة، ويكفي كتابة ابن محيصن هكذا Ibn Muhasan !

وبعد، فهذه ملحوظاتي على التحقيق. وقد رأينا قصورًا في جمع النُّسَخ، وأخطاءً في القراءة، وأخطاءً في الضبط والإملاء، وسقوطًا وزيادات في نص المخطوطة بلا داعٍ، وأوهامًا في التخريج، وتعليقات في الهوامش لا قيمة لها!

وأرجو ألا تؤثِّر هذه الأخطاء في مكانة الأستاذين الفاضلين، وما أظن أن أخطاءهما ترجع إلى الجهل؛ ولكن يرجع معظمها إلى الكسل وعدم الاهتمام وقلَّة الخبرة بأصول التحقيق! فليس التحقيق تذييلًا للصفحات بتراجم المشهورين، ولكنه جمعٌ للنسخ، وتوثيق لنُقول المصنِّف، وتعليق على آرائه، وتدقيق في النص من أوله إلى آخره، ومراجعة لتجارب الطباعة حتى لا يخرج النصُّ محرَّفًا مشوَّهًا، فنزيد من نسخ المخطوطات نسخة جديدة!

(*) باحث معجمي ومحقِّق لغوي - القاهرة.

أحمد الشرقاوي إقبال
العالم والمربي

أحمد متفكر(*)

تقديم:

هنــاك أناس يقفون أنفســهم علــى الدرس والبحث، يولَعــون بهما، ويجدون فيهمــا لذة ومتعــة لا يعدلهما شــيء آخر، يبحثــون وينقِّبون، يقــرؤون ويطَّلعون، يحققــون ويراجعون، يشــرحون ويعلقــون، يكتبــون ويؤلفون، ذلــك همُّهم، وتلك غايتهم، لا يرجون وراءها جزاءً ولاشكورًا، وكأنما خُلقوا ليُعطوا.

والأســتاذ أحمد الشــرقاوي إقبال واحد من هذا النفر القليل، قضــى حياته في الدرس والبحث، وتعقب كتب التراث واللغة، وحُببت إليه العربية وعلومُها منذ شرْخ الشباب، فعكف على دراستها واستكشاف خباياها وأسرارها، وقد أعد لكل هذا العُدة اللازمة.

ولســت أعدو الحقيقة في شــيء إذا قلت بأن المرحوم بكرم الله السيد أحمد الشــرقاوي إقبال قــد فقدْنا فيه علَمًا من أعلام الفكــر، وحافظًا من حُفَّاظ هذا

العصـر، وباحثًـا واسـع الاطلاع، طويـل الباع، ولاسـيما في علم اللغـة العربية، والتراث العربي، بصيرًا بالكتب قديمها وحديثها.

كما كان وافر الذكاء، متّقد الذهن، حاضـر البديهة، كريم النفس، لا يتطلع إلى شيء من أمور الدنيا، وإنما كانت الأشياء تأتي إليه بمقدار، ولا ينظر إلى ما عند غيره، بل كان غنيًّا بالذي عنده، راضـيًا بما قسـم الله له. وقد جاء في الأثر: «خيركم من طال عمره وحسن عمله».

وأستاذنا الشرقاوي إقبال ليس بغريب على أحد منا، ولا يجهل أحد من رجال الفكر شخصـيته الفذّة التي مثّلت أجمل تمثيل جانب النبل والمروءة والصـلاح، وحب الخير للجميع.

عرفتـه لا يتعمـل الدرهم، ولا يجري وراءه، ولا يلتمس أمـام أعتاب الوجهاء وذوي الثروات، كان شريف النفس، عفيف الجيب

اسـمه الكامل ونشـأته: أحمد بن العباس بن الجيلالي الشـرقاوي، ينحدر نسـبه من أبي عبد الله محمد الشـرقي، الذي يرتقي نسـبه إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واسمه العائلي: الشرقاوي إقبال.

ولد سـنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م بدرب المجاط من حي باب أيـلان، أحد الأحياء القديمة التي احتضـنت خِيرة علماء هذه المدينـة المعطاء، ويكفي أن نذكر منهم القاضـي عياض، ومحمد بن المعطي السـرغيني، والسـيدة للّا محلة، التي كانت تحفظ **المدونة**، وغيرهم كثيـر.

لما بلغ الرابعة من عمره أدخله والده إلى كُتّاب الحي عند الفقيه السيد علال التجاني، فحفظ القرآن الكريم حفظًا تامًّا.

ولما انتقلت الأسـرة إلى حي حارة الصـورة أدخله والده إلى مدرسـة سيدي بوحربة، التي كان يشرف عليها العلامة سيدي أحمد أكرام، فأعاد قراءة القرآن

على الفقيه الشريف مولاي سعيد المصلوحي الملقب بـ (السبيع) إلى جانب حفظ بعض المتون؛ مثل **المرشد المعين**، وطرفًا من **تحفة ابن عاصم**، و**ابن آجروم**، و**جمل المجرادي**، و**نظم الزواوي في الجمل**، و**لامية الأفعال** لابن مالك، و**شافية ابن الحاجب** في التصريف، و**خلاصة ابن مالك**، و**مقدمة ابن الجزري** في التجويد إلى غير ذلك من المتون.

ويعد هذا الفقيه الأول الذي ولَّد فيه حب اللغة، بشرحه لكل لفظ غريب يحتويه نص من نصوص القرآن أو السيرة النبوية، إلى جانب الاستشهاد لهم بأقوال الشعراء. وكمثال على ذلك لما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1]، فيشرح للتلاميذ كل لفظة غريبة في القرآن أو السيرة النبوية، ويستشهد لهم بأقوال الشعراء، فمن إملاءاته التي بقيت عالقة في ذهن الأستاذ الشرقاوي قوله:

إن الفتيل ما التوى في الشِّقِّ ... من النوى قاله ذو حِذقِ
ونقطة في ظهرها النقيرُ ... والقشرة البيضا هي القطميرُ

ولما تكلم لهم الفقيه على شَعره ﷺ أملى عليهم قول القائل:

الوفرة الشعر لشحمة الأُذُن ... وجُمَّة إذ هي لمنكب تكُن
وسمي ما بينهما باللِّمةِ ... قد قال ذا جمهور أهل اللغةِ

وتأتي سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م لتقض مضجع الناس، وتسلبهم متعة الحياة بالمجاعة وتفشِّي الأمراض كالتيفوس وغيره، مما اضطر معه والده إلى إدخال هذا الطفل إلى حرفة (الشكايرية) ليساعده بعض الشيء، ويخفف عنه بعض العبء، لكن الطفل الطموح المتعطش إلى المعرفة لم يكن راضيًا عن هذه الحرفة التي ستبعده عن مجالس العلم والعلماء، فاتفق مع والدته على صنع (الطواقي) التي كان لها رواج في هذه الأثناء من طرف النصارى، على أن يدفع لوالده أربعة صولدي يوميًّا، ويسمح له بمتابعة دروسه، وكان الأمر كذلك، فانهمك الطفل في صنع الطواقي ببراعة فائقة، وصنعة دقيقة، وتابَع دراسته بجد ومثابرة. وفي

السـنة نفسـها، والطفل لم يتجاوز تسـع سـنوات، يمر من حي الموقف الذي كان يقام فيه سـوق لبيع الأشياء المسـتعملة؛ إذ يقع بصره على رجل سوسي اضطرته الفاقة وقلة ذات اليد إلى بيع بعض متاعه، ومن ضـمنها كتاب اسـتهواه عنوانه، إنه كتاب **مجرَّبات الديربي**، فيشـتريه هـذا الطفل المتعطش إلى الثقافة، ويكون أول كتاب يقرؤه في حياته. ومن هذا السوسـي تعلم علم الاسـتنزال الذي أصبـح بارعًا فيه. ثم ثنّاه بكتاب **تاج الملوك**، وهي منظومة في السحر والكيمياء وصناعة الحرف، ثم ثلَّثه بكتاب **الرحمة**. وربما سيلحظ البعض أن هذه الكتب التي وقعت في يده بالصـدفة ودون سـابق علـم أو اختيار، ودون أن يجد مـن يوجهه أو يأخذ بيده، فارتسمت هذه الصور في ذهنه، واختزلها في ذاكرته إلى كهولته، حيث نراه لايزال مشدودًا إلى هذا العلم، فخصص له كتابًا خاصًّا بالجن.

ثم انتقل إلى كُتَّاب آخر بحي درب ضباشـي عند الشيخ البركة السيد أحماد السوسـي، لكن إقامته لم تدم إلا بضـعة شـهور، حيث اقترح عليه هذا الشيخ أن يلتحق بالجامعة اليوسـفية عندما لمس فيه الطمـوح والرغبة والذكاء، فقرر هذا الطفل الالتحاق بالجامعة اليوسفية بعد أن تمكن تمكنًا كبيرًا من استظهار القرآن الكـريم غيبًا، ومعه طائفة من المتون العلمية التـي كانت تُدَرَّس على ذلك العهد، مثـل **التحفـة**، و**عبادات الشـيخ خليـل**، ومنظومات الـزواوي، و**جمـل المجرادي**، و**الخزرجية في العرروض**، و**المرشـد المعـين**، و**الجرومية**، و**مقدمة ابن الجزري**. ولا زالت هذه المتون عالقة بذهنه إلى آخر حياته.

وفي عـام ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م تقـدم لامتحان الالتحاق بالسـنة الأولى ابتدائي وهـو ابن اثنتي عشـرة سـنة، فيجتـاز الكتابي والشـفوي بتفوق. ومـن بين المواد الشـفوية التـي اختُـبر فيها مـادة الأدب التي يرأس لجنتها الرئيـس محمد بن عثمان، والأسـتاذ جعفر الناصـري، وقد انبهرا لقوة ذكائه، وكثرة محفوظه من الشـعر والنثر، وأصـبح منذ هذا اليوم محطَّ أنظار شيوخه، وفي مقدمتهم رئيس

الجامعة اليوسفية العلامة محمد بن عثمان، الذي اختبره في محفوظه الشعري والنثري مرات عديدة.

وقد حدث أن قدَّم هذا الطفل، وهو في السنة الثالثة ابتدائي لرئيس الجامعة اليوسفية، دفترًا يضم مطالع عدد من القصائد والمقطَّعات وبجانبها عدد أبياتها، فكان مجموع ما قدم عشرة آلاف بيت من الشعر العربي مما استظهره، فاندهش الرئيس وتشكَّك في أمره، وأجرى عليه اختبارًا ليتيقن من أمره وحقيقة دعواه، فانبهر لقوة حافظته ونبوغه المبكر، وأصبح ينوِّه به في المحافل العلمية وجموع الطلبة، وفتح له خزانته التي قرأ منها بعض الكتب.

وربما سيستغرب البعض مما أقوله، لكن المثل العربي يقول: (ليس من رأى كمن سمع)، ولنا في كتب الطبقات والرجال الكثير من هذا على مر العصور، وفي كل زمان ومكان. ذكر أبو علي القالي عن شيخه أبي بكر بن الأنباري أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشعر، يستشهد بها على غريب القرآن.

ومن البواعث التي دفعت به إلى الاهتمام بحفظ النصوص الشعرية والنثرية كثرة ما قرأ وسمع عن الحفاظ، وما كانوا يستظهرونه من النصوص، فقوَّى عزيمته، وشحذ ذهنه، واقتفى أثرهم، وقد ساعده على هذا إرادة قوية، وحافظة واعية، وذاكرة محصلة وعت الآلاف من الشعر.

لقد وهبه الله صبرًا وجلَدًا على القراءة، فإنه يقرأ كما قال: «الثماني ساعات وِصالاً، والعشر ساعات وِلاءً فما فوق ذلك، دون ضجر ولا سآمة، لا يقطعني ـ كما قال ـ إلا فريضة دينية أو قضاء حاجة بشرية»

ولا نستغرب هذا الإدمان على القراءة، خصوصًا إذا عرفنا أنه ربط علاقته بالكتاب وهو ابن تسع سنوات؛ إذ كان أول كتاب قرأه بالصدفة ـ كما سلف ـ هو كتاب **مجرَّبات الديربي**، ثم ثناه بكتاب: **تاج الملوك**، وهو منظومة في السحر

والكيمياء وصناعة الحِبر، وثلَّثه بكتاب: **الرحمة في الطب والحكمة.**

كما اتسعت قراءته في أصناف العلوم وضروب المعارف، وكان حريصًا على أن يقرأ شيئًا عن كل شيء، فأمعن في القراءة إمعانًا بلغ به عدد مقروئه آلافًا من الكتب والرسائل في شتى أنواع العرفان.

لقد كان مسرفًا في القراءة، إن صح أن في القراءة إسرافًا، فما زرته إلا وألفيته منكبًّا يقرأ أو يكتب، وأكداس الكتب عن يمينه وشماله.

كما نشأ عصاميًّا بما حصل من العلم والأدب، والذين زاملوه في الدراسة، أو عاشروه في صباه يوم كان يأخذ العلم، عرفوا ما كان يحمل نفسه من تعب، وما كان يرهقها به من عناء، مما لا يطيقه إلا العصاميون الأفذاذ، وكأنه يردد مع الشاعر طه الراوي:

يبكي الشبابَ أُناس كان دأبهمُ ... أن يرتعوا في رياض اللهو واللعبِ

أما شبابي فقد أبليتُ جِدَّتَه ... بين المحابر والأوراق والكتبِ

شيوخه :

لم تدم مسيرته التعليمية في رحاب الجامعة اليوسفية طويلاً؛ إذ انقطع عن الدراسة سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، وطوال هذه السنوات كان يواكب حلقات الشيوخ، يتنقل من حلقة إلى أخرى، ومن مسجد إلى زاوية أو رباط، ليروي ظمأه، ويشبع رغبته، وليتزود بزاد العلم من أفواه الرجال. ومن شيوخه:

١- الفقيه سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب (ت ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) ، قرأ عليه **تصريف العزي ولامية الأفعال.**

٢- العلامة محمد بن لحسن الدباغ (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، قرأ عليه التفسير من سورة الكهف إلى آخر القرآن مواظبة، كما قرأ عليه **العقائد النسفية** وسلم **الأخضري** في المنطق، **والألفية والشيخ خليل.**

٣- الفقيــه العلامة علي الســباعي رافع (ت ١٤١٩هــ/ ١٩٩٩م)، قرأ عليه **قطر الندى** لابن هشام.

٤- العلامــة ســيدي أحمد أكــرام (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، حضــر عنده في **صحيح مسلم**.

٥- العلامــة ســيدي محمد بوســتة، المعروف بالســي أمّــان (ت ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، كان يحضر عنده في دروس السيرة النبوية.

٦- العلامة سيدي أحمد الكنسوسي (ت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، قرأ عليه **شرح لامية العجم** لبحرق، و**شرح بانت سعاد** لابن هشام، كما حضر عنده في العديد من الدروس بصفة اختيارية.

٧- العلامة الرحالي الفــاروق (ت عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، قرأ عليه طرفًا من الشيخ خليل مع بعض الدروس الاختيارية في الدين والعربيـة.

٨- الفقيه الســيد بلهاشــمي محمد، قرأ عليه **مقدمة ابن آجروم** و**الألفية** وبعض الدروس في البلاغة.

٩- الفقيــه الســيد الهاشــمي الســرغيني بنميرة (ت ١٣٨٨هــ/ موافق ٢٩ دحنبر ١٩٦٨م) ، قرأ عليه **الخريدة** بشرح الدردير.

١٠- الفقيــه الســيد المختــار الســباعي (ت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، قــرأ عليه الحساب والفرائض.

١١- الفقيه العلامة الســيد عبد الجليل بلقزيز (ت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، قرأ عليه **سلم الأخضري** بشرح القويسني.

١٢- العلامة الرئيس الأستاذ محمد بن عثمان (ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، قرأ عليه **عمدة الأحكام** لابن دقيق العيد.

١٣- العلامة السيد محمد المختار السوسي (ت عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، أخذ عنه بالمذاكرة.

في ميدان التعليم:

لما فكر العمل بالتعليم الابتدائي طلب من رئيس الجامعة اليوسفية آنذاك، العلامة الحافظ السيد عبد القادر المسفيوي، شهادة مدرسية تثبت مستواه الدراسي، جاء فيها:

إن الطالب السيد أحمد بن عباس الشرقاوي، من قدماء تلاميذ الكلية اليوسفية، انخرط في سلك نظامها تحت عدد ٤٥، أول سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف، وبقي يتابع بها دروسه حتى الثالثة من دورها الثانوي، حيث انقطع عنها آخر سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف، وقد كان من نجباء طلبة هذه الكلية وتلاميذها البارزين عِلمًا وذكاءً ومروءة، وقُيد له بطلب منه شهادة يدلي بها عند الاقتضاء. والسلام.

وحرر بتاريخ ٩ جمادى الأولى عام ١٣٦٦هـ/ موافق ٨ مارس ١٩٤٦م.

رئيس الكلية اليوسفية

عبدالقادر المسفيوي أمنه الله

على ضوء هذه الشهادة التحق سنة١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م بمدرسة الحياة للتعليم الحر، التي كان يرأسها الفقيه الأستاذ أمبارك الغراس المشهور (بالسي ابريك) بأجرة شهرية قدرها (٢٠٠٠ فرنك). ثم التحق سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م بالتعليم الحكومي (كما كان يسمى آنذاك) بمدرسة عرصة المعاش الصناعية، يدرس فيها العربية والدين، واستمر فيها إلى سنة١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م، حيث التحق بمدرسة المعلمين الإقليمية، وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٧٨هـ، الموافق فاتح أكتوبر ١٩٥٨م عُين أستاذًا بالمدرسة نفسها، حيث دَرَّس مادة التربية مدة عشرين سنة، وطوال هذه

السـنين كان مثال الأسـتاذ، مطبوعًا على التعليم، يلذّه ويتذوقه، تميل إليه نفسه ويوائمه طبعه، ويسـكن إليه ضـميره، بل أصـبح التعليم صـفته التي لازمته مدة أربعين سنة. وقد تخرج به أجيال وطبقات من المعلمين والمربين في المغرب.

كان قمـة المدرِّس الرصـين، المخلص في عملـه، المحيط بعلمـه، الحريص علـى تهذيـب طلابه وتثقيفهم، الغيـور على لغته، القدير علـى التأثير في نفوس الطالبـين، المتفنِّن في الأسـاليب التـي تحبِّب إليهم الدرس، وتحضـهم على بذل الجهود في سبيل العلم.

لقد حُبب الشـرقاوي إلى تلامذته والمعنيين بأحاديثه، فقد كان ليِّن العريكة في تدريسـه، ينفذ بشرحه وتبسيطه لا إلى عقول تلاميذه فحسب، بل إلى قلوبهم أيضًا، فقد كانت له مقدرة عظيمة في تبسيط المادة وتفسيرها وإغنائها بالفوائد والطُّرف اللغوية والأدبية، مما يضـفي على درسه نكهة متميزة عن باقي زملائه الأساتذة.

شعره:

حاول في غُرة شـبابه أن ينظم بعض الأشعار في مناسبات وطنية واجتماعية ودينيـة وإخوانيات... إلخ. ولكنه على حـد قوله: «نظرت فيها بعدُ، فوجدتها غير شـيء، فأتلفتها غيرَ آسـف، وهي ما كانت لتفيد شـيئًا إلا أن تدل على أن ناظمها ليس من الشعر في شيء». ورغم محاولته إتلاف هذه النفثات القلبية، والزفرات النفسية، استطعت أن أعثر على بعضها.

قـال في رثـاء العلامة السـيد محمد بن عثمان المراكشـي، رئيـس الجامعة اليوسفية، والأب الروحي لها، وقد حلاه بقوله: «مقيد الفضيلة والنُّسك، وصاحب المآثر الحميدة والمزايا الرفيعة، شـيخ العلم والعلماء بالمغرب عمومًا، وبالحمراء

خصوصًا، الأستاذ المقتدر المطلع رئيس المجلس العلمي بمراكش السيد محمد بن عثمان».

أودى المنون فيا فضيلةُ نوحي ... بالطّيِّب النفس الزكي الروحِ
أودى به فمضى أجلُّ موفَّقٍ ... من بعد ما قد عاش خير مديحِ
أودى فلا رَقأَتْ مآقي مُقلة ... ضنَّت عليه بدمعها المسفوحِ
أوَّاه إن مصيبتي في هُلْكه ... قد برَّحت بي أيما تبريحِ
كيف السبيل إلى التصبُّر بعدما ... صنع الأسى بفؤادي المجروحِ
أسفي عليه وقد أشادوا نعشه ... وتلوه بالتهليل والتسبيحِ
أسفي عليه وما ترى يُجدي وقد ... واروْه بين جلامد وصفيحِ
إنْ أوحش القبر الذي استودعتَه ... يا خيرَ مدفون بخير ضريحِ
فلَيُؤنِسَنَّكَ فيه ما قدَّمتَ من ... عملٍ إلى دار البقاء صلوحِ

ومما قاله في محمد الموقت، لما عالجه من مرض الجن الذي أصيب به سنة ١٩٤٤م.

قيل عني بأنني مجنون ... قلت هذا هو البلاء المبينُ
ويقول الطبيب إن فؤادي ... جِدُّ مضنًى وما هداه يقينُ
ويقولون بالسلال سقيم ... خَفيَ الداء والسقام فنونُ
فتبينته وكان خفيًّا ... حيث بيّنت أنني معيونُ
حُقَّ عني بأن أصوغ ثنائي ... فيك إذْ أنت بالثناء قمينُ

القصيدة طويلة، ولم يبق منها إلا هذه الأبيات.

دمت للفن

قالها يوم تكريم شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم من طرف ثُلة من أصدقائه ومحبيه سنة ١٩٤٢م.

دمت للفن والعُلى بسلامِ ... يقظ السعد يا مليك الكلامِ
والذي يسحر النُّهى ببيان ... ينزل العصم من رؤوس الأكامِ
ومعانٍ تجْلى ويثمل منها ... سامعوها كفعل كأس المدامِ

تتمنى العينان لو عادتا سمـ ـعًا لتصغي لشعرك البسَّام
جمعنا ذا سماوة نحن فيها زاهرات وأنت بدر التمام
ونهار اجتماعنا بك هذا ليلة القدر من ليالي الصيامَ
شاعر الطبع شوقنا لمحيًّا ك كنبت الرُّبى لماء الغمام
دبَّ فينا هواك مثل دبيب الـ بُرء في جسم ذي الضّنا والسّقام
ومدى ما أقول ما قلت بدءًا دمت للفن والعُلى بسلامِ
ولو أني أطيق مني قيامًا بأدا الشكر والحقوق اللزام
نفد النفس دون نظمي وضاق الـ طرس عنه وكَلَّ حدّ القلام
وسلامًا يزري بريح الصبا لطـ فًا ويحكي ابتسام ثغر الكمام

في الثناء على الله

إلى من له الحمد أجزي الثنا مُسِرًّا به القول أو معلنا
حمدتك لا يزدهيني القريض ولا أنا أُحصي عليك الثنا
سبقت بآلائك الضافيات فمنها الفرادى ومنها الثنى
وتحسن للعبد لستَ تُبالي أكان المسيءَ أم المحسنا
وتسمع دعوته مصرخًا أكان الفصيحَ أم الألكنا
وتهديه قصد سبيل الحياة أكان الغبيَّ أم الأفطنا
وترزقه كافرًا ملحدًا وترزقه مسلمًا مؤمنا
دعوتَ لأرزاقك الجَفَلى فلا ضيف يُقصى ولا ضيفنا
وينتابك المذنب المستقيل فيا للحليم على من جنى
ويسألك الراغب المستميح فيا خير سمْح يجيب المنى
سألتك لم أقترح طلبةً فأحسِن كما شئت أن تحسنا

مؤلفاته:

المطبوع :

أما الأستاذ الشرقاوي الباحث والمؤلف، فإنتاجه كثير ومتنوع، منه ما هو في

اللغة، ومنه ما هو نشرٌ أو تحقيق أو فهرسة، ومنه في الأدب وما إليه، وهي مصنفة كالآتي:

اللغة والمعجم:

- **معجم المعاجم العربية**: تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية والتراثية. صدر عن دار الغرب الإسلامي عام ١٩٨٧م.

النشر والتحقيق :

١- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن** : لابن الجوزي، نشر وصدر عن مطبعة النجاح بالدار البيضاء عام ١٩٧٠م.

٢- **تخريج المعيار**: لأبي العباس الونشريسي، بالاشتراك مع جماعة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور محمد حجي ، صدر عن مطبعة فضالة بالمحمدية، ١٩٨١م.

٣- **المحاضرات في الأدب واللغة**: الحسن اليوسي، تحقيق بالاشتراك مع الدكتور محمد حجي، صدر عن دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٢م .

٤- **البيان والتحصيل**: لابن رشد الجد، تحقيق الجزء الرابع، صدر عن دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٤م.

٥- **البيان والتحصيل**: الجزء (٨)، والجزء (١٠)، تحقيق بالاشتراك مع الدكتور محمد حجي، صدر عن الدار نفسها سنة ١٩٨٤م.

٦- **تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير**: للشيخ محمد مرتضى الزبيدي. نشر وتقديم، صدر عن المطبعة الوطنية بمراكش عام ١٩٨٦م.

٧- **ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم**: جمع وتحقيق، بالاشتراك مع جماعة من الأساتذة؛ هم السادة: علي بن المعلم التاورتي، محمد بنبين، مولاي

الطيب المريني دنيا، ومولاي أمبارك العدلوني. مرقون على الآلة الكاتبة[٢].

الأدب :

١- **شاعر الحمراء في الغربال**: صدر عن مطبعة الجامعة بالدار البيضاء عام ١٩٦٣م.

٢- **لعبة الشطرنج في ماضيها الإسلامي**: مطبعة النجاح بالدار البيضاء عام ١٩٦٩م.

٣- **مختارات من ديوان شاعر الحمراء**: بالاشتراك مع الأستاذ مولاي الطيب المريني، صدر عن المطبعة الوطنية بمراكش عام ١٩٧٩م.

٤- **في اللغز وما إليه**: مطبعة النجاح بالدار البيضاء عام ١٩٨٧م.

٥- **ما جاء في الضب عن العرب**: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م.

الفهرسة :

١- **مكتبة الجلال السيوطي**: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط ١٩٧٧م.

٢- **فهارس المعيار**: الجزء (١٣)، بالاشتراك مع الدكتور محمد حجي ومحمد العرائشي ١٩٨١م.

٣- **بانت سعاد في إلمامات شتى**: دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م.

التربية والتعليم :

نصوص تربوية: المطبعة الوطنية مراكش ١٩٧٨م.

كتب في طور الإنجاز:

اللغة:

١- **معجم ما استعجم من أسماء العلوم والفنون والمذاهب:** يحتوي شروح طائفة من الكلم الأعجمية التي تعبر عن مصطلحات اعتقادية، أو فلسفية، أو فنية.... إلخ.

٢- **الفصحى من أفواه البلغاء:** معجم بلاغي مستشهد على ما فيه من الكلم بشواهد شعرية ونثرية، يراعى فيها الوجازة وتمام السياق، على أن تكون الكلمة المستشهد عليها هي موضع الصنعة في الشاهد الشعري أو النثري.

٣- **قاموس أفعولة:** يحتوي على الكلم التي جاءت على وزان أفعولة، مشروحة لغة وصرفًا، مع إيراد الشواهد والنصوص المتعلقة بذلك.

٤- **قاموس مفعلة السببية:** يحتوي الكلم التي جاءت على مثال مفعلة التي تبين السبب في كون الشيء وحدوثه؛ مثل قولهم: الولد مبخلة مجبنة، أي: يجعل أباه بخيلاً جبانًا وإن لم يكن كذلك، بسبب حرصه على مصالحه، مشروحة شرحًا لغويًّا شافيًا.

٥- **قاموس الفعول:** دواءً وطعامًا ومرتفقًا.

٦- **قاموس الفعال في الأدواء:** دوَّن فيه ما جاء من أسماء الأمراض على فعال.

٧- **قاموس الفعالة في الصناعات والحرف والأعمال .**

الأدب:

١- **تعليقات على ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم.**

٢- **تخريج الأشعار السائرة.**

٣- **الأطباء في ألْسنة الشعراء**: مجموع شعري يتضمن ما قالته طائفة من الشعراء في الأطباء مدحًا وقدحًا.

٤- **ديوان التضمين**: يحتوي مختارات من التضمينات الجياد الحسان.

الفهرسة:

- **مكتبة الصلاح الصفدي**: فهرسة تعرِّف بمؤلفات الصلاح الصفدي منسوبة ومخطوطة ومطبوعة.

القرآن:

- **كشكول التفسير**: وهو عبارة عن مجموع ضمَّنه أشياء عن عربية القرآن، نحوًا وصرفًا وبلاغة، وأودعه أنماطًا من التفسير الخفيف، وضروبًا من الأخبار والأقاويل التي لها صلة بالتفسير، وأودع فيه نكتًا وتمثُّلات وتضمينات واقتباسات مما يدخل في الطرائف.

منوعات:

١- **سبع محاضرات في موضوعات أشتات**: يتضمن محاضرات أُلقيت في مناسبات.

٢- **يسألك الناس**: عبارة عن مجموع أجوبة على أسئلة في الكتب التراثية، وتوثيق الأشعار، والعبارات المأثورة، ومسائل شتى.

٣- **كتاب في الجن**.

وفاته: توفي يوم الثلاثاء ١٦ رجب ١٤٢٣هـ، موافق ٢٤ شتنبر ٢٠٠٢م، على الساعة ١٨,٣٠، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة العصر بمقبرة باب أغمات. وقد رثاه ثُلة من أصدقائه ومحبيه وعارفي فضله شعرًا ونثرًا.

الهوامش:

(*) كاتب ومؤرخ - المغرب

(١) سورة النساء، آية ٧٧.

(٢) صـدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان سـنة ٢٠٠١م، ضبط وتنسـيق وتعليق الدكتور أحمد شوقي بنبين. وأعيد طبعه سنة ٢٠٠٣م طبعة مزيدة ومنقحة تحت إشراف الأستاذ نفسه.

العقيلات، مآثر الأجداد على ظهور الجياد، تأليف عبداللطيف بن صالح بن محمد الوهيبي، المراجعة التاريخية: سليمان بن إبراهيم الجريش، عبدالكريم بن صالح الطويان، عبدالله بن سليمان أبا الخيل، عبدالله بن سليمان المرزوق، اختيار وترتيب الكشافات: محمد بن عبدالله الفريح، الرياض: العبيكان، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٨م، ٦ أجزاء.

هذا الكتاب سفر كبير يحكي قصة رجال «العقيلات». وهم، لمن لا يعرفهم، «تجار من نجد، وبخاصة منطقة القصيم (معظمهم من بريدة)، تاجَروا بالإبل والخيول والأغنام، يصدرونها إلى بلاد الخليج، والعراق، وبلاد الشام: الأردن وسورية وفلسطين، ومصر. ويصلون بنشاطهم التجاري إلى السودان، وفي عودتهم إلى بلادهم يحملون معهم الأسلحة والقهوة والشاي والسكر والأرز والأواني والملابس إلى وسط الجزيرة العربية».

هذه الرحلات التي تشبه رحلتي الشتاء والصيف القرشيتين، لها في ذاكرة أبناء الجزيرة العربية تاريخ لم يدون، وقصص كثيرة لم تُجمع، وأدب لم يصادف الكتابة بعد.

يحاول هذا الكتاب الموسوعة أن يجمع كل شاردة وواردة عن (العقيلات)، مما أمكن جمعه من معلومات، معتمدًا على الوثائق التاريخية، أو ما حفظته الذاكرة، ووعته الأجيال عن هؤلاء الرَّحالة التاريخيين، سواء أكانت معلومات تتعلق بالنواحي المادية، من حيث وصف أسواق (العقيلات)، أو أنواع ما يتاجرون به من الأنعام والمواشي، وصفاتها، وأسعارها، وكيفية بيعها، ولما يلزم لذلك من

أدوات أو يتصل به من إجراءات، أو ما يرتبط بحياة (العقيلات) من وسائل الارتحال، أو أماكن السكن، وأنماط العيش، وأساليب الحياة، أو كانت تتعلق بالجوانب الثقافية تاريخيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وأدبيًّا وعلميًّا، ونحو ذلك.

ومع أن الرحلة في الغالب تنطلق من سوق الجردة في بريدة، الذي يتحدث عنه الكتاب بإسهاب، إلا أن الكتاب يؤرخ أيضًا لأسواق هذه التجارة في البلدان التي ارتادها (العقيلات)؛ كالأردن، والعراق، وسورية، وفلسطين، ومصر، في جهد فريد، لا نظنه وجد العناية الكافية في تلك البلدان.

ثم يضم الكتاب بعد ذلك تراجم لكل من أمكن ترجمته من رجال (العقيلات)؛ فيحوي تراجم عدد كبير من الشخصيات التي زاولت هذا العمل، وشاركت في هذا النشاط. وقد استغرقت التراجم أربعة أجزاء من أسفار الكتاب.

يزخر الكتاب بالوثائق الخطية، والصور القديمة، ويرصد وسم الإبل لكل تاجر ممن ذُكرت له ترجمة.

خُصص الجزء السادس لفهارس الكتاب وكشافاته، وهي من اختيار وترتيب عبدالله بن محمد الفريح، وقد ضمت ٣٣ كشافًا متنوعة الموضوعات، إلى جانب كشاف المصادر والمراجع. وهذه الكشافات - لضخامتها وتفاصيلها - تعد فريدة من نوعها؛ إذ قلَّما توجد فهارس تماثلها عدديًّا في الكتب العربية.

أ.م.ض

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الخامس والسادس - السنة ٥٥

ذو القعدة وذو الحجة ١٤٤٠هـ

تموز - آب/ يوليو - أغسطس ٢٠١٩م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضــمن اهتمامات المجلة، وهـي الموضــوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من ســلامة اللغة، وحســن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

أثر وَحدة السياق الفني في تكوّن الشعر القديم

د.عبدالله بن سليم الرشيد(*)

يطمح هذا البحث إلى فحصِ الأساليب في قصائد اتّحد سياقها الفني، وتتبّعِ بعض مظاهر الشعريّة فيها ونموِّها. ويمكن إيجاز أسئلة البحث وإشكالاته فيما يأتي:

- ما أثر وحدة السياق الفني في تشكيل اللغة؟

- ما أثر هذه الوحدة في تشكُّل الصور الشعرية؟ وهل يسهم في تشابه الصور واستيلادِ بعضها من بعض؟ أو أنَّ وحدة السياق لا تؤثر تأثيرًا واضحًا؟

- هل يمكن لموسيقا الإطار فيها أن تتفرد بخصائص؟ وهل لموسيقا الحشو سمات؟

- هل لوحدة السياق الفني تأثير في بناء القصائد؟

- هل تتوارد الشعرية في قصائد متّحدة السياق الفني على مظاهر مشتركة وطرائق متماثلة؟

وقد ارتأيتُ أن أفيد في هذا السبيل من المنهج الأسلوبي؛ لأنه يضع اليد على مظاهر تطور الأساليب، ويمكِّن من فهم طبيعة التناول الفني عند شعراء العرب، على تعدّد بيئاتهم، واختلاف أزمنتهم، ويعين على تلمُّس التفرّد الأسلوبي، وما

يمكـن عدُّه مظهرً أسـلوبيًّا عند المبدعين. مقدِّرًا أنه سـوف يصـل بـي في نهاية المطاف إلى رَوزِ أثر وحدة السياق الفني في تشكّل الشعر.

وقد يُذهَبُ إلى أن الأسـلوبية لا تلائم النصـوص التي يتعدّد قائلوها، وأنها ناجعة في دراسـة نتاج أديب واحد، غير أني أرى أن نفحص قدرة الأسـلوبية على الإمسـاك بذلك، وإنْ تعدّد القائلون؛ ولا سـيّما في دراسـة النصـوص المتشابهة، كالمعارضات والنقائض، والنصوص التي يجمعها سياق نفسي أو اجتماعي واحد، كالعينيات مادّة هذه الدراسة.

والمعـوّل عليـه هنا هو اتفاق محرّكات القول والأُطر الفنية، لكي نسـبر قدرة المنهج الأسـلوبي على وضـع اليد علـى الأنماط اللغوية والتركيبات الأسـلوبية في الشعر العربي القديم.

على أن ثمّة دراسـات أعملت المنهج الأسـلوبي في نصوص لشعراء عديدين، وخرجـت بنتائج جيدة[١]، وهذا يفتح أفقًا للضـرب في مفـاوز هذا المنهج؛ فلعلنا نصـل إلى كلمة سـواء عن صـلاحيته لمثل هذا النمـط من التحليـل، أو أن نجد أنفسنا - ونحن نُعمِله - عاجزين عن بلوغ المُتَوَخّى من النتائج.

هذا وقد أفدت أيضًـا من بعض أدوات المنهج الإنشـائي (الشـعرية)، آخذًا بما قيل عن شـعرية الأسـلوب التـي «تعالج أدبية النصّ باعتبارها مجموعةً من الخصائص الملازمة للّغة الجمالية»[٢]، ومفيدًا من مفهوم (الأدبية) بعامة؛ لأنها تسـبر الخصـائص الأدبية في النص، أو ما يُعدّ به المنجَز أدبًا، وترصـد السُّـنن الفنيـة التي يتوخّاها الأديب، والأنماط التعبيرية التي يسـمو بها إلى تجاوز اللغة العادية، وبناء لغة جديدة، يتحقّق بها مفهوم (الشعرية) أو (الأدبية) التي تصنع فرادة العمل الأدبي، وتشـمل خصائص المرسِـل والمرسَل إليه والرسالة، مع أخذ السياق الثقافي والاجتماعي واللغوي بعين فاحصة[٣].

وتنبع قيمة هذه الدراسة - فيما أحسَب وأرجو - من كونها تسبر التراكم الفني، «ومن التراكم اعتبار الأثر الأدبي حدثًا له ما للأحداث الأخرى من قيمة، مع فارق تحتّمه الخصوصية التي ينتمي إليها الأدب»[٤].

مفهوم (وحدة السياق الفني):

قصدت بوحدة السياق الفني أن تكون القصائد على وزن واحد وقافية واحدة ورويٍّ واحد، وغرض واحد، وهي هنا قصائد رثائية على البحر الطويل. قافيتها من المتدارك (أي فُصِل بين ساكنيْها بحركتين) ورويُّها العين المفتوحة المتبعَة ألفَ الوصل.

مدوّنة البحث:

إن من الصعوبة أن تُستنطق كل النصوص التي تندرج في هذا السياق؛ لغزارة المنجَز الشعري بعامة، وصعوبة الإحاطة به، ولكثرة ما وقفتُ عليه من مراثٍ مندرجة في هذا السياق؛ وعليه رأيت أن أحدَّ مدوّنة البحث ببداية ونهاية، أراعي فيهما امتداد الزمن، واختلاف التجارب، وتنوّع المذاهب الشعرية، ثم أنتقي مجموعة أراها ناطقة بما يستحق النظر والتأمُّل، كاشفةً عن أساليب وطرائق عدّة، لشعراء مختلفي النزعات، متبايني الذيوع والشهرة، متعدّدي الأزمنة، مقدِّرًا أن الجمع بينهم يعين على استظهار أثر وحدة السياق الفني في تشكّل الشعر القديم.

فأما البداية، فجعلتها من عينية متمِّم بن نويرة (ت نحو ٣١هـ)[٥] التي يصدُق عليها وصف (النموذج أو المثال) الذي يحتذيه الشعراء ويعارضونه، فيصبح مثلاً أعلى[٦]. وهي التي أطبق على استحسانها نُقّاد الشعر وصيارفته من القدماء، كابن سلَّام (ت٢٣١هـ) الذي جعله بها رأسَ أصحاب المراثي، وجعلها المقدَّمة من مراثيه[٧]، والمبرّد (ت٢٨٦هـ) الذي عدّها من المراثي المشهورة

المستحسنة المستجادة، وقال: إنها تتقدّم سائرَ شعره، وأن فيها أبياتًا من حُرِّ الكلام وصادق المدح[٨]، ونقل أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) أنها «أحسن ما قيل في المراثي»[٩]، ومطلعها[١٠]:

لعَمري وما دهري بتأبين هالكٍ ... ولا جزعٍ مما أصاب فأوجعا

تليها عينية لبيد بن ربيعة (ت نحو ٤١هـ)، ومطلعها[١١]:

يا ميُّ قومي في المآتم واندُبي ... فتًى كان ممن يبتني المجدَ أروعا

وعينية المعطَّل الهُذَلي (ت؟)، أو مَعْقِل بن خُوَيلد (ت؟)[١٢]؛ ففي نسبتها خلاف، ومطلعها[١٣]:

لعمري لقد نادى المنادي فراعني ... غداةَ البُوَينِ من بعيدٍ فأسمعا[١٤]

وعينية الفرزدق (ت ١١٠هـ)، ومطلعها[١٥]:

لئن صبر الحجاجُ ما من مصيبة ... تكونُ لمَرزوءٍ أجلَّ وأوجعا

وعينية جَوّاب الأسدي (ت؟)[١٦]، وأوّل المرويّ منها[١٧]:

لعمرُك إن اللومَ لن يُلبثَ الفتى ... وطولَ البكا أن يستكينَ ويخضعا

وعينية يحيى بن زياد (ت نحو ١٦٠هـ)[١٨]، ومطلعها[١٩]:

ألا نوّه الداعي بليلٍ فأسمعا ... بخِرْقٍ كريم كان في الناسِ أروعا[٢٠]

وعينية الحسين بن مُطَير الأسدي (ت نحو ١٧٠هـ)[٢١]، ومطلعها[٢٢]:

أَلِمّا على معْنٍ وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مَربعًا ثمّ مَربَعا

وعينية عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي (ت نحو ١٩٠هـ)[٢٣]، وأول المرويّ منها[٢٤]:

فما أمُّ سَقْبٍ أودعتْه قرارةً ... من الأرضِ وانساحت لترعى وتهجعا[٢٥]

وعينية أبي تمام (ت٢٣١هـ)، ومطلعها[٢٦]:

أصمَّ بك الداعي وإن كان أسمعا ... وأصبح مغنى الجودِ بعدك بلقعا

وآخرهنّ عينية ابن زيدون (ت٤٦٣هـ)، ومطلعها[٢٧]:

ألا هل درى الداعي المُثَوِّبُ إذْ دعا ... بنعيِك أن الدينَ من بعضِ مانعى[٢٨]

وهذا جدول يوجز أسماء قائلي العينيّات، مع ذكر المرثيِّين بها، وعدة أبيات كل منها:

م	القائل	عدد الأبيات	المرثيّ
١-	متمّم بن نويرة	٥١ بيتًا	أخوه مالك بن نويرة
٢-	لبيد بن ربيعة	١٠ أبيات	أخوه أربَدُ بن قيس
٣-	الهُذلي	١٠ أبيات	عَمْرٌ[٢٩] بن خُويلد الهذلي
٤-	الفرزدق	٣٧ بيتًا	محمد بن يوسف ومحمد ابن الحجّاج
٥-	جوّاب الأسدي	٧ أبيات	أخوه
٦-	يحيى بن زياد	١٠ أبيات	أخوه عَمْر بن زياد
٧-	الحسين بن مطير الأسدي	١٦ بيتًا	معن بن زائدة
٨-	عبدالملك الحارثي	٩١ بيتًا	أخوه سعيد
٩-	أبو تمام	١٠ أبيات	محمد بن حُميد
١٠-	ابن زيدون	٤٩ بيتًا	أم المعتضد

وقبل أن أنطلق إلى دراسة هذه العينيات، أُشيرُ إلى أن قرائح جمهرة من الشعراء، مشهورين ومغمورين، توافَتْ على اتخاذ هذا السياق الفني (البحر الطويل مع العين المفتوحة المتبعَة ألفَ الوصل، بقافية المتراكب) سبيلاً للرثاء، حتى قيل عن بيتين من هذا القَرِيّ - على ما يُنقل عن الأصمعي (ت٢١٦هـ) - إنهما أرثى شعر للعرب:

ومن عَجَبٍ أن بِتَّ مستشعرَا الرَّدى ... وبِتُّ[٣٠] بما زوّدته متمتِّعا
ولو أنني أنصفتُك الودَّ لم أبِتْ ... خلافَك حتى ننطوي في الثرى معا[٣١]

وممن رُويت لهم قصائدُ على هذا القَرِيّ ليلى الأَخْيلية (ت نحو ٨٠هـ)، وإن لم يصلنا من كلمتها سوى بيتين، هما:

لِتَبْكِ العَذارى من خفاجةَ كلُّها ... شتاءً وصيفًا، دائبات ومربَعا
على ناشئٍ نالَ المكارمَ كلَّها ... فما انفكَّ حتى أحرزَ المجدَ أجمعا[٣٢]

وعَمْرُ بن سالم الخزاعي الصحابيّ (ت؟)، ومن قصيدته قوله:

لعمري لئن جادتْ لك العينُ بالبُكا … لمحقوقةُ أن تستهلَّ وتدمعا[٣٣]

وعبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز (ت نحو ١٣٢هـ) في رثائه لأخيه عاصم (ت١٢٧هـ)، ومنها قوله:

فإن تك أحزان وفائض عبرة … أذابتْ عَبيطًا من دم الجوفِ مُنقَعا

تجرّعتُها في عاصمٍ واحتسيتُها … فَأعظمُ منها ما احتسى وتجرّعا[٣٤]

ولأعرابي:

لئن كانت الأحداثُ أطولْنَ عَولتي … لفقدك أو أسْكنَّ قلبي التخَشُّعا

لقد أمِنتْ نفسي الحوادثَ كلَّها … فأصبحتُ منها آمنًا أن أُفَزَّعا[٣٥]

ولأبي هلال العسكري:

على الرغمِ من أنفِ المكارمِ والعُلا … غدتْ داره قفرًا ومغناهُ بلقعا[٣٦]

فهل كان اجتماع القرائح على ارتكاب ذلك الوزن والرويّ ـ تخيّرًا كان أو عفوَ الخاطر ـ في معرِض الرثاء داعيًا إلى توافقهم في الأساليب؟

لقد عرض بعض النقاد مسألة استحضار بعض الشعراء لقصائد مشهورة، والنظم على منوالها، فقال: «وكأن اختيار هذا الضرب من البناء يُلزم الشاعرَ بالسموّ إلى مرتبة من الجودة لا يجوز له الوقوع دونها»[٣٧]. وهذا ملمح مهمٌّ، وهو ذو وشيجة بما أنا متوفّر عليه؛ فإنَّ توافق النصوص الشعرية في سياق واحد ينتُج في كثير من الأحوال عن إعجاب اللاحق بالسابق، وقد يقع للشاعر أن يسمع الشعر المعجِب، فيطربَ له، فيهمهمَ بشعر على نمطه، وربما نظم على منوالٍ اختزنته ذاكرتُه دون أن يشعر. وليس ذلك معارضةً ضربة لازب، فإن للمعارضة دواعيها وشروطها وأنماطها المعروفة[٣٨] التي تتقاطع مع قصائد الوحدة السياقية، ولا تطابقها.

ومن ثَمَّ أقول: إن إجالة النظر في القصائد العشر مادة الدراسة قد تكشف

شيئًا من ملامح تطوّر الأساليب ونموّ الشعرية العربية، وقد تضع اليد على أسباب تصاقب الأساليب وتواترها على لاحبٍ فني ما نزال نراه متردّدًا إلى يومنا هذا.

ولعلي بما نهدتُ إليه أن أستن بما قاله حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) عن مسألة التفضيل بين شاعرين، إذِ اشترط لذلك «أن كليهما نظم شعره على حال واحدة من النشاط وقوة الباعث وانفساح الوقت، وكانا قد سلكا مسلكًا واحدًا، وذهبا من المقاصد مذهبًا مفرَدًا، أو كان مذهب أحدهما مقاربًا لمذهب الآخر ومناسبًا له، وكان شعرهما في عروض واحد أو عروضين، غير بعيدٍ نمطُ الكلام في أحدهما عن نمطه في الآخر»[٣٩]. فهذا الضبط الحازميُّ لشروط التفضيل بين شاعرين يخدم مرادي من (وحدة السياق الفني)، والكشف عنها وعن أثرها في القصائد.

هذا، وسوف أجعل هذه الدراسة أقسامًا، أبدأ فيها بالنظر في اللغة ألفاظها وتراكيبها، ضاربًا صفحًا عن المستوى الصوتي؛ لأني لم أجد لإثارته وجهًا في دراسة كهذه؛ إذْ ليس فيه ما يستدعي النظرَ من جهة وحدة السياق الفني. ثم أعرض للصورة الشعرية، وهي التي وجدت فيها مستَرادًا من القول طريفًا، يأتي بيانه إن شاء الله، ثم أقيّد بعض الملاحظ على الموسيقا والبناء، جانحًا إلى لفت القارئ إلى ما له صلة بهذه الوَحدة التي عليها مدار البحث.

مظاهر في اللغة:

استوقفني في القصائد المدروسة أن استعمال الضمائر متوازن غالبًا، أي لا غلبة ظاهرة لضمير دون آخر، ولهذا سوف أُلِحّ على النظر في الضمير الذي يعود على المرثيّ فحسب، ولن أقف عند كلّ الضمائر؛ لأن المعوَّل عليه هو اكتشاف مظاهر الخصوصية، وهو ما لا يحتاج إلى تحليل شامل لكل الضمائر من غيبة وخطاب وغيرهما؛ ذلك أنها - أي الضمائر - من أُسُس القول، ولا يستغني عنها المتكلم.

وفي هذا الجدول ما يكشف ذلك، ويليه تعليق أرجو أن يكون محرِّرًا لبعض

المسائل:

القائل	استعمال الضمائر المتصلة بالمرثيين وحركتها في القصائد		
١- متمّم بن نويرة	ضمير الغائب منذ المطلع إلى نهاية البيت السادس عشر	ضمير المخاطب في بيتين فحسب (١٧، ١٨)	رجع إلى الغائب من البيت ١٩ إلى نهاية القصيدة في البيت ٥١.
٢- لبيد بن ربيعة	الغائب في القصيدة كلها		
٣- الهذلي	الغائب	استعمل ضمير المخاطب في البيت السابع فحسب	
٤- الفرزدق	الغائب		
٥- الحسين بن مُطير	الغائب في البيتين الأولين	انعطف إلى ضمير المخاطَب في البيتين ٣، ٤، ثم عاد إليه في البيت ١١	سيطر الغائب على سائر الأبيات
٦-جوّاب الأسدي	الغائب		
٧- يحيى بن زياد	الغائب	عدل إلى المخاطَب في الأبيات ٣-٧	رجع إلى الغائب في باقي القصيدة
٨- عبد الملك الحارثي	من المطلع إلى البيت العشرين، لم يُذكَر المرثيّ لا غائبًا ولا مخاطبًا	بدأ بالمخاطب في البيت ٢١ واستمر إلى البيت ٢٨	رجع إلى الغائب من البيت٢٩ إلى خاتمة القصيدة في البيت ٩١
٩- أبو تمام	المخاطَب في المطلع	عدل إلى الغائب في الأبيات ٢-٨	رجع إلى الغائب في آخر القصيدة ٩-١٠
١٠- ابن زيدون	المخاطب في الأبيات الأربعة الأولى	الغائب في سائر الأبيات	

ويمكن الخروج بملحوظات عدة، مجملة فيما يأتي:

سيطر ضمير الغائب على القصائد، ولاسيما في المطالع، وهذا منتظَر متوقّع؛ لأن الميِّت المرثيّ غائب، فالملائم لبكائه ضمير الغياب.

ويأتي ضمير المخاطَب مرادًا به المرثيّ، وسرّ ذلك شدّة تعلُّق الراثي به؛ إذْ يجد في مخاطبته ضربًا من الشعور الكامن بأنه حيٌّ يسمعه، ويتلقّى خطابه، وهذا بيِّن كلَّ البيان في قصيدة متمّم التي أعُدّها أشجى قصائد هؤلاء الشعراء، وأكثرَها اكتنازًا بالأسى والحزن، وشدة اللوعة، تليها قصيدتا الحارثي وابن مُطير.

ويظهر ضمير المخاطَب مرادًا به غيرُ المرثيّ في القصائد التي قُصِد بها التعزية، كقصيدتي الفرزدق، وابن زيدون؛ ولهذا فالنظر فيه ليس بذي خصوصية هنا، ولا صلة له بوحدة السياق الفني.

وفي تنويع الضمائر ضربٌ لطيف من الالتفات، الذي يعدُّه بعض البلاغيين «خلاصة علم البيان»(٤٠). ولنأخذ مثلاً قصيدة الحارثي التي تكوّنت من ثلاثة مقاطع، أولها صورة استدارية في عشرين بيتًا لم يُذكر فيها المرثيّ، آخرها قوله:

بأوجعَ مني يا سعيدُ تحرّقًا   عليك ولكن لم أجدْ عنك مدفعا

وتأمّل هذه البداية المماطِلة، فالشاعر يماطل شجنَه بتأخير ذكر المرثيّ والضربِ صفحًا عن إيراد ضميره، ثم لم يجد بدًّا من ذلك، فقال في البيت الحادي والعشرين، وملؤه الشجن: (لم أجد عنك مَدْفَعا)، وهي جملة ذات دلالتين: الأولى: لم أجد مدفعًا عن التصريح باسمك ومناداتك، والثانية: لم أجد مدفعًا للموت. فالحارثي يهرب من ضمير الخطاب، ولهذا جاء به في ثمانية أبيات فحسب من واحد وتسعين بيتًا! وكأنه آثر أن يتحدث عن أخيه بضمير الغائب لأنه أخفُّ شجًى، أو لأنه وطَّن نفسه على غيابه، فلم يشأ أن يخادعها.

أما أبو تمام فبدأ ببيت يخاطب فيه المرثيّ استحضارًا لشخصه، وهو من رجالات الدولة ووجوهها:

أَصَمَّ بكَ الناعي وإن كان أسمعا   وأصبحَ مغنى الجودِ بعدك بلقعا

ثـم تـرك الخطاب في البيت الثاني، وكأنه التفت إلى المتلقِّين، فلم يعد يواجه المرثيَّ بكلامه، فقال: (لِلَحدِ أبي نصرٍ تحيةُ مزنة)، وفي هذا استبكاءٌ واستدعاءٌ للشَّجَن المشـترك، الذي يضمن للشاعر التأثرَ بشعره، والاهتزاز له. ومضى على هذا حتى بلغ البيت التاسـع، فالتفت مرة أخرى معيدًا ضمير المخاطَب (فإن تُرْمَ عن عمرٍ تدانى به المدى، فما كنتَ إلا السـيفَ...)؛ لأنه لا يريد أن يفقد شـخص المرثيّ، ولا أن يلابسه الشعور بأنه سامع واعٍ لما يُقال فيه. وهذا يؤكد أن الالتفات «مقصور على العناية بالمعنى المقصود»[٤١]، وليس تلوينًا للأسلوب فحسب.

ويلفـت النظـر أن ابن زيدون عدل عن ضـمير الغيـاب في رثاء المـرأة، إلى ضـمير الخطاب، مبتدئًـا به القصـيدة: (إذْ دعا بنعيك، لرُزئـكِ تنهلُّ الدموعُ، باكيًا عليكِ...)، واستمرّ على هذا في الأبيات الأولى الأربعة، ثم رجع إلى طريقة الآخرين فجعلها غائبة؛ وكأنه شـعر بأن مقام الخطـاب - وهو يعزّي ابنها الأمير - يقتضـي أن يعبّر عنها بضـمير الغيبة؛ فذلك أجلُّ لها، وأكـرم لمقامها، ومن ثمّ أمكن القول بأن وحدة السياق الفني أزّته إلى طريقة أولئك الشعراء، ولاسيّما أنه متأثر بقصيدة متمّم، مستوحٍ لكثير من معانيها العامة.

إن وحدة السـياق الفني جعلت هؤلاء الشـعراء يتواردون على تغليب ضـمير الغائب في التعبير عن المرثيّ، ولا شـكّ في أن لوحدة الغرض أثرًا أكبر من وحدة الإيقـاع؛ لأن للغرض من السـطوة مـا ليس لغيره، ولكن اتفـاق الغرض والإيقاع، بوزنه ورويِّه، يزيدُ انشـداد المنشـئ إلى النمط أو النموذج الذي انطبع في ذهنه، فكان أشـبه بالمَعين المورود، بل إن وحدة السـياق تجعل التأثر والتوارد على ألفاظ بعينها ضربةَ لازب؛ ولاسيّما في ألفاظ الفجيعة والبكاء والحسرة.

ولا شـك في أن الأثر الأول الذي يسـيطر على الشـاعر - وهو هنا عينية متمّم افتراضًـا[٤٢] - يظهـر بألفاظه وتراكيبه (معجمه الشـعري)، ولاسـيما في ألفاظ القافية، ولنتأمل هذه الطائفة المشـتركة من كلمات القوافي[٤٣]، ولنتبيّن من هذا

الجدول نماذجَ من تردُّدها وتكرارها في القصائد المدروسة:

متمّم	لبيد	الهذلي	الفرزدق	ابن مُطير	جوّاب	ابن زياد	الحارثي	أبوتمام	ابن زيدون
أوجعا	أوجعا		أوجعا				أوجعا		
أروعا	أروعا	أروعا	أروعا			أروعا	أروعا		أروعا
أوضعا							أوضعا		
معا		معا	معا	معا		معا	معا		معا
ودَّعا			ودعا	ودعا			ودعا	ودعا	ودعا
تُبّعا	تُبّعا		تُبّعا				تُبّعا		
أجمعا			أجمعا				أجمعا		
موجعا							موجعا		موجعا

وهذه نماذج، وليست مستغرقةً كلَّ ما تردّد من هذه الدوالِّ، التي تكشف كثافةَ المشترك بين متمّم والفرزدق والحارثي؛ وعلّة ذلك انتحاء الأخيرين المعارضةَ في الغالب، أو تأثرهما البالغ بمتمّم، وعلى الضدّ أن تقلّ المشتركات مع آخرين؛ لأسباب منها قِصَر القصائد، واختلاف مقام القول؛ أي ألا تُمحَض القصيدة للرثاء، بل يكون معها تعزية أو مدح.

وغالب المشتركات في كلمات القوافي وفي حشو القصائد مستقًى من معاجم تلائم الغرض والمقام، فـ(معجم الموت) هو الذي يغشى القصائد كلَّها، وهذا غير ذي عجَب؛ فالغرض الرثائي يقتضي ذلك، وفيه نجد ألفاظًا مثل (الموت، ودّعا، رُزْء، جدَث، قبر، ناعٍ، المنية والمنايا والمنون).

ويليه (معجم الحزن) الذي يلابسه ولا ينفكّ عنه، وفيه تندرج ألفاظ من قبيل (حُرَق، موجعا، يفجعا، شجا وشجية).

وتظهر ألفاظ (معجم المطر) فيها ظهورًا، لنأخذ هذه الطائفة: (الغوادي، المدجنات، سقتك، سيل، وسميًّا، روّى، مربعًا، غيمه)، وظهورها - ولاسيما عند الجاهليين والمخضرمين - متصلٌ بطبيعة عيش العرب القاسية التي تجعلهم

يشفقون على الميّت، ويألمون لحاله وهو ظامئ في قبره، غير أن المطر الذي يدعون به هو مطر معنوي، يُراد به أن يبقى ذكره، وتظلّ مآثره ظاهرة معلومة مشكورة.

وهو ذو صلة بالقيم التي يشيرون إليها، ويؤبنون المرثيّ بها، ولهذا يندغم هذا المعجم بمعاجم أخرى، منها (معجم الكرم ومعجم الشجاعة ومعجم السيادة والشرف)، وكلها ذات صلة بالقصائد المدحية والرثائية مطلقًا في الشعر العربي، غير أنها تتفاوت ظهورًا وخفاءً على اختلاف مكانة المرثيّ، وصلته بالراثي.

وتختصُّ عينية جوّاب الأسدي بـ(معجم الثأر)؛ لأن أخاه قتيل، ولهذا استعمل لفظ (العفو) وبعضَ مشتقاته استعمالاً ضدّيًّا، أي إباءَ العفو، وجاء بجمل محمولة على هذا المعجم، كقوله: (خذ العفو)، و(أشفي النفس)، و(لم تصبهم مصيبتي).

وفي مرثية ابن زيدون ظهر (معجم الدين والتديّن)؛ لأن المرثيَّة امرأة، وكأنه رأى أن خير ما تؤبَّن به هو ذلك، ومن ألفاظ هذا المعجم (الدين، والتقى، والتقوى، والهدى، والإخلاص، واليقين، والإيمان، والمحراب...).

وظهور هذا المعجم في قصيدته انحاز بها إلى موضع قصِيّ عن الموضع الذي صارت إليه القصائد الأخرى، ولكنه انعطف إلى مدح المعتضد بعد البيت السادس عشر في قوله:

أصَرْفَ الردى، لو أن للسيفِ مضرِبًا لما رُعتَنا، أو أن في القوسِ منزَعا

واستمرّ على هذا إلى نهاية القصيدة. وهي تُربي على الأربعين. فروّى القصيدة بمعاجم أخرى، تلائم المدح، كمعاجم (الشجاعة والشرف والسيادة ووراثة الملك)[٤٤].

والحق الذي لا معدى عنه أن تلك المعاجم الشعرية لم تظهر لأن القصائد رثائية عينية على وزن واحد؛ بل لأن طبيعة المعنى ونمط التناول يقتضي ذلك؛ ويصدّق هذا أننا نجدها - أي المعاجم المذكورة - في أنماط أخرى من القصيد

ذات أغراض مُبَايِنَة للرثاء والمدح؛ وعليه فالذي أَصِل إليه هو أن هذه الأنماط الأسلوبية قارّة في شعر العرب القديم كلّه، ولا وجهَ ولا دليلَ على تخصيصها بغرض دون آخر، أو بفكرة دون أخرى. نعم قد يتسع المعجم أو يضيق، تبعًا للغرض والمعنى، ولكنّ الأغراض كلها ومعاني الشعر كلها تتقاطع وتتصل وتشتجر.

ومدار العناية باللغة في الشعر أنها تحقّق (أدبية) النص، ذلك أن هذه الأدبية تتحقق للغرض بإتيانه «من الجهة التي تليق به، واستعمال ما يناسبه من ألفاظ...»(٤٥). وعليه فليس لوحدة السياق الفني من هذه البابة أثرٌ إلا في النادر، ومن هذا النادر المومَأ إليه أن تتقارب الألفاظ وتستقر في كلمات القوافي، وتلائم الغرض، وتتكرر في كثير من هذه القصائد، على ما يتّضح من الجدول السابق، وعلى ما سيظهر في مواضع أخرى من البحث.

والجدير بالإلماح إليه هنا أن من رثى منهم أخاه يجنح تعبيريًّا إلى جعل الأخ الفقيد بعضًا أو نوعًا من القيَم التي يلحّ عليها، كالجود والشجاعة والفضل والمروءة، «ومن ثمّ فإن ما يهولُ الذاتَ أن ينطوي القبرُ لا على الأخ المفقود، بوصفه كيانًا ماديًّا، وإنما عليه بوصفه كيانًا قيميًّا»(٤٦). وهذا الملحظ المهمّ يُجرى على كل شعر الرثاء القديم، فهو مقرون بوحدة الغرض لا بوحدة السياق.

والذي يحسن الوقوف به هو أثر البيئة في تكوّن المعاجم الشعرية عند الشعراء، وصلة ذلك بوحدة السياق، فبيئة متمّم البدوية نضحت في لغته أثرها، فجاءت مكتنزة بألفاظ بدوية مغرقة في بداوتها (القَشْع، ومُحثِل، وتكنّع، ومتربّع)(٤٧)، وهي -وإن عُدّت من الغريب- ليست غريبة عن قائلها ولا عن أهل زمانه.

ومن الغريب ما يغلب على الظنّ أنه من لغة قبيلة الشاعر. وأظهر نماذجه ما ورد في عينية الهُذلي، ففيها (سُفًّا، والتَّغْب، والمُوزَع)(٤٨).

والعجيب ألا تظهر لغة الفرزدق الأعرابية المليئة بالغريب في قصيدته هذه؛ فقد أسمحتْ ألفاظها، وسهُلت تراكيبُها، حتى لا تكاد تجد لفظًا غريبًا يُحوِجك

إلى معجم، سـوى (الذُّعاف المُسَـلَّع، وتَسَعْسَـع)[٤٩]. والذي أعوّل عليه في تفسير هـذا هـو أن المقـام ذو أثر؛ إذ هو يرثـي بها ابنَ الحجّـاج وأخاه، والتواصـل مع المخاطَـب ـ وهـو الحجّاج ـ اقتضـاه أن يختـار للغته المأنوس السـهل، على خلاف المعهود في جُلّ شعره.

وفي عينية الحارثي ـ على طولها، وأنه بناها أعرابيّةً ـ لم أجد الغريب مهيمنًا عليها، ومنه (الهَمَلّع، والموصّـع)[٥٠]، واختلاف زمانـه وثقافته ذَوَا تأثير في هذا أيضًـا، غير أنه يمكن الحكم على جميع الغريب بأنه نمط من أنماط (الشعريّة) كما يفهمها الشـعراء، ذلك أن الغريب في الشـعر إذا تمكّن في موضعه، ولم يكثُر فيُغمِض المعاني دليلٌ على معرفة وثقافة، وبعض الغريب قد يكون أسـلس حروفًا، وأكثر لفتًا لانتباه المتلقي.

ويمكن الحكم على ابن زيدون الأندلسي الحضري بأنه تعمّد الغريب؛ إظهارًا للثقافة والمعرفة، في قوله:

إذن لَثَناه الجيشُ من كلِّ أَلْيَسٍ　　　يشايعُ قلبًا في الحفاظِ مشيَّعا[٥١]

وقوله:

ولكن عَرَرْتَ المَلْكَ من حيث لا يرى　　　فلم يستطعْ للحادثِ الحتْمِ مدفَعا[٥٢]

فلفظا (أَلْيَس، وعَرَرت) مستدعَيان من بطون المعاجم، وكأنه أراد أن يجاري بعض سـابقيه، فلا يُخليَ قصـيدته مما يمتُّ إلى القصـيدة المثـال (أي عينية متمّم) بسبب متين. وهذا أثر آخر من آثار وحدة السياق الفني.

وقـد عُلِّـل إقدام بعض الشـعراء على الغريـب بطلب التوسّـع، والدلالة على العلم باللغة، والتعجيب، ففي اسـتعمال الغريب يُحضر الشـاعر غائبًا، ويحتفي بمنفيّ، ويسـتجلب منسـيًّا[٥٣]، واسـتعمال الغريب نمط من الاختيـار، الذي هو عملية واعية مقصودة تتصـل بالتركيب وتشكيل النسق والسياق[٥٤]. ومهما يكن من أمر التعليل، فإن قلة الغريب في هذه العينيات ملائمة للغرض؛ فالرثـاء يحسُن

أن يكون بألفاظ سهلة[٥٥]. ومنساقة أيضًا ـ أعني قلّة الغريب ـ مع سماحة هذه القافية العينية.

وفي أنماط التركيب[٥٦] يظهر أثر وحدة السياق الفني في تشكُّل الشعر ظهورًا بيِّنًا؛ إذْ تلتقي بعض القصائد في جمل مشتهَرة على ألسن الشعراء، في مقامات الرثاء، وأكّدتها هنا وحدة السياق؛ لأن الغرض وحده غير كافٍ لظهورها، بل أعان عليها اتحاد الوزن والقافية، ومن هذه الجمل (دعا فأسمع)، كقول لبيد: (دعا أربدًا داعٍ مُجيبًا فأسمعا)، وقول الهذلي:

لعمري لقد نادى المنادي فراعني ... غداةَ البُوَينِ من بعيد فأسمعا

وقول الفرزدق: (غداة دعا ناعيهما ثم أسمعا)، وقول يحيى بن زياد: (نعى ناعيا عَمْرٍ بليلٍ فأسمعا)، وقول الحارثي:

فحَنَّ نساءُ الحيِّ من بعد هَجْعة ... لصوت دعا أثكالَهنَّ فأسمعا

فقد تواطؤوا على استعمال (أسمَعَ) محذوفَ المفعول، وتأويله في قول ابن زياد: «أسمعا الناسَ نَعيَّه، وهو بتجرّد من المفعول يُستعمل في المكروه كثيرًا، ولأنه إذا أُطلِق مبهَمًا فالإطلاقُ في مثل هذا المكان أبلغ»[٥٧]. بل إنهم تواطؤوا أيضًا على عطف هذا الفعل على فعل ماض آخر يتضمّن معنى النداء، وارجع البصرَ في الشواهد السابقة تجدْ: (دعا فأسمعا، نادى فأسمعا، نعى فأسمعا).

وفي هذا التركيب عدولٌ بالحذف، (أسمعَ الناسَ نعيَّه)، ولكنه ليس من الحذف الخاضع لاختيار المنشئ، بل هو من الضرب الذي يشيع فيُتَلَقَّف، دون أن يكون له غرض بلاغي أو جمالي[٥٨]، إلا في أول استعمالٍ له، ودون التحقّق من هذا مفاوز، إلا إن بنيتُ على الظنّ، والظنّ لا يغني من الحق شيئًا.

وينبغي لي الوقوف بلفظ (النعْي)[٥٩] وما يُشتقُّ منه أو يرادفه، فقد بان أن نسبة استعماله ومرادفاته كثيرة في هذه العينيّات، والعلّة أنه مقترنٌ بحالِ الموت بعيدًا عن الأهل[٦٠]، «وكانت العربُ إذا قُتل منهم شريفٌ أو مات، بعثوا راكبًا إلى قبائلهم ينعاه إليهم، فنهى النبي ﷺ عن ذلك»[٦١]. ويعني هذا اتصالَه بالشرف

والمنـزلــة الرفيعة، وقــد «يكون للنعي علاقــة بالتحريضِ على الأخــذ بالثأر»[٦٢].
والــذي أومئ إليــه هنا أن اختيــاره للتعبير عن موت المرثيِّ جــاء ملائمًا للمعاني المُطيفــة بــه، بل إن الرويَّ يســتدعيه، فهو ـ على هذا ـ أثر من آثار وحدة الســياق الفني في هذه العينيّات.

ومن التراكيب التي جلبتْها وحدة السياق، لصلتها بالرويّ، ما تجده ماثلاً في قول متمِّم: (فقد بان محمودًا أخي حين ودّعا)، وقوله أيضًــا في خاتمة قصيدته: (فقد آب شانيهِ إيابًا فودّعا).

فقد جاء هذا التركيب ونحوه في قول الفرزدق: (إذْ بانا جميعًا فودّعا)، وقول ابــن مُطير: (فعاش زمانًا ثمّ ولّى فودّعا)، وقول الحارثي: (فما طبتُ نفسًــا عن أخــي يوم ودّعا)، وقول ابن زيدون: (وأن الهُدى قد بان منكِ فودّعا). والصــيغة التركيبية ـ كما هو بيّن ـ تعتمد أيضًــا كسابقتها على استعمال فعل ماضٍ يدلّ على الذهاب والفناء، (بان) أو ما في معناه، معطوفًا عليه الفعل (ودّع) الذي يؤتى به «كناية عن الموت»[٦٣].

ومن التشــابه التركيبي الذي وطّأت له وحدة الســياق الفني، لصلته بالرويّ أيضًا، ما يظهر في قول الهذلي:

لعمري لقد أعلنتَ خِرْقًا مبرًّأً ... من الثَّغْبِ جوّابَ المهالكِ أروعا

فهــذا التركيب الواصــف للمرثيّ بأنه (خِــرّق أروع) ـ على اختلاف ما يُطيف بــه من ضــمائر وروابط ونعوت ـ تجده في قول لبيد: (فتًــى كان ممن يبتني المجدَ أروعا)، ومجيء لفظ (فتى) مقرونًا بصــفة (الأروع) ظاهر أيضًا في قول متمّم: (فتًى غيرَ مِبطانِ العشــيّاتِ أروعا). وعلى النهج نفسه تعبير يحيى بن زياد، وهو أكــثر مماثلة لتعبير الهذلي، إذ جمع بين صــفتي الخِــرّق والأروع، فقال: (بخِرّقٍ كريم كان في الناس أروعا)، وكلٌّ منهم يعدل إلى تغيير في الصــياغة يكســب بها تفرّدًا.

ولكننــا نجد لفظي (فتــى) و(أروع) عند الحارثي في نفَس أطول، وتمدّد في

القول، مع تحمّل لفظ (أروع) دلالة التفضيل، وذلك في بيتين:

فتى الخير لم يَهْمُمْ بغدرٍ ولم يُعَبْ — بعجز، ولم يَمدُدْ إلى الذمِّ إصبعا
ولا كان في النادي فيهجر قومه — بأملأً منه في العيونِ وأروعا

وكلّ أولئك الملحوظات المتعلقة بالتراكيب مُدرَجة في التشبّع الأسلوبي، الذي يظهر في تكرار الدوالّ، حتى وإن تعدّدت النصوص وقائلوها؛ لأن النظر هنا من جهة كون هذه القصائد منداحةً في سياق واحد، متماثلة المعنى والمبنى، تكاد تتقارب بل يتداخل بعضها في بعض، إلى الغاية التي تجعل الخلط بين أبياتها واردًا، وسوف أذكر نماذج مفصّلة على هذا في الفِقَر المختصة بالبناء.

وقد يُبنى على هذا أن ننظر في التشبع الأسلوبي، بوصفه ظاهرة أسلوبية تنتظم قصائد لشعراء متعددين، إذا جاءت هذه القصائد ذات وَحدة سياقية كالعينيات، أو كانت معارضاتٍ أو نقائض، أو مجاوبات ومراسلات إخوانية.

ثم إن ذلك التشابه أو التماثل التركيبي في العينيات يربطه بما قيل عن خصائص الشعر الشفوي، ذلك أن نظرية (النظم الشفوي في الشعر القديم) ترى أن الشعراء يستقون تعبيراتهم من قوالب صياغية متداولة، وهي قوالب تختلف طولاً وقِصَرًا، حتى تأتي في بيت كامل(٦٤)، وتشير إلى مسألة مهمّة ذات صلة بما أنا بصدده، وهي أن الشاعر (الشفوي) يتعلم كيف يستبدل بالكلمات في نطاق صياغي، كلماتٍ أخرى ذات قيمة إيقاعية مساوية، ومن ثم يقتدر على إيجاد قوالب صياغية اشتقاقية جديدة(٦٥)، قد تُعَدّ - إن كانت منطوية على تجاوز وابتكار حقيقي - من التفرّد الأسلوبي.

وإذا صحّ القولُ بتحقق مقالة أصحاب نظرية النظم الشفوي عند الشعراء القدماء - وفيها مضطَرَب للرأي والنقاش - فذلك من دواعي تأمّل وحدة السياق والتماس أثرها؛ فإن أرباب هذه النظرية يرون أن التشابه والتماثل في الشعر القديم - وبعضه مندرج في موضوع بحثي - هو صدًى جهير للشفوية التي اعتمدها أولئك الشعراء في نظم الشعر.

ومن المسائل المثارة في هذا الموضوع أن الشاعر - وفق نظرية النظم الشفوي - لا يُجْهد نفسه في الصياغة الفنية، بل يلجأ إلى القوالب المُعَدّة المتداولة، ولا تكون مهمته بهذا سوى تفريغ القوالب المحفوظة مع إضافات تلائم الوزن والقافية[٦٦]، ولا شك في أن هذا الرأي يبتزُّ القائلَ أهمَّ ما يُعدّ به شاعرًا، وإن صدق ذلك على ضَعَفَة الشعراء ومقلّديهم، ومن كان الغِناءُ أغلبَ على صنعته، فإنه لن يصدُق على أغلب الشعراء.

ولأنه ليس من شأني هنا مناقشة هذا الرأي، فإني أحيل القارئ إلى الدراسة القيّمة التي أنجزها فضل العمَّاري، وهي التي أشرت إليها في الحاشية الأخيرة. ومما قال فيها: «إن التقاط قوالب... من هنا وهناك، وإخضاع كل ذلك للنظرية الجمعية يُعدُّ تجاوزًا لطبيعة الشعر العربي، ومادّته، ولشخصية الشعراء أجمعين»[٦٧].

وأنا أضيف هنا إلى مسألة التفرّد في الصياغات - مما هو من مادة دراستي هذه - أن ننظر إلى عينية الهذلي، ففيها قوالب ليست عند غيره من شعراء العينيات المخضرمين (لبيد ومتمّم)، فقد قال مثلاً:

لعمري لقد أعلنتَ خِرْقًا مبرَّأً ... من التَّغْبِ جوّابَ المهالكِ أروعا[٦٨]

فتعبيره بـ(لقد أعلنتَ)، و(من التَّغْب) قالبان صياغيان انفرد بهما، ومثلهما قوله:

فأظلم ليلي بعدما كنتُ مُظهِرًا ... وفاضت دموعي لا يُهِبْنَ بأضرعا[٦٩]

فجملة (بعدما كنتُ مُظهِرًا) قالب منفردٌ، لم يَؤُلْ فيه إلى قالب صياغي محفوظ، وكذا قوله: (لا يُهِبْنَ بأضرعا)، أو لأقلْ: لم يكن هذان القالبان - في أقلِّ أحوالهما - مما استعمله شعراء العينيات أولئك.

ومن الخروج عن القوالب الصياغية أن نجد الهذلي يخاطب الموت في قوله:

فتى الخير لم يَهْمُمْ بغدرٍ ولم يُعَبْ ... بعجزٍ، ولم يَمدُدْ إلى الذمِّ إصبعا
فقلتُ لهذا الموتِ: إن كنتَ تاركي ... لخيرٍ، فدعْ عَمْرًا وإخوتَه معا

ومن الوسائل الشعرية الشائعة في الرثاء مطلقًا، ولاسيما في مراثي الأخ: استعادة صيغة الزمن القديم (كان...)؛ لأن فقْد الأخ يضع الذات وحدها في مواجهة هذا القانون الكوني[٧٠]. ومن أجل هذا تتواتر الأفعال الماضية كثيرًا، وهي أقرب إلى طبيعة الغرض؛ لأن الراثي يصف حال الميّت إبّان حياته التي انقضت، أو يصف ما حلّ به من وجد وحزن، وحسبُك أن تنظر في قصيدة متمِّم، فتجدَ أن مطلعها مختوم بفعلين ماضيين: (أصاب فأوجعا)، وأن مقطعها مختوم كذلك بفعلين ماضيين (فقد آبَ شانيه إيابًا فودَّعا)، ويدانيه قول الحسين بن مُطير، والتَفتْ إلى المسطور ما تحته:

بلى قد وَسِعتَ الجودَ والجودُ ميِّتٌ ... ولو كانَ حيًّا ضقتَ حتى تصَدَّعا

ولما مضى معْنٌ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدعا

وفي عينية الهذلي توالت ثمانية أفعال ماضية في الأبيات الأربعة الأولى، وأكتفي هنا بإيراد بيتين منها، اختصارًا:

جوادٌ إذا ما الناسُ قلَّ جوادُهم ... وسُفًّا إذا ما صرّح الموتُ أقرعا

فأظلم ليلي بعدما كنتُ مُظهِرًا ... وفاضت دموعي لا يُهِبْن بأضرَعا

وفي قول يحيى بن زياد احتشدت ستة أفعال ماضية:

نعى ناعيا عَمْرٍ بليلٍ فأسمعا ... فراعا فؤادًا لا يزالُ مُروَّعا

مضى فمضتْ عنّي به كلُّ لذّةٍ ... تقَرُّ بها عيناي فانقطعا معا[٧١]

ومما هو ذو صلة بالتراكيب ملاحظة أن الثقَل وتعقيد التراكيب كادا ألا يلابسا هذه العينيات، ومن هذا الثقَل القليل التعبير بـ(زوّدوكَه) في قول ابن زياد: (وما دَنس الثوبُ الذي زودوكَه)[٧٢]، وكأن روايته الأخرى، المشار إليها في الحاشية، كانت تصرُّفًا من بعض الرواة لتخفيف ثقله. فهل تجنّب الشعراء ذلك لأن قصائدهم ذات وحدة سياقية؟ لا، فالأمر أوسع من ذلك، وهو أصلٌ ينتهجه

الشـعراء، لا فـرع يؤولون إليه بـين الحين والحين، يدلّك على صـدق هذا الحكم أن شـواهد التعقيـد والثقَـل عند البلاغيين لا تتجـاوز عددًا قليـلاً، يُكرّر في جُلّ كتبهم[٧٣].

وقبل النُّقلة إلى مبحث آخر أشير إلى أن بعض الشكلانيين نحا نحوًا اهتمَّ فيه بالبحث في طبيعة اللغة الشعرية، وعن الصور المتطابقة، والاستعارات المتشابهة، والكلمات المهجورة المتماثلة الاسـتعمال في هذا الأثر وفي ذاك، وفي هذا الاهتمام ربط لدراسـة الخطاب، بوصفه إنشـاءً، بالتاريخ الأدبي[٧٤]. والمراد بذلك أن من التاريخ الأدبي الحريّ بالنظر ما يجده المتلقّي من أنماط لغوية وطرائق أسـلوبية تتكرر، وتظهر عند جمهرة من المنشئين في كلّ لغة، وفي كلّ أدب؛ وهو تكرار اتخذ صورة (الرواسم الشكلية أو القوالب الصياغية) التي يستعملها جمع من الأدباء، حتى نُسي أبوها الأول المبتكر لها.

وذلك ذو وشـيجةٍ بمسألة وحدة السياق الفني؛ فإن تكرار الأنماط والقوالب والصياغة يظهر أجلى ما يكون الظهور في القصائد المتسمة بتلك الوَحدة، وهذه العينيات نماذج فحسب، ولو رجعنا الطرْف في قصائد أخرى ذات وحدة سياقية، لوجدنا ما يشهد لهذا الرأي بالصحة[٧٥].

وينبني على هذا أن أحكامنا في درس أسـلوبيَّة النصـوص وشعريّتها تتصل من إحدى جهاتها بالتاريخ الأدبي، ولهذا أهمية مغفولٌ عنها، ويُبنى عليها أيضًـا أن هـذه الأحكام تظلُّ احتمالاً مؤسَّسًـا على ما بلغَنا، لا علـى أنها غاية لا تُعدَى، ومنـزلةٌ لا تُتجاوز، فنحن لم نطالع كلَّ شعر العرب، ولن نستطيع إلى ذلك سبيلاً؛ لضـياع أكـثره. وكلام ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) حجّة في هذا؛ إذ قال: «والشـعراء المعروفون بالشـعر عند عشـائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثرُ من أن يحيـطَ بهـم محيطٌ، أو يقفَ مـن وراءِ عددهم واقف، ولو أنفـد عمره في التنقير عنهـم، واسـتفرغ مجهـوده في البحث والسـؤال. ولا أحسـب أحدًا مـن علمائنا اسـتغرق شـعر قبيلة حتى لم يفُتْه من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه، ولا قصيدةٌ إلا رواها»[٧٦].

(للبحث صلة)

الهوامش

(*) أستاذ الأدب والنقد في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(١) منها **جمالية الموت في مراثي الشعراء المخضرمين**، عامر الحلواني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ط الأولى، ٢٠٠٤م. وسوف أقتبس منه شيئًا يتصل ببعض الفكر.

(٢) **البلاغة والأسلوبية**، هنريش بليث (Heinrich plett)، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، ١٩٩٩م. ص١٩.

(٣) ينظر: **الأدبية في النقد العربي القديم**، أحمد بيكيس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. ص٨، ١٦.

(٤) **مقالات في التاريخ الأدبي**، مجموعة كتّاب، قدم لها وترجمها: أحمد السماوي، صفاقس، تونس، ٢٠٠٣م. ص١٥.

(٥) متمّم: جاهلي أدرك الإسلام، اشتُهر بعينيته هذه، وله صحبة. ينظر: **طبقات فحول الشعراء**، ١/٢٠٣-٢٠٩، و**الشعر والشعراء**، ١/٢٣٧، و**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٤/٢٨٢-٢٨٣.

(٦) ينظر: **المعارضات الشعرية دراسة تاريخية نقدية**، عبدالرحمن السماعيل، نادي جدة الثقافي الأدبي، جدة، ط الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. ص١٦٤.

(٧) ينظر: **طبقات فحول الشعراء**، ابن سلام، قرأه وشرحه محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، ١٩٧٤م. ١/٢٠٣، ٢٠٩.

(٨) ينظر: **كتاب التعازي والمراثي**، المبرّد، تحقيق: محمد الديباجي، دار صادر، بيروت، ط الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ص١٣، ١٥.

(٩) **ديوان المعاني**، أبو هلال العسكري، تحقيق: أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ٢/٩٦٧.

(١٠) **المفضليات**، المفضّل الضبي، تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، ط السادسة، ١٩٧٩م. ٢٦٤-٢٧٠. وقد جعلته متمّمًا قبل لبيد بالنظر إلى تاريخَيّ وفاتيهما، ولشهرة عينية متمِّم، وكثرة من احتذاها، ولكنني سأقدّم أحيانًا بعض قصيدة لبيد على قصيدة متمّم إذا ذكرتُ الأخذ والتأثر؛ لأنه يغلبُ على الظنّ أن قصيدة لبيد أسبق، فأربدُ بنُ قيسٍ مرثيُّ لبيد مات عام تسعة من الهجرة، أما مالك بن نُويرةَ مرثيُّ متمِّم فقُتل عام أحد عشر في حروب الردّة. ينظر خبرَيّ وفاتيهما في **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ٥/٥٠-٥٣، ٣٢٦/٦-٣٢٧.

(١١) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، حققه وقدم له: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م. ص١٧٣.

(١٢) المعطّل أحد بني رُهْم بن سعد بن هُذيل. ومَعْقِل هو ابن خُوَيلد بن واثلة بن مُطْحَل الهُذلي، من سادة قومه، ومن أخباره أنه وفد على النجاشي في أسرى كانوا من قومه، فكلّمه فيهم، فوهبهم له. ينظر: **شرح أشعار الهُذليين**، السكري، تحقيق: عبدالستار فراج، راجعه: محمود شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ط (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص٤٠١، ٦٣٢، **وديوان الهُذليين**، الدار القومية، القاهرة، د.ط، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، (مصوّرة عن نشرة دار الكتب) ٤٠/٣، ٦٨، ٧٠. ونظرًا إلى الخلاف في نسبة القصيدة، سوف أكتفي لاحقًا بذكر نَسَبه (الهُذلي).

(١٣) **شرح أشعار الهُذليين**، ٤٠١، **وديوان الهُذليين**، ٤٠/٣.

(١٤) البُوين: موضع.

(١٥) **ديوان الفرزدق**، دار بيروت، بيروت، د.ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٣٩٧/١-٣٩٩.

(١٦) لم أعرف عنه شيئًا.

(١٧) **مقطّعات مراثٍ**، ابن الأعرابي، برواية ثعلب، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٤م. ص ٤٢.

(١٨) له أخبار مع عيسى بن موسى، وذُكر أن من ندمائه حمادًا الراوية وحمّاد عجْرد ومطيع بن إياس الذي رثاه بقصيدة جيّدة. وكان ظريفًا ماجنًا متّهمًا بالزندقة، ينظر: **معجم الشعراء**، المرزباني، تحقيق كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٤٩٧-٤٩٨ (مصوّرة عن النشرة الأولى التي أخرجتها مكتبة القدسي)، **وطبقات الشعراء**، ابن المعتز، تحقيق: عبدالستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ط الرابعة، ١٩٨١م، ص ٩٤، **والأعلام**، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٠م، ١٤٥/٨.

(١٩) **مقطّعات مراث**، ٥٢-٥٣، **والحماسة البصرية**، البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ١٩٦٤م، ٢٣٥/١، وفي المصدر الثاني رواية أخرى لمطلعها. وبعض أبياتها في **الحماسة البصرية** مختلط ببعض قصيدة أبي تمام الآتي ذكرها.

(٢٠) الخِرْق: الكريم المتّسع في كرمه.

(٢١) من شعراء الدولة العباسية في طورها الأول، رقيق الشعر مُكثِر مُجيد. ينظر: **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ٩٠/١، **وطبقات الشعراء**، ١١٤-١١٨.

(٢٢) **شعر الحسين بن مُطير الأسدي**، جمعه وشرحه: حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٦٢-٦٤.

(٢٣) من شعراء الدولة العباسية في طورها الأول، ذو نفَس جاهلي، نعته ابن المعتز بالمفلق المفوّه المقتدر المطبوع، وأنه أحد من نُسخ شعره بماء الذهب. ينظر: **طبقات الشعراء**، ٢٧٥.

(٢٤) **الحارثي حياته وشعره**، زكي ذاكر العاني، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص٦٩-٨٢.

(٢٥) السَّقْبُ: ولد الناقة.

(٢٦) **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٦٥م، ٤/٩٩-١٠٠.

(٢٧) **ديوان ابن زيدون**، شرح وتحقيق: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٢١٤- ٢١٨. هذا وسوف أستغني لاحقًا بهذه الإحالات العامة إلى مواطن القصائد في مصادرها، عن إعادة الإحالة؛ رغبة في الاختصار.

(٢٨) المثَوِّبُ: الداعي مرّة بعد مرّة.

(٢٩) أوثِرُ في كتابة (عَمْرٍ) حذف الواو؛ لأنها أوقعت الناطقين في خطأ كبير، إذْ صاروا يثبتون الواو في النطق مع الوقف عليها. وحذْفها منهج متبّع عند بعض القدماء، فهم يكتفون بفتحة على العين أو بسكون على الميم. ينظر: **باب الهجاء**، ابن الدهّان، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٧.

(٣٠) في المصدر: وردت. وهو تحريف.

(٣١) **ديوان المعاني**، ٢/٩٦٦.

(٣٢) **ديوان ليلى الأخيلية**، جمع وتحقيق: خليل العطية وجليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، د.ط، د.ت، ص٨٦.

(٣٣) **الحماسة البصرية**، ١/١٩٦.

(٣٤) ينظر: **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط الخامسة، ١٩٩٣م، ٧/٣٢٠. **وكتاب التعازي**، المدائني، تحقيق ابتسام الصفّار وبدري فهد، مطبعة النعمان، النجف، د.ط، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٤٦-٤٧، وأردف المدائني الذي نسب الشعر إلى عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز: «كان - أي المرثيُّ - عاصمَ بنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه». وكأنه أراد أن الراثي هو عبدالله بن عمر بن الخطاب، وهذا بعيد؛ إذْ لم يُعرف ابن عمر رضي الله عنهما بقول الشعر، ويؤكّد هذا نسبة الطبري إياها لعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، وهي كذلك في كتاب **التعازي**

والمراثي للمبرّد، ص٦٠-٦١، وفي **الكامل**، المبرّد، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١٣٧٩/٣، أنها لابنٍ لعمر يرثي عاصمًا، ولم يسمِّ الراثي.

(٣٥) **الإشراف في منازل الأشراف**، ابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١١١.

(٣٦) **ديوان العسكري**، جمعه وحققه مطاع طرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص١٥٥.

(٣٧) **اللغة الشعر في ديوان أبي تمام**، حسين الواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٥٦.

(٣٨) راجع: **المعارضات الشعرية**، ١٩-٢٠.

(٣٩) **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨٦م، ص ٢٧٠.

(٤٠) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٨١/٢.

(٤١) المرجع السابق، ١٨٣/٢.

(٤٢) أقول (افتراضًا)؛ لأني لا أملك دليلاً على أن عينية متمِّم هي الأنموذج المحتَذَى، ولكنّ لها من الشهرة والذيوع ما يغلّب الظنَّ بأن أولئك الشعراء أو بعضهم قد تأثّر بها، أو عمد إلى معارضتها. ويشهد لذيوعها ما ساقه المبرد من إعجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بها، وقوله: «لوددتُ أني رثيت أخي زيدًا بمثل ما رثيتَ به مالكًا أخاك». ينظر: **الكامل**، ١٤٤٦/٣، وما نقله المبرّد أيضًا من تمثّل أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعضَ أبياتها بعد وفاة أخيها عبدالرحمن رضي الله عنه. ينظر: كتاب **التعازي والمراثي**، ١٤٧. وراجع ما ذكرته سلفًا عند عرض مطالع القصائد المدروسة.

(٤٣) النظر في ألفاظ القوافي هنا بوصفها جزءًا من المعجم الشعري، ولكني سأخصّها لاحقًا بالتعليق في مبحث الإيقاع.

(٤٤) وهذا يدفعني إلى التريّث في قبول القول بأن رثاء المرأة من أشد الرثاء صعوبة، لأنه - فيما يراه صاحب هذا الرأي - يضيق فيه الكلام على الشاعر، إذ تقلُّ الصفات التي يمكن أن يسبغها عليها (ينظر: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ١٥٤/٢). وها هي قصيدة ابن زيدون تشهد بأن الشاعر المقتدر يستطيع تقليب القول الشعري على ما يلائم الغرض، فيأتي من الفكَر والمعاني بما يحقق مقاصد القول.

(٤٥) **الأدبية في النقد العربي القديم**، ١٠٠.

(٤٦) **الأسلوبيات الأدبية**، محيي الدين محسّب، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٥٨.

(٤٧) القَشْع: بيت من جلد، ومُحثَل: أسِيء غذاؤه، وتكنّع: تقبّض، ومتزبّع: سيئ الخُلق.

(٤٨) سُفًّا: حيَّة، والتَّغْب: الفساد، والمُوزَع: المولع بالشيء

(٤٩) الذُّعاف المسلّع: السمّ السريع القتل الشديد الفتك، وتسعسع: كبَر واضطرب في مشيه، أو فني أكثره.

(٥٠) الهَمَلّع: الخفيف الوطء، وموَصّع: يحتمل معنى المفرّق في سياقه الذي ورد فيه.

(٥١) يقال: رجلٌ أَلْيَسٌ أي شجاع.

(٥٢) عررت المَلْك: أصبته بسوء، من العَرّ وهو الجرب، ثم أطلق على كل سوء.

(٥٣) ينظر: اللغة الشعر في ديوان أبي تمام، ٨٨-٨٩.

(٥٤) ينظر: **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها**، موسى ربابعة، دار الكندي، الأردن، ط الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٢٨.

(٥٥) ينظر: **منهاج البلغاء**، ٣٥١.

(٥٦) لن أقف في هذه الدراسة على ما لهَج بترداده الدارسون الأسلوبيون، أو من ينحو نحوهم، من إطالة النظر في بعض الأساليب، كالتقديم والتأخير، والقصر والحذف، واستعمال الروابط والضمائر، وادّعاء أنها ظواهر أسلوبية عند مستعملي اللغة ضربةَ لازب؛ ذلك أن بعض ما كلفوا بالنظر فيه، وحشد نماذجه، ليس إلا قوانين ثاوية في اللغة نفسها، ولا معدى للعارف بها من أن يستعملها، اللهم إلا إذا وقع (التشبُّع الأسلوبي) في بعض الأنماط، فحينذاك يمكن الوقوف به بوصفه مظهرًا أسلوبيًّا. راجع ما يتصل بهذه الفكرة في: **البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جنّي**، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، ٢٠٠٧م، ص١٥٧.

(٥٧) **شرح ديوان الحماسة**، المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ٢/٨٦٠-٨٦١.

(٥٨) ينظر: **البلاغة والأصول**، ١٥٠.

(٥٩) في **اللسان** (نعا): «قال ابن سيده: والنَّعْيُ والنَّعِيُّ بوزن فَعيل: نداء الداعي، وقيل: هو الدعاء بموت الميت والإشعار به، نعاه ينعاه نَعْيًا ونُعْيانًا، بالضم. وجاء نَعِيُّ فلان: وهو خبر موته».

(٦٠) ينظر: **جمالية الموت**، ٣٣٧.

(٦١) **اللسان** (نعا).

(٦٢) **جمالية الموت**، ٣٣٧.

(٦٣) **شرح المفضّليات**، التبريزي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ٣/١٤٠٣.

(٦٤) ينظر: **النظم الشفوي في الشعر الجاهلي**، جيمز مونرو (Monroe james)، ترجمة: فضل العماري، دار الأصالة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٦-٣٧.

(٦٥) ينظر: المرجع السابق، ٣٩.

(٦٦) ينظر: **الشعر والغناء في ضوء نظرية الرواية الشفوية**، فضل العماري، مكتبة التوبة، الرياض، د.ط، د.ت، ص٨٧.

(٦٧) المرجع السابق، ١٠٠.

(٦٨) التَّغَّب: الفساد.

(٦٩) المُظهِر: من كان في وقت الظُّهر، والأضرع: الذليل الضعيف.

(٧٠) ينظر: **الأسلوبيات الأدبية**، ١٥٦.

(٧١) ورد هذان البيتان في **ديوان الحماسة** (الحماسية ٢٨١)، والثاني لم يَرِدْ في (مُقَطّعات مراث). **شرح ديوان الحماسة**، ٨٦٠، ٨٦٢.

(٧٢) في **كتاب التهاني والتعازي**، ابن المرزُبان، حققه: إبراهيم البطشان، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٦٢: (ألبسوكه).

(٧٣) ينظر مثلاً: **المثل السائر**، ١/٣٠١-٣٠٢.

(٧٤) **مقالات في التاريخ الأدبي**، ص ١٤.

(٧٥) مثل بعض ما قيل في وصف الحرب، أو وصف الصيد والطرد، أو الغزل، وخُذ على سبيل المثال الغزل على البحر البسيط برويّ النون المفتوحة على قافية المتواتر، كنونية جرير التي منها (إن العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ). ومثالاً آخر من شعر الصيد والطرد الذي يكون رجَزًا، وكثيرٌ منه. ولا سيّما طرَديّات أبي نواس. يبدأ بداية واحدة بجملة (أنعتُ كلبًا...).

(٧٦) **الشعر والشعراء**، ١/٦٠-٦١.

عوامل قيام النشاط التجاري البحري
لجنوب الجزيرة العربية
في العصر الإسلامي والوسيط
(١)

أ.د. محمد عبده السروري(*)

مقدمة: يعالج هذا البحث عدة عوامل رئيسية ارتكز عليها النشاط التجاري البحري للعرب والمسلمين إبان العصر الإسلامي والوسيط، التي كان لها الأثر الكبير في قيام النشاط التجاري وازدهاره لتلك الحقبة.

من أهم تلك العوامل أنواع السلع التجارية، وفيه ذكر السلع من حيث مصدرها الزراعي؛ مثل الحبوب والقطن والأعشاب الطبية، ومن حيث مصدرها الطبيعي؛ مثل الذهب والفضة والحديد، ومن حيث مصدرها الصناعي؛ مثل صناعة الملبوسات، وأنواع الأسلحة والحلي والمجوهرات والأواني المنزلية. ومنها أيضًا البلدان التي يكثر فيها وجود تلك السلع التجارية؛ منها الصين والهند وما بينهما من بلدان وجزر، وكذا بلدان شرق إفريقيا، مع ذكر البلدان التي تتاجر بتلك السلع؛ منها عُمان واليمن. ومنها كذلك ذكر أهم المراكز أو الموانئ التجارية الموجودة في تلك البلدان وأهميتها، والتي كان التجار العرب والمسلمون يفِدون إليها للتعامل التجاري.

ومن تلك العوامل أيضًا: ذكر أثر الرياح الموسمية في تسيير المراكب التجارية آنذاك من حيث مواسمها واتجاهاتها ومراحل الرحلة إليها. وكذا ذكر أهمية تأثير العامل السياسي من حيث زيادة النشاط التجاري أو تقليله أو منعه. وكذلك ذكر النشاط البشري من حيث معرفة صنع السفن التجارية ومعرفة ما سبق ذكره، وهي أنواع السلع التجارية والبلدان التي توجد بها تلك السلع والبلدان التي تجلب إليها، ومعرفة مواسم الرياح واتجاهاتها. نوضح ذلك بالآتي:

عوامل ازدهار النشاط التجاري البحري لجنوب الجزيرة

التعريف بالتجارة: تعرف التجارة بأنها العمل على الكسب عن طريق بيع السلعة بأكثر من شرائها؛ إما بنقلها من مكان تكثر فيه السلعة إلى آخر تقل فيه، أو انتظار تحولات الأسواق من الانخفاض إلى الارتفاع بكثرة الطلب عليها. وذلك ما يوضحه ابن خلدون بقوله: «اعلم أنّ التّجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السّلع بالرّخص وبيعها بالغلاء»، كما قال: «إنّ معنى التّجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشّراء إمّا بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأغلى أو بيعها بالغلاء»[١]. وإذا كان أهم ما في العمل التجاري هو الربح، فقد حدد ابن خلدون طريقتين للربح؛ هما قوله: «فالمحاول لذلك الربح إما أن يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فينتظم ربحه، وإما أن ينقله إلى بلد آخر ينفق فيه تلك السلعة أكثر من بلدة الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه»[٢].

أما عن أهم شروط نقل السلعة وتصريفها، فهي أن يعرف التاجر السلع التي تحتاجها الكثير من الناس كي يسهل عليه بيعها. يوضح ذلك أن «التّاجر البصير بالتّجارة لا ينقل من السّلع إلا ما تعمّ الحاجة إليه من الغنيّ والفقير والسّلطان والسّوقة، إذ في ذلك نفاق سلعته».

وأما عن كثرة الفائدة في السلعة التجارية، فهي تعتمد على بُعد أماكن جلبها

وقدرتهـا، والخطـورة في نقلها، لكون «نقل السّـلع من البلد البعيد المسـافة أو في شـدّة الخطر في الطّرقات يكون أكثر فائدة للتّجّـار وأعظم أرباحًا وأكفل بحوالة الأسواق؛ لأنّ السّلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها، أو شدّة الغرر في طريقها، فيقلّ حاملوها ويعزّ وجودها، وإذا قلّت وعزّت غلت أثمانها»[٣].

وعلى ذلك، فإن النشـاط التجاري البحري لجنـوب الجزيرة العربية يعتمد على تحقيق المكاسـب المالية ببيع السـلعة بأكثر من ثمنها، كما تعتمد على معرفة السـلعة التي يحتاجها الناس جميعًا، وعلـى نقلها من أماكن بعيدة والمخاطرة في نقلها.

أنـواع السـلع التجارية: يعتمد النشـاط التجاري على نوع السـلعة التجارية من حيث صـفاتها ومصـدرها: زراعي أو طبيعي أو صناعي، والأماكن أو البلدان الموجـودة بهـا، وكثرتها أو قلتهـا، واسـتخدامها في الأطعمـة أو العقاقير الطيبة وأنـواع الصـناعات، والطلب عليها، والنشـاط البشـري فيها من حيـث نقلها أو تحويل السـلعة إلى سـلعة أخرى بصـناعتها، مثل صـناعة الملبوسات من القطن والكتان، وصناعة الأسلحة من المعادن أو غيرها. نوجز ذلك بالآتي:

السـلعة من حيث المصـدر: أهم مصـادر السـلع التجارية التي يرتكز عليها النشـاط التجاري هي المصدر الزراعي، والمصدر الطبيعي، والمصدر الصناعي، نذكر ذلك مختصرًا بالآتي:

السـلعة مـن حيـث مصـدرها الزراعي: يرتبط النشـاط التجاري بالسـلعة الزراعيـة ارتباطًـا كبـيرًا، وهي تعتمد على ما تميـز به البلدان من أنواع السـلع التجارية الزراعية، من حيث وجود هذه السـلع الزراعية وكثرتها نتيجة لخصوبة الأراضي الزراعية ووجود الأنهار المتعددة، والأمطار، وتنوع المناخ. وهذه خاصية يتميـز بهـا بلد عن بلد آخر، وهي هبه من الله سـبحانه وتعالى للبشـرية لا دخل للإنسان فيها. وأهم السلع الزراعية المستخدمة في النشاط التجاري الآتي:

- التوابل: مثل الفلفل والقرفة (الدار صيني) والزنجبيل والحبهان، وجوز الطيب.

- العقاقير الطبية: مثل الكافور والعود الهندي والزعفران والكركم والبلسم.

- العطور والبخور: مثل عود الند والمسك والعنبر وخشب الصندل واللان.

- الأخشاب: الأبنوس والساج والصندل والنارجيل والخيزران.

- المنسوجات: القطنية والحريرية والكتانية.

- مواد الصباغة: مثل الفوّة والورس والزعفران والنيلة، يضاف إلى ذلك اللبان والصبر وغيرها من السلع الزراعية.

السلعة من حيث مصدرها الطبيعي: كذلك يرتبط النشاط التجاري على السلعة الطبيعية، من حيث كثرة وجودها في بلدان وقلتها في بلدان أخرى، مثل المعادن والذهب والحديد، واليواقيت وغيرها. وهذه هي الأخرى منحة من الله سبحانه وتعالى للناس، وليس للإنسان دخل في إيجادها. وأهم هذه السلع التجارية من حيث المصدر الطبيعي الآتي:

- الأحجار الكريمة: مثل الزمرد والفيروز واللازورد والعقيق واليواقيت.

- المعادن: مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وغيرها.

ولذلك عمل الإنسان على النشاط التجاري بنقل هذه السلع من البلدان التي تكثر فيها هذه السلع إلى البلدان التي تقل فيها.

ومجمل القول في النشاط التجاري بالسلعة من حيث مصدرها الزراعي والطبيعي، فإنها يُعتمد اعتمادًا كبيرًا في إيجادها على الله سبحانه وتعالى. أو هي خاصية خص بها الله تعالى بلدًا دون بلد آخر لحكمة منه تعالى، منها تحرك الإنسان في النشاط التجاري، بنقل السلع من بلد إلى آخر، يوضح ذلك الآتي:

«ولـولا أن الله عـز وجل خص بلطفه كل بلـد من البلدان، وأعطـى كل إقليم من الأقاليم بشيء منعه غيرَهم، لبطلت التجارات، وذهبت الصناعات، ولا ما تغرَّب أحد ولا سافر رجل، ولتركوا التهادي، وذهب الشِّرى والبيع والأخذ والإعطاء، إلا أن الله عـز وجل أعطى كل صُـقع من كل حين نوعًا مـن الخيرات ومنع الآخرين، ليسـافر هـذا إلى بلـد هذا، ويسـتمتع قوم بأمتعة قـوم، ليعتدل القسْـم وينتظم التدبـير؛ قال الله عز وجـل: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾»[٤].

السـلعة من حيث مصدرها الصناعي: اتصـفت الكثير من السلع الزراعية والطبيعة أنها صـالحة للتحويل، أو يمكن إعادة صناعتها إلى سلع أخرى. ولذلك فإن أهم ما يميز به النشـاط التجاري هو تحويل السـلعة الزراعية والطبيعة إلى سـلعة صـناعية؛ مثل صـناعة السـفن التجارية والأثاث المنزلي من الأخشـاب، وصـناعة أنواع العطور وأنواع العقاقير الطبية، وأنواع الملبوسـات من السلع ذات المصدر الزراعي. وصناعة أنواع الأسلحة من سيوف وخناجر ورماح من المعادن، وكذا صـناعة الحلي والنقود من الذهب والفضـة، بالإضافة إلى أنواع الحلي من الأحجار الكريمة أو اليواقيت.

ولذلك فقد كثر النشاط البشري الذي عمل على تحويل السلعة من حالة إلى حالـة أخـرى. أو أنها هي العملية التي تهدف إلى القيـام بتعويض البلدان التي لا تنتج السلع الزراعية أو الطبيعة إلى جلبها والقيام بصناعتها، وممارسة النشاط التجاري بها.

البلدان الموجودة فيها السلع التجارية: تشكل البلدان التي توجد فيها السلع التجارية أهمية كبيرة لجذب النشاط التجاري إليها. وفي هذا سنذكر أهم السلع التي تنتجها البلدان بصورة إجمالية؛ وهي الآتي:

– من الصـين يسـتورد: «الفرند والحرير والغضائر والكاغد والمداد، والدار

صيني... والذهب، والعقاقير والجوزبوّا... والديباج والأقفال المحكمة»، ومن الواق واق: الذهب والأبنوس».

– ومن الهند يستورد: «الأعواد والصندلان والكافور والماكافور والجوزبوّا والقرنفل والقاقلة والكبابة والنارجيل والثياب المتخذة من الحشيش والثياب القطنية المخملة والفيلة»، وكذا «جلود النمور والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند»[٥].

– ومن السند والهند: من جهة ما يستورد من البلدان «أنواع الطيب والجواهر كاليواقيت والألماس، وغير ذلك من الحجارة الثمينة، والكركدن والفيل والطاوس والعنبر والقرنفل والسنبل والخولجان والدار الصيني والنارجيل والهلبلج والتوتياء والخيزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة»[٦].

– ومن سرنديب (سيلان) يستورد: «الياقوت ألوانه كلها وأشباهه الماس والدر والبلور والسنباذج الذي يعالج به الجوهر، ومن ملي وسندان الفلفل. ومن كلة الرصاص القلعي. ومن السند القسط والقنا والخيزران»[٧].

– ومن اليمن يستورد: «البرود والأدم... والعقيق والكندر والخطر والورس»[٨]، وكذا «الوشي وسائر ثيابهم والعنبر»[٩]، وأيضًا لأهل اليمن الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية [١٠]، والسيوف اليمانية.

– ومن أرض العرب: الخيل العراب والأدام.

– ومن بلاد الزنج يستورد: الحديد وجلود النمور والذهب والعاج والعنبر وغيرها[١١].

حركة الرياح: كانت حركة الرياح من أهم العوامل الطبيعية التي اعتمد عليها سير المراكب التجارية عبر البحار، كما كانت إحدى العوامل المساعدة على قيام وازدهار النشاط التجاري البحري لجنوب الجزيرة العربية فيما بين بلدان العالم، خلال عدة عصور من أهمها العصر الإسلامي.

وتعد هذه الرياح إحدى آيات الله لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٢-٣٤].

وكان لهبوب هذه الرياح أوقات أو أسفار أو مواسم محددة واتجاهات معينة، أُطلق عليها الرياح الموسمية بحسب موسم هبوبها، ورياح جنوبية أو شمالية بحسب اتجاهها.

وعن مواسم واتجاهات حركة الرياح التي كانت سائدة فيما بين جنوب الجزية العربية وبين الهند والصين وشرق إفريقيا، فهي الآتي:

أولًا: الرياح الموسمية الشمالية الشرقية المتجهة من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي للسفر غربًا. والتي كانت تهب خلال المدة من أكتوبر (تشرين الأول) إلى مارس (آذار)، وفيها كانت المراكب التجارية تقدم من الصين والهند وما بينهما من بلدان وجزر إلى جنوب الجزيرة العربية ـ اليمن وعُمان ـ وإلى شرق إفريقيا.

ثانيًا: الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المتجهة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي للسفر شرقًا، والتي كانت تهب خلال فترتين هما: من إبريل (نيسان) إلى مايو (أيار)، ومن أغسطس (آب) إلى سبتمبر (أيلول). وفيها كانت السفن التجارية تسافر من جنوب الجزيرة العربية وشرق إفريقيا نحو الهند والصين وما حولهما من بلدان وجزر(١٢).

مراحل سير المراكب التجارية: نظرًا لأن سير المراكب التجارية عبر الطرق

البحرية كان يعتمد اعتمادًا كبيرًا على اتجاه هبوب الرياح ومواسمها، فقد كان من الأهمية معرفة مراحل سير هذه المراكب التجارية من مراسي جنوب الجزيرة العربية إلى الموانئ التجارية في أنحاء البلدان. وكانت مراحل ذلك السير تتم حسب قرب البلد أو بعده، وحسب خروج المراكب من المراسي في بداية الموسم أو وسطه أو نهايته، وحسب شدة هبوب الرياح وهدوئها. وحسب توفر السلع التجارية، والهدف من العمل التجاري، وحجم السفن التجارية. ولذلك فقد تعددت مراحل أو محطات سير المراكب التجارية وفقًا لذلك؛ منها ما كانت تسير متنقلة عبر عدة محطات أو عبر محطة واحدة أو بمحاذاة السواحل. ومنها ما كانت تسير حتى آخر محطة تجارية مباشرة دون توقف. نصف ذلك بالآتي:

مراحل سير المراكب التجارية نحو المشرق ومواسمه: شكلت بلدان المشرق أهم البلدان التجارية مع بلدان الجزيرة العربية لتوفر الكثير من السلع التجارية؛ من أهمها التوابل والأفاوية والفلفل والزنجبيل وغيرها. ولهذه المراحل مواسم معينة ومحطات نصفها بالآتي:

فعن مواسم رحلة خروج المراكب التجارية من موانئ الجزيرة العربية نحو المشرق الصين والهند وما بينهما من جزر وبلدان، فقد كان يتم فيما بين شهر إبريل حتى منتصف شهر أكتوبر، أما رحلة العودة من المشرق نحو موانئ الجزيرة العربية، فقد كان يتم فيما بين شهر نوفمبر حتى مارس[١٣].

أما عن مراحل أو محطات سير المراكب التجارية من مراسي الجزيرة العربية إلى المشرق الصين والهند والعكس، فقد كان كالآتي:

الصين China: تعد بلاد الصين من أهم البلدان جذبًا للنشاط التجاري العربي والإسلامي لكثر السلع التجارية بها. ومن أهم موانئ الصين التي كان التجار العرب يقصدونها هي مدينة خانفو أو كانتون. والتي وصفت بأنها: «مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب»[١٤]. أما أهم مراسي جنوب الجزيرة العربية التي

كان لها علاقة تجارية مع الصين، فهما عدن في اليمن وصُحار في عُمان. واللتان وصفتا بأنهما مرفأ السفن التجارية القادمة من الصين والذاهبة إليها[١٥].

ونظرًا إلى بعد الصين عن بلاد العرب، فقد تعددت مراحل السفر إليها، ووصلت في بعض الأحيان إلى أربع مراحل أو محطات، نصف ذلك بالآتي:

- السير نحو الصين عبر عدة محطات أو مراحل: في بعض الأحيان كان سفر المراكب التجارية من الجزيرة العربية نحو الصين وما جاورها من بلدان وجزر تسير عبر عدة محطات قد تصل إلى أربع محطات أو مراحل؛ من ذلك مثلاً:

كانت المراكب التجارية تخرج من ميناء عدن أو موانئ عُمان، مثل مسقط أو صُحار أو قلهات، تسير إلى كولم ملي في الهند، ومنها إلى كله بار في جزيرة الملايو، ومنها إلى صنف فولاه أو نصف فولات وهي (تشامبا) في فيتنام، ومنها إلى كانتون في الصين[١٦]. وكانت طريق العودة من الصين إلى الجزيرة العربية تسير عبر نفس هذه المحطات إذا أرادت السير عبر عدة محطات أو مراحل.

- السير نحو الصين عبر محطة أو مرحلة: غالبًا ما كان سير المراكب التجارية من الجزيرة العربية إلى الصين وما جاورها من جزر وبلدان عبر محطة واحدة تقع في منتصف الطريق، وهي مرسى كله بار في جزيرة الملايو؛ من ذلك:

كانت السفن التجارية تخرج من مرسى عدن أو مراسي عُمان إلى كله بار في الملايو، وكانت من أهم المراكز التجارية التي كان العُمانيون والسِرافيون يصلون إليها، وهي تقع في منتصف الطريق فيما بين الصين والجزيرة العربية. ومن كله بار تسير المراكب نحو خانفو أو كانتون في الصين[١٧]. وعلى نفس هذا الطريق تكون العودة من الصين إلى الجزيرة العربية. وكان السير عبر هذا الطريق هو

الأكثر استخدامًا في العصر الإسلامي؛ من ذلك مثلاً:

سار مركب تجاري في سنة ٣١٧ هـ من مرسى كله بار إلى ميناء عُمان، فوصلها بعد ٤٨ يومًا. كما سار في سنة ٣١٧هـ أيضًا مركب تجاري من كله بار إلى مرسى الشحر، فوصله في ٤١ يومًا. وكذلك سار مركب تجاري من كله بار إلى عدن مباشرة(١٨).

– السير نحو الصين مباشرة دون توقف: نادرًا ما كان يتم سفر المراكب التجارية من الجزيرة العربية إلى الصين والعكس مباشرة دون توقف. من ذلك: سار مركب تجاري من مسقط في عُمان إلى كانتون في الصين(١٩). كما ورد إلى عُمان من الصين مركب تجاري لأحد التجار بلغ عشوره ألف ألف درهم(٢٠).

الهند India: تمثل بلاد الهند أهم البلدان جلبًا للنشاط التجاري للعرب والمسلمين، لقربها من بلاد العرب، وكثرة سلعها التجارية. ومن أهم مراسي الهند التي كان التجار العرب يكثرون التردد عليها: كجرات وقاليقوط وكولم، وغيرها. أما أهم مراسي جنوب الجزيرة العربية، فهي: عدن وريسوت وقلهات، التي وصفت بأنها مرفأ السفن التجارية القادمة من الهند والذاهبة إليها(٢١).

ولقرب الهند من البلاد العربية، فقد كانت المراكب التجارية غالبًا ما تسافر إلى موانئها في رحلة واحدة مباشرة دون توقف، وأحيانًا تسافر متنقلة عبر موانئها المتعددة. نصف ذلك بالآتي:

مرحلة الرحلة الواحدة المباشرة إلى الهند: كانت أهم طرق سير المراكب التجارية من الجزيرة العربية إلى الهند هو السير إلى موانئها عبر رحلة واحدة مباشرة دون توقف لقربها. فكانت رحلة السفن التجارية تخرج من عدن أو الشّحر في اليمن، أو ظفار أو مسقط أو قلهات أو صُحار بعُمان، تسير إلى مراسي الهند؛ مثل مرسى كولم أو قاليقوط أو كجرات أو غيرها. كما كانت رحلة العودة

تأتي من هذه الموانئ الهندية إلى موانئ بلاد العرب. من ذلك مثلاً: كانت السفن التجارية تأتي من كولم إلى ريسوت، أو أي مرسى آخر على ساحل الشحر أو المهرة، ومنها تسير نحو عُمان أو سيراف أو عدن أو غيرها(٢٢).

ومن ذلك مثلاً: قدم ابن بطوطة من قاليقوط بالهند إلى ظفار الحبوضي بعُمان في رحلة واحدة، فوصلها بعد ٢٨ يومًا، ومنها سار نحو مدينة عُمان(٢٣). يضاف إلى ذلك مرحلة سير المراكب التجارية متنقلة بين موانئ الهند المتعددة بهدف التجارة.

مراحل السير نحو جنوب إفريقيا: تشكل بلدان جنوب شرق إفريقيا أهمية كبيرة للنشاط التجاري لبلدان الجزيرة العربية، لتوفر السلع التجارية مثل الحديد والذهب والعاج، وقربها. والسير لهذه الجهة مراحل ومواسم محددة أو محطات، نذكرها بالآتي:

فمن جهة مواسم السفر إليها من جنوب الجزيرة، فقد كان يتم فيما بين شهر نوفمبر حتى شهر مارس. أما العودة منها إلى الجزيرة، فقد كان فيما بين شهر إبريل حتى سبتمبر. وعن شدة رياح هذا البحر، فقد كان يوصف في بعض الأحيان بأنه موج «عظيم كالجبال الشواهق»(٢٤). أدى ذلك إلى إجبار بعض المراكب التجارية إلى التوجه إلى مراسٍ أخرى غير المراسي المقصودة؛ من ذلك مثلاً: خرج مركب تجاري من عُمان سنة ٣١٤هـ يريد جزيرة قنبلة، فعصفت به الرياح إلى سفالة.

أما عن مراحل أو محطات سير المراكب التجارية إليها من موانئ الجزيرة العربية، فهي الآتي:

مرحلة السير المباشر دون توقف: نظرًا إلى قرب موانئ جنوب شرق إفريقيا من بلدان الجزيرة العربية، فقد كان أهم مراحل السير إلى موانئها

المتعددة منها مقديشو وكلوة وسُفالة وجزيرة قنبلة وجزيرة القمر، هو الاتجاه المباشر دون توقف. من ذلك مثلاً: في سنة ٣١٥هـ سافر مركب تجاري من عُمان، فأوصلته الرياح إلى مرسى سفالة، ومن ذلك أيضًا خرج مركب تجاري سنة ٣١٠هـ من عُمان يريد جزيرة قنبلة، فأرسى في سفالة[٢٥]. كما كان الكثير من أهل عُمان يسافرون من صُحار إلى جزيرة قنبلة. وعن العودة من جنوب شرق إفريقيا إلى عُمان، فقد ذكر المسعودي أنه سافر في مركب تجاري سنة ٣٠٤هـ من جزيرة قنبلة إلى عُمان في رحلة مباشرة[٢٦].

وعلى ذلك، فقد كانت أهم مراحل السير إلى إفريقيا والعودة منها هي الرحلة الواحدة المباشرة دون توقف. وذلك ما أوضحه ابن المجاور بقوله: «إنهم كانوا يجمعون عدة مواسم في موسم واحد. من ذلك خرج مركب سنة ٦٢٦هـ من جزيرة القمر فأرسى بعدن»[٢٧].

كذلك سافر ابن بطوطة في مركب تجاري برحلة واحدة من مرسى كلوة إلى ظفار الحبوضي، ومنها سار إلى عُمان [٢٨].

مراحل السفر عبر عدة محطات: في بعض الأحيان اتصف سير المراكب التجارية من بلدان الجزيرة العربية إلى جنوب شرق إفريقيا عبر عدة محطات أو مراحل. من ذلك مثلاً: كانت المراكب التجارية تخرج من عدن إلى زيلع في رحلة، ومنها إلى مقديشو في رحلة ثانية، ومنها إلى كلوة في رحلة ثالثة[٢٩]. وكذلك كانت المراكب التجارية تسير من عدن إلى مقديشو في رحلة، ومنها إلى كلوة في رحلة أخرى، ومنها إلى جزيرة القمر في رحلة ثالثة أو موسم ثالث[٣٠].

مما سبق يتضح لنا أثر العوامل الطبيعية لحركة الرياح في مراحل تسير السفن التجارية وكيفية استفادة الإنسان منها.

صلاحية المراسي لرسو السفن التجارية: تشكل صلاحية المراسي لرسو

السـفن التجاريـة في العصـر الإسـلامي أهمية كبـيرة لقيام النشـاط التجاري وازدهـاره. وغالبًـا مـا كانت تخضـع لعوامـل طبيعيـة، من حيث تميز المراسـي بالحصـانة الطبيعية؛ مثل وجود جبال حول المرسـى تسـمح بحمايتها، وتميزها بعمق البحر المقابل للمرسـى تسمح للسـفن التجارية بأنواعها الصغيرة الكبيرة بالرسـو فيها. وكـذا تميزها بخورات، وهي مداخل بحرية في البر إلى المراسـي، تمنع وصـول الأمـواج الكثيرة إلى السـفن التجارية. وذلك يسـمح بعدم تحريك السـفن أثناء وقوفها، ليتيـح لهم ذلك عملية تحميل البضـائع التجارية وإنزالها بسـهولة ويسـر دون تعطيل تحركاتهم. وكأمثلة لتوضـيح ذلك نـورد أهم الموانئ الصالحة لرسو السفن التجارية ضمن المراكز التجارية الآتية:

المراكـز التجاريـة: من الأهمية ذكر المراكـز التجارية وهي المدن البحرية أو الموانئ التي يجري فيه تجميع أنواع السلع التجارية من أنحاء مدن البلد الواحد، والتي يجتمع فيها التجار من عدة بلدان لبيع سـلعهم المجلوبة وشراء أنواع السلع الأخرى المتجمعة بهذه المراكز، نصف ذلك بالآتي:

١- **المركـز التجارية في جنوب شـرق إفريقيا**: كان لازدهار النشـاط التجار لجنوب الجزيرة العربية مع بلاد الزنج أو جنوب شرق إفريقيا عدة أسباب؛ منها:

أ. السـبب الأول: كثرة السلع التجارية؛ منها: الذهب والحديد والعاج وأنياب الفيلة، والذي كان له أهمية تجارية كبيرة في شـرق إفريقيا يعادل تجارة البخور في جنوب الجزيرة العربية[٣١]. بالإضـافة إلى العنبر والرقيق وغيرها من السلع التجارية. وهذه السلع كان لها رواج كبير في الأسواق العربية والإسلامية وجنوب شـرق آسـيا. فعمل التجار العرب على استجلاب هذه السلع وتصريفها في أنحاء البلدان، ولذلك نشطت حركة التجارية العربية مع بلاد الزنج.

ب. السـبب الثاني: يرجـع إلى أن أهل بلاد الزنج كانـوا لا يملكون (مراكب

يســافرون فيهــا) للعمل التجــاري، (وإنما تدخل المراكب مــن عُمان وغيرهم)، لجلب ما لديهم من سلع تجارية وتصريفها في البلدان الأخرى.

ت ـ الســبب الثالــث: كان أهل جزيرة الزابج (إندونيســيا) يأتــون إلى بلاد الزنج بمراكب صـغيرة لجلب سـلعة الحديد لرخص ثمنها وكثرتها. ولذلك عمل أهل عُمان بمراكبهم الكبيرة على التجارة بالحديد فيما بين البلدين[٣٢].

وللأســباب نفســها اشترك أهل ســيراف وأهل اليمن في النشــاط التجاري بــين بلاد الزنج وبلدانهــم وبلدان أخرى. وفي هذا ســنذكر أهم المراكز التجارية التي قامت على ســاحل بلاد الزنج، التي كان لها نشــاط تجاري مع موانئ جنوب الجزيرة العربية وهي كالآتي:

بلاد سُفالة Sofala: تقع على ســاحل البحر في آخر بلاد الزنج وحاليًا في موزنبيــق، وتعد مــن المراكز التجارية المهمة التي كان لها نشــاط تجاري كبير مع جنوب الجزيرة العربية لكثرة ما بها من الذهب والحديد. وقد وصف القلقشندي ما تتميز بها سُـفالة بهاتين السلعتين بقولة: «سُــفالة الزنج...أكثر معايشهم من الذهب والحديد»[٣٣]. ولأهمية هاتين الســلعتين في جلب النشاط التجاري العربي إليها نصفها ونصف أماكنها والنشاط التجاري بها بالآتي:

الذهب: تشــتهر بلاد سُفالة بكثرة الذهب وجودته. وصفها الإدريسي بقولة: «وبجميع بلاد سُفالة يوجد التّبر الذي لا يعدله شيء من التّبر في الطيب والكثرة والعظم». ولذلك أُطلق عليها سُفالة التبر أو سُفالة الذهب[٣٤].

ومــن المناطق التي يوجــد بها التبر أو الذهب بكثرة في بلاد سُــفالة: جزيرة الواق واق، التي تقع في أقصى بلاد سُفالة، وتتميز بأنها «أرض كثيرة الذهب»[٣٥]. وأيضًــا «مدينة جســطة، وهي مدينة صــغيرة وبها يوجد التبر كثيرًا، وهي غلَّتهم

وشـغلهم وإياءه يطلبون ومنه معايشـهم»[٣٦]، كما كان التبر يأتي إلى بلاد سُفالة من منطقة يوفى من بلاد الليميين، وهي على بعد شهر منها[٣٧].

وعن التعامل التجاري مع بعض أهل سُـفالة، فقد كان «التجار يحملون إليها الأمتعـة، ويضـعونها في أرض قريبـة منهم ويرجعـون، ثم إن أهل سُـفالة - وهم سـودان - يأتون ويتركون ثمـن كل متاع بجنبه»[٣٨]. والواقـع أن تخوّف بعض أهل سُفالة من مقابلة التجار ناتج عن انتشار تجارة الرق في إفريقيا.

ولم يكن هذا التصرف منتشرًا في أنحاء سفالة، فقد كان الكثير من مناطق سُفالة ومدنها يلتقون بالتجارة؛ من ذلك مدينة دنموطة في بلاد سُفالة، التي كان أهلها عراة، و«لكنهم يسترون بأيديهم عند التقائهم بالتجار الداخلين إليهم من سائر الجزر المجاورة لهم»[٣٩].

أهمية الذهب: كان الذهب من أهم السلع التجارية لاتصافه بأنه «لا يصدى على طول الزمان». وقد أجاد الإنسان استخدام الذهب في عدة صناعات؛ أهمها صناعة الحلي للنساء، وسك النقود لتسهيل المعاملات التجارية بين الناس، وهي عملية البيع والشـراء التي تكثر فيها حاجات الناس لأنواع السـلع وهي لا تنقضي إلا بالنقـود[٤٠]، لذلك يعد الذهب أكثر المعادن النفيسـة اسـتخدامًا بين الناس، فكثر الطلب عليه وأصبح من أهم السلع التجارية.

أهمية الحديد: يصف القزويني الحديد بأنه: أكثر فائدة من سائر الفلزّات، ولذلك قال الله تعالـى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، «فالبأس في النصول والمنافع في الآلات، حتى قيل: ما مِن صنْعة إلا وللحديد فيها أو في أداتها مدخل»[٤١].

ويكثر الحديد أيضًـا في بلاد سُفالة. وقد شـكل أهم السلع التي تعيش عليها بعض مدنها، من ذلك مدينتا حنطمة ودندمة في سُفالة، وذلك ما ذكره الإدريسي

بقوله: «وليس بأيديهم شـيء يتصـرفون به ويتعيشـون منه إلا الحديد، وذلك أن بلاد سُفالة توجد في جبالها معادن الحديد الكثيرة»[٤٢].

التعامـل التجـاري بالحديـد: يعـد الحديد من أهـم السـلع التجارية التي كان تجـار الجزيرة العربية وإندونيسـيا والهنـد وغيرها يتاجرون به. والسـبب في ذلـك يرجع إلى رخص ثمنه وجودته في بلاد سُـفالة عـن غيرها من البلدان. وكان العُمانيون والسـرافيون أكثر أهل الجزيرة العربية يأتون بمراكبهم الكبيرة للتجارة بالحديد من بلاد سفالة؛ من ذلك أنه خرج مركبان تجاريان من عُمان، أحدهمـا سـنة ٣١٠هـ، وثانيهما سـنة ٣١٥هـ نحـو قنبلة، إلا أن الريـاح قادتهما إلى سُـفالة[٤٣]. كما كان أهل جزيرة الزابج أو (إندونيسـيا) وما حولها من جزر يأتون بمراكبهم الصـغيرة إلى بلاد سُـفالة للتجـارة بالحديد، فكانوا «يخرجون من عندهم إلى سائر بلاد الهند وجزائرها فيبيعونه بالثمن الجيد». والسبب في ذلك يرجع أن «بلاد الهند أكثر تصرفهم وتجارتهم بالحديد».

وعلـى ذلك فقد كانت الهند أكثر البلدان المسـتوردة للحديد لكثرة تجارتهم بـه. وعلى الرغـم من وجود معـدن الحديد وكثرتـه في جزائر الهنـد وفي الهند نفسها، إلا أنه «ببلاد سُفالة هو أكثر وأطيب وأرطب»، ولكن الهنود كانوا يجيدون صـناعة الحديـد ـ ومنها السـيوف ـ أكثر من غيرهم مـن الأمم، فكثرة تجارتهم به. وكان لهم مصـانع أو دور الضـرب للسيوف مشـهورة، وطريقتهم في صناعة الحديد أنهم كانوا: «يحسـنون تركيب أخلاط الأدوية التي يسـبكون بها الحديد اللّيِّن، فيعود هنديًّا ينسـب إلى الهند». ولذلك اشتهرت الهند بصناعة السيوف، فقيل عنها: «ولا يوجد شـيء من الحديد أمضـى من الحديد الهندي، وهذا شيء مشهور لا يقدر أحد على إنكار فضيلته»[٤٤].

كلوة Kilwa: هي إحدى المدن السـاحلية لأرض الزنج، ويرجع بداية نشأتها إلـى هجرات قدمت إليها من شـيراز[٤٥]، أو هجرات من الأحسـاء لأتباع الإمام

زيـد، قدمت إليها في القرن العاشـر الميلادي هربًا من الدولة العباسـية[٤٦]. ثم غلب عليه الإسـلام، فسـميت كلـوة أو (كلية زنج المسـلمين)، وعندما زارها ابن بطوطـة وصـفها بأنها: «مدينة عظيمة سـاحلية أكـثر أهلها الزنوج المسـتحكمو السـواد». كما وصـفت عمارتهـا بأنها: «من أحسـن المدن وأتقنها عمـارة، وكلُّها بالخشـب». وكان يحكمها سلطان مسـلم، هو أبو المواهب الحسن بن سليمان بن طالوت المهدلي، ينتسب إلى حضارمة اليمن. وأهم ما بها من السلع التجارية هي العاج ثم الذهب[٤٧]، التي كان التجار العرب والمسلمون يستوردونها منها.

وقد تمكنت كلوة من مد سلطانها إلى بلاد سُفالة، التي تشتهر بإنتاج الذهب والحديد، فأدى ذلك إلى تحول تجارة الذهب والحديد إليها بالإضافة إلى العاج. فأصـبحت كلوة بذلك مـن المراكز التجارية المهمة التي يفـد إليها التجار العرب والمسـلمون[٤٨]. فكانـت المراكب التجارية تصـل من كلوة إلى ظفار وإلى صُـحار عدن، كما كانت من أهم المراكز للثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا.

جزيرة قنبلو: هي إحدى جزائر بلاد الزنج، عامر بهم[٤٩]. اسـتوطنها قوم من المسـلمين هاجـروا إليها منذ نهاية الدولـة الأموية وبداية الدولة العباسـية، فغلبوا عليها وحكموها[٥٠]. وربما تكون جزيرة قنبلو هي الجزيرة الخضـراء التي ذكرها ياقوت الحموي بأنها: «جزيرة عظيمة بأرض الزنج من بحر الهند»، وفيها مدينتـان: إحدهما متبنى والأخرى مكنبلو. وكل واحدة لها سـلطان مسـتقل عن الآخر، أحدهما عربي[٥١].

ومـن المرجح أن مدينة مكنبلـو هي ما يطلق عليها جزيـرة قنبلو، التي غلب عليهـا المسـلمون والعرب. وعند تحديد جزيـرة قنبلو، فقد اختلـف المؤرخون في ذلك؛ فمنهم من ذكر أنها جزيرة مدغشقر[٥٢]، أو جزيرة بمبا أو جزيرة زنجبار أو جزيـرة مافيـا، ومن المرجـح أنها الجزيرة الخضـراء، ومع ذلـك ربما تكون مدغشقر.

وأهـم مـا بها من السـلع: «الأبنوسـ والبهار ومعـادن الذهـب»(٥٣). أما عن نشـاطها التجاري، فقد كان أكثره مع عُمان، وذلك ما ذكره المسعودي بأنه تردد بينهـا وبين عُمان عدة مرات بقوله: «وآخر مرة ركبت فيه في سـنة أربع وثلاثمئة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عُمان»، وهي صُـحار عاصـمة عُمان(٥٤). وذكر بزرك أن المراكب التجارية خرجت من عُمان سنة ٣١٠هـ وسنة ٣١٥هـ تريد قنبلة، ولكن الرياح قادتها إلى سُفالة(٥٥).

ملنـدة (ماليندة) Malinda: هي إحـدى المدن الكبيرة على سـاحل بلاد الـزنج، وتقع حاليًا في تنزانيا. وأهم السـلع التجارية فيها الحديد، الذي يشـكل أهم تجارتهم ومكاسبهم، بالإضافة إلى جلود النمور.

منبسة (ممباسا) Mombassa: وهي من المدن الصغيرة على ساحل بلاد الـزنج في تنزانيا حاليًّا، والمراكـب التجارية تدخل إليها عـبر خور كبير، وتظهر أهميتهـا أن ملك الزنج يسـكن فيها. أما أهم السـلع الموجـودة بها، فهي الحديد وجلود النمور(٥٦).

وعن النشـاط التجاري لمدينتي ملندة ومنبسـة، فقد كانتـا مركزين مهمين لتجمع السـلع التجارية من عدة مناطق من بلاد الزنج، وتصـريف ما يفد إليهما من أنواع السلع القادمة من البحر؛ يوضح ذلك الإدريسي: أن أهلها كانوا «ينقلون أمتعتهم على رؤوسهم وعلى ظهورهم إلى مدينتي منبسة وملندة، فيبيعون هناك ويشترون»(٥٧)، وذلك لعدم وجود دواب تحمل البضائع لديهم.

مقديشو: وهي أول بلاد الزنج على ساحل الصومال، وهي مدينة كبيرة تقع على نهر كبير(٥٨)، وتوصـف بأن أهلها كلهم غرباء قدموا للعمل التجاري، سـواء من داخل الصـومال أو من خارجها. وأهم السلع التي تجلب منها هي: «الصندل والأبنوس والعنبر والعاج»(٥٩).

تلك هي البلدان التي تقع ضـمن ما يسـمى ببلاد الزنج الممتد من مقديشـو حتى سُفالة.

بالإضافة إلى ذلك، هناك مدن أخرى تقع على ساحل شرق إفريقيا كان لها علاقة تجارية مع موانئ جنوب الجزيرة العربية؛ منها بربرة التي كان يجلب منها «الزرافة والبيز والكركدن والنمر والفيل وغير ذلك»[٦٠]، ومدينة زيّلع التي كان يكثر توافد التجار ومراكب القُلزم التجارية المحملة بأنواع من التجارات، التي يجري تصريفها أو بيعها في بلاد الحبشة. أما أهم السلع المستوردة منها، فهي الرقيق والفضة، والقليل من الذهب[٦١].

المراكز التجارية في شرق وجنوب شرق آسيا:

منها الصين والهند الصينية وإندونيسيا والهند، ونذكر ذلك بالآتي:

١- **الصين** China: ازدهر النشاط التجاري بين الجزيرة العربية والصين خلال المراحل التاريخية، من أهمها العصر الإسلامي لاتساع الدولة الإسلامية، وذلك لعدة أسباب؛ منها الآتي:

أ. **صفة الصين**: توصف الصين بأنها بلد واسع، كثير الخيرات كثير المياه والأشجار، كما توصف بأنها «من أحسن بلاد الله وأنزهها»[٦٢]، كما أنها «آمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافرين»، بحيث إذا سافر فيها التاجر منفردًا ومعه الأموال الكثيرة فلا يخاف عليها[٦٣]، وتتميز الصين بأنها متصلة العمارة وكثرة مدنها التي بلغت آنذاك ٣٠٠ مدينة عامرة، منها ٩٠ مشهورة[٦٤].

وعن الموانئ أو المراكز التجارية للصين، فإنها تقع على أنهار كبيرة، وفي كل واحدة خور كبير يسمح للسفن التجارية بالدخول فيه، وذلك ما ذكره الإدريسي بقوله: «وجميع مرافئ الصين لا يكون منها شيء إلا على خور تصعد فيه المراكب الشهر والأكثر والأقل». كما تتميز موانئ الصين بالنشاط التجاري، وهو وجود «أسواق وتجار وخرج ودخل ومراكب وبضائع تحمل وأخرى تحط»[٦٥]. ويتميز أهل الصين بنشاطاتهم التجارية وكثرة أموالهم، وذلك ما يوضحه ابن بطوطة بقوله: «ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاء إلى البلاد،

وليس في الدنيا أكثر أموالاً من أهل الصين»[٦٦]. ومن حيث الصناعة، فقد وصف أهل الصين بأنهم أحذق الناس بالصناعات الدقيقة[٦٧].

يضاف إلى ذلك أن الصين تميزت بالأمن والعدل؛ يوضح ذلك الإدريسي: «وبهذه البلاد الأمن المتصل، وفي ملوكها العدل، وهو سُنَّتهم وعليه يعوِّلون»[٦٨].

كما تميزت الصين بأن حاكمها كان يولِّي على المسلمين فيها مسلمًا منهم، وذلك ما ذكره ابن بطوطة: «ولابد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام، تكون أمور المسلمين راجعة إليه، وقاضٍ يقضي بينهم»[٦٩].

هذه الصفات التي تميزت بها الصين جلبت إليها النشاط التجاري من أنحاء البلدان. وكمثال للنشاط التجاري للبلاد العربية مع الصين، ففي سنة ٣٠٠هـ قدم من الصين إلى عُمان مركب تجاري لأحد التجار بلغ عشوره «ألف ألف درهم ونيف»[٧٠].

ب - توفر السلع التجارية: تعد السلع التجارية الموجودة في الصين من أهم عوامل جذب النشاط التجاري إليها. وقد تميزت الصين بكثرة السلع التجارية الزراعية؛ مثل القرنفل والدار صيني (القرفة)، والطبيعية مثل الذهب والفضة والجواهر واليواقيت، والصناعية مثل صناعة الغضار الصيني المتصف بالبياض، ومنه الشفاف وغير الشفاف، ويتميز بالصلابة وتحمل الحرارة أو النار[٧١]. وكذا صناعة الحرير الصيني وغيره.

أهم المراكز التجارية الموجودة في الصين التي كان لها نشاط تجاري مع البلاد العربية:

١ - **لوقين أو تونكين أو هانوي** Ton-kin: وهي أول موانئ الصين. ومن السلع التجارية الموجودة فيها: الحجر الصيني والحرير الصيني والغضار الجيد الصيني، وكذا طرز الديباج.

وعن نشاطها التجاري يتم تصدير هذه السلع إلى جميع الجهات والبلدان،

كما أنها تتميز (بعمل الغضار الصيني)، الذي يجري تصديره منها إلى سائر البلاد المتصلة بها والمتباعدة عنها.

٢- **خانفو أو كانتون** Canton: هي مدينة من أكبر وأعظم موانئ أو مراكز الصين التجارية[٧٢]، تقع على نهر عظيم يسمى خمدان، ويسكنها للعمل التجاري خليط من الناس والديانات؛ مثل المسلمين والنصارى واليهود والمجوس، وغيرهم من أهل الصين.

وعن نشاطها التجاري، فقد كانت السفن أو المراكب التجارية القادمة من البصرة وسيراف وعُمان، ومن مدن الهند المتعددة وجزائر الزابج (إندونيسيا) وغيرها من الممالك، تأتي إليها محملة بأنواع السلع، وتستجلب منها أنواع السلع[٧٣].

وعن علاقتها التجارية مع البلدان العربية، فإنها كانت «مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب وأهل الصين»، وأنها أهم مدن الصين التي كان التجار العرب يقصدونها[٧٤].

٣- الزيتون أو جوان شو أو تشوان تشو Ts' wan-chow-Fu: توصف بأنها مدينة كبيرة «ومرساها من أعظم مراسي الدنيا»[٧٥]، وأهم السلع التي صنعت بها هي ثياب الكمخا والأطلس. وكان يوجد بها جالية من التجار المسلمين قابلهم ابن بطوطة، منهم القاضي تاج الدين الأردويلي، وكبير التجار المسلمين شرف الدين التبريزي[٧٦]، ويرجِّح الصيني أن الزيتون هي خمدان.

٤- مدينة الخنساء أو كنساي Quinsy أو هانج تشو Hang-chow: توصف بأنها أعظم موانئ الصين، وتقع شمال الزيتون. يصفها ابن بطوطة بأنها أكبر مدينة رآها على وجه الأرض، وتوصف بأنها مكونة من ست مدن؛ منها المدينة الثالثة التي يسكنها التجار المسلمون، وهي «مدينة حسنة، وأسواقها

مرتبة كترتيبها في بلاد الإسلام، وبها المساجد والمؤذنون». وبهذه المدينة يكثر عدد التجار المسلمين، ومن أشهرهم أولاد التاجر عثمان بن عفان المصري، الذي استحسن الاستيطان بها، وكان أحد التجار الكبار فيها[٧٧]، «وإليها ينتهي وصول التجار المسافرين» من مصر[٧٨].

٥ - سوسة أو سوجة Su-chow: هي إحدى المدن المشهورة في الصين، وتقع على شرق نهر خمدان الكبير، وتتميز بأنها «متصلة العمارة». وعن نشاطها التجاري، فهي تتميز بكثرة التجارات وكثرة أموال أهلها، وأنهم يصدِّرون سلعهم التجارية إلى أنحاء الأمصار والآفاق. وأهم ما يصنع بها من السلع «الغضار الصيني، الذي لا يعدله شيء من فخار الصين جودة»، كما يوجد بها «طرز كثيرة، مشهورة بعمل الحرير الصيني الرفيع القيمة المحكم الصنعة، الذي لا يقرن به غيره»[٧٩].

٦ - صين الصين أو صين كلان: وتقع في أقصى الصين، وهي عاصمة خمدان الكبرى، أو عاصمة منزي، أي ولاية فوكين حاليًّا. ويصف الإدريسي نشاطها التجاري بقوله: «لا تعدلها مدينة في الكبر، وكثرة العامر، وسعة التجارات، وكثرة البضائع، واجتماع التجار إليها من سائر الأقطار، ومن بعض المدن الهندية المجاورة للصين»[٨٠]. كما وصفها ابن بطوطة بأنها: «من أكبر المدن وأحسنها أسواقًا، ومن أعظم أسواقها سوق الفخار، ومنها تحمل إلى سائر بلاد الصين وإلى الهند واليمن»[٨١].

٧ - سندابل: توصف بأنها قصبة بلاد الصين، وبها دار المملكة، وعن نشاطها التجاري: يوجد بها من السلع التجارية «أنواع الطيب كالقرنفل والدار صيني (القرفة)، وبها أنواع الجواهر كاليواقيت ونحوها والذهب الكثير»[٨٢].

٧- سقلا: تقع على ضفة نهر. توصف بكثرة السكان، وعن نشاطها التجاري،

فتوصف بأنها كثيرة التجارات، «إليها مقصد التجار من كل الأقطار المجاورة لها والمتباعدة عنها بضروب البضائع ونوافق الأمتعة وأنواع من التجارات»[٨٣].

تلك هي أهم المراكز التجارية في الصين، وأهم سلعها التجارية التي كان لها دور في النشاط التجاري.

وعن جزيرة السيلا (كوريا) (Korea) وجزيرة الواق واق (اليابان) Japan : يوجد بهما الذهب الكثير «حتى إن أهلها يتخذون سلاسل كلا بهم وأطواق قرودهم من الذهب»[٨٤]. ويتميز أهل جزيرة الواق واق أنهم: «أحذق خلق الله بالصنائع»[٨٥]. ونادرًا ما كان التجار العرب يصلون إليهما، ولكن سلعتهم التجارية كانت تصل إليهم عبر المراكب الصينية.

(للبحث صلة)

الهوامش:

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة صنعاء.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، د.ت ص٣٩٤- ٣٩٥.

(٢) ابن خلدون، **المقدمة**، ص٣٩٤، الألوسي، عادل محيي الدين، **تجارة العراق البحرية مع أندونسيا حتى أواخر ق٧ هـ/ ق١٣ الميلادي**، بغداد، دار الحرية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة الدراسات، ٣٥٨، ص٢٧.

(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، ص٣٩٦.

(٤) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد (٢٩٠ هـ)، **مختصر كتاب البلدان**، بيروت،: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٥١، الألوسي، **تجارة العراق**، ص٢٠٤.

(٥) ابن خرداذبة، أبو القاسم: عبيد الله بن عبد الله ت (٣٠٠ هـ) **المسالك والممالك**، بيروت، دار

إحيـاء التراث العربـي، ط١، ١٩٨٨م، ص٦٨-٦٩، الجاحظ، **التبصـرة بالتجارة**، تحقيق حسـن حسـني عبدالوهاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١٩٨٣،٢م، ص٣٤، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص٥٤.

(٦) ابن الفقيه، **مختصر البلدان**، ص٦٨-٦٩، مجموعة: **عُمان في التاريخ**، نشر وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، لندن، دار أميل للنشر، ١٩٩٥م، ص٣١٨.

(٧) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص٦٩، مجموعة عُمان، **عُمان في التاريخ**، ص٣١٨.

(٨) الجاحظ، عمرو بن بحر، **كتاب التبصرة بالتجارة**، ص٣٥،٣.

(٩) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص٦٩.

(١٠) ابن الفقيه، **مختصر البلدان**، ص٢٥٢.

(١١) الإدريسي: محمد بن محمد إدريس. ت (٥٦٠ هـ): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٩٨٩م، ص٦٠، المسـعودي: أبو الحسـن علي بن الحسـين بن علي (ت ٣٤٥هـ)، **مروج الذهب**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٣٩٣هـ، ١٣٧٣م،٢/٦-٧.

(١٢) مجموعة، **عُمان وتاريخها البحري**، نشـر وزارة التراث والثقافة، سلطنه عُمان، مطابع النهضة، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص٨٩-٩١.

(١٣) مجموعة، **عُمان وتاريخها البحري**، ص٩١.

(١٤) السـيرافي، أبو زيد حسن، سليمان التاجر، **أخبار الصـين والهند**، تحقيق يوسف الشاروني، نشر الدار المصـرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م، ص٣٦، ٦٤، الصيني، بدر الدين حي، **العلاقات بين العرب والصين**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٣٧٠،١هـ-١٩٥٠م، ص١٠٩، ص١٢٩.

(١٥) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر ت (٣٨٠ هـ): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص٨٤، ٨٧، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٥٤.

(١٦) ابـن الفقيـه، **مختصـر البلـدان**، ١٢، السـيرافي، ص٣٨-٤٠، حـوراني: جورج فاضـلو، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ترجمة: يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، نشر مكتبة الأنجلو المصـرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢١٩، أنور عبد العليم، **الملاحة وعلـوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة، عدد ٥٤٨، ١٣٩٩هـ، ١٩٩٧م، ص٦٩-٧٢، مجموعة، **عُمان وتاريخها البحري**، ص٩١.

(١٧) المسعودي، **مروج الذهب**، ١/١٤٠.

(١٨) بـزرك بن شـهريار الناخـذاه: **عجائب الهند بـره وبحره وجزائـره**، دار صـادر، بيروت، د.ت، ص١٣٠، ١٣٣، ٧٩، السـيرافي: أبو عمران محمد بن رباح الأوسـي (من أعلام ق ٤هـ)، **الصـحيح**

في **أخبار البحار وعجائبها**، تحقيق يوسف الهادي، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، ص١٥٨، ١٥٩، ١٢٦.

(١٩) حوراني، **العرب والملاحة**، ص٢١٩.

(٢٠) السيرافي، **الصحيح في أخبار البحار**، ص١٣٥.

(٢١) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤/٨٩، ٣٩٣، الصيني، ١٠٩، ١١٠.

(٢٢) حوراني، **العرب والملاحة**، ص٢١٨، أنور، **الملاحة وعلوم البحار**، ص٧٢، مجموعة، **عُمان وتاريخها البحري**، ص٩١.

(٢٣) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت (٧٧٩ هـ): **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، ص٦٤٨.

(٢٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ١/١٠٧.

(٢٥) بزرك، **عجائب الهند**، ص٥٠، ٥١، ٥٤.

(٢٦) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٠٧-١٠٨.

(٢٧) ابن المجاور: محمد بن مسعود بن علي ت (٦٣٠ هـ) **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز**، تحقيق: أوسكر لوفغرين، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١١٧.

(٢٨) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٥٩.

(٢٩) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٥٢-٢٥٣-٢٥٧.

(٣٠) ابن المجاور، **صفه بلاد اليمن**، ص١١٧.

(٣١) ترمنجهام، سبنسر، **الإسلام في شرق إفريقيا**، ترجمة محمد عاطف النواوي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٣م.

(٣٢) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٦٠، ٦١.

(٣٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد ت (٨٢١ هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥/٣٣٧.

(٣٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٦٨،٦٠، ٧٩.

(٣٥) المسعودي، **مروج الذهب**،٢/٦.

(٣٦) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٩.

(٣٧) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ٢٥٧.

(٣٨) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٤٤.

(٣٩) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٩.

(٤٠) القزويني، زكريا بن محمد، ت (٦٨٢هـ)، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، بيروت، دار الشرق العربي، ص١٨٢.

(٤١) القزويني، **عجائب المخلوقات**، ص١٨٣.

(٤٢) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٦٧.

(٤٣) بزرك، **عجائب الهند**، ص٥٠-٥٤، المسعودي، **مروج الذهب**، ١٠٨/١.

(٤٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٦٧، ٦٨.

(٤٥) شوقي عبدالقوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ٤١-٩٠٤ هـ/ ٦٦١ – ١٤٩٨م**، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٥١، ص١٦٨.

(٤٦) ترمنجهام، **الإسلام في شرق إفريقيا**، ص٣٧.

(٤٧) ابن بطوطة، **رحلة**، ص٢٥٧-٢٥٩.

(٤٨) شوقي، **تجارة المحيط الهندي**، ص١٦٩.

(٤٩) شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص٢١٨.

(٥٠) المسعودي، **مروج الذهب**، ص٢٩٨.

(٥١) الحموي، **معجم البلدان**، ص١٣٦/٢، ترمنجهام، **الإسلام في شرق إفريقيا**، ص٥١.

(٥٢) حوراني، **العرب والملاحة**، ص٢٣١.

(٥٣) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص٢١٨.

(٥٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ص١٠٨/١.

(٥٥) بزرك، **عجائب الهند**، ص٥٠-٥٤.

(٥٦) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٥٩-٦٠، الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ٧١٤ هـ): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر. القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م، ص٥٤٤، ٥٥٢.

(٥٧) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٦٠.

(٥٨) القلقشندي، أبو العباس أحمد، (ت ٨٢١ هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٣٦/٥.

(٥٩) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٦٢، الحموي، **معجم البلدان**، ١٧٣/٥.

(٦٠) الحموي، **معجم البلدان**، ٣٦٩/١-٣٧٠.

(٦١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٤٤، الحميري، **الروض**، ص٢٨٢.

(٦٢) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٥٣، ابن الفقيه، **مختصر البلدان**، ص١٨.

(٦٣) ابن بطوطة، **رحله**، ص٦٣٢.

(٦٤) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص٦٧.

(٦٥) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٨٩-٩٠.

(٦٦) ابن بطوطة، **رحلة**، ص٥٦٦.

(٦٧) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٥٣.

(٦٨) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٩٠

(٦٩) ابن بطوطة، **رحلة**، ص٦٣٤-٦٣٥.

(٧٠) بزرك، **عجائب الهند**، ص١٠٧.

(٧١) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٥٤-٥٥.

(٧٢) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص٦٧، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٨٤، الصيني، **العلاقات بين العرب والصين**، ص١١١، شوقي، **تجارة المحيط الهندي**، ص٢٠٠.

(٧٣) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٣٨/١، شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص٢٢٩.

(٧٤) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ص٣٦، ٦٤، شوقي، **تجارة المحيط الهندي**، ص١٩٩. الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٢٩. نعيم زكي فهمي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، ص١٦٢، العاني: عبد الرحمن عبد الكريم، **عُمان في العصور الإسلامية الأولى**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص١٤٨.

(٧٥) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص٦٣٣، الصيني، **العلاقات بين العرب والصين**، ص١٣٠، شوقي، **تجارة المحيط الهندي**، ص١٩٨.

(٧٦) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص٦٣٣.

(٧٧) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص٦٣٩، نعيم، **طرق التجارة الدولية**، ص١٦٤.

(٧٨) القشقلندي، **صبح الأعشى**، ٤٨١/٤.

(٧٩) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٢١٠، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ص٤٨٣/٤، الصيني، **العلاقات بين العرب والصين**، ص١٣٠.

(٨٠) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٢١١.

(٨١) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص٦٣٤.

(٨٢) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٤٦.

(٨٣) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٢١١.

(٨٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٩٢، القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**،٣٣.

(٨٥) بزرك، **عجائب الهند**، ١٧٤.

المستدرك على معجم سمات الإبل

الدكتور إسلم بن السبتي(*)

كنت قرأت منذ مدة مقالاً للعلامة راشد بن حمدان الأحيوي عن سِمات الإبل، نشرته **مجلة العرب** الغراء ضمن سبع حلقات، تناول فيها الباحث كل ما له علاقة بالسمات، فهي مشغل اجتماعي لصيق بتقاليد عرب الجاهلية، الذين جعلوا من الإبل الوسيلة الوحيدة التي اعتمدوا عليها في حِلِّهم وترحالهم.

وقد أدت بي تلك النظرة إلى استدراك بعض السمات التي لم يتسنَّ للباحث الوقوف عليها، ليس بالطبع تقصيرًا منه، ولكن مثل هذه البحوث الاستقصائية، التي تتنوع مصادرها، يصعب على الباحث الوقوف على كل حيثياتها. ومن هنا كانت لي الرغبة في تسجيل ما وقفت عليه مما لم يسجله باحثنا، أو سجله وندَّت عنه بعض الزيادات، فتبينتْ لي ضرورة إكمال الموضوع، ليس إلا.

لقد وقفت على بعض المصادر، التي لم يذكرها الباحث، ومن أهمها كتاب الإبل، للأصمعي، عبدالملك بن قريب، المتوفى سنة ٢١٦هـ. وقد حققه ونشره المرحوم الدكتور حاتم صالح الضامن. فالكتاب يتضمن بابًا خاصًّا بسمات **الإبل**، ضمَّنها بعض السمات التي لم يقف عليها الباحث. و**المنتخب من غريب كلام العرب** لعلي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل»، المتوفى بعد ٣٠٩هـ، حققه الدكتور محمد بن أحمد العمري، ونشرته جامعة أم

القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي). **والمحيط في اللغة** للصاحب كافي الكُفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. **وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني، المتوفى سنة ٥٧٣هـ، وقد حققه كل من الدكتور حسين بن عبدالله العمري، ومطهر ابن علي الإرياني، والدكتور يوسف محمد عبدالله. وغيرها.

تعريف الوسم:

عرَّف الخليل بن أحمد المادة في معجمه؛ حيث قال: الوَسْمُ والوَسْمَةُ الواحدة: شجرة وَرَقُها خضابٌ. والوسم: أثَر كيٍّ، وبعيرٌ موسومٌ: وُسِمَ بسمةٍ يُعْرَف بها من قَطْع أُذُنٍ أو كيٍّ. والمِيسَمُ: المكواة، أو الشيء الذي يُوسَمُ به سماتُ الدّوابّ، والجميع المواسم. قال الفرزدق:

لقد قلّدتُ جِلْفَ بني كليب ... قلائد في السَّوالف ثابتات
قلائدَ ليس من ذَهَبٍ ولكنْ ... مواسمَ من جهنَّم مُنْضِجات

وفلانٌ مَوْسومٌ بالخير والشرّ؛ أي: عليه علامته. وتوسمت فيه الخير والشر؛ أي: رأيت فيه أثرًا. قال:

توسمته لما رأيت مَهابةً ... عليه وقلت المَرْءُ من آلِ هاشم

وفلانة ذات مِيسَم وجمال ومِيسمها أثر الجمال فيها، وهي وسيمةٌ قسيمةٌ، وقد وَسُمَت وَسامةً بينة الوَسام والقَسام. قال:

ظعائنُ من بني جُشَمَ بن بَكْرٍ ... خَلَطْنَ بمِيسَم حَسَباً ودينا[1]

وقال أبو عبيدة في شرح النقائض: الميسم، وهي الحديدة تُحمى بالنار حتى تصير كالجمرة، ثم توضع على جلد البعير علامة، والميسم بالسين والشين[2].

وقد بين أبو هلال العسكري الفرق بين السِّمة والعلامة، حيث قال: إن السِّمَة ضرب من العلامات مخصوص، وهو ما يكون بالنار في جسد حيوان، مثل سمات الإبل وما يجري مجراها[3].

وإذا لم تحمل الإبل سماتٍ، فهي أغفال. قال أبو عبيدة في شرح البيتين الآتيين:

يا ضبَّ غيركُمُ الصَّمِيمُ وأنْتُمُ ... تبعٌ إذا عُدَّ الصَّميمُ مَوالي

يا ضَبَّ إنَّكُمُ لسَعْــد حِشْوَةٌ ... مِثْلُ البكارِ صممْتَها الأغفالِ

قال: والأغفال التي ليست عليهن سمات، واحدها غفل(٤).

وقال ابن عباد: وناقَةٌ سُمُط وأَسْمَاطٌ: لَيْسَ بها وَسْم(٥). وقد فاتت الأحيوي ولم يشر إليها.

ومما يُوسم به مما لم يذكره الباحث:

المرو(٦) والشفار: قال الأصمعي: ومن المواسم العتيقة التي في النجائب مواسم بالشفار وبالمرو(٧).

والمِحْوَرُ: ذكر الأحيوي المحوز، ولم أقف عليه، ولعله تصحيف لما ذكر الصاغاني في **التكملة**. أما الزبيدي، فقد شرح الكلمة بقوله: المحور: المِكْوَاةُ، وهي الحَدِيدَةُ يُكْوَى بِهَا(٨).

واللَّاوِياءُ: مِيسَم يُكْوَى به(٩). وقال الفيروزابادي: هو نَبْتٌ ومِيسَمٌ يُكْوَى به(١٠).

وقد بين الجاحظ أهمية السمات، فقال: «قال الأوَّلون: بل لعمري إنَّ للإبل في السِّمات لأعظمَ المنافع؛ لأنها قد تشْرَب بِسماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها، وقد تضِلُّ فتُؤْوَى وتُصاب في الهُوَاشات فتُردّ»(١١).

وليست السِّمة خاصة بالحيوان، بل يستحسن أن يكون للإنسان مثل ذلك فيما يميزه، قال الجاحظ: «وبالناس، حفظك الله، أعظم الحاجة الى أن يكون لكل جنس منهم سيما، ولكل صنف منهم حلية وسِمة، يتعارفون بها. قال الفرزدق:

به ندب مما يقول ابن غالب يلوح كما لاحت وسوم المصدق

وقال الآخر:

أنــار حتـى صـدقت سماتـه وظــهــرت مــن كــرم آيـاتــه

وأنشد أبو عبيدة:

سقاها ميسم من آل عمرو إذا ما كان صاحبها جحيشا(١٢)

وذكر بعض الأعراب ضروبًا من الوسم، فقال:

بهن في خطافها علط وسم وحلق في آخر الذفرى نظم

معها نظام مثل خط بالقلم وقرمة ولست أدري من قرم

عرض وخبط لمجليها الوسم

وتأسـيًا بما قام به الباحث من اصـطناعه لمنهج اختــاره، فإننا لا نحيد عن ذلــك، لاعتقادنا جازمــين بأهمية ما قام به، ونســرد بدورنا تلك الســمات، وقد نذكر بعض الشواهد الشعرية التي وقفنا عليها، والتي رأينا أنه من النفع إدراجها في مكانها من السمات التي ذكرها الباحث نفسه. فأقول وبالله التوفيق.

الإدبارة: ومن المواســم: الإقبالــة والإدبارة. قال أبو عبيــد: ناقةٌ ذات إقبال وإدبار: إذا شُــقَّ مقــدَّم أُذنها ومؤخرها، وفُتِلت كأنها زَنَمَــة. قال ابن دريد: ناقة مُقَابَلَة مُدَابَرة(١٣).

والناقة مقابلة مدابرة، وهو أن تشق أُذن البعير من مقدَّمها، ثم تفتل فتصير مثل الزنمة، فهذه المقابلة. فإذا شُقت من خلفها وفتلت فهي المدابرة.

وقــال ابن قتيبة: «ما يعرف قَبِيلاً من دَبِــير»؛ القَبيل: ما أقبلتْ به المرأة من غَزْلهــا حــين تَفْتله، والدبير: ما أدبرت به. وقال الأصــمعي: أصــله مــن الإقْبالة والإدْبارة، وهو شَــقٌّ في الأذن ثم يُفتَلُ ذلك، فإذا أقبل به فهو الإقبالة، وإذا أدبر به فهو الإدبارة. والجلدة المعلقة في الأذن هي الإقبالة والإدبارة(١٤).

الإقبالــة: ومن المواســم: الإقبالة والإدبارة. والنـاقة مقابلــة مدابرة، وهو أن

تشــق أذن البعير من مقدَّمها، ثم تفتل فتصــير مثل الزنمة، فهذه المقابلة. فإذا شقت من خلفها وفتلت فهي المدابرة[١٥].

البرثان: ذكرها الأحيوي، وقال ابن عباد والبُرْثَانُ: سِمَةٌ من سمات الإبل مثْلُ بُرْثُنِ الطّائِرِ. وإبِلٌ مُبَرْثَنَةٌ. وبَعِيْرٌ به البُرْثُنُ: وهو سِمَةٌ يُقال لها بُرْثُنُ الأَسَدِ[١٦].

التحجين: التَّحْجِينُ سِــمة مُعْوَجَّةٌ كالمِحْجَــنِ. وهو خط في طرفه مثل محجن العصا أينما وضع من الجسد. قال الراجز:

تبين في خطافها والمحجن[١٧].

التَّحجيل: قال الأزهري: والتَّحجيل والصّليبُ: سِمَتان من سِماتِ الإبل[١٨].

وفصــل الصَّــغاني قول الأزهــري وزاد فيه، حيــث قال: وقال ابنُ السِّــكِّيتِ: التَّحْجيلُ والصَّليبُ: سِمَتانِ منْ سماتَ الإبل؛ قال ذو الرُّمَّة:

وأَشْعَثَ مَغْلُوبَ عَلَى شَدَنِيَّةٍ ... يَلُوحُ بِهَا تَحْجِيلُها وصَلِيبُهَا

هكذا نُقِلَ عن ابنِ السِّكِّيت، والذي يُوَافِقُ ما في دواوين شِعْرِه، ويُطَابِقُ ما قالَتْهُ العرب: تَحْجِينُها، بالنونِ. قال أبو عُبَيْد: التَّحْجِينُ: سِمَةٌ مُعْوَجَّةٌ[١٩].

وقال ابن منظور مستشــهدًا بفضــل بيت: والتَّحْجِيل والصَّــلِيب سِــمَتان من سِمات الإبل؛ قال ذو الرمة يصف إبلًا:

يَلُوح بها تحجيلُها وصَلِيبُها

وقول الشاعر:

أَلَم تَعْلَمِي أَنَّا إذا القِدْرُ حُجِّلَت ... وأُلْقِيَ عن وَجْه الفَتاة سُتُورُها[٢٠]

الترعيــل: قــال الأصــمعي: والترعيل من مواســم الابل؛ يقــال: ناقة رعلاء، وأَيْنُقٌ رعل، وهو أن تشق شقة من أذنها ثم تترك مدلاةً.

قال: أنشدني أبو عمرو بن العلاء للفند الزماني، واسمه شهل بن شيبان:

رأيـــت الـفـتـيـةَ الأعـــزا ... لَ مـثـل الأيـــنُـق الـرُّعـل

وأنشدنا أبو مَهْدي:

تَـرَبَّـعَـتْ أرعــلَ كـالـنـقـالِ ... ومـظـلـمًـا بـات عـلـى دَمَـــالِ[٢١]

وقال ابن سِيده: أبو عبيد: من السِّمات في قَطْع الجلد: الرِّعْلةُ، وهي أن يُشَقَّ من الأذن شيء ثم يترك مُعَلَّقًا. وقيل: التَّرْعيل: الشَّقُّ في مؤخَّر الأذن، وكلُّ مُتَدَلٍّ من شيء رَعْلَةٌ، ومنه قيل للقُلْفَة: رَعْلَة.

قال ابن دريد: ناقة رَعْلاء. وأنشد أبو عبيد:

فَقَأْتُ لها عَيْنَ الفَحيل عِيافةً ... وفيهنَّ رَعْلاءُ المسامِع والحامي[٢٢]

التَّهْلِيْلُ: قال ابن سِيده: والتَّهْليلُ: قَوْلُ لا إله إلاّ الله. والصَّـبِيُّ يَسْـتَهلُّ: وهو بُـكاؤه حين يَسْـقُط. والهلالُ: الحَيَّةُ الذَّكَرُ. والغُبَارُ الرَّقِيْـقُ، وحَديدةٌ يُعَرْقَبُ بها الوَحْشُ[٢٣]. والطاحُونةُ، وحَدِيدةٌ تَضُـمُّ أحناءَ الرَّحْلِ. وجَمْعُه أهِلَّةٌ، وسِـمَةٌ من سِمَاتِ الإبل.

التِّوَاءُ: ذكره الأحيوي نقلاً عن **اللسان**، والأصـل ما قاله الصـاغاني، وفيه تصحيف لكلمتين بارزتين، فأردت أن أثبت النص مصححًا. قال: النَّضْر: التِّوَاءُ: سِمَةٌ في الفَخِذ والعُنُق، فأمّا في العُنُق فإنّه يَبْدأ به من اللَّهزمة ويحدِّدُ حذاء العُنُق خَطًّا من هذا الجانب، وخَطًّا من هذا الجانب، ثم يُجْمَع بين طَرَفَيْهما من أسْفَلَ لا من فَوْق، وإن كان في الفَخِذ فهو خَطٌّ في عرضـها، يقال منه: بَعيرٌ مَتْوِيٌّ وبعيرٌ به تِواء، وتِواءَان وثلاثَةُ أتْوِيَة.

وقـال ابنُ الأعرابيّ: التواءُ: يكونُ في موضـع اللِّحاظ إلا أنه مُنْخفضٌ يُعْطَفُ إلـى نَاحِيـة الخدِّ قليلًا، ويكون في باطـن الخدِّ كالتُّؤْثـور[٢٤]. والنص في **تهذيب اللغة**[٢٥]، و**تاج العروس** بتمامه[٢٦].

الجَرْفَةُ: ذكرها الأحيوي، وشـرحها الأصـمعي، حيث قـال: ومنها الجرفة، وهي حزة أعظم من هذه، تحز ثم ترفع فتستبين شاخصة[٢٧]. وقال الصاغاني: والجرفة: سـمة في الفخذ؛ عـن أبي عبيد، وفي جميع الجسـد، عن أبي زيد، وفي اللهزمة والفخذ، عن ابن عباد. يقال منها: بعير مجروف[٢٨].

الجُرفة: ذكرها الأحيوي، وأصلها الأزهري عن أبي عبيد، قال: الجُرفَةُ من سِمات الإبل، أَنْ تُقْطَع جِلدةٌ من فَخِذِ البعير من غير بَيْنونَةٍ ثم تُجْمَع، ومِثْلُها في الأَنْفِ القُرْمَة[٢٩]. قال ابن فارس: الجرفة: أن تقطع من فخذ البعير جلدة وتجمع على فخذه[٣٠]. ونقله عنه الصاغاني في **العُباب**.

الحَزَّةُ: ضبطها الأحيوي بالضم، وهي عند الأصمعي بالفتح، قال: ومنها الحَزَّة، وهي حزة تُحز بشفرة في الفخذ أو العضد ثم تفتل فتبقى كالثؤلول[٣١]. وما نقله الليث قريب مما أثبته الأصمعي، كأني به منقول منه.

الخباط: ذكرها الأحيوي، وحددها الأصمعي بقوله: وأما الخباط، فخط معترض في الفخذ[٣٢]. يقال: بعير مخبوط. ولم يذكر الأحيوي كونها معترضة، ولم يقف عليها في المصادر التي رجع إليها. وذكرها كراع، ولم يفصِّل فيها[٣٣].

الخُطَّافُ: ذكرها الأحيوي، وعرفها الأصمعي بقوله: والخطاف: أن يُخط خَط حيثما كان، ثم يعوج له رأسٌ كذا ورأس كذا، كأنه كلاَّبُ رَحْلٍ[٣٤].

الخِطَامُ: ذكرها الأحيوي، قال الأصمعي: والخطام: مِيْسم على أنف البعير. يقال: ناقة مخطومة[٣٥].

الدِّماغُ: قال الزبيدي: والدِّماغ، ككِتاب: سِمَةٌ للإبلِ في مَوْضِعِ الدَّمْغ، نَقَلَه السُّهَيْلِيُّ في **الرَّوْض**، كما قالَهُ شَيْخُنا.

قلتُ: وهكذا قَرَأْتُهُ في **الرَّوْض** عِنْدَ ذِكْرِ سِمات الإبِل، غيرَ أَنَّه قدْ تَقَدَّمَ للمُصَنِّف في (دمع) أنَّ الدِّماعَ: ميسَمٌ في المناظِرِ سائِلٌ إلى المَنْخِرِ، فلعَلَّ ما ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ هُو هذا، وقد صَحَّفَه النُّسَاخُ حَيْثُ أَعْجَمُوا الغَيْنَ، فتأمَّلْ ذلك[٣٦](*).

الرضفة: ذكرها الأحيوي، وحددها الصاغاني: قال الليث: سِمة تُكوى بحجارة حيثما كانت. ورضفات العرب أربع: شيبان وتغلب وبهراء وإياد[٣٧].

السِّطاع: ذكرها الأحيوي. قال الأزهري: قال أبو زيد: السِّطَاع من سمات

الإبـل في العُنق بالطـول، فإذا كان بالعَرْضـ فهو العِلاط. وناقة مسـطوعة وإبل مسطَّعة. وقال لبيد:

مسطَّعَة الأعناق بُلْقَ القوادم(٣٨)

الصِّـدَارُ: قال كراع: الصـدار: في الصَّـدر(٣٩). وقال ابن سـيده: أبو عبيد: الصِّـدَار في الصِّـدْر، والذَّرع في الأذْرُع، والمُفَعَّاة سمَةٌ كالأفعى، والمُثَفَّاة كالأثَافي، ومنها الفِرْتاج والصَّليب. قال ابن دريد: بعير مَصْلُوب: إذا كان مِيسَمُه صَلِيبًا(٤٠). وقال الزَّبيدي: الصِّدَارُ: سِمَةٌ على صَدْر البَعِير(٤١).

وفي المثل: «تَرَكْتُهُ على مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدَرِ»؛ أَي لا شيْءَ له.

الصيعرية: ذكرها الأحيوي مفصلاً، وزاد الأصمعي: الصيعرية: مِيسَم كان للملوك. قال الشاعر:

كُمَيت كناز اللحم أو حميرية   وناج عليه الصيعرية مكدم(٤٢)

وقال كراع: والصَّيْعَرِيَّةُ: سمة لأهل اليمن في أعناق الإناث خاصة(٤٣).

الضَّبْثَة: مِنْ سِماتِ الإبل. قال الأزهري: ضبث: قال الليث: الضَّبْثُ: قَبضُك بكفِّك على الشـيء. والناقةُ الضَّـبُوث: التي يُشَكّ في سِمَنها وهُزالها حتى تُضبثَ باليد ؛ أي: تُجَسّ باليد. وقال ابن شُمَيْل: الضَّبْثَةُ من سمات الإبل، إنما هي حَلْقَةٌ ثم لها خطوطٌ من ورائها وقُدّامها، يقال: بعير مَضْـبُوثٌ، وبه الضَّـبْثَة وقد ضَبَثَه ضَبْثاً، ويكون الضَّبْث في الفخذ في عُرْضها(٤٤).

وقال الصاعاني: الضَّبْثَةُ: من سماتِ الإبل، إنّما هي حَلْقَةٌ ثمّ لها خُطوطٌ من ورائها وقُدَّامها، يقال: بعيرٌ مَضْبُوثٌ، وبه الضَّبْثَةُ، وقد ضَبَثْتُه، وتكُونُ الضَّبْثَةُ في الفَخِذِ في عُرْضِها(٤٥).

وقال ابن منظور: والضَّـبْثَة من سـماتِ الإبل، إنما هي حَلقة ثم لها خُطوط من ورائها وقُدَّامها، يقال: بعير مَضْـبُوثٌ وبه الضَّـبْثَة وقد ضَـبَثْتُه ضَبْثاً، ويكون الضَّبْثُ في الفَخِذِ في عُرْضِها. والله أعلم(٤٦).

قال الزبيدي: وَسَمَ بَعِيرَه بضَبْثَة الأَسَد. الضَّبْثَةُ: سِمَةٌ للإِبِلِ، وهي حَلْقَةٌ لها خُطُوطٌ من قُدّام، ومن وَرَاء. يقال: جَمَلٌ مَضْبُوثٌ، وبه الضَّبْثَةُ، وتكون الضَّبْثَةُ في الفَخِذِ في عُرْضِهَا(٤٧).

الطَّرْفَةُ: سمة لا أَطْرَافَ لها، إنما هي خطٌّ. قاله ابن عباد(٤٨).

الظَّبْيُ: ذكرها الأحيوي. قال الأصمعي: مِيسَم يسمَّى الظَّبْيَ، ولم يحدد موضعه. قال الشاعر، وهو عنترة العبسي:

عَمْرو بن أسود فا زبَّاء قاربة ... ماء الكلاب عَلَيْهَا الظبي معناق(٤٩)

وأثبت ابن دريد النص نفسه عن الأصمعي(٥٠).

وهي أيضًا من سمات الخيل، قال مُزَرِّد:

طِرفٌ أشمُ كريمٌ غيرُ ذي سقطٍ ... مثلُ الهلال عليه الظَّبي مكتنسُ(٥١)

الظَّلْفَةُ أو الظَّلِفَةُ(٥٢): سِمَةٌ من سِمَاتِ الإِبِلِ، ذكرها ابن فارس(٥٣)، وابن عباد(٥٤)، والصاغاني(٥٥).

العِذار: ذكره الأحيوي، وحدده نشوان بفضل زيادة، حيث قال: والعِذار: وسمٌ في القفا إلى جانبي العنق(٥٦).

العِلابُ: ذكره الأحيوي، ولم يذكره الأصمعي، وهو عند كراع: سمة في طول العنق تكون شبرًا أو أقل(٥٧). وهذا التحديد الدقيق جديد على المصادر التي اعتمدها الأحيوي.

وقد ذكرها جرير، وذكر مكانها في هجائه لبني نُمير على سبيل الاستعارة حيث قال:

ألم ترني وسمت بني نُمير ... وزدت على أنوفهم العلابا(٥٨)

العِلاط: ذكرها الأحيوي، وهناك فضل زيادة. قال الأصمعي: ومن المواسم العِلاط، والخباط، يقال: بعير معلوط وبعير مخبوط. فأما العِلاط فخطٌّ في

العنق والسالفة، ومن ثم قيل للرجل إذا وسمه بأمر قبيح: والله لأعلطنك علاط سوءة. قال الراجز:

لأعلطن حرزما بعلط   بليته عند بذوح الشرط

البذوح: الشقوق. يقال: به بُذيحة خفيفة[٥٩]. وقال كراع: سمة في العنق بالعَرْضِ[٦٠].

وقال الصاغاني: وأصْلُ العِلاطِ: وسْم في عنقِ البعير. وقال ابن دريد: العلطُ: ميسم في عُرْضِ خَدِّ البعير، والبعيرُ معلوط، والاسْمُ: العِلاطُ، قال رؤبة:

فيهنّ وسْم لازمُ الألباطِ   سفْع وتخْطيمٌ معَ العلاطِ[٦١]

والعِلاطان من الحمامة: طوّقها بصفحتي عنقها، ومن غيرها صفحتا العنق من الجانبين. والعلاط: سمة في العنق بالعرض. والخباط: سمة في الوجه. قال:

سَقَتْهَا خَرُوقٌ في المسَامِعِ لَمْ تَكُن   عِلاَطًا وَلاَ مَخْبُوطَةً في المَلاغِمِ

والسطاع: في العنق بالطول. علط بعيره كنصر: وسمه بالعِلاط، وعلط إبله تعليطًا ترد للكثرة، ومن ذلك العِلاط الذي هو الذكر بالفتح، فقال: علطه بشركاته وسمه به. قال الهذلي:

فَلا واللّهِ نادى الحَيُّ ضَيفي   هُدوءًا بِالمَساءَةِ والعِلاطِ[٦٢]

ونقل الأصمعي لبعض الرُّجاز في المعلوط والمخبوط:

ألقت حيث يوضع الخباط   وحيث مارا الدف والملاط

وصعل حيث يوضع العلاط[٦٣]

الفقر: قال كراع: هو أن يُحَزَّ أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه، ثم يُلْوَى عليه حبل يُذَلَّلُ به الصعب، ومنه قيل: عَمِلْتُ به الفَاقِرَةَ[٦٤]. وكأني بابن سيده قد نقل ما قاله كراع دون الإشارة إليه[٦٥].

الفَلْقَةُ: ومن سِماتِ الإبل: الفَلْقَةُ، وهي هَذِه السِّمَة حَلْقة في وسَطها عَمود يفْلِقُها، هكذا...، تكون تحتَ أذُنِ البَعير. ويُقال: هو مَفْلوق وعليه الفَلْقَة[٦٦].

القَرْعَـةُ: ذكرها الأحيوي، ولم يذكر أنها في العضـد مثل ما قال الأصـمعي: ومن المواسـم العتيقة التي في النجائب مواسـم بالشـفار وبالمـرو. ومنها القرعة وهي قرعة بشفرة أو بمروة تكون على الساق أو العضد[٦٧]. وزاد كراع بأنها: سِمَة خفيفة على وسـط أنف البعير والشـاة[٦٨]. وبارز هنا ذكر هذه السِّـمة، ووصفها بأنها من سمات الشاة، حيث انفرد كراع بهذه المعلومة. وما نقله الأحيوي من أنها «مركز طرف الميسـم»، الصـحيح أنها: «ركزة على طرف الميسـم». كما هو ثابت في **تهذيـب اللغـة**[٦٩]، و**التكملة**[٧٠] و**تـاج العروس**[٧١]. أما **اللسـان** ففيه: «وكزة بطرف الميسم»[٧٢].

القَرْمَـةُ: ذكرها الأحيوي، وحددها الأصـمعي وابن السـكيت، فقالا: ومنها القرمـة، وهي حزَّة تُحـز على أنف البعير، ثـم تفتل فتبقى قائمـة كأنها زيتونة، وهي من مواسـم الشـاء[٧٣]. ومـا نقله ابـن الأعرابي مخالف للأصـمعي، حيث قـال: القرمة وهي سـمة على أنف البعير ليسـت بحزة، ولكنهـا جرفة للجلد، ثم تـترك كالبعرة، فإذا حُزَّ الأنف حزًّا، فذلـك الفقر. يقال: بعير مفقور، ومقروم، ومجروف[٧٤]. وفات الأحيوي أنها من مواسم الشاء، كما هو عند الأصمعي.

وقـال كراع: والقُرْمَـةُ أن تُقطع جلدَةٌ من أنف البعـير لا تبين، ثم تجمع على أنفـه، ومثلهـا في الفخذ الجُرْفَةُ. ويقـال للقُرْمَةِ: القِرَامُ، وهو بعـير مَقْرُومٌ، وقد قَرَمْتُهُ أَقْرِمُهُ قَرْمًا[٧٥].

القَصَـا: قال أبو علي: القَصَـا حَذْفٌ في أُذُن الناقة[٧٦]. وقال ابن السـكيت: قَصَـوْتُ البعير: قَطَعْتُ من طرف أُذنه، وناقة قَصْوَاءُ وجَمَلٌ مَقْصوٌّ ومُقَصَّـى، ولا يقال أَقْصَى، وقد حكاها بعضـهم. وقال الزبيدي: والقَصْوَةُ: سِمَةٌ بأَعْلَى الأُذُنِ، نقلَهُ الصَّـاغاني.

قيد الفرس: قال كراع: سِمَة تكون في العنق مثل قيد الفرس[٧٧].

اللِّجام: ذكره الأحيوي، وحدده ابن عباد، فقال: اللِّجَامُ: ضَـرْبٌ من سِـماتِ الإبل من الخَدَّيْن إلى أصْـل صَـفْقَي العُنُق. والجَميعُ منهما: اللُّجُمُ. ولَجَمَ بَعِيرَه. وبـه سِـمَةُ لِجَام: وهو كَيَّـةٌ؛ يُكْوى من الجُنُونِ من شِـدْقَيْهِ إلى عَجْـبِ الذَّنَبِ من الجانِبَين[٧٨]. وهذا التحديد لم تذكره المعاجم.

اللحاظ: ذكره الأحيوي، ولم يذكره الأصمعي، وحدده كراع، حيث قال: سِمَة في مؤخَّر عين البعير، مشتق من لحظ العين، وهو النظر بمؤخَّرها[٧٩]. وعمم ابن عباد، فقال: اللِّحاظُ وَسْمٌ على العَيْنَين[٨٠].

اللَّخْفَةُ: سِـمَةٌ، ولَخَفَه بالمِيسَـم: إذا أوسـع وسْـمَه. قاله ابن عبّاد[٨١]. وقال الزبيدي: واللَّخْفَةُ: سِـمَةٌ. ولَخَفَه، كمَنَعَه: أَوْسَـعَ وَسْـمَه، كذا في **العُباب**[٨٢]. ولم تحدد تلك السمة أهي من سمات الإبل، أم للشاء؟

اللَّعْط: سـمة الشـاة يخططون على صـفح رقبتها، وهي ملعوطـة[٨٣]. وقال الخطَّابي، يشـرح حديث النبي ﷺ: قولُه: لعَطَهُ بالنّار؛ أي: كَواهُ في عُرْض عُنُقه. قال أبو زيد: يُقال للشـاة إذا كان بعُرْض عُنُقها سَوادٌ: لَعْطاء، وقد يَجوزُ أن يكون اللَّعْـطُ مقلوبًا من العَلْط، وهو الوَسْـمُ عَرْضًـا على العُنُق، والاسْـمُ العِلاطُ، وهو العِراضُ أيضًـا. فـإذا كان ذلك طُولًا قِيلَ لَهُ: السِّـطَاعُ. وما قالـه الخطابي هنا يقرب تلك السِّمة إلى ما تُنعت به الإبل من سمات مخصصة. وقال الزمخشري: اللعـط: الكيُّ بالنَّار في عُرض العُنُق من الشَّـاة اللعطاء، وهي التي بعُرْض عُنُقهَا سواد. ومنه: لعطه بأَبْيَات: إذا وسمه بهجَاء. وقيل: لعطه مقلوب من علطه، وإذا اسْتَوَى التَّصَرُّف سقط القَوْل بِالْقَلْب[٨٤].

اللهـاز: واللهاز ميسـم في اللهزمـة؛ يقال للبعير الذي ذلك بـه: ملهوز، قال الجميح الأسدي:

أمست أُمامة صمتًا ما تكلمنا ... مجنونة أو أحسـت أهـل خـروب
مرت براكب ملهوز فقال لها ... ضري الجميح ومسيه بتعذيب[٨٥]

المُتَلَمِّسَـةُ: قـال الأزهري: والمتلمِّسـةُ من السِّـمات، يقال: كَواهُ المُتَلَمِّسـة

والمتلوّمـة. وكواه لَمّاس: إذا أصـاب مكان دائه بالتلمّس، فوقـع على داء الرجل أو على ما يكتم[٨٦].

وقال ابن منظور في ترديد لما قاله الأزهري: والمُتَلَمِّسَـةُ: مِنَ السِّـمات؛ يُقَالُ: كَوَاهُ المُتَلَمِّسَةَ والمتلومةَ، وكَوَاه لَمَاسَ: إِذا أَصاب مكان دَائِه بِالتَّلَمُّسِ، فوقع على دَاءِ الرجُل، أَو عَلَى مَا كان يَكْتُمُ[٨٧].

غـير أن الزبيـدي خصـص ما نقلـه الأزهري وابـن منظور، حيـث قال: في **التَّهْذيـب والتَّكْملَة**: المُتَلَمِّسَـةُ: منْ سِـمَات الإِبل، يُقَال: كَوَاهُ المُتَلَمِّسَـةَ والمُتَلَوِّمَةَ، وكَـوَاهُ لَمَاسِ: إِذَا أَصَـاب مكان دائـه بالتلَمُّسِ، فوَقَـع على داءِ الرِّجُـلِ أو ما كانَ يكْتُمُ[٨٨].

المحجـن: ذكره الأحيـوي، وهناك فضـل زيادة. أبـو عبيد: التَّحْجين سِـمَةٌ مُعْوَجَّة. قال الأصـمعي: والمحجن خط في طرفه، مثل محجن العصـا أينما وضع من الجسد. قال الراجز:

تَبِين في خطافها والمحجن

تبين: تستبين العنق[٨٩].

الشـعْب: قـال الخليـل: الشـعب سِـمَةٌ لِبَنِي مِنْقَـرٍ كهيئـة المِحْجَـن، وجَمَلٌ مَشْعُوبٌ[٩٠].

المجدح: قال الصـاغاني: المجدح: سِمَةٌ من سِـمَات الإبل على أَفْخاذها[٩١]. وقـال ابن سِـيده: أبـو عبيد: المِجدَحُ مِيْسَـمٌ علـى أفخاذها[٩٢]. وقـال الزبيدي: المِجْـدَحُ: سِـمَةٌ للإبلِ على أفخاذِها. وأَجْدَحَها: وَسَـمَها بها. ومَجادِيحُ السَّـماءِ: أَنْواؤُها[٩٣].

المحلق: ذكرها الأحيوي في مادة حلق. قال الأصمعي: والمحلق الذي في عنقه حلقتان، قال الشاعر، وهو عوف بن الخرع التيمي[٩٤]:

وذكـرت مـن لـبن المحلَّق شربة والخيـل تـعدو بالصـعيد بـداد

والمحلق: مِيسَم بني فزارة. وبنو زُرارة يحلقون أيضًا[٩٥]. ففيما قاله الأصمعي فضل زيادة، حيث ذكر أن بني فزارة وبني زرارة ممن يَسِمون بالحلقة.

المُزَنَّمُ والمُزَلَّمُ: الذي تُقطع أُذنه وتُترك له زَنَمَةٌ، يُفعل ذلك بالكرام منها[٩٦].

وقال الأصمعي: التزنيم: ميسم، وهي السِّمة[٩٧].

قال ابن سيده: والمُزَنَّمُ من الإبلِ: المَقْطُوع طَرَفِ الأُذُنِ، قال أبو عُبَيْد: وإنَّما يُفْعَلُ ذلك بالكرام منها، والتَّزْنيمُ: اسمُ تلك السِّمَة، اسم كالتَّنْبِيتِ، وقيل: المُزَنَّمُ: صِغَارُ الإبل[٩٨]. وقولُه:

مَغَانمُ شَتَّى من إفالٍ مُزَنم

قال الزبيدي: ومِمّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْه: التَّزنِيمُ: سِمةٌ من سِمات الإبل، اسم كالتَّنْبيت والتَّمْتِين[٩٩].

قال الأصمعي: ومما يذكر في المواسم: التزنيم، وهو أن تُشقَّ أُذن البعير، ثم تفتل حتى تيبس، فتصير معلقة. قال المسيب بن علس:

رأوا نعمًا سوادًا فهموا بأخذه **إذا التف من دون الجميع المزنم**[١٠٠]

وقال طفيل:

أخذنا بالمخطم ما علمتم **من الدهم المزنَّمة الرعاب**[١٠١]

كان ميسم هذه بالخطام[١٠٢].

المُشُطُ: ذكرها الأحيوي وحددها الأصمعي، فقال: والمشط ثلاثة خطوط يفترق رؤوسها من أعلى، ثم تجتمع[١٠٣].

المَفلوْقَةُ: من سِمَات الإبل. قال ابن عباد: والمفلوْقَةُ من سِمَات الإبل: حَلقةٌ في وسطها عَمُودٌ يَفْلقُها تكونُ تَحْتَ الأذُنِ، بَعِيرٌ مَفْلُوقٌ، وعليه الفَلَقَةُ. وخَلَّيْتُه بفالِقِ الوَرِكَةِ: وهي رَمْلَةٌ[١٠٤].

المُقَصَّدَةُ: سِمَة من سِمَاتِ الإبل في الأذُنِ[١٠٥]. وقال الصاغاني: سِمَةٌ مِن سِمَات الإبلِ في آذانِها[١٠٦].

المُقَصَّاةُ: سِمَة من سِمَاتِ الإبل في الأذُنِ[١٠٧].

الهلال: ذكرها الأحيوي، وقال ابن دريد وابن عباد، هي: سِمَة من سِمات الإبل[١٠٨].

الهنعـة: ذكرها الأحيوي، ولكنه لم يؤصِّـل ما ذكره، فهـو وارد عن الأزهري أولًا، حيث قال: أبو عبيد عن أبي زيد: الهَنْعَة: من سمات الإبل في منخفض العنق؛ يقال: بعير مهنوع، وقد هُنِع هَنْعًا[١٠٩].

النَّارُ: قال كراع: النار، السِّمة على كل حال. قال:

أُنـخْـنَ وَهُـنَّ أَغْـفَـالٌ عَلَيْهَا ... فَقَدْ تَـرَكَ الصِّلاءُ بِهِنَّ نَـارَا[١١٠]

وقال نشـوان بن سـعيد الحِميري اليمني: النـار: معروفة، وهي حارة يابسة شـديدة الحرارة واليبوسة، وتصـغيرها نويرة، وبها سـمي الرجل. والنار: سمة من سـمات الإبل بالكي، يقال: سـمتها النار. ويقال في المثل: «نجارها نارها» أي: أصلها كريم لا تحتاج إلى سمة، وقيل: معناه ميسمها يدل على أصلها[١١١].

وقـال ابن منظور: قال ابْنُ الأثير: لا تـراءَى ناراهُمَا؛ أَي: لا يجتمعان بحَيْثُ تَكُونُ نار أَحدهما تُقَابِلُ نار الآخَرِ، وَقِيلَ: هو مِنْ سِـمَةِ الإبل بِالنَّارِ. وَفي صِـفَةِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْوَرُ الْمُتَجَرِّدِ[١١٢].

وقاع: ذكرها الأحيوي، وحددها ابن فارس، فقال: وكَوَيْتُ البعيرَ وَقَاعِ: دائرةٌ واحدةٌ يُكوَى بها بعضُ جِلْدِه أين كان، فكأنَّها قد وَقَعَتْ به[١١٣].

وأختـم بالقـول: إن القبائل في بلاد شـنقيط (موريتانيا) يتمسـكون بثقافة أجدادهم العرب وتقاليدهم في حياة البادية من حب لما يسمونه سفينة الصحراء، وهو الناقة والجمل، ومن تلك المحبة ما له علاقة بسمات الماشية عندهم، وخاصة الإبـل؛ فمما يقولونه من ثقافتهم: نار من؟ وعلامة من؟ يقصـدون: هذا ميسَـم من؟ وتلك علامة من؟ كما أنهم يسـمون بعض تلك السـمات بسـمات محلية لها علاقة ببيئتهم؛ مثل: لحبارة، أكبار، السويبة، المرقاية، وغيرها. وبما أن لكل قبيلة عربية سِـمَة تُعرف بها، فكذا قبائل عرب بلاد شنقيط. والعلامة عند الشناقطة تكـوى بها الإبل على أعناقها وأفخاذها، وهو ما ذكرنـاه أثناء البحث عند قبائل العرب. فهذا كله يُثبت الترابط الكبير بين القبائل العربية في شـتى أقطار الدول العربية، كما يؤكد الصلة التي لا تنفصم بين ماضي العرب وحاضرهم.

الهوامش:

(*) نواكشوط ـ موريتانيا

(١) **كتاب العين**: ٧/ ٣٢١ –٣٢٢.

(٢) **شرح نقائض جرير والفرزدق**: ٣/ ١٠٢٦، و**المطلع على ألفاظ المقنع**: ص١٧٧.

(٣) **الفروق اللغوية**: ص: ٢٨٣– ٢٨٤.

(٤) **شرح نقائض جرير والفرزدق**: ٢/ ٤٩٥.

(٥) **المحيط في اللغة** للصاحب ابن عباد: ٨/ ٢٧٨.

(٦) حجارَةٌ بيضٌ بَرَّاقَةٌ تُورِي النار، أو أصلُ الحجارة.

(٧) **كتاب الإبل**: ص ١٥٨.

(٨) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ١١/ ١٠٨.

(٩) **المحكم والمحيط الأعظم**: ١٠/ ٤٥٦، و**المخصص**: ٥/ ٥٢.

(١٠) **القاموس المحيط**: ص: ١٧١٧.

(١١) **الحيوان**: ١/ ١٦١.

(١٢) **البيان والتبيين**: ص ٤٣٣.

(١٣) **المخصص**: ٢/ ٢١٦.

(١٤) **أدب الكاتب**: ص ٣٩.

(١٥) **الإبل**: ص ١٥٨.

(١٦) **المحيط في اللغة**: ٢/٤٢٥.

(١٧) **الإبل**: ص١٥٧، و**المنتخب من كلام العرب**: ص ٣٢٩.

(١٨) **تهذيب اللغة**: ٤/ ٨٩.

(١٩) **التكملة والذيل والصلة** للصغاني: ٥/ ٣١١.

(٢٠) **لسان العرب**: ١١/ ١٤٣.

(٢١) **الإبل**: ص ١٥٩.

(٢٢) **المخصص**: ٢/ ٢١٥.

(٢٣) **المحيط في اللغة**: ١/ ٢٧٣.

(٢٤) **التكملة والذيل والصلة** للصغاني: ٦/ ٣٨١.

(٢٥) **تهذيب اللغة**: ١٤/ ٢٤٩.

(٢٦) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٣٧/ ٢٥٨.

(٢٧) **الإبل**: ص: ١٥٨.

(٢٨) **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: ١/ ٣٧٧، **المحيط في اللغة** للصاحب ابن عباد: ٧/ ٨٨.

(٢٩) **تهذيب اللغة**: ١١/ ٣١.

(٣٠) **مقاييس اللغة**: ١/ ٤٤٤، و**العباب الزاخر**: ١/ ٣٧٧.

(٣١) **الإبل**: ص: ١٤٨.

(٣٢) نفسه: ص١٥٧.

(٣٣) **المنتخب من كلام العرب**: ص: ٣٢٩.

(٣٤) **الإبل**: ص١٥٧.

(٣٥) نفسه.

(٣٦) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٢٢/ ٤٧٠.

(*) **العرب**: الذي في المطبوع من **الروض الأنف**: «والدماع في موضع الدمع» بالعين المهملة، لا الغين المعجمة. فما رآه الزبيدي من إعجام النُسَّاخ للعين صحيح. انظر: **الروض الأنف** للسهيلي ٣/ ٢٤.

(٣٧) **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: ١/ ٤١٨.

(٣٨) **تهذيب اللغة**: ٢/ ٤١.

(٣٩) **المنتخب من كلام العرب**: ص: ٣٢٨.

(٤٠) **المخصص**: ٢/ ٢١٤.

(٤١) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ١٢/ ٣٠٠.

(٤٢) **الإبل**: ص١٦٠، وقد لفق الأصمعي بين بيتين للشاعر المسيب بن علس من قصيدته المشهورة التي عابه فيها طرفة بن العبد، وهما:

وقد أتناسى الهَمَّ عند احْتضاره ... بناجٍ عليه الصّيعريّة مُكْدَم

كُمَيْت كِنَازِ اللَّحْم أو حِمْيريّة ... مُواشِكة تَنْفي الحَصَى بمُثلَّم

الصيعرية: سمة تكون على الإناث خاصة. مكدم: غليظ. كناز: مكتنز اللحم. مواشكة: سريعة. ملثم: خف قد لثمته الحجارة. انظر **الديوان**: ص١٢٦-١٢٧، و**الأغاني**: ٢٤/ ٢٤٦.

(٤٣) **المنتخب من كلام العرب**: ص٣٢٩.

(٤٤) **تهذيب اللغة**: ١٢/ ٨، و**التكملة والذيل والصلة للصغاني**: ١/ ٣٦٩.

(٤٥) **التكملة والذيل والصلة** للصغاني: ١/ ٣٦٩.

(٤٦) **لسان العرب**: ٢/ ١٦٢.

(٤٧) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٥/ ٢٨٧.

(٤٨) **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: ١/ ٤٦٢.

(٤٩) **الإبل**: ص: ٤٧.

(٥٠) **جمهرة اللغة**: ١/ ٣٦٤.

(٥١) **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: ٧/ ٤٢٢٧.

(٥٢) وظلف: من الظلف، وهو الموضع الذي لا تتبين فيه الآثار، وأظلفت أثري: أخفيته، وفي **اللسان** (ظلف): أن الفراء جعل: الظلف ما لان من الأرض، وجعله ابن الأعرابي ما غلظ من الأرض، ورجح ابن منظور قول ابن الأعرابي، وقال: «الظلف من الأرض ما صلب فلم يؤد أثرًا ولا وعوثة فيها، فيشد على الماشي المشي، ولا رمل فترمض فيها النعم ولا حجارة فتختفي فيها، ولكنها صلبة التربة لا تؤدي أثرًا». قال عوف بن عطية بن الخرع:

ألَم أظلف عن الشعراء نفسي ... كما ظُلف الوَسِيقةُ بالكُرَاعِ

انظر شعره بتحقيقنا في **مجلة العرب**: ج٣،٤س٣١، رمضان، شوال سنة ١٤١٦هـ، ص٢٢٠.

(٥٣) **مجمل اللغة** لابن فارس: ص٦٠١.

(٥٤) **المحيط في اللغة**: ١٠/ ٢٩.

(٥٥) **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: ١/ ٤٧٠.

(٥٦) **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: ٧/٤٤٣٤.

(٥٧) **المنتخب من كلام العرب**: ص ٣٢٨.

(٥٨) انظر **نقائض جرير والفرزدق**: ١/٤٥١.

(٥٩) **الإبل**: ص ١٥٧.

(٦٠) **المنتخب من كلام العرب**: ص ٣٢٨.

(٦١) **العباب الزاخر**: ص١٣١.

(٦٢) البيت للمتنخل، في **شرح أشعار الهذليين**: ٣/١٢٦٩.

(٦٣) **الإبل**: ص ١٥٧-١٥٨ .

(٦٤) **المنتخب من كلام العرب**: ص: ٣٢٩.

(٦٥) **المخصص**: ٧/١٥٨.

(٦٦) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٢٦/ ٣٠٩.

(٦٧) **الإبل**: ١٥٨.

(٦٨) **المنتخب من كلام العرب**: ص٣٢٨.

(٦٩) **تهذيب اللغة**: ١/ ١٥٦.

(٧٠) **التكملة والذيل والصلة** للصغاني: ٤/ ٣٢٤.

(٧١) **تاج العروس**: ٢١/ ٥٣٧.

(٧٢) **لسان العرب**: ٨/ ٢٦٨.

(٧٣) **الإبل**: ص١٥٩.

(٧٤) **مجلة العرب**: ص٨١٨، س٢٨، ج١١،١٢.

(٧٥) **المنتخب من كلام العرب**: ص ٣٢٩.

(٧٦) **المخصص** - لابن سيده: ٢/ ٢١٦.

(٧٧) **المنتخب من كلام العرب**: ص٣٢٨.

(٧٨) **المحيط في اللغة** للصاحب ابن عباد: ٧/ ١١٩.

(٧٩) **المنتخب من كلام العرب**: ص ٣٢٨.

(٨٠) **المحيط في اللغة** للصاحب ابن عباد: ٣/ ٦٠.

(٨١) **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: ٢/ ١٣.

(٨٢) **تاج العروس من جواهر القاموس**: (٢٤/ ٣٦٠.

(٨٣) **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: ١/ ٣١١.

(٨٤) **الفائق في غريب الحديث**: ٢/ ٥.

(٨٥) **الإبل**: ص١٥٨.

(٨٦) **تهذيب اللغة**: ١٢/ ٣١٦.

(٨٧) **لسان العرب**: ٦/ ٢٠٩.

(٨٨) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ١٦/ ٤٨٦.

(٨٩) **الإبل**: ص ١٥٧.

(٩٠) **المخصص** - لابن سيده: ٢/ ٢١٥.

(٩١) **التكملة والذيل والصلة**: ٢/ ١٤.

(٩٢) **المخصص**: ٢/ ٢١٥.

(٩٣) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٦/ ٣٣٤.

(٩٤) انظر شعره بتحقيقنا في **مجلة العرب**: ج٧،٨س٣٠، صفر سنة ١٤١٦هـ، ص٤٧٢.

(٩٥) **الإبل**: ص ١٥٧.

(٩٦) **المنتخب من كلام العرب**: ص٣٢٩.

(٩٧) **ديوان طفيل الغنوي**، بشرح الأصمعي: ص١٢٥.

(٩٨) **المحكم والمحيط الأعظم**: ٩/ ٦٥.

(٩٩) **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٣٢/ ٣٣٩.

(١٠٠) **الديوان**: ص١٢٥.

(١٠١) نفسه.

(١٠٢) **الإبل**: ص ١٥٧.

(١٠٣) نفسه.

(١٠٤) **المحيط في اللغة**: ١/ ٤٨٠.

(١٠٥) نفسه: ٥/ ٢٥٧.

(١٠٦) **التكملة والذيل والصلة للصغاني**: ٢/ ٣٢٠.

(١٠٧) **المنتخب من كلام العرب**: ص٣٢٩.

(١٠٨) **جمهرة اللغة**: ٢/ ١١٠، و**المحيط في اللغة**: ١/ ٢٧٣.

(١٠٩) **تهذيب اللغة**: ١/ ١٠٤.

(١١٠) **المنتخب من كلام العرب**: ص: ٣٢٩.

(١١١) **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: ١٠/ ٦٧٩٢.

(١١٢) **لسان العرب**: ٥/ ٢٤٢.

(١١٣) **مقاييس اللغة**: ٦/ ١٠٢.

الشيخ الإمام

أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني

(ت بعد ٤٧٥ هـ)

(حياتُهُ وما تبقّى من شعرِه)

دراسة وصنعة وتوثيق

(٢)

أ. د. محمد عويّد محمد الساير (*)

(٢)

(قافية الباء)

وله في النرجس: (الكامل)

١- يا نرجسًا لم تَعْدُ قامته سهمَ الزُّمرّد حين ينتسبُ

٢- فرِصافُهُ عظمٌ وقُذّتهُ قِطعُ اللُّجين وفوقهُ ذَهَبُ

(٢) التخريج والتوثيق: **دمية القصر**، تحقيق د. سامي: ٢/٢٦، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٩٢، **خريدة القصر**: ٣/٣٤٥، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٢.

الشروح والتعليقات:

٢-الرصاف: جمع الرصافة، وهو العقب الذي يلوي مدخل النصل، والقُذّة: ريش السهم. وفُوق السهم: موضع الوَتَر من السهم.

اختلاف الروايات:

٢. في الخريدة:

فـرصــافُـهُ عـظـمٌ وقُــدّتُـهُ ... قِـطـعُ الُّـلـجَـينِ وفـرقُـهُ ذَهَــبُ

(٣)

ومن شـعره الـذي يغدو ويروح، ممتزجًـا بالروح، قولـه في الغزل: (مجزوء الكامل)

١- نفسـي الـفـداءُ لـشـادنٍ ... بـلـواهُ عـنـدي تسـتـحَـبُّ

٢- فـإذا بـلـوتُ خِـلالـه ... فـالمـاءُ يُـشـربُ وهـو عـذبُ

٣- وإذا نـضـوتُ ثـيـابَـهُ ... فـالـلـوزُ يُـقـشـرُ وهـو رَطـبُ

٤- وقـصـارُ وصـفـي أنَّـهُ ... فـيـمـا أُحـبُّ كـمـا أُحـبُّ

(٣) التخريـج والتوثيـق: **دمية القصـر**، تحقيـق: د. سـامي: ١٧/٢، تحقيق: د. التونجـي: ١/٥٧١-٥٧٢ (والقافيـة فيها سـاكنة، وتجوز ولكن الرفع أفضـل) ، **معجم الأدباء**: ٢١٦٨/٥، **الوافي بالوفيات**: ١٩/٢٤.

اختلاف الروايات:

في معجم الأدباء والوافي بالوفيات:

إنّي بـلـيـتُ بـشـادنٍ ... بـلـواهُ عـنـدي تُسـتـحـبُّ

(٤)

وأنشدني لنفسه في الهجاء: (المتقارب)

١- كسـوكَ ثـيـابًـا لـهـا روعـةٌ ... فأصبحتَ تنشطُ أو تطـربُ

٢- وقـد خـزي الخـزي لمّـا عـلاكَ ... كمـا السكبُ أو دمـعُـهُ تُسكبُ

٣- فـلا تـعـجـبـنَّ بـتـذهـيـبـه ... إذا كـنـتَ بـالفضـل لا تُعْجـبُ

٤- فـإنَّ تـذاهـيـبَـهُ تـذهـبُ ... وشـيـطـانُ جـهـلِـكَ لايـذهـبُ

(٤) التخريـج والتوثيـق: **دُميـة القصـر**، تحقيق: د. سـامي: ٢٦/٢، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٩٢-٥٩٣.

اختلاف الروايات:

٤-في **الدُمية** تحقيق (د. التونجي) :

فـــإنّ تـــداهـــيـبَــهُ تـــذهـــبُ وشـيـطـانُ وجـهـِك لا يـذهـبُ

(٥)

ومن حكمته التي لا يجمع السامع في حكمته قوله: (مجزوء الكامل)

١- عـوّدْ لســـانـك أن يـلـيـ نَ عـلـى الـخـطـابـة والـخـطـابِ

٢- وتـعـهّـد الـفـكـر الجديـ دَ بـصـونـه في كـلّ بـابِ

٣- فـتـأكُـلُ الـسـيـفِ الصـقيـ لِ بـطـولِ لُـبـثٍ في الـقِـرابِ

(٥) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٨، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٠، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٠.

(٦)

وقوله: (الكامل)

١- إنّي بُليتُ بحاجبِ حجبَ الورى بمطالِه عن نيلِه المطلوبِ

٢- أبتِ الملاحةُ أن يُفتح جفنهُ إلا بقدرِ تبسُّمِ المكروبِ

(٦) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٩، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨١-٥٨٢، **خريدة القصر**: ٣/٣٤٦، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢١.

اختلاف الروايات:

٢- في **الدُمية** تحقيق (د. التونجي) و**الوافي بالوفيات**: أبتِ الملاحةُ أن تفتَّح جفنُهُ.

في **خريدة القصر**: أبتِ الملاحةُ أن تُفتَّحَ خدَّهُ.

(٧)

وله في المدح: (الكامل)

١- ملكَ المشارقَ والمغاربَ كُلَّها بصريرِ أرقمَ ليسَ كالمُنسابِ
٢- لم يَشقَ في سُنن الترابِ وإنّما يستنُّ بينَ أناملٍ أترابِ

(٧) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٧، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٩٤.

اختلاف الروايات:

في الدُمية تحقيق (د. التونجي):

ملكَ المشارقَ والمغاربَ كلّها بصريرِ أرقمَ ليسَ بالمُنسابِ

(٨)

وقولُهُ في معنى عنَّ لَهُ: (مجزوء الكامل)

١- سبحانَ كيفَ محا العذا رُ سناءَ ذا البدرِ المُحجَّبْ؟
٢- قد كانَ كالظّبي الغريـ ـرِ فصارَ كالقردِ المُذنّبْ
٣- وجهٌ كجوزِ الهندِ في ذقنٍ كليفِ الجوزِ أهلبْ
٤- وعمامةٍ كالدّنِّ فو قَ قفًا من الإدبارِ أجربْ
٥- قد كُنت أهوى أنْ أرا هُ وأن يُغنّيني فأطربْ
٦- فالآنَ لا أختارُ أنْ ألقاهُ إلاّ وهو يُصلبْ

(٨) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٠-٢١، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٣-٥٨٤.

الشروح والتعليقات:

٣-أهلب: كثير الشعر، أو ما غلظ من الشعر. والأهلب: ذو شعر.

(٩)

وله: (المتقارب)

١- مللتُ مكافحةَ الحادثات وكنتُ بها مُعجبًا عاجبا

٢- وحيّرني الدَّهرُ حتّى نشدتُ حماري وكنتُ لَهُ راكبا!

(٩) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٢١٦٩/٥.

(١٠)

وقوله: (مجزوء الكامل)

١- لا تُنكرنْ حَقَّ الأديـ ـبِ لأنْ تعرّى من ثيابِهْ

٢- فالسيفُ أهيَبُ ما يكو نُ إذا تجرّدَ من قرابِهْ

(١٠) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١٨/٢-١٩، تحقيق: د. التونجي: ٥٨٠/١، **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٢٤.

(١١)

وقوله في معنى لم يُسبَق إليه: (الكامل)

١- عُلِّقتها بيضاءَ طاويةَ الحشا تسبي القلوبَ بحسنها وبطيبها

٢- مثل الشقائقِ في احمرار خدودها للناظرينَ وفي اسودادِ قلوبِها

(١١) التخريج والتوثيق: دُمية القصر، تحقيق: د. سامي: ٢٦/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٧٩/١، **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣ (مصدرة بـ: قرأتُ في مجموع له من أبكار المعاني)، **معجم الأُدباء**: ٢١٧١/٥، **الوافي بالوفيات**: ١٩/٢٤ (مصدَّرة بـ: ومن شعره، وكانَ غوّاصًا على المعاني).

اختلاف الروايات:

١- في الخريدة ومعجم الأدباء والوافي بالوفيات:

علقْتها بيضاءَ ظامئةَ الحشا تسبي العقولَ بحسنِها وبطيبِها

(١٢)

(قافية التاء)

وللأستاذ أبي عامر الجرجاني، في الأثنية والشكر: (الطويل)

١- شكرتك طول الدهر غير مقابل ... ندًى لكَ بَل جريًا على طيبِ منبتي

٢- ومَن لكَ بالظَّبي الجوادِ بمَسكه ... بلا سُنبلٍ يرعاه في أرض تُبَّتِ

(١٢) التخريج والتوثيق: **طرائف الطُرف**: ص٧٥.

(١٣)

(قافية الجيم)

ومن أهاجيه التي تنساب أفاعيه، قوله فيمن أهدى إليه نَزرًا، وجعل مدّ الإحسان جزرًا: (البسيط)

١- أوجَعت قلبكَ إذ أهديتَ لي مائةً ... فالله يجزيك عنّي يا أبا الفرجِ

٢- الضَّرطُ في ذقنك المنتوف شاربُه ... . (**)

(١٣) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢١، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٤-٥٨٥، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢١.

اختلاف الروايات:

٢- في الوافي بالوفيات:

الضرطُ في ذقنك المنتوفِ شاربُهُ ... . (**)

(١٤)

(قافية الدال)

وله أيضًا: (السريع)

١- يا ذا الذي أضافَ أبا مجدِ ... وباتَ في جوع وفي جهدِ

٢- تغدَّ في البيت إذا ضَفْتَهُ ... فخيرُهُ في ريعةِ النِدِّ

(١٤) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢١، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٥، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢١.

(١٥)

وأيضًا في الرئيس أبي الفضل - أدامَ اللّه علوه -: (الوافر)

١- تـولَّ الـغـانيـاتُ فليسَ عندي | لهنَّ سوى هوى أُخفي وأُبدي
٢- رأيـنَ الـشـيـبَ ألبسني قتيرًا | على حدّ البلى فنقضنَ عهدي
٣- وسـالمنـي الـغـيـورُ فـكـلّ يـوم | يـــوازنُ بـيـنـنـا ودٌّ بـودٍّ
٤- وقنَّعني الـزمـانُ فلستُ آسـى | على قوتِ الـثـراءِ وأنـتَ عندي
٥- وكـلُّ تـعـجُّـبي طـولَ الـلـيالي | لـذلـةِ مـاجـدٍ يسعى لـوغدِ
٦- فشـكـرًا لـلإلـه فـقـد كفاني | تـولّي غـيـر عبـاسِ بـن سعدِ
٧- لـه قلبـي وخالصـتي وودي | وفـيـه تـــردُّدي وإلـيـــهِ قصدي
٨- ومنهُ معيشتي وصلاحُ حالي | ومـعـصـوبٌ بـه غـيّـي ورشـدي
٩- وكـلّ الـنـاسِ يُشـركُ في هواه | وقـد أفـــردتُـه بـهـواي وحـدي
١٠- فإن أفزعْ فكهفُ علاهُ حرزي | وإنْ أعطشْ فبحرُ نـداهُ وردي
١١- فضلتَ الناس مأثرةً وفخرًا | وطُـلـتـهـمُ بـإحـســانٍ ومَجـدِ
١٢- ولمّا صرتُ عبدَكَ صارَ يرضى | أنـو شـروان لـو أرضـاهُ عبدي
١٣- أُدلُّ عليك إدلالَ المـوالي | فـلا نُـكـرٌ لـديـكَ ولا تـعـدّي
١٤- وتلك مـزيّةٌ لي ليسَ تخفى | ورثـتُ مكانها من ابي وجـدّي
١٥- فعشْ ألفًا معي في خيرِ حالٍ | وألـفًـا بـعـدَهـا ألـفـانِ بعـدي
١٦- فكلُّ الـنـاسِ دونـكَ آل قفرٍ | يـغـرُّ بـلـمـعـةٍ مــن غـيـر رِفـدِ
١٧- وأنـتَ الـفـردُ مكرمةٌ فكنْ لي | تـكـنْ فــردًا بـلا شـكٍّ لـفَـرْدِ

(١٥) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٧-٢١٦٨.

(١٦)

وأيضًا: (المتقارب)

١- نشدُّ على الموتِ مستبسلين | غـلاظَ الـرقـابِ غـلاظَ الكبـودِ
٢- ونفترع البيضَ سودَ القرونِ | صُـفـرَ الـترائـبِ حُـمـرَ الخـدودِ

(١٦) التخريج والتوثيق: **معجم الأُدباء**: ٢١٦٨/٥.

(١٧)

وقوله أيضًا: (مجزوء الكامل)

١- ما في زمانكَ ماجدٌ ... لو قد تأملتَ الشواهدْ
٢-فاشهد بصدَقِ مقالتي ... أَوْ لا فكذّبني بواحدْ

(١٧) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١٩/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٨١/١، **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٢٤.

اختلاف الروايات:

١- **في الوافي بالوفيات**:

ما في زمانكَ واحدٌ ... لو قد تأمَّلتَ الشواهدْ

(١٨)

وقوله: (البسيط)

١- استرزق اللّه فالأرزاق في يده ... ولا تمُدَّ إلى غيرِ الإلهِ يدا
٢- وحاذرِ الدهرَ أن يلقاكَ منفردًا ... فمُهرقُ النردِ مأخوذٌ إذا انفردا

(١٨) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢٠/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٨٢/١، **خريدة القصر**: ٣٤٤/٣، **الوافي بالوفيات**: ٢١/٢٤.

اختلاف الروايات:

٢-**في الخريدة والوافي بالوفيات**:

وحاذر الدهرَ أن يلقاكَ منفردًا ... فمهرك النردِ مأخوذٌ إذا انفردا

(١٩)

(قافية الراء)

وقوله أيضًا: (الوافر)

١-تختّمْ في اليسارِ فلستَ تلقى ... طــرازَ الـكُـمِّ إلاّ في الـيـسـارِ
٢-ومَا نقضوا اليمينَ بهِ ولكنْ ... لـبـاسُ الـزّيـن أولـى بـالـصـغـارِ
٣- لذاكَ ترى الأباهمَ عاطلاتٍ ... وهــنَّ عـلـى الأكــفِّ مــن الـكـبـارِ

(١٩) التخريـج والتوثيق: **دُمية القصـر**، تحقيق: د. سـامي: ١٩/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٨١/١، **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٢٤.

(٢٠)

وللشيخ أبي عامر في صفة الرمان: (الطويل)

١-خذوا صفةَ الرّمانِ عني فإنّ لي ... لسانًا عن الأوصافِ غيرَ قصيرِ
٢- حِقاقٌ كأمثالِ الكُراتِ تضمَّنت ... فصوصَ بلخشٍ في غشاءِ حريرِ

(٢٠) التخريـج والتوثيق: **دُمية القصـر**، تحقيق: د. سـامي: ٢٥/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٩١/١، **خريدة القصـر**: ٣٤٥/٣، **الوافي بالوفيات**: ٢٢/٢٤، **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**: ١٢٦.

الشروح والتعليقات:

٢-الحقـاق: واحدهـا الحقـة، وهي وعـاء خشـبي. البلخش: معـدن مقاوم للياقوت يجلب من مدينة بلخشان في بلاد العجم.

(٢١)

وقال في الثناء على كتاب **دمية القصر**: (البسيط)

١- ما دميةُ القصرِ إلا روضةٌ أُنُفٌ ... تحوي محاسنَ أهلِ البدوِ والحضرِ
٢- من كلِّ لفظٍ كنظمِ الدُّرِّ مختَرَعٍ ... وكلِّ معنىً كنفثِ السحرِ مبتكرِ
٣- أبقت أسامي مَن فيها مخلَّدةً ... منقوشةً بينَ سمعِ الدهرِ والبصرِ
٤-فليُحسنَنْ من نظامِ الملكِ موقعها ... فإنّها عصرةٌ من أعظمِ العُصُرِ
٥- يُشفى بها كاتبٌ ماتت خواطرهُ ... وشـاعـرٌ ملـكـتـهُ عـقـدةُ الحصـرِ

٦-وهي العرائسُ لا ترضى لبهجتها أن تُستباحَ بلا ألفٍ من البدرِ

٧- فذاكَ يدعو عليًّا أنْ يُشيِّعها بكلِّ باهرةٍ أضوا من القمرِ

٨- فهو الإمامُ الذي تُندى خواطرهُ بكلِّ معجزةٍ تعيا على البشرِ

(٢١) التخريج والتوثيق: **دُميةُ القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٥١٥-٥١٦، تحقيق: د. التونجي: ١/١٥٢٣-١٥٢٤.

اختلاف الروايات:

٣-في تحقيق (د. التونجي) :

أبقت أسامي في فيها مخلدةً منقوشةً بينَ سمعِ الدهرِ والبصرِ

(٢٢)

وله أيضًا: (الوافر)

١- إذا حفزتكَ نائبةٌ لأمرٍ فجئتَ إلى صغيرٍ أو كبيرِ

٢- فكاثره بهزٍّ بعدَ هزٍّ فإنَّ الزُّبدَ بالمخضِ الكثيرِ

(٢٢) التخريج والتوثيق: **معجم الأُدباء**: ٥/٢١٦٧.

(٢٣)

وله: (مجزوء الرجز)

١- قالوا: أبو زيد كم يُسيء فيكَ المحضرا

٢- فقلتُ: لو أحسن في الـ قولِ لكانَ أجدرا

٣- فإنّني عبدٌ لَهُ من القديم مُشترى

٤- لكنه مستهترٌ بهتك أَعراض الورى

٥- لذلكَ قد أُولع بي يقتاتُ لحمي من ورا

٦- وليسَ يدري أنهُ مساورٌ ليثَ الشرى

٧- وأنهُ في نَدبٍ أعظَمَ فيهِ الخطرا

٨- وقـد أخـذتْ رُخَّـهُ وشـاهَـهُ عـلى الـعـرا

٩- فليحذرِ النارَ التي تُسقطُ هـذا الشَّرَرا

١٠- وسـوفَ يـدري أنـهُ إنِ اسـتـمـرَ في الـكـرى

١١- أيَّ عـجـاجِ فتنـة سـاطـعـة قـد نـوَّرا

١٢-وأيَّ فَحلٍ قطم أضجرَهُ فجرجرا

١٣-وكـم يـداري عُـكَّـةً مملـوءةً مـن الخَـرا

(٢٣) التخريج والتوثيق: **دمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٣-٢٤، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٨-٥٨٩.

الشروح والتعليقات:

١. الندب: الخطر في الرهان، أي: ما يجعل في الرهان، فمن غلب أخذه.

٢. الرُّخ: طائر كبير، وهو من أحجار الشطرنج. شاهه: ملكه، وهو من أحجار الشطرنج أيضًا.

١٢-الفحل القطم: المشتهي للضِّراب.

١٣-العُكَّة: آنية السمن.

اختلاف الروايات:

١. في تحقيق (د. التونجي) :

قـالـو أبـو زيـد وكـم يُـسـيءُ فـيـكَ المحضـرا

٤-في تحقيق (د. التونجي) :

لـكـنَّـهُ مـسـتـهـزئٌ بـهـتـكِ أعـراضِ الـورى

(٢٤)

وقال يهجو إنسانًا ملقوًّا(*) استقبحه مَلقيًّا، فاتخذه مقْليًّا: (المنسرح)

١- لم تـرَ خلقًا رأى الخليلَ فلم يـنـفـثُ عـلـيـهِ لقبحِ منظرهِ

٢- كـأنّـهُ رامَ مـن سـفـاهـتِـهِ		عـضَّ شـبـا أُذنـــهِ بـمـشـفـرِهِ

(٢٤) التخريـج والتوثيـق: **دُمية القصـر**، تحقيق: د. سـامي: ٢/٢٢، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٥-٥٨٦.

(*) الملقـو: المصـاب باللقوة، وهـو داءٌ يكـون في الوجه يعوجُّ منه الشِّـدق. والملقيّ: من لقي، والمقليُّ: من قَلى.

الشروح والتعليقات:

٢- شبا: شبا كلّ شيء: حدّه.

(٢٥)

(قافية السين)

وله في معاهد الأُنس، ومعاني الغزل: (المجتث)

١- صـبـحـتُ مـعـهـدَ أُنـسـي		أرومُ تـــرويـــحَ نـفـسـي

٢- فـحـينَ وافـيـتُ قـالـوا:		قـد فـــارقَ الـشـيـخُ أمـسـي

٣- فـيـا مـســرَّةَ قـلـبـي		ويـــا هـــلالـي وشَـمـسـي

٤- أتـسـتـجـيـزُ فِـراقـي		مـن دونِ تـزويـدِ أُنـسِـي؟

٥- وأنــتَ أنـــتَ، ووُدِّي		مــا قــد عـلـمـتَ وبَـسَّـي

(٢٥) التخريـج والتوثيـق: **دُمية القصـر**، تحقيق: د. التونجـي: ١/٥٧١-٥٧٢، وهذه المقطوعة ليست في تحقيق د. سامي.

(٢٦)

(قافية الصاد)

(وله يتأسّـفُ على مواريث الشـيخ الرئيس أبي ربيعة رضـي الله عنه ووقوع الورثـة فيهـا، وقـوع السـوس في الخـزّ، والسـرحان في السـرح. مصـروفةً عن

مُفترضاتها إلى غير جهاتها): (الوافر)

١- برغمي أن أرى في كلِّ يوم تراثَ أبي ربيعةَ في المعاصي
٢- فشطرٌ في مراودة البغايا وشطرٌ في أباريقِ الرَّصاصِ
٣- فلا في الجودِ مصرفُهُنَّ يومًا ولا في شبعِ أيتامٍ خماصِ
٤- ألا فسقى الإلهُ ضريحَ عمرو بوارقَ غيرَ مخلفةِ النَّشاصِ
٥- وإن خلاَّهُمُ فينا تيوسًا تُناطحُ كلَّ يومٍ بالصياصي
٦- أراذلُ حينَ تخبرُهُم تراهُمْ وما هُم باللُّبابِ ولا المُصاصِ
٧- وكانَ فسادُ مولدهمْ يقينًا من الأُمِّ اللّموح من الخَصاصِ
٨- فقد شمطتْ ذوائبُها وليستْ على أمرٍ سوى فَتلِ العقاصِ
٩- إذا ودقتْ سمعتَ لها رُغاءً كما يرغو الفقيدُ من القلاصِ
١٠- فجدَّ اللهُ دابرَهم فما هُم سوى غيطِ الأداني والأقاصي

(٢٦) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٢-٢٣، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٦-٥٨٨.

الشروح والتعليقات:

٤- النشاص: السحاب المرتفع.

٥-الصياصي: القرون.

٦- مصاص كل شيء: خالصه.

٧- الخصاص: الفقر.

٨- العقاص: الضفائر، ومفردها العقيصة.

٩- ودقت: ودقت ذات الحافر، أي: أرادت الفحل. القلاص: القلوص من الأبل: الشابة أو الباقية على السير.

اختلاف الروايات:

٩-في تحقيق (د. التونجي) :

إذا ودقت سمعتَ لها رُغاءً كما يرغو الفقير من القلاصِ

(والفقير هنا: المكسور الفِقَر) .

(٢٧)

(قافية العين)

وله: (الكامل)

١-قدضاقَصدري من صدورزماننا فهمُ جُماعُ الشرِّ بالإجماعِ

٢-يتضارطونَفإن شكوتُضراطهم شفعوا سماعَ الضَّرط بالإسماعِ

٣- هذا يفرقعُ في الضراطِ وذاكُم يرمي بمثلِ حجارةِ المقلاعِ

٤- ومن البليةِ أن تعاشرَ معشرًا يتضارطونَ الدهرَ بالإيقاعِ

(٢٧) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٩، **الوافي بالوفيات**: ١٩/٢٤.

(٢٨)

(قافية الفاء)

وله في مجون، بالجدّ معجون: (السريع)

١- ادَّرِعِ الصبرَ وكن آخذًا بالرفقِ والإشفاقِ والخوفِ

٢- ولا تكنْ أعجلَ من فَيْشةٍ عِنانها أُطلقَ في الجوفِ

(٢٨) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢١، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٤، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢١.

الشروح والتعليقات:

٢-الفيشة: رأس الذكر.

(٢٩)

وقال يمدح شرف الصالحين، أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف(*) ، الذي أتى

إلى بيهق(**) من نيسابور، فكان فريد عصره، متبحرًا بأنواع العلوم: (الطويل)

١- تبيّنَ لي أنْ ليسَ للناسِ كلِّهم ... إمامٌ تردّى بالكتابِ المُشرَّفِ

٢- كمثلِ الإمامِ المستضاءِ بنوره ... أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسفِ

(٢٩) التخريج والتوثيق: **تاريخ بيهق**: ٢٢٠.

(*) تنظر ترجمته وأخباره مفصلة في **تاريخ بيهق**: ٢٢٠-٢٢١.

(**) بيهق: ناحية من نواحي نيسابور، كثيرة البلدان والعمارة والقرى. ظهر فيها الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء، أصحاب العلوم النافعة والمصنفات الكثيرة، يُنظر: **معجم البلدان**: ١/٥٣٧-٥٣٨.

(٣٠)

وله: (السريع)

١- باللهِ يا حتفي أما تستحي ... حتّى متى تُوردني حتفي

٢- تحلفُ لي أنك في كَفّي ... وعضُّ كفّي منكَ في كفّي

٣- وأنتَ يا قلبي إلى كَم وكَم ... تحيلُ بالذنبِ على طَرفي

(٣٠) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٧.

(٣١)

(قافية القاف)

وقوله في الأوصاف: (السريع)

١- يا رُبَّ كوماءَ خضَّبتُ نحرَها ... بمديةٍ مثلِ القضاءِ السابقِ

٢- كأنها والدّمُ جاشٍ حولَها ... سوسنةٌ زرقاءُ في شقائقِ

(٣١) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٠، تحقيق: د.التونجي: ١/٥٨٣.

الشروح والتعليقات:

١-الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

(٣٢)

وله: (الكامل)

٢- أصبحت مثل عطارد في طبعه   إذ صرتَ مثل الشمس في الإشراقِ
٢- فلذاكَ ما ألقاكَ يومًا واحدًا   إلاّ قضيتَ عليَّ بالإحراقِ

(٣٢) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٩، **الوافي بالوفيات**: ١٩/٢٤.

(٣٣)

(قافية الكاف)

وقال في شبل الدولة، لما هزم ملك الروم في حلب سنة ست وعشرين وأربعمائة: (الكامل)

١- لبسوا دروعًا من ضباكَ تقيهُمُ   كانتْ عليهم للحتوفِ شباكُ
٢-نالتْ بكَ العربُ الغنى من مالهم   وتقاسمتْ أتراكَكَ الأتراكُ
٣- لو لم يفرّ جعلتَ صفحةَ خدّه   نعلاً وقوسي حاجبيهِ شراكُ

(٣٣) التخريج والتوثيق: **كنوز الذهب في تاريخ حلب**: ١ /١٩٢.

(٣٤)

وله يهجو خطيب أستراباذ: (المتقارب)

١- أما تستحي ويكَ من منظرِكْ   ومن سوءِ ما شاعَ من مخبرِكْ
٢- وتزعمُ أنكَ أنتَ الخطيبُ   فلِمْ يخطبونَ على منبرِكْ؟

(٣٤) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٢، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٦، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٢.

(٣٥)

وقال ينكر غلامًا له، زعموا أنَّه يريدُ أن يهرب على فرسه، وهو من المُلح:

(المتقارب)

١- أتهربُ مع فرسي يا خبيثُ؟ أراحني اللهُ من شركا

٢- ولستُ أظنُّكَ تقوى عليه وإنْ أنتَ دقَّقت في مكرِكا

٣- فإن مقيلي على ظهرِه وإنَّ مبيتي على ظهرِكا

(٣٥) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٢ تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٥، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢١.

(٣٦)

ومن شعره قوله: (المتقارب)

١- عذيري من شادنٍ أغضبوهُ فجرّدَ لي مرهفًا باتكا

٢- يقولُ أنا لكَ يا ابنَ الوكيلِ وهل لي رجاءٌ سِوى ذلكا

(٣٦) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٨، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٠، **أعيان العصر وأعوان النصر**: ٥/ ٢٤، **بغية الوعاة**: ٢/٢٤٥، **طبقات المفسرين**: ٢/٣٢، **أنوار الربيع في أنواع البديع**: ٢/٢٠٧.

اختلاف الروايات:

٢-في أنوار الربيع:

فقالَ أنا لكَ يابنَ الحسينِ وهل لي رجاءٌ سِوى ذلكا

(٣٧)

(قافية اللام)

وله يذمُّ أهلَ نيسابور: (الطويل)

١- أرى أهلَ نيسابورَ كالمعدنِ الّذي ينالُ الجَدا منهُ بحفرِ المعاولِ

٢- إذا فزعوا كانوا بِغاثًا مُسفَّةً وإن أمَنوا طَاروا بريشِ الأجادلِ

(٣٧) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/ ٢٤، تحقيق: د. التونجي: ١/ ٥٨٩، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/ ٢٢.

الشروح والتعليقات:

١. الجَدا: العطية.

٢. البغاث: طائر أغبر دون الرُّخ بطيء الطيران وهو من شرار الطير. مسفّة: أصلها مسيّفة، وهي تلك التي هلك ولَدها. أو الدانية من الأرض. الأجادل: جمع الأجدل، وهو الصقر.

(٣٨)

قال أبو عامر الجرجاني في الخمريات والغزليات: (البسيط)

١- قمْ يا غلامُ فهاتِ الراحَ بالعجلِ فقد مضتْ دولةُ الأنذالِ والسِّفَلِ

٢- وليسَ في الصحوِ لي عذرٌ ألوذُ به من بعدِ ما بسطَ الإقبالُ من أَملي

(٣٨) التخريج والتوثيق: **طرائف الطُّرف**: ص٥٦.

(٣٩)

وقال: (الطويل)

١-يقولونَ تبْ والوردُ في رسولهِ فقلتُ اسكتوا لايسمعنَّ رسولُهُ

(٣٩) التخريج والتوثيق: **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**: ١/ ٢١٩.

(٤٠)

(قافية الميم)

وقوله: (الكامل)

١- وبمهجتي يا عاذلي قمرٌ قد شفَّني في حبِّه السقمُ
٢- فإذا جَرى طَلقًا أضرَّ بهِ نفسُ الصّبا فتشوّشَ الّلممُ
٣- وتطايرتْ أهدابُ مُذهبهِ كسدتْ عليها الطُّرزُ والعَلَمُ

(٤٠) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٨، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٧٩.

(٤١)

وله في معنًى لم يُعهد مثلُه في فنه: (الطويل)

١- أقولُ لَهُ لما تلبَّسَ خُلعةً تحشرجَ فيها من أُولي العلم عالمُ
٢- رأيتُكَ مثلَ النعشِ لم يُرَ لابسًا لخلعتهِ إلاّ وفي الحيِّ مأتمُ

(٤١) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٤، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٩٠، **خريدة القصر**: ٣/٣٤٥، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٢.

(٤٢)

(قافية النون)

وقوله أيضًا: (الوافر)

١- أتشكو أم كذلك فالتّصابي قبيحٌ بعدَ شيبِ العارضَيْنِ
[قوله: أم كذلك، إحضار (اختصارٌ) تقف مطايا الإحسان هنالك].
٢- ولا ترجُ الشبابَ يعودُ يومًا وإن نعموا بعودِ القارِظَيْنِ

(٤٢) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٠، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٣.

الشروح والتعليقات:

٢-القرَظ: ورق السَّلَم أو ثمر السَّنْط ويعتصر منه. والقارظ: مجتنيه. وفي المثل: لا يكون ذلك حتّى يعود القارظان، وهما رجلان خرجا يجنيان القرَظ فلم

يرجعا، فضُرب بهما المثل. ينظر: **المستقصى من أمثال العرب**: ٢/٥٨.

(٤٣)

وله، في الغزل: (الخفيف)

١- خدّهُ الياسمينُ والخطُّ فيه ... سُنبلٌ نابتٌ على ياسمينِ

٢- سمته قبلةً فقالَ تحرَّزْ ... بينَ صدغيَّ عُقدتا التنينِ

(٤٣) التخريج والتوثيق: **معجم الأدباء**: ٥/٢١٦٧.

(٤٤)

وله يصف الهرَّة، وهو من نوادر شعره: (الخفيف)

١- إنَّ لي هرَّةً، خضبتُ شواها ... دون ولدانِ منزلي بالرَّقونِ

٢- ثمَّ قلّدتُها، لخوفي عليها، ... ودعاتٍ تردُّ شرَّ العيونِ

٣- كلَّ يومٍ أعولُها، قبلَ أهلي ... بزلالٍ صافٍ ولحمٍ سمينِ

٤- وهي تلعابةٌ إذا ما رأتني ... عابسَ الوجهِ وارمَ العرنينِ

٥- فتغنّي طورًا وترقصُ طورًا ... وتُلهّى بكُلِّ ما يلهيني

٦- لا أُريدُ الصِّلاءَ إن ضاجعتني ... عندَ بردِ الشتاءِ في كانونِ

٧- وإذا حككتها، لحستني ... بلسانٍ كالمبردِ المسنونِ

٨- وإذا ما جفوتُها، استعطفتني ... بأنينٍ من صوتها ورنينِ

٩- وإذا ما وترتُها، كشفتْ لي ... عن حِرابٍ ليستْ متاعَ العيونِ

١٠-أملحُ الخلقِ حينَ تلعبُ بالفأ ... رِ، فتلقيهِ في العذابِ المهينِ

١١-وإذا مات حسُّهُ، انشرتَهُ ... بشمالٍ مكروبةٍ أو يمينِ

١٢-وتُصاديهِ بالغفول، فإن را ... مَ انجحارًا عَلتْه كالشاهينِ

١٣-وإذا ما رجا السلامةِ منها، ... عاجلتهُ بنشطةِ التنينِ

١٤-وكذلكَ الأقدارُ، تفترس المَرْ ... ءَ، وتغتالهُ بقطعِ الوتينِ

١٥-بينما كان في نشاطٍ وأنسٍ إذْ سقاهُ ساقٍ بكأسِ المنونِ

(٤٤) التخريج والتوثيق: **خريدة القصر**: ٣٤٦/٣، **معجم الأُدباء**: ٥/ ٢١٧٠-٢١٧١، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/١٨-١٩.

الشروح والتعليقات:

١-الشوى: الأطراف. الرقون: الحناء والزعفران.

٦- الصلاء: الاستدفاء.

٩- وترتها: أفزعتها. ويريد بالحراب: شعرات برثتها.

١٢- تصاديه: تداريه. الغفول: الترك والنسيان. الانجحار: داخل الجحر. الشاهين: من الطيور الجارحة.

١٣- نشطة التنين: أي بسرعة التنين وخفته.

١٤- الوتين: عرق في القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

اختلاف الروايات:

١٣- في **معجم الأدباء** وفي **الوافي بالوفيات**:

وإذا ما رجا السلامةَ منها عاجلته ببطشةِ التنينِ

(٤٥)

وله من أبيات له، قالها في الشيخ أبي علي الحسين بن أحمد الخوافي، يصف ترجحه للركبة(*) الواقعة برجله، ومن مدح رئيسًا بالعرج، وحدّث عن فضله ولا حرج: (الطويل)

١- وقد يستقيمُ المرءُ فيما ينوبهُ كما يستقيمُ العودُ من عرْكِ أُذنهِ

٢-ويرجحُ من فضلِ الكمالِ إذا مَشَى كما يرجحُ الميزانُ من فضلِ وزنهِ

(٤٥) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سـامي: ٢/١٩، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٨٢، **خريدة القصر**: ٣/٣٤٤، **معجم الأدباء**: ٥/٢١٧١، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/١٩.

(*) في تحقيق د. سامي: للركية، وهو تصحيف.

اختلاف الروايات:

١- في **معجم الأدباء** و**الوافي بالوفيات**:

وقد يستقيمُ المرءُ فيما ينوبُهُ ... كما يستقيمُ العودُ في عركِ أُذنهِ

٢- في تحقيق (د. التونجي) :

ويرجحُ من فضل الكمالِ إذا مشى ... كما رَجَحَ الميزانُ من فضلِ وزنهِ

(٤٦)

(قافية الهاء)

وله في معنى الوصف: (الطويل)

١- وسهم من الميناءِ فُضِّضَ ريشُهُ ... بقدرةِ خلاّقٍ وذُهّبَ فُوقُهُ

٢- يغايظُ أحداقَ الغواني وإنها ... تراجعُ إنْ قيستْ به ويفوقُ هو

(٤٦) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سـامي: ٢/٢٦، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٩٢، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٣.

(٤٧)

وله أيضًا: (المتقارب)

١- ألم ترَ أني ذممتُ الزمانَ ... لخسّة نابتة ناشيهْ؟

٢- وأصبحتُ في جانبٍ منهُمُ ... كما أُخذَ الرُخُ في الحاشيهْ

٣- أمـــزِّقُ أعـراضــهـمْ دائـبًـا كـمـا وقــعَ الـذئـبُ في الماشيـهْ
٤- وأدعــو إلـى ذمِّـهـم آخـريـنَ كـمـا دعــتِ الآبـــيَ الـغـاشـيـهْ
٥- فـلـومـهـمُ وهـجـائي لَـهُـم لَـدى الـنـاسِ أحـدوثـةٌ فـاشـيـهْ
٦- فـمـا بـهـمُ حـاجـةٌ في الـبـيانِ إلــى سـعـي واشٍ ولا واشـيـهْ
٧- عـبـيـدٌ تــرى لـهُـمُ راكـبـيَن عـبـيـدًا بـأيـديـهـمُ الـغـاشـيـهْ

(٤٧) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/٢٤-٢٥، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٩٠-٥٩١.

الشروح والتعليقات:

٤- الآبي: الأسد. الغاشية: النار.

٧-الغاشية: الحديدة التي فوق مؤخرة الرحل.

(٤٨)

(قافية الياء)

ومن أبكار معانيه قوله: (السريع)

١- ونـائـمٍ عـن سـهـري قـالَ لي وقـــد طـــواني حـبُّـه طـيًّـا:
٢- أأنـت حيٌّ بعدُ قلتُ: انتبهْ فـالميْـت في الـنـومِ يُـرى حـيًّـا

(٤٨) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ٢/١٨، تحقيق: د. التونجي: ١/٥٧٩-٥٨٠، **الوافي بالوفيات**: ٢٤/٢٠.

الهوامش:

(*) كلية التربية الأساسية في جامعة الأنبار/ العراق.

(**) **العرب**: حُذف ما بين قوسين؛ لأنه مما لا يتسع له صدور بعض القرَّاء.

شعر

أبي اليُمْن ابن عساكر المكيّ (٦١٤ - ٦٨٦هـ)

(٢)

جمع وشرح وتقديم

د. عبد الرازق حويزي

[قافية التاء]

(٣)

وقال: [من الكامل]

١- يا مَن تَبَوَّأَ مِن مَشَاعِرِ مكة   مُتَبَوأ بينَ الصَّفَا والمَرْوَةِ
٢- ألقى العَصَا فِيهَا وَأَوضعَ كَي بِهَا   تُضَع الخَطا والحُوبُ عنْه بِتَوْبَةِ
٣- فَأَوَى إلى حَرم ولاذَ بمأْمَنٍ   مُسْتَوْثقًا منْهَا بِأَوْثَقِ عُرْوَةِ
٤- وغَدا يجدِّدُ في مَعَاهد رَسْمهَا   عَهْدَ الأَحِبَّةِ بَعْدَ طُول المدَّةِ
٥- عَهْدٌ وميثاقٌ لهم مَا قُطِّعَتْ   أَسبابُه وحِبالُه مَا رَثَّت
٦- فَمُقبِّلٌ طَوْرًا وَطورًا مَاسِحٌ   أركانها وَمرِدِّدٌ لِتَحيَّةِ
٧- حتَّى إذا مَا قيلَ صُفِّي سِرُّهُ   وتقَدَّسَتْ أَوصَافُه وتَرَقَّت
٨- بمواهبٍ جَادَتْ لَه بعَوارِفٍ   قدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُها بِأَشِعَّةِ

٩- أضْحَى بَعيدًا عَن حماهُ مُحَجَّبًا   عَـن بـاب مَـولاه بـكُـلِّ تَـعلَّـة

١٠- يا ويحَه قَدْ أوثقَتْهُ حظوظُه   في حيثُ يُطلقُ مِن وَثاقِ الزَّلَّة

١١- غَلقتْ لدَيه رُهونه بِعَلائِقٍ   عَلقتْ بِـه وَجَـرائـرٌ قَـدْ جُـرَّت

١٢- بمقَرِّ أمْـنٍ عينُه سَخنَتْ به   ولَـدَيـه قُـرَّة كُـلِّ عَـيـنٍ قَـرّت

١٣- فمسـوَّدٌ بـينَ الـوَرى وَمسـوِّدٌ   وجـهَ الـنُّهَـى بصَحَائف مُسْوَدَّة

١٤- أيَّان يُؤنَسُ من صَلاحِك بعدَما   أشفيتَ لا تشْفَى هوىً مِن علّة

١٥- متقسِّم العزَماتِ لَسْتَ بمزْمِعٍ   مـا فيـه عـائـدةٌ عَـليكَ بوصْـلـة

١٦- ومَتَى تُرَجَّى منك يا متلوِّن   عُتبى مُنيبٍ أو إنـابـةُ مُخْبِت

١٧- قدْ شُبتَ غدرًا بعد شَيبِ غَدائرٍ   لَمَمَ الخَطا مِن بعدِ وَخْطِ اللِّمَّة

١٨- فَدَراك مُعْتَركَ المنون فقدْ أتَتْ   وَدَعِ المُنَى واهبُبْ لأَخْذِ الأُهْبَة

١٩- وانظرْ لأَمْرِكَ حيثُ أمرُك مَنْظَرٌ   لا بُدَّ مِن بَعْدِ الكَرَى مِن يَقْظَة

٢٠- وارفعْ إلى مَولاكَ شَكواكَ التي   طـالـتْ بـها نجـواكَ أبْـعَـدَ شُـقَّة

٢١- واخضعْ له واضرعْ إليه ونَاده   مُـتَـنَـصِّـلاً ممَّـا جنيتَ بـذلَّـة

٢٢- وأبسطْ لـه كَفَّ السُّؤالِ فإنَّه   جَـمُّ الـنَّـوالِ بِبَسْطِ ظلِّ النَّعْمَة

٢٣- واغْسِلْ ذُنوبَك بالدُّمُوعِ لَعَلَّه   أن يَجْتَبِيكَ مِـن لَـدُنْـه بـرَحْمَة

٢٤- نُوحوا عَلَى مَن هَذه أنْحَاؤه   وابـكُـوا ورثُّــوه بِـأَوْجَـعِ نَـدْبَـة

الشَّرح:

(٢) الحُـوب: الإثم. **تاج العروس** ٢/٣٢٢، وورد الفعل: (تضَـع) في الأصـل بالبناء للمعلوم.

(١١) غلقت رهونه: «غلِقَ الرَّهْنُ، كفَرِح، غَلَقًا: استَحقّه المُرْتَهن، وذلك إذا لم يُفْتَكَّ في الوقت المشْروط. وفي الحديث: لا يَغْلَق الرَّهْنُ. هذا نصُّ الجوهريّ. وقال سيبَويْه: وغلق الرّهْنُ في يَد المُرْتَهن غَلَقًا وغُلوقًا، فهو غَلِقٌ: استَحَقّه المُرتَهِنُ، وذلِك إذا لم يُفتَكَّ في الوقْت المشْروطِ». **تاج العروس** ٢٦/٢٦٠.

(١٢) سُخْنَةُ العَيْن: نَقِيضُ قُرَّتِها. **تاج العروس** ٣٥/ ١٧٤.

(١٧) الشَّوْب: الخَلْطُ. **تاج العروس** ٣/ ١٦٠.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/ ٢١٠-٢١١.

(٤)

وكتب إجازة للشيخ عمر بن أحمد الأنصاري(*) إمام مسجد رسول الله ﷺ:

[من الكامل]

١- سَمِعَ السّراجُ إمامُ دارِ الهجرَة ... «عمر بن أَحْمَدَ» «ذي الفنون الحجَّة

٢- منّي «البخاريَّ الصَّحيحَ» مُكَمَّلاً ... جمعَ الإمام إمام أهل الصَّنْعَة

٣- ومن «الزّبيدي الحُسين» سمعتُه ... عن شيخه «السَّجْزي» بأعلى رُتْبة

٤- ورُواتُه من بعدُ أعلامٌ رضا ... أضربتُ عن ذكري لهم للشُّهرة

٥- أسمعتُه وأجزتُه ما عنّ في ... إسماعه من سقطة أو غفلة

٦- وأجزتُه مَا صَحَّ عَنِّي عنْدَه ... فَلْيَرْوِه لروايةً ورَوِيَّة

٧- وأفَادَنَا ضِعْفَي إفَادَتِنا له ... ممَّا لديه من فَواضِل عِدّة

٨- فلنا به منْها إنالةُ مُوسع ... وله به منَّا عُجالةُ مُسْنت

٩- والله ينفعُه وينفعُنا بما ... يَرْوي ويسمعُ خَالصًا من سُمْعة

١٠- فإذا رَوى عَنِّي أُطيلَ بَقاؤه ... فَعَساهُ يُخلصني بصَالح دَعْوة

١١- زَبَرَتْه يُمْنَى خَادم الآثار جا ... رِ الله مَا بينَ الصَّفا والمرْوَة

١٢- أَعْني «أبا اليُمن» المؤَمِّل أمنه ... في طَيبة أحبب بسُكْنى طَيبة

١٣- من بعد ست مئي وَسبعينَ خَلَتْ ... شُفعَتْ بعشرٍ بعدَ خمس وَفَّت

١٤- مستغفِرًا ممَّا جَناه وَحامِدًا ... مَوْلاه مُعْتَرِفًا له بالنِّعْمَة

الرِّواية:

(٩) ورد البيت التَّاسع في **مجلة العرب** برواية: «نرْوي ونسمعُ».

الشَّرح:

(١) «ذي» هنا: اسم إشارة.

(٨) مُسْنِتٌ: مجدبٌ. **تاج العروس** ٣٨/٣٢٠.

(١١) زَبَرَتْه: أي كَتَبَتْه. **تاج العروس** ١١/٣٩٨.

(*) عمر بن أحمد الأنصاري: قال عنه الصفدي: «ابنُ ظافر، سراجُ الدين، خطيب المدينة الشافعي، عمر بن أحمد بن الخَضِر بن ظافر الأنصاري الخزرجي المصري، سراج الدين الشافعي. ولد سنة ست أو سبع وثلاثين وست مائة، وتوفِّي سنة ست وعشرين وسبع مائة. سمع من الرَّشيد العطَّار، وتفقَّه أولاً على ابن عبد السَّلام، ثمَّ على النَّصير بن الطبَّاع. وأجاز له المُرسي والمُنذِريّ، وسمع منه البِرزالي وابن المطَريّ، وخطب بالمدينة أربعين عامًا، ثمَّ ولي القضاء بعد ذلك، وسار إلى مصر ليتداوى، فأدركه الموت بالسُّويس». **الوافي بالوَفيات** ٢٢/٤١٨.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/١٨٧، والقصيدة - ما عدا البيت العاشر - في **مجلة العرب** ج ١٠، السنة الثَّالثة، ١٣٨٩هـ، ص ٩٥٤ ضمن بحث العلامة حمد الجاسر الموسوم بـ «الحجاز في القرن السَّابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي»، وفيه استفهام عن بعض الكلمات المحرفة في البيتين: ٣، ١٢.

[قافية الدال]

(٥)

وقال متشوقًا للحج والزيارة: [من الرجز]

١- أنخْ مَطاياكَ بلغتَ المقصِدَا   بين ثنيات كَداء وكُدَى

٢- أَرْوِدْ بـهـا سَـوْقـكـهـا فَـطـالما ... نهنهها زَجْـرُ الحُـداة والحُـدَا
٣- إربــعْ عـلـيـهـا تـرتـبـع سَـائـبـة ... فحُـلَّ أنـسـاعًـا وأرْخ مـقْـوَدَا
٤- وخَـلِّـهَـا بـالأخـشـبـيـنِ تَـرْتَـوي ... علاً وذرْهـا منه تَشْفي العَمَدَا
٥- تـــروعُ مـرعـاه وتـرتـادُ لـهـا ... بـيـنَ رُبـاه مَـرْتَـعًـا وَمَـوْردَا
٦- مـا وردتْ صـداء مِـن كَـاظـمَـة ... لكنها صَـدَّت على كظِّ الصَّـدَا
٧- كَـمْ شَـاقـهـا مُـحَـصَّـبٌ وأبـطـحٌ ... فَـظَـلَّ ذكْـرَاهـا لَـه مُـرَدَّدَا
٨- إنَّ لها بين الحَجُون والصَّفَا ... مَـعَـاهـدًا تَصْبُـو إلـيـهَـا أَبَـدَا
٩- مَـنـازل قـدْ شَـفَّـهَـا ادِّكـارُهـا ... وكـادَ يـبـلـيـهـا هَـواهـا كَـمَـدَا
١٠- لـهـا ولـلأحـبـاب فـيـهـا مَـوْعـدٌ ... للـوَصْـلِ وَافَـتْـهُ تُـوَيِّ الموعدَا
١١- هــوى قــديمٌ ووِدادٌ أوّل ... إذا انـتـهَـى عَـادَ لـهـا كـمـا بَـدَا
١٢- وفي حمَاهَا أنستْ عَن جَانب ... فَـأُنْـسـيَـتْ عَـن جانِبٍ نـارُ هدَى
١٣- وكـمْ لـهـا في حبِّهَا عَلاقةٌ ... أقـامـهـا الـوصْـلُ لـهـا وأَقْـعَـدَا
١٤- مـا فـارقـت مـربـعـهـا مُـشـيـحَـةً ... تَفْري الفَلا شَوْقًا لمغْنَاهَا سدى
١٥- ونـكَّـبَـتْ عَـن مَـائـه وظِـلِّـه ... إلاَّ ليهديها الطَّريقَ الأَقْصَدَا
١٦- إنْ أنتَ لم تشف بذاكَ شَوقَهَا ... لم تدرِ كيف الشَّوقُ فَتَّ الأَكْبُدَا
١٧- عـاذتْ بـذيَّـاكَ الحِمَى وفسَّحتْ ... لا تَـأْتَـلـي في رَسْـمـه تَـرَدُّدَا
١٨- والـتـزمـتْ ضـربـةَ حـبٍّ لازم ... جـدَّ بـهـا نـحـوَ حـمـاهـا وَحَـدَا
١٩- وجـدَّدتْ مـيـثـاقَـهـا ولـم يـزَلْ ... مـيـثـاقُـهـا مُـؤَكَّـدًا مجـدَّدَا
٢٠- وحصَّبتْ بالشِّعب ثمَّ أَصْعَدَتْ ... لا تَـنْـقَـضـي أَنْـفَـاسُـهـا تَـصَـعُّـدَا
٢١- حـازتْ مُـنـاهـا إذْ أَجَـازتْ بمِنًى ... تَـؤُمُّ جـمـعًـا وتُـريـدُ الـنّـجّـدَا
٢٢- ومـا شـكـتْ حـيـفًـا مُـلمًّـا إذ غَـدَتْ ... مُلمّة بالخَيْف تَسمُو صُعَّدَا
٢٣- تـعـرّفـتْ في عـرفـات مَـوْطـنًـا ... ما أنكرتْهُ الرُّوحُ في طُول المدَى
٢٤- فَاضَ عليها. إذْ أفاضتْ. فائضٌ ... مِـن مُـنْـعم جمِّ الـنَّـوَال والجَـدَا
٢٥- وفَـتْ نُـذُورًا وَقَـضَـتْ عَن تَفَثٍ ... أَوْطَـارَهـا وقـدْ تلقَّت أسْعَدَا

٢٦- ثـم ثـنـتْ عـنـانـهـا لِطَـيـبـة ... تَـــؤُمُّ خـيـرَ الـعَـالمينَ أحـمَــدَا

٢٧- المصطفَى عَلى الوَرى والمحتَبى ... بالحبِّ والقُرْب الرِّضَى محمَّدَا

٢٨- حنَّتْ إلى لثم الثَّرى من يثرب ... لم تَغْتَمِضْ بالنَّوم لَيلاً أَرْمَـدَا

٢٩- فـأَوَّبَـتْ في سَيرِهـا ومـا وَفَـتْ ... تَفْرِي الفَيافي وَتَجُوبُ الفَدْفَدَا

٣٠- فأصبحتْ كالسَّطرِ في طرسِ الفَلا ... مِـن كُلّ نُـونٍ تحتَ راء قَـدْ بَـدَا

٣١- مذ سلَكَتْ وادي العقيق ناثرتْ ... سُـلُـوكَ جـمْـعٍ كـالـعقـيـقِ بـدَّدَا

٣٢- حتَّى أَتَتْ بُطحان لا تَشْكُو وَجَى ... ولا تـخـافُ دَرَكًـا مِـن الـرَّدَى

٣٣- ويمَّمَت خيرَ الـوَرى فَسَلَّمَتْ ... تسليمَ صَـبٍّ شَـوقُـه تَـوَقَّـدَا

٣٤- وقَبَّلَتْ ذاكَ الثَّرَى وَصَافَحَتْ ... بـالـتُّـرب مـنه طَرْفَـهـا المسَهَّدَا

٣٥- عَـاذَتْ بـه وإنَّ مَـن عَـاذَ بِـه ... مُسْتَرْشِدًا فَقَدْ تحرَّى رَشَدَا(*)

٣٦- تشفَّعَتْ بجَاهه وَمَـنْ غَـدَا ... لـه شَـفـيعًـا ينجُ م الـنّـارِ غَـدَا

٣٧- واستغفرتْ لذَنْبِها وَجَـدَّدَتْ ... تـوبـةَ خـطَّـاء عَـدا أو اعـتَـدَى

٣٨- وأصبحتْ في روضةٍ من جَنَّة ... مَـن حَـلَّـهَـا حَـلَّ جِـنـانًـا خُـلُـدَا

٣٩- وشـاهـدتْ آثـارَه فعاينتْ ... مِـنْـبرَهُ وَقَـبْرَهُ والمسْـجِـدَا

٤٠- صَفْوَةُ خَلْقِ الله خَيرُ رُسْلِه ... اتَّـزَرَ الـحـمْـدَ وبـالمجد ارتَـدَى

٤١- لَـهُ مَـقامُ الحمْدِ عِنْدَ رَبِّه ... يقامُ بالتَّخْصيص فيه أَوْحَدَا

٤٢- يقومُ فينَا شَافعًا مُشَفَّعًا ... مُـراجِـعًـا لـربِّـه مُـرَدَّدَا

٤٣- يَشْفَعُ فِينَا عَودةً لِبدْأةٍ ... وكَـانَ أولـى وعَلَـيـنَـا أَعْـوَدَا

٤٤- يسمُو إلى وَسيلة خُصَّ بها ... يَـنـالُ فيـهَـا سُـؤلَـه مُـمَـجَّـدَا

٤٥- ويغتدي والـرُّسْل أتباعٌ له ... بـالحبِّ والقـرب مُخَصًّا مُفْرَدَا

٤٦- يُصدرُ إذ يصدرُ أمرَ مَالك ... مَن في الجحيم مَالك قَدْ أَوردَا

٤٧- يا صَفْوةَ الله ومَن أَصْفَيتُه ... صَفْوَ الـوداد في الهوَى مُؤكَّدَا

٤٨- كنْ لي إلى الله شَفيعًا إنَّ لي ... جَرائمًا أَخَافُهَا مِـن الـرَّدَى

٤٩- ظلمتُ نَفْسي واعتَدَيْتُ ظَالمًا ... وجئتُ م الـذَّنْب كَثيرًا عَـدَدَا

٥٠- قد أثقلتْ ظهري ذنوبٌ فانثنى ... بِـوَنْـيِـهَـا عَـن كُـلِّ حَـدٍّ مُقعدَا

٥١- وقد أتيتُ تائبًا مُستغفرًا   فاقبلْ معاذيري وكُن لي مُسعدَا
٥٢- واشفعْ فأنتَ شافعٌ مشَفَّعٌ   فيمَن غَدَا بذَنْبه مصفَّدَا
٥٣- أقبِلْ عليَّ قد أتيتُ مقبلا   بوجهك المسعود حَتَّى أسْعَدَا
٥٤- فلا تخيِّبْني فَإني مُرتَجٍ   جَداكَ يَا رَبَّ النَّوال والنَّدَى
٥٥- هَأنَذا مُعترفٌ بما جَنَتٌ   يدي فحَسبِي منكَ حَسبِي مقصدَا
٥٦- لا عملٌ يُزلِفُني ولا يدٌ   تُسعفني أرجُو بهَا منكَ يَدَا
٥٧- إلاَّ حنانٌ مِن لدُنكَ أرتجي   بِه جنانًا ونَعيمًا سَرْمَدَا
٥٨- فاشفع إلى الله بأن يجيرَني   لا يَسلكنَّ بي عَذابًا صَعَدَا
٥٩- فلا تخيِّب أمَلي يَا أمَلي   فَقَدْ أتيتُ وَافدًا مُستَرْفدَا
٦٠- إني محبٌّ والمحبُّ دائمًا   يذكرُ مَن يهوَى وَلُوعًا قَدْ غدَا
٦١- مُقَصِّرٌ عَنِ اللِّحاق بالَّذي   أحبَّه فمَا بلغتُ أمَدَا
٦٢- لكنَّني أرجُو بحبِّي لهم   بأنْ أكُونَ منهمُ حيًّا غَدَا
٦٣- والمرءُ مع مَن في الدُّنا أحبَّه   كَذَا روينَا عَنْكَ ذَاكَ مُسْنَدَا
٦٤- وأرتجي منْكَ بأن تَسقيَني   من حَوْضكَ العَذْبِ الرَّويْ وتُوردَا
٦٥- صَلَّى عليكَ الله مَا هبَّتْ صَبا   ومَا تَغَنَّى طَائرٌ وَغَرَّدَا
٦٦- وما دَجَا لَيلٌ وذَرَّ شَارقٌ   وَمَا لوَخْد عيسه حَادٍ حَدَا
٦٧- وَخَصَّك الله بما أنتَ لَهُ   أهلٌ كَمَا هَدَيتَنَا سُبلَ الهُدَى
٦٨- وزادَكَ اللهُ عُلاً وَرِفْعَةً   وَشَرَفًا عَلَى الوَرَى وَسُؤْدُدَا

الشَّرح:

(١) «كداء الممدودة بأعلى مكة عند المحصب دار النبي ﷺ من ذي طوى إليها، وكُدًى بضم الكاف وتنوين الدال: بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعين، ومنها دار النبي ﷺ إلى المحصب، فَكَأَنَّه ضرب دائرة في دخوله وخروجه، بات بذي طوى ثم نهض إلى أعلى مكة، فدخل منها وفي خروجه خرج من أسفل مكة، ثم رجع إلى المحصب». **معجم البلدان** ٤/٤٣٩.

(٣) المِقْوَدُ: الحَبْلُ يُشَدُّ في الزِّمام أَو اللِّجَام تُقَادُ به الدَّابَّة، والمِقْوَدُ: خَيْطٌ

أَو سَـيْرٌ يُجْعَـل في عُنُق الكَلْبِ أَو الدَّابَّـة يُقَادُ به. والسَّـائبة: المهملة من الدواب، والأَنســاع: سـيورٌ مَضْـفُورَة تجْعَلُ أزِمَّــةً للإبل، وقد تُنْسَـجُ عَرِيضَـةً، تُجْعَلُ على صَدْرِها. **تاج العروس** ٩/١٧٧، ٣/٨٥، ٢٢/٢٤٩.

(٤) «الأخشبان: الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى، وقال السيد علي العلوي: الأخشب الشرقي: أبو قبيس، والأخشب الغربي: هو المعروف بجبل الخط، والخط من وادي إبراهيم، وقال الأصـمعي: الأخشـبان: أبو قبيس، وهو الجبل المشـرف على الصَّفا، وهو ما بين حرف أجياد الصغير المشرف على الصفا إلى السويداء التي تلـي الخندمة، وكان يسـمَّى في الجاهلية الأمين». **معجم البلدان** ١/١٢٢، والعَلُّ: الشـرب مرة بعد مرة، وعَمَدَ المَرَضُ فُلانًا: أَضْـنَاهُ وأَوجَعَهُ. **تاج العروس** ٣٠/٥٣، ٨/٤١٥.

(٦) صدّاء: ماء. **معجم البلدان** ٣/٣٩٦، وكَاظِمَة: جَوٌّ على سِيفِ البَحْرِ في طريق البحرين من البصـرة، بينها وبين البصـرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة، وماؤهـا شـروب واستسـقاؤها ظاهـر. **معجم البلدان** ٤/٤٣١، **وتاج العروس** ٣٣/٣٦٥، والكظّ: الشدة. **تاج العروس** ٢٠/٢٦٤، والصَّدا: العطش. **تاج العروس** ٣٨/٤١٤، أي إن هذه المطايا - وهو يذكرها ويريد من تقله - من شـدة شـوقها إلى الديار المقدسـة لم تعبأ بشدة عطشـها، ولم ترد الماء العذب المذكور بهذا الموضع إسراعًا ولهفة إلى تلك الديار.

(٢٠) وحصَّـبتّ: أي نزلت بالمحَصَّب، وهو: موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكة، وهو خَيْف بني كنانة. **معجم البلدان** ٥/٦٢.

(٢٢) الخَيْف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسـيل الماء، ومنه سُمي مسجد الخَيْف من مِنى، **معجم البلدان** ٢/٤١٢.

(٢٥) ورد البيت الخامس والعشرون في مصدره هكذا: «وقت نذور أو قضت».

(٢٩) الفَدْفَدُ: الفَلاةُ الّتي لا شيْءَ بها، وقيل: هي الأَرض الغَليظة ذات الحَصَى. وقيل: المَكان الصُّلْبُ الغَليظ. **تاج العروس** ٨/ ٤٨٠.

(٣٠) الطِّرس: الصحيفة، والنُّون: الحوت، والرَّاءُ: زَبَدُ البَحْرِ، وحينئذٍ يكون التقدير أومن كل حوت ظهر تحت زبد البحر. **تاج العروس** ١٦/ ١٩٤، ٣٦/ ٢٣١، ١/ ٢٥٦، وربما يكون مقصد الشاعر بالنون التنوين تحت حرف الراء.

(٣٢) الوَجَى: الحَفَا، أَو أَشَدُّ منه، وهو أَن يَرقَّ القَدَمُ أَو الحافِرُ. **تاج العروس** ٤٠/ ١٦٦.

(٤٦) المقصود بكلمة مالك الأولى: الله عز وجل، والمقصود بالثَّانية المَلَكُ المُوَكَّل بِجهَنَّمَ، الوارد في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾. سورة الزخرف، الآية ٧٧. انظر: **التحرير والتنوير** ٢٥/ ٢٥٩.

(٥٠) بِوَنِّيها: أي بتعبها. **تاج العروس** ٤٠/ ٢٥٧.

(٥٢) مصفَّدًا: أي مقيَّدا. **تاج العروس** ٨/ ٢٨٩.

(٦٦) الشّارِقُ: الشَّمْسُ حِينَ تشرق، والوَخْدُ: سَعَةُ الخَطْوِ في المَشْيِ. **تاج العروس** ٢٥/ ٤٩٦، ٣٧/ ٣٥٩.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/ ٢٠٧ – ٢٠٩

(٦)

وقال يمدح الرسول ﷺ: [من الطويل]

١- أَرحها على ريمٍ فقدْ جَاوَزَتْ كِشْدَا ... وأَنجِد بَلاغًا قد بلغت بها نَجْدَا

٢- على تعْهن أرسلتُها في عواهن ... تجدّ فلا تألو ولا تَأْتَلي جدًّا

٣- أجازتَ فلَفَّت ما لها لفتُ ناظرٍ ... سِوى ما إليهِ وَجْهُها وَجَّه القَصَدَا

٤- ومـرَّت عَلى ودّانَ عَجْلَى مُشيحَةً ... وأَنْـزَلَـهَـا مـن وَقْـعِ أَخْـفَـافِهـا وِدَّا

٥- لمَا شفَّها بَرْحُ الجَوى مَسَّها الوَجَى ... ومُذْ عاينتَ نجدًا بها عَانَت الوَجْدَا

٦- فَأَلقِ العَصَا بينَ العَقيقِ إلى قُبا ... إلى أُحُدٍ واجْعَلْ لها أُحُدًا حدَّا

٧- أنِخْ بالعَوالي تعْلُ بالقُربِ رتبةً ... فقد جَدّ ثاوٍ حَلّ من رَسْمها جُدًّا

٨- وَرِدْ بِقَنَاةٍ أو فَحُلَّ أَذاخـرًا ... وَشَأْ خطَّةً نعمانَ والأَنْعمَ الفَرْدَا

٩- على إضَمٍ قد كانَ موردُ ظَمْئِها ... فَعنه لَقَدْ صَدَّتْ إلى مقمرٍ صَدًّا

١٠- وخيِّم على بطحانِها إنَّ تُرْبَه ... شفاءٌ لذي الوُدِّ الذي دَاؤُه أَوْدَى

١١- وَعَن عُدْوتَيْ سَلْعٍ فَلا تعْدُ واتَّبِع ... مَرابعَ مَا للقلب عَن حُبِّهَا مَغْدَا

١٢- وعرِّض بذكري بالعُرَيضِ وخَيْفه ... عسى سائلٌ عَنِّي وَسلْ لي بها عَوْدَا

١٣- فَثَمَّ لُبَانَاتٌ لِقَلْبي قَديمةٌ ... بلاباتُهَا مَا تَنْقَضي قَد صَفَتْ وُدَّا

١٤- وفيها لأبناء الهوَى إن عَرفتَهم ... مَعاهدُ عِرفانٍ بهَا كَرُمَتْ عَهْدَا

١٥- هي الدَّارُ نعمَ الدَّارُ أُشرِب طِيبُها ... قلوبَ مُحبّيها فهامُوا بها وَجْدَا

١٦- ومن حَرَّتَيْهَا بَردُ نيرانِ شَوقها ... فَواعَجبًا مِن حَرَّةٍ أسأرتْ بَرْدَا

١٧- فَلا تَحْسبنْها سبخةً هي إثمدٌ ... فكم قد شفت ممَّا بهَا أعيُنًا رُمْدَا

١٨- ومَا هُنَّ لاباتٌ ولكن لحسْنها ... فَرَشْنَ من الدِّيباجِ إستبرقًا بَجْدَا

١٩- كأنَّ سَنَاهَا في سَوَادِ حرارِهَا ... صباحٌ من اللَّيلِ البهيمِ ارتدَى بُرْدَا

٢٠- فحلّ حمَاهَا واستخلْ من جنَابها ... مُنى طَائرًا يُمنا هدى طالعًا سَعْدَا

٢١- وَسَفْ تُربَهَا تَشْفِ الجَوَى فَبجَوِّهَا ... شفاءُ جَوٍ قَدْ شَفَّهُ شَوْقُهَا جَهْدَا

٢٢- وألصق بها قَلْبًا وداوِ بهَا شَجًى ... وعَفِّرْ بهَا وَجْهًا وَصَعِّرْ لها خَدًّا

٢٣- فَأرواحُهَا طِيبٌ يَضُوعُ لنَاشقٍ ... يُضَمِّخُ منه العطْفَ والرُّدْنَ والبُرْدَا

٢٤- وتُربتُها مِن طِيبها . إن شممْتَها . ... عبيرٌ وَنَدٌّ خَالطا عَنْبرًا وَرْدَا

٢٥- فمنْ طِيبِها للطِّيبِ طيبٌ بطيِّبٍ ... كريم ثَوَى فيهَا بأنفسنَا يُفْدَى

٢٦- عَليها جمالٌ أو لَدَيهَا لنَاظري ... جَلالٌ سَنَاء والضَّلال به يُهْدَى

٢٧- قَدِيمٌ مُقيمٌ حبُّها واشتِيَاقَها ... قدُمتَ بها عَهْدًا فَجَدِّدْ بها عَهْدَا

٢٨- ألكن إليها قد تمادتْ بيَ النَّوَى … فَلستُ عَلَى بُعْدي ووجدي بها جَلْدَا

٢٩- ففي الحبّ مَا لاقيتُ من شَحْط دارهَا … ولله شَوقي مَا أَعادَ ومَا أبْدَى

٣٠- وذَرْني وإيَّاهَا ووجْدِي فَللهوَى … وَلي وَلها شَأْنٌ وَمَا سرُّه يُبْدَى

٣١- مَعاهدُ لا عهدي بمصر وَجلَّق … فحسبيَ جنَّاتٌ وَحَسْبي بهَا عدَا

٣٢- تَعوضتُ من مَقْرَا مقرًّا برسْمهَا … فَقرَّتْ به عَيْني ومَا سَخنَتْ سُهْدَا

٣٣- وَطابَ لها عَيْشٌ على عَوَز به … فَلَمْ تدَّكرْ عَيشًا بغُوطتها رَغْدَا

٣٤- ونالتْ بها ما لم تمنَّ لأجْله … مُنًى في حفافَيْ نيلها ظلُّها امتَدَّا

٣٥- فلا تَلْحَني في حُبِّهَا إنَّ حُبَّهَا … لِزامٌ لقَلْبي لَيْسَ منها لَه بُدَّا

٣٦- وإنّ شميمًا من بشَام وإذخر … لأَشْهَى لهامن شمِّها البانَ والوَردا(**)

٣٧- وأصبُو إلى حَوْذَائهَا وَجليلهَا … ولا أبْتَغي شيحَ الشَآم ولا الرَّنْدا

٣٨- فَدَعْني وَحَصْباءَ العقيقِ فَلي به … هوى بجواه للمُحبين قد أعْدَى

٣٩- أهيمُ عسى جَدٌّ إليه مبلِّغٌ … أحومُ على ورد لعلَّ به ورْدَا

٤٠- ويا حَبَّذَا لَثْمي ثَراهُ أَسوفُه … أُبرِّد من شوق حَمَى طَرفيَ البردَا

٤١- فَكَمْ سحَّ في سَاحاتها سيحُ عَبرتي … وَنُظِّمَ جزعُ الدَّمْع في جزعه عقْدَا

٤٢- حنيني إليها فارْب في كَلَفي بها … لكَ اللهُ عَن ذكر الرَّبَاب وَدَعْ دَعْدَا

٤٣- وكمْ زُرْتُهَا شَوْقًا على بُعْد شقَّةٍ … على رُحَل مَا سرْتُ نَصًّا ولا وَخْدَا!

٤٤- ومن دونها تُلقَى حُمَاةُ حَقَائق … مَسوَّمة حردًا مطهَّمة جُرْدَا

٤٥- أعاودُ من شَوقي فلا القلبُ يشتَفي … ولا حبُّها يُسْلَى ولا قَلقي يَهْدَا

٤٦- وما نَزَعَتْني حَاجَةٌ غير حبِّها … وشوقي إليهَا لا سُعادُ ولا سُعدَى

٤٧- يطيبُ بها وردي وأصدُرُ صاديًا … بغُلَّة ظَام علَّهُ عَلَهُ وَقْدَا

٤٨- فيَا مَصدرًا ما طابَ عن طيب مَوْرد … أمَرّ مَذاقًا حينَ أعذبه وردَا

٤٩- فكمْ لي بها من وقْفة وسط رَوْضَة … تَبوَّأْتُ من أَرْجائها جَنَّةً خُلْدَا!

٥٠- وكمْ من مقام قمتُه في مقامها … به ظَلَّ منِّي ظلُّ أَمْني مُمْتَدَّا!

٥١- فيا سعدَ جَدِّيَ إن ثويتُ بِرَبْعِهَا … ويَا جَدّ سَعْدي إنْ سَعَيْتُ بهَا جَدَّا

٥٢- ويا فوزَ سَعْيي إنْ تَرَسَّمْتُ رَسْمَهَا ... ونعمَى لعيني حينَ أسْعَى بها حَفْدَا
٥٣- فطُوبى لمن يقضي بطيْبَةَ عُمْرَه ... وإمَّا قَضَى نحْبًا يُبَوَّأْ بها لحْدَا
٥٤- فسرّحْ سَوام الطّرف في جنَبَاتها ... تَجِدْ طُرفًا تُهدي عَماك بها يُهدَى
٥٥- ويمِّمْ بهَا خَيرَ الأنام مسلّما ... فكرِّرْ عَلَى بَدْء تحيَّته عودًا
٥٦- فطأْ بِجُفُونِ العَينِ منك ولا تَطَأْ ... بنعلينِ أَرْضًا حلَّ من لحدهَا مَهْدَا
٥٧- وَرَدِّدْ تحايا الشَّوقِ واسمعْ لأمرِه ... وألْقِ لَدَيْه السَّمْعَ تَسْتَمِعِ الرَّدَّا
٥٨- وقمْ نادمًا أو باكيًا شاكيًا له ... تَحَوُّلَ حالٍ مَدَّ فيها الهوَى مَدَّا
٥٩- وتُبْ من ذُنوبٍ قَدْ جنيتَ عَديدة ... ذنوبٍ لَعَمْري لَسْتَ تُحْصي لَهَا عَدَّا
٦٠- تشفَّعْ بهِ فيها عَسَاهَا بجَاهه ... تُكَفَّرُ واسألْ من مَوَاهبه الرِّفْدَا
٦١- ولا تعتذرْ بل واعترفْ متَنَصِّلاً ... وأوف بعهد الله لا تنقضِ العَهْدَا
٦٢- بمثْوَاه طَابَتْ طَيْبَةٌ وَتَشَرَّفَتْ ... بتَشْريفه حَتَّى اغتَدَتْ للوَرَى قَصْدَا
٦٣- فَكَان تمَامُ الحَجِّ أنْ يوقفُوا بها ... مَطَايَاهُمُ يَأْتُونَ مِنْ حُبِّهَا وَفْدَا
٦٤- هو المصطفَى بالحُبِّ والقُرْبِ مُرتَضَى ... لمنحة مَا أولاهُ مولاه أو أَسْدَى
٦٥- وخَاتمُ رسلِ الله وهو إمامُهُمْ ... وأوَّلهم في الفَضْلِ قد فاقَهُم مَجْدَا
٦٦- ومسراهُ يَرقى في السَّماوات معجزٌ ... به قد تَحَدَّاهم فجاوزَهم حَدَّا
٦٧- فأيُّهمُ في فعله كانَ مثلَه ... تردَّد في التّخفيف عنَّا فمَا رُدَّا
٦٨- ومَن ظَلَّ منهم والغمامُ تُظلُّه ... وَفاءَ إليه الفَيءُ يعمدُه عَمْدَا
٦٩- ومَن ذا دعا الأَشْجارَ منهم فأقْبَلتْ ... إليه تَخُدُّ الأَرْضَ طَوْعًا له خَدَّا
٧٠- ومن خُصَّ بالحَوضِ الرّويْ يوردُ الوَرَى ... وَيُصدرُهم ريًّا وَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَا
٧١- ونالَ من الله الوَسيلة فاعتَلى ... على كُلِّ عَالٍ منهمُ سَيِّدًا جَعْدَا
٧٢- ومَن ذا الذي أُعطي الشَّفاعَةَ فاغتَدَى ... بزُلفتها ما منهمُ أوحدًا فَرْدَا
٧٣- فقامَ مقامَ الحمد يحمدُه الوَرَى ... شفيعًا لهم من بعد ما أجهدوا جَهدَا
٧٤- أُحيلوا عليه بعدَ لأْيٍ فأقبَلوا ... إليه عجالاً يَصْمدُونَ له صَمْدَا
٧٥- وكانَ لها أهلاً وقَال: أنا لها ... ووَفَّى عريضُ الجاه قد أَمِنَ الرَّدَّا

٧٦- فحَنَّ لذاك القدس لمَّا بَدَا له
تَقَدَّسَ وصفًا ساجدًا خاضعًا عبْدَا

٧٧- وألهمَه اللّه المحامدَ فانثَنى
بتمجيدِ تقديسٍ يُوالي له الحَمْدَا

٧٨-وقالَ له: ارفعْ وقُلْ يُسمعْ وفيهمُ
تشفَّعْ وسَلْ تُعطَه وأعطى ومَا أَكْدَى

٧٩- فحدَّ له حدًّا لِقوم وكلَّمَا
أتَى شَافعًا فيهم يُحَدُّ له حَدّا

٨٠- فأخرجَ مَن في النَّارِ مَن كَانَ مُؤمنًا
ولم يبقَ إلاَّ مَن قَد استوجَبَ الخُلْدَا

٨١- فمَن ذا لَه جَاهٌ لَدَيْه كَجَاهه
ومَن ذا الذي أجْدَى علينا كَمَا أجْدَى

٨٢- وآيتُه في الغَارِ إذْ أجلبَ العدَى
عليه لِيَرْدُوهُ وكَادُوا لَهُ كَيْدَا

٨٣- فَأَعْشَيتَ يا نورَ الهُدَى أعينَ العدَى
فَردُّوا وهمْ حَقًّا بذاك الرَّدَى أَرْدَى

٨٤- فيَا وَيْلَهم سَامُوه سُوءًا وَسامهُم
بحُسْنى ودادًا فيهمُ وهمُ الأعْدَا

٨٥- أتَاهمْ بقرآنٍ لِيُرشِدَهُمْ به
فَردُّوا عَليه القَوْلَ كُفْرًا به رَدَّا

٨٦- يبشِّر ذَا تَقْوَى وَينذرُ مَن طَغَا
وعيدًا لمن يخْشَى ومَنْ يرتجي وَعْدَا

٨٧- فَصدُّوا عَن الحقِّ الذي جَاءَهُم به
وضَلُّوا غُلُوًّا مِنهمُ وطَغَوْا جَحْدَا

٨٨- وقَالُوا: ولَو شَئْنَا لجئْنَا بمثْله
فَصدُّوا عَن الإفْصَاح عَن زَعْمِهمْ صَدًّا

٨٩- أقرُّوا على عَجْزٍ بإعْجَاز نَظْمه
فَحَادُوا عُدُولاً عَنْ مُعَارَضَة حَيْدَا

٩٠- وهمْ مَالكُو فَصْل الخطاب وفَاصلُو
عُرَى كُلِّ خَطْبٍ في جِدالهم لُدَّا

٩١- فَمَا منْهُمُ بادٍ أبَانَ بَيانُه
ولا حَاضرٌ عَن مثل إبداعه أبْدَى

٩٢- فيا ضَلَّةَ الأَحْلام ضلّوا بجهلهمْ
عكوفًا على الأصنام قدْ عَبَدُوا وُدَّا

٩٣- وهم كَفَروا بالله مالك أمرهمْ
وخالقهمْ يدعُون من دُونه ندًّا

٩٤- وكمْ آيةٍ دَلَّتْ وَكمْ مِن دلائلٍ
بصدقِ رسُولِ الله أوْضَحَت الرُّشْدَا

٩٥- وكمْ من براهينٍ تواترَ نقْلُها
لتَخْصيصه نَصًّا قد انتقدت نَقْدَا

٩٦- أعدْ ذكرَه بالله يا ذاكرَ اسمه
على كَبد المشتاق إنَّ لَه بَرْدَا

٩٧- وغَنِّ بذكراهُ القلوبَ فإنَّهُ
قلوبُ محبِّيه بتَذْكاره تُحْدَى

٩٨- فقدْ صَدئتْ منَّا قلوبٌ لبُعْده
تقاعُدُها في الحب عن قربه صَدَّا

٩٩- وجلِ به أحوالَنا واجْلُ مُنْعمًا
بأنواره قلبًا من الرَّيْنِ مُسْوَدَّا

١٠٠- فمَن لي بأنْ أُمْسي وأُصبحَ جارَه … فَأَحْبِبْ إليه بالمراح وبالمغْدَى
١٠١- أيا ربِّ أوردْنا حنَانيكَ حوضَه … لنُسْقَى شَرابًا مَازج المسكَ والشُّهْدَا
١٠٢- ولا تختلجْ من دونه فَنكُنْ كمَنْ … لما راقَ من دُنياه عَن دينه ارتَدَّا
١٠٣- وأَنْعمْ برؤُيَاهُ عيونًا مشُوقَةً … لرؤيته واجعلْ لنَا عنده وُدَّا
١٠٤- وشفِّعه فينَا فاعفُ عنَّا ونجِّنَا … من النَّار مَنًّا منْكَ من قَبْلِ أنْ نُرْدَى
١٠٥- وَبلِّغْه عَنَّا كُلَّ لحظَة نَاظر … صَلاةً وتَسْليمًا إذا انتهيَا رُدَّا
١٠٦- وهبنا يقينًا من عذاب جهنّم … يَقينًا وَتَسْديدًا يَكُنْ دُونها سَدَّا
١٠٧- ولا تُخْزنَا عنْدَ الحساب وَهَنِّنَا … بإكرام مثوانَا وهيِّئْ لنَا رُشْدا
١٠٨- فأشهدُ أنَّ اللهَ أهداهُ رحمةً … لنَا فهدَانا من لدُنه بما أَهْدَى
١٠٩- فبلَّغَ مَا أَوْحَى إليه وَحَضَّنَا … عليه وأدَّى بالأَمانَة مَا أَدَّى
١١٠- فَصلّى عليه الله مَا وَقَبَ الدُّجَى … وما مَتَعَتْ شمسٌ ضُحى اليومَ فامْتَدَّا
١١١- صَلاةً دراكًا ديمةً وعميمَةً … فلا فرْعُها يَذْوي كَما عرفُها يَنْدَى
١١٢- وأهدَى التَّحَايَا الطَّيِّبَات لفَضْله … ومثلُ التَّحَايَا الطَّيِّبَات لَه يُهْدَى
١١٣- وصلّى على الآلِ الكرام الأُلَى زكَوْا … أبًا وَصَفَوْا أُمًّا لهم وَسَمَوْا جَدَّا
١١٤- أُولُوا الفَضْلِ والإفضالِ لا ظُلْمَ عندهم … ولا بغيَ فاسرُدْ آيَ سُؤْدُدهم سَرْدَا
١١٥- وعدِّدْ لَهم مَا شئْتَ من رُتَبِ العُلَى … فإنَّكَ لا تُحْصِي مَآثرَهم عَدَّا
١١٦- فَحَيَّهَلا بعد الرسولِ بذكْرهم … ومن قبل حبِّ الصَّحب حُبُّهُم يُبْدَى
١١٧- حقيقٌ علينَا حُبُّهم واتِّبَاعُهُم … إذا ما هَدَوا قَصدًا وهُمْ بالهدَى أَهْدَى
١١٨- لحبِّ رسول الله حَقًّا نُحبُّهُمْ … بذلك أوصَانا به نُحكم العَقْدَا
١١٩- وألحقْ بهم أهلَ السَّوابق والنُّهَى … صحابتَه فامحضْ لكلِّهم الوُدَّا
١٢٠- بصُحْبته خُصُّوا وفي الله هاجَرُوا … إليه وفيه فَارَقُوا الأَهلَ والوُلْدَا
١٢١- أشدَّاءُ في دينِ الإلهِ أئمةٌ … وَشادُوه بالتَّأييد والنَّصر فاشتَدَّا
١٢٢- عُدولاً رضا فازُوا من الله بالرِّضا … جهَادًا وفي إرضَائه بلغُوا الجُهْدَا
١٢٣- وهم شهداءُ الله والَوْا وعَزَّرُوا … وآوَوْا وَوَاسَوْا واعْتَزَوْا في الشَّرى أُسْدَا
١٢٤- وقلْ: رَبَّنا ارحمنَا وإخواننَا الأُلَى … بالايمانِ حَازوا الخَصلَ في سبقهم شَدَّا

١٢٥- وبينهمُ فاجمعْ لديكَ وبيننا ... بدارك قدْ أعطَيْتَنا الملكَ والخلْدَا

١٢٦- ألا يا أخا الإحسانِ لا تنسَ وَامقًا ... بصدقِ ودادٍ منكَ ما زَالَ معتدًّا

١٢٧- فقفْ لمشوقٍ بينَ قبرٍ ومنبرٍ ... وقوفَ شَجٍ يبكي أحبَّتَه فَقْدَا

١٢٨- وقلْ: مُبْعَدٌ أقصاهُ في الحبِّ أنَّه ... بذَلك أهلٌ فاقتضى حظُّه البُعْدَا

١٢٩- ولَو أنَّه للقُربِ أَهْلٌ لَنالَه ... وبلَّ صدىً من شَوْقه ولَما صُدَّا

١٣٠- عساهُ على علاّته ولعلّه ... إذا جَاءَه مستغفرًا أنجزَ الوَعْدَا

١٣١- فكمْ توبةٍ قدْ تَابها فأضَاعَها ... فَمنْ سَيِّئٍ أَخْفَى بما حَسَنًا أَبْدَى

١٣٢- عَسَى رحمةٌ لله يرَحمُه بها ... تُكفِّرُ من زَلاَّته الخطْأَ العَمْدَا

١٣٣- تُمَحِّصُهُ عَفْوًا يكونُ بفَضْله ... لِمَا قدْ جَنى عَمْدًا مُجَلِّلُه غُمدَا

١٣٤- مدحتُك يا خيرَ البريّة أرتجي ... به منكَ قُربًا لا أرى بَعدَه بُعْدَا

١٣٥- في الاخْرى وفي الدُّنيا وأدْنى لشَيِّق ... بلُقياكَ أن يلقى الأمانيَ والسّعدَا

١٣٦- وما يحتَوي نظمي ولا نظمُ مادحٍ ... محامدَك اللائي جَمعْنَ لكَ الحَمْدَا

١٣٧- ولكنّ من حُبّي لَه أذْكُرُ اسمَه ... فَأَشْدُو به شفعًا وأشدُوا به فَرْدَا

١٣٨- أُحَلّي به نَظْمي وأُطربُ مسمعي ... وأجلُو صدَى قلبٍ بأشواقه التَدَّا

١٣٩- إذا صحَّ وُدّي فيك أو صَحَّ منكَ لي ... ودادٌ فوجدُ الفقد قد فَقد الوَجدَا

١٤٠- عليكَ سلامُ الله بَدءًا وعَودَةً ... يروحُ ويغدُو طيبُهُ الختمَ والمَبدَا

الرِّوَاية:

(٢٠) كذا ورد البيت العشرون في مصدره.

(٢٨) ورد البيت الثامن والعشرون في مصدره هكذا: (ألكني)، وهو مضطرب.

(٤٢) كذا ورد البيت الثاني والأربعون في مصدره.

(٧٨) كذا ورد البيت الثامن والسبعون في مصدره، وهو مضطرب.

(١٠٢) ورد البيت الثاني بعد المئة في مصدره هكذا: «فَتَكُنْ كَمَنْ».

(١١٥) وورد البيت الخامس عشر بعد المئة في مصدره هكذا: «وعدِّدْ لَه».

(١٣١) ورد عجز البيت الواحد والثلاثين بعد المئة في **ملء العيبة** ٢٠٦/٥ هكذا: «بما حسن أبدى»، وأخذت بالتصحيح الوارد في هامش المخطوطة.

(١٣٤) وورد البيت الرَّابع والثلاثون بعد المئة في **ملء العيبة** ١٦٦/٥ برواية:

«وأمدحه حبًّا له أرتجي مُنًى   به منك...».

(١٣٥) وورد البيت الخامس والثلاثون بعد المئة في **ملء العيبة** ١٦٦/٥ برواية: «بلُقياه أن».

(١٣٦) وورد البيت السَّادس والثلاثون بعد المئة في **ملء العيبة** ١٦٦/٥ برواية: «محامدَه اللائي».

(١٣٧) وورد البيت السَّابع والثلاثون بعد المئة في **ملء العيبة** ٢٠٦/٥ برواية: «ولكنّ من حُبّي لَه إذَا ذُكِرَ اسمُه».

(١٣٨) وورد البيت الثَّامن والثلاثون بعد المئة في **ملء العيبة** ١٦٧/٥ برواية: «أُحَلّي به نطقي».

(١٣٩) وورد البيت التَّاسع والثلاثون بعد المئة في **ملء العيبة** ١٦٧/٥ برواية: «إذا صحَّ وُدِّي فيه أو صَحَّ منه لي».

الشَّرح:

(١) كِشْد: موضع بين مكة والمدينة. **معجم ما استعجم** ١١٢٩/٤-١١٣٠.

(٢) تِعْهِن، بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون: اسم عين ماء سُمِّي به موضع على ثلاثة أميال من السُّقيا بين مكة والمدينة. **معجم البلدان** ٣٥/٢، والعَواهِنُ: أَنْ تأْخذَ غيْرَ الطَّريقِ في السَّيْر أو الكَلامِ. **تاج العروس** ٤٣٩/٣٥.

(٤) ودّان: اسم يطلق على «ثلاثة مواضع، أحدها بين مكة والمدينة، قرية

جامعة من نواحي الفرع، بينها وبين هرشـى سـتة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة». **معجم البلدان** ٥/٣٦٥.

(٥) الوَجَى: الحَفَا، أَو أَشَدُّ منه، وهو أَن يَرِقَّ القَدَمُ أَو الحافِرُ. **تاج العروس** ٤٠/١٦٦.

(٦) العَقيق: موضـع بالمدينة، فيه عيون ونخل. **معجم البلدان** ٤/١٣٩، قُبا: هو مسجد قباء.

(٧) العوالي: موضـع بمكة داخل حدود الحرم. فقد جَدّ ثَاوٍ حَلّ مِن رَسْـمِها جُدًّا: أي قد فاز مقيم بهذا الموضع بحظٍّ عظيم.

(٨) أذاخر: موضـع بـين مكة والمدينة. **تاج العروس** ٧/٣١١، وهامش **ملء العيبة** ٥/٢٠٠، ونَعمان: موضع بين مكة والطائف. **معجم البلدان** ٥/٤٠٩.

(٩) إِضَم: «واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلى منها عند السـد يسـمى الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضمًا». **معجم البلدان** ١/٢١٤.

(١١) سلع: جبل بالمدينة المنورة، وكان الرسول ﷺ يبيت فيه ليالي الخندق. **محاسن المدينة** ١٦٨.

(١٢) العُرَيض: وادي المدينة. **معجم البلدان** ٤/١١٤.

(١٣) بلاباتهـا ما تنقضـي: أي عَطَشِـي إلـى هذه الحاجات متواصـل. **تاج العروس** ٤/٢٢١.

(١٦) أسأرتّ: أبقت. **تاج العروس** ١١/٤٨٤.

(١٨) لاباتٌ: جمع اللُّوبَة؛ هي الأَرضُ التي قد أَلْبَسَتْها حِجَارَةٌ سُودٌ... ما بَيْنَ الثَّلاثِ إِلى العَشْـرِ، فإِذا كُثِّرَتْ، فهي اللاَّبُ واللُّوبُ، والبَجاد: الكسـاء المخطط، يجمـع على بُجُد. **تاج العروس** ٤/٢٢١-٢٢٢، ٧/٣٩٩. وفي هامش مصـدر هذا

البيـت نقلاً عن هامش المخطـوط المعتمد في التحقيق ما نصــه: «لعله نجدًا: أي منجدًا، أو يجدي: أي يضمخ بالجادي». ولا وجه لهذا الكلام.

(٢٣) العِطْفُ: الجَنْبُ، والرُّدْنُ: مقدَّمُ كُمِّ القَمِيصِ، وقيلَ: هو أَسْفَلُه ؛ وقيلَ: هو الكُمُّ كُلّه، ناشق: مستنشق. **تاج العروس** ١٦٨/٢٤ ، ٨٢/٣٥، ٤٢١/٢٦.

(٣١) جِلَّق: «اســم لكورة الغوطة كلها، وقيل: بل هي دمشــق نفســها، وقيل: جلق موضع بقرية من قرى دمشق». **معجم البلدان** ١٥٤/٢.

(٣٢) مَقْرَا: أصلها مقرأ، موضع قرب صنعاء. **تاج العروس** ١٦٧/٢٦.

(٣٦) كلمة بشَام: وردت في نص القصيدة هكذا نشام، ولم يتوجه لي المعنى، فأخذت بالرواية الواردة في الهامش. وادٍ من نبط من بلاد هذيل. **معجم البلدان** ٤٢٤/١.

(٣٧) الحَوْذُ: الحَوْط. الرَّنْدُ: شَـجَرٌ بالبادية طَيِّبُ الرَّائِحَةِ يُسـتاك به. **تاج العروس** ٣٩٩/٩، ١٢٠/٨.

(٤٠) أَسوفُه: أشمّه. **تاج العروس** ٤٧٢/٢٣.

(٤٣) النَّصُّ في السَّيْرِ: وهو أَقْصَـى مـا تَقدِرُ عليـه الدَّابَّةُ. **تـاج العروس** ١٨٠/١٨، والوَخْدُ: سَعَةُ الخَطْوةِ في المَشْي. **تاج العروس** ٥٣٩/٣٧.

(٤٤) خَيلٌ مُطَهَّمَةٌ، كَمُعَظَّمــة، أي: مُقَرَّبَةٌ مكرمة عَزِيزَةُ الأَنْفُسِ. والمُطَهَّمُ: الرَّجلُ الكَريمُ الحَسَبِ. **تاج العروس** ٣١/٣٣.

(٤٧) عَلَّـهُ: حـيَّره، عَلَهٌ: توقان نفسـه، وقـدًا: أي ممَّا به من حرارة وشـوق وظمأ. **تاج العروس** ٤٤٨/٣٦.

(٥٢) الحَفْدُ: الإسراع. **تاج العروس** ٣٢/٨.

(٧١) الجَعْد: الكريم الجواد. **تاج العروس** ٥٠٢/٧.

(٧٢) أي ما منهم من أحد يشـركه، فاختصـر الـكلام لفهم معناه. هامش **ملء العيبة** ٢٠٣/٥.

(١٠٠) بالمـرَاحِ: المـأوى، والمَرَاحُ، بالفتح: المَوْضِـعُ الذي يَرُوح منـه القَوْمُ أَو يَروحون إِليه. **تاج العروس** ٤٢/٦، ٤٣٣.

(١١٠) وَقَبَ الدُّجى: أقبل ظلام الليل. **تاج العروس** ٣٥٦/٤.

(١١٥) يخاطب الشاعر نفسه في قوله: «وعدِّد».

(١٢٤) الخَصل: الفضائل، وإصابة الهدف. **تاج العروس** ٤١٠/٢٨.

(١٣٣) غُمدًا: مستورًا. **تاج العروس** ٤٦٩/٨.

(١٣٨) التَدَّ: سُقِي. **تاج العروس** ١٣٧/٩.

التَّخريج:

مـلء العيبـة: ٢٠٠/٥-٢٠٦، والأبيـات ٩٦-٩٨، ١٣٤-١٣٨ في **مـلء العيبة** ١٦٦/٥-١٦٧.

(٧)

وقال: [من البسيط]

وما اعتذارِي وَقَد أصبحتُ جَارَكُم ... إن لم يطلْ في رُسُومِ الدَّارِ تَرْدَادِي

التَّخريج:

ملء العيبة: ١٦٥/٥.

[قافية الراء]

(٨)

وكتب لبعض إخوانه يستدعيه للزيارة: [من الكامل]

١- يا سَيِّدي إن كَانَ مِنْكَ زِيَارَةٌ فاجعلْ مَزَارَكَ بالأَصَائل والبُكَرْ
٢- أخشَى عَليكَ الكَاشحينَ من السُّرى رَيَّاك نَمَّامٌ وَوَجْهُكَ كَالقَمَرْ
٣- أوْ لا فإنَّكَ رِقَّةٌ تَحْكِي الصَّبَا فَعَسَى تهبُّ لَنَا نَسِيمًا في السَّحَرْ

التَّخريج:

ملء العيبة: ١٦٥/٥، و**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ٢٠/٣، والبيتان ١، ٢ في **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٨/٥.

(٩)

وقال: [من الوافر]

١- عَسَى الأَيَّامُ أنْ تُدْني الدِّيَارا بمنْ أَهْوَى وَقَدْ شَطُّوا مَزَارَا
٢- وَيُصْبحَ شَمْلُ أَحْبابي جَميعًا وآخُذَ منهمُ بالقُرْب ثَارَا
٣- وَتُمْسي جيرةُ العَلَمَيْنِ أَهْلي ودارُهُمُ لَنَا يَا سُعْدُ دَارَا
٤- ذكرتُ مَقيلَنا بالسَّفْح يومًا عَلَى شرف فَهَاجَ ليَ ادِّكَارَا
٥- وأبكَاني الفراقُ فَظَلَّ دَمْعي على آثارِ مَن أَهْوَى نثارا
٦- وَبِي الرَّشَأُ الَّذي مَا صَدَّ إلاَّ لِيَبْلُوَ في الهوَى منِّي اصطبارَا
٧- كَلفْتُ به من الأَعْراب مَا إنْ أدارَ لثامَه إلاَّ عذارَا
٨- وما يخشَى الرَّقيبَ فَلَيس يَأْتي إذا مَا زارني إلاَّ نهَارَا
٩- يَروعُ الأُسْدَ في فَتَكَات لَحْظ وَيَحْكي ظَبْيَةَ الوادي نفارَا
١٠- ومن صلف لَدَيه وفرْط عجْبٍ إذا أبصرْتُهُ يُبْدي ازْورارَا
١١- رَعاه اللهُ في قُرْب وَبُعْدٍ وحيثُ ثَوَى وَحَلَّ وَأَينَ سارَا
١٢- وليل بتُّ أَشْكُو فرطَ وَجدي إليه وأُجملُ الشَّكْوى اختصارَا
١٣- أناشِدُه وقَدْ عَلقَتْ يَميني بيُمْنَاهُ أُقَبِّلُهَا مرارَا
١٤- مَتى أُمسي وأصبحُ يا خَليلي بحيِّكَ نَازلاً ولديكَ جَارَا؟
١٥- وهل يُشْفَى بوصْلكَ لي غليلٌ وحُبُّك في الحشا قَدْ شَبّ نَارَا؟
١٦- أكتِّمُ حُبَّه صَوْنًا وَيأبى عَذُولي في الهوى إلا اشتهارَا
١٧- وأسألُ وَصْلَه فإذا التَقَيْنا تَعاظَمَني فأسأله اغتفارَا

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في **عيون التواريخ** مخطوطًا ومطبوعًا برواية: «أن تدنو... المزارا».

(٢) وورد البيت الثَّاني في مطبوع **عيون التواريخ** برواية: «أخذتهم بالقرب»، وورد في **المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «فيصبح».

(٣) وورد البيت الثَّالث في **العِقْد الثَّمِين** برواية: «ويمسِي جِيرةُ».

(٤) وورد البيت الرَّابع في **المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «بالسرح يومًا»، وورد في مطبوع **عيون التواريخ** برواية: «منهاج إلى».

(٥) وورد البيت الخامس في **المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «فظل دمعي... أثاري من الهوى فشارا».

(٦) وورد البيت السَّادس في **العقد الثمين**، و**المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «ليبلي».

(٧) وورد البيت السَّابع في **المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «إلا اصطبارا».

(٨) وورد البيت الثَّامن في **المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «وما تخشى».

(١١) وورد البيت الحادي عشر في **المختار من تاريخ ابن الجزري** برواية: «وحيث نوى».

(١٢) ورد البيت الثاني عشر في مطبوع **عيون التواريخ** ومخطوطه هكذا: «وليلة بتُّ».

(١٤) ورد البيت الرابع عشر في مطبوع **عيون التواريخ** برواية: «وإليكَ جَارَا».

التَّخريج:

مطبوع **عيون التواريخ** ١١/ ٤٠٦-٤٠٧، ومخطوطه الورقة ١١/١٥٤، والأبيات ١-٣، ٦، ٧، ٩ في **تاريخ الإسلام** ١٥/٥٧٢، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٥، والأبيات ١-٩ في **المختار من تاريخ ابن الجزري** ٣٢٤-٣٢٥.

(١٠)

وكتب إجازة إلى (اللخمي) (*): [من الخفيف]

١- أحمدُ اللّه وهو للحمد أَهْلُ ... وأُثَنِّي أُثْني عَليه بشُكْري
٢- وَأُصَلِّي عَلى الذي خُصَّ حَقًّا ... بالمقام المحمود يوم الحشْر
٣- أحمدَ المصطفَى وعترته الغُرْ ... ر وأصَحابه النُّجوم الزُّهر
٤- وسلامٌ عَلى الألُى شَيَّدُوا العلْ ... مَ وشادُوا بُنَاه من كُلِّ حَبْر
٥- العدول الأيقاظ من كُلِّ جيل ... الثقات الحفَّاظ في كُلِّ عَصْر
٦- أثَّروه وآثَروه وأدَّوْ ... هُ كمَا حُمِّلوه جُوزُوا بخير
٧- نَضَرَتْ منهم الوُجُوهُ وَحَازُوا ... قَصَبَ السَّبْق من وُجوه البِّر
٨- بَلَّغُوه كمَا وَعوْه وَقَرَّتْ ... . يَا لَعَمْري . عيونُهم بالنَّشْر
٩- حَبَّذا فعلُهم وشكرًا لمسعَا ... هُمْ ونبلًا بهم ورفعةَ قدر
١٠- قَدْ أجزتُ «اللَّخْميّ محمَّدًا» الحبـ ... ـرَ ربيبَ الحجَى رفيعَ الذِّكْر
١١- ما اقتضَاهُ استدعَاؤُه من سَمَاع ... وَمَجَاز وكُلِّ نَظم وَنَثْر
١٢- دأْبَ أَهْلِ الأداء بالشَّرْط في التَّصـ ... ـحيح والضَّبْط وابتغاءً التَّحَرِّي
١٣- لافظًا بالذي أجزتُ عُلاه ... زادَه الله من عَلاءٍ وفخْر
١٤- ومبيحًا له الرِّوايَةَ عَنِّي ... حَسْبَمَا قَدْ رَويتُ غَيرَ مُوَرِّي
١٥- غير راوٍ من غير أصل ولا فرْ ... ع لأصل بغير علم وخَبر
١٦- شَكَرَ الله سَعْيَه وَتَوَلاً ... هُ ووقَّاهُ كُلَّ سُوءٍ وضُرِّ
١٧- وعليه . إذا رَوَى ذَاك عَنِّي ... طابَ ذكراه . أن يُطيِّبَ ذكْري
١٨- لستُ أعْني الثَّنَاءَ لكنْ عَسَاهُ ... أن يُوالي بغَفْرِ ذنبٍ وسِتْر

١٩- هَـــذه نـفـثـةٌ لِمُـضْـنَـى وَأَنَّـــى لِيَ بالشعر بعدَ وخْط الشَّعْر؟
٢٠- زَبرَتْهَا يَـدَا «أبي اليُمْن» جار الـ ـلـه مَـا بـيِن زمـزم والـحـجْـر
٢١-نجل«عبدالوَهَّابوالحسَنُ»الجَد دُ وسَقَى الله تُرْبَهُم صَوْبَ قَطْر
٢٢- عَــامَ سَـبـعـينَ ثـم سـتّ مئـين بـعـدمـا أربـع مَـضـينَ وَعَـشْـر
٢٣- حَـامِـدًا رَبَّـه مُـنـيبًـا إلـيـه مُـسْـتَـعِـينًـا بـالله في كُـلِّ أَمْـر

الرِّوَاية:

(٤) ورد البيت الرَّابع في **مجلة العرب** برواية: «نشروا العلم».

(٦) كذا ورد البيت السادس في مصدره.

(١٠) وورد البيت العاشر في **ملء العيبة** برواية: «محمدًا الخير».

(*) اللخمـي: هـو أبو عبـد الله ابن الحكيـم، محمد بن عبـد الرحمن بن إبراهيـم بـن يحيى، اللخمـي، الرندي، ذو الوزارتـين، أديب أريـب، كاتب بليغ، خطيـب مفوَّه، من أسـرة لها قدم راسـخة في الحيـاة العلميَّة، كان جـده طبيبًا، ولـد برندة عام (٦٦٠هـ)، وتـوفي مقتولاً بغرناطة عام (٨٠٧ هـ)، أخذ العلم عن والده، وعن غيره، ورافق ابن رُشيد الفهري مؤلف كتاب **ملء العيبة** في رحلته إلى الحج، كان مقربًا لبعض السـلاطين، وكاتبًا لهـم، ولقَّبه أحدهم بذي الوزارتين. ملء العيبة ٥/ ١٨٤، و**نَفْح الطِّيب** ٥/٤٩٨ (تحقيق: إحسان عباس).

التَّخريج:

مـلء العيبـة: ٥/١٨٥-١٨٦، وقـد أخـذت بتصـحيح المؤلف للبيـت الثاني والعشرين بعدما أورده هكذا:

عَـامَ سَبـعـينَ قـد تَقَـضَّت مِئينًا ثـم يـا أربـع مَـضـينَ وَعَـشْـر

والقصيدة ما عدا البيت الثَّاني في **مجلة العرب** ج ١٠، السنة الثَّالثة، ١٣٨٩ ص ٩٥٢-٩٥٣ ضـمن بحث العلامة حمد الجاسر الموسـوم بـ «الحجاز في القرن السَّابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي».

(١١)

وكتب إلى صديق له بالمنصورة في مصر: [من الطويل]

١- أما شاقكمْ روضُ القتالِ وقد سَرَى — إليكمْ نسيمُ النَّصر وهو معطَّرُ
٢- وعارضُ نقع صابهم وبْلُ نَبْله — فَشَامُوا به بَرقَ الصَّوارم تشهرُ
٣- دَجَا ليلُه بأْسًا وقدْ طلَعتْ به — نجومُ نصالٍ وهو بالبيضِ مُقْمِرُ
٤- ففاضتْ سرابيلُ المفاضَات أبحُرًا — بحَرِّ سيولِ العَسْكرِ المجرِ تَزْخَرُ
٥- ومالتْ غُصونُ السُّمرِ وابتسمتْ به — أَقاحي ثغورِ البيضِ بالنَّصر تثمرُ
٦- وحدّق نوّارُ الشيَاتِ وقَدْ بدا — لَه ورقٌ تحت الجواشِنِ أَخْضَرُ
٧- فَمِن دَمِهِم فَوْقَ الأَباطح والرَّبا — شقيقٌ ومن زُرق الأَسِنَّة نَوْفَرُ
٨- سَقيناهم خمرَ الرَّدَى فانتشَوا بها — فكُلٌّ بأقطارِ البلادِ مُقَطَّرُ
٩- وطُلَّتْ على تلْكَ الطُّلول دمَاؤُهم — ولم يبقَ مَن يَحْمي ذمَارًا وَيثْأَرُ
١٠- فلا ظلَّ إلا تحتَ خَفَّاقِ رَايَة — ولا مَاءَ إلاَّ جَوْهَرُ السَّيف يَقْطُرُ
١١- أقامَ سنادَ المجدِ ضربٌ مصرَّعٌ — يقطِّعُ أجزاءَ القوافي ويبترُ
١٢- ولا مهدَ إلا صهوةُ البيدِ أجْردَا — يمرُّ مُرورَ الرِّيح بالهَام يعثرُ
١٣- لتَهْنَكُمُ هذي الفتوحُ التي غدَا — وراحَ بها الإسلامُ وهو مُظَفَّرُ

الشَّرح:

(٢) فَشَامُوا: نظروا. **تاج العروس** ٣٢/٤٨٥

(٤) المفاضَات: جمع مفاضة، وهي الدرع الواسعة. **تاج العروس** ١٨/٥٠٣.

(٦) الجواشِنُ: الدروع. **تاج العروس** ٣٤/٣٥٥.

(٧) نوفرُ: عامية، وهو النَّيْلَوْفَر، ويقال: النَّيْنَوْفَر، بقلب اللام نونًا، وهو ضربٌ من الرَّياحين يَنْبُتُ في المياه الرّاكدة، وهو المُسمّى عند أهلِ مصر بالبَشْنين، ويقوله العَوامُّ: النَّوْفَر. **تاج العروس** ١٤/٢٧٢.

(١٢) الصَّهْوَةُ: ما أَسْهَلَ من ناحِيَتَيْ سَراةِ الفَرَسِ، أَو مَقْعَدُ الفارِسِ منه، أَو

مَوْضِعُ اللِّبْدِ منه. وقيلَ: مُؤَخَّرُ السَّنامِ. **تاج العروس** ٣٨/٤٥١.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/٢١٣.

(١٢)

وقال: [من البسيط]

١- أَفْدي الذي طَالَ عُمْري في محبَّته ... لكنْ بهجْرانه قدْ ضاعَ أكثَرُهُ
٢- ومَا صَفا ليَ وقتٌ في تَأَلُّفه ... إلاَّ وحاولَ منِّي ما يُكَدِّرُهُ
٣- ظَنِّي إذا عَنَّ لي يَوْمًا بلَفْتَته ... عَطْفًا عَلَيَّ فَواشيه يُنَفِّرُهُ
٤- إذا بَدا فَهْو بَدْرُ الأُفْقِ يَنْظُرُهُ ... أو انثَنى فَهْوَ غُصْنُ البان يَهْصرُهُ
٥- كَمْ كُنْتُ أَصْرفُ طَرْفي عَن مَحاسنه ... عَمْدًا وَأَنْهَى فؤادي ثُمَّ أَزْجُره
٦- يا قَلْبُ جَانبْ هَوَى مَن عَزَّ جانبُهُ ... فالموتُ أسهلُ ما فيه وأَيْسَرُهُ
٧- والقلبُ يصبُو ولا يُصْغي لمَعْتَبَة ... فيه وكُنْتُ لَعَمْرُ الحبِّ أَعْذُرُهُ
٨- حَتَّى تَعَرَّضَ لي يَوْمًا فعارضَني ... وَجْدٌ به ساقَ لي مَا كُنْتُ أَحْذَرُهُ
٩- فَأَصبح القَلبُ رَهْنًا في حَبائله ... يا مَوْردًا للهَوى قَدْ عَزَّ مَصْدَرُهُ

الشَّرح:

(٤) يَهْصِرُهُ: أي يجذبه. **تاج العروس** ١٤/٤٣٥.

التَّخريج:

العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٥/٤٣٩.

(١٣)

وقال: [من الكامل]

١-أدمِ الصَّلاةَ عَلَى النَّبيّ المصطفَى ... تخلصْ بذاكَ من الجحيم ونارِها

٢- وتـولَّ إقـبـالاً عليها كُـلَّمَا ... هـتفَ المـؤذِّنُ مُشعِرًا بشعارِها

٣- فالفخرُ أجمعُه لَـهُ فتلقّهُ ... من نَوْبـةِ الأسحارِ فوقَ منارِها

التَّخريج:

نَفْح الطِّيب ٥٠٥/٧ (ط. إحسـان عباسـ)، ٢٥٢/١٠ (ط. محيي الدين عبدالحميد).

الهوامش:

(*) **العرب**: قال الزَّبيدي: البَشـامُ، كَسَحابٍ: شَـجَرٌ عَطِرُ الرائحَةِ، طَيِّب الطَّعْمِ. **تاج العروس** ٢٨٩/٣١.

(**) **العرب**: التوسـّل بالجاه غير مشـروع وإنما المشـروع التوسّل بأسماء اللّه وصفاته.

(للبحث صلة)

الحَذاقة بأنواع العَلاقة
(في المجاز المُرْسَل)
لأحمد الدمنهوري (ت١١٩٢هـ)

تحقيق: يوسف السناري(*)

ملخص

هذه رسالة وجيزة لطيفة، لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري شيخ الجامع الأزهر، (ت١١٩٢هـ) شرح فيها بيتين من بحر الرجز، جمع فيهما أنواع العَلاقات في المجاز المرسل، المدرج ضمن علم البلاغة، أحققها على ثلاث نسخ خطية، نسختين في المكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة في مكتبة جامعة الملك سعود.

-١-

الدمنهوري

١/١: ترجمته

هو: أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري، شيخ الجامع الأزهر، وأحد علماء مصر المكثرين من التصنيف، كان يُعرف بالمذاهبي لدراسته المذاهب الأربعة(١).

١/٢: مؤلفاته البلاغية

للدمنهوري أكثر من مؤلَّف في علم البلاغة، من الممكن أن أجملها فيما يأتي:

- حلية اللب المصون في شرح كتاب الجوهر المكنون للأخضري.

- إيضاح المشكلات من متن الاستعارات للسمرقندي[٢].

- منتهى الإرادات من تحقيق عصام الاستعارات[٣] وهو حاشية على شرح السمرقندي.

- الحذاقة بأنواع العلاقة». وهي رسالتنا.

-٢-

الرسالة

١/٢: نسبتها

نسبة هذه الرسالة إلى الدمنهوري صحيحة لعدة أسباب؛ هي:

- كونُ المؤلف ذكرها منسوبة إليه في كتابين له؛ هما: **اللطائف النورية في المنح الدمنهورية**، و**القول المنيف**.

وهذا أعلى درجات توثيق أنساب الكتب، بأن ينص المؤلف نفسه في ثبت شيوخه، أو في كتاب له، على أن هذا الكتاب من كتبه.

- ذكرُ الجبرتي، وهو معاصر له، الرسالة منسوبة إليه، وهذا يأتي في الدرجة الثانية من التوثيق.

- كون البغدادي في **إيضاح المكنون** (٣/٤٠٠) ذكرها منسوبة إليه.

كل هذا جعلني لا أشك في نسبة هذه الرسالة إلى الشيخ الدمنهوري.

٢/٢: عُنوانها

الحَذاقة بأنواع العَلاقة؛ وذلك لمجيء هذا العنوان في برنامج المؤلف: **اللطائف النورية**، وفي رسالته: **القول المنيف**، وفي ترجمته من كتاب **عجائب الآثار** للجبرتي، وفي كتاب البغدادي **إيضاح المكنون**.

وقد ورد العنوان في رواية مرجوحة بنسخة المكتبة الظاهرية رقم (١٠٤٨٨): الحذاقة <في> أنواع العلاقة. ولا يصح بما تقدم.

أما ضبط حركة جُزْأَي العنوان، فصوابه بفتح الحاء في كلمة (الحَذاقة) والعين في كلمة (العَلاقة)؛ وذلك لأن المصنف قال في مقدمة الرسالة عن كلمة (العلاقة) ما نصه: «اعلم أولًا أن العِلاقة بالكسر تستعمل في الأمور الحسية كعلاقة السوط، وبالفتح في المعنوية كعَلاقة المجاز».

والرسالة في أنواع عَلاقات المجاز المرسل، فناسب الفتح في كلمة (العَلاقة). أما كلمة (الحَذاقة)، فيجوز فيها من جهة اللغة الفتح والكسر؛ إذ قال المجدُ في **القاموس** ص (٨٧٣): «حذق الصبيُّ القرآنَ أو العملَ كضرب وعلِم، حَذْقًا وحَذاقًا وحَذاقة، ويُكسر الكلُّ، أو الحِذاقةُ، بالكسر: الاسم.

ولكن ضرورة السجع تقتضي الفتح في حاء (الحذاقة)؛ تبعًا للعين في كلمة (العَلاقة) التي تقرر فتحها؛ ليصبح العنوان: الحَذاقة بأنواع العَلاقة.

٣/٢: موضوعها

هي رسالة في مبحث من مباحث علم البيان: (المجاز المرسل)، تحدث المصنف فيها عن أنواع العَلاقات التي تربط بين اللفظ الحقيقي واللفظ الذي قصد به المجاز.

- تعريف المجاز المرسل: «هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

والعَلاقة: هي الشـيء الذي يربط بين المعنى الأصلي للفظ والمعنى المجازي، كالشجاعة في قولك: رأيت أسدًا يضرب بسيفه. فالأسد هنا لا يقصد به الحيوان، وإنما يقصد به الرجل الشجاع... والعَلاقة هي الشجاعة»[٤].

وقـد نظم الدمنهوري أنواع العَلاقات في بيتين ذكر فيهما خمسـة وعشـرين نوعًا من أنواع العَلاقات، فقال:

جاوِرْ، وحُلَّ، أُلْ، وزد، ثمَّ احذفَنْ — حرفًا مضافًا، أطلقَنَّ، أبدلَنْ
وعُمَّ، شابِهْ، إِعتبرْ، عَلِّقْ سَبَبْ — كُلٍّ لـزومٍ، آلـةٌ، ضـدٌّ، وَجَـبْ

ثم شرح البيتين في هذه الرسالة.

وقد صرح المصنف بأن هذه الأنواع مذكورة في كتاب **المطوَّل** للتفتازاني، وهو شرح لكتاب **تلخيص مفتاح العلوم** للقزويني.

وإن علمـاء البلاغـة مختلفون في عدِّ هذه الأنواع؛ فبعضـهم يجعلها خمسـةَ عشـرَ نوعًا كما ذكر العلوي في الطراز (١/٦٣)، وبعضـهم يوصـلها إلى خمسـة وعشرين نوعًا كما ذكر المصنف، وبعضهم يوصلها إلى ثمانية وعشرين نوعًا كما ذكر ابن عاشور في **موجز البلاغة** (ص٣٥، ط. أضواء السلف).

يقـول أيمن عبـد الغني في **الكافي في البلاغة** في سـرد هـذه العلاقات: وقد أحصـى منها علماء البلاغة أكثر من عشـرين علاقة؛ منها: السببيِّة، المسببيِّة، إطلاق الكل على البعض، إطلاق البعض على الكل، إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، إطـلاق الملزوم وإرادة اللازم، إطلاق المطلـق وإرادة المقيد، إطلاق المقيد وإرادة المطلق، إطلاق العام وإرادة الخاص، إطلاق الخاص وإرادة العام، إطلاق الحال وإرادة المحـلّ، إطـلاق المحلّ وإرادة الحال، إقامة المضـاف إليه مقام المضـاف، إقامة المضـاف مقام المضـاف إليه، علاقة الجوار، اعتبار ما كان عليه الشـيء، اعتبار ما يؤول إليه الشيء، علاقة الآليَّة، علاقة البدلية والعوض، إطلاق المعرِّف بالـلام وإرادة واحـد منكـر، إطـلاق النكرة في الإثبـات وإرادة العمـوم، علاقة

التضاد. إلى غير ذلك من العلاقات. إلى أن ذكر المشهور منها، فقال:

١- الكلية: أن يذكر الكل ويراد الجزء.

٢- الجزئية: أن يذكر الجزء ويراد الكل.

٣- المحليَّة: أن يذكر المَحَلَّ ويراد مَنْ به، أو أن يذكر المكان ويراد من فيه.

٤- الحاليَّة: أن تذكر مَنْ بالمكان أو ما في المكان، ولا تريده لكن تريد المكان نفسه.

٥- المُجاورة: أن يكون الشيء مجاورًا لغيره، فيطلق عليه اسمه.

٦- السببية: أن يذكر السبب ويراد المُسَبِّب، أو أن نعبِّر بذكر السبب للدلالة على النتيجة.

٧- المسبَّبيَّة: أن يذكر المسبَّب ويراد السبب.

٨- اعتبار ما كان: وذلك حينما يذكر الماضي في الحاضر أو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الماضي.

٩- اعتبار ما سيكون: وذلك حينما يذكر المستقبل في الحاضر، أو عندما تتكلم عن المستقبل في الوقت الحالي.

١٠-الضديَّة: بأن يطلق اللفظ للدلالة به على ضد معناه.

ثم قال: وتلك أشهر علاقات المجاز المرسل، وقد ذكر علماء البلاغة عدة علاقات أخرى، ولكن بالنظر في هذه العلاقات، وُجِد أنها داخلة في بعض العلاقات التي تقدمت، مما دعانا إلى عدم التعرض لذكرها(٥).

وهذا النوع من الاختلاف داخل في اختلاف التنوُّع، لا اختلاف التضادّ؛ لأن بعض العلماء يدخل ما جعل قسمًا مستقلًا في قسم متفق عليه، كما ذكر الأستاذ أيمن عبد الغني، وكما سيأتي معنا في كلام العلامة ابن عاشور. ومن هذه الأنواع

ما هو مشهور ومنه ما دون ذلك، والمجاز المرسل في المرتبة الثانية من الأهمية عند البُلَغاء والفُصَحاء، وأعلى أنواع المجاز عندهم الاستعارة، وفي هذا يقول الشيخ ابن عاشور المالكي في موجز البلاغة: العلاقة هي المناسبة التي بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والعلاقات كثيرة، أنهاها بعضهم إلى ثمان وعشرين؛ وأشهرها المشابة، والسببية، والمجاورة، والبعضية، ويعبَّر عنها بالجزئية نسبة للجزء والتقييد؛ أي إطلاق اللفظ الموضوع لمعنى مقيد على المعنى المطلق، والمآل وأضدادها. ويمكن ردها إلى المشابهة والتلازم؛ لأن المرادَ اللزومُ عُرْفًا، فالمجاز إن كانت علاقته المشابهة سُمي استعارة، وإن كانت علاقته غير المشابهة سُمي مجازًا مرسلًا، وقد يختلط مجاز اللزوم بالكناية. وأهم أنواع المجاز هو الاستعارة لشدة عناية بلغائهم بالتشبيه وتنافسهم فيه منذ زمن امرئ القيس، ولذلك سَمَّوا ما لم يُبْنَ على المشابهة بالمرسل؛ لأنه المطلق عن التشبيه المعتبر عندهم.

وأنواع العَلاقات التي ذكرها الدمنهوري في هذه الرسالة تُذكر في مبحث الحقيقة والمجاز في كتب البلاغة. وقد تحدث عنها الدمنهوري في كتابه **حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون** للأخضري، فيقول (ص ١١٩): المجاز قسمان: مفرد ومركب؛ فالمفرد الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له لعلاقة وقرينة مانعة من إرادته، كالأسد الذي استعمله اللغوي في الرجل الشجاع، واستعمال الخلع والغض في الإعراض عما سوى الله تعالى، فخرج المهمل والغلط والكناية.

إلى أن قال: ثم المجاز المفرد: إما مرسل، وهو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة، كاستعمال اسم الجزء في الكل كالكلمة في الكلام وعكسه كاستعمال الأصابع في الأنامل في ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩]، ومنها: إطلاق اسم الحال على المحل وعكسه، وقد اجتمعا في قوله تعالى ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] إذ المراد بالزينة الثوب، والمسجد الصلاة، ومنها: الآلة

نحو ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] أي ذكرًا حسنًا. فاستعمل اللسان في الذكر لأنه آلته. ومنها: استعمال الظرف في المظروف، نحو: شربت كوزًا: أي ماء، وعكسه نحو ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي الجنة التي هي ظرف للرحمة. ومنها إطلاق اسم المسبِّب على السبب؛ نحو أمطرت السماء نباتًا؛ أي غيثًا، وعكسه نحو رعينا غيثًا؛ أي نباتًا. ومنها اعتبار ما كان نحو ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء:٢]. سماهم يتامى باعتبار وصفهم الماضي. ومنها الأول نحو ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف:٣٦] أي عصيرًا يؤول إلى الخمر، وإما استعارة وهو ما كانت العلاقة فيه المشابهة كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع في قولك: رأيت أسدًا في الحمام. ثم إن علاقات المجاز المرسل أكثر مما ذكره المتن، ومن أرادها فعليه بما كتبناه على عصام الاستعارات(٦).

- **الناس في قبول المجاز ورفضه:**

أهل العلم في قبول المجاز ورفضه على ثلاثة أقوال: فريق يثبته مطلقًا وهو الأكثر. وفريق ينفيه مطلقًا وهم قلة يتزعمهم ابن تيمية(٧) وابن القيم(٨) ومن المعاصرين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي(٩)، وفريق متوسط يثبته في اللغة وفي القرآن في غير آيات الصفات والأسماء المتعلقة بالله جل وعلا.

٢/٤: نشرها

أما نشر هذه الرسالة من قبل، فقد ذكر صاحب **معجم تاريخ التراث العربي في مكتبات العالم** (١/٣٢٧) رقم (١٠) أنها نشرت نشرة حجرية في إستانبول سنة ١٢٧٦هـ. ولم أستطع الوقوف على هذه النشرة.

٢/٥: وصف النسخ

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة الصغيرة على ثلاث نسخ خطية: نسختين في المكتبة الظاهرية، ونسخة في مكتبة جامعة الملك السعود.

النسخة الأولى: هي نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية في آخر مجموع برقم (٥٠١٦) من ورقة (١١٦) إلى (١١٧)، وقبلها كتاب **كشف اللثام عن مخدرات الأفهام** للدمنهوري أيضًا، وهو شرح للبسملة كما قال الدمنهوري في **اللطائف النورية، والقول المنيف**.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ(ظ١).

النسخة الثانية: هي نسخة مفردة محفوظة في المكتبة الظاهرية برقم (١٠٤٨٨) في ورقتين.

رمزت لها بـ(ظ٢).

النسخة الثالثة: هي نسخة محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٢٠٢٣) في ورقتين.

رمزت لها بـ(س).

-٣-

التحقيق

تَخِذْتُ في تحقيق هذه الرسالة منهجَ اختيار الصواب من بين النسخ؛ وذلك لعدم وقوفي على النسخة الأم التي قد خطَّها الدمنهوري، ولعدم وجود فرق كبير بين النسخ الثلاث، ولتأخر عصر المؤلف، ولصغر حجم الرسالة، كل هذا جعلني لا أختار أصلًا ألتزمُ رسمه في التحقيق، واخترتُ من النسخ الثلاث القراءة التي اطمأن لها قلبي بأنها هي التي خطَّها الدمنهوري في نسخته الأم. وقد علقت على النص المحقق بتعليقات مقتضبة، فعزوت الآيات، وعرَّفت بالأعلام، ووثَّقت ما قاله الدمنهوري من كتاب **المطوَّل** للتفتازاني وغيره من كتب البلاغة.



صفحة عنوان نسخة المكتبة الظاهرية (ظ١)


حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اول المسلمين ليس المراد
كل المسلمين اذ الانبيا قبله كانوا مسلمين الثالثة عشر الخصوص كقوله
تعالى وحسن اولئك رفيقا اي رفقا وقد اخذها تاما من قولي وعم
الاولى بالنص والثانية بالمقابلة الرابعة عشر المشابهة في الصورة
كاطلاق لفظ فرس على صورتها منقوشة على جدار وقد اشرت
اليها بقولي شابه الخامسة عشر اعتبار ما كان عليه كقوله تعالى
واتوا اليتامى اموالهم سماهم يتامى باعتبار ما كانوا عليه اذ
لا يتم بعد البلوغ وقد اشرت اليها بقولي اعتبر السادسة عشر
التعلق كاطلاق المصدر على اسم المفعول كالخلق بمعنى المخلوق
وقد اشرت اليها بقولي علق السابعة عشر السببية كقولك
رعينا غيثا الثامنة عشر المسببية كقولك امطرت السما نباتا
وقد اخذها تاما من قولي سبب التاسعة عشر الكلية كاستعمال
الاصابع في الانامل في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم
اي انامله العشرون الجزئية كاستعمال العين في الربيئة
وهو الشخص الرقيب فالعين جزء منه وقد اشرت اليها بقولي بعض
كل على ما تقدم الحادية والعشرون اللازمية كقول الشاعر
قوم اذا حاربوا شدوا مازرهم
اي اعتزلوا النسا فهو من اعتزال النسا بشد الازار لان الشد من
لوازمه الثانية والعشرون الملزومية كقوله تعالى ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي يدل فاستعمل الكلام
في الدلالة لكونه ملزوما لها وقد اشرت اليها بقولي لزوم
الثالثة

الثالثة والعشرون الآلية كقوله تعالى واجعل لي لسان صدق
في الاخرين اي ذكرا حسنا فاستعمل اللسان في الذكر لكونه آلة له
وقد اشرت اليها بقولي آلة الرابعة والعشرون الضدية وهي
تسمية الشي باسم ضده كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
فسمى ما كان من الله وهو حسنة بضده وهو سيئة وقد اشرت
اليها بقولي ضد وجب تلك وفيه مع الضد ايما الى وجوب
مراعاة القابل فيما سبق في نحو وعم الخامسة والعشرون ارادة
العموم بالنكرة كقوله تعالى علمت نفس اي كل نفس ولم اذكرها في
النظم لضيقه ومن تامل في نعني وجب لعه اخذها منه والله
تعالى اعلم

خاتمة نسخة (ظا)



الحذاقة بأنواع
العلاقة للفقير
أحمد الدمنهوري
عفي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إعانة
يا من له الثنا حقيقة ولغيره مجاز، نسألك أن تصلي وتسلم
على من منحته غاية الإعجاز، وعلى آله وأصحابه الطاهرين
صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين، وبعد فيقول أحمد
الدمنهوري هذه أبيات لتبيين جمعت فيها أنواع العلاقة
التي فيه من لجا بني نوع علاقة، منحني المولى وإياه من
فضله ما تمناه، وسميته الحذاقة بأنواع العلاقة، ونص البيتين
جاور وحل الوزن ثم احذفن، وجزما مضافا اطلقن أبدلن،
وعم شابه اعتبر علق سبب، كل لزوم التزمن ضد وجب،
اعلم أولا أن العلاقة بالكسر تستعمل في الأمور الحسية كعلاقة
السوط، وبالفتح في المعنوية كعلاقة المجاز، وهذه مما
اعتبرت العرب نوعها ولا يشترط النقل عنهم في كل جزئي
من الجزئيات لأن أئمة الأدب كانوا يتوقفون في الإطلاق
المجازي على أن ينقل عن العرب نوع العلاقة ولم يتوقفوا
على أن تسمع آحادها وجزئياتها مثلا يجب أن يثبت أن العرب
يطلقون اسم السبب على المسبب ولا يجب أن تسمع إطلاق
الغيث على النبات وهذا معنى قولهم المجاز موضوع بالوضع
النوعي لا بالوضع الشخصي، وأنواع العلاقة المعتبرة كثيرة
تزيد على ما ذكروه إلى الخمسة والعشرين كذا في المطول وقد جمعت

مقدمة نسخة المكتبة الظاهرية (ظ٢)


سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع
والمآب والحمد لله وحده
وصلى الله على
من لا نبي
بعده
لبز
تم
قال ابن زكري في محصل المقاصد
فأول الأبواب في المبادي، وتلك عشرة على مراد
الحد والموضوع ثم الواضع، والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصور المسائل الفضيلة، ونسبة فائدة جليلة
تم

خاتمة نسخة (ظ٢)



صفحة عنوان نسخة جامعة الملك سعود، المرموز لها بـ(س)



خاتمة نسخة (س)

النص محققًا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من له الثناءُ حقيقةً ولغيره مجازٌ، نسألُكَ أن تُصلِّي وتُسلم على [من][١٠] منحتَه غايةَ الإعجاز، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، صلاةً وسلامًا دائمَيْن إلى يوم الدين.

وبعد، فيقول أحمدُ الدمنهوري: هذا بيانٌ لبيتين[١١]، جمعتُ فيهما أنواعَ العَلاقة، سألني فيه من له بجانبي نوعُ علاقة، منحني المولى وإياه من فضله ما نتمنَّاه.

وسميته **الحَذاقة بأنواع العَلاقة**[١٢].

ونص البيتين[١٣]:

جاوِرْ، وحُلَّ، أُلْ، وزِدْ، ثمَّ احذفَنْ	**حَرْفًا مُضافًا، أَطْلِقَنَّ، أَبْدِلَنْ**
وعُمَّ، شابِهْ، إعْتَبِرْ، عَلِّقْ سَبَبْ	**كُلّ لزوم، آلةٌ، ضدٌّ، وَجَبْ**

اعلم أولًا أن العلاقة بالكسر تستعمل في الأمور الحسيَّة كعلاقة السَّوْط[١٤]، وبالفتح[١٥] في المعنويَّة كعَلاقة المجاز، وهذه مما اعتبرت العربُ نوعَها.

«ولا يُشترط النقلُ عنهم في كل جزء من الجزئيات؛ لأن أئمة الأدب كانوا يتوقفون في الإطلاق المجازيِّ على أن يُنقل عن العرب نوعُ العَلاقة، ولم يتوقفوا على أن تسمع آحادها وجزئياتها.

مثلًا: يجب أن يَثبت أن العرب يُطلقون اسم السبب على المسبِّب، ولا يجب أن يُسمَع إطلاقُ الغَيْث[١٦] على النبات. وهذا معنى قولهم: المجاز موضوع بالوضع النوعي لا بالوضع الشخصي.

وأنواعُ العَلاقة المعتبرة كثيرةٌ ترتقي -على ما ذكروه- إلى خمسة وعشرين»[١٧].

[كذا في **المطوَّل**[١٨]. وقد جُمعَتْ][١٩] في البيتين.

فالأولى: المُجاورة، المشار إليها بقولي: «جاوِرْ».

مثالهـا: اسـتعمال الرَّاويـة[٢٠] في المـزادة[٢١]. أي المـزْوَد الـذي يُجعـل فيه الزادُ[٢٢]. أي الطعامُ المتَّخَذُ للسَّـفَر، والرَّاوية[٢٣] في الأصـل: اسـمٌ للبعير الذي يحملُ المَزادةَ[٢٤].

الثانية: الحاليَّة[٢٥]، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[٢٦].

أي (في)[٢٧] الجنة، فسُمِّيتِ الجنةُ التي هي محلُّ الرحمةِ بها مجازًا.

الثالثة: المَحَلِّيَّة، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾[٢٨].

أي أهـلَ ناديْه. أي مجلسَـه. فإطلاقُ النادي على أهلـه الحالِّين فيه مجازٌ، والعَلاقة كونُ النادي محلًّا لأهله.

وقد أشرتُ إلى هاتين العَلاقتين بقولي: «وحُلَّ».

الرابعـة: الأوليَّة، كتسـميةِ العصـيرِ خمرًا في قوله تعالــى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾[٢٩][٣٠].

وقد أشرتُ إليها[٣١] بقولي: «أُلْ».

الخامسة: زيادة الحرف، كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ﴾[٣٢].

السادسة: حذفه[٣٣]، كقوله جل وعلا: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾[٣٤].

أي ليس مثله شيء، وأن لا تضلوا.

السـابعة: زيـادة المضـاف، كقولـه تعالــى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[٣٥].

المرادُ: (فرعون) نفسه، فـ(آلُ) صِلةٌ.

الثامنة: حذفه[٣٦]، كقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾[٣٧].

أي أهلَها.

وقد أشرتُ إلى هذه والثلاثة قبلها بقولي: «وزِدْ ثمَّ احذفَنْ حَرْفًا مضافًا».

فالزيـادة والحذف مُنْصَـبَّان على الحرف والمضـاف. وفي: «احذفنْ» توكيد بالنون الخفيفة.

التاسعة: الإطلاق، كقول الشاعر[٣٨]:

ويا ليتَ كلَّ اثنين بينهما هوًى   من الناسِ قبلَ اليوم يلتقيانِ[٣٩]

فـ(اليومِ) مطلقٌ والمرادُ به (يوم القيامة)، نجَّانا الله من هَوْله.

العاشرة: التقييد، كقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾[٤٠].

المـرادُ: أيُّ بـابٍ كان، وقد أُخِـذ هـاتان[٤١] من قـولي[٤٢]: «أطلقـنَّ». الأولى بالتصريح، والثانية بالمقابلة.

الحاديـةَ عشـرَ[٤٣]: البدليَّة، كقولهم: «فـلانٌ أكلَ دمَ أخيـه». أي بَدَلَه، وهو الدِّيةُ.

وقد أشرتُ إليها بقولي: «أبدلَنْ».

الثانيةَ عشرَ[٤٤]: العموم، كقوله تعالى حكاية عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٤٥]. ليس المرادُ كلَّ المسلمين؛ إذ الأنبياءُ قبله كانوا مسلمين.

الثالثةَ عشرَ: الخصوص، كقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[٤٦].

أي رِفَقًا. وقد أُخذ هاتان من قولي: «وعمَّ». الأولى بالنص والثانية بالمقابلة.

الرابعـةَ عشـرَ: المشـابهة في الصـورة، كإطـلاق لفظ فرس على صـورتها منقوشة على جدار.

وقد أشرتُ إليها بقولي: «شابِهْ».

الخامسةَ عشرَ: اعتبار ما كان[٤٧]. كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾[٤٨].

سماهم يتامى باعتبار ما كانوا عليه؛ لأنه لا يتم بعد البلوغ[٤٩].

وقد أشرتُ إليها بقولي: «اعتبرْ».

السادسَــة عشرة: التعليق. كإطلاق المصدر على اسم المفعول كالخَلْق بمعنى المخلوق[٥٠].

وقد أشرتُ إليها بقولي: «علِّقْ».

السابعةَ عشرَ: السَّببيَّة. كقولك: «رعيْنا غيثًا»[٥١].

الثامنةَ عشرَ: المُسببيَّة. كقولك: «أمطرتِ السماءُ نَباتًا»[٥٢].

وقد أُخذ هاتان [معًا][٥٣] من قولي: «سَبَبْ».

التاسعةَ عشرَ: الكُلِّيَّة، كاستعمال الأصابع في الأنامل في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾[٥٤].

أي أناملهم.

العشــرون: الجزئية، كاستعمال العين في الرَّبِيْئَة[٥٥]: وهو الشخص الرقيب، فالعينُ جزءٌ منه.

وقد أشرتُ إلى هاتين بقولي: «كلَّ» على ما تقدَّم.

الحادية والعشرون: اللازميَّة، كقول الشاعر[٥٦]:

قومٌ إذا حاربوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ[٥٧]

أي اعتزلوا نساءهم؛ [فسُمي اعتزال النساء][٥٨] بشدِّ الإزار؛ لأن الشدَّ من لوازمه.

الثانية والعشــرون: المَلْزُوميَّة، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾[٥٩].

أي يدلُّ. فاستعمل الكلام في الدلالة؛ لكونه ملزومًا لها.

وقد أشرتُ إلى هاتين بقولي: «لزوم».

الثالثة والعشرون: الآليَّة، كقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾[٦٠].

أي ذِكْرًا حسنًا، فاستعمل اللسانَ في الذكرِ؛ لكونِه آلةً له.

وقد أشرتُ إليها بقولي: «آلة».

الرابعة والعشرون: الضدية.

وهي تسمية الشيء باسم ضده، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[٦١]. فسمي ما كان من الله وهو حسنة بضده وهو سيئة.

وقد أشرتُ إليها بقولي: «ضدٌّ وَجَبْ».

تكملة: وفيه مع الضد[٦٢] إيماءٌ إلى وجوب مراعاة المقابل فيما سبق في نحو: «وعمَّ».

الخامسة والعشرون: إرادة العموم بالنكرة. كقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾[٦٣].

أي كلُّ نفس، ولم أذكرها في النظم؛ لضيقه، ومن تأمَّل في معنى «وجبْ» لغةً أخذها منه. (واللّه تعالى أعلم)[٦٤].

الهوامش:

(*) معهد المخطوطات العربية

(١) للتوسع في ترجمته ينظر: برنامجه اللطائف النورية في المنح الدمنهورية، و**عجائب الآثار** للجبرتي (٣/٣٨-٤١).

(٢) نشره أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ضمن مجموعة رسائل في علم البلاغة. ط. دار لبنان للطباعة والنشر، سنة ٢٠١٤.

(٣) ذكره الدمنهوري في اللطائف النورية، وفي القول المنيف، وذكره الجبرتي في **العجائب** (٢/٤١)، والبغدادي في **إيضاح المكنون** (٤/٥٧٠).

(٤) ينظر: **الكافي في البلاغة** لأيمن عبد الغني. (ص١٣٨) بتصرف.

(٥) ينظر: مبحث المجاز المرسل في كتاب **الكافي في البلاغة** لأيمن عبد الغني، (١٢٨-١٤٩، ط. التوفيقية).

(٦) أي حاشيتي على شرح عصام الدين الأسفراييني (ت٩٤٤هـ) على متن الاستعارات للسمرقندي. ينظر: **كشف الظنون** (١/٨٥٣).

(٧) للتوسع في كلام ابن تيمية ينظر الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله (**مجموع الفتاوى** ٦/٣٥١-٣٧٤).

(٨) تكلم عن المجاز في كتابه **الصواعق المرسلة**، وسماه طاغوتًا!

(٩) له رسالة في منع جواز المجاز في القرآن يقول الشيخ في مقدمتها: فإنَّا لَمَّا رأينا جُلَّ أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن، ولم ينتبهوا لأن هذا المنزل للتَّعبُّد والإعجاز كله حقائق وليس فيه مجاز، وأن القول فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال، وأن نفي ما ثبت في كتاب أو سنة - لا شك في أنه مُحال - أردنا أن نبين في هذه الرسالة ما يفهم منه الحاذق الذائق أن القرآن كله حقائق، وكيف يمكن أن يكون شيء منه غير حقيقة، وكل كلمة منه بغاية الكمال جديرة حقيقة؟! إلى أن قال: والذي ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق: أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقًا على كلا القولين. أما على القول بأنه لا مجاز في اللغة أصلًا - وهو الحق - فعدم المجاز في القرآن واضح، وأمَّا على القول بوقوع المجاز في اللغة العربية، فلا يجوز القول به في القرآن. ينظر: **منع جواز المجاز**، (ص٦).

(١٠) سقط في (س).

(١١) المثبت من (ظ٢)، وفي (ظ١): بيان بيتين.

(١٢) الحذاقة - بفتح الحاء وكسرها -: المهارة في كل شيء. من حذق بكسر الذال وفتحها. ينظر: **القاموس المحيط** (ص٨٧٣).

(١٣) من بحر الرجز.

(١٤) علاقة السَّوط: سَيْرٌ في مقبضه. ينظر: **العين** (١٦٣/١).

(١٥) في (ظ٢): وفي الفتح.

(١٦) الغيث: المطر. ينظر: **الصحاح** للجوهري (٢٨٩/١).

(١٧) العبارة بنصها في **المطول** للتفتازاني (ص٥٧٥-٥٧٦).

(١٨) هو شرح على **تلخيص المفتاح** في العلوم والبيان للقزويني. ينظر: **كشف الظنون** (٤٧٣/١).

(١٩) المثبت من (ظ٢) وقد سقطت في (ظ١) و(س).

(٢٠) في (س): الرواية. وكذا في مطبوعة **المطول** للتفتازاني (ص٥٧٥) والمثبت في النص من (ظ١ و٢). ومن هذه المصادر: **غريب الحديث** للقاسم بن سلام (١٥٦/١)، (٢٤٤/١)، **جمهرة اللغة** لابن دريد (٢٣٥/١)، و**تهذيب اللغة** للأزهري (٢٢٥/١٥)، و**التلخيص في معرفة أسماء الأشياء** للعسكري (ص)، و**المحكم** لابن سيده (٣٥٣/١٠).

(٢١) قال الزبيدي في **تاج العروس** (١٥٦/٨): قال شيخنا: وإطلاق المزادة على الراوية، وبالعكس، إنما هو مجاز في الأصح. قالوا: سميت راوية مجازًا، للمجاورة، إذ الراوية هي الدابة التي تحملها، وهو الذي جزم به في (المفتاح).

(٢٢) المِزْوَد. بكسر الميم وسكون الزاي كمِنْبَر، الزاد. ينظر: **تاج العروس** للزبيدي (١٥٣/٨).

(٢٣) في (س) و**المطول** للتفتازاني (ص٥٧٥): «الراوية». والمثبت من (ظ١ و٢).

(٢٤) النص في **المطول** للتفتازاني (ص٥٧٥)، وقال بعدها: والعلاقة كون البعير حاملًا.

(٢٥) هي أن يذكر من بالمكان أو ما في المكان ولا تريده، ولكن تريد المكان نفسه؛ مثل: نزلتُ بالقوم فأكرموني. أي نزلت بدار القوم. ينظر: **الكافي في البلاغة** (ص١٤٢).

(٢٦) آل عمران: ١٠٧.

(٢٧) زيادة من (س) و(ظ٢).

(٢٨) العلق: ١٧.

(٢٩) يوسف: ٣٦.

(٣٠) أي عنبًا. وهذا من تسمية الشيء باعتبار ما سيكون، أو ما سيؤول إليه. ينظر: **المطول** (٥٧٧).

(٣١) في (س): لها.

(٣٢) الشورى:١١.

(٣٣) أي وحذف الحرف.

(٣٤) النساء:١٧٦.

(٣٥) غافر:٤٦.

(٣٦) أي وحذف المضاف.

(٣٧) يوسف:٨٢.

(٣٨) هو عروة بن حزام بن مهاجر الضني، أبو سعيد، شاعر عذري قتله الغرام، كان يحب ابنة عمه (عفراء)، ويشبب بها في شعره، له ديوان، جمعه أنطوان محسن القوَّال، وغيره. (ت. نحو ٣٠). ينظر: **تاريخ الإسلام** للذهبي (١٨٩/٢)، و**الشعر والشعراء** لابن قتيبة (٦٠٧/٢) و**الأعلام** للزركلي (٢٢٦/٤).

(٣٩) من بحر الطويل، يروى: (من الناس والأنعام يلتقيان). ينظر: **خزانة الأدب** للبغدادي (٣٧٧/٣)، وكذا في **ديوان عروة** المجموع (ص٣٧، ط. صادر)، والمثبت من النسخ الثلاث كما في **الكليات** للكفوي. وقال: إطلاق اسم المطلق على المقيد كقول الشاعر:

ويا ليتَ كلَّ اثنين بينهما هوًى **من الناسِ قبلَ اليومِ يلتقيانِ**

أي: قبل يوم القيامة. ينظر: **الكليات** للكفوي ص (١٣٩).

(٤٠) المائدة: ٢٣.

(٤١) المثبت من (ظ٢) و(ظ١) وفي (س): أخذت هاتين.

(٤٢) المثبت من (ظ١): من قوله.

(٤٣) كذا في الأصول، وهو لحن، صوابه: عشرة. إذ العدد من واحد إلى اثنين يطابق التذكير والتأنيث، فيقال: الحادي عشر، والحادية عشرة، والثاني عشر والثانية عشرة.

(٤٤) كذا في الأصول، والصواب: الثانية عشرة، كما تقدم.

(٤٥) الأنعام: ١٦٣.

(٤٦) النساء: ٦٩.

(٤٧) هو النظر إلى الشيء باعتبار أصله في الماضي. ينظر: **المطول** (ص٥٧٧).

(٤٨) النساء: ٢.

(٤٩) المعنى: لأنه لا يتم تسليم الأموال لليتامى إلا بعد بلوغهم.

(٥٠) يشير إلى قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]: أي مخلوقه.

(٥١) هو أن يذكر السبب ويراد المسبِّب. فالمعنى: رعينا نباتًا؛ تسبَّب في خروجه الغيث (المطر).

(٥٢) أي أمطرت السماء ماءً تسبَّب في نموِّ النبات.

(٥٣) زيادة من (س).

(٥٤) البقرة: ١٩.

(٥٥) يقال: هو ربيئة القوم: أي عينهم. وربأتهم وارتبأتهم: أي رقبتهم. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٩٧/١٥)، ولسان العرب لابن منظور (٨٢/١).

(٥٦) الأخطل.

(٥٧) صدر بيت من بحر البسيط، عجزه:

دون النساء ولو باتتْ بأطْهارِ

لم أقف عليه في ديوان الشاعر برواية ابن حبيب، الذي صنعه السكري، تحقيق. د. قباوة، ط. دار الفكر، سوريا ١٩٩٦. وهو في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (٩١٨/٢) البيت رقم (٤٩).

(٥٨) سقط في (س).

(٥٩) الروم: ٣٥.

(٦٠) الشعراء: ٨٤.

(٦١) الشورى: ٤٠.

(٦٢) في (س) و (ظ٢): ضد.

(٦٣) التكوير: ١٤.

(٦٤) في (س): والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وفي (ظ٢): والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده، آمين. قال ابن زكري في محصل المقاصد:

فأول الأبواب في المبادي ... وتلك عشرة على مرادي

الحد والموضوع ثم الواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع

تصور المسائل الفضيلهْ ... ونسبة فائدة جليلهْ

أحمد مطلوب وخديجة الحديثي
محطات من رحلة الحياة والكلمة

(١)

أ. د. نادية غازي العزّاوي (*)

كانت لافتة الجدول الأسبوعي المعلّقة في مدخل ممرّ القسم مزدانة بأسماء علماء وأدباء، هم قوام أساتذة قسم اللغة العربية في كلية الآداب/ جامعة بغداد، فالعين تتنقّل ما بين: علي جواد الطاهر، مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، إبراهيم الوائلي، أحمد ناجي القيسي، عبدالجبار المطلبي، صلاح خالص، عناد غزوان، محسن غياض، يونس السّامرائي، بهيجة الحسني، داود سلُّوم، عدنان محمد سلمان، فاضل السّامرائي، عبدالإله أحمد.....و.....و، ثم يستقرّ النظر على حصة البلاغة ممهورة باسم أحمد مطلوب، وحصة النحو باسم خديجة الحديثي؛ هذا الثنائي الذي حفر له حضورًا اجتماعيًا وعلميًا متميزًا في الوسطين الجامعي والثقافي العام.

تشرّفتُ بالتلمذة عليهما في مرحلتي الدراسة الأولية والعليا، فعرفتُ فيهما الجدية في العلم، المبني على قاعدة رصينة من الخُلق الرّفيع، وكما ينبغي للأستاذ أن يكون.

كانا يقدّمان لنا – نحن الطلبة – المادة العلمية بأسلوب شيق يُحبّبها إلينا، مع حثٍّ مستمرٍّ على قراءة المراجع والأصول، والدّأب على المتابعة والبحث.

وأشهد أنّ لهما – مع تلك الكوكبة من أساتيذنا – الفضلَ كلّ الفضل ليس في تأسيسنا علميًا فحسب، بل غرس حبّ العربية فينا، والإحساس بالزّهوّ بالانتماء إليها، وإلى إنجازات حضارتها وعطاء مبدعيها قديمًا وحديثًا، انتماءً يزداد صلابة يومًا بعد يوم، بوجه عوامل الاختراق والغزو الثقافي، وبوجه أسباب الانكسار والخذلان التي تواجه عربيتنا وأبناءها في واقعنا الملتبس اليوم.

قدّم الراحلان بسخاء سنوات العمر من أجل خدمة لغة القرآن تأليفًا وتحقيقًا وتدريسًا، بتواضع العلماء المعهود، وبالانصراف عن ترّهات الحياة، نحو هدف أسمى هو: خدمة العربية ونشر تراثها المجيد، وكما عبّر أستاذنا أحمد مطلوب في مقدمة موسوعته المهمة معجم المصطلحات البلاغية قائلاً: «هذا المعجم ثمرة أعوام، وزُبدة كتب كثار، عكفتُ عليها عكوف المتعبّد، ونهلت منها كما ينهل الظمآن، حتى إذا ارتويتُ واطمأنّت نفسي إلى ما استقريتُ، شرعتُ في التبويب والتصنيف، وأنا أطوي الليل والنهار غير ملتفتٍ إلى ما حولي من عالم مصطخبٍ يمور، وخلقٍ مشت بهم الحياة، وسعوا إليها راغبين، في هذا الجوّ كتبتُ هذا السّفر»[1].

(١)

ولد أستاذنا في تكريت يوم الأحد ١٠ شعبان ١٣٥٥هج، الموافق ٢٥ تشرين الأول ١٩٣٦م[2]، وتخرّج في قسم اللغة العربية/ كلية الآداب والعلوم/ جامعة بغداد عام ١٣٧٥هج/١٩٥٦م، بدرجة امتياز خاصة، وكان الأول على الكلية في دفعته، ثم أكمل دراسته العليا في آداب القاهرة: الماجستير عن بحثه الموسوم بـ: **البلاغة عند السّكاكي**، بتقدير جيد جدًا عام ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، وطبع في بغداد عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، والدكتوراه عن أطروحته الموسومة بـ: **القزويني وشروح**

التلخيص، التي نوقشت صبيحة يوم الأحد ١٤تموز ١٩٦٣م/ ٢٣صفر ١٣٨٣هج، وحصلت على مرتبة الشرف الأولى[٣].

فيما بعد كتبت المشرفة على أطروحته (د. سهير القلماوي) تقديمًا لها مؤرخًا بإمضائها في ٢٠/١٠/١٩٦٥م حين طبعها كتابًا، تضمّن هذا التقديم تحليلاً نقديًا لعناصر التّميز في مشروع أحمد مطلوب، واستشرافًا لمآلاته، بعد عرض لأهمية الموضوع، وسلامة المنهج الذي اتبعه في كتابته، ووضعت اليد على خصيصة نوعية، ستصبح في المستقبل خصيصة أسلوبية في تآليفه كلها، أعني: سعة الاستقراء، والإحاطة بالظواهر من جوانبها المختلفة، وقالت في شهادتها بحقّ تلميذها: إنّه «يقيم دراسته على أساس واضح دقيق من معرفة بكتب البلاغة وأعلامها منذ نشأتها حتى عصورها الرّاكدة، بل إنّه يتتبّع في حيّدة علمية وشمول واسع الجهود الحديثة، ليضع جهده في مكانه بين هذه الجهود؛ حرصًا منه على أن يكون الجهد علميا منظّمًا من جهة، وجماعيًا ثريًا من جهة أخرى... ولقد قام الدكتور أحمد مطلوب تدريسًا وتأليفًا ونشرًا للتراث البلاغي القديم، بعمل ضخم عظيم في هذا الميدان. لقد قام في جَلَد المؤمن، ودقة العالم المتخصّص، وعمق إدراك العربي الأصيل بهذا العمل، تحدوه فيه أشرف الغايات وأنبل المقاصد. وكان له من مَلَكاته سلامة نظر، وصحة حكم، ورهافة حِسّ، ما جعله يستطيع أن يقدّم هذا الكثير الذي جمعه وبوّبه ودرسه، وربطه بالحديث لينتفع به الناس دارسين ومؤلفين. ولقد تقدّم الدكتور أحمد مطلوب بهذا الكتاب في شكل رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية، وتألفت لجنة من الزميلين الأستاذ الدكتور عبدالحميد يونس، والأستاذ الدكتور عبدالعزيز الأهواني ومنّي لامتحانه. ولا زلتُ أذكر يوم امتحان الطالب، وجلستنا بعد المناقشة لنتداول في الدرجة التي نقدّرها له على رسالته ومناقشته معًا. لقد اتفقنا في الدقائق الأولى على أنّ التقدير (ممتاز)، ثم أخذنا في الحديث

عن شخصية الطالب، ومقدار ما يستطيع أن ينفع به طلابه في جامعة بغداد، وقومه من الدّارسين العرب في هذا الميدان، لقد أفضنا في الحديث عنه مدحًا وأملاً، حتى كدنا ننسى أنّ طالبنا ومن حضروا المناقشة العلنية ينتظرون إعلان النتيجة عليهم. إنّ جزءًا من أملنا في الدكتور أحمد مطلوب قد تحقق، ولكنّ آفاق آمال الأساتذة في طالبهم وزميلهم الآن لا تحدُّها حدود، وما زالتْ أمام الأستاذ الشّاب أحمد مطلوب آمال وآمال معقودة عليه، ذلك أنه أهل لتحقيق أوسع الآمال وأعرضها بعون الله»(٤).

أمّا أستاذتنا د. خديجة، فقد ولدت في البصرة ثغر العراق الباسم عام ١٩٣٤م، وتخرجت في الكلية نفسها، والسنة نفسها، مع زوجها وبدرجة امتياز خاصة، وحصلت على الماجستير من كلية الآداب/ القاهرة ١٩٦١م عن رسالتها الموسومة بـ: **أبنية الصّرف في كتاب سيبويه**، والدكتوراه من الكلية نفسها ١٩٦٤م عن أطروحتها الموسومة بـ: **أبو حيان النحوي**. وقد أرشفتْ جانبًا من هذه اللحظات الثمينة في حياتها، فذكرتْ في مستهلّ رسالتها التي طبعتْها كتابًا بعد ذلك: «في مساء يوم الأحد ١٢ شباط ١٩٦١م، الموافق ٢٦ شعبان ١٣٨٠هج، نوقش هذا البحث في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ونلتُ به الماجستير بدرجة جيد جدًّا. وكانت لجنة المناقشة برياسة المرحوم الدكتور عبدالحليم النجار المشرف، وعضوية الأستاذين الجليلين: الدكتور شوقي ضيف، والدكتور خليل نامي»(٥).

لاحقًا كتب (د. شوقي ضيف) تقديمًا لكتابها **أبنية الصّرف في كتاب سيبويه**، قيم فيه نقديًا جهدها ومثابرتها، وأصالة موضوع كتابها، فقال فيما قال: «قدّرتُ للسيدة خديجة عبدالرّزاق الحديثي بُعد همّتها، حين رأيتها تحاول أن تخوض في قوة عباب هذا البحر في مستهلّ دراستها الجامعية العليا، وكلّنا نعرف صعوبة التخصّص في الدراسات الصّرفية والنحوية، وما يفتقر إليه هذا التخصّص من عزيمة صادقة وجهد مخلص. وقد أبت السيدة خديجة إلاّ أن تبلغ في ذلك غاية

بعيدة المنال، متّخذة إليها أشدّ الطرق عسرًا والتواءً، إذ عمدتْ إلى الأصل الذي تفرّعت منه كلّ المباحث النحوية والصرفية، والذي لا يستطيع البحث العلمي فيه إلاّ الحاذقون من أصحاب الصّرف والنحو، واتخذت منه لبحثها ودرسها مادتها العلمية، وكأنّها أرادت أن تسجّل للباحثة العربية المعاصرة في هذا الميدان سبقًا علميا، فإذا هي ترود مجاهل الكتاب، وتختار أكثر أغواره صعوبة، وأقصد أغوار الصّرف المليئة بالشّعب والمنعطفات والأعشاب، ومضت تتغلّب على كلّ ما صادفها من صِعاب، مستخرجة دُرر الصّرف اللامعة، بل ناضدة منها عقودًا بديعة ضمّنتها هذا البحث القيم.... وكان ذلك عملاً شاقًّا، غير أنها أقدمت عليه غير حافلة بمشقّة أو جهد عنيف تبذله، بل لكأنها كانت تجد متعتها الخالصة فيما تتكلّف لبحثها من جهد ومشقّة وعناء»[٦].

وهي المثابَرة عينها التي رصدها الدكتور إبراهيم السامرائي أيضًا، في تقريظه لكتابها **كتاب سيبويه وشروحه**، فنوّه بما بذلت من جهود في استقراء المراجع، وكانت يومها نسبة غير قليلة منها مخطوطة لم تُطبع بعدُ، وأشاد بإحاطتها بموضوعها، مندفعة نحو ارتياد جوانب وعرة، مستسهلة في سبيل تذليل المصاعب الجهد والمشقة، وقال في شهادة ثمينة أيضًا من عالم جليل: «قرأتُ مخطوطة **كتاب سيبويه وشروحه** للدكتورة خديجة الحديثي، وتبين أنّ المؤلفة بذلتْ جهودًا كبيرة في سبر أغوار هذا المعِين الفياض، ذلك أنّ **كتاب سيبويه** سِفر العربية الأصيل، ومصدر العربية من الناحية التاريخية. وطريقة سيبويه في الكتاب طريقة الرّائد الذي يستكشف الغوامض والمبهمات أول مرّة، ولذلك فإنّ جهد الدكتورة الفاضلة لا يُقدّر، فقد عمدت في كتابها إلى استجلاء سيرة سيبويه من جمهرة كتب الطبقات، وأرستْ قواعد هذه السّيرة ثابتةً واضحة الأركان، ثم عمدتْ إلى **الكتاب**، وهو الجزء الجوهري في هذه الدراسة، فأبانتْ ظروفه التّاريخية، وكيف تمّ هذا العمل العظيم، ومصادر سيبويه فيه، وجهد المؤلف

الشخصي فيه، وشرحتْ ذلك بالأسلوب العلمي الدقيق، ثم انتقلت إلى شروح **الكتاب** الكثيرة، وما تيسّر منها الآن، والمعروف أنّ هذا الكتاب قد حظي بالشهرة الواسعة والمكانة اللائقة طوال العصور، فأوضحت صفحات مشرقة تاريخية لهذه الشروح التي خدمت الكتاب، فخدمت المؤلفة العربية خدمة كبيرة»[٧].

جمعتهما الحياة مبكّرًا، فارتبطا اجتماعيًا منذ مرحلة الدراسة الأولية، وسارا معًا بخطًى حثيثة متوازية متنامية، وارتشفا العلم من أصوله التراثية أولاً، وعلى يد أساتذة أعلام بنوّهما بناءً محكمًا، عرّج على لمحات منه أستاذنا مطلوب في بعض استذكاراته، حين تحدّث عن كتاب ضياء الدين بن الأثير **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، ونوّه: «عهِد المجمع العلمي العراقي إلى الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد بتحقيق الكتاب، فأخرجاه في (٣٣٨) صفحة عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م في مطبوعات المجمع، وكان الدكتور جميل سعيد يدرّبنا على التحقيق به، وقد فتح لنا طريق هذا العلم، وعهِد إلي وإلى الدكتورة خديجة الحديثي - ونحن طالبان في السّنة الرّابعة بكلية الآداب - وضْع جميع فهارسه، فقمنا بذلك ووضعنا الفهارس التسعة، وكان ذلك بداية خطواتنا في الفهرسة والتحقيق، والفضل يرجع في ذلك إلى أستاذنا الدكتور جميل سعيد»[٨].

لم تكن الطريق أمامهما هينة لينة كما قد يُظنّ، بل محفوفة بالمصاعب، ممَّا تطلّب منهما الإصرار والتحمّل والصّبر، ألمّ ببعض هذه التحديات أستاذنا حين كتب عن ذكرى أستاذه إبراهيم السّامرائي، وحادثة تضييع ملفه الشخصي في دائرة البعثات في مقتبل حياته؛ للحيلولة دون ترشيحه إلى فرنسة للدراسة، لولا تداركُ بعض الأخيار للأمر، فعقّب - وقد استدعت الذكرى ذكرى مشابهة -: «هذا ما حدث لأستاذي المرحوم الدكتور أحمد ناجي القيسي حينما قدّم للبعثة إلى جامعة طهران، وما حصل لي إذ كنتُ الأولَ على الكلية، ووافق منير القاضي

علـى تعييني معيـدًا فيهـا، واختفى أمـر الوزير، ولم أعـثر عليـه إلاّ بعد ثلاثين عامًا»[٩].

وعن معاناة الحياة ومصـاعبها نلمس إيحاءات عبـارة الإهداء التي خطّتها الدكتـورة خديجـة علـى أول عمل دشّـنت بـه حياتهـا الأكاديمية، أعني رسـالة الماجسـتير، فقالت في الشـطر الأول من الإهـداء: «إلى والـدي اللذيْنِ مهّدا لي سبيل الحياة»، ووراء الكلمات ما وراءها.

(٢)

وكمـا جمعتهما الحيـاة، وواءمت بـين توجهاتهما واهتماماتهمـا، فقد جمع بينهمـا العمل المشـترك، ولاسـيما التحقيق، وبتناغم وثراء ملحوظ، فضـلاً عن التأليـف المنفـرد في الاختصـاص الدقيق لـكلّ منهمـا: كُتبًا، وبحوثـًا، ومقالات صحفية، وأحاديث إذاعية وتلفازية، وندوات ومؤتمرات عربية وعالمية.... وغيرها من الأنشطة. وفي أدناه ملامح هذا العطاء المبارك:

الأعمال المشتركة

١- **ديـوان القطامـي**، تحقيـق إبراهيم السّـامرائي وأحمـد مطلوب، ط١، بيروت ١٣٨٠هج/١٩٦٠م.

٢- **شـعر عروة بن حزام**، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، بغداد ١٣٨١هج/١٩٦١م.

٣- **التمـام في تفسـير أشـعار هذيـل مما أغفله أبو سـعيد السّـكري**، تحقيق أحمد ناجي القيسـي، خديجة الحديثي، أحمد مطلوب، مراجعة مصطفى جواد، بغداد ١٣٨١هج/١٩٦٢م.

٤- **ديـوان قيـس بن الخطيم**، إبراهيم السـامرائي وأحمـد مطلوب، بغداد ١٣٨٢هج/١٩٦٢م.

٥- **ديوان ديك الجنّ**، تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، بيروت، (بلا سنة طبع).

٦- **البخلاء**، الخطيب البغدادي، تحقيق خديجة الحديثي، أحمد مطلوب، أحمد ناجي القيسي، بغداد، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٧- **التبيان في علم البيان**، ابن الزملكاني، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، بغداد ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٨- **دور الأدب في معركة التحرّر والبناء (جزءان)** - وقائع مؤتمر الأدباء العرب الخامس/ شباط ١٩٦٥م، جمع وتنسيق وتقديم، بالاشتراك مع الدكتور عبدالله الجبوري، بغداد ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٩- **ديوان ديك الجنّ**، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. عبدالله الجبوري، بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

١٠- **من شعر أبي حيان الأندلسي**، جمع وتحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

١١- **البرهان في وجوه البيان**، ابن وهب الكاتب، تحقيقهما، بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٢- **الجمان في تشبيهات القرآن**، ابن ناقيا، تحقيقهما، بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

١٣- **ديوان أبي حيان الأندلسي**، تحقيقهما، بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٩م.

١٤- **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، الزملكاني، تحقيقهما، بغداد ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٥- **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، أبو حيان الأندلسي، بغداد

١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ٢٠٠١م.

١٦- **البلاغة والتطبيق**، تأليف د. أحمد مطلوب ود. كامل البصير، الموصل ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٧- **البرهان في إعجاز القرآن** لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، بغداد ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

١٨- **معجم الرسم** (ترجمة دائرة علوم اللغة العربية في المجمع)، د. أحمد مطلوب مع آخرين، بغداد ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٩- **الأرقام العربية**، بالاشتراك مع الشيخ محمد حسن آل ياسين، ود. جميل الملائكة ود. عادل البكري، بغداد ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٠- **نازك الملائكة**، د. أحمد مطلوب ود. وسن عبدالمنعم، بغداد ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

الكتب المدرسية:

٢١- **قواعد اللغة العربية للصفوف الرابعة التجارية**، بمشاركة نوري حمودي القيسي وعبدالمطلب الهاشمي، بغداد ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٢٢- **النصوص الأدبية للصفوف الرّابعة التجارية** بمشاركة نوري القيسي وعبدالمطلب الهاشمي، بغداد ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٢٣- **قواعد اللغة العربية للصفوف الخامسة التجارية**، بمشاركة الأستاذين السابقين، بغداد ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

٢٤- **لغتي**، للصفوف الخامسة الابتدائية (كتاب مدرسي)، بمشاركة د. خديجة الحديثي وآخرين، بغداد ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٢٥- **لغتي**، للصفوف السادسة الابتدائية، بمشاركة د. خديجة الحديثي وآخرين، بغداد ١٣٧٩هـج/١٩٥٩م.

٢٦- **البلاغة للمدارس الإسلامية**، بمشاركة د. عمر الملا حويش وعبدالرضا صادق، بغداد ١٣٩٩هـج/ ١٩٧٩م.

مؤلفاته منفردًا (رحمه الله):

١- **فوح الشذا بمسألة كذا**، ابن هشام، تحقيق، بغداد ١٣٨٣هـج/١٩٦٣م.

٢- **البلاغة عند السّكاكي**، بغداد ١٣٨٤هـج/١٩٦٤م.

٣- **القزويني وشرح التلخيص**، بغداد ١٣٨٧هـج/١٩٦٧م.

٤- **النقد الأدبي الحديث في العراق**، القاهرة ١٣٨٧هـج/١٩٦٨م.

٥- **الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية**، القاهرة ١٣٨٩هـج/ ١٩٧٠م.

٦- **مصطلحات بلاغية**، بغداد ١٣٩٢هـج/ ١٩٧٢م.

٧- **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري**، الكويت ١٣٩٣هـج/١٩٧٣م.

٨- **مناهج بلاغية**، الكويت ١٣٩٤هـج/ ١٩٧٣م.

٩- **عبدالقاهر الجرجاني**: بلاغته ونقده، بيروت، الكويت ١٣٩٣هـج/ ١٩٧٣م.

١٠- **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة**، بيروت ـ الكويت ١٣٩٣هـج/ ١٩٧٣م.

١١- **فنون بلاغية**، بيروت - الكويت ١٣٩٥هـج/١٩٧٥م.

١٢- **دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات**، بيروت - الكويت ١٣٩٥هـج/ ١٩٧٥م.

١٣- **أساليب بلاغية**، القاهرة ـ الكويت١٤٠٠هـج/١٩٨٠م.

١٤- **البلاغة العربية**، الموصل ١٤٠٠هـج/ ١٩٨٠م.

١٥- **دراسات بلاغية ونقدية**، بغداد ١٤٠٠هـج/ ١٩٨٠م.

١٦- **البحث البلاغي عند العرب**، بغداد ١٤٠٢هـج/١٩٨٢م.

١٧- **الأرقام العربية**، عمان ١٤٠٣هـج/ ١٩٨٣م.

١٨- **البلاغة عند الجاحظ**، بغداد ١٤٠٣هـج/١٩٨٣م.

١٩- **حركة التعريب في العراق**، الكويت ١٤٠٣هـج/ ١٩٨٣م.

٢٠- **معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها**، ثلاثة أجزاء، بغداد (١٩٨٧م-١٩٨٣م)، وطبعت في مجلد واحد، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٦م، وأعيد طبعه عدة مرات بعد عام ٢٠٠٠م.

٢١- **الصورة في شعر الأخطل الصّغير** (بشارة الخوري)، عمان ١٤٠٥هـج/ ١٩٨٥م.

٢٢-**القروي شاعر العروبة في المهجر**، عمّان ١٤٠٦هـج/ ١٩٨٥م.

٢٣- **أيها الولد** للإمام الغزالي، تحقيق، بغداد ١٤٠٦هـج/ ١٩٨٦م.

٢٤- **صور عربية من المهجر الجنوبي**، بغداد ١٤٠٦هـج/١٩٨٦م.

٢٥- **بحوث لغوية**، عمّان ١٤٠٧هـج/١٩٨٧م.

٢٦- **الشعر في زمن الحرب**، بغداد ١٤٠٧هـج/١٩٨٧م.

٢٧- **ضياء الدين بن الأثير، سيرة ومنهج**، بغداد ١٩٨٨م.

٢٨- **معجم النقد العربي القديم**، جزءان، بغداد ١٩٨٩م. وأعاد طبعه في مجلد واحد بعنوان **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، بيروت ٢٠٠١م.

٢٩- **عيون مضيئة: قراءة في شعر كمال الحديثي**، بغداد ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٠- **المدينة في التراث**، بغداد ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣١- **معجم الملابس في لسان العرب**، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٢- **بحوث بلاغية**، بغداد ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٣- **فصول في الشعر**، بغداد ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٤- **الملامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة**، بغداد ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٥- **معجم النسب بالألف والنون**، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٦- **عاشق بغداد** [عن زكي مبارك]، بغداد ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٧- **بحوث تراثية**، بغداد ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٨- **في المصطلح النقدي**، بغداد ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ط٢، بيروت ٢٠١٣م.

٣٩- **في الشعر العربي الحديث**، بغداد ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٠- **معجم النحت في اللغة العربية**، بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤١- **عبدالخالق فريد**: شاعر الحبّ والجمال، بغداد ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٢- **فصول في العربية**، بغداد ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٣- **العارف عبدالغني النابلسي**، بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٤- **بحوث مصطلحية**، بغداد ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٥- **غربة الروح** (قراءة في شعر إبراهيم السّامرائي)، بغداد ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٦- **في المنهج النقدي**، بغداد ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤٧- **عرار نجد: قراءة في شعر عبدالله العثيمين**، بغداد ١٤٣٠هـج/٢٠٠٩م.

٤٨- **الهيئة العليا للعناية باللغة العربية**، بغداد ١٤٣٠هـج/٢٠٠٩م.

٤٩- **البيئة في صحيح مسلم**، بغداد ١٤٣١هـج/٢٠١٠م.

٥٠- **التشريع اللغوي وبحوث أخرى**، بغداد ١٤٣٢هـج/٢٠١١م.

٥١- **معجم تصحيح التصحيح** (معجم في الأخطاء اللغوية)، بيروت ١٤٣٣هـج/٢٠١٢م.

٥٢- **معجم شواهد البلاغة العربية**، بيروت ١٤٣٣هـج/٢٠١٢م.

٥٣- **بحوث نقدية وبلاغية**، بغداد ١٤٣٣هـج/٢٠١٢م.

٥٤- **بحوث شتى**، بغداد ١٤٣٤هـج/٢٠١٣م.

٥٥- **مرافئ الصّبا**. شعر.

٥٦- **أحبّك يا عراق**. شعر.

٥٧- **حبيبتي بغداد**. شعر.

٥٨- **حبيبتي وفاء**. شعر.

٥٩- **حبيبتي سناء**. شعر.

٦٠- **حبيبتي فداء**. شعر.

٦١- **رفيف المنى**. شعر. مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٣هـج/٢٠١٢م.

٦٢- **أنين الزمن**. رباعيات.

٦٣- **أنين الشجن**. رباعيات.

٦٤- **أنين الوطن**. رباعيات.

٦٥- **ألف ليلة وليلة** (عروبتها، لغتها، شعرها)، بغداد ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٦٦- **بديعيون**، بغداد ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٣م.

٦٧- **بحوث شعرية**، بغداد ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦٨- **معجم ألف ليلة وليلة**، بغداد ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٦٩- **في ثبج البحر**، مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٧٠- **بكائية نقدية**، ديالى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٧١- **أعلام وأفنان**، بغداد ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٧٢- **أصالة الأرقام والشهور العربية**، بغداد ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

٧٣- **التداولية وبحوث أخرى**، بغداد ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٧٤- **نبي من العراق**، مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٧٥- **رفيقة عمري**، مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٧٦- **مع الآخر**، مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٧٧- **سؤال وجواب** - صور ذاتية، مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٧٨- **ألفاظ حضارية** (ط٢)، بغداد ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٧٩- **الحبّ في اللغة العربية** (دراسة ومعجم)، بيروت ٢٠١٦م.

٨٠- **جذور الشعر الحرّ**، بغداد ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٨١- **بحوث إسلامية**، مطبعة جامعة ديالى ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٨٢- **معالم السيرة النبوية**، بغداد ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٨٣- **صحف مجمعية**، بغداد ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٨٤- **لولا حبك**. شعر، بغداد ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٨٥- **هذا جدكم يا أحفادي** (مذكرات). جزءان.

ومن بحوثه ومقالاته:

وهي تزيد على ١٣٠، جمعها في كتاب بعنوان في **رحاب القلم**، في أربعة عشر جزءًا، نشر منها في حياته أربعة أجزاء، وسيتولّى أبناؤه إخراج المتبقي بمشيئة الله. ومن بحوثه:

- اتجاهات البلاغة العربية، **مجلة كلية الآداب العراقية**، ١٩٦٢م.

- زكي مبارك ومصطلح الصّورة الشعرية، بغداد ١٩٦٦م.

- لغة نازك الملائكة، نشر في الكتاب التذكاري عن الشاعرة، الكويت ١٩٨٥م.

- أبو ربيعة (الدكتور أحمد ناجي القيسي)، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ٣٨/٤، ١٩٨٧م.

- أثر ابن جني في عبد القاهر وابن الأثير: **مجلة المجمع العلمي العراقي** ٤١/١، ١٩٩٠م.

- الأثري (محمد بهجة) الإنسان والشاعر: === ٤٢/٣، ١٩٩٢م.

- الأرقام العربية: === ٣١/٤، ١٩٨٠م.

- الأسلوبية إلى أين: === ٣٩/٣، ١٩٨٨م.

- إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر: === ٤٥/٢، ١٩٩٨م.

- التنمية اللغوية: === ٤١/٢، ١٩٩٠م.

- تيسير البلاغة: === ٤٤/٤، ١٩٩٧م.

- الحداثة: === ٤٠/٢، ١٩٨٩م.

- الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية: === ٣٣/١، ١٩٨٢م.

- زيادة الألف والنون في النسب: === ٤٠/١، ١٩٨٩م.

- شــرح الكافية البديعية. تأليف صــفي الدين الحلي. تحقيق نسيم نشاوي: === ٣٨/١، ١٩٨٧م.

- الشِّعرية: ===٣-٤/٤٠، ١٩٨٩م.

- الصورة الشعرية: === ٤٦/١، ١٩٩٩م.

- عبدالقاهر ونقد النصّ الشعري: === ٤٣/١، ١٩٩٦م.

- قراءة النصّ الشعري: === ٤٤/١، ١٩٩٧م.

- لغة المثقفين: === ٣٩/٤، ١٩٨٨م.

- المصطلح النقدي: === ٣٨/٤، ١٩٨٧م.

- منهج دوزي في المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب: ===٤٢/١، ١٩٩٤م.

- منهج السّكاكي في البلاغة: === ١٠، ١٩٦٣م.

- نحو معجم مصطلحات النقد الحديث: === ٤٣/٢، ١٩٩٦م.

- نحو المعاني – تأليف الدكتور أحمد عبدالسـتار الجواري: === ٣٩/١، ١٩٨٨م.

- نصيحة الملوك. تأليف الماوردي البصري. تحقيق محمد جاسم الحديثي: === ٢-٣٨/٣، ١٩٨٧م.

- النقد البلاغي: === ٢-٣٨/٣، ١٩٨٩م.

- النقد الأدبي في المراسـلات بين نازك الملائكـة وإبراهيم العريض، مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني، العدد٧٢، ٢٠٠٧م(١٠).

هـذا غيض مـن فيض ننتظر، صـدوره كاملاً في سـفر موحّد، كمـا أراد له المؤلف.

مؤلفاتها منفردةً (رحمهما الله):

١- **أبنية الصـرف في كتاب سـيبويه**، بغداد ١٣٨٥هج/١٩٦٥م، ط٢ـ بيروت ٢٠٠٣م.

٢- **أبو حيان النحوي**، بغداد ١٩٦٦م.

٣- **كتاب سيبويه وشروحه**، ١٩٦٧م.

٤- **سيبويه حياته وكتابه**، ١٩٧٤م.

٥- **الشـاهد وأصـول النحـو في كتاب سـيبويه**، ١٣٩٤هـج/١٩٧٤م، ط٢ – بغداد ١٤٣١هج/٢٠١٠م.

٦- **دراسات في كتاب سيبويه**، الكويت ١٩٨٠م.

٧- **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف**، بغداد ١٩٨٢م.

٨- **المدارس النحوية**، بغداد ط١، ١٤٠٦هج/١٩٨٦م، ط٢ ١٤١٠هج/١٩٩٠م، ط٣ مدققة ومنقحة، عمـان ١٤٢٢هج/٢٠٠١م، ط٤، بغداد، ١٤٣٤هج/٢٠١٢م، وما تزال الطبعات الأخرى تتوالى.

٩- **المبرّد سيرته ومؤلفاته**، بغداد ١٩٩٠م.

١٠- **بغداد والدرس النحوي**، بغداد ٢٠٠١م.

١١- **تيسير النحو وبحوث أخرى**، بغداد ١٤٢٨هج/٢٠٠٧م.

١٢- **رفيق عمري**، مطبعة جامعة ديالى ٢٠١٤م.

بحوثها:

– موقف سيبويه من القراءات والحديث، **مجلة كلية الآداب/**بغداد، ١٩٧١م.

– العلة النحوية ومدى ظهورها في كتاب سيبويه. **مجلة كلية الآداب والتربية** - جامعة الكويت ١٩٧٣م.

– موقف سيبويه من الضرورة (كتاب **دراسات في الأدب واللغة**) الذي أصدره قسم اللغة العربية في جامعة الكويت، ١٩٧٧م.

– اللغة والنحو (**موسوعة حضارة العراق**)، ١٩٨٥م.

– بغداد والدرس النحوي، ١٩٨٥م.

– القياس بين البصريين والكوفيين (محاضرة في جامعة الكويت)، ١٩٨٥م.

– ابن جني في كتاب التمام (ندوة كلية التربية في جامعة الموصل) ١٩٨٩م.

– العروبة والإسلام (ندوة جامعة الكوفة)، ١٩٨٩م.

– التصغير في كتاب سيبويه ولسان العرب، ١٩٩٠م.

– التصحيح اللغوي في الصحافة العراقية (ندوة كلية الآداب - جامعة الموصل)، ١٩٩١م.

– الدراسات الصّرفية في همع الهوامع (ندوة جامعة مؤتة)، ١٩٩٣م.

– المصطلح الصّرفي في كتاب سيبويه (مؤتمر جامعة اليرموك في إربد - الأردن) ١٩٩٤م، نشر في **مجلة الحكمة** التي تصدر في ليدز ببريطانيا، ١٤١٤هج/١٩٩٨م.

– لغة الضاد، **مجلة المورد**، بغداد المجلد ٢٨، ج٣، ١٤٢١هج/٢٠٠٠م...... ومقالات ومواد موسوعية أخرى بعضها لم تصدر أجزاؤها[11].

وظـلّ قلمهما معطاءً، لم يتوقفا عن البحث والتأليف، والمناقشـات وحضـور الندوات والمشـاركة فيها، حتـى داهمهما المرض قبيل وفاتهمـا، فقدّما للأجيال الجديدة درسًـا عمليًا آخـر في معنى همّة العـالِم، ومواظبته على أداء رسـالته، بالرّغم من الظروف الاسـتثنائية القاهـرة في العِراق، وهما من القلّة القليلة من العلماء الذين لم يهاجروا، وبقيا في الوطن يؤديان رسالة العلم في أوضاع حالكة.

(للبحث صلة)

الهوامش:

(*) الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية

(١) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، د. أحمد مطلوب، بيروت ٢٠٠٧م: ص٥.

(٢) تنظر: السيرة العلمية للدكتور محمولة على شبكة النت بصيغة (بدف)، وينظر: **الزوجان العالمان**، أحمد العلاونة، كتاب المجلة العربية ٢٦١، الرياض ٢٠١٨ م: ص١٩.

(٣) ينظر: **القزويني وشروح التلخيص**، مكتبة النهضة، ط١، بغداد ١٣٨٧هج/١٩٦٧م: ص٩.

(٤) م.ن: ص١١-١٦.

(٥) **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**، مكتبة النهضة، ط١، بغداد ١٣٨٥هج/١٩٦٥م: ص٩.

(٦) م.ن: ١٢، ١٣.

(٧) **كتاب سيبويه وشروحه**، د. خديجة الحديثي، ط١، مطابع دار التضامن، بغداد ١٣٨٦هج/١٩٦٧م: ص٣٠١.

(٨) **ضياء الدين بن الأثير (سيرة ومنهج)**، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م: ص٤٩.

(٩) **غربة الرّوح: قراءة في شعر إبراهيم السّامرائي**، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي ١٤٢٨هج/ ٢٠٠٧م: ص١٢، هامش ٨.

(١٠) تنظر: السيرة العلمية للدكتور محمولة على شبكة النت: ص١١-١٧، وينظر أيضًا: كشّاف **مجلة المجمع العلمي العراقي**، د. عبدالله الجبوري، منشورات المجمع العلمي، بغداد ١٤٢١هج/٢٠٠٠م: ص ١٨- ٢٠.

(١١) تنظر: السـيرة العلمية للدكتورة محمولة على شـبك النت (بصيغة بي دي إف): ص ٢-٥، وينظر أيضًـا: **الحركة اللغوية في الوطن العربي** ١٩١٨-١٩٧٥م (أدلة بكتبها وأبحاثها ودراساتها)، د. شكري فيصـل، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط١، دبي ١٤١٢هج/١٩٩٢م: ص ١٣١.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، تحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم والدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، الرياض، مركز حمد الجاسر الثقافي، وكرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ٥ أجزاء

صدر حديثًا عن كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها بالشراكة مع مركز حمد الثقافي كتاب **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** تأليف عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) وتحقيق العالِمين: أ.د. عبدالله بن يوسف الغنيم، أ.د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، ويقع في خمسة أجزاء مرتبًا ترتيبًا هجائيًا وفاق النظام المغربي الذي اختاره المؤلف.

وقد شملت المقدمة نبذة موجزة عن حياة المؤلف وآثاره وبسط لأهمية الكتاب والنسخ المعتمدة في تحقيقه إذ بلغت اثنتي عشرة نسخة مما أثرى حواشيه وأضاف تعليقات مهمة تبين مقدار جهد المحقّقَين ومدى إخلاص نظرهما تدقيقًا وتحقيقًا استغرق سنوات عدّة.

ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر الجغرافية التي تستوجب النظر في إعادة تحقيقها ونشرها، خاصة بعد مضي ما يزيد على قرن من الزمان منذ

إصـدار (فسـتنفلد) له، وما يزيد على نصـف قرن منذ صـدور نشرة مصطفى السـقا، وهما الطبعتان المتوافرتان لدى كثير من الباحثـين الآن. والذي دفع إلى إعادة تحقيق الكتاب العثور علر نسـخ تضيف كثيرًا من النصوص التي أخلت بها النشـرات المطبوعة. ثم سـبب آخر مهم هو الإبقاء على الترتيب المغربي لأسماء المواضع كما ارتضاه البكري –رحمه الله– لكتابه.

كما حظي هذا الإصـدار بعناية عالية حيث اسـتقلّ الجـزء الخامس بأَثْبَات الكتاب: (ثبت أبواب الكتاب، ثبت المواضـع، ثبت الأعلام، ثبت الشـعر)؛ إضافة إلى ثبت المصادر والمراجع؛ خدمةً للكتاب وقارئيه.

- قبيلة الـرَّدادَّة: نسـبهم وتاريخهم وأعرافهـم وبيئتهم وديارهـم، تاريخ اجتماعي من خلال قبيلة؛ د. عائض الرَّدَّادي، الرياض، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- ريجيسـس بلاشـير (REGIS BLACHERE)؛ حسـين الـواد، جائزة الملك فيصـل - الرياضـ، معهد العـالم العربي - باريس، نشـر المركز الثقـافي للكتاب، المغرب، ٢٠١٩م.

- دونيـز ماسـون، (DENISE MASSON)؛ الهواري غـزالي، جائزة الملك فيصـل - الرياضـ، معهد العـالم العربي - باريس، نشـر المركز الثقـافي للكتاب، المغرب، ٢٠١٩م.

- جـاك بيرك (JACQUES BERQUE)؛ مصـطفى شـريف، جائزة الملك فيصـل - الرياضـ، معهد العـالم العربي - باريس، نشـر المركز الثقـافي للكتاب، المغرب، ٢٠١٩م.

- كلـود كاهن (CLAUDE CAHEN)؛ عبدالسـتار الحلوجي، جائزة الملك فيصـل - الرياضـ، معهد العـالم العربي - باريس، نشـر المركز الثقـافي للكتاب، المغرب، ٢٠١٩م.

- غوسـتاف لوبون (GUSTAVE LE BON)؛ فايز بن علي الشهري، جائزة الملك فيصل - الرياض، معهد العالم العربي - باريس، نشر المركز الثقافي للكتاب، المغرب، ٢٠١٩م.

- مـن بدائـع النظم القـرآني في حديث القرآن عـن القـرآن: ثلاثون وقفة بلاغية؛ عبدالعزيز بن صالح العمار، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

- التصـوير البياني في حديـث القرآن عن القرآن: دراسـة بلاغية تحليلية؛ عبدالعزيز بن صالح العمار، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء السابع والثامن - السنة ٥٥

محرم وصفر ١٤٤١هـ

أيلول-تشرين الأول/سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٩م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحـث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد (ISSN) : ١٣١٩-٢٦٧١

الفهرس

نَاهِضُ بن ثُوَمَة الكلابيِّ
من شعراء القرن الثالث الهجريّ(*)

جمع وتحقيق

عبد العزيز إبراهيم(**)

مقدمة في حياته:

١- اسمه ونسبه:

هو ناهض بن ثُومة بن نصيحِ بن نَهيك بن إمام بن جهضَم بن شباب بن أنس بن ربيعة بن كلب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة[١]. يلقب بالكلابيّ نسبة إلى قبيلة كلاب. وقد وهم السيد مرتضى صاحب تاج العروس في لقبه، فذكر ما نصه: «وهو ناهض بن ثومة بن نَصِيح الكلاعيّ»[٢] مؤيدًا بما قاله الفيروزآبادي في القاموس[٣]. ثم أضاف ضبطًا لاسمه بالقول: «ونَاهِضُ بن ثُومَةَ» نقله الصاغاني (الحسن بن محمد/ ت٦٥٠هـ صاحب العباب الزاخر)، وثُومَة بضم (الثاء) المثلَّثة.

٢- شخصيته:

لم تذكر المظانُّ التاريخية معلومات عن شخصيته سوى ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه أنه: كان بدويًّا جافيًا كأنه من الوحش، وكان طيِّب الحديث، فارسًا فصيح اللسان، وكان يقدم البصرة، فيُكتب عنه شعره، وتُؤخذ عنه اللغة[٤].

وعنه نقل من استشهد بشعره؛ كالراغب الأصفهاني في محاضراته[٥] وابن أيبك الصفديّ في وفياته[٦] والزَّبيديّ في تاجه[٧] فضلًا عن المتأخرين؛ كجرجي زيدان في تاريخه[٨] والزركلي في أعلامه[٩] . ولم أجد له ذكرًا في فهرست النديم، أو فهرسة ما رواه عن شيوخه لأبي بكر الإشبيلي، أو وفيات الأعيان لابن خلكان.

فإذا حاولنا ان نحدّد الحقبة الزمنية التي عاشها، فإنّ هناك إشارة من أبي الفرج الأصبهاني في قوله: «روى عنه الرِّياشيّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة». وهذا يعني أنه كان معاصرًا لهؤلاء الثلاثة، أوَّلهم الرياشيّ، وهو العباس بن الفرج (ت٢٥٧هـ)[١٠] والثالث هو دماذ (رفيع بن سلمة)[١١] وكان كاتب أبي عبيدة (ت٢١٠هـ). أما الثاني، فلم تسعفني المصادر بالتعريف به. وجاء اسمه في الوافي بالوفيات (أبو شراعة)[١٢] محرَّفًا عن رواية الأغاني التي نقل عنها الصفديّ. والذي نستفيد منه أن هؤلاء امتدت حياتهم من أواخر القرن الثاني الهجري حتى تجاوزت النصف الأول من القرن الثالث أيام بني العباس.

أما وفاته، فإنَّ الزركلي يذكرها في الأعلام[١٣] على وجه التقريب (نحو: ٢٢٠هـ-٨٣٥م)، مسايرةً لما ذهب إليه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية[١٤]، باعتبار ناهض بن ثومة رابع أربعة جمعهم تحت مظلة شعراء لم يتحضَّروا؛ وهم كلثوم بن عمرو، وربيعة الرقي، وعمارة بن عقيل في العصر العباسيّ الأول، دون أن يُحدّد تاريخيًا لوفاة ناهض، واستثنى الأول منهم (كلثوم بن عمرو)، وخصه بتاريخ ٢٢٠هـ، فاتخذ الزركلي ذلك التاريخ مقاربةً لوفاة ناهض.

أما كنيته، فقد كان يُكنى أبا العطاف، كما ذكر الأصبهاني[١٥].

٣- شعر ابن ثومة:

السِّمة التي طبعت شخصية ناهض بن ثومة، كونه شاعرًا بدويًّا فارسًا

فصيح اللسان، دفعت رواة اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى البحث في البادية عن الشعراء الذين لم تفسد المدينة لسانهم، ولا الحضارة طباعهم، فكان شعر ناهض هو ما يَنْشُدون إليه باعتبار أن صاحبه بدوي لم يتحضر، واللغة عند ذاك ستكون سليمة لم يدخلها اللحن. وكان جدُّه نَصيح شاعرًا.

وهذا ما دفع رواة اللغة - من أمثال الرياشيّ - إلى احتضان شعره والأخذ به استشهادًا على صحة المفردة وسلامة نطقها، فترك لنا مقطّعات تنمُّ عن هذا التوجه، فضلاً عن قصائد تجاوزت هذه المقطّعات إلى أكثر من ثلاثين بيتًا، اختصر الأصبهاني في أغانيه طولها.

أما الأغراض الشعرية التي عُرِف بها، فهي الهجاء الذي وظّفه لخدمة قبيلته (كلاب). فكان يهجو رجلًا من بني الحارث بن كعب، يقال له نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه ناهض؛ أي كان أكثر منه شاعريَّة[١٦]. وكثيرًا ما هجا بني نُمير، الذين كانت لهم أيام حرب مع بني كلاب. ولعل هجاء جرير للراعي النميريّ يقربنا من مثلث (كعب/ كلاب/ نمير) وهو يقول[١٧]:

فَغُضَّ الطَّرفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

ولا يكون الهجاء مُرًّا إلا إذا طعّمه الشاعر بالفخر بقبيلته كلاب. فكان الفخر غرضًا ملازمًا لشاعر القبيلة، ومثالنا لذلك قصيدته رقم (١) دون أن ينسى فروسيته، وفخره بنفسه كما في قصيدته (٣/الأبيات ١٣-١٥)، أو المقطّعة (٦) يغطّي أبياته بالوصف غرضًا لصوره الشعرية من حياته في البادية.

أما مطالع قصائده، فهي لا تفارق طَلليّات الشعر العربي، ومثالنا إلى ذلك مطلع قصائده (٣)، (٤)، (١٠). ولذا جاءت قصائده لا تحمل رؤية عميقة للحياة قدر ما تصوّر حياة البادية وصراع الإنسان فيها من أجل البقاء، وما يراه من ظواهر في شعره.

أما ديوان شعره، فلم يرد في المظان التراثية خبر عن جمعه، أو قام واحد من

الرّواة بصـنعه، إلاّ ما أُخذ عنه للاستشهاد اللغويّ خلال العصر العباسي. وهذا ما دفع بي إلى جمع شـعره الذي لا يصـنع ديوانًا، بل مقطَّعات أوردتها المصـادر التراثية برواية ثانية للنص، تمكنت من جمع مئة وستة أبيات، توزعت ثلاثة عشر نصًا.

خطتي في هذا المجموع.

١- رتبـتُ القوافي هجائيًا، وحسـب حركة حرف الرَّوي (الضـمة/ الفتحة/ الكسرة/ السكون).

٢- أخذت برواية قِدَم المصـدر. ورتبت المصادر حسب هذا القدم؛ أي تاريخ وفاة المؤلف في تخريج النصّ الشعريّ.

٣- نبهـت علـى اختلاف رواية النصّ، وشـرحت المفردات حسـب أهميتها، مستأنسًـا بهوامش المحققين إن وجدت، دون إهمال المعجم العربي في حالة عدم وجود المعنى.

٤- حاولت ضـبط الشـكل قدر ما اسـتطعت، معتمدًا على المصـدر نفسه أو المعجم إذا لم يضبط فيه شكلاً أو صحة.

٥- قدمت للقصيدة أو المقطَّعة بحرها الذي نُظمت أبياتها عليه.

٦- ذكرت المناسبة التي كانت وراء نظم الشعر.

آمل أن أكون قد أضفت جديدًا لديوان الشعر العربي بما صنعته.

شعر ناهض بن ثومة الكلابيّ

(١) (من الوافر)

١- يُحضضنا عُمارة في نمير	ليَشْغلَهم بنا وبه أرابوا
٢- ويزعم أننا حُزْنا وأنا	لهم جار المقربة المصابُ

٣- سَلوا عنا نميرًا هل وقعنا / بنزوتها التي كانت تهابُ
٤- ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت / لهم سعد وضبَّة والربابُ
٥- ونحن نَكرّها شعثًا عليهم / عليها الشِّيبُ منا والشبابُ
٦- رغبنا عن دماءِ بني قُرَيع / إلى القَلْعين إنهما اللبابُ
٧- وقلنا للدليل أقِمْ إليهم / فلا تَلْغَى لِغيْرهم كِلابُ
٨- صَبَحناهم بَأرعنَ مكفهرٍّ / يَدفُّ كأن رايتَه العقابُ
٩- أجشَّ من الصواهل ذي دويٍّ / تلوج البيض فيه والحرابُ
١٠- فأشعلَ حين حلَّ بواردات / وثار لنقعه ثمَّ انصبابُ
١١- صبحناهم بها شعث النواصي / ولم يُفْتَق من الصبح الحجابُ
١٢- فلم تُغمَد سيوف الهند حتى / تعيلت الحليلةُ والكعابُ

التخريج: الأغاني ١٨٧/١٣ (ما عدا البيت السابع)، تهذيب اللغة (قلع) (البيتان السادس والسابع) دون نسبة، الصحاح (لغو) (عجز البيت) دون نسبة، تاج العروس (قلع) (البيتان السادس والسابع)، لغو (ما عدا الثاني).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

١- لشغلهم بدلاً من ليشغلهم في تاج العروس/ يُحصصنا: يحملنا عليهم. أرابو: تشككوا.

٦- القلعان: هما صلاءة وشُريخ ابنا عمرو بن خويلفَة من بني نُمير.

٨- يدبُ بدلاً من يدف في تاج العروس. يدف: يدب ويسير بلين.

٩- أخش بدلاً من أجش في تاج العروس، أجش: الغليظ الصوت.

١٠- واردات: هضبات عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها.

١٢- تعيلت: أهملت لموت عائلها. الكعاب: جمع كاعب، وهي مَن نهد ثديها وبرز.

مناسبة النصّ: الغارات بين القبائل في جزيرة العرب، هي القاعدة في حياة البادية. فيذكر أبو الفرج الأصبهاني أنّ قبيلة كلاب ارتحلت لمقاتلة نُمير في هضبات يقال لهنَّ واردات، فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نُميرًا ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة هذا النصّ مجيبًا عُمارة بن عقيل الذي حَرّض كعبًا وكلابًا ابني ربيعة على نمير بأبيات مطلعها:

رأيتُكما يا ابْني ربيعةَ خُرْتُما   وعَوّلتُما والحربُ ذات هريرِ

- الأغاني ١٣/١٨٦-١٨٧.

(٢)   (من الطويل)

١- ألا هل أتى كعبًا على نأي دارهم   وخذلانهم أنا سَرَرنا بني كعبِ

٢- بما لقيتْ منا نُميرٌ وجمعُها   غَداةَ أتينا في كتائبنا الغُلبِ

٣- فيا لك يومًا بالحِمى لانرى له   شبيهًا وما في يوم شيبان من عتبِ

٤- أقامت نمير بالحمى غير رغبةٍ   فكان الذي نالت نمير من النهبِ

٥- رؤوس وأوصال يزايل بينها   سِباعٌ تَدلّت من أبانَيْنَ والهضبِ

٦- لنا وقعاتٌ في نمير تتابعت   بضيمٍ على ضَيم ونكبٍ على نكبِ

٧- وقد علمتْ قيسُ بن عيلان كلُّها   وللحرب أنباء بأنا بنو الحربِ

٨- ألم ترهم طُرًّا علينا تحزّبوا   وليس لنا إلا الرُّدَينيّ من حزبِ

٩- وإنا لنقتادُ الجيادَ على الوجى   لأعدائنا من لا مُدان ولا صقبِ

١٠- ففي أي فجٍّ ما ركزنا رِماحَنا   مخوفٍ بنصب للِعدا حين لا نصبِ

التخريج: الأغاني ١٣/١٨٥-١٨٦.

معاني المفردات:

(٢) الغُلب: جمع غلباء، وهي العزيزة الممتنعة.

(٥) يزايل: يفارق. الأبانان: جبلان يقال لأحدهما: الأبان الأبيض وهو لبني فزارة، والأبان الأسود لبني أسد. وقال ابن منظور في اللسان (ابن) عكس ذلك.

(٦) نكب: كالنكبة، وهي المصيبة.

(٨) الرُّدينـي: الرمح المنسـوب إلى ردينة وهي امرأة سَـمْهر. وكانا يقوّمان الرماح. من حزب: من جماعة تنصرنا.

(٩) الوجى: الوجع في حافر الفرس. المدانيّ: القريب وكذلك الصقب.

(١٠) النصب: الشر.

مناسـبة النصّ: الغارة التي شـنتها كلاب على نمير لم تشـارك فيها كعب، بالرغم من عمومة كلاب وكعب، كونهما أبناء ربيعة، فما كان من الشاعر ناهض بن ثومة إلا هجاء كعب. وفي هذا يقول الأصـبهاني: «وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين، فلم تصب كلابًا ولا نميرًا، فلما ظفرت كلاب قال لهم ناهض».

- الأغاني: ١٣/ ١٨٥.

(٣) (من الوافر)

١- أمِـن طلل بـأخـطب أبَّدتـه ... نجاء الوبل والـدِّيَمُ النضاحُ
٢- وَمـرُّ الدهـر يومًا بعد يوم ... فما أبقى المساءُ ولا الصباحُ
٣- فكلُ مَحلّة غنِيت بسلمى ... لـربَـدات الـريـاح بها نُـواحُ
٤- تَظُلُّ على الجفونِ الحزن حتى ... دمـوع العين نـاكـزةٌ نـزاحُ
٥- هنيئًا للعِدَى سخطٌ وزعمٌ ... وللفرعين بينهما اصطلاحُ
٦- وللعين الـرُّقادُ فقد أطالت ... مسـاهرة وللقلب انتجاحُ
٧- وقد قال العُداةُ نرى كلابًا ... وكعبًا بين صلحهما افتتاحُ
٨- تداعوا للسَّلام وأمر نُجْح ... وخير الأمـر ما فيه النجاحُ
٩- ومدُّوا بينهم بحبال مَجْدٍ ... وثـدي لا أجَـدُّ ولا ضَبَـاحُ
١٠- ألم ترَ أنّ جَمْعَ القوم يُخشى ... وأنّ حَـريمَ واحـدهـم مباحُ
١١- وأنّ القدحَ حين يكون فردًا ... فيُهْصـرُ لا يكونُ له اقتداحُ
١٢- وإنك إن قَبضت بها جميعًا ... أبت ما سمت واحدها القداحُ

١٣- أنا الخطَّارُ دون بني كلاب	وكعبٍ إن أُتيح لهم متاحُ
١٤- أنا الحامي لهم ولكل قرم	أخٌ حام إذا جدّ النِّضاحُ
١٥- أنا الليثُ الذي لا يزدهيه	عُواءُ العاوياتِ ولا النباحُ
١٦- سَل الشعراء عني هل أقرَّت	بقلبي أو عفت لهمُ الجراحُ
١٧- فما لكواهل الشُّعراءِ بُدٌّ	من القَتَب الذي فيه لحاحُ
١٨- ومن توريك راكبه عليهم	وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا

التخريج: الأغاني ١٣/١٨٢-١٨٣، محاضرات الأدباء ١/٥٥٨ (البيتان العاشر والحادي عشر).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(١) أخطب: اسم جبل بنجد. أبدته: أوحشته. نجاء: شدّة. الديم: جمع ديمة، المطر الخفيف الدائم. النضاح: التي تنضح بالماء

(٣) غنيت: عمرت. الربدات: جمع ربدة، وهي الريح كثيرة الهبوب.

(٤) تطلّ: أراد بها أنها تهدر الحزن وتبطله.

(٩) الأحد: المقطوع. الضباح: اللين الرقيق الممزوج.

(١٠) يُحشى: بدلاً من يخشى في الأغاني.

(١١) القدح: العود. يهصر: يكسر. الاقتداح: الضرب به.

(١٣) الخطار: الذي يخطر بالسيف ويهزه معجبًا. المتاح: ما يتاح ويقدر.

(١٤) القرم: السيد. النضاح: الدفاع، يقال هو ينافح عن قومه؛ أي يذب عنهم في هذا البيت.

(١٦) عفت: زالت وانقطعت.

(١٧) القتب: الرحل. اللحاح: العقر والكسر.

(١٨) التوريك: الاعتماد على الورك. ألاحوا: أعرضوا.

(*) بعد البيت الرابع قال أبو الفرج الأصبهاني: «وهي طويلة يقول فيها»، وهذا يعني أن هذه الأبيات هي من القصيدة وليست كلها.

مناسبة النصّ: نشبت معركة بين بني كلاب وبني كعب، لكن العقلاء منهم تدخلوا لإيقافها بالصلح بينهما، فقال ناهض:

(٤) (من الطويل)

١- لِمَنْ طُلَلٌ بَيْنَ الكَثيب وأخْطِب مَحَتْه السَّواحي والهَدام الرَّشائشُ

٢- وجَرُّ السَّوافي فارتَمَى فوقَهُ الحَصَى فدفُّ النَّقا منه مُقيمٌ وطائشُ

٣- ومَرُّ الليالي فهو من طول ما عَفَا كبُرْدِ اليماني وَشّهُ الحبرَ نامشُ

التخريج: معجم البلدان/ أخطب، تاج العروس/ نهض، خطب (الأول فقط)، وشوش (الثالث فقط).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(١) حمته بدلاً من محته في معجم البلدان.

السواحي: مجارف الطين.

(٢) قومه بدلاً من فوقه في معجم البلدان.

(٣) وَشْيُه بدلاً من وشه في تاج العروس (نهض).

الجر بدلاً من الحبر في تاج العروس (وشوش).

مناسبة النص: في تفسير ياقوت الحموي لمفردة أخطب، وضع احتمالين: أحدهما كون الكلمة تدل على اسم تفضيل والأخرى اسم جبل بنجد. وهذا هو الشائع الذي أخذ به صاحب التاج.

(٥) (من الطويل)

١- **فما العهدُ من أسماءَ إلا مَحَلّةً** **كما خُطَّ في ظهر الأديم الرواقشُ**

٢- **برُمْحين أو بالمنحنى دبَّ فوقها** **سَفا الريحُ أو جذع من السهل خادِشُ**

التخريج: معجم البلدان (رُمّحٌ)

معنى المفردة:

(١) الرواقش: الرقش هو تزويق الكلام.

مناسبة النصّ: يثني ناهض على قومه باعتبار أنّ (ذات الرمح) في ديار بني كلاب لبنى عمرو بن ربيعة، وهي ماء لهم قد حافظوا عليها.

(٦) (من الطويل)

١- **أنا الشاعر الخطّارُ من دُون عامرٍ** **وذوالضَّغْمإذبعضُالمحامينناهشُ**

٢- **بخبطٍ كخَبْطِ الفيلِ حتى تركته** **أُميمًا به مُسْتدمياتٌ مقارشُ**

التخريج: الحيوان ١١٢/٧

معنى المفردة:

(٢) الأميم: الذي بلغت طعنته أم الدماغ. في الحيوان: مقاش والصواب ما أثبتناه.

- كما يرى عبد السلام محمد هارون: «يقال: أقرشت الشجة، فهي مقرشة، إذا صدعت العظم ولم تهشم».

مناسبة النص: يتباهى ناهض بقوته ويقرنها بالفيل الذي إنْ رمى أحدهم شخصًا تحته، فإنه لن ينجو من الموت.

(٧) (من البسيط)

١- **تَقَمَّمَ الرَّملَ بالضُّمْرين وابلُهُ** **وبالرَّقاشَين من أسْباله شَمَلُ**

التخريج: معجم البلدان/ ضُمْرٌ

معنى المفردة:

(١) الضمران: هما الضمر والضائن، ماآن لبنى سلول.

وابله: الوابل: المطر الشديد. الرقاشان: مثنى رقّش؛ أي حَسّن الخط ،وتأتي اسمًا لجبلين.

مناسبة النصّ: يذكر ناهض أن الضمرين والرقاشين في ملتقى دار كعب وكلاب.

(٨) (من الوافر)

١- سلامُ الله يا مالِ بن زيد عليكَ وخير ما أُهدي السلاما
٢- تعلَّمْ أيّنا لكمُ صديق فلا تستعجلوا فينا الملاما
٣- ولو كُنَّا وحيٌّ بني نمير عُداةٌ لا نرى أبدًا سلاما
٤- وإن كنا تكافَفْنا قليلاً كحرف السيف ينهار انهداما
٥- وهَيْضُ العظم يصبح ذا انصداع وقد ظنَّ الجهولُ به التئاما
٦- فلن ننسى الشبابَ المُرْدَ منَّا ولا الشِّيبَ الجحاجِحَ والكراما
٧- ونَوْحَ نوائحٍ منا ومنهم مآتمَ ما تجف لهم سِجاما
٨- فكيف يكون صلحٌ بعد هذا يُرجِّي الجاهلون لهم تماما
٩- ألا قُلْ للقبائل من تميمٍ وخُصَّ لمالك فيها الكلاما
١٠- فزيدوا يا بني زيدٍ نُمَيْرًا هَوانا إنه يُدْني الفطاما
١١- ولا تُبقوا على الأعداء شيئًا أعزَّ اللّهُ نصركم وداما
١٢- وجدتُ المجدَ في حيَّيْ تميم ورَهْطِ الهَذلق الموفي الذِّماما
١٣- نُجومُ القوم ما زالوا هُداةً وما زالُوا لآبيهم زِماما
همُ الرأس المقدَّم من تميم وغاربُها وأوَفاها سَنَاما
إذا ما غاب نجمٌ آب نجمٌ أغرُّ نرى لطلعته ابتساما

فهذي لابن ثُومةَ فانسبُوها	إليه لا اختفاءَ ولا اكتتاما
وإن رغِمت لذاك بنو نُمَيرٍ	فلا زالت أنوُفُهم رَغاما

التخريج: الأغاني ١٣/ ١٨٤-١٨٥، تاج العروس/ نهض (السادس عشر)/ ثوم (السادس عشر).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(٣) **العرب:** في الأغاني (ولكنَّا... عداةٌ)

(٤) تكافَفنا: كفّ بعضنا عن بعض. السِّيف (بكسر السين): جانب الشاطئ.

(٥) الهيض: الكسر بعد الجبر.

(٦) الجحاجيح: سادة القوم. جمعه جحجيح.

(٧) السجام: دمع العين وهو يسيل.

(١٢) الهذلق: هو ابن بشير أخو بني عتيبة ابن الحارث بن شهاب.

(١٣) الآبي: الكاره.

(١٤) الغارب: الكاهل، أو ما بين السنام والعنق.

(١٦) أخت بدلاً من ابن في تاج العروس/ نهض، ثوم)

- الاكتتام: الاختفاء.

(١٧) رغم: ذل. وأنوفهم رغام: أي ذليلة.

مناسبة النصّ: ذكر أبو الفرج الأصبهاني «أنَّ وقعة كانت بين بني نُمَير وبني كلاب بنواحي ديار مُضر، وكانت الغَلَبة لكلاب، وأنّ نميرًا استغاثت ببني تميم. ولم تجب تميم خوفًا من توسع الحرب، وعرضوا الصلح بين القبيلتين، فقال ناهض محرِّضًا لرفض الوساطة.

(٩) (من الوافر)

١- أغـرُّ يـفـرِّجُ الظّلْماء عَنْهُ ... يُـفَـدَّى بـالأعَـمِّ وبـالأبـيـنَـا

التخريج: لسان العرب/ أبي.

مناسبة النصّ: قال ابن منظور: «وشاهد قولهم أبون في الجمع قول ناهضِ الكلابـي لمن ذهب في هذا الرأي، فجاءت لفظـة أبين جمعًا مجرورًا مع علمنا أن أب تجمع آباء».

(١٠) (من الطّويل)

١- ألا يا اسلما يا أيُّها الطللان ... وهلْ سالمٌ باقٍ على الحَدَثانِ
٢- أبِينا لنا حُيِّيتما اليومَ إننا ... مُبينان عن مَيْلٍ بما تسلانِ
٣- متى العهدُ منْ سلمى التي بتَّت القُوى ... وأسماء إنَّ العهد منذ زمانِ
٤- ولا زال ينهلُّ الغُمامُ عليكما ... سبيلَ الرّبى من وابلٍ ودجانِ
٥- فإن أنتما بيّنتما أو أجبتما ... فلا زلتما بالنبت ترتديانِ
٦- وجُرَّ الحريرُ والفرندُ عليكما ... بأذيال رَخْصَاتِ الأكُفِّ هجانِ
٧- نظرتُ ودوني قيدُ رُمحين نظرةً ... بعينين إنسانـاهما غرقـانِ
٨- إلى ظُعُنٍ بالعاقرَين كأنّها ... قرائنُ من دَوحِ الكثيب ثمانِ
٩- لسلمى وأسماءَ اللتَيْن أكنَّتَا ... بقلبي كَنينَي لوعةٍ وضمانِ
١٠- عسى يُعقبُ الهجرُ الطويل تدانيًا ... ويا رُبَّ هجرٍ معقبٍ بتداني
١١- خليليَّ قد أكثرتُما اللوم فاربعا ... كَفاني ما بي لو تركتُ كفاني
١٢- إذا لم تصلْ سَلمى وأسماءُ في الصبا ... بحبليْهما حَبْلي فمن تصلانِ
١٣- فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ... ومعواه من نجرَانَ حيث عواني
١٤- عوى أسدًا لا يزدهيه عواؤه ... مقيمًا بلوذي يذبلٍ وذقانِ
١٥- لعمري لقد قال ابن أشعرَ نافعٌ ... مقالة موطوء الحريم مهانِ
١٦- أيزعُم أن العامري لفعله ... بعاقبةٍ يمرى به الرجوانِ
١٧- ويذكر إن لاقاه زلة نَعلِه ... فجىء للذي لم يستبن ببيانِ

١٨- كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ   فدَع ما تمنى زلتِ القدمانِ
١٩- أصيب فلم يُعقَل وطل فلم يُقَد   فذاكَ الذي يَخزَى به الأبوانِ
٢٠- وحق لمن كان ابن أشعر ثائرًا   به الطّلُّ حتى يحشر الثقلانِ
٢١- ذليلٌ ذليل الرهط أعمى يسومهُ   بنو عامر ضيمًا بكل مكانِ
٢٢- فلم يبق إلا قولُه بلسانه   وما ضَرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانِ
٢٣- هجا نافعٌ كعبًا ليدرك وِتره   ولم يهجُ كعبٌ نافعًا لأوانِ
٢٤- ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه   قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوانِ
٢٥- وقد خَضّبوا وجه ابن علبةَ جعفرٍ   خضابَ نجيع لا خضاب دِهانِ
٢٦- فلم يهجُ كعبًا نافعٌ بعد ضربةٍ   بسيفٍ ولم يطعنْهُمُ بسنانِ
٢٧- فما لكَ مَهْجًى يا بن أشعر فاكتَعِم   على حجر واصبر لكلِّ هوانِ
٢٨- إذا المرءُ لم ينهض فيثأرْ بعمِّه   فليس يُجلّى العارُ بالهذيانِ
٢٩- أبي قيسُ عيلانٍ وعمّيَ خندفٌ   ذوا البذخ عند الفجر والخطرانِ
٣٠- إذا ما تجمَّعنا وسارت حِذاءنا   ربيعةُ لم يُعَدَل بنا أخوانِ
٣١- أليس نبيَّ الله منّا محمدٌ   وحمزةُ والعباسُ والعمرانِ
٣٢- ومنا ابن عباسٍ ومنا ابنُ عمِّه   عليٌّ إمامُ الحقِّ والحسنانِ
٣٣- وعثمانُ والصّديق منا وإننا   لنعلَم أنّ الحقَّ ما يعدانِ
٣٤- ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم   هَلُمُّوه أولاً ينطقَنَّ يمانِ

التخريج: الأغاني ١٣/١٧٥-١٧٧، الوافي بالوفيات ٢٠/٣١٤ (الأول - السادس باختلاف الترتيب).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(٢) مثل بدلاً من ميل، وتسألان بدلاً من تسالان في الوافي الوفيات.

(٣) جاءت (القوى) مع الشطر الأول في الوافي.

بتت: قطعت.

(٤) جاءت (سبيل) مع الشطر الثاني في الوابل.

الوابل: المطر الشديد، دجان: الأمطار الكثيرة.

(٥) النبت بدلاً من النور في الوابل.

(٦) الفرند: ضرب من الثياب. الهجان: البيض.

(٧) قِيد (بكسر القاف): القدر والمقدار.

(٨) الظُعُن (بضم الأول والثاني): الهودج، وأيضًا المرأة في داخله.

(العاقرين): أرضان في وادي العقيق. المتمثلات: المتكافئات.

الروح: الشجر. الكثب: الرمل.

(٩) كنيتي: مثنى كنين، أي مكنون: محفوظ.

(١١) أربعا: أمسكا وتوقفا.

(١٣) مغواه: صوته.

(١٤) اللوذ: جانب الجبل وما يطيف به. يذبل وذقان: جبلان.

(١٥) الموطوء: المداس، المحتقر.

(١٦) الرجوان: من استهين به استهزاء، والرجا: الناحية.

(١٩) لم يعقل: لم يؤدَّ دِيَتُه. الطلّ: هدر الدم.

(٢٤) القوارع: الإصابات. الوضح: الإصابة في الوجه. القواني: الشديدة الحمرة.

(٢٥) النجيع: دم الجوف.

(٢٧) اكتعم: قال محققو الأغاني عنها: «لم توجد في المعجمات» .. أقول: إنّ السياق يقرِّبنا إلى مادة (كعم) التي تعني شَدَّ فاهُ. والمراد: أغلق فمك.

(٢٩) الخطران: أن يرفع المحارب رمحه وسيفه، ثم يضعها أخرى،

مناسبة النص: القصيدة هي هجاء نافع بن أشعر الحارثي، وهو من بني الحارث بن كعب، وسجل انتصاره عليه بها، على رأي الأصبهاني.

(١١) (من الوافر)

١- سُلَيمْى لو شَهدتِ مُرامَرات ... وقَدْ حَشَد القبائل يَنْظرانِ

٢- إلى ابن أخيها لما اسْتَهلّت ... سمي الموت في قَلعٍ دَوانِ

٣- لطَامَنْتِ القَنَاعَ ولم تراعي ... وأسبَغت القُنَانَ على البنانِ

التخريج: التعليقات والنوادر ١/٢١٧-٢١٨.

معنى المفردات:

(١) مرامرات: اسم مكان.

(٢) قلع: قطع من السحاب وكأنها الجبال.

(٣) القنان: جمع القن: كُم القميص.

مناسبة النصّ: قال أبو علي الهَجَريَ في تعليقه: «أهل السَهْل يُسمُّوْن الكم القُنَان والجمع آقنّه. قال: ولا يعرف في كلامنا غيره».

(١٢) (من الوافر)

١- يُقاتِلُ مَرَّةً ويَعِينُ أُخرى ... فَفَرَّتْ بالصَّغار وبالهَوانِ

التخريج: لسان العرب (عين)، تاج العروس (عين).

مناسبة النص: استشهد ابن منظور في اللسان على أن اعتان لنا بمعنى أوتاد لنا... وأن عانَ لهم كاعتان.

(١٣) (من البسيط)

١- يا حَبَّذا عمَلُ الشيطان من عمل ... إنْ كان من عَمل الشيطان حُبِّيها

٢- لَنَظرةٌ من سُليمى اليومَ واحدةٌ ... أشهى إليّ مِنَ الدُّنيا وما فيها

التخريج: الأغاني ١٣/ ١٧٤.

معنى المفردة:

(١) حبيها: أي حبي إياها.

مناسبة النصّ: استشهد به الرياشيّ بقوله: «أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطاف الكلابيّ هذين البيتين لنفسه».

الهوامش:

(*) العرب: تنشر العرب هذا البحث المتضمن جمعًا لشعر ناهض بن ثومة الكلابي على اعتبار أنه معالجة جديدة لشعر هذا الشاعر، وإلا فإن الباحث مسبوق بجمع أقدم لشعر ناهض قام به الدكتور إبراهيم النجار في كتابه "مجمع الذاكرة، أو شعراء عباسيون منسيون" (الجامعة التونسية، ١٩٨٧م) مستخدمًا المصادر نفسها ما عدا في بعض الأبيات. ولا يزيد عمل الباحث الجديد عبدالعزيز إبراهيم (١٠٦ أبيات) على عمل الدكتور النجار (٩٩ بيتًا) إلا بسبعة أبيات هي: (٦/٧ و٧، و٩ و١١ (٣أبيات) و١٢).

وقد سبق للعلامة حمد الجاسر أن عقب على عمل الدكتور النجار عند صدوره بتعقيب مفيد، وذلك ببحث عنوانه "شعر ناهض بن ثومة الكلابي"، (العرب ج١، ٢س ٢٥ رجب / شعبان ١٤١٠هـ - شباط / آذار (فبراير / مارس) ١٩٩٠م، ص ص ١-٢٣) أشار فيه إلى أن النجار جمع ٩٩ بيتًا، في سبع مقطوعات، وبين أن شعر ناهض الباقي أكثر من ذلك، واستدرك عليه ١٣٣ بيتًا ذكرها الهجري في "التعليقات والنوادر" منها ٣ أبيات وردت في القسم المطبوع منه (أوردها د.عبدالعزيز إبراهيم في مجموعة). وتتمثل الزيادات في ٣ قصائد طوال، منها القصيدة الشينية التي أورد منها كل من د. النجار ود.إبراهيم ٧ أبيات، وهي في "التعليقات والنوادر" تتكون من ٥٠ بيتًا وهذه الزيادات جاءت في مخطوطة الجمعية الآسيوية في كلكتة في الهند، في القسم الذي لم ينشر في المطبوعة العراقية، وقد أوردها الجاسر في بحثه، ثم نشرها فيما بعد كاملة في كتابه: "التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات" (٢/٨٨٨-٨٩٥).

ويحسنُ ضم هذه الزيادات التي تفوق ما جمعه الباحثان الكريمان (د.النجار ود.إبراهيم) إلى شعر ناهض، حتى يتكون منه مجموع شعري مستقل يضم أكثر من ٢٤٠ بيتًا، مع الإشارة إلى جهود من سبق من الباحثين في الجمع والاستدراك.

أ.م.ض.

(*) الديوانية - **العراق**.

(١) **الأغاني** ١٣/١٧٥.

(٢) **تاج العروس** (نهض) ١٩/٥٤.

(٣) ما ذكره الزبيديّ في **التاج**، مادة (لغو) هو: «قال شيخنا: والبيت نسبوه لناهض الكلاعي وصدره (وقلنا للدليل أقم إليهم»: ج٢٩/٢٣٢. ولم يقل الشيخ، بل قال ما نصه في **القاموس المحيط** مادة (لغو) يُغلّط فيه الجوهري صاحب **الصحاح** فيقول: «وقول الجوهري لنباح الكلب لغو واستشهاده بالبيت باطل. وكلاب في (بيت) ابن أبي ربيعة بن عامر لا جمع كلب». ج/٣٨٦. مع علمنا أن الجوهري في مادة (لغو) لم يذكر صاحب البيت، واكتفى بعجزه. (ج٦/٢٤٨٣).

(٤) **الأغاني**: ١٣/ ١٧٥- ١٧٨.

(٥) **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**: ١/٥٥٨.

(٦) **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٣١٤.

(٧) **تاج العروس من جواهر القاموس** ١٩/٥٤، ٣٩/٢٣٢.

(٨) **تاريخ آداب اللغة العربية** ٢/٣٩٨.

(٩) **الأعلام** ٨/٦.

(١٠) **طبقات النحويّين واللغويّين**/ ٩٩، وينظر الفهرست/ ٦٤.

(١١) المصدر نفسه: ١٨١، وينظر الفهرست/ ٦٠.

(١٢) **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٣١٤.

(١٣) **الأعلام**: ٨/٦.

(١٤) **تاريخ آداب اللغة العربية**: ٢/٣٩٨.

(١٥) **الأغاني**: ١٣/١٧٤.

(١٦) المصدر نفسه: ١٣/١٧٥.

(١٧) **ديوان جرير**: ٢/٨٢١.

(١٨) **العرب**: البيت الثاني في الجمل في النحو للخليل بن أحمد، تحقيق قباوة وقافيته (قوارش) ص٢١٥.

(١٩) **العرب**: وأيضًا في الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ص٢٠٩.

وبلاد العرب المنسوب للغدة ص١٥١.

عوامل قيام النشاط التجاري البحري

لجنوب الجزيرة العربية في العصر الإسلامي والوسيط

(٢)

أ.د. محمد عبده السروري [*]

١- **الجزر الواقعة بين الصين والهند**: توجد عدة جزر وبلدان بين الهند والصين كانت لها علاقات تجارية مع البلاد العربية وفيها أنواع السلع التجارية، منها الآتي:

جزيرتا قماري والصنف غرب الصين: وأهم السلع التجارية بهما العود الجيد، وأفضلها العود الصنفي[١]. ويستوطن جزيرة الصنف «مسلمون ونصارى وعُباد الأصنام»، وكان دخول الإسلام إليها منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم استوطنها العلويون الفارُّون من بني أمية والحجاج[٢].

وعن السلع التجارية الأخرى التي كانت توجد في بلدان جزيرة الصنف، فهي: «الكافور والجوزبوا والبسباسة والقرنفل والقاقلة والكبابة»، ومثلها يوجد في جزيرة ملاي[٣].

جزيرة البكبالوس (النجبالوس): ومن أهم السلع الموجودة فيها: العنبر والنارجيل والحديد، إلا أن أكثر تجارتهم بالحديد. وكانت المراكب التجارية الصغيرة والكبيرة تأتي إليهم لشراء هذه السلع[٤].

جزيرة إندونيسيا Indonesia – جاوةJaw : هي من المراكز التجارية المهمة التي كان التجار العرب والمسلمون يصلون إليها. وأهم السلع التجارية الموجودة بها هي: الأفاوية العطرة والعود الطيب والقاقلي والقامري والقنصوي والعودي الجاوي. بالإضافة إلى الكافور والقرنفل والبسباسة(٥). وهي السلع التي كان التجار يأتون لاستيرادها. كما وجد بها سلع ثمينة؛ مثل جوز الطيب وسنبل الطيب والخلجان والفلفل، وأنواع التوابل والعقاقير(٦)، فضلاً عن ذلك وجد بها الغضائر الصين التي كانت تصدر إلى سائر البلدان.

جزيرة الرامني أو الرامي (سومطرة) Sumatra: من المراكز التجارية التي كانت لها علاقة تجارية مع التجار العرب والمسلمين. ومن أهم السلع التجارية الموجودة بها: الذهب والفضة، والكافور الجيد، وأنواع الأفاوية، واللؤلؤ الفائق في الجودة، والكركدن، والخيزران، والبقم، والنارجيل، وكان أهل هذه الجزيرة إذا اجتاز بلادهم مركب تجاري تبادلوا معهم السلع التجارية، فيبيعونهم العنبر، ويشترون منهم الحديد(٧).

وكان أهل عُمان ومربط من بلاد اليمن أحيانًا يأتون إلى هذه الجزائر ومعهم آلة النجارة وآلة القطع وغيرها لقطع ما أرادوا من خشب النارجيل، وبعد أن يجف يحملونه إلى بلادهم لبيعه لمن يصنع منه المراكب والصواري. كما أنهم يصنعون من خواصه أشرعة ومن ليفه حبالاً يستخدمونها لربط الخشب بعد أن يجف، أو يستخدمونها بدلاً من المسامير في صناعة المراكب التجارية(٨)، وعلى ذلك فإن خشب النارجيل كان أحد السلع التجارية التي كان يصنع منها المراكب.

كله (كلبار) (كله بار) Calah bar: كانت من أعظم الموانئ التجارية في العالم آنذاك، لوقوعها من منتصف الطريق البحري الموصل بين بلاد الصين وبلاد العرب(٩). وعن نشاطها التجاري فهي محطة إنزال وتحميل أنواع السلع التجارية بين أنحاء البلدان. ومن حيث وجود السلع التجارية بها، فتوصف

بأنها «مجمع الأمتعة من الأعواد والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعي والأبنوس والبقم والأفاوية كلها، وغير ذلك مما يتسع ويطول شرحه. والجهاز في هذا الوقت إليها ومنها إلى عُمان واقع»(١٠)، ويسكنها للعمل التجاري مسلمون وغيرهم. ويتميز الرصاص القلعي بأنه صافٍ في الجوهر وكثير، والتجار يأتون لشرائه من أنحاء الأرض(١١).

ويصف المسعودي نشاطها التجاري بقوله: «وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعُمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم»(١٢). والسبب في ذلك الخوف من غرق المراكب التجارية الإسلامية لعدم وجود خبرة كافية لربابنة المراكب سلوك الطريق البحري إلى الصين(١٣).

يضاف إلى ذلك خوف التجار من الصراع السياسي الذي ينتج عنه زيادة الضرائب أو تلف تجارتهم. وكانت هذه الحالة، وهي توقُّف مراكب أهل الصين والعرب والمسلمين في كله بار في بداية القرن الرابع الهجري. أما ما قبل ذلك، فقد كانت المراكب الصينية تصل إلى عُمان وسيراف، يذكر ذلك المسعودي بقوله: «وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عُمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأُبُلَّة والبصرة»(١٤).

سرنديب (سيلان): من المراكز التجارية المهمة التي قدم إليها التجار العرب، وأهم السلع الموجودة بها هي: أنواع اليواقيت بجميع ألوانها(١٥). وهو «الجوهر الأحمر والأخضر والأصفر»(١٦).

كما يوجد بها أنواع العطر؛ مثل العود والأفاوية ودابة المسك ودابة الزبادة، بالإضافة إلى البلور والماس، وأنواع الأحجار الكريمة(١٧)، وكان يسكن هذه الجزيرة «مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وكفرة»، وكان «لكل طائفة حاكم لا يبغي بعضهم على بعض، وكلهم راجعون إلى ملك المسلمين يسوسهم بجمع كلمتهم»(١٨).

وعن نشاطها التجاري، فقد كان: «إليها تقصد مراكب أهل الصين وسائر بلاد الملوك المجاور له»، كمان كان يقصدها للتجارة «أهل عُمان ومربط من بلاد اليمن»[١٩].

٢- **الهند**: كانت بلاد الهند من أهم البلدان التي كان لها نشاط تجاري مع البلدان العربية والإسلامية. وتوصف بأنها بلد واسع كثيرة العجائب. وعن النشاط التجاري معها، فقد كان التجار يصلون إلى المراكز أو الموانئ التجارية المنتشرة على سواحلها ويحملون «منها كل طرفة إلى سائر البلاد». أما أهم السلع التجارية الموجودة بها، فهي الياقوت الأحمر، والصندل الأبيض، والمسك، والزبادة والعنبر والعود والكافور، وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني (القرفة) وأنواع العقاقير، والعاج والساج والتوتياء، والماس، والذهب وسيوف الهند وغيرها[٢٠].

ويعد ساحل المليبار، وهو الساحل الغربي للهند، أهم مكان انتشرت فيه الموانئ أو المراكز التجارية لكثرة الفلفل فيه، حيث أطلق عليه بلاد الفلفل[٢١]. ولأهمية الفلفل فقد كان يحمل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وكان أهم المراكز التجارية في هذا الساحل هي كولم وقاليقود وهيلي، التي كانت المراكب الصينية والعربية تصل إليها[٢٢]. ونختصر ذكر أهم المراكز التجارية بالآتي:

كولم Kalam (**كليون**): من أعظم موانئ الهند، ويقع على خور من البحر، كما أنها «من أحسن بلاد المليبار»[٢٣]، وتقع آخر بلاد الفلفل من الشرق، ويوجد بها حارة خاصة للمسلمين وبها جامع[٢٤].

وعن نشاطها التجاري، فتوصف أسواقها بأنها حِسان، ويوجد بها من التجار المسلمين جماعة كبيرة يلقون فيها الاحترام والتقدير، وكان كبير التجار المسلمين فيها أيام زيارة ابن بطوطة هو علاء الدين الإيجي من أهل أوى من بلاد العراق وكان رافضيًّا، أما كبير التجار المسلمين، فيها فهو محمد شاه بندر. ويذكر أن

كولم أول الموانئ الموصلة من بلاد المليبار إلى الصين والعكس، يصل إليها أكثر التجار القادمين من الصين[٢٥]. كما أنها من أهم المراكز التجارية مع إفريقيا، وأيضًا من أهم المراكز التي منها نقلع المراكب التجارية إلى عدن[٢٦].

وتصنع في كولم الغضار الصيني، ولونه داكن، ويصدَّر إلى أنحاء البلدان العربية والإسلامية على أنه صيني، وهو أقل جودة من الغضار المصنوع في الصين، الذي يتميز باللون الأبيض والمتانة وتحمل الحرارة[٢٧].

أما عن أهم السلع التجارية فيها، فهي الأعشاب الطبية والعقاقير والخيزران والساج وغيرها، ومنها تُجلب هذه السلع التجارية إلى عدن، ثم إلى مصر وغيرها[٢٨].

قاليقوط أو كاليكوت Calicut: يوصف مرساها بأنه «من أعظم مراسي الدنيا». وهو بذلك أحد الموانئ الكبيرة أو المراكز التجارية في بلاد المليبار بالهند. وعن نشاطها التجاري، فيوصف بأنه «يجتمع بها تجار الآفاق»، ومن أهمهم تجار الصين وجاوة وسيلان والمهل واليمن وفارس. وكان أمير التجار بها زمن ابن بطوطة إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين. أما أشهر التجار بها، فهو الناخوذة مثقال، الذي كان يملك الأموال الطائلة والمراكب التجارية الكثيرة التي كانت تسافر إلى الصين واليمن وفارس[٢٩].

وعن أهم السلع التجارية فيها، فهي «الأحجار الكريمة واللؤلؤ والعطور والتوابل والبخور والحرير الصيني»[٣٠].

منجرور (مانجلور): أحد الموانئ الكبيرة الواقعة على خور كبير، وهو أكبر خور ببلاد المليبار. وعن نشاطها التجاري، فقد كان ينزلها «معظم تجار فارس واليمن». وأكثر ما بها من السلع التجارية: الفلفل والزنجبيل.

مدينة هيلي: من المدن الكبيرة، توصف بأنها حسنة العمارة، وتقع على

خور كبير تدخله المراكب الكبيرة. وعن نشاطها التجاري، فتصل إليها مراكب الصين، ويتوافد إليها الكثير من تجار العرب والمسلمين[٣١].

سندبور (جوا) Goa: من المراكز التجارية المهمة في بلاد الهند. وعن نشاطها التجاري، فتوصف بأنها مجمع الطرق، يستوطنها الكثير من العرب والفرس والهنود والصينين، وتصل إليها المراكب التجارية من عُمان وهرمز وعدن وزيْلع وجدة وكامباي. وأهم السلع المستوردة منها: الحرير والفلفل والبهار والزنجبيل والعقاقير وغيرها[٣٢].

ديو Dio: من المراكز المهمة في إقليم جوجيران بالهند، ويستوطنها التجار من العرب والهنود وغيرهم. وأهم السلع التجارية فيها هي التوابل. كما أنه يصل إليها الكثير من السلع التجارية من أنحاء الهند والصين وغيرهما، منها البورسلين والمسك والحرير والصندل والذهب والفضة واللؤلؤ وغيرها[٣٣].

مراكز بلدان الجزيرة العربية:

الموقع: تحتل بلدان جنوب الجزيرة العربية (عُمان واليمن) موقعًا بحريًّا متميزًا، يتوسط طرق التجارة البحرية الدولية، فهي تطل على بحار تتصل بعدة بحار أخرى موصلة إلى عدة بلدان وجزر، مليئة بالسلع التجارية، فكان لها دور كبير في جلب النشاط التجاري البحري إليها.

وعن أهم البلدان التي كان لها نشاط تجاري بحري مع جنوب الجزيرة العربية، فهي من جهة جنوب شرق آسيا: بلاد الصين، وبلدان الهند الصينية، وجزر إندونيسيا (جاوة وسومطرة)، وبلدان الهند والسند، وغيرها. ومن جهة جنوب شرق إفريقيا: البلدان والجزر التي يطلق عليها بلاد الزنج؛ منها: موزنبيق، وتنزانيا، والصومال، وجزر مدغشقر، والقمر، وزنجبار وغيرها. ومن

جهة الشمال عبر البحر الأحمر: مصر، والحجاز (مكة والمدينة)، والحبشة. وعبر الخليج العربي فارس، والعراق، ونجد، والبحرين وسيراف، وقيس وغيرها.

وبسبب هذا الموقع البحري المتميز لليمن وعُمان، فقد ورد عن نشاطهما التجاري قولهم: «من أراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان أو مصر»(٣٤). وفي هذا نختصر وصف النشاط التجاري البحري لأهم موانئ أو مراكز بلدان الجزيرة العربية عُمان واليمن بالآتي:

عُمان: تقع في الركن الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية، وهي تطل على مدخل الخليج العربي، وتتصل بحريًّا بالعديد من البلدان. لذلك كان لعُمان نشاط تجاري كبير، وأهم ما ورد عن نشاطها التجاري ما ينسب روايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «من تعذَّر عليه الرزق فعليه بعُمان»(٣٥). وتظهر أهمية عُمان، إضافة إلى نشاطها التجاري، أنها كانت محطة وصل تجاري، وهي أن المراكب التجارية القادمة من الصين والهند وشرق إفريقيا إلى فارس والعراق وسيراف والبحرين والبصرة تمر عبرها(٣٦).

وأهم السلع التجارية بعُمان: الخيل العِتاق التي تصدَّر من ظفار إلى الهند(٣٧)، كما كان اللبان يصدَّر من ظفار إلى سائر البلدان(٣٨). بالإضافة إلى وجود مغاص اللؤلؤ فيها(٣٩)، منها مغاص الدُّر بالبحرين، ووصف دُره بأحسن الأنواع(٤٠).

وعن نشاط أهم المراكز التجارية في عُمان، فقد اختلف كبر حجم نشاطها من وقت إلى آخر بحسب العوامل السياسية أو الاقتصادية، من أهمها صُحار ومسقط وقلهات وظفار وغيرها، نختصر إيرادها بالآتي:

صُحار: تعد صُحار عاصمة عُمان، وتقع على ساحل البحر، وهي من أهم المراكز التجارية في عُمان، وتوصف بأن «بها من التجار والتجارة ما لا يحصى

كثرة». كما توصف بأنها «أعمر مدينة بعُمان وأكثرها مالاً، ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس، بجميع الإسلام، مدينة أكثر عمارة ومالاً من صُحار»[٤١]، وكذلك توصف صُحار بأنها «أقدم مدن عُمان، وأكثرها أموالاً قديمًا وحديثًا، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن، وتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة ومتاجرهم مربحة»[٤٢].

بالإضافة إلى ذلك توصف صُحار بأنها «دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومعونة اليمن»[٤٣]، فضلاً عن ذلك «كان بصُحار مجتمع للتجار، ومنها يتجهز لكل بلده وإلى بلاد الهند والصين»[٤٤]. هذه الأوصاف تدل على كبر حجم النشاط التجاري لمدينة صُحار بعُمان، وأهميتها كمركز تجاري دولي في العصر الإسلامي.

مسقط: كان لها نشاط تجاري واسع، فتوصف بأنها «مجتمع المراكب التي تخرج من صُحار»[٤٥]، وعن نشاطها التجاري مع البلدان، فقد كانت السفن التجارية تسير من مسقط إلى كانتون بالصين مباشرة دون توقف[٤٦]. كما كانت المراكب التجارية تسير منها إلى كولم في الهند، ومنها إلى كله بار في ماليزيا[٤٧].

قلهات: تقع على مساحل بحر عُمان، وكانت إحدى الموانئ أو المراكز التجارية، وأكثر ما كانت السفن التجارية تصل إليها من الهند بعد الخمسمئة للهجرة، وكانت حينها تابعة لحاكم هرمز[٤٨]. وعندما زارها ابن بطوطة وصف أسواقها بأنها من أحسن الأسواق. وتركزت حياة أهلها على اعتمادهم التجارة التي كانت تأتيهم من الهند وغيرها. ولذلك كانوا يفرحون بوصول المراكب التجارة اليهم[٤٩].

مرباط في ظفار: كانت مرباط فرضة ظفار الحبوضي، وكانت المراكب التجارية تصل إليها من كلوة في شرق إفريقيا[٥٠]. كما كانت تصل إليها من كلة

والهند وعدن، ومنها إلى عُمان أو غيرها. وأهم السلع التجارية التي كانت تجلب منها اللبان، ومنها يحمل إلى سائر البلدان(٥١).

وبخصوص النشاط التجاري لأهل عُمان، مع ما كان يطلق عليه بلاد الزنج في شرق إفريقيا، كانت المراكب التجارية العُمانية والسيرافية تذهب إلى جزيرة قنبلو التي يعتقد أنها الجزيرة الخضراء أو مدغشقر، وإلى سُفالة في موزمبيق ومدنها وجزرها، ومنها الواق واق لجلب السلع التجارية من أهمها الحديد والذهب. إضافة إلى ذلك كان أهل عُمان يجلبون منها إلى بلادهم العاج أو سن الفيل، ومنها يتم تصديرها في الصين والهند(٥٢).

بالإضافة إلى ذلك كان مجمل أنواع السلع التجارية التي كانت سببًا لمجيء التجار إلى قنبلة وسُفالة والزنج قولهم: «إنما جاؤوهم لأن عندهم من الأمتعة ما يصلح لبلادهم والصين، مثل العاج والذبل والنمور والعنبر، ولأنهم يريدون الزنج لصبرهم على الخدمة وجلدهم»(٥٣).

وبالنسبة لنشاط عُمان التجاري مع بلدان جنوب شرق آسيا: كانت المراكب التجارية في بعض الأوقات تصل من الصين إلى عُمان وسيراف والبصرة مباشرة. كما كانت المراكب العُمانية والسيرافية تسير من مسقط في عُمان إلى كانتون في الصين مباشرة دون توقف(٥٤). من ذلك: وصل سنة ٣٠٠هـ مركب تجاري من الصين إلى عُمان يملك جميع ما فيه تاجر واحد، بلغت عشوره ألف ألف درهم ونيّف، وفي بعض الأوقات كانت المراكب الصينية والعُمانية تصل إلى كله بار، وهي منتصف الطريق بين البلدان، ولا يسمح بعدها بسير المراكب الصينية إلى عُمان أو المراكب العُمانية إلى الصين، بسبب عدم معرفة مسالك الطرق البحرية للبلدان، أو بسبب ظروف سياسية تمنع وصول المراكب التجارية إلى البلدين مباشرة.

كما كانت المراكب التجارية تصل إلى عُمان من عدة بلدان وجزر من جنوب

شـرق آسـيا، منها جزيرة الصـنف وقنصـوه بجـاوة، ومن ذلك أنه وصـل أحد التجار، وهو محمد بن باشـاد بمركبة التجاري من قنصــوه إلى عُمان، ومن كله بار في مالقا، ومنها قدم سنة ٣١٧هـ مركب تجاري إلى عُمان. وورد من سرنديب (سـيلان) في سـنة ٣١٧هـ إلـى عُمان مركب تجاري بلغت عشـوره سـتمائة ألف دينار[٥٥].

كذلك كانت لموانئ الهند علاقة تجارية كبيرة مع عُمان، حيث كانت المراكب التجارية تتجه من مسقط بعُمان نحو كولم بالهند ومنها إلى كله بار[٥٦]. والعكس من كولم إلى مسقط، ومن كولم إلى قاليقوط بالهند، ثم إلى ظفار بعُمان[٥٧].

اليمـن: تقـع في الركن الجنوبي العربي للجزيـرة العربية على مدخل البحر الأحمر، تتصل عبر البحر بعدة بلدان، تجلب منها أنواع السلع التجارية.

وعلـى الرغـم من أن حـكام اليمن كانـوا يحصـلون على أمـوال كثيرة من النشـاط الزراعي لمسـاعدتهم على اسـتمرار حكمهم وبقاء دولتهم، إلا أنه عند زيادة النشاط التجاري لليمن كانت توصف بأن «غالب أمواله من موجبات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة، مع مالها ومن دخل البلاد»[٥٨].

وعن أهم السلع التجارية في اليمن، فهي العصائب، وهي برود يمنية يعصب غزلها، والأدم (الجلود)[٥٩]. والعنبر في الشـحر. بالإضـافة إلى الجزع والشـب والكهرباء البحرية واللبان، الذي كان يوجد بكثرة في بلاد الشـحر وحضـرموت، ومنها تصـدر إلى الهند والصـين وخراسـان وجميـع الأقطار. يوجـد بها اللّك، ويحمل إلى مصـر وإلـى جميع البلدان. ويوجد بها كذلك الخيارشـنبر، والكندر والصـبر السـقطري، والقلقلان، والقسـطل الحلو، والورس. ومنها تصـدَّر إلى جميع البلدان.

يضاف إلى ذلك عدة سلع صناعية للمنسوجات؛ منها: الحبرات التي تحمل

إلى الكثير من البلدان، وكذا الأردية والعمائم العدنية والثياب السَّحولية، وكذا السيوف التي تشتهر بها اليمن، والتي يقال «إنها أشرف البلدان سيوفًا». بالإضافة إلى ذلك «العقيق والرقيق والنجب أو الإبل المهرية والخيل العِراب والنضار، وغير ذلك من أصناف الأمتعة والتجارات»(٦٠). هذه السلع كان لها دور كبير في زيادة النشاط التجاري لليمن، ومن أهم المراكز التجارية ميناء عدن نختصر نشاطها التجارية بالآتي:

عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن، «يحيط بها الجبال من جميع الجوانب»، عدا الجانب البحري الذي يستقبل المراكب التجارية، كما أن هذه الجبال يحيط بها البحر من جميع جهاتها. وبذلك فهي ميناء تجاري محصَّن من جميع جهاته.

وعن نشاطها التجاري توصف عدن بأنها بلد التجارة: «يجتمع إليها الناس، ويحمل إليها متاع الهند والسند والصين والحبشة وفارس والعراق»(٦١). كما توصف بأنها «من أعظم المراسي باليمن»، وأكبر خزانة مالية لحكَّامها.

كما توصف بأنها: «محط رحال التجار، لم تزل بلد تجارة من زمن التبابعة وإلى زماننا، عليها ترِد المراكب الواصلة من الحجار والسند والهند والصين والحبشة، ويمتار أهل كل إقليم منها ما يحتاج إليه إقليمهم من البضائع»(٦٢)، ولذلك قالوا عن نشاطها التجاري: «ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر منوعة، والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجارة مربحة، ولحطِّ المراكب عليها وإقلاعها مواسم مشهورة»(٦٣).

وعن المراكز أو الموانئ التجارية التي كان لعدن نشاط تجاري معها، ففي شرق إفريقيا: زيلع ومقديشو وكلوة وجزر القمر(٦٤). وصل مركب تجاري سنة ٦٢٦هـ من جزر القمر إلى عدن(٦٥)، في رحله مباشرة دون توقف. وفي جنوب شرق آسيا كانت المركب التجارية تتجه محملة بأنواع السلع التجارية من كله بار

إلى عدن، والعكس من عدن إلى كله. كما كانت المراكب التجارية تأتي من كله إلى الشحر(٦٦)، ومنها إلى عدن أو عُمان.

ومن ذلك تظهر أهمية عدن أنها حلقة وصل تجاري بين عدة بلدان، وذلك أن المراكب التجارية القادمة من الهند والصين وشرق إفريقيا إلى مصر والحجاز والحبشة تمر عبرها والعكس، وعلى ذلك فإن عدن كانت أهم المدن التجارية في بلاد العرب(٦٧).

العامل السياسي: كان للعامل السياسي دور كبير في التأثير على النشاط التجاري زيادةً ونقصًا. ونورد منها مثلين من الصين والخليج العربي بالآتي:

كانت مدن الصين التجاريه تتميز بسيادة العدل والنظام، كونها كانت تخضع لحاكم واحد، ساعد ذلك على النشاط التجاري بين الصين والبلدان العربية والإسلامية. وفي تلك الآونة كانت مراكب الصين التجارية تصل إلى بلاد عُمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأُبُلَّة والبصرة. كما كانت المراكب التجارية تصل من هذه البلدان إلى الصين مباشرة دون توقف في محطات.

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري، وبالتحديد سنة ٢٦٤هـ، جرت أحداث سياسية أثَّرت على النشاط التجاري بين الصين والبلدان العربية والإسلامية، من أهمها انعدام العدل والنظام، ووجود الظلم على التجار. أدى ذلك إلى توقف ذهاب التجار العرب والمسلمين إلى الصين مباشرة. كما توقف قدوم تجار الصين إلى البلاد العربية مباشرة. واتفق الطرفان على جعل مرسى كله بار في جزيرة الملايو محطة رئيسية لالتقاء تجار البلدين.

والسبب في ذلك يرجع إلى حدوث صراع سياسي بين ملك الصين وأحد الطامحين للسلطة، والمسمى يانشو، الذي تجمَّع حوله الكثير من الأنصار ممن يميل إلى رأيه. فاتجه بهم إلى محاربة ملك الصين، فشن الغارات على مدن

الصين المتعددة، من أهمها مدينة خانفو أو كانتون، التي تقع على نهر الصين العظيم، وكان يقصدها التجار العرب والمسلمون، وكوَّنوا فيها أكبر مجمع تجاري لهم. وكانت تصل إليها أنواع السفن التجارية من أنحاء البلدان؛ مثل البصرة وسيراف وعُمان ومدن الهند وجزائر الزابج أو إندونيسيا والصنف فيتنام وغيرها. ونتج عن مهاجمة يانشو لمدينة خانفو الاستيلاء عليها، وقتل الكثير من التجار الموجودين بها من العرب والمسلمين واليهود والنصارى والمجوس والصينيين، قدر عددهم بحوالي مائة وعشرين ألف رجل.

كما شنَّ يانشو الغارات على العديد من مدن الصين الأخرى، من أهمها مدينة خمدان، التي كان يوجد بها ملك الصين، الذي لم يتمكن من الدفاع عن مدينته، فهرب إلى قرب التبت. ولما أدرك ملك الصين عدم مقدرته على القضاء على يانشو الطامح في السلطة، وعدم تمكنه من استعادة سلطانه على الصين، استعان بابن خانقان ملك الترك. فساعده على استعادة سلطانه على الصين.

ونتج عن هذا الصراع السياسي تفكك الصين إلى عدة إمارات أو نواحٍ، استقل كل صاحب ناحية بناحيته، وحاول كل منهم مد نفوذه إلى ما يجاوره من المدن والبلدان. وكان ملك الصين آنذاك قد ضعف ماليًّا وعسكريًّا بسبب قتل أكابر رجاله وهلاك أمواله بالتدمير والسلب. فلم يتمكن من استعادة نفوذه الفعلي على أنحاء مدن وإمارات الصين، فاكتفى بقبول إعلانهم الطاعة له دون دفع الأموال.

أما من جهة هؤلاء الأمراء، فقد عمل كل واحد على فرض الضرائب والرسوم الكثيرة على التجار المجتازين إماراتهم، فتكرر دفع الأموال. كما أدى إلى السطو على أموال التجار وظهور الظلم عليهم، ونتج عن ذلك توقف سير المراكب التجارية إلى الصين لما يزيد عن نصف قرن ما بين سنة ٢٦٤هـ حتى بعد سنة ٣٣٢ هـ، وخلال هذه المدة جعلوا مرسى كله بار الواقع في منتصف الطريق بين

الصين والبلاد العربية محطة رئيسية لالتقاء الطرفين[٦٨]. وهكذا كان لأحداث الصين السياسية أثر كبير على النشاط التجاري.

ومن ضمن العوامل السياسية المؤثرة على النشاط التجاري على جنوب الجزيرة العربية، ومنها مراسي سواحل عُمان، الآتي:

كانت المراكب التجارية تسافر من ميناء صُحار بعُمان إلى أنحاء بلاد الصين، إلا أن ذلك حدث له الانقطاع منذ سنة ٥٠٤هـ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن صاحب جزيرة كيش، أو قيس، الواقعة في بحر الخليج العربي أو بحر فارس، عمل منذ سنة ٥٠٤هـ على تحصين ميناء كيش (قيس) لاستقبال التجارة بهدف الحصول على الأموال، فكان يفرض على كل مركب تجاري يمر عليه دينارًا، ثم أضاف إليه درهمًا، إلى أن صار دينارًا وعشرة دراهم[٦٩].

ثم عمل على إنشاء أسطول حربي، فهاجم به مراسي عُمان واليمن، كما هاجم السفن القادمة من بلاد الزابج (إندونيسيا) والهند، فخافوا منه. أدى ذلك إلى «انقطاع السفر من عُمان وتحولها إلى عدن»[٧٠]، وعلى ذلك كان للصراع السياسي في الخليج أثره على النشاط التجاري لمراسي عُمان.

النشاط البشري: شكل النشاط البشري أهم العوامل الفاعلة التي ارتكز عليها قيام النشاط التجاري البحري وازدهاره فيما بين الجزيرة العربية والعديد من البلدان. ويمثل ذلك معرفة أنواع السلع التجارية التي تنتجها كل بلد، ومعرفة البلدان التي تحتاجها للقيام بالعمل التجاري، وهي لب العمل التجاري. وكذا معرفة حركة الرياح ومواسمها واتجاهاتها، وكيفية الاستفادة منها في تسير المراكب التجارية، وهي من أهم عملية النقل التجاري. وكذلك معرفة الموانئ الصالحة لرسو السفن التجارية التي ينتج عنها وجود أهم المراكز التجارية للنشاط التجاري البحري في العديد من البلدان، وقد جرى فيما سبق استعراض هذه العوامل، يضاف إلى ذلك معرفة صناعة السفن، وكيفية معرفة التعامل مع

حركة الرياح للاستفادة منها في النقل التجاري، ونختصر ذلك بالآتي:

١- معرفة صناعة السفن: مثَّلت صناعة السفن التجارية أهم أدوار النشاط البشري. كما أنها من أهم ركائز قيام هذا النشاط. وفي هذا الجانب، فإنه على الرغم من قلة وجود الأشجار التي تصنع منها السفن في الجزيرة العربية، إلا أن أهل اليمن وعُمان كان لهم دور كبير في جلب الأخشاب الصالحة لصناعة السفن التجارية، وكانت أهم البلدان التي كثرت فيها الأشجار الصالحة لصنع السفن: البلدان والجزر الواقعة فيما بين الصين والهند، ومن أهمها جزر إندونيسيا وماليزيا. من ذلك الآتي:

يوضِّح الإدريسي كيفية جلب الأشجار وصناعة السفن منها بقوله: «وأهل عُمان ومربط من بلاد اليمن ربما قصدوا إلى هذه الجزائر التي فيها النارجيل، فيقطعون من خشب النارجيل ما أحبوه، ويصنعون من ليفه حبالاً، يخرزون به ذلك الخشب، وينشؤون منه مراكب، ويصنعون منه صواريها، ويفتلون من خوصه حبالاً، ثم يوسقون تلك المراكب بخشب النارجيل، ويمضون به إلى بلادهم، فيبيعونه هناك ويتصرفون به»[٧١].

كما وضح ذلك السيرافي بقوله: «وبعُمان من يقصد إلى هذه الجزائر التي فيها النارجيل، ومعهم آلات النجارة وغيرها، فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوا، فإذا جف قطع ألواحًا. ويفتلون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب، ويستعملون منه مركبًا، وينحتون منه أدقالاً، وينتجون من خوصه شراعًا ومن ليفه خرابات (حبال) وهي القلوس عندنا، فإذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل، فقصد بها عُمان فبيع»[٧٢].

وكذلك يذكر ابن بطوطه ذلك بقوله: «القنبر وهو ليف جوز النارجيل... وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب، ويحمل إلى الصين والهند واليمن، وهو خير من القنب، وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن؛ لأن ذلك البحر كثير

الحجارة، فإن كان المركب مسمَّرًا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر»[٧٣].

يضاف إلى ذلك أنه كان يوجد في اليمن وعُمان شجر القرظ وشجر السدر، واستخدمت لصناعة السفن.

٢- التعامل البشري في معرفة حركة هبوب الرياح واتجاهها: نظرًا إلى أن اتجاه هبوب الرياح كان يشكل دورًا فاعلاً في تسيير المراكب التجارية عبر البحار بين عدة بلدان، فكان لا بد من معرفة اتجاه هبوب الرياح ومواسم هبوبها وأوقات شدتها وضعفها، للاستفادة في سيرهم عبر البحار وفقًا لهذا الاتجاه. ولذلك ظهر العديد من المعلمين والمرشدين للطرق البحرية، وضعوا في ذلك عدة تعليمات، ومن أهم هذه التعليمات:

من الضروري والواجب على الملاحين معرفة مواسم الرياح الصالحة والملائمة للسفر وغير الصالحة. ذلك ما يوضحه ابن ماجد بقوله: «والمعلم الماهر لا تخفى عليه جميع الأرياح، ومواسم (أسفار) جميع الدنيا، لأنها مرتبه على الأرياح...فأعرف مواقع جميع المواسم والأرياح»[٧٤].

كما يجب على الملاحين معرفة شدة حركة الرياح أو ضعفها لتجنب السفر في حالة شدة الرياح أو هيجان البحر. وذلك ما يوضحه المسعودي بقوله: «ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابُّها، قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبَّان هيجانه وأحوال ركوده وثوراته»[٧٥].

ومن حيث الأعداد، فمن الضروري على الملاح «أن يعد كل ما يلزم المركب من النوتية والعدة والأدوات كالحقة، والبلد (مسار الأعماق) والفانوس، والرهمانج، وأن يفحص قبل سفره الحقة وحجر المغناطيس...».

وعن السفر آخر الموسم، فقد حذر منه ابن ماجد وخاصة عندما تكون

المـدة المتبقية من موسـم السـفر غير كافيـه للرحلة. والسـبب في ذلك يتمثل في عدم وصـول المركب «إلى المكان الذي يقصـده لتأخره زامًا واحدًا عن عبور أحد الرؤوس الهامة كرأس الحد وفرتك وباب المندب»[٧٦]. وهكذا كان من الضـروري معرفة اتجاه هبوب الرياح المسـاعدة لسير السـفن التجارية عبر مختلف الطرق البحرية. وهو مجهود بشري لمعرفة العوامل الطبيعية للاستفادة منها في نشاطهم التجاري.

٣- القرصـنة البحرية: انتشـر السـطو على سـفن البحار، وهي القرصـنة البحرية، منذ فترة مبكرة من التاريخ الإسـلامي. وخاصه على الطريق التجاري البحـري القـادم من بلـدان الهند والصـين نحو بلـدان الخليج العربـي والبحر الأحمر. ويحكى أن أحد أسـباب غزو السـند هو وجود قراصـنة الديبل على هذا الطريق، نذكرها في الآتي:

استعمل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي على ما فتح من السند محمد ابن هارون بن أذرع النميري. وفي ولايته أهدى ملك جزيرة الياقوت إلى الحجاج نسـوة مسـلمات ولدن في جزيرته، مات أبوهن وكان تاجرًا. وعند مرور السفينة قـرب الديبل هجم عليهـا «قوم من ميد الديبـل في بوارج، فأخذوا السـفينة بما فيهـا»، فاسـتجارت امرأة منهن بالحجاج، وكانت من بنـي يربوع، فلبى الحجاج اسـتجارتها بإرسـال جيش نحو ملك السـند المسـمى (داهر)، يطلب منه تخلية النسـوة، فرد عليه: إنما أخذهن لصـوص لا أقدر عليهـم». ولذلك أمر الحجاج بغـزو بلاد ملك السـند والديبل، فأرسـل إليه عبيد الله بن نبهـان فقتل، ثم كتب إلى بُديل بن طهفة البجلي، الذي كان بعُمان، يأمره المسير إلى الديبل، وبعد قتله أرسل محمد بن القاسم الثقفي لفتح السند، وهو أشهر فاتحي السند[٧٧].

ويوضح المسـعودي جنس هؤلاء اللصـوص وبلدانهم والأماكن التي انتشرت فيها قرصـنتهم بقوله: «ومنها نهر مهران السـند... فيه جنس من السـند يقال

لهـم الميـد، وهم خلق عظيم حزب لأهل المنصـورة، ولهم بـوارج في البحر تقطع علـى مراكب المسـلمين المجتازة إلى أرض الهند والصـين وجدة والقُلزم وغيرها كالشواني في بحر الروم»[٧٨].

وعلى ذلك فإن أكثر من اشتهروا آنذاك بأنهم (يقطعون في البحر) هم أهل الميد.

كما وجدت القرصـنة على مدخل شـط العرب في الخليـج العربي في إحدى جزره المسماة البحرين، وصـف أهلها أنهم «لصوص يقطعون على المراكب»[٧٩]، كما وصـفت الجزيـرة بأنها لا زرع بها ولا نخيل ولا إبل؛ أي إنها ليسـت صـالحة للحياة. ولذلك فهي ليسـت البحرين الحاليـة؛ لأن جزيرة البحرين الحالية كان يطلق عليها جزيرة أوال.

وكذا وجدت القرصـنة في أحد الحصـون الصـغيرة في عبـدان أو عبادان، وصف بأنه «رباط كان فيه محارس للقطرية وغيرهم من متلصصة البحر، وبها على دوام الأيام مرابطون»[٨٠]. ومن المسـتنتج عن وصفهم بالقطرية أنهم ليسوا مـن قطر الحالية؛ لأن مرابطتهم كانت في عبدان على الشـاطئ الشـرقي لبحر الخليج العربي، في حين أن قطر على الشاطئ الغربي له. ولأن قطر الحالية كانت مختصـة ومشهورة بصـناعة البرود القطرية ليست بحاجة إلى القرصنة. وربما كان المقصـود بالقطرية نسبة إلى لبسـهم البرود القطرية، أو أنهم من لصوص الميد، كانوا يتخذون من أطراف قطر محطة لانطلاقهم إلى عبدان، ولذلك أطلق عليهم قطرية.

وكذلك اتخذ قراصـنة الهند من جزيرة سـقطرة محطـة لانطلاقهم؛ ذكر ذلـك ياقوت الحموي بقولـه: «وكان يأوي إليها بوارج الهنـد الذين يقطعون على المسافرين من التجار»[٨١].

وفي عهد الحكم الأيوبي لليمن عملوا على إرسال الشواني لحماية التجارة من القراصنة، نصف ذلك بالآتي:

عندما فتح توران شاه الأيوبي اليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، جلب معه الشواني، وهي السفن الحربية، كل واحدة منها تسمى شونة، «مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وبها مخازن للمؤن والمياه العذب»[٨٢]. كما أنها مزودة بالمقاتلين بالأسلحة والقاذفين بالنفط. وظلت هذه الشواني راسية في ميناء عدن دون عمل. وعندما تولى حكم اليمن سيف الإسلام طغتكين الأيوبي نصحه أحد التجار باستخدام السفن الحربية أو الشواني لحماية التجارة والبحار من لصوص البحر أو القراصنة بقوله له: «انفذ بهذه الشواني إلى البحر يحموا البحار من السُّرَّاق». فعمل برأيه، «فأخرج الشواني إلى الهند، فكانت الشواني تقف على رأس المنادخ يحفظون التجارة من سطوة السُّرَّاق، فبقوا على حالهم إلى سنة ٦١٣هـ». وكان خروج الشواني لحماية التجار دون دفع ضريبه تجارية.

وعندما تولى الملك المسعود الأيوبي اليمن نصحه بعض الأكابر بأخذ مبالغ من المال مقابل الحماية، وهي التي سميت بضريبة الشواني، بقولهم له: «إنه يخرج من خزانه المولى كل عام لأجل الشواني خمسون ستون ألف دينار بطّال، فإن أخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك». وعلى ذلك فرضت ضريبة عشور الشواني، وهي على كل ألف دينار مئة دينار، وظل ذلك سنة ٦٢٥هـ، وهي مدة حكم المسعود لليمن. وبعد حكم المسعود توقف خروج الشواني لحماية التجارة، بينما ظلت ضريبة عشور الشواني مستمرة[٨٣].

كما انتشرت القرصنة البحرية في زمن رحلات ابن بطوطه؛ ومنها أن سلطان فاكنور بالهند كان أحد المفسدين الذين يقطعون البحر ويسلبون التجار، وكان له نحو ثلاثين مركبًا حربية. ونتيجة لذلك فقد كان «من عادات المراكب إذا مرت في مرسى فاكنور تعطي صاحبه هدية تسمى حق البندر، ومن لم يفعل

ذلك يعاقب بأخذ مركبه بالقوة، مع منعه من السفر وتضعيف الغرامة عليه»[٨٤].

ونتيجة لتلك القرصنة البحرية كان لابد للمراكب التجارية أن تحمل «في كل مركب من مقاتلين ونفّاطين»[٨٥]. ومنها مثلاً كانت المراكب الصينية الكبيرة تحمل في كل مركب أربعمئة من المقاتلين، منهم الرماة بالرماح والرماة بالنفط[٨٦].

وتلك كانت أهم أعمال القرصنة البحرية في العصر الإسلامي للتجارة القادمة من الهند والصين نحو بلدان الجزيرة العربية، وخاصة مدخلي الخليج العربي والبحر الأحمر.

القوافل البحرية: كان السير وفق نظام القوافل أحد عادات العصر الإسلامي. وهو سير عدة مراكب تجارية مع بعضها البعض، وكان لذلك السير عدة أهداف؛ منها: إرشاد السفن التجارية التي لم يعرف أصحابها طريق السير عبر البحار إلى بعض المراسي التجارية. ومنها محاولة إنقاذ الأفراد من الغرق إذا تعرضت سفينتهم للغرق. ومنها أيضًا السير في موسم واحد، وهو أن السفر بين المراسي التجارية كان له مواسم محددة. ومنها كذلك كان الترافق في السير عبر الطرقات البحرية يهدف إلى حماية التجارة من لصوص البحر، وهو أهم الأهداف. وكأمثلة لذلك الترافق أو سير القوافل البحرية نذكر الآتي:

في سنة ١٣٦هـ خرج مركب تجاري من سيراف نحو صيمور، وخرج معه مركبان تجاريان، أحدهما لعبد الله بن الجنيد والثاني لسبأ. وكانت هذه الثلاثة المراكب من الموصوفة بالكبر، التي كان الواحد منها يحمل ألفًا ومئتي رجل من التجار والملاحين، بالإضافة إلى أنواع السلع التجارية والأموال والأمتعة.

ومنها في سنة ٣٣٢هـ خرجت من بلاد الزنج، وهي جنوب شرق إفريقيا، خمس عشرة مركبًا إلى عُمان، فسلمت جميعها إلا واحدًا.

ومنها أيضًا أنه خرج أحد التجار سنة ٣٢٥هـ بمركب تجاري من عُمان مع

عدة مراكب إلى جدة، وسارت معهم عدة مراكب من عدن وغلافقة وعثر(٨٧).

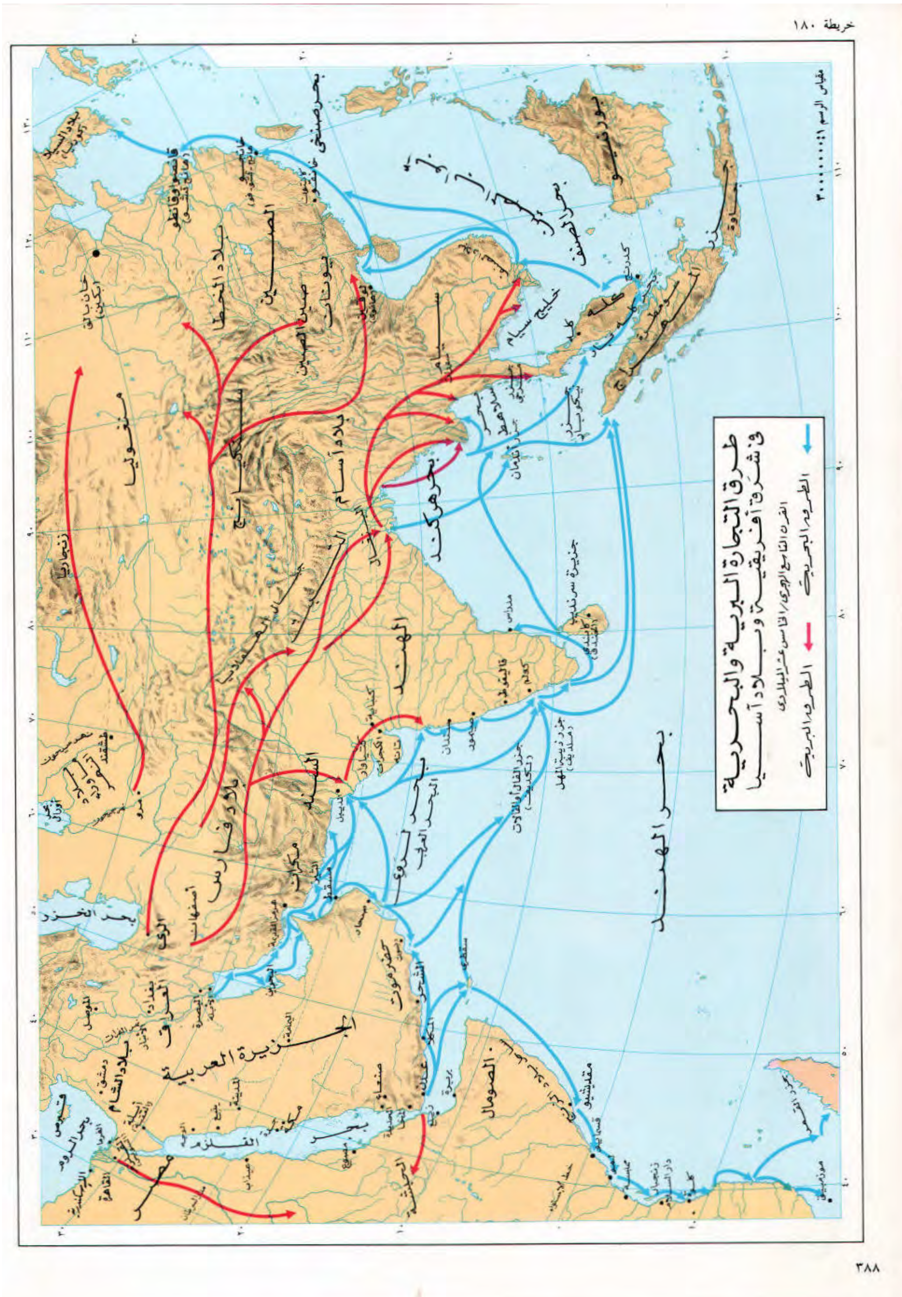
وهكذا كان السير عبر الطرق البحرية وفقًا لنظام الترافق أو لقوافل.

الخاتمة:

مما سبق نستنتج أن العصر الإسلامي الوسيط، كان من أهم عصور قيام وازدهار النشاط التجاري البحري للعرب والمسلمين؛ كونه كان يمثل أهم المعالم الرئيسية التي كان لهم الدور الكبير في ذلك لنشاط التجاري البحري مع العديد من البلدان.

وما نستنتجه أيضًا أن النشاط التجاري البحري ارتكز على نوع السلع التجارية، وأهميتها، وكثرة وجودها والطلب عليها، والنشاط البشري فيها، وهذا بدوره أدى إلى وجود العديد من المراكز أو الموانئ التجارية في العديد من البلدان المنتجة لهذه السلع والبلدان المستجلبة لها. فبرز من ذلك ازدهار النشاط التجاري البحري للعرب والمسلمين إبَّان تلك الفترة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن زيادة النشاط التجاري البحري كان يرجع إلى مستوى التحضر الذي ساد البلدان العربية والإسلامية آنذاك، فضلاً عن اتساع رقعة العالمين العربي والإسلامي، وهذا بدوره نتج عنه زيادة حجم النشاط التجاري البحري وزيادة الطلب والاستهلاك لتلك السلع التجارية.



المصدر: أطلس التاريخ الإسلامي، أ.د. حسين مؤنس

الهوامش:

(١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٨٣، محمد بن محمد إدريس.ت (٥٦٠ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٩٨٩م..

(٢) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص٢٢٨، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ م١٩٩٨م.

(٣) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٨٨-٩١.

(٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٧.

(٥) ابن بطوطة، **رحلة**، ٦٢١، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت (٧٧٩ هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت القزويني، **آثار البلاد**، ص٢٩، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٦) ماركو بولو، **رحلات ماركوبولو**، ٢١/٣، ترجمة عبد العزيز جاويد: (الهيئة المصرية العامة للكتابة، ط٢، ١٩٩٥م.

(٧) القزويني، آثار البلاد، ٢٩-٣٠، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٧، الألوسي، **تجارة العراق**، ص٩٠، عادل محي الدين، تجارة العراق البحرية مع أند ونسيا حتى أواخر ق٧ هـ، ق١٣ الميلادي، بغداد، دار الحرية، منشورات وزارة الثقافة و الأعلام العراقية، سلسلة الدراسات. د.ت.

(٨) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٧٥، السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٩٠.

(٩) السيرافي وسليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٧٥، تحقيق يوسف الشاروني، نشر الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م، المسعودي، **مروج الذهب**، ١٤٠/١، أبو الحسن على بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـ، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٣٩٣هـ، ١٣٧٣م، العاني، **تاريخ عُمان**، ص١٥٢، عبد الرحمن عبد الكريم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(١٠) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٧٥، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٨٠/٥، أبو العباس احمد ت(٨٢١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، العاني، **تاريخ عُمان**، ١٥٢.

(١١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٨٠.

(١٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٤٠/١.

(١٣) القزويني، **آثار البلاد**، ١٠٥.

(١٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٤٠/١، العاني، **تاريخ عُمان**، ١٥٢.

(١٥) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٣،٧٤.

(١٦) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٨٧.

(١٧) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٣.

(١٨) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ٢١٥.

(١٩) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٩٠، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٥، نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٤.

(٢٠) القزويني، **آثار البلاد**، ١٢٧-١٢٨، الجاحظ، **التبصرة بالتجارة**، هامش ٣٤، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٦٢/٥.

(٢١) نعيم زكي فهمي، **طرق التجارة**، ص١٦٦، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م..

(٢٢) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦١.

(٢٣) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٨، مؤنس، **رحلة ابن بطوطة**، ١٧٧، شوقي، **تجارة المحيط**، ١٨٩.

(٢٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٧٥/٥.

(٢٥) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٨.

(٢٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٧٥/٥.

(٢٧) القزويني، **آثار البلاد**، ١٠٧، نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٣.

(٢٨) نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٣.

(٢٩) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٤، مؤنس، **رحلة ابن بطوطة**،١٧٤، شوقي، **تجارة المحيط**، ١٨٩-١٩٠، نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٨.

(٣٠) نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٨.

(٣١) ابن بطوطة، **رحلة**،٥٦٠.

(٣٢) شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط**، ص١٨٨، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ٤١- ٩٠٤ هـ- ٦٦١ — ١٤٩٨م، نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٢.

(٣٣) نعيم، طرق التجارة، ١٧١.

(٣٤) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٤٣، أبو عبد الله محمد بن احمد أبي بكر ت(٣٨٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، مجموعة، **تاريخ عُمان**، ص١٨٢، عُمَان في التاريخ، نشر وزارة الاعلام، سلطنة عُمَان، لندن، دار أمييل للنشر، ١٩٩٥م، العاني، **تاريخ عُمان**، ١٤٥، حبيب، **حصاد**، ٥٢.

(٣٥) القزويني، **آثار البلاد**، ٥٦، حبيب، **حصاد**، ٥٢.

(٣٦) **بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين**، ص١٠٩، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١٣٧٠،١هـ-١٩٥٠م.

(٣٧) ابن بطوطة، **رحلة**، ٢٥٩.

(٣٨) القزويني، **آثار البلاد**، ٦١.

(٣٩) البكري، **المسالك والممالك**، ص٣٦٩، أبو عبيدة (ت٤٩٦ هـ)، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة

قرطاج- تونس، ط ١ ، ١٩٩٢م.

(٤٠) القزويني، **آثار البلاد**،٧٧.

(٤١) ابـن حوقـل، **صـورة الأرض**، ص٤٤-٤٥، أبو القاسـم بن حوقـل، منشـورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط، ١٩٧٩م.

(٤٢) الإدريســي، **نزهـة المشـتاق**، ١٥٦، الحمـيري، **الروض المعطـار**، ٣٥٤، رمزية، **تجـارة الخليج**، ٩، حبيب، **حصاد**، ٧٠.

(٤٣) المقدسـي، **أحسـن التقاسـيم**، ٨٧، ياقوت الحموي، **معجم البلـدان**، ٣/ ٣٩٤، القحطاني، **تجارة الجزيرة**،٢٣٥، يوسف الغنيم، **جزيرة العرب**، ١٣٧.

(٤٤) الحمـيري، **الروض المعطار**،ص٣٥٥، محمـد بن عبد المنعـم ت(٧١٤ هـ)، تحقيق د/ إحسـان عباس، مؤسسة ناصر. القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.

(٤٥) البكري، **المسالك والممالك**، ٣٦٧.

(٤٦) نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٦.

(٤٧) ابـن الفقيـه، **كتاب البلدان**، ص١٢، أبو بكر احمد بن محمد (٢٩٠ هـ)، مختصـر كتاب البلدان، بيروت،: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.

(٤٨) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٣٩٣/٤، ياقوت بن عبد الله ت(٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م.

(٤٩) ابن بطوطة، **رحلة**، ٢٧١.

(٥٠) السابق، ٢٥٩.

(٥١) القزويني، **آثارالبلاد**، ٦١.

(٥٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ٢/٦-٧.

(٥٣) بزرك، **عجائب الهند**، ص١٧٥، بزرك بن شهريار الناخذاه، جزائره، دار صادر ، بيروت، د.ت.

(٥٤) نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٦.

(٥٥) بزرك، **عجائب الهند**، ١٣٣،٩٠،٧٠،١٠٧.

(٥٦) ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ١٢.

(٥٧) ابن بطوطة، **رحلة**، ٦٣٨.

(٥٨) العمـري، **مسـالك الأبصـار**، شـهاب الدين أحمـد ت (٧٤٩هـ)، تحقيق أيمن فؤد سـيد، المعهد الفرنسـي ، القاهرة، د .ت، القلقشـندي، **صـبح الأعشـى**، ٧/٥، الناصـري، **النشـاط التجاري**، ص٨٣، علي حسين السليمان النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، القاهرة، د.ت.

(٥٩) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ٩١.

(٦٠) البكري، **المسالك والممالك**، ٣٦١- ٣٦٢، ٣٦٨.

(٦١) القزويني، **آثار البلاد**، ١٠١.

(٦٢) العمري، **مسالك الأبصار**،ص١٥٧، القلقشندي، **صبح الأعشى**،١١/٥، مجموعة، **فرضة اليمن**، ٢٧٩
(٦٣) العمري، **مسالك الأبصار**،١٥٧، القلقشندي، **صبح الأعشى**،١١/٥.
(٦٤) ابن بطوطة، **رحلة**، ٢٥٢،٢٦٦.
(٦٥) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، ص١١٧، محمد بن مسعود بن على ت(٦٣٠ هـ)، تحقيق: أوسكر لوفغرين، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
(٦٦) بزرك، **عجائب الهند**، ٩٧،١٣٠.
(٦٧) بدر الدين الصيني، **العلاقات بين العرب والصين**،١٠٩.
(٦٨) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٣٧-١٤٠، السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين**، ٦٣.
(٦٩) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، ١٨٨.
(٧٠) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ١٥٦-١٥٧.
(٧١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**،٧٥/١.
(٧٢) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٩٠.
(٧٣) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٧٦.
(٧٤) شهاب، **فن الملاحة**، ١٧٨.
(٧٥) المسعودي، **مروج الذهب**، ١١٢/١، مجموعة، **عُمان في التاريخ**، ١٨٩.
(٧٦) شهاب، **فن الملاحة**، ١٨٩، ١٩٢.
(٧٧) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٢٣، ابو الحسن ، فتوح البلدان، تحقيق المنجد، النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
(٧٨) المسعودي، **التنبيه**، ٢٩، حوراني، **الملاحة**، ٢٠٩.
(٧٩) ابن خرداذبة، **المسالك**، ص٦٠، أبو القاسم: عبيد الله بن عبد الله ت(٣٠٠ هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ط١، ١٩٨٨م.
(٨٠) الإصطخري، **مسالك الممالك** ، ص٣٣، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد ت(٣٤٠ هـ)، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل ١٩٣٧م.
(٨١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٢٢٧/٣٧٣،٣/٤.
(٨٢) توفيق سلطان، **دراسات في النظم**، ١٦٧، السروري، محمد عبده ، **الحياة السياسية**، ص٤٨٦ إصدارات وزارة الثقافة و السياحة ، اليمن ، بيروت ، سنة ٢٠٠٤م.
(٨٣) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، ١٤١-١٤٢.
(٨٤) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٠.
(٨٥) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ٢٦.
(٨٦) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٥.
(٨٧) بزرك، **عجائب الهند**، ٦٠، ٩٣، ١٦٥.

أثر وَحدة السياق الفني في تكوّن الشعر القديم

(٢)

د.عبدالله بن سليم الرشيد (*)

مظاهر في الصور الشعرية:

الصورة الشعرية التي عليها مدار هذه الفقرة من البحث هي تلك التي ترحل في النصوص، وتزداد جلاءً في النصوص المتحدة السياق، كهذه العينيات؛ إذ إن هذه الصور تؤول إلى مصدر واحد غالبًا، بل إن بعض الصور يتكرر فيصبح التالي ناقلاً لما أبدعه الأول فحسب، وقد تقوى مُنّة الشاعر، فيعمِّر الصورة تعميرًا يكسبها جِدّةً ورُواءً.

وبما أن القصائد المدروسة مسلوكة في غرض الرثاء؛ كان لا بدّ لروح التفجّع أن تظهر أشدّ ما يكون الظهور، وهذا يقتضي أن تصدر الصور عن تخييل يستمدّ عالمه من الحزن والبكاء، فالقصائد قد تصبح على هذا محدودة الخيال؛ لأن ذاكرة الشاعر تختزن صورًا مستقاة من قصائد سابقة، سواء أكانت في السياق الفني نفسه أم في غيره، وقد يطرأ عليها تطوّر، أو قد تولّد صورة من صورة، وهذا ما سأُفيض في تفصيله في الأسطر اللاحقة:

إن الصور الواردة في عينية متمم قد تكون هي النواة المركزية التي تشظّت عنها الصور اللاحقة عند أصحاب العينيات، وقد يكون متمّم مستقيًا صوره من

شعر سبقه، والقطع بشيء من هذا غير وارد؛ إذ لا دليل عليه، فلم يصلنا كلُّ شعر العرب، ولاسيّما شعرُ الجاهلية الأولى. وعلى ذلك يصلح أن تُتخذ بعض صور متمّم منطلقًا للتعديل والزيادة في بناء الصور، وتغيير علاقاتها التشبيهية والاستعارية، والميل بها إلى مزيد من الإيغال المجازي.

إن متمِّمًا يستقصي الصورة، ويفصّل جوانبها، يقول داعيًا للقبر بالسُّقيا:

سقى الله أرضًا حلّها قبرُ مالك ... ذهابَ الغوادي المُدجنات فأمرعا
وآثرَ سيلَ الواديين بديمةً ... تُرشّحُ وسميًّا من النبتِ خروَعا
فمُجتَمَعَ الأسدام من حول شارعٍ ... فروّى جبالَ القريتين فضَلفَعا
فوالله ما أُسقي البلادَ لحبِّها ... ولكنّما أُسقي الحبيبَ المودَّعا(١)

والدعاء للقبر بالسُّقيا، واستقصاءُ ذكر المواضع المحيطة بقبر المرثي أو القريبة منه، أو المفضية إليه، منهج سلكه الشعراء، وهو من آثار التعلق بذكرى المرثي، وبلوغ حدّ تقديس ما مرّ به من أمكنة، «وهو معنى متواتر في مراثي الجاهلية»(٢)، غير أننا نلحظ أن بعض أصحاب العينيات اكتفوا بالدعاء العام، كالحسين بن مُطير:

أَلِمّا بمعنٍ ثم قولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعًا ثمّ مربعا

والصورة الكلية التي تشترك فيها جُلُّ القصائد هي (صورة المرثيّ الفارس الكريم)، إلا في مرثيّة ابن زيدون؛ لأنه يرثي امرأةً (أمّ المعتضد)، غير أن لكل شاعر طريقتَه في تشكيل الصورة، وله مصادره التي يشرَك فيها غيرَه أو يخالفه، فمتمِّم والفرزدق أعرابيان، وأبو تمام وابن زيدون حضريان، وأوّل هذين مشرقي، والآخر أندلسي؛ ولهذا نجد اختلافًا في مكوّنات الصورة عند كلٍّ منهم، وفي طرق البيان التي حاطتها أو انبنت عليها، وإن اتفقت في هيئتها العامة.

ولمتمم والحارثي خصيصة التفصيل الذي استدعته اللوعة الصادقة؛ ولم أجد في القصائد الأخرى ما يكشف صدقًا ولوعةً ونزف مشاعر كما وجدته عندهما، ففي صور المرثيّ (الفارس) يقول متمّم:

وإنْ ضرّس الغزوُ الرجالَ رأيتَه أخا الحرب صَدقًا في الرجال سَمَيدَعا
وما كان وَقّافًا إذا الخيلُ أحجمَتْ ولا طائشًا عند اللقاء مُدَفّعا
ولا بكَهام بَزُّه عن عدوِّه إذا هو لاقى حاسرًا أو مقنَّعا(٣)

لقد استغرق وصفُ المرثيّ وصفًا مفصَّلاً دقيقًا نحو ستة عشر بيتًا من عينية متمّم، وصِيغَ الوصفُ في صور متلاحقة، مفْضٍ بعضُها إلى بعض، وأربى عليه الحارثي عددًا، إذْ جاء عنده الوصف في نحو خمسين بيتًا، ومن نهجه التصويري أن يلمَّ بالفكرة في بعض الأبيات، كقوله: (يصونُ ببذلِ المالِ نفسًا كريمة)، ثم يعود إليها مفصِّلاً:

ترى الناسَ أرسالاً إليه كأنما تضمّن أرزاقَ العُفاة لهم معا
فمن صادر قد آبَ بالرزق حامدًا ومن وارد شاح بفيه ليكرعا(٤)
أفاتَ بإبقاء على العِرْضِ مالَه فأنجحَ إذْ أكدى البَخيلُ وأوضعا
ولا يستخِصُّ القِدرَ مَن دونِ جارِه ليشبعَ والجيرانُ يُمسون جُوَّعَا

ثم رجع إلى الإجمال:

جوادٌ إذا ما ألصقَ المحْلُ بالثرى وضاق لئامُ الناسِ عنه توسّعا

ثم أرسل هذه الصورة الطريفة:

كساه الحياءُ الجودَ حتى لَوَ انَّه يُجَرَّدُ من سِرباله ما تمنّعا

إن منهج تفصيل الصورة والإطالة فيها مخصوص بهذين الشاعرين المفجوعين، فهو يكشف ما اعتمل في نفسيهما من شدة اللوعة.

وصدقُهما في البكاء استدعى طولَ النفَس، والالتذاذَ بنثِّ محاسن المرثيَّيْن، ولم ينطو التصوير عندهما على مبالغة تتجاوز الحدَّ المقبول، على خلاف ما ظهر عند الفرزدق مثلاً؛ إذ إنه سار مسيرتَهما في قوله:

نعى فَتَيَيْنا للطعان وللقرى وعَدلَين كانا للحكومة مقنعا
خيارَيْن كانا يمنعانِ ذمارَنا ومعقل مَن يبكي إذا الروعُ أفزعا

ولكنه مزج بهذا صورًا يهربُ بها من فراغ قلبه من الحزن، فحزنُه مدّعى؛

يكشفه ما عمد إليه من مبالغة في قوله:

فليتَ البريدَيْن اللذَيْن تتابعا بما أخبرا ذاقا الذُّعافَ المُسَلَّعا[٥]

وقوله: (فلا رُزءَ إلا الدينَ أعظمُ منهما)، وقوله: (وقائلةٍ ليت القيامةَ أُرسِلتْ علينا). فهذه التعبيرات والصور لا تدلُّ إلا على قلب فارغ من الشجن، يستُرُ فراغه بالتهويل[٦]، الذي تنبّه إليه أبو تمام، فعمد - وهو يتحازَن كالفرزدق - إلى ستر خلوّ قلبه من الحزن بالإيقاع، مستعينًا بالمذهب البديعي في بناء الصور، فقال، وتأمّل المسطورَ ما تحته:

فتى كان شِرْبًا للعُفاةِ، ومرتعًا فأصبح للهنديَّة البيضِ مرتعا
فتى كلما ارتاد الشجاعُ من الردى مقَرًّا غداةَ المأزِقِ ارتاد مصرعا
إذا ساء يومٌ في الكريهة منظرًا تصَلاّه علمًا أن سيحسُنُ مَسمَعا

إن وحدة السياق الفني أوجدتْ نمطًا متشابهًا من التعبير عند الراثيَين الصادقين - متمّم والحارثي - ونمطًا آخر متشابهًا أيضًا عند المتحازنَين - الفرزدق وأبي تمام - فالتشابه عند الأولين في مصادر الصور، وتركيبها وتفصيلها، وعند الآخرين في الاستعانة عليها بالمبالغة أو الصنعة.

وألتفتُ إلى الصورة الأعرابية - وربما جاز نعت بعضها بالجاهلية - فأجدُها شائعة في قصيدة متمّم، مثلما نقرأ في قوله:

ولا برَمًا تُهدي النساءُ لعرسِه إذا القَشْعُ من حَسِّ الشتاءِ تقعقعا[٧]

وقوله: (خصيبٌ إذا ما راكبُ الجدبِ أوضعا)، وقوله:

فعينيّ هلاَّ تبكيان لمالك إذا أذرتِ الريحُ الكَنيفَ المرفّعا[٨]

وقوله:

وضيفٍ إذا أرغى طُروقًا بعيرَه وعانٍ ثوى في القِدِّ حتى تكنَّعا[٩]

يقول التبريزي (ت٥٠٢هـ) مؤكِّدًا إيغال الصورة في البيئة الأعرابية، نقلاً عن الأصمعي: «إذا ضلّ الرجلُ أرغى بعيرَه، أي حمله على الرُّغاء لتجيبَه الإبل برُغائها، أو تنبح لرُغائه الكلابُ، فيقصدَ الحيّ، ويقال: إنما يُرغي بعيرَه إذا أتى الحيَّ ليسمعوا الرُّغاءَ، فيعلموا أنه ضيف، فيدعوه إلى منازلهم»[١٠].

فهذه الصور لن تجد مسلكًا في قصائد الحضريين، كأبي تمام وابن زيدون، إلا تقليدًا، وربما جاز عدُّها في سياق كلمة متمّم ذات صبغة ليست لغيره، ولكن الصورة العامة التي يُعمَد فيها إلى بعض طرق البيان الشائعة، كالتشبيه بما توارد الشعراء على التشبيه به، من سيف وبحر ونحوهما = هذه الصورة ظاهرة في جُلّ القصائد المدروسة، فلمتمّم: (تراه كصدرِ السيفِ يهتزُّ للندى)، ولأبي تمام وقد نحا نحوًا تعميريًّا للصورة، فأخذ التشبيه بالسيف، ولكنه أوغل في الاستعانة بالخيال، وعمد إلى تشبيه مركّب، مصوِّرًا مصرع المرثيّ في الحرب:

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَرِيبةً ... فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

ومن النمط التصويري الذي ظهر عند متمِّم والحارثي فحسب، وغاب عن قصائد الباقين، ما يدخل في (التفريع) البديعي عند القدماء، والأوجَهُ تسميته بـ(الصورة الاستدارية)[11]، وهو أسلوب مبنيٌّ على الابتداء بـ(ما) النافية العاملة عمل (ليس) الداخلة على المشبّه به، ثم يورَد فيه بعضُ أوصافه وشياته أو أحواله، ويُختمُ بـ(أفعل التفضيل) المقترن بالباء الزائدة، خبرًا لها، متّصلاً بالمشبّه[12]. وجاءت هذه الصورة في أربعة أبيات عند متمّم:

وما وَجْدُ أظآرٍ ثلاث روائم ... أصَبْنَ مَجَرًّا من حُوار ومصرعا
يذكّرنَ ذا البثِّ الحزينَ ببثّهِ ... إذا حنّت الأُولى سجَعْنَ لها معا
إذا شارفٌ منهنَّ قامتْ فرجّعتْ ... حنينًا فأبكى شَجوُها البَرْكَ أجمعا
بأوجدَ مني يومَ قام بمالكٍ ... مُنادٍ بصيرٌ بالفراقِ فأسمعا

وعند الحارثي في واحد وعشرين بيتًا، أولها:

فما أمُّ سَقْبٍ أودعتْه قرارة ... من الأرضِ وانساحت لترعى وتهْجعا
....
بأوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقًا ... عليك، ولكن لم أجدْ عنك مَدفعا

وليس عدول الشعراء عن هذه الطريقة البيانية عجزًا، أو «لأنهم لم يفطنوا لأبعادها الجمالية، وخصائصها الفنية، وطاقاتها الإبداعية»[13]، بل لأنهم آثروا أنماطًا تصويرية جديدة، ولا سيما أبو تمام ذو الفن البديعي المشهور، وابن زيدون الذي كان يرثي امرأة أجنبية.

أما ظهورها اللافت للنظر فهو عند الحارثي، لطول الاستدارة في الصورة، إذ بين (ما) التي ابتدأ بها (ما أمُّ سَقْبٍ)، وأفعل التفضيل المسبوق بالباء (بأوجع) = بينهما تسعة عشر بيتًا، افتنّ فيها بتفاصيل الصورة التي بنى عليها المقطع الأول، وكأنما أراد بذلك بزَّ شأو متمّم والفلَج عليه؛ ولاسيّما أنه متأثر بقصيدته تأثُّرًا كبيرًا. ولا شك في أنه - إذ يعارضُ متمّمًا - يشعر بمقدار ما يحتاج إليه من إظهار المقدرة، حتى لا يُوصف بالكُبوّ عن الإبداع. ومن أجل هذا جاءت قصيدته «أشبه بشعر العصر الأموي، بل بشعر العصر الجاهلي»[١٤].

والحقّ أن بين قصيدتي متمّم والحارثي شبهًا كبيرًا، جعلني أحكم بأن الثانية منهما معارضة للأولى، وهذا ما ذهب إليه أيضًا خليل مردم (١٣٧٩هـ)[١٥]، وقد قال ابن المعتز (ت٢٩٦هـ): إن عينية الحارثي «ليست بدون قصيدة متمّم»[١٦]، ثم أورد بضعة أبيات من هذه الصورة الاستدارية وعلّق قائلاً: «وهذا كلامٌ يُعجِز الشعراءَ ويفضحهم»[١٧].

والمهم - في معرِض تلمُّس أثر وحدة السياق الفني - أن نمط التصوير الاستداري لم يستدرِجْ من تأثروا بمتمّم - كالفرزدق - إلى انتهاج هذه الطريقة، وربما كشف هذا ضعفَ تأثير هذه الوحدة في اختيار نمط دون آخر.

ومن مظاهر أثر وحدة السياق: تواطؤُ بعض الشعراء على توظيف بعض الأعلام ذات الصلة بالمعنى الكلّي للقصائد، فقد ورد عند كثير منهم لفظ (تُبّع)، وانفرد بعضهم بذكر آخرين من أعلام الأمم الهالكة. ومهما يكن، فهذه الأعلام تفيد «في ترسيخ مبدأ المماثلة التشبيهية والاستعارية، من حيث هي أعلام إيحاءٍ. وأعلامُ الإيحاء تسمو بجماليّة النص الأدبي؛ لأنها تستحيل موادَّ بناء وأساليبَ أداء، دالّةً بحقيقتها من حيثُ هي مُثُلٌ عُليا مشتركة، أو شخصية تترجم عن نظرة الشاعر إلى الكون»[١٨].

وعليه، فإن بعض أسماء أولئك الأعلام فقدت وظيفتها التعيينية، وصارت صفاتٍ دالّة، أي حاملة لمعنى، أي إنه وقع عدول بها عن دلالة التعيين إلى دلالة

الوصف[١٩]. والذي أعبأ به هنا أن بعض القصائد العينيات اشتركت في هذا العدول، ولكنّه عدولٌ غير صريح في دلالته على الاختيار الأسلوبي؛ لأن شبهة التقليد والتأثر واردة. ثم إن وحدة السياق الفني ـ كما أسلفت ـ ذات تأثير بيّن في استعمال اسم (تُبّع). وسوف أشير في مبحث الموسيقا إلى أمرٍ آخر ذي صلة بتوظيف الأعلام.

ثم إن عناية بعض هؤلاء الشعراء بالتصوير وتكثيفه، هو مظهر من مظاهر العدول الأسلوبي، ومنشأُ العناية بالصورة عند الشعراء أنهم يُلفون الألفاظ ممتنعةً عن الاستجابة والمطاوعة للتعبير عن المعنى الدقيق الذي يرومون بلوغه، وإبلاغه، فيعمدون إلى الصورة، التي هي استدراك على نظام الدلالة، بمراجعة العلاقة بين الأسماء والمسمّيات، وعليه فالصورة الناجحة لا تعبِّر عن نظير مطابق لما يُوصفُ باللغة العاديّة، بل تعبّر عنه تعبيرًا جديدًا مدهشًا بعيدًا عن الابتذال[٢٠]. ولننظر في قول جوّاب، وقد شبَّه نفسه بالطير مستعينًا بالاستعارة:

لقد كنتُ ذا ركن وريشٍ فلم يزلْ ... بيَ الدهرُ حتى أصبحا قد تضعضعا

إنني أراه موفّقًا في ابتكار صورة جيّدة غير مألوفة، ولكنه لم يبلغ بها حدّ الإدهاش؛ لأنه بقي في نطاق ضيّق. وكأنّما لزّته الوحدة السياقية إلى لفظ (تضعضعا) فلم يبلغ بها ما يريد، لعجزِها عما تحتمله لفظتا (تحطّما) و(تفرّقا) مثلاً، وهما أقرب إلى وصف زوال الطير وذهاب الركن (ويريد به العشّ).

ويبدو أبوتمام ـ على ما عُهد في شعره وعُرف عن مذهبه ـ أحرصَهم على التجاوز الفني في هذا الباب، فقصيدته ـ على قِصَرها، وعلى أنه كما أسلفت متحازنٌ لا حزين ـ منطوية على بضع صور بديعة، كقوله:

مصيفٌ أفاض الحزنُ فيه جداولاً ... من الدمعِ، حتى خِلتُه عاد مربَعا

وقوله الآخر:

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَرِيبةً ... فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

وتوافَى الشعراء على توظيف المبالغة في تركيب الصور. وفيما سلف نماذج من قصيدة الفرزدق. وهذا ملمح فني ظاهرٌ في الشعر العربي كلّه، ولكني أشير في هذا المقام إلى استلالهم صورًا من صور أخرى، أو إعادتهم صياغتها، مستعينين في بنائها بتشابه التراكيب، وأعانتهم عليها وحدة السياق، يقول متمّم:

فلو أن ما ألقى يصيبُ متالعًا ... أو الركنَ من سلمى إذن لتضعضعا

وهو يأتي بالمبالغة افتراضًا (لو أنّ...)، وعلى نهجه قال الفرزدق:

ولو أن يومَيْ جُمعتيْه تتابعا ... على جبلٍ أمسى حُطامًا مصرَّعا

ولكنّه ترك الافتراض في بيت آخر، وادّعى وقوع الأمر وتحقّقه، إذ قال:

وما لكما لا تبكيان وقد بكى ... من الحزَنِ الهضْبُ الذي قد تقلّعا

وسلك الحارثي وابن زيدون مسلكهما، فالحارثي يقول:

فلو أن طودًا من تهامة ضافَهُ ... من الوجدِ ما قد ضافني لتضعضعا

أما ابن زيدون، فربّما صحّ القول بأنه أعاد صياغة بيت متمّم، فقال:

أُصِبنا بما لو أن هَضْبَ مُتالِعٍ ... أُصيبَ به لانهدَّ أو لتضعضعا

إن هذا المورد الواحد في تركيب الصور يصدِّق الحكم بـ«أن الشاعر يبدع في سياق من الصور المتراكمة في ذاكرته»[٢١]، ولهذا كان من وسائل البحث عن (شعرية) القصيدة الإلحاح على كشف الامتياز والتفرّد فيها، وإن كان منبنيًا على إبداع سابق، وحتى يتّضح هذا أضرب مثالاً بصورة (الدمع المنسكب) التي تشكّل الدائرة الكبرى التي اتفقت فيها القصائد، فقد افتَنَّ بعض الشعراء في تركيبها والإضافة إليها، فلَبيد يقول:

فعينيَّ، إذْ أودى الفراقُ بأربدٍ ... فلا تجمُدا أن تستهِلاَّ فتدمعا

وخطاب العين مفتاح لصورة (البكاء) التي لا تفارقُ شعر الرثاء، ولكنّ الشعراء يختلفون فيما بعدَ هذا الخطاب، وها هنا نجد لبيدًا يستدعي الدمع من عينيه استدعاءً مباشرًا (لا تجمُدا أن تستهلاَّ)، ثم يُردف بالخبر ولا يُكمل الصورة، إذ قال:

فتًى عارفٌ للحقِّ لا ينكرُ القِرى ترى رَفدَه للضيفِ ملآنَ مُترَعا[٢٢]

وعلى نهجه في خطاب العينين، ولكن في صورة أكثر إحكامًا وتماسكًا قول متمّم:

فعينيَّ، هلاَّ تبكيان لمالك إذا أذرتِ الريحُ الكنيفَ المُرَفّعا[٢٣]

فهو يستبكي من يسمعه بهذه الصورة الثاوية في العجُز؛ لأنه يُذكّره بعضَ شمائله التي يُبكى عليه لأجلها، يقول التبريزي: «أي هلاَّ تبكيان لمالكٍ في ذلك الوقت، لشدّة الخَلّة، وإطعامه الناس»[٢٤].

ثم إن متمّمًا أعاد خطاب العين (وللشربِ فابكي مالكًا)؛ وقد «خاطب في الأول العينين، ثم أفرد بالذكر إحداهما... لأن إحداهما لا تنفكّ من الأخرى»[٢٥]. وهذا الافتتان في تلوين الخطاب والتكرار مَدعاةٌ لأنْ يعلو مستوى الصورة وما أحاط بها عما هي عليه عند لبيد.

ثم اختلفت الحال عند الشعراء اللاحقين، فالفرزدق يقول:

فعينيَّ ما الموتى سواءٌ بكاهُمُ فبالدمِ إن أنزفتما الماءَ فادمعا

والإضافة الفنية هنا أن تبكي العينان دمًا، والصياغة فيها إنشائية (باستعمال فعل الأمر)، وهي في هذا المقام أقلُّ قيمة من الصياغة الخبرية التي تؤكّد وقوع الشيء، وزاد أن شفع البيت بما يكثّف التصوير، فقال:

وما لكما لا تبكيان؟ وقد بكى من الحَزَنِ الهضْبُ الذي قد تقلّعا

ثم أخذ أبو تمام الصورة، وعَدَل بها إلى منحى آخر، فقال:

وواللهِ لا تقضي العيونُ الذي له عليها، ولو صارتْ مع الدمع أدمُعا

فقد مهّد لها - كما ترى - بالقسَم، بأنَّ كلّ بكاء على المرثي مهما بلغ لا يوفّيه حقّه. وجاء بالصورة مبتكَرة، فحتى لو ذابت العيون حتى تصير دمعًا، فلن تقضي حقّ المرثيّ. فثمّ إيغال في مجازيَّة الصورة، وهو ضرب من التعمير لها.

ثم نجد ابن زيدون يلتقط هذه الصورة (أن تكون العيون نفسها دمعًا)،

ولكنه يجعلها للقلب، ذاهبًا مذهبًا مجازيًّا أعمق وأطرف:

لرُزئكِ تنهلّ الدموع، فمثله إذا حلّ وَدَّ القلبُ لو كان مدمعا

فالصورة إذن ذات نواة مركزية تشظّت عنها صور تُلُطّف في صياغتها، وأعان على توليد بعضها من بعض وحدة سياقها الفني، لأن الغرض واحد، فيلائمه ذكر البكاء، والقافية واحدة، فالاستعانة بلفظ (دمع) وما اشتُقَّ منه مناسب سمح لأنْ يُؤتى به رويًّا. واتحاد البحر معينٌ أيضًا على تعمير الصورة؛ لما في نغمات التفاعيل وما يجوز وما لا يجوز من زحافات ونحوها من تأثير في اختيار ألفاظ أو تراكيب بأعيانها.

وأقف ببعض الصور الأخرى التي نمّاها بعضهم، أو كرّرها، ففي قول أبي تمام: (وأصبح مغنى الجودِ بعدَك بلقعا) صورة للوحشة التي غَشِيَت المغنى، إذْ أقفر من صاحبه، وهي عينها الصورة التي نقلها ابن زيدون في قوله:

مسبِّحةُ الآناءِ قانتةُ الضُّحى ثوتْ فثوى مغنى التأوُّه بلقعا

والاختلاف بينهما في وصف المرثيّ وحاله فحسب، ذلك أن أبا تمام يرثي رجلاً، أما ابن زيدون فيرثي امرأة؛ ولذا جعل المَغْنى البلقع هو مَغْنى التأوُّه والعبادة، فصرفه عن مغنى الجود الذي كان ملائمًا لمرثيِّ أبي تمام.

وعندهم نجد صورة أخرى تتضمّن الفكرة الوجودية (أن عمر الإنسان محدود)، ولكن كيف جاءت عند كل منهم؟ لقد صاغها لبيد صياغة سمحة فلم يتعمّل لها، إذ قال:

دعا أربدًا داعٍ مجيبًا فأسمعا ولم يستطعْ أن يستمرَّ فيمنعا

وجاء بها متمّم في معرِض خطابه للشامت، فجنح بها إلى صياغة أكثر شعريّةً، إذ شخّص الموتَ، فقال:

فلا تفرحَنْ يومًا بنفسِك إنني أرى الموتَ وَقّاعًا على من تشجّعا

ونحا ابنُ زياد هذا النحو من التشخيص، فجعل الموت كالموتور الذي طلب

ثأره، فأوقع الصدْع بالراثي وأهلِ وُدّه، وذلك قولُه(٢٦):

عذيريَ من دهرٍ كأني وتَرتُه | رهينَ لشَعبِ الودِّ أن يتصدّعا

ثم أوغل الحارثي في تشخيص الموت، مفصِّلاً القول على طريقته المعهودة، إذْ هو شديد الاستقصاء والتنويع في تمثيل حزنه وتصويره(٢٧)، فقال:

وما أحدٌ إلا له الموتُ ناصبٌ | بموقعةٍ منه حبائلَ صُرَّعا
وكلُّ امرئٍ منها بمنزلِ قُلْعةٍ | وإنْ ولَّدَ الأولادَ فيها وجمَّعا

غير أن بيته الأخير - وهو ختام القصيدة - هبط بالصورة، لأنه كرّر المعنى بلا طائل، واعتمد على لغة تقريرية في العجُز، وكان أبو تمام أبرعَ منه إذ ختم القصيدة ببيت عُدَّ من شوارد شعره، وذلك قوله:

فإن تُرمَ عن عُمرٍ تدانى به المدى | فخانك حتى لم يجدْ فيك منزَعا
فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَريبةً | فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

ثم استثمر ابن زيدون تشبيه المرثيّ بالسيف، ولكنّه عدلَ إلى صورة أخرى، إذ قال عن أمّ المعتضد:

أصَرْفَ الردى، لو أن للسيفِ مضرِبًا | لما رُعتَنا، أو أن في القوسِ منزَعا

فانطوت صورتُه على تشبيه التشبُّث بالحياة ودفع الموت بفعل مقاتل حمل سيفًا وقوسًا، يدافع عدوًّا، ولكنه عجز عن ردّه، إذْ لم يبق في السيف مضرِبٌ، ولا في القوسِ منزَع، وهذا الاختلاف بين أبي تمام وابن زيدون يؤكّد أثر السياق والمقام في تشكُّل القصيدة، وفي جنوحها إلى نمط أسلوبي دون آخر، فإن مقام رثاء أمّ الأمير غير مقام يُرثى فيه غيرها، ولهذا ذهب ابن زيدون إلى مدح الأمير في سائر القصيدة؛ لأنه - أي الأمير - هو المخاطَب بالشعر، وهو من يُطمَح إلى إيقاع الأثر في نفسه، فهو المقصود الأكبر به، أما الأمّ المرثيّة فسببٌ توصّل به إلى التقرّب منه والزُّلفى إليه.

ثم إن توارد الشعراء على هذا السياق الفني المتّحد، لم يمنع من استئثار كلّ منهم بما يُفرده عن أقرانه، فمتمّم - كما أسلفت - أعرابي الصورة، والفرزدق يستعين بالفضاءَين الديني والاجتماعي في قوله:

وقـائـلـةٍ لـيـت الـقـيـامـةَ أُرسِـلـتْ   علينا، ولم يُجْروا البريدَ المقزّعا

وعند ابن مُطير صورة لا يُنازَع فيها، قال عنها أبو هلال: إنها «أحسنُ ما قيل في بقايا آثار الميّت»[٢٨]، وأردف مثنيًا على القصيدة كلِّها: «وأنا أقول: إن هذه الأبيات أرثى ما قيل في الجاهلية والإسلام»[٢٩]، وقال ابن الأثير (ت٦٣٧هـ): إن الصورة من أغرب ما سَمِعَ في هذا الباب[٣٠]، يعنيان تشبيه المركّب بالمركّب، وهي قوله:

فتًى عِيشَ في معروفِه بعد موتِه   كما كان بعد السيلِ مجراه مرتعا

والحارثي يجيد تعمير الصور الموروثة، فقد استلّ من الكناية المشهورة عن الكريم (جبان الكلب)[٣١] تعبيرًا جديدًا، إذ قال: (قَطِيعُ لسانِ الكلبِ عن نَبْحِ ضيفِه)، وبهذا عدل عن تركيب كِنائي برَد تأثيره، لكثرة ما قيل وسُمِع، إلى تعبير جديد يتوسّل بصورة مشتقة من الصورة الأولى، وإن كانت أدنى منزلة منها.

والتَفتَ الحارثيُّ أيضًا إلى الصورة التي افترعها طرفة في قوله: (أرى الموتَ يَعْتامُ الكرامَ)[٣٢] فقال:

رأتـه المنايا خيرَنا فاختَرَمْنَه   وكـنَّ بـتـعـجـيلِ الأَخـايِـيـر نُـزَّعـا

ويوغل في تركيب صور ملوِّحة بمقدرة فنية، يقول:

وتبعثُ يقظانَ الترابِ جيادُه   ونـائـمَـه حـتـى يـهـبَّ ويـسـطـعـا

وابن زيدون لم يخرج في تصويره عن فضاء (الصلاح والتديّن)، كقوله:

خفضتَ جناحَ الذُّلِّ في العزِّ رحمةً   لـهـا، وعـزيـزٌ أن تـذلَّ وتـخـضـعـا

وقولي: إنه لم يخرج عن ذلك الفضاء مخصوص بالأبيات التي تدخل في الرثاء، أما سائر القصيدة الذي انطلق فيه مادحًا للمعتضد، فهو خارج عن هذا الحكم. ثم إن حكمي هذا لا يسلبُه أنه اقتدر على تركيب صور جيدة، اشتقّ مكوّناتها من الفضاء الذي لم يُرِد للمرثيّة أن تخرج عنه، وهو فضاء (الصلاح والتديّن)، فقد قال مثلاً:

وأن التُّقى قد آذنتْنا بفرقة | وأنّ الهُدى قد بان منك فودّعا
لقد أجهش الإخلاصُ بالأمس باكيًا | عليك، كما حنَّ اليقينُ فرجّعا
منارٌ من الإيمانِ لم يعْدُ أنَ هوى | وحبلٌ من التقوى وَهَى فتقطّعا

فهذه الصور المتوالية خارجة عن فضاء التصوير الذي انتمى إليه أغلب الصور عند سابقيه، وهي التي منحت قصيدته بعض امتيازها وتفرّدها، وإن اتحد سياقها الفني مع سوابقها.

مظاهر في الموسيقا:

أما الإطار الموسيقي العام الذي هو الوزن أو البحر، فلا وجه للوقوف به؛ لأن البحر واحد هو الطويل، غير أنه يمكن تأمّل بعض الظواهر المهمّة ذات الصلة بوحدة السياق الفني.

وأبرزها غياب التصريع والتقفية عن سبع من القصائد، فهو لم يظهر إلا عند أبي تمام، ويحيى بن زياد، وابن زيدون. والتصريع والتقفية مَظهرًا اعتمالٍ فني في الغالب، وأثر من آثار التنقيح، وهو متصل بالغرض والمرثِّين، وقد بان أن خمسة من الشعراء الذين أعرض لقصائدهم يرثون إخوانهم، ورثاء الأخ ليس كرثاء غيره؛ ففيه اللوعة والبثُّ الصادق الذي لا يحكمه تكلّف، ولا يسيطر عليه ادّعاء، فهو يتدفق سهلاً سمحًا غير مجتلَب، ولا يُسعى فيه لإرضاء سامع، ولا لاستجداء مخاطَب ذي منزلة.

على أن ترك التصريع هو مذهب الكثير من الفحول. ومن الشائع عند المجوِّدين ألا يأتوا بالقافية إلا في العجز(٣٣)، غير أنهم «جعلوا التصريع في مهمّات القصائد، فيما يتأهّبون له من الشعر، فدلّ ذلك على فضل التصريع»(٣٤).

وأميل أيضًا إلى تفسير غياب التصريع والتقفية عن قصائد الفرزدق وابن مُطير والحارثيّ بأنه ضربٌ من التأثر بلبيد ومتمّم، ولاسيّما الأخيران، ففي قصائدهم ما يوحي بأنهم متأثرون جِدَّ التأثّر بعينية متمّم التي هجم فيها على

غرضه، فلم يصرِّعْ ولم يُقَفِّ، وهذا يعني انسياقهم في القَريّ الذي احتفره متمّم، وإيثارهم أن يُسلَك شعرهم في نمطِه العالي. والحارثيّ أكثرهم تأثُّرًا به، حتى عُدّت عينيته «مثالاً للأسلوب العربي الخالص»[٣٥].

ومن المظاهر الموسيقية التي لم تظهر إلا عند لبيد ابتداء البيت الأول مخرومًا، في قوله:

يا ميَّ قومي في المآتمِ واندُبي فتًى كان ممن يبتني المجدَ أروعا

و«الخَرْم: إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبنيٌّ على الأوتاد المجموعة»[٣٦]، ومنه حذف فاء (فعولن) في أول الطويل، فتصير (عُولن)، كما في هذا البيت (يا ميِّ = عولن)، وهو شائع عند القدماء، ولكنّ نُضج التجارب الموسيقية عند الشعراء - على ما بدا لي - دفعهم إلى اطِّراحه؛ فهو ثقيل موهِمٌ بانكسار الوزن؛ ولذا قلّ، بل ندر، عند الشعراء المولّدين ومن بعدهم[٣٧]. ورحم الله الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) فقد كان - لعلوّ حسّه الموسيقي - يُنكره، ولم يُجِزْ وقوعه[٣٨].

ولا شكّ في أن هذين المظهرين الموسيقيّين ليسا ذوَيْ صلة بوحدة السياق، ولكنّي آثرتُ الإشارة إليهما، لأنهما يكشفان أن تلك الوحدة - ولا سيما في نطاقها الموسيقي - لا تغري الشاعر باتّباع كلّ مظهر فني، وأن عند الشعراء من النباهة الفنية ما يجعلهم يطّرحون ما لا يلائم أذواقهم[٣٩].

أما تفعيلات بحر (الطويل) فينبغي ابتداءً الإشارة إلى أن القول بصلاحية بعض البحور لمعانٍ دون أخرى غير ذي وَجاهة، وليس في التراث الشعري ما يشفع لهذا القول بالقبول، وليس ثمَّ خصائص سابقة للوزن، بل يكتسب كلُّ وزنٍ خصائصَه داخل التجربة، بحيث يمكن أن نجد قصائد متعدّدة من الوزن نفسه، ولكنّ كل قصيدة تفرض على الوزن خصائص ليست له في غيرها من القصائد، بسبب العلاقات المتميزة التي تشكّل القصيدة[٤٠]. غير أن هذا لا يمنع من تشابه القصائد ذات الوحدة السياقية، كهذه العينيات.

والذي يعنيني هنا هو أن تفعيلات بحر (الطويل) تهيِّئ للشاعر مجالاً رحبًا للانزياحات الموسيقية في حشوه؛ إذ إنه بحر ثنائيّ التفعيلات (فعولن مفاعيلن)، وكل واحدة من هاتين التفعيلتين تقبل من التغييرات ما يجعلها مَرِنة للتعبير عن المشاعر. والتغييرات فيهما تأتي على هذا النحو:

التفعيلة	التغييرات	
فعولن	عُولن	فعولُ
مفاعيلن	مفاعلن	مفاعي

ورحابة تفعيلات هذا البحر هيّأت للشعراء التصرف في تراكيبهم وألفاظهم دون أن يُضطرّوا إلى شيء من التكلّف أو ارتكاب الضرائر، فتشابهت قصائدهم من هذه الجهة، فلم أجد عندهم شيئًا يُسلَك في هذا.

بل إن الزحافات التي شاعت في قصائد الجاهليين وكانت مستثقلة، لم تظهر عندهم، فجاءت القصائد ناضجة الموسيقا، وهذا يعني أن المنشئ والمتلقي كان لهما أثر في نموّ الحس الموسيقي الذي ازوَرّ عن المجيء بـ (فعولُ مفاعلن) التي تعرقلُ تدفّق النغم في حشو الطويل، بل هي توهم أحيانًا بأن الشاعر خرج عن الوزن. وتَوالي القبض في هاتين التفعيلتين (فعولن تصبح فعولُ، ومفاعيلن تصبح مفاعلن) من الزحافات التي كانت ظاهرةً في شعر نفر من شعراء الجاهلية كامرئ القيس (ت نحو ٨٠ ق هـ)[٤١]، ثم غلب التنقيح والعمّد لإكمال التفعيلتين على مَن بعدَهم، ولاسيّما من المولّدين ومن وليَهم، فافتنّوا في تجنّبها؛ لإيهامها ما أسلفتُ من اختلال الوزن، أو لأنها ـ في أقلّ أحوالها ـ تجور على لذّة التنغيم.

وتتبّع إحدى تفعيلتي الحشو (مفاعيلُن) في العينيات يكشف أنها جاءت في الأغلب تامّةً (مفاعيلُن). وهذا هو الشائع في البحر الطويل على تعدّد الأغراض والقوافي؛ وعليه فليس لهذه القصائد سمات مخصوصة من هذا القَرِيّ، سوى ما ألمحت إليه آنفًا من نضجها الموسيقي الذي جعلها بمنجاة من الزحافات الثقيلة.

وأمضـــي إلى كلمات القوافي، بوصفها جزءًا من موسيقا الإطار. والذي يلفت النظر هو أن أكثر تلك القصـائد اشـتركت في كلمات عـدة اتُّخذت قوافي، وهذا بعض التفصيل الذي لا بدّ منه؛ حتى تتضح الرؤية، ويسهل إطلاق الحكم:

فهـذه الأربع الكلمات التالية وردت عند متمّم ولبيـد، وهي: (أوجعا، أروعا، المفجّعا، تُبّعا)، وقِصَـر قصيدة لبيد قلّل الاشـتراك في الألفاظ، بدليل اشتراك قصـيدتي متمّم والفرزدق في أربع عشـرة كلمة، هي هذه: (أوجعا، ودّعا، بلقعا، تضعضـعا، أجمعا، تُبّعا، معا، أسـمعا، مفجَّعا، أخضـعا، أجدعا، مُقَنّعا، أروعا، أوضـعا)، وهذا يكشف أن التشابه والائتلاف بين قصيدتي متمّم والفرزدق أكثر منـه فيما عداهمـا، وللروح الأعرابية وتقارب العهد أثر في ذلك، فضـلًا على أن قصيدة الفرزدق كان أشبه بالمعارضة لقصيدة متمّم.

ووردت هـذه الكلمـات الخمسـ عند أبي تمـام وابن زيدون: (بلقعـا، ودّعا، مِسـمعا، منزَعا، تقطّعا، مرتعا)، ولو طالت قصيدة أبي تمام أيضًا لزادت نسبة المشـتَرك؛ فإن للغرض والمقام المتماثلين أثرًا في اسـتدعاء الألفاظ، سواء أكانت في القوافي أم في حشو الأبيات.

وأجلى ما يلفت النظر في تلك الكلِم. وقد أسـلفتُ شـيئًا من هذا في التعليق علـى المعجـم. أن أكثرها مسـلوك في ألفاظ الفجيعة والبـكاء، أو هو مما يقع في سبيل تلك المعاني، مثل: تضعضعا، مصرعا، أُصرَعا، تقطّعا...؛ فلا يجد الشاعر محيصًا من استعماله، ولكن هذا لا يعني نفي تأثّر لاحق بسابق.

ولكلمـات القافية من الأهمية ما يجعلها أمًّا والدة لجُـلّ ألفاظ البيت، تأمّل مثـلًا كلمة (تُبّع) التي تخطر في ذهن الشـاعر، راسـمةً صـورة الهلاك، فيُجيل المعنـى في خاطـره، ويُهَمْهِم به، فإذا هو يتذكّر أمة أخـرى هالكة، فيعطف عليها تلـك اللفظة التي يريدها للقافيـة (تُبّع)، ويقدّم قبلها ألفاظًا تدلّ على أن الفناء سبيل النـاس، يقول لبيد:

وكان سبيلَ الناس من كان قبلَه   وذاك الذي أفنى إيادًا وتُبّعا

ويقول متمّم:

وعشنا بخيرٍ في الحياةِ، وقبلنا   أصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبّعا

ويقول الفرزدق:

على ابنِك وابنِ الأمِّ إذْ أدركَتْهما الـ   منايا، وقد أفنين عادًا وتُبّعا

ثم نجد ذلك مطوّلاً عند الحارثي تطويلاً هَلْهل الفكرة بلا طائل:

هو المتعسُ النعمانَ قسرًا وقبله   أبا كَربٍ والأيهمينِ وتُبّعا

وزيدينِ كهلانَ وعمْرِ بنِ عامرٍ   وحلوانَ أردى عَنوةً والهَمَيْسَعا

ويقع كلّ ذلك لأن قوانين الاختيار وتَطالُب الكلمات واقتضاء بعضها بعضًا تؤدي إلى توقّع كلمة بعينها[٤٢]، سواءٌ أكانت كلمة القافية مستدعية ما قبلها، أو كانت بعض ألفاظ الحشو ملوّحة لكلمة القافية ممهّدة لها.

ومن أثرها أن تجعل المعاني متصاقبة، وانظر في قول يحيى بن زياد ـ وقد بنى بيته على لفظ (أصرع) ـ إذ قال:

مضى صاحبي، واستقبل الدهرُ صَرعتي   ولا بدّ أن ألقى حمامي فأُصرَعا

فلفظ (أُصرَع) هو نواة البيت، ومن هذه النواة استُلّ لفظ (صَرعتي)، واستُدعي لفظ (الحِمام)، فجاء المعنى المعهود في صياغة أراد لها القائل أن تنفرد عن كلّ تعبير قبلها.

ومثله لفظ (مَصرَع) في قول جوّاب الأسدي:

وما من فتًى إلا . وإن طال عمرُه   وإن عاش.إلا سوف يُصرَع مَصرَعا

وفيهما تماثُلٌ لفظيّ بين (أُصرَع، ومَصرع)، من حيث إنهما لفظان لا يغيبان عن راثٍ يبني رويَّه على عين مفتوحة مطلقة في مثل هذا السياق، وهي أيضًا نواة البيت لغة ومعنى، فبلفظ (مصرع) تذكّر الشاعرُ العمرَ والعيشَ، فاستدعى الحقيقة التي لا جدال فيها.

ويصدق ذلك على بعض ما اشتُقّ من هذا الجذر (ص ر ع)، ومنه ما بدا في قول الحارثي الذي لم يخرج عن المعنى الذي أراده هذان، يقول:

وما أحدٌ إلا له الموتُ ناصبٌ بموقعةٍ منه حبائلَ صُرَّعا

ومن ذلك أن تجدَ لفظ (أوضعا) في بيت الفرزدق:

جماجمَ قوم ناكثينَ جرى بهم إلى الغيِّ إبليسُ النفاقِ وأوْضَعا(٤٣)

تجدَه مولّدًا في ذهنه ألفاظ البيت ودلالاته، ولا سيّما إذا التفتنا إلى علاقة (الإيضاع) بوصف المنافقين في القرآن الكريم ﴿وَلَأَوۡضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمۡ یَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾(٤٤)، فكأن التفكير في استعمال لفظ (أوضع) جلب المعنى إلى الشاعر، وهيّأ له ألفاظًا متصلة به (ناكثين، والغيّ، والنفاق).

ولكننا نجد هذا اللفظ عند الحارثي في سياق مضادّ، إذ استعمله في صفة مدح للمرثي، فقال:

فتى كان لا يدعو إلى الشرِّ نفسَه فإن جاءه الشرُّ امتطاه وأوضعا

ومن أثر كلمات القوافي التي قد تبرز في ذهن الشاعر قبل ألفاظ البيت كلها، أن تكون حاكمةً للظاهرة البديعية عنده، مهيمنة على اختياراته، ولعل هذا المظهر الفني يستبينُ بما في هذا الجدول:

كلمة القافية	اللفظ المستدعى	الفن البديعي الناشئ عنه
قصيدة الحسين بن مُطير		
متجرّعا	تجرّعتها	جناس
بلقعا	عامرًا	طباق
قصيدة الحارثي		
سُجَّعا	سجعت	جناس
أجدعا	أنفًا حَميًّا	طباق
مُطمِع	مَطمَع	جناس وردّ عجز على الصدر
مَقْرَعا	قرعتني	جناس وردّ عجز على الصدر
قصيدة يحيى بن زياد		
أصرعا	صرعتي	ردّ العجز على الصدر
مَدْفَعا	دفعنا	ردّ العجز على الصدر

قصيدة أبي تمام		
أسمعا	أصمَّ	طباق
بلقعا	مغنى	طباق
مُمرعا	مُمْعِرًا (مجدبًا)	جناس
مربَعا	مَصيفٌ	طباق
مسمَعا	منظرًا	طباق
مرتعًا	مرتعًا	ردّ العجز على الصدر
مصرَعا	مفَرًّا	طباق
تقطّعا	فقطّعها	جناس وردّ العجز على الصدر

إن كل كلمـة في قـوافي القصـيدة تـكاد تكـون هي نـواة البيت، ولاسـيما عند أبـي تمام، فكلّ فنٍّ بديعي عمد إليه إنما قدَحَتْـه لفظة واحدة، وهذا يؤكّد أهمية القافيـة في بنية الشـعر العربي، وشـدّة أثرها في اسـتدعاء معجم متصـل بها، واختيار ما يلائم منه. ويؤكّد هذه الظاهرةَ عند أبي تمام اسـتعراضُ شعره، فهو غزير المادة من هذه الجهة، حتى ذُكر أنه «ينصبُ القافية للبيت؛ ليعلّق الأعجاز بالصدور»(٤٥).

وهذا مرتبط بمسـألة اعتماد الأسلوب على الاختيار، وأنه خصِيصة فردية، وهذا - وإن عُدَّ من قوانين الأسـلوبية المعيارية - داخلٌ في كل الاتجاهات الأسـلوبية الأخرى(٤٦).

وعودًا على بدءٍ أقول: إن كلمة القافية قد تكون هي نواة البيت فيما أرى، وقد تكون هي المهيمنة على كلّ اختيار في حشوه؛ ولذلك يظهر أثر وحدة السياق الفني في هذا الجانب ظهورًا جليًّا، إذْ إن كلِمَ القوافي في تلك القصائد تتشابه، أو تكون هي إياها؛ لموضع الحاجة إلى التقفية بها، ومن ثمّ تتشابه القصائد غالبًا.

وليست المسألة وَقفًا على موضع الحاجة إلى التقفية بالعين المفتوحة المطلقة فحسب، بل إنها متصلة بوزن الكلمة، والوزن متوقَّع مؤثِّر(٤٧)، فإن بعض الكلمات لا تلائم تفعيلة الضـرب في هذا النمط من الطويل (مفاعلن)، فلو أراد الشـاعر

أن يقفّي بمثل (مستمتعا) أو (فزِعا) أو (سطَعا) ونحوها لما طاوعه الوزن؛ وعليه عددتُ ما سلف من أثر وحدة السياق الفني.

مظاهر في البناء:

لم يظهر لوحدة السياق الفني أثر كبير في البناء، فليس ثمَّ تماثل ظاهر، بل اختلفت المطالع، وابتُدئ في بعضها بالتقفية لا بالتصريع، ويمكن أن نُجري هذا الحكم على كل قصائد الشعراء القدماء، وقد استبان اختلاف القصائد المدروسة طولاً وقِصَرًا، واستهلالاً وختامًا، وشروعًا في المعاني، ولكن معانيها متقاربة، وبعضها يطابق بعضًا.

وقد حظي بعض ابتداءات هذه العينيّات بثناء النقاد؛ إذ قيل عن عينيّة ابن مُطير كلها: إنها من أفضل الرثاء[٤٨]، وخُصَّ مطلع عينيّة أبي تمام بأنه: «ليس في ابتداءات المراثي المولَّدة مثل قوله: أصمَّ بك الناعي»[٤٩].

ومما ينبغي أن يُشار إليه - وهو ذو صلة بوحدة السياق الفني - أن في بعض المطالع تماثلاً بيِّنًا، فقول الهذلي:

لعمري لقد نادى المنادي فراعني ... غداةَ البُوَينِ من بعيدٍ فأسمعا

هو عينُه إلا قليلاً قولُ ابن زياد:

ألا نوَّه الداعي بليلٍ فأسمعا ... بخِرْقٍ كريم كان في الناس أروعا

ويقاربهما صدرُ مطلع ابن زيدون: (ألا هل درى الداعي المُثَوِّبُ إذْ دعا).

واتحدت القصائد كلها في أن ابتداءاتها خالصة للرثاء، بلا مقدمات طللية ولا نسيب، وليس من عادة الشعراء مطلقًا أن يقدّموا بين يدي الرثاء نسيبًا[٥٠]، بل إن من المستحسَن - على ما يرى بعض النقاد - أن يُستفتَح الرثاء بالدلالة على المقصد، ولا يُصَدَّر بنسيب[٥١].

أما مقادير القصائد؛ فإن طول قصيدة متمِّم لم يُغْرِ الحسينَ بن مُطَير ولا

أبـا تمـام بالإطالة، ولكنه أغرى الفرزدق والحارثي بذلـك، وجاءت بعض القطع الأخرى قصـيرة النفَس (جوّاب السـلمي: ٧ أبيات، الهُذلي ويحيى بن زياد وأبو تمـام: ١٠ أبيـات)، وعندي أن الرويّ سـمح رهْوٌ، يتيح للشـاعر أن يمـدَّ به نفَسَ القول، وليسـت هذه المسـألة متصـلة بوحدة السـياق الفني إلا من هذا الجانب فحسـب، أعني ثراء المعجم، ولا سـيّما المتصل منه باختيار كلمات القوافي. وهذا أمر تنبّه إليه حازم القرطاجني، فأشار إلى أن موادَّ العبارات عن بعض المعاني في بعض الأوزان قليلة، فيعزُّ وجود ما يجيء منها عفوًا من غير احتيال ولا تكلّف(٥٢).

أما من حيث فِكَرُ العينيات واتسـاقُها وتجاوبُها وإفضـاءُ بعضـها إلى بعض، فثمّ تقارب وتباعد؛ ففي قصـيدة متمِّم كان تأبين المرثيِّ وبثُّ الشَّـجا غالبًا على الأبيات، ممزوجًا بالشكوى من ذهاب المؤنِس، واستطالة الشامت، وتذكّر أحباب آخرين، وأما قصيدتا الفرزدق وابن زيدون ففيهما امتزج الرثاء بالمدح، وخلصَت قصـائد ابن زياد وجوّاب وأبي تمام لغرضـها الرئيس، فكانـت أقرب إلى تحقّق الوحدة الموضوعية. غير أن قصيدة جوّاب تمتاز بفِكَر ليست في سائر القصائد، وهـي تحفّزه للثأر لأخيه، وإبـاؤه قبول الديَة أو العفو عـن القاتل، ولعلّ هذا جعل اشتراكها مع سائر القصائد في كلمات القوافي قليلاً.

ولذلك كله أثر في المسـتويات الأسـلوبية، وفي تحقّق الشـعرية في النصوص، فـإن تعدُّد الأغراض، وتكاثف الفِكَر في بعضـها، مدعاة إلى طـول النفَس، الذي يسـتدعي أيضًـا تعدّد المنـازع الأسـلوبية في الاختيـار والعدول، ويجتلـب مزيدًا من التجويد الفني، وإن جنى أحيانًا على شـعرية التعبير. ويشـهد لهذا قصـيدة الحارثي التي امتدّت في نحو مئة بيت، فكان في أسلوبها تنوّع وتبايُن، ما بين نمط عربي خالص ذي طريقة جاهلية، ونمط جديد مولّد متأثر بأساليب أهل زمانه.

والذي ينبغي لي أن أقف به ـ وإن صـدق على معظم الشـعر العربي ـ أن وحدة السـياق الفني تجعل تداخل القصائد واشتباه بعضـها ببعض واردًا، إذ يمكن أن

يُؤخذ بيت من قصيدة فيُدرَج في قصيدة أخرى، فلا يكون ناشزًا عن سياقها، ولا عن تحدّر معانيها، وتجاوب ألفاظها. خذ مثلًا هذين البيتين، وأولهما لمتمّم والثاني للبيد، وقد جعلتُهما متواليين، وكذلك أنا فاعل فيما يليهما:

نعيتَ امرأً لو كان لحمُكَ عندَه ... لآواهُ مجموعًا له أو مُمَزَّعا
فتىً عارفٌ للحقِّ لا يُنكرُ القِرى ... ترى رَفدَه للضيفِ مَلآنَ مُترَعا

فهما يبدوان متصلين وكأنهما من قصيدة واحدة، ومثلهما قولهما أيضًا، والأول لمتمّم:

فلا تفرحَنْ يومًا بنفسك إنني ... أرى الموتَ وَقّاعًا على من تشجّعا
وكان سبيلَ الناسِ، من كان قبلَه ... وذاك الذي أفنى إيادًا وتُبَّعا

وهذان أقرب إلى التلاحم، فقول متمّم (أرى الموت وَقّاعًا) ناسَبَه أن يأتي بعده قول لبيد: (وكان - أي الموتُ - سبيل الناس).

ومن ذلك هذان البيتان، وأولهما لابن مُطير والآخر ليحيى بن زياد:

فكنتَ لدار الجود يا معنُ عامرًا ... فقد أصبحتْ قفرًا من الجود بَلقَعا
فلم يَبْلَ ذِكْرٌ منك كنتَ تُجِدّه ... جميلٌ ولكنّ البلى فيكَ أسرعا

فهما - على ما بدا - ملتحمان التحامًا يجعلهما صالحَين لأن يكونا في قصيدة واحدة.

إن هذا المظهر غير مخصوص بوحدة السياق الفني في هذه القصائد فحسب، بل هو صادق على كل شعر اتحد سياقه (غرضه ووزنه ورويّه)، وربما عُدَّ هذا من أسباب تعدّد نسبة الشعر القديم، واختلاط بعض القصائد ببعض، وقد عوّل بعضهم على هذا المظهر، فاتهم القصيدة العربية بالتفكّك والاضطراب[٥٣].

وليست إشارتي إلى هذه المسألة غمزًا من قناة القصيدة العربية القديمة، ولكنها وصف خالص، استدعاه تأمّل أثر وحدة السياق الفني فحسب. وعليه يحسُن بي - وقد وقفتُ بها، وهي المثيرة للجدل - أن أشير إلى رأي حصيف جِدَّ الحصافة لحسين الواد، إذ عرض لـ(الانفراط والانتظام في القصيدة العربية)،

دارسًا بعض الآراء التي اتهمتها بالتفكّك والاضطراب، مُلمِحًا إلى خصوصية القصيدة العربية في تعدّد أغراضها، وأثرها في النهوض بوظائف في المجتمع، قلّما نهض بها أدب آخر، ثم جعل من أسباب تعدّد الأغراض والموضوعات. وهو ما رأيته في بعض العينيات. أنها طويلة غالبًا، وأنه أقرب إلى الاختيار الفني «ذلك أنه يتيح للشاعر التصرف في الكلام، في مقامات متعدّدة، بأساليب متنوّعة، تجنّب السامع الملل والضجر»(٥٤). وعَرَض أيضًا لوحدة المقاطع، وأن الاكتمال الفني فيها يُضَمّ إلى اكتمال آخر متحقّق في سائر المقاطع، وهو أيضًا ضرب من الاختيار الفني الواعي(٥٥).

إن الوحدة العضوية في العينيات متحقّقة ظاهرة في بعض المقاطع، ولا سيّما في مقطعي الصورة الاستدارية المشار إليهما سلفًا عند متمّم والحارثي.

أما وحدة الموضوع فهي الغالبة عليها، بل إن القصائد الأخرى التي اجتمع فيها غيرُ غرض، كعينيات الفرزدق والحارثيّ وابن زيدون، ليست بعيدة عن هذه الوحدة؛ ذلك أن التخلُّص من الرثاء والتأبين إلى مدح المخاطَب، أو إلى شكوى الحال والمآل بعد فقد المرثيّ، هو ملمح وحدة فنية؛ لأن الرثاء هو مدح أيضًا، ولكنّ فيه ـ أي الرثاء ـ عدولاً عن صيغة (أنت كذا) إلى صيغة (كان كذا)(٥٦).

ثم إن مدح المخاطَب المُعزَّى بعد رثاء الفقيد، يتحمّل قولاً متضمَّنًا هو أنك ـ أيها المخاطَب ـ عزاءٌ وسنَد، وأنه يخِفّ بسماعك للرثاء أثر المصيبة؛ فأنت أهل لأن يُثنى عليك، وتُنَثَّ مكارمُك.

وثمّ أمر آخر في البناء، وهو أن خواتم القصائد متشابهة، إذ تكاد تجتمع على ذكر الحقيقة الوجودية الكبرى، وهي أن الفناء مصير كلّ حي، ولا أعني بالخواتم البيت الأخير فحسب، بل قد يكون المقطع الأخير كله خاتمة، وهو ما يظهر في عينية متمّم، إذ قال في ختامها: (أرى الموتَ وقّاعًا على من تشجّعا)، ويظهر الختام في بيت واحد مضَمّنٍ ذلك المعنى لمحًا أو تصريحًا، فمن اللَّمح قول

لبيد:

لحا اللهُ هذا الدهرَ إني رأيتُه ... بصيرًا بما ساءَ ابنَ آدمَ مُولَعا

ومنه ختام عينية أبي تمام:

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَرِيبةً ... فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

فثمَّ إلماحٌ في هذا البيت إلى أن (التقطّع = الموت) هو المصير الحتْم لكلِّ شيء، إذ السيف (الحقيقي) لا المجازي هو كذلك متقطّع أي متكسّر يومًا.

ومن التصريح قول جوّاب السلميّ: (وما من فتًى... إلا سيُصرَعُ مصرعا). وهذا التماثل أو التقارب في الخواتيم من آثار وحدة السياق الفني، التي من أركانها المهمّة ـ على ما أسلفتُ ـ وحدة الغرض، وهو هنا أكثر تأثيرًا من الركنين الآخرين، وحدة الوزن ووحدة القافية.

وتُبايِن عينيّة ابن زيدون التي احتجنت غيرَ غرضٍ، واتصلت بمقام مختلف، ما عداها من العينيّات، فقد ختم ابن زيدون القصيدة ببيتٍ لاءم مدح المعتضد:

ودمتَ ملقًّى أنجمَ السَّعْدِ باقيًا ... لدِينٍ ودنيا أنت فخرُهما معا

وتعدّد الأغراض لا ينفي اتصالها وتواشجها، ولو من جهاتها الشعورية(٥٧). وعليه فإن وحدة السياق الفني ـ وإن ضمّت غرضين أو أكثر ـ تسهم في وحدة الأغراض أو تقاربها، ولننظر في عينية الفرزدق، فهي مثالٌ جليٌّ على هذا، فهو يرثي الرجلين، ويخاطب الحجاج مادحًا، فأين وحدة الشعور هنا؟ إنها مستمدَّة من صلة المرثيَّيْن بالمخاطَب، ومن موقف الشاعر منهما ومنه، فالصلة والموقف يجعلان الشاعر متقمِّصًا شخصية الحجّاج، فكأنّه يتحدث بلسانه، بل إنه جعل الحجّاج المخاطَب هو مدار القصيدة، وهو الذي يُبتَدَأ به الكلام، فالمطلع:

لئن صبر الحجّاجُ ما من مصيبةٍ ... تكونُ لمرزوءٍ أجلَّ وأوجعا

من المصطفى والمصطفى من ثقاته ... خليلَيْه إذْ بانا جميعًا فودَّعا

ثم قال واصلاً مدحه بتأبين المرثيَّيْن:

ولم يكن الحجّاجُ إلا على الذي هو الدينُ أو فقدُ الإمام ليجزعا
وما راعَ منعيًّا له من أخ له ولا ابنٍ من الأقوام مثلاهما معا

والبحر والوزن يسهمان معًا في اتصال الأغراض، وتلاؤم الفكَر؛ لأن وحدة النغم تضطرُّ الشاعر إلى الأشباه والنظائر من الألفاظ والتراكيب، ولا سيما إذا ربطنا هذا ببعض ما يُعرف من خصائص العربية، كدوران مشتقات الجذر على معنى كلّي واحد، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وما إلى ذلك، وهو ما يجعل القصيدة في يد الشاعر كالطِّوَل المُرخى وثِنياه في اليد، فمن تلاؤم الفِكَر أن قول الفرزدق بعد ذلك بأبيات:

سميَّيْ رسولِ الله سمّاهما به أبٌ لم يكنْ عند المُلِمَّاتِ أخضعا

يضمن للفكرةَ السابقة (جزع الحجاج على الدين) ألا تُفلت من يده.

وفيها أيضًا - وهو يخاطب أميرًا داهيةً - يقرن صفاتِه أو ما يحبُّ أن يُذكَر به، بصفات المرثيَّيْن، في قوله:

أخًا كان أجزى أيسرَ الأرضِ كلِّها وأجزى ابنُهُ أمرَ العراقينِ أجمعا

وبهذا جذب انتباه المتلقي الأول (الحجّاج) إلى حسنِ تأتّيه إلى المعاني، وقدرته على إيقاع الأثر المطلوب من قصيدة في هذا الموقف.

وعليه فقد اجتمع في قصيدة الفرزدق ثلاثة أغراض: الرثاء والتعزية والمدح، ولم يَعُقْها ذلك عن مماثلة القصائد التي اتّحدت بها في سياق فني، وإن كان في مظاهر وملامح أسلوبية دون أخرى.

ومن المهم هنا التفريق بين الشعر الغنائي الذي بعضه مدار دراستي هذه، وبين الشعر الملحمي والمسرحي اللذَين يتحقّق فيهما من الوحدة العضوية والموضوعية ما لا يمكن أن يُنتظر من الغنائي؛ فيكفيه إذن أن تتحقق فيه الوحدة الشعورية[٥٨]، وحسبُه حينئذٍ أن يتحقق جوهرُها، وهو التأثير[٥٩]، الذي يزيد من نسبة تحقّقه وحدة السياق الفني؛ ذلك أن اطّراد الفكَر وتجاوبها وإفضاء بعضها

إلى بعض في نغم واحد (بحرًا ورويًّا) هو عند المتلقي العربي من أبرز ما يستميله إلى الشعر، مضافًا إليه ما ينطوي عليه من شعرية أو أدبية، تنقله من محيط التعبير العادي الذي مَرَدَ عليه في شؤون حياته، إلى محيط مستعين بلغة ساحرة مدهشة.

وبعد فأرجو أن أكون قد وضعت اليد على ما يستحقّ النظر تأمّلاً وإضافة واستدراكًا، لا افتراعًا للفكرة، فهي مما تناوله بعض النقّاد والدارسين من قبلُ، بل رَوْزًا لها، وإحقاقًا لما بلغه بعض الدارسين، ونقاشًا لمسائل مهمة في بنية القصيدة العربية القديمة.

وأهمّ ما أراه حريًّا بالنظر والتأمّل مما وصلتُ إليه، ومما هو ذو صلة بالأسئلة المثارة في مفتتح البحث، هو أن لوحدة السياق الفني أثرًا في تصاقب المعاجم الشعرية التي تتوارد على ألسن الشعراء، وتأثيرًا في بنية القوافي من حيث هي مستقاة من معاجم متقاربة، أو متماثلة أحيانًا، وأثرًا في تتابع التعمير للصور الشعرية، وإلحاحًا على فِكَر مشتركة أدّت إليها وحدة الغرض، وكل ذلك يأتي في الغالب مقترنًا بالاختيار اللغوي، متصلاً بالبحث عن شعرية التعبير.

وبدا لي أيضًا أنْ ليس لوحدة السياق الفني أثر في مسائل تتصل باللغة والبناء والموسيقا، وأن بعض ما في هذه العينيات من سمات فنية، هو مما اتصف به الشعر العربي كله، فلا خصوصية لها من هذا الجانب، ولذلك لم أقف بكثير منها، ووقفت ببعضها وقفة عجلى؛ لأُوضِح بها بعض الفِكَر فحسب.

واللّه الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الهوامش

(*) أستاذ الأدب والنقد في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(١) الذِّهاب: جمع ذِهْبة وهي المطر الجَود، والغوادي المُدجِنات: السُّحب المظلمة لكثافتها، والخِرْوَع: الضعيف، ومجتَمَع الأسدام، وشارع وضَلفع: أسماء مواضع.

(٢) **جمالية الموت**، ٣٣٦.

(٣) ضرّسه الغزو: أثّر فيه، والصَّدْق: الصّلب، والسَّمَيدَع: الجميل الشجاع المديد القامة، والكَهام: الكليل، والبَزّ: السلاح. وفي قوله: (إذا هو لاقى حاسرًا أو مقنّعا) يحسُن إعراب (حاسرًا أو مقنّعا) حالين من الضمير المستتر في (لاقى)، لأنه أقوى للمعنى وأمتن، لا أن يُعربا مفعولين للفعل على ما رآه بعضهم. وعليه يصبح المعنى: إذا هو لاقى عدوّه سواءٌ أكان هو حاسرًا أو مقنّعا، فشجاعته وإقدامه في الحالين واحدة.

(٤) شاح بفيه: أي فاتح له، والكرْع: تناول الماء بالفم.

(٥) الذُّعاف المسلّع: السمّ السريع القتل الشديد الفتك.

(٦) ويشهد لتحازُن الفرزدق وتكلّفه الرثاءَ الخبرُ الذي أورده المبرّد، وفيه: أن الحجّاج جلس «للمعزّين، ووضع بين يديه مرآة، وولّى الناس ظهره، وقعد في مجلسه، فكان ينظر إلى ما يصنعون، فدخل الفرزدق، فلما نظر إلى فعل الحجّاج تبسّم، فلما رأى الحجّاج ذلك منه قال: أتضحكُ وقد هلك المحمّدان؟ فأنشأ يقول...» ثم أورد بعض أبيات القصيدة. كتاب **التعازي والمراثي**، ٢٠١.

(٧) البَرَم: من لا يدخل مع الناس في الميسر، لفقره، والقَشْع: بيت من جلد.

(٨) أذرت: ألقت، والكنيف: حظيرة من شجر تتخذ للإبل.

(٩) العاني: الأسير، وثوى: أقام، والقِدّ: القيد، وتكنّع: تقبّض.

(١٠) **شرح المفضليات**، ٢/٩٥٤.

(١١) ينظر: **الصورة الاستدارية في الشعر العربي**، خليل أبو ذياب، دار عمار، عمّان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٤٨-٤٩. والفضل في سكّ هذا المصطلح لمؤلف هذا الكتاب.

(١٢) ينظر: المرجع السابق، ٢٢.

(١٣) المرجع السابق، ٤١.

(١٤) **الشعراء الشاميون**، خليل مردم، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص٢٩٩.

(١٥) ينظر: المرجع السابق، نفسه.

(١٦) **طبقات الشعراء**، ٢٧٦-٢٧٧.

(١٧) المرجع السابق، ٢٧٧.

(١٨) **جمالية الموت**، ٤٣٨.

(١٩) ينظر: **البلاغة والأصول**، ١٦٤-١٦٥.

(٢٠) ينظر: **اللغة الشعر في ديوان أبي تمام**، ٧٤-٧٥.

(٢١) **البلاغة والأصول**، ٢٢٤.

(٢٢) الرَّفْد: القِدْر.

(٢٣) أذْرت: ألقتْ، والكَنيف: الحظيرة التي تتخذ للإبل، والمُرَفّع: المرفوع.

(٢٤) **شرح المفضليات**، ٢/٩٥٣.

(٢٥) المصدر السابق، ٢/٩٥٤.

(٢٦) انفرد كتاب **التهاني والتعازي**، ١٦٢ بهذا البيت.

(٢٧) ينظر: **الشعراء الشاميون**، ٢٨٩، ٢٩٩.

(٢٨) **ديوان المعاني**، ٢/٩٦٦.

(٢٩) المرجع السابق، ٢/٩٦٧.

(٣٠) ينظر: **المثل السائر**، ٢/١٥٣.

(٣١) ينظر: **دلائل الإعجاز**، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣٠٧-٣٠٩.

(٣٢) **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقّال، إدارة الثقافة والفنون، البحرين، والمؤسسة العربية، بيروت، ط الثانية، ٢٠٠٠م، ص٤٩.

(٣٣) ينظر: **كتاب القوافي**، أبو يعلى التنوخي، تحقيق: عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان، دار الإرشاد، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، ص٦٧-٦٨، وفيه أن ترك التصريع والتقفية يسمّى تخميعًا. وينظر: **العمدة**، ١/١٧٦.

(٣٤) **العمدة**، ١/١٧٦.

(٣٥) **الشعراء الشاميون**، ٢٨٩.

(٣٦) **كتاب القوافي**، ٦٩.

(٣٧) راجع ما نقله يوسف بكار عن الزحافات المستكرهة في: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٧١-١٧٣.

(٣٨) ينظر: **العمدة**، ٢٠٩/١.

(٣٩) وبتتبع قصائد كثيرة على الطويل في عصور عدّة، لم أجد الخرم إلا عند المتقدمين، وقلّة من المولَّدين، ويمكن عدّه من المظاهر الموسيقية التي آلت إلى الزوال.

(٤٠) ينظر: **مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي**، جابر عصفور، دار التنوير، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨٣م، ص ٢٦٥. وينظر فيه ما يلي هذه الصفحة، ففيه نقاش علمي جيّد لهذه المسألة.

(٤١) ويكفي للاستشهاد على هذا أن تستعرض مطوّلته، ففيها على سبيل المثال: (فجئتُ وقد نضَتْ لنومٍ ثيابَها)، فوزنه: (فجئتُ: فعولُ، وقد نَضَتْ: مفاعلن...)، وتوالي القبض في هاتين التفعيلتين ثقيل.

(٤٢) ينظر: **الجملة في الشعر العربي**، محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٦م، ص٩٨.

(٤٣) أوضَع: أسرع.

(٤٤) سورة التوبة، ٤٧.

(٤٥) **العمدة**، ٢٠٩/١.

(٤٦) ينظر: **البلاغة والأسلوبية**، ٥٢.

(٤٧) ينظر: **الجملة في الشعر العربي**، ١٠١.

(٤٨) ينظر: **العمدة**، ١٤٨/٢.

(٤٩) **العمدة**، ١٤٩/٢. وينظر: **ديوان المعاني**، ٩٦٣/٢.

(٥٠) ينظر: **العمدة**، ١٥١/٢. واستُثني من ذلك دالية دُرَيد بن الصمّة في رثاء أخيه، إذ ابتدأ فيها بالنسيب.

(٥١) ينظر: **منهاج البلغاء**، ٣٥١، و: **البلاغة والأصول**، ٢١٧.

(٥٢) ينظر: **منهاج البلغاء**، ٢١٠.

(٥٣) أشار الدكتور حسين الواد إلى بعضهم. ينظر: **نظر في الشعر القديم**، حسين الواد، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ط الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٨٠.

(٥٤) المرجع السابق، ٨٥.

(٥٥) ينظر: المرجع السابق، ٩٢-٩٣.

(٥٦) راجع كلام قُدامة عن الفرق بين الرثاء والمدح في: **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٠٠، وينظر: **العمدة**، ١٤٧/٢.

(٥٧) راجـع: **وحـدة القصـيدة في الشـعر العربي حتى نهاية العصـر العباسـي**، حياة جاسـم محمد، دار العلـوم، الرياض، ط الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صـ٢١٦-٢٣١. ففيه عرض لآراء عدة في هذه القضية.

(٥٨) ينظر: **وحدة القصيدة في الشعر العربي**، ٢٣٣.

(٥٩) ينظر: المرجع السابق، ٣٧٧.

شعر
أبي اليُمْن ابن عساكر المكيّ (٦١٤ - ٦٨٦هـ)

جمع وشرح وتقديم

(٣)

د. عبد الرازق حويزي

[قافية السين]

(١٤)

وقال: [من الطويل]

١- منَازلُ إطرابي ومرتبعُ الأُنسِ ... سَقَاها الحيا بينَ المقَطَّم والمقْسِ

٢- وَحَيًّا وإن شَطَّتْ دِيارُ أَحِبَّتي ... إليها على الأَشْوَاقِ أُصْبِحُ أَوْ أُمْسِي

٣- مَطالِعُ أقمار مجرَّةُ أَنْجُم ... مهبُّ صَبًا مربى مَهًا فلكُ الشَّمْسِ

٤- منازلُ فيها كُلُّ مَلْهًى وَمُشْتَهًى ... وَمَهْوًى ومحبوبٍ إلى العَيْنِ والنَّفْسِ

٥- مَرَاتِعُ غِزْلان ربوعُ أَحِبَّة ... ملاعبُ أَتْرَاب مجالبُ للأُنْسِ

٦- محطُّ صَبَابَات وَمَنْشَأُ صَبْوَة ... ومنزعُ أَشْوَاقٍ إلى حَضْرَةِ القُدْسِ

٧- غَنيتُ بها عَن كُلِّ مَغْنًى يَشُوقُني ... فَأُنْسِي بها عَن غَيْرِها أَبَدًا يُنْسِي

٨- تَغَنَّتْ بها الأَطْيارُ لا لحنُ مَعْبَدٍ ... ولا نَغَمُ العِيدانِ بالنَّقْرِ والجَسِّ

٩- وأطلق فيها الماءُ وهو مُسَلْسَلٌ فَمُطَّرِدٌ صَحَّتْ مَبانيه بالعَكْسِ
١٠- وفاءَ إليها الفَيءُ فاعجبْ لآنسٍ من الوَحْشِ أو وَحْشيةٍ من مَها الإنسِ
١١- أَحِنُّ إليها بالأَصائِلِ والضُّحَى ومن حُبِّها قَدْ مَسَّني شَبَهُ المَسِّ
١٢- ولو بجُفُونِ العَينِ صافَحَتْ تُرْبَهَا أبلَّ به المشتاقُ مِن ألمِ النّكْسِ

الشَّرح:

(١) المقَطَّم: الجبل المشرف على القرافة، مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة، ويُسَمَّى في كلّ موضعٍ باسم، وعليه مساجد وصوامع للنَّصارى، والمقس: بين يدي القاهرة على النيل. معجم البلدان ٥/١٧٥ – ١٧٦.

(٣) المهاةُ: البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ لبَياضِها. تاج العروس ٣٩/٥٧٧.

(٨) مَعْبِد هو: معبد بن وهب المُغَنِّي (ت ١٢٦هـ)، أبو عباد المدني، نابغة الغناء العربيّ في العصر الأموي. الأعلام ٧/٢٦٤، الجس: المس باليد. تاج العروس ١٥/٤٩٩.

(١٠) الفَيءُ: ما بَعْدَ الزَّوَال من الظِّلّ. تاج العروس ١/٣٥٤.

(١٢) أبلَّ: بَلَّ الرجُلُ مِن مَرضِه: إذا بَرأ، والنّكْسِ: الضعف. تاج العروس ٢٨/١٠٧، ١٦/٥٧٩.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/١٦٨.

[قافية العين]

(١٥)

وقال لبعض أودَّائه، كان من عادته أن يزوره كل شهر فأبطأ عليه: [من الطويل]

١- إذا كُنتَ لم تَطْلُع هلالاً لشهرنا فكنْ بـدْره البَـادي لعَشـر وَأَرْبَـع
٢- أَطلـتَ ثَـواءً في خَميلة رَوْضَـة وذاكَ لمَثْوَى الغُصْن أَنْسَبُ مَوْضع
٣- وَخَلَّفْتَني بَيْنَ الطُّلُول مُناشدًا لمَنْ لَيْسَ يُشْكي إن شَكوتُ ولا يعي
٤- أروحُ بقلب للفـرَاق مُـرَوَّع وأغــدُو بـدَمْـع في الـدِّيَار مُـوَزَّع
٥- وقدْ فَاتَني رُؤْيَا حمَاكَ بنَاظري فَصِفْهُ لَعَلِّي أَنْ أَرَاهُ بمَسْمعي

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في العِقْد الثَّمِين برواية: «بعشر».

التَّخريج:

ملء العيبة: ١٦٥/٥، والعِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٧/٥-٤٣٨.

[قافية القاف]

(١٦)

وقال: [من السريع]

١- بمُلتقَى الرُّكنين قَلْبي لَقى كَمْ لي ومَنْ أَهْوَى بهَا مُلْتَقَى
٢- لجِيرةِ الحَيِّ على أَنْ أَيْ عقدتُ مَا بينَهُمَا المَوْثقَا
٣- ولي عَلى سَفْح الصَّفَا جيرَةٌ قَلْبي إليهمْ لمْ يَزلْ شَيِّقَا
٤- إخوانُ صِدْقٍ أَخْلَصُوا وُدَّهُم غُصنُ التَّصَافي بَيْنَهُمْ أَوْرَقَا
٥- حلُّوا الصَّفَا مَغْنًى وَحُلُّوا الصَّفَا معنًى ونقَوْا فَثَوَوا بالنَّقَا
٦- عَهْدي بهم مُذ نَفَرُوا من منًى عَسَى بجْمَع جَمْعُ مَن فُرِّقَا
٧- فَسَائل الأَحْيَاءَ عَن حَيِّهم أَنْجَدَ أَمْ أَشْأَمَ أَمْ أَعْرَقَا؟
٨- تَعَرَّفَتْ مِنْ قَبل تَعْريفنا أرواحُنا فَاشتاقَت المُلْتَقَى
٩- أشتاقُهم حُبًّا وَقَدْ أَصْبَحُوا منَّا إلينا في الهوى أَشْوَقَا
١٠- فَقَبِّلِ الرُّكْنَ إذَا جِئْتَهُ عَنِّي وَجَدِّدْ مَوْثقًا مُوثقَا

١١- صافِحْه كَي يُصْفَحَ عَن سَيِّئٍ جَنَيْتَه تَجْنِ الجَنَى المُونِقَا

١٢- مَعاهِدُ عَهْدِي قَدِيمٌ بها لا مِصْرُهُم أَهْوَى ولا جِلَّقَا

١٣- فاصبُ بها لإيراقِ اللِّوَى وبَرْقِها شِمْ وَدَعِ الأَبْرَقَا

١٤- يَا مَوقِفًا من بطنِ نَعمانَ هَل مِن مَوْقِفٍ فيكَ لِمَن وُفِّقَا؟

١٥- لِيَلْتَقِي مَن حَيُّه مُنْجِدٌ بِمُتْهِمٍ بَعْدَ لِقاءٍ لَقَى

الرِّوَاية:

(١) ورد صدر البيت الأول في العِقْد الثَّمِين هكذا: «قلبي لقاكم».

(٤) وورد عجز البيت الرَّابع في العِقْد الثَّمِين هكذا: «غصن التصافي بينهم قد أورقا»، وزيادة «قد» كسرت البيت.

(٥) وورد البيت الخامس في ملء العيبة برواية: «وَحلوا الصَّفَا».

(٨) وورد البيت الثَّامن في العِقْد الثَّمِين برواية: «تعرفت من بعد تفريقنا».

(١٣) وورد البيت الثَّالث عشر في ملء العيبة هكذا: «فاصبُ بها لإيراقِ اللِّوَى»، وورد في العقد الثمين برواية: «فاصبُ بها لا لبرق اللوى»، وأخذت برواية هامشه عن إحدى نسخه المخطوطة.

الشَّرح:

(٥) نقْوًا: نظافة وطهارة. تاج العروس ١٢٢/٤٠.

(١٢) جِلَّق: «اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل: بل هي دمشق نفسها، وقيل: جلق موضع بقرية من قرى دمشق». معجم البلدان ٢/١٥٤.

(١٣) شِمْ: انظرْ. تاج العروس ٤٨٥/٣٢، الأَبْرَق: جبل مخلوط برمل معجم البلدان ١/٦٥.

(١٤) بطن نعمانَ: موضع بين مكة والطائف. معجم البلدان ٥/٤٠٩.

(١٥) منجد: أي مَن حيُّه بنَجد، مُتْهِم: أي مَنْ حَيّه بتهامة.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/١٦٧ – ١٦٨، والأبيات ١-٩ ما عدا البيت الثَّاني، ١٢، ١٣ في العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٥/٤٣٦-٤٣٧.

(١٧)

وقال وقد دعاه الوزير «ابن حِنَّا»(*) للتدريس: [من البسيط]

١- يا مَن دَعَاني إلى أَبوابِه كَرَمًا إنِّي إلى بَابِ بيتِ الله أَدْعُوكَا

٢- ومَن حَدَاني إلى تَدريس مَدْرَسَة إنِّي إلى السَّعْي والتَّطْوَاف أَحْدُوكَا

٣- أَبيتُ لله جَارًا لا أَلُوذُ بما شَيءٌ سِوَاه وهذا القَدْرُ يَكْفيكَا

٤- وأَنْثَني طَائِفًا من حَوْلِ كَعْبَته أَرَى مُلُوكَ الدُّنَا عِنْدي مَمَاليكَا

(*) الوزير ابن حِنَّا هو: «الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا علي بن محمد بن سليم، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حنَّا المصري، أحد رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ودهاءً وخبرةً وتصرُّفًا. استوزره الظاهر، وفوض إليه الأمور... ووَزَر بعد الظاهر لابنه سعيد، وزادت رتبته. وله مدرسة وبِرٌّ وأوقاف. ابتُلي بفقد ولديه فخر الدين ومحيي الدين، فصبر وتجلَّد. وعاش أربعًا وسبعين سنة، وتوفي سنة سبع وسبعين وست مائة، وشيَّع الخلق جنازته». الوافي بالوَفَيَات ٢٢/٣٠.

التَّخريج:

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/١٥٢.

(١٨)

وقال: [من الطويل]

١- بأستار بيت الله قمْ مُتَمَسِّكا وبالله عُذْ من ناره أنْ تَمَسَّكا

٢- ولا تَعْتَصِمْ إلاَّ بحبْل اعتصامه فلا بسوى توفيقه لا تُمَسِّكَا

٣- وَلُذْ بحِماهُ فاستَلِم ثَمَّ فالتَزم وَعَظِّم على التَّقْوَى شَعائِرَ رَبِّكَا

٤- وَجَـدِّدْ عُهُودًا في مَعاهدها الَّتي   إلى مَن بها بَرْحُ اشتياقكَ شَفَّكَا
٥- مَعاهدُ لـلأرواح فيها مَعارِفٌ   غَـذاكَ هَـواهَـا إذ سَقاكَ فَعَلَّكَا
٦- فمن حُبِّها وَافيتَ أشعثَ أغبرا   تلبِّي لــرَبّ بالـلَّطـائف رَبَّكَـا
٧- عَليكَ شعارَ الحُبِّ تَزْهَى ببِذْلة   تبـذَّلْتَهـا لله مـن زَهْـو مُـلْكِكَا
٨- فجدَّدتَ رسْمَ الوَصْلِ بَعدَ دُروسه   وَطُفْتَ كمَا طافَ المحبُّونَ قَبْلَكَا
٩- فقرَّة عينٍ منك كمْ سخنَتْ شَجيً   بمُنْيَـة قُـرْبٍ نلْتَه بَعْدَ بُعْدِكَا
١٠- ويا برد حَرّ الشَّوقِ منْكَ بوَقْفَة   بملـتزَم تنـهي وتـشـرحُ مـا بـكَا
١١- فصافحْ يمينَ الله ذكرى لعبده   وقـلْ: آبـقٌ وافـى وفَـاءً بعَهْدكَا
١٢-وقضِّ بما بينَ الحَجونِ إلى الصَّفا   شجونَ هوى من أجلها طالَ شَجْوُكَا
١٣- نعمتَ بنعمانٍ فظلِّ أراكُها   مقيلَك طُوبى ثمَّ طُوبى ليَهْنكَا
١٤- فبُشراكَ منْها موقف عَزَّ موقفًا   تـنـالُ به الـزُّلفى ويُـغْـفَـرُ ذَنْبُـكَا
١٥- يُبَاهي بكَ الله الملائكَةَ العُلَى   ظَفرْتَ لَعَمْري ثمَّ قَدْ جَدّ جدُّكَا
١٦-وعرّفت تعريفَ الأُلى عَرفُوا الهوَى   وَمَا أنكرُوا من بعد ذَاكَ فَمَنْ لَكَا
١٧- بشطيْ ألال ثم في سَفْح نابت   تـراوحُ كي يـرتـاحَ في الحبِّ قلبُكَا
١٨- ومن عجبٍ أنَّ الأعاجيبَ جمَّةٌ   طلُوعٌ لسعد في أُفُولِ لشَمْسكَا
١٩- فلمَّا قَضَى منها هواكَ شُجونَه   دفعتَ إلى جَمْعٍ بطائرِ يُمْنكَا
٢٠-أفضتَ وقد فاضتْ عليكَ إلى منًى   مَـواهـبُ أسـرارٍ بهـا بُـرَّ حَجُّكَا
٢١- فوفَّيتَ نذرًا ثم قضَّيت للمُنى   بها تَفَثًا من رَمي جَمْرٍ وَحَلْقكَا
٢٢- فإنْ لم تكنْ أهلاً لذا حقَّ أَهْله   فقلْ: رَبِّ أَهِّلْني لذاكَ بفَضْلكَا
٢٣- وقفتَ لتَوديع وقوفَ شَجٍ جوٍ   تـودّعُهَا حـزنًا وتـسـألُ عَـوْدَكَا
٢٤- وهل يرحمُ البينُ المجدُّ أخَا أَسًى   شَكا فُرْقَةَ الأَحْباب أو مُوجَعًا بَكَى؟
٢٥- ولكنَّ سفْحَ الدَّمْع يَشْفي صَبابَةً   لذي لَوْعَة فَاسْفَحْ لنَأْيك دَمْعَكَا
٢٦- تزَوَّدْ فَقَدْ أعْجلتَ منْهَا بنَظْرَة   عَسَى عودةٌ من قبل تَرحلُ عيسَكَا
٢٧- فما في الدُّنا وقتٌ كوَقْتك في منًى   ولا مِثْلُ نَعْمانِ الأَراك بأَرْضكَا

الشَّرح:

(١١) الآبِقُ: الآثم. تاج العروس ٦/٢٥.

(١٧) أَلالَ: اسم جبل بعرفات. معجم البلدان ١/٢٤٢، وينظر البيت رقم (٢٣) من القصيدة رقم (٢).

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/٢١١- ٢١٢.

[قافية اللام]

(١٩)

وقال وقد بعث إليه أحد أصحابه فتى اسمه محمَّد يستدعي منه الختمة، فوجَّهها إليه وكتب معه: [من الكامل]

مَـوْلايَ إنَّ مُـحَـمَّـدًا وافَـى إلـى ... عَلْياكَ بالذِّكْرِ الحَكيمِ رَسُولا
عَلِقَتْ بِهِ رُوحُ الأَمِينِ صَبَابَةً ... فَعَلَيهِ نُزِّلَ حُبُّهُ تَنْزِيلا

الشرح:

الأمين: هو لقب الشاعر نفسه.

التَّخريج:

ملء العيبة ٥/٣٧٤، والعِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٥/٤٣٩.

(٢٠)

وقال: [من الوافر]

١- ألا إنّ الصَّلاةَ على الرَّسول ... شفاءٌ للقلوب من الغَليل
٢- فصَلِّ عليه إنَّ اللهَ صلّى ... عليه ولا تكونَنْ بالبخيلِ
٣- وصلِّ عليه قد صلّتْ عليه ... ملائكةُ السَّماء بجبرُئيلَ
٤- ألا إنّ الصَّلاةَ عليه نُورٌ ... لدَى الظُّلماتِ في اليوم المُهُولِ
٥- وتثقيلٌ لميزانٍ خَفيفٍ ... وتخفيفٌ من الوِزْرِ الثَّقِيلِ

٦- إذا صَلّيتَ صَلّى الله عَشْرًا بواحدة عَليكَ على الرَّسُولِ
٧- وتحظَى بالشَّفاعَة يَوْمَ تُجْفَى ومَا لَكَ مِن مُقيلٍ أو مُنيلِ
٨- فأكثرْ أو أقلَّ فأنتَ تُجْزَى بذلكَ مِن كثيرٍ أو قليلِ
٩- فَصَلِّ عليه تُجْزَ جَزاءَ ضِعْفٍ وتُجْزَ مُضاعفَ الأجرِ الجزيلِ
١٠- وأولى النَّاسِ أكثرُهمْ صَلاةً عليه بِه وأَحْرَى بالقَبُولِ
١١- وأنجاهُمْ من الأهْوالِ عبدٌ بها لَهِجٌ بَدَلْ قَالٍ وقيلِ
١٢- فكُن لَهِجًا بِذكْراه حَفيًّا بلُقياهُ ومنصبه الجَليلِ
١٣- وصَلِّ صَلاةَ مُشْتَاقٍ إليه وداوِ بذكره سقْمَ العَليلِ
١٤- وصَلِّ مَدَى الزَّمَانِ على رَسُولٍ كَريمٍ مُصْطفَى بَرٍّ وَصُولِ
١٥- وصلِّ على حبيبٍ فاقَ فَضْلاً مَدى شأوِ الكليمِ مَعَ الخليلِ
١٦- فصلَّى اللهُ أفضلُ من يصلِّي عليه في الصَّباحِ مع الأصيلِ
١٧- وآتاهُ الوَسيلةَ مستجيبًا وبلَّغهُ نهايَةَ كُلِّ سُولِ
١٨- وأَزْلَفَه وَشَفَّعَه ليأْوِي إليه النَّاسُ في ظلٍّ ظَليلِ
١٩- وأطّدَ شَرْعَه وحَمَى حِماه وأيَّدَهُ بواضِحَةِ الدَّليلِ
٢٠- وشرَّفَه ولم يَبْرَحْ شَريفًا فيجمعَ جملةَ المجدِ الأثيلِ
٢١- وزادَ مُحبَّهُ شَرفًا وفَخْرًا بتفضيلٍ وتَنْويلٍ جَزيلِ
٢٢- وزادَ عُلاه منه بِطُولِ عُمرٍ قصيٍّ مِن مَوَاهِبِه طَويلِ
٢٣- وأوردَنا عليه الحوضَ وفْدًا لنُروى بالرِّوَى مِن سَلسبيلِ

الرِّوَاية:

(٧) ورد البيت السَّابع في نَفْح الطِّيب (ط. إحسان عباس) برواية: «يَوْمَ تَضْحَى».

(١١) وردت كلمة (بدل) بتسكين آخرها في هذا البيت في طبعتي نفح الطيب، وقال إحسان عباس في هامش نفح الطيب تعليقًا على تسكين: (بدل): «وفي هذه القصائد تسامح أحيانًا في اللغة والإعراب».

(١٥) وورد البيت الخامس عشر في نَفْح الطِّيب (ط. محيي الدين عبد الحميد) برواية: «حاز فضلاً... شأوِ الكلامِ».

الشرح:

(١٩) أَطَّدَ: ثبَّت. تاج العروس٩/٣٠٢.

التَّخريج:

نَفْح الطِّيب ٧/٥٠٤-٥٠٥ (ط. إحسان عبَّاس)، ١٠/٣٥١-٣٥٢ (ط. محيي الدين عبد الحميد).

(٢١)

وقال حين شاهد مثال نعل الرَّسول صلى اللّه عليه وسلم: [من الكامل]

١- يا مُنْشِدًا في رَسْمِ رَبعٍ خالٍ ... ومُنَاشِدًا لِدَوارسِ الأَطْلالِ

٢- دَعْ نَدْبَ آثارٍ وذِكرَ مَآثرٍ ... لأحِبَّةٍ بَانُوا وَعصْرٍ خالِ

٣- والثِمْ ثَرى الأَثَرِ الأثير فَحَبَّذَا ... إنْ فُزْتَ منه بلَثْم ذَا التِّمْثَالِ

٤- أَثَرٌ له بقُلُوبِنَا أَثَرٌ بها ... شُغُلُ الخليِّ بحبِّ ذات الخَالِ

٥- قبِّل. لك الإقبال. نَعْلَي أَخْمُصٍ ... حَلَّ الهلالُ به مَحَلَّ قِبالِ

٦- ألصِقْ بها قَلْبًا يقلِّبه الهوى ... وَجلا على الأَوْصَابِ والأَوْجَالِ

٧- صَافِحْ بها خَدًّا وَعَفِّرْ وَجْنَةً ... في تُربِها وجدًا وفَرطَ تغالِ

٨- تَشفيكَ حَرَّ جَوًى ثَوَى بجَوانحٍ ... في الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلالِ

٩- يا شِبهَ نعل المصطفى رُوحي الفدا ... لمَحَلِّكَ الأَسْمَى الشَّريف العَالي

١٠- هملتْ لمرآكَ العيونُ وقَدْ نَأَى ... مَرمَى العيَان بغير مَا إهمالِ

١١- وتذكَّرَتْ عَهْدَ العَقيق فناثرتْ ... شَوقًا عقيقَ المدمَعِ الهَطَّالِ

١٢- وصَبَتْ فَوَاصَلَتِ الحنينَ إلى الذي ... مَا زالَ بَالي منه في بَلْبَالِ

١٣- أذْكرْتني قَدَمًا لها قِدَمُ العُلا ... والجود والمعْرُوف والإفضَالِ

١٤- أذْكَرْتني مَن لم يزل ذِكري له ... يعتاد في الأبكار والآصَالِ

١٥- لو أنَّ خدّي يُحْتَذَى نَعْلاً لهَا ... لَبَلَغْتُ مِن نيل المنى آمَالي

١٦- ولها المفاخرُ والمآثرُ في الدُّنا ... والدِّينِ في الأقوالِ والأفعَالِ

١٧- أو أنَّ أجفَاني لوطء نعالها ... أَرْضٌ سَمَتْ عزّا بذا الإذْلالِ

الرِّوَاية:

(٥) ورد البيت الخامس في ملء العيبة في صلب القصيدة، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض برواية: «نعل أخمص»، وأخذت برواية أخرى وردت في البيت، حيث روي منفردًا ملء العيبة.

(٦) وورد البيت السَّادِس في ملء العيبة برواية: «وجدًا على الأوصاب».

(٨) وورد البيت الثَّامِن في ملء العيبة برواية: «ستبل حر».

(٩) وورد البيت التَّاسع في ملء العيبة برواية: «نفسي الفدا».

(١٠) وورد البيت العاشر مكررًا في ملء العيبة هكذا: «عملت لمرآك... مَرقى العِيَانِ».

(١٢) وورد البيت الثَّاني عشر في ملء العيبة برواية: «في الحب بالي».

(١٤) وورد البيت الرَّابع عشر في ملء العيبة في صلب القصيدة، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض برواية: «الأبكار والأوصالِ»، وأخذت برواية تكراره في ملء العيبة حيث ذكر البيت بعد القصيدة.

(١٧) وورد البيت السَّابع عشر في ملء العيبة برواية: «لمواطئ نعلها».

الشَّرح:

(٧) التغالي: التجاوز. تاج العروس ٣٩/ ١٨٠.

(٨) الإبلال: الشفاء من المرض. ففي تاج العروس ٢٨/ ١٠٧: «بَلَّ الرجُلُ مِن مَرضِه: إذا بَرأ».

(١١) العقيق: سـتّة مواضِع، وهي أودِيَة شقّتْها السَّـيْلُ عاديّةٌ؛ منها: العَقيقَ الـذي بالقُرْبِ من ذاتِ عِـرْق قبلَها بمَرْحَلة أو مرْحلَتَيْن، وهو ميقات أهل العراق، ولعله المراد هنا. تاج العروس ١٦٨/٢٦.

(١٢) البَلْبَالِ: التشتت بسبب كثرة الهموم. تاج العروس ٢٨/ ١١٤.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/ ٢١٨ – ٢٢٠ دون البيت الرَّابع عشر، ولكنه روي بعد القصيدة اعتمادًا على إثبات المؤلف لفروق روايتي القصـيدة حسـبما سمعها ووقف عليها، وبتقديم الخامس على الرَّابع، وتقديم الثَّامِن على السابع، وتقديم السَّادس عشر علـى الخامس عشـر. وفيـه: وقال في البيت الآخـر «لَوْ أن، ولو قَـالَ: وَلَوَ ان بنقل الحركة لكان أفصـح»، والقصـيدة في أزهار الرياض في أخبار القاضـي عياض ٢٦٢/٣، والمواهـب اللدنيـة بالمنـح المحمديـة ٢١٥/٢، والمجموعـة النبهانيـة في المدائح النبوية ٣٩٨/٣.

(٢٢)

وقال بمسجد الخَيف بمِنَى: [من الكامل]

١- يا جيرَتي بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... شَـوقِي إليكُمْ مُجْمَلٌ ومُفَصَّلُ

٢- أهـوَى دِيـارَكُمُ وَلي بِرُبُوعِهَا ... وَجْـدٌ يُثَبِّطُني وَعَـهْـدٌ أوَّلُ

٣- ويَزِيدُني فِيها العَذُولُ صَبابَةً ... فَيَظَلُّ يُغْرِيني إذَا مَا يَعْذِلُ

٤- ويقولُ لي: لَو قَدْ تَبَدَّلْتَ الهَوَى ... فَأَقُولُ: قَدْ عَزَّ الغَدَاةَ تَبَدُّلُ

٥- باللهِ قُلْ لي: كَيفَ تَحْسُنُ سَلْوتي ... عَنْهُم وحُسْنُ تَصَبُّري هَلْ يَجْمُلُ؟

٦- يا أَهْلَ وُدِّي بالمحَصَّبِ دَعْوَةً ... مِـن نَـازِحٍ بلِقَاكُمُ يَتَعَلَّلُ

٧- هل في البِلادِ محلّةٌ مَعروفَةٌ ... مثل المعرَّفِ أو محَلٌّ يُحْلَلُ؟

٨- أم في الزَّمانِ كَلَيلةِ النَّفْرِ التي ... فيها من اللهِ العوارِفُ تُجزَلُ؟

٩- أم مثل أيـام تقضَّت في مِنًى عمر الزَّمان بها أغرُّ مُحَجَّلُ؟

١٠- في جنْبِ مجتمعِ الرِّفاقِ ومنزِع الـ أشواقِ حيَّاهَا السَّحَابُ المسبلُ

الرِّوَاية:

(٣) وورد البيت الثَّالث في العِقْد الثَّمين ٥/٤٣٤-٤٣٥، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام برواية: «إذَا مَا يَعْدِلُ»، وورد في العِقْد الثَّمين ١/٢١٧ برواية: «العدول... يعدل»، وورد في دُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك برواية: «لمغريني إذا».

(٤) وورد البيت الرَّابع في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «ويقولُ: لَو»، وورد في العِقْد الثَّمين برواية: «عز العزاة».

(٥) وورد البيت الخامس في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «كيف تحس»، وورد في العِقْد الثَّمين ٥/٤٣٤-٤٣٥، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام برواية: «عَنْها وحُسْن». وورد في العِقْد الثَّمين ١/٢١٧ برواية: «يحْسُنُ سَلْوتي... عنها... يحمل».

(٧) وورد البيت السَّابع في العِقْد الثَّمين ١/٢١٧ برواية: «محل تحللُ».

الشَّرح:

(١) الحَجُونِ: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وقال السُّكري: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال السُّهَيليّ: على فرسخ وثلث... وقال الأَصْمَعِيّ: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة. معجم البلدان ٢/٢٢٥.

(٦) المَحَصّبُ: موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكة، وهو خَيْف بني كنانة. معجم البلدان ٥/٦٢.

(٧) المعرَّف: موضع الوقوف بعرفة. معجم البلدان ٥/١٥٥.

التَّخريج:

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢/٢٩٠، والزهور المقتطفة من تاريخ مكة

المشـرفة ٣٥١ ما عدا البيت السادس فيهما، والعِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٢١٩/١-٢١٧، مـا عدا البيت السَّـادس في هذه المصـادر، والأبيات ١-٦ فيه ٥/ ٤٣٤-٤٣٥، وتاريـخ الإسـلام ١٥/٥٧٢، والأبيات ١-٥ في دُرَّة الأَسْـلاك في دولة الأتراك ١/٤٣٨، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٧/٢٦٧.

[قافية الميم]

(٢٣)

وقال: [من مجزوء الوافر]

١- أَرِقْــتُ لِـوَمْـضٍ مُـبْـتَـسِـمِ — أَضَـــاءَ لَـنَـا دُجَـى الـظُّـلَـمِ
٢- فَـبِـتُّ بِــهِ سَـلِـيـمَ هَـوًى — لِجِـيـران بِــذِي سَـلَـمِ
٣- تَجَـشَّـمَ كُـلَّ شَـاسِـعَـةٍ — فَـحَـلَّ حِـمَـى بَـنِـي جُـشَـمِ
٤- فَـسَـلْ نَــارًا عـلـى عَـلَـمٍ — بَـــدَتْ عَــنْ جِــيرة الـعَـلَـمِ
٥- وَرِدْ رَيَّـــا عـلـى ظَـمَـأٍ — روى مـــاءٍ عـلـى إِضَـمِ
٦- وَعَـفِّــرْ في الـرُّبَـا بِقُبـاً — بِـخَـدِّكَ غَـيرَ مُـحْـتَـشِـمِ
٧- وَأَلْـصِـقْ بـالـبَرى كَـلِفًا — فُـــؤادَك يَــبْرَ مِــنْ سَـقَـمِ
٨- وَسَـلْ عَـنْ قَـلْـبِ خَائِفِهِمْ — بِـسَـلْـعٍ أو بِـخَـيْـفِـهِـمِ
٩- طَـرِيـحَ هَـواه بينَهُمَا — قَـتِـيـلاً إِثْـرَ بَـيْـنِـهِـمِ
١٠- فَـمَـا يَـمَـنٌ لَـنَـا شَـجَـنٌ — وَبَـــرْقَ الـشَّـامِ لَمْ أَشِـمِ
١١- بِمَـكَّـةَ لي قَـديمُ هَـوًى — عَـلِـقْـتُ بِــهِ مِــنَ الـقِـدَمِ
١٢- فَـأَمِّـي نَـحـوَهَـا أَبَـدًا — عَـلَـى خَـبَـبٍ وفي أَمَـمِ
١٣- لِـزَام الـحُـبِّ قُـمْـتُ لَـه — مُـقَـامَ هَـوًى بِمُـلْـتَـزَمِ
١٤- وفي جَـمْـعٍ وخَـيْـفِ مِنًى — لَـعَـمْـرُك مجمعُ الـهِـمَـمِ
١٥- وفي عرفـاتٍ قَـدْ عُـرِفَتْ — كِـــرَامُ عُـهُـودِهَـا الـقُـدُمِ
١٦- وطَـيـبَـةُ طَـابَ مَـرْبَـعُـهَـا — فَـعَـنْـهَـا قَـطُّ لا تَــرُمِ
١٧- إذا مَـا عَـنَّ لي شَـجَـنٌ — فَـمِـنْ حَـرَمٍ إلـى حَـرَمِ
١٨- أزورُ أَحِـبَّـةً كَـرُمُـوا — كَـلِـفْـتُ عَـلَـى الـنَّـوَى بِـهِـمِ

١٩- وأسْـعَـى فِي زِيَـارَتِـهِـمْ   بِـرَأْسِـي لا عَـلَـى قَـدَمـي

الرِّوَاية:

(١٠) ورد البيت العاشر في ملء العيبة برواية: «لمْ يشمِ».

(١٢) وورد البيت الثَّاني عشـر في مـلء العيبة برواية: «على جُنب»، وورد في العِقْد الثَّمِين برواية: «فأمسي نحوها».

الشَّرح:

(٦) قُبا: أي مسجد قباء.

(٧) البَرَى: التراب. تاج العروس ٣٧/١٦٥.

(١٠) أَمِّي: قَصْـدِي. الخَبَبُ: الإِسْـرَاعُ فِي المَشْـيِ. تاج العروس، ٣١/٢٤٣، ٢/٣٢٩.

(١٦) لا تَرُمِ: لا تطلب سواها. تاج العروس ٣٢/٢٩١.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/١٦٥-١٦٦، والبيت السَّـابع عشـر في التحفة اللطيفة ٣/٢٠، والأبيـات ١-٤، ١٠-١٢، ١٦-١٩ في العِقْـد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٥/٤٣٧، والبيت ١٧ مكرر فيه ٥/٤٣٤.

(٢٤)

وقال: [من الخفيف]

١- سَائِلُوا بـيْنَ زمـزم والحطيـم   عَنْ فُؤادي المضنى وعَهْدي القديم

٢- خَـبِّرُوا جيرةَ الأَبَـاطِـحِ أَنِي   حِلْفُ وَجْـدٍ بهم وشَـوقٍ مُقِيم

٣- مَـنْ تَـكُنْ دَارَه الـشَّـآمُ فَطَرْفِي   لِـبُروقِ الـشَّـآمِ غـيرُ مُـشِـيمِ

٤- واشتياقِي أَهْلَ المحصَّبِ لا أَهْـ ... ـلي عَلى جِلَّقٍ وتلْكَ الرُّسُومِ

٥- يا رَعَى اللهُ مَن أُلامُ عَلَيهِمْ ... وبِهِم قَدْ غَدَوْتُ غيرَ مُلِيمِ

٦- نَزَلُوا بالصَّمِيمِ مِنِّي وَلكِنْ ... بَينَ نَعمانَ دارُهُمْ والجمومِ

الشَّرح:

(١) «الحطيم، بالفتح ثم الكسر: بمكة، قال مالك بن أنس: هو ما بين المقام إلى الباب، وقال ابن جريج: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام، حيث يتحطم الناس للدعاء، وقال ابن دريد: كانت الجاهلية تتحالف هناك، يتحطمون بالأيمان، فكل من دعا على ظالم وحلف إثمًا عجلت عقوبته، وقال ابن عباس: الحطيم: الجدر بمعنى جدار الكعبة، وقال أبو منصور: حجر مكة يقال له الحطيم مما يلي الميزاب». معجم البلدان ٢/٢٧٣. والميزاب: قناة أو أنبوبة يصرّف بها الماء من سطح بناء أو موضع عالٍ. المعجم الوسيط ١٥، وهو في الكعبة الشريفة مثَّبت أعلى جدارها مقابل حِجر إسماعيل.

(٣) شَامَ البَرْقَ، يَشِيمُه شَيْمًا: إذا نَظَر إليه. تاج العروس ٣٢/٤٨٥.

(٥) الجَموم: هو أرض لبني سُليم، وبها كانت إحدى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم. معجم البلدان ٢/١٦٣، والجموم: منطقة بجوار مكة المكرمة على طريق السيل الكبير الذي يربط بين مكة المكرمة والطائف، لا تزال بهذا الاسم إلى الآن، وفي عجز البيت تقديم وتأخير، وأصل الكلام أن الدار بين نعمان والجموم، ولا يزال نعمان بهذا الاسم أيضًا، وهو بين مكة والطائف على طريق الهدا الذي يربط بينهما.

التَّخريج:

عيون التواريخ ٢١/٤٠٨، ومخطوطه الورقة ١١/١٥٤.

(١) وردت كلمــة القافيــة في البيــت الأول في مطبوع عيــون التواريخ هكذا: (المقِيم)، وهو تحريف، والتصحيح من مخطوطه.

(٢) ووردت الكلمــة الأولى من البيت الثاني في مطبوع عيون التواريخ هكذا: (خيروا). والتصحيح من مخطوطه.

(٣) ووردت كلمــة القافية في البيت الثالث في مطبــوع عيون التواريخ هكذا: (مسيم)، والتصحيح من مخطوطه.

(٦) ووردت كلمــة القافية في البيت الســادس في مطبوعه ومخطوطه هكذا: (الحموم)، وفيها تصحيف، ولعل الصواب ما تم إثباته.

(٢٥)

وقال: [من الرمل]

١- مَن يكنْ أضحَى بنجد مُغرمًا ... وزَرُود والحِمَى والعَلَم
٢- فَبِبَيتِ الله أَمْسَى شَجَني ... والهوَى مكة ذات الحرَم
٣- إنَّ قَلْبي في نَواحيهَا لقًى ... وفُؤَادي بينَ تلكَ الحطم
٤- فَاسألا عَنِّي إذا مَا جئتُمَا ... بينَ ركنِ البيتِ والملتزَم
٥- تجدَاني عندَها رَهْنَ هَوًى ... وعُهود للتَّصَابي قُدُم
٦- عَائِذًا طَوْرًا وَطَوْرًا لائِذًا ... بحِمَى مَن حَلَّه لم يُضَم

الشَّرح:

(١) وزَرُود: بركة وقصر وحوض، قالوا: أول الرمال الشيحة، ثم رمل الشقيق وهي خمسة أجبُل: جبلا زرود، وجبل الغر ومربخ، وهو أشدها، وجبل الطريدة، وهو أهونها حتى تبلغ جبال الحجاز. معجم البلدان ١٩٣/٣، والحِمَى: الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه أي يمنعونهم. معجم البلدان ٣٠٧/٢، والعَلَم: الجبل الطويل. تاج العروس ١٣٢/٣٣.

(٣) اللَّقَـى: المُلْقَـى، وهو ما طُـرِحَ وتُـرِكَ لهَوَانِه. تـاج العروس ٣٩/٤٧٥، والحطمِ: الجموع المزدحمة. تاج العروس ٣١/٥٠٨.

(٤) الملتزَمُ: يطلق على ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة الشريفة. المصباح المنير ٢/٣٥٣.

التَّخريج:

دُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك ١/٤٣٨.

(٢٦)

وقال يحث أهل مصـر على الجهاد ضـد الفرنسـيس عـام (٦٤٧هـ): [من الكامل]

١- جللٌ أصابكَ والخطوبُ جسامُ ... فالقلبُ دامٍ والدُّموعُ سِجامُ
٢- ومصيبةٌ عَظُمَتْ وخَطبٌ فَادحٌ ... ذهلتْ له الألبابُ والأفهامُ
٣- أضحَى به الإسلامُ منفصمَ العُرى ... يُجْنَى عليه برغْمهَا ويُضامُ
٤- وشَكَتْ شَريعةُ أحمد لمُديلها ... جَوْر الأُلى إذلالَها قَدْ سَامُوا
٥- كسفتْ له الشَّمْسُ المنيرةُ واغتَدَى ... وجهُ الصَّبَاحِ وَقدْ عَلاه ظَلامُ
٦- لبستْ له الأيامُ ثوبَ كآبَةٍ ... فَلِحُزْنها حَتَّى المَمَاتِ دَوامُ
٧- ذهبتْ بشاشةُ كلّ عيش ناضرٍ ... فعَلَى التَّهَاني والسُّرورِ سَلامُ
٨- فَالرَّوضُ لا نضِرٌ ولا خَضِلُ الرُّبا ... مَا مَاسَ فيه للغُصونِ قَوَامُ
٩- لم يسر فيه لنا النَّسيم مُعَطَّرًا ... والدَّوح مَا غَنَّى عَليه حَمامُ
١٠- وتَعَطَّلَت سبلُ اللِّسانِ فلا هَوَى ... مستعذبٌ فيه جَوى وغرامُ
١١- هَجَرَ الحبيبُ فلا وصالٌ يُرتجى ... منه ونَقْضُ وداده إبرامُ
١٢- وتقطَّعت ذمم المودَّة وانقضَى ... زمَنُ السُّرور كأنَّه أحلامُ
١٣- وغدا الزَّمانُ كمَا تَراه وثغرُه ... لا ضاحكٌ فرحًا ولا بسَّامُ
١٤- يا ناصرِي الدينَ الحنيفَ أهكذا ... عنكم يجازى دينُنا الإسلامُ؟

١٥- أسْلَمْتُمُوه إلى الصَّغَار وأُبتُم ... والعارُ مقترنٌ بكم والذَّامُ
١٦- خارتْ عزائمُكم وَشُتِّتَ جمعُكم ... وتقطَّعت مَا بينكم أرحامُ
١٧- أين الحروبُ المُتَّقَى سَطَواتُها ... منكم؟ وأين الكرُّ والإقدامُ؟
١٨- أينَ الصَّواهلُ ضُمَّرًا؟ أين البوا ... سلُ زُوَّرًا والفَارسُ المقدَامُ؟
١٩- أين الصَّوارمُ شُرَّعًا؟ أين الذوا ... بلُ رُعَّفًا؟ أين الفتى الهمّامُ؟
٢٠- أينَ الذي قد بَاعَ مُهْجَةَ نفسه ... لله؟ فهو عَلَى الرَّدَى حوّامُ؟
٢١- أين الكريم الخيم؟ أين أخو الوَغَى؟ ... أين الذينَ عن العدَى مَا حَامُوا؟
٢٢- لا تَضعُفُوا جُبنًا ولا تتهيَّبُوا ... مَن شأنُه الإذلالُ والإرغامُ
٢٣- لَكُمُ الكرامةُ والمهابةُ والحجَا ... والأَيدُ والآراءُ والأَحْلامُ
٢٤- لَكُمُ المثوبة والجزاء المرتَضَى ... وعليهم الآصَارُ والآثامُ
٢٥- أنتُمْ برضْوانِ الإله وقربه ... منهم أحقّ وفيكم الأعلامُ
٢٦- كمْ فيكمُ من باسلٍ فتَكاتُه ... يحنُو لدَيها الصَّارمُ الصَّمصَامُ
٢٧- ومدجّج يومَ الكريهة ما اجتَلَى ... إلاَّ وَقَدْ نثرت عليه الهَامُ
٢٨- خوّاضُ غمرةِ كلِّ مَوْت كافلٌ ... دينَ الإله بنَصره قوّامُ
٢٩- يُردي الفوارس معلمًا لا ناكصًا ... يومَ الهياجَ إذا الحروبُ تُقَامُ
٣٠- ويشنّ في الأعداء غارةَ بأسه ... فلنار عَزْمَته يشبّ ضرَامُ
٣١- ومدَرَّعين إذا الرَّدَى يومَ الوَغَى ... شيمتْ بوارقُه وَحُمّ حمَامُ
٣٢- لبسُوا القلوبَ عَلى الدُّروعِ وَجَرَّدُوا ال ... عَزَمات فهي لهم لَعَمْرُك لامُ
٣٣- بذَلُوا نفوسَهم لنُصرة دينهم ... فلهُم عليه حرمةٌ وذمَامُ
٣٤- رامُوا النَّعيمَ السَّرْمَديَّ فأبعدوا ... في نَيله مَرمًى وعَزَّ مرَامُ
٣٥- جَنحُوا إلى العلياء فاهتَجَروا المنى ... فعَلَى جفُونهم المنامُ حَرَامُ
٣٦- قَد أعربُوا لغةَ الرَّدَى في لحْنهم ... فلَهم بألْسنَة الرِّماح كَلامُ
٣٧- أفْعَالهم تُبْنى عَلَى حرَكَاتها: ... كسْرُ العدَى والحذْفُ والإدغَامُ
٣٨- إخوانُ صدْق: منهمُ من قد قضَى ... نحبًا ومنهم مَن له يستَامُ
٣٩- باعُوا النُّفوسَ فَحَبَّذَا مِنْ مُشْتَرٍ ... رَبٌّ لديه البرُّ والإنعَامُ

٤٠- فعلَى نفوسِهم الزكيةِ رحمَةٌ ... مِن ربهم وتحيةٌ وسَلامُ
٤١- وعلى وجوههم البهيَّة نضرةُ الـ ... إجلالِ مَوصولٌ بها الإكرامُ
٤٢- جنَّاتُ عدْنٍ فُتّحَتْ أبوابُها ... لهمُ ومَثْوَى حُظوة ومقَامُ
٤٣- أرواحُهم تَحيا وَتُحْبر بالمُنى ... وكأنَّما لم تَألم الأجسَامُ
٤٤- وسُقُوا شَرابًا من رحيق سلْسل ... عذب له المسكُ السَّحيقُ ختَامُ
٤٥- يَسْتَبْشِرُونَ بِنعْمَةٍ وكَرامَةٍ ... من ربهِّم هَذا النَّعيمُ التَّامُ
٤٦- حضَروا حظيرةَ قُدْسه فتنعَّمُوا ... بجواره فهُم لديه كرَامُ
٤٧- هذي المَعالي هل لها من طالبٍ؟ ... هَا أنتُمُ عنْهَا الغَدَاةَ نيَامُ
٤٨- هذي السَّعادةُ قدْ أطلَّ سَحَابُها ... بدَت الطُّلولُ ولاحَت الأعْلامُ
٤٩- هذي جِنانُ الخلد تحتَ سيوفكم ... وبها إليكمْ لَوعَةٌ وهُيَامُ
٥٠- تُجلى عليكم حورُها وقصورُها ... ويشوقُها شعَثٌ بكم وكلامُ
٥١- وتنفَّستْ أنفاسُها مِسْكيَّة النـ ... ـنفحات لا ضالُ الحمى وخُزَامُ
٥٢- ربحتْ تجارتُكم ألا فاستَبْشرُوا ... هاتيكَ سُوقُ المكرُمَات تُقَامُ
٥٣- يا أخوةَ الإسلام كيفَ قعَدتمُ ... عن نصْرِه وأرَى العدَى قدْ قَامُوا؟
٥٤- ورقدتمُ عنه وعينُ عَدُوِّه ... بالبغْي والظُّفرانِ ليسَ تنامُ
٥٥- عدمتْ نفوسُكم الأبيَّةُ نخوةَ الـ ... إيمانِ فَهي لذاكَ ليس تُلامُ
٥٦- أمْ هلْ ترى رَضيَتْ بذلّة دينها ... فلَها المذلَّةُ منه والإجْرَامُ؟
٥٧- أمستْ مساجدُكم كنائسَ لا يُرى ... فيهَا لكم عندَ الصَّلاة زحَامُ
٥٨- لا يُسمعُ التَّأذينُ في عَرصَاتها ... خَوفَ العدَاة ولا الصَّلاةُ تقَامُ
٥٩- رُفعَ الصَّليبُ على المنابرِ وانبرَى الـ ... ـناقُوسُ فيه بشِرْكهم إعْلامُ
٦٠- وَغدا منارُ الحقّ منهدمَ البُنا ... فالحرمُ حلٌّ والحلالُ حَرَامُ
٦١- درستْ رسومُ العلم فهي مَحيلةٌ ... وتبَدَّلَتْ من بَعْده الأَحْكَامُ
٦٢- وتحكَّمَتْ فرَقُ الضَّلالة في الهدى ... فَتَصيَّدَتْ آسادَهُ الآرَامُ
٦٣- فالبيتُ والأركانُ يندبُ ركنه الـ ... ـواهي القوى والحجُّ والإحرَامُ

٦٤- والحجرُ والمسعَى ومروةُ والصَّفَا والأبـطـحـان وزمــزمٌ ومـقَـامُ
٦٥- ما طلَّ نَعمانُ الأَراكِ ولا سَقَى مـن بعده وادي العَقيق غَمَامُ
٦٦- وتـغَـيَّرَتْ صفةُ الـزَّمَـان لأَجْـلـه وتَـنَـكَّـرَتْ مـن بـعْـده الأَيَّــامُ
٦٧- فالشَّمْسُ تَبْدُو وهي غَير مُنيرَة حُـزْنًـا ومـا زَانَ الـهـلالَ تمَـامُ
٦٨- ونَبيُّها الهـادي بطَيبةَ قَد شَكَا بَـثَّ الجَـوَى فَجـوَاه لَيسَ يُـرَامُ
٦٩- نُـسـخَـتْ شـرائـعُـه وبُــدِّل ديـنُـه وانحلَّ من سلك الزَّمان نظَامُ
٧٠- يا عُصْبةَ التَّوحيد كَيفَ تحكَّم الـ ثـالـوثُ فيكم والـعُـلَـى أقـسَـامُ؟
٧١- وعلا عَلى الحقِّ اليقين لديننا مَـن ديـنُـه الـبـهـتَـانُ والإيـهَـامُ
٧٢- ميلُوا عليه واستَعينُوا واصبرُوا لا تُـدْبـرُوا وَلْـتَـثْـبُـت الأَقْــدَامُ
٧٣- وتَرَقَّبُوا النَّصرَ العَزيزَ وَأَوْبَةَ الـ ـفَـرَج الـقـريـبَ فـربُّـنَـا عَـلاَّمُ
٧٤- لا بـدّ مـن يَـوم يشيبُ لـهوْله فَـوْدُ الـوَليد ويَفْشَلُ الضِّرْغَامُ
٧٥- لا تمـترُوا في هُلْك قَوْم كَذَّبُوا فَلَسَوْفَ يَا قَوْمـي يَكُونُ لـزَامُ
٧٦- يـا مُـدَّعـي ديــنَ المسـيح وإنَّــه ليَطُول منه لما ادَّعـوْه خصَامُ
٧٧- غَـيَّرْتُمُ دينَ المسيح وَمَا انتحَى مُـوسَـى ومَـا قَـدْ سنَّ إبـراهَـامُ
٧٨- وحـسـدتم خيرَ الـبريَّة أحمـدَا فـلـنَـعـتـه في كـتـبكم إبــهَــامُ
٧٩-هيهاتَ نورُ الشَّمْس ليسَ بمخْتَف والمسـك كَـيـفَ كَـتَـمْـتَـهُ نَمَّـامُ
٨٠- مـنَّـا عليه صَـلاةُ صَـاد صَـادق ولـنَـا بـه بـرقُ الـسُّـعود يُشَامُ
٨١- يا بَاعثَ المخْتَار من خَير الوَرَى فـهـو الــذي لـلـمُـتَّـقـين إمَــامُ
٨٢- يـا خـيرَ مـسـؤول وأكـرمَ مُـنْعـم ومـريـدَ مَـا تجـرَى بـه الأقْـلامُ
٨٣- يا كَاشفَ الغَمَّاء يُظْلم خَطْبها فلَهَا عَلَى سَعَة الفَضَاء ركَامُ
٨٤- انصُـر شَريعَتَنَا وسَـدِّدْ أمـرَنَـا فلنا الحراسةُ منكَ والإعظَامُ
٨٥- عَجِّل دَمَـارَ الكَـافـريـنَ وَأَرْدهـم حَتَّى يكونَ لهم بنَا استعصَامُ
٨٦- وَأَتح لـهم محـنًـا تَـأَجَّـجُ نَـارُهَـا يـبـدُو عَـلـيـهَـا زَفْــرةٌ وَقَـتَـامُ
٨٧- واحللُ عَزائمَهم وشَتِّتْ جمعَهُم حَتَّـى يُـرَى لـوُجُـودهـم إعْـدَامُ

٨٨- وأذِلَّ عِـزَّتَـهـم وخـيِّـبْ سَـعْـيَـهـم | ليكونَ منْهُم للـرَّدَى استسَلامُ
٨٩- وارأبْ ثَأَى الإسلامِ واجبر كَسْرَه | حَـتَّـى يَـعُـودَ وشَـمـلُـه مُـلـتَـامُ

الشَّرح:

(١٩) الذوابلُ: صـفة للرماح، سُـمِّيت بذلك لِيُبْسِـهَا ولُصُـوق لِيطِها، يَعْنِي قِشْـرَها. جمهرة اللغة ٣٠٥/١، والمخصـص ٢٢/٢، الرعف: سرعة الطعن. تاج العروس ٣٥٤/٢٣.

(٢١) الخِيمُ: السَّجِيَّة والطَّبِيعَة. تاج العروس ١٣٤/٣٢.

(٢٣) الأيْد: القوة. المعجم الوسيط ٣٤.

(٢٤) الآصار: الأحمال الثقيلة. المعجم الوسيط ١٩.

(٢٦) الضَّمْضَامُ: الذي يَحْتَوِي على كُلّ شَيْء يَضُمُّه إلى نَفْسِه. تاج العروس ٥٤٤/٣٢.

(٢٧) مدَجَّجٌ: لابس الدرع، ملازم للسـلاح اسـتعدادًا للحرب. تاج العروس ٥٤٨/٥.

(٢٩) المعلَم: المقدام، بحيث يكون دليلا لغيره. تاج العروس ١٣٢/٣٣.

(٣٨) يستَامُ: يعرض. تاج العروس ٤٢٨/٣٢.

(٥٠) الشَّـعَثُ بالتحريك مَصْـدَرُ الأَشْـعَث، للمُغْـبِرِّ الرَّأْسِ. تـاج العروس ٢٧٩/٥، والكِلامُ: الجراح. المعجم الوسيط ٧٩٦.

(٥١) الضَّـالُ: السِّـدْرُ البَرِّيُّ. والحِمَى: مَوْضِعٌ فِيه كَلأٌ يُحْمَى من الناسِ أنْ يُرْعى. تاج العروس ٣٥٩/٢٩، ٤٧٧/٣٧.

(٦٠) الحِرْم: من الحرام، وهو الممنوع فعله. المعجم الوسيط ١٦٩.

(٧٧) إبراهَامُ: اسم أعجمي، وهو لغة في إبراهيم. لسان العرب. (برهم).

(٨٠) صَادٍ: ظامئ متشوق. تاج العروس ٨/٣٠٦.

(٨٦) القَتَامُ: الغبار تاج العروس ٣٣/٢٢٥.

(٨٩) الثّأى: الأَمْرُ العَظِيمُ يَقَعُ بينَ القَوْمِ. تاج العروس ٣٧/٢٦٢.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/٢١٤ – ٢١٧

(٢٧)

وقال: [من الكامل]

١- يا ربِّ صَلّ على النَّبي وآله ... صَلواتنا ما دَامت الأيامُ

٢- واخصُصْ ختومَ سَلامنا بجنابه ... كالمسك يعبَقُ فُضَّ عنه ختامُ

٣- واحرسْ شريعتَه وأوضح سُبْلَهَا ... تبدُو بها للسَّالك الأعلامُ

٤- وأدمْ كرامتَه وأعلِ مَنارَه ... وأنلْهُ أعلى ما لديكَ يُرامُ

٥- وارفعْ له الدَّرَجات في رُتَبِ العُلا ... فهو الذي للمُرْشِدِين إمَامُ

٦- وأقمْه بين يديكَ زُلفَى مَوقفاً ... للحَمْد مَا لسِوَاه فيه مقامُ

٧- وأنلْ شفَاعته وأوردْ حَوْضَه ... مَنْ لَو أتَاه... منه أُوامُ

٨- يَشْتَاقُه وَيَعُوقُه عُلَقٌ به ... لزمَانه وزَمَانَةٌ وسقامُ

٩- وأَتحْ لَه مَا لا يُرَامُ حصولُه ... إلاّ بلُقياهُ وعَزَّ مرامُ

١٠- وله عَليه في الأصائلِ والضُّحَى ... تُهْدَى إليه تحيّةٌ وسَلامُ

١١- وبه إلى تقبيلِ مَوْطِئِ نَعْله ... وَجْدٌ له بين الضُّلُوعِ أُوامُ

الرِّوَاية:

(٧) وورد عجز البيت السَّابع في نَفْح الطِّيب (ط. إحسان عباس) هكذا: «مَنْ لَو أتاه... منه أُوامُ»، وورد في (ط. محيي الدين عبد الحميد) هكذا: «مَنْ لَو أتاه يشتكى منه أُوامُ»، ويصح بإضافة كلمة: (يُبلُّ).

(٩) وورد صدر البيت التَّاسع في نَفْح الطِّيب (ط إحسان عباس) برواية: «فبهِ إليه غُلّةٌ مَا تَشْتَفِي».

الشَّرح:

(٨) العُلَق: الأشغال، والزَّمانة: العاهة. تاج العروس ٢٦/١٩٦، ٣٥/١٥٣.

(١١) الأوام: العطش. تاج العروس ٣١/٢٥٣، وتكررت كلمة القافية هنا وفي البيت السابع فنشأ عيب الإيطاء.

التَّخريج:

نفح الطيب٧/٥٠٤ (ط. إحسان عباس)، ١٠/٣٥٠ – ٣٥١ (ط. محيي الدين عبد الحميد) ما عدا البيت الثَّامِن.

(٢٨)

وقال في وصف كتاب: [من الطويل]

١- وجَاءتْ إلينَا من لدنكَ رِسَالَةٌ ... عَلى فَتْرةٍ في آيها الذِّكْرُ مُحْكَمُ

٢- تَحَدَّثت فيها بالبلاغة مُعْجزًا ... لِمَنْ رَامَهَا فَاللَّفْظُ دُرٌّ مُنَظَّمُ

٣- كَتِيبَةُ فَضل أمْ كتَابَةُ فَاضِل ... أُولُو الفَضْلِ منها للفواضلِ أُلْهِمُوا

٤- أَخَطُّ يَراعٍ أمْ قَنَا الخَطِّ أُشْرِعَتْ ... يُرَاعُ لهَا قَلْبُ الكَمِيِّ المُصَمِّمُ

٥- أَسِحْرٌ حَلالٌ أم هي الخمْرُ حُلِّلَتْ ... لِشَارِبِهَا لا لَغْوَ فيها يُؤَثِّمُ

٦- أَرَوْضَةُ حُسْنٍ ثَمَّ مُذْ نَمْنَمَ النَّدى ... خَمَائِلَهَا عَنْهَا النَّسيم المُهَيْنِمُ

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في العِقْد الثَّمِين برواية: «منك رسالة × على فَتْرةٍ قرآنها».

(٢) وورد البيت الثَّاني في ملء العيبة برواية: «تَحَدَّيت... الفَضْلِ فيها».

(٣) وورد البيت الثَّالث في ملء العيبة برواية: «كَتِيبَةُ فَصل».

(٦) وورد البيت السَّادس في ملء العيبة برواية: «أَرَوْضَةُ حَزنٍ:، وورد عجزه في العِقْد الثَّمِين برواية: «عَنْد النَّسيم المهيتم».

الشَّرح:

(٦) المهينم: والنَّمَّامُ، والنَّمَّامُ: نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيح، صِـفَةٌ غَالِبَةٌ، سُـمِّي بِذلِكَ لِسُطُوعِ رَائِحَتِهِ، فَيَنِم على حَامِلِهِ، تاج العروس ١٢٦/٣٤، ١١/٣٤.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٢٢١/٥، العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٨/٥.

[قافية النون]

(٢٩)

وكتب في إجازة (أبي محمد الطبيري)(*): [من الطويل]

١- أجزتُ الطبيري النَّدْبَ ذَا المنهج الحسَنْ ... كدأبِ شُيوخ العِلْم في سَالِف الزَّمَنْ

٢- روايــةَ مَــا عَـنِّـي يـجـوزُ لـنَـاقـل ... روايتـه ممَّا صَحيح ومِـن حَسَنْ

٣- مجَـازًا وَمَسْمُوعًا على وُسع خَطره ... ونظمًا ونثرًا وهو في ذاك مُؤتمنْ

٤- على الشَّرط في التَّصْحيح والضَّبط لافظًا ... به من مَسَانيد الصِّحَاح أو السُّنَنْ

٥- ومَـا هـو مـوصـولٌ ومَـا هـو مُـرْسَـلٌ ... ومَا فيه تعليقٌ ومَا فيه: عَنْ، وعَنْ

٦- أجَــزتُ لَــه واللهُ يـشـكُـرُ سَـعْـيَـه ... وَيَرعَاه للتَّبْليغ في الحلِّ والظَّعَنْ

٧- أفَـدْنَـاه هَـذا وَهـو لَـو قَـد أَفَـادَنَـا ... لَـكَانَ لـه أَهْـلا وَكَـانَ بِـه قَمِـنْ

٨- وهـذا لَـعَـمْـرِي خَـطُّ نجْـلِ «عَسَاكر ... أبي اليُمْن جار الله وابن أبي الحسنْ»

٩- لـسبعـينَ عَـامًـا بَـعْـدَ عَـشْـرٍ وَأَرْبَـع ... وست مئينَ قَدْ تَقَضَّتْ من الزَّمنْ

١٠- بمكـة مـا بَـينَ الحَـطِـيـمِ وَزَمْــزَمٍ ... شكورًا لما أَوْلاه مَـولاه ذُو المننْ

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في مجلة العرب برواية: «أجزتُ الطبريّ».

(*) أبو محمد الطبيري هو: عبد الله بن الوزير أبي عبد الله مُحَمَّدِ بنِ عبد الله الطبيري، الشريشي المولد، السبتي المنشأ، ثم التونسي الدار. ملء العيبة ١/ ١٧٠، ١/ ٢٦٨

التَّخريج:

ملء العيبة ٥/ ١٨٦–١٨٧. والقصيدة - ما عدا البيت العاشر - في مجلة العرب ج ١٠، السنة الثَّالثة، ١٣٨٩، ص ٩٥٣ ضمن بحث العلامة حمد الجاسر الموسوم بـ «الحجاز في القرن السَّابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي».

(٣٠)

وقال متشوقًا إلى زيارة المسجد النبوي: [من البسيط]

١- قَضَى شُجُونًا ومَا قَضَّى له شَجَنَا ... وكمْ تَمَنَّى وهَل يُعْطَى المُحبّ مُنى؟

٢- صَبٌّ ترسَّم رَسمَ الدَّارِ يَنْدُبُها ... بَعد الأَحِبَّة لَمَّا فَارَقَ السَّكَنَا

٣- ويسألُ الرَّبعَ عَنْهُم أيَّةً سَلَكُوا ... وليسَ نَافعُهُ أَنْ يَسألَ الدِّمَنَا

٤- يَا دارُ مَا فعلَ الأَحْبَابُ؟ أينَ ثَوَوْا؟ ... أَأَشْأَمُوا أَمْ بيُمْنَى قَدْ نَوَوا يَمَنَا؟

٥- يا طُولَ وَجْدي بهم واوحشَتي لهمُ ... وَفرطَ شَوْقي إلى مَن عَنْكَ قَدْ ظَعَنَا

٦- سُقْيًا لعَهْدِك يَا دَارَ الهوَى فَلَقَدْ ... بوصلهمْ فيك بُلِّغنَا المُنَى زَمَنَا

٧- يا مُنْتَدَى الحيِّ هَلْ مِن عَودةٍ لهمُ ... تُدْني بهَا وَطَرًا مِن نَازحٍ وطَنَا؟

٨- همُ الأَحِبَّةُ كَم أَبْقَوا لَدَيّ لهم ... آثارَ حُسْنَى وكَمْ قَدْ آثَرُوا حَسَنَا

٩- تَالله مَا نَقضُوا عَهدِي ولا رَفَضُوا ... وُدِّي ولا أَتبعوا في مَنِّهم مِنَنَا

١٠- لا تَبْعُدُوا وَبلَى! والله قَدْ بَعُدُوا ... وشَطَّت الدَّارُ والمثوَى بهمْ وَبنَا

١١- دَعْ عَنْكَ نَدبَ المغَاني وانتدبْ عَجِلاً ... فَلَيسَ يُغْنيكَ نَدْبُ غَادَرَ البدنَا

١٢- وسرْ إلى المصطفَى الهادي الوَرَى فَله ... تُزْجَى المطيُّ فنَهْنهْهَا بغير وَنَى

١٣- الهاشميِّ رَسُولِ الله سَيِّدنَا ... فَهو الرَّؤوفُ بنَا وَهو الشَّفيعُ لَنَا

١٤- صَلَّى عَليه إلهُ العَرْشِ مَا وَخَدتْ ... عِيسٌ وَمَا أَشْعَرتْ حُجَّاجُه بُدُنَا

الرِّوَاية:

(٢) ورد البيت الثَّاني في العِقْد الثَّمِين برواية: «برسم رسيم».

(٥) ورد البيت الخامس في العِقْد الثَّمِين برواية: «وَفرطُ شَـوْقِي مَن عَنْكَ»، بسقوط إلى.

(٧) وورد البيت السَّابع في العِقْد الثَّمِين برواية: «يا مُبتَدِي الحيّ».

(٨) وورد البيت الثَّامِن في العِقْد الثَّمِين برواية: «أَبْقَوا لهم أثرًا... قَدْ أبرأوا حَسَنَا».

(٩) وورد البيت التَّاسع في العقد الثمين برواية: «وُدِّي ولا إبتَغَوا»، وهو تحريف من الناسخ أو الطابع.

(١٠) وورد البيت العاشر في العِقْد الثَّمِين برواية: «لا تَبْعُدُون بلى».

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/٢٠٩-٢١٠، والأبيات ١-١٠ في العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٥/٤٣٥-٤٣٦.

(٣١)

وقال: [من الرمل]

١- يا نزولاً بَين سَلْعٍ وقُبَاء جئتُكُمْ أَسْعَى عَلَى شُقّة بَيْنِي

٢- ونَعَمْ واللهِ إني زَائِرٌ لمغَانيكُمْ عَلَى رَأْسِي وَعَيْنِي

٣- إنَّ مَنْ أَمَّ حِمَاكُمْ آملاً راحَ بالمأْمُول مَمْلُوءَ اليَدَينِ

٤- فاشفَعُوا لي قَدْ تَشَفَّعْتُ بكُمْ لِوَصَالٍ واتّصَالٍ دَائمَينْ

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «وقُبَا... عَلَى رَأْسِي وَعَيْنِي».

(٢) وورد البيت الثَّاني في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «آتي زَائِرًا... على شُقَّةِ بَيْنٍ»، وورد في التُّحفة اللَّطيفة محرفًا هكذا: «وعني».

(٤) وورد البيت الرَّابع في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «بوصال».

التَّخريج:

التَّخريج: تاريخ الإسلام ٥٧٢/١٥، ودُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك ٤٣٩/١، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢٠/٣، والعِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٥/٥.

(٣٢)

وقال: [من البسيط]

١- أوحشتَ إنسَانَ عَيْنٍ أنْتَ نَاظِرُها ... يا مَن مُحَيَّاهُ يَسْبي كُلَّ إنسَانِ

٢-واشتقتُ تِلكَ السَّجَايَا الغُرَّ لا بَرِحَتْ ... تهدِي لأَرْوَاحِنَا أَرْواحَ رَيحانِ

الشَّرح:

(١) أوحشتَ: أي أوجدتَ الإحساس بالوحدة. معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٤١٣.

التَّخريج:

مطبوع عيون التواريخ ٤٠٨/٢١، ومخطوطه الورقة ١٥٤/١١.

الهوامش:

(*) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

تقسيم البحث:

(١) ص١-٢٨ (الألف والباء).

(٢) ص٢٩-٥٣ (التاء - الراء).

(٣) ص٥٤-٨٠ (السين - آخر القوافي).

تذييل واستدراك على بحث
شرح لامية العرب بين المبرد والتبريزي(*)

أ. سامح مجدي سعيد

بلغ عدد شــروح لامية العرب ـ على مبلغ علمي ـ ٤٦ شــرحًا منها: ٢٦ شرحا مخطوطًا، وثلاثة شروح مفقودة، و١٣ شرحًا محققًا مطبوعًا، وأربعة شروح غير مفردة، هذا غير الشروح مجهولة المؤلف، بالإضافة إلى ١٤ شرحًا معاصرًا، و٦٤ ما بين كتابٍ ورسالةٍ علمية وبحثٍ ودراسة في الدوريات والمجلات المحكَّمة.

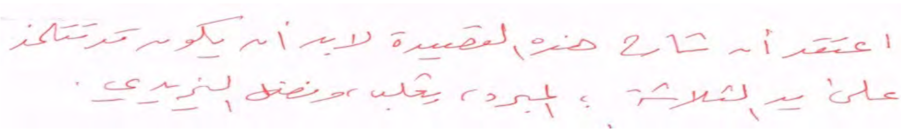
وإليكم فروق الإحصاء البيبليوجرافي:

المجلة	التعديل
بلغ عدد شروحها ٤٥ شرحًا	بلغ عدد شروحها ٤٦ شرحًا
١٢ شرحًا محققًا	١٣ شرحًا محققًا
١٢ شرحًا معاصرًا	١٤ شرحًا معاصرًا
١٢ بحثًا ودراسة علمية	٦٤ ما بين كتاب ورسالة علمية وبحث ودراسة

أما عن تحقيق النسبة الصحيحة لهذا الشرح المنسوب للمبرد، فقد راود بعض الباحثين ـ أعني: الأستاذ محمود إمام أحمد عبد اللطيف، المُعيد بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة [١] ـ شكٌّ كبير في كَوْنِ شارح هذه القصيدة قد تتلمذ على يد الثلاثة العلماء: المبرد وثعلب والفضل اليزيدي،

وذكر ذلك في ورقات أرسلها إليَّ بخط يده، مؤرخة صبيحة الخميس ١٠ شعبان ١٤٣٦هـ/ ٢٨ مايو ٢٠١٥م.

وهذا نموذج من رسالته بخط يده إليَّ


أعتقد أن شارح هذه القصيدة لابد أن يكون قد تتلمذ على يد الثلاثة: المبرد، ثعلب، والفضل اليزيدي.

فأدرت الأمر على وجوهه باحثًا في كتب التراجم، فإذ بها تذكر أن أشهر من اشترك في التلمذة على الثلاثة، وتلقى العلم عنهم هو: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل البغدادي النحوي، المعروف بالأخفش الصغير(٢٣٥ ـ ٣١٥هـ)، فقد أخذ العلم عن المبرد وثعلب ولازمهما، وكان أكثر ملازمة للمبرد، وكذا سمع من الفضل اليزيدي وأبي العيناء وغيرهم من علماء البصرة والكوفة.

ومن أشهر تلامذته: أبو عبيد الله المرزباني، والمعافى الجريري.

قال عنه الذهبي في السِّير: "وبرع في العربية..وغيره أوسع في الآداب منه.. وكان موثَّقًا".[٢]

ومن تآليفه:

الاختيارين،الأنواء، التثنية والجمع، تفسير رسالة كتاب سيبويه، الجراد، شرح كتاب سيبويه، المهذَّب.

مصادر ترجمته:

الفهرست للنديم (٢٥٦/١)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦٨/١١)، الوافي بالوفيات للصفدي (٩٦/٢١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨٠/١٤)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢١٩/٣)، بغية الوعاة للسيوطي (١٦٧/٢)، نزهة الألباء لابن الأنباري (١٨٥)، إنباه الرواة للقفطي (٢٧٦/٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣١٠/٣)، شذرات الذهب لابن العماد (٧٣/٤)، تاريخ

مدينة السلام للخطيب البغدادي (٤٣٣/١١)، الأنساب للسمعاني (٩٦/١)، المنتظم لابن الجوزي (٢٧١/١٣).

غير أنِّي لا أملك الآن دليلاً قويًّا لإثبات صحة هذه النسبة، والمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والنظر.

ولكم أن تتأملوا خاتمة البحث، وتلاحظوا اختلاف النتيجة:

مجلة العرب	التعديل
وعليه فيمكن القول: إن هذا الشرح هو لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أن تظهر البيِّنة على خلاف ذلك. وأما الشرح الذي حققه د. محمود العامودي ونسبه إلى التبريزي، فلا يصح أن يكون له؛ ولاسيما أنه اعتمد نسخة مجهولة ضمن مجموعٍ بمكتبة برلين لم يذكر بياناتها، وأغلب الظن أنها نسخة مشوهة ممسوخة منقولة من شرح المبرد، والعلم عند الله.	وعليه فإن هذا الشرح يظل منسوبًا - على الشك - لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أن تظهر البيِّنة المُرجِّحة خلاف ذلك. وأما الشرح الذي حققه د. محمود العامودي، فلا يصح أن يكون للتبريزي؛ لاسيما وقد اعتمد نسخة مجهولة ضمن مجموعٍ بمكتبة برلين لم يذكر بياناتها. ويغلب على الظن الراجح أنها نسخة منقولة من الشرح المنسوب للمبرد، وما فيهما من اختلافات يسيرة إنما يرجع لتصرفات النُّسَّاخ؛ وذلك لما في الشرح المنسوب للتبريزي والشرح المنسوب للمبرد من تشابهٍ كبير حتى لكأنهما نصٌّ واحد.

قائمة وراقية (ببليوجرافيا)

جهود العلماء وعنايتهم بلامية العرب وصاحبها قديمًا وحديثًا

أولاً: الشروح المخطوطة:

١. شرح أبي العباس أَحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ). [٣]

٢. شرح منسوب لأبي بكر بن دريد (٣٢١هـ). [٤]

٣. شرح محمد بن الحسين بن أَبي لاجك التركيّ. [٥]

٤. شرح أبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدَّمِيريّ (٨٠٨هـ). [٦]

٥. شرح مهذب الدين أبي نصر محمد بن يحيى بن كرم النحوي أَلَّفه سنة ١١٧٠هـ. [٧]

٦. شرح سليمان بن محمد بن أحمد بن زيد بن سليم أَلَّفه سنة ١١٩٢هـ. [٨]

٧. شرح أبي الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين السويدي (١٢٠٠هـ). [٩]

٨. شرح عمر بن الحسن بن مسافر الأموي أَلَّفه سنة ١٢٣٢هـ. [١٠]

٩. شرح محمد سعيد بن عبد اللطيف بن عبد الرزاق البغدادي، كان حيا سنة ١٢٦٦هـ. [١١]

١٠. شرح أحمد بن محمد بن إسماعيل المعافي التهامي الضحوي (١٢٨٠هـ) [١٢].

١١. شرح الحسن بن أحمد المعروف بعاكش الضمدي اليمني (١٢٨١هـ) [١٣]

١٢. شرح محمد الطيب بن محمد صالح بن محمد العلوي المالكي (١٣٣٤هـ). [١٤]

١٣. شرح محمد صديق بن محمد صالح الرامبوري (١٣٣٤هـ) [١٥]

١٤. شرح أبي بكر بن العربي بن محمد البناني الفاسي (١٣٣٥هـ).[١٦]

١٥. شرح لعبد الرحمن بن محمد.[١٧]

١٦. شرح لمحمد العصاميّ الدمشقي.[١٨]

١٧. شرح لمحمد الخالدي الصفديّ.[١٩]

١٨. شرح لعبد الهادي التازيّ.[٢٠]

١٩. شرح لمؤلف يدعى: المجوسيّ.[٢١]

٢٠. شرح بالفارسية لغلام حسين الشيرازي المعروف بقاموس كوشي (١٣٣٩هـ).[٢٢]

٢١. شرح اللاميات، لحسين بن عبد الجليل برادة. [٢٣]

٢٢. شرح لمحمد بابا الصحراوي الشنقيطي (١٣٤٤هـ).[٢٤]

٢٣. شرح لمحمد المكي بن محمد البطاوري (١٣٥٥هـ).[٢٥]

٢٤. شرح لعبد الكريم بن الحسين الزين (١٣٦٠هـ).[٢٦]

٢٥. شرح لحكمت بن محمد شريف الطرابلسي (١٣٦٤هـ).[٢٧]

٢٦. شرح لمحمد بن باباه القناني الشنقيطي (١٣٨٢هـ).[٢٨]

ثانيا: الشروح المفقودة:

٢٧. شرح أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ).[٢٩]

٢٨. شرح أبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (٥٠٢هـ).[٣٠]

٢٩. شرح صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ (٧٦٤هـ).[٣١]

ثالثا: الشروح غير المفردة:

تعرض بعض الشراح إلى شرح لامية العرب ضمن كتبهم التي احتوت

نصوصًا أخرى غيرها، ومن ذلك:

٣٠. شرح ابن طيفور البغدادي (٢٨٠هـ) ضمن كتابه: القصائد المفردات التي لا مثل لها.[٣٢]

٣١. شرح لمؤلف مجهول من القرن الرابع في كتابه: المنتخب في محاسن أشعار العرب.[٣٣]

٣٢. شرح أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسيني المعروف بابن الشجري (٥٤٢هـ) في كتابه: مختارات شعراء العرب.[٣٤]

٣٣. شرح عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ضمن كتابه: خزانة الأدب.[٣٥]

رابعاً: الشروح المحققة المنشورة:

٣٤. شرح المبرد (٢٨٥هـ).[٣٦]

٣٥. شرح الزمخشري (٥٣٨هـ).[٣٧]

٣٦. شرح أبي البقاء العكبري (٦١٦هـ).[٣٨]

٣٧. شرح يحيى بن عبد الحميد الحلبي الغساني المعروف بابن أبي طيّ النجار (٦٣٠هـ).[٣٩]

٣٨. شرح منسوب لمحمد بن عبد الله بن مالك: صاحب ألفية النحو (٦٧٢هـ).[٤٠]

٣٩. شرح مؤيد بن عبد اللطيف النَّقّجُوَانِيّ كتبه سنة ٩٨٣هـ.[٤١]

٤٠. شرح أبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي الماغوسيّ (بعد ١٠١٦هـ).[٤٢]

٤١. شرح أبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي (بعد ١١٠١هـ).[٤٣]

٤٢. شرح محمد بن القاسم بن محمد بن زاكور الفاسي (١١٢٠هـ).[٤٤]

٤٣. شــرح أبي البركات عبد الله بن الحســين بن مرعي الدوري الســويدي (١١٧٤هـ).[٤٥]

٤٤. شرح عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله الأزهري المصري (١١٨٦هـ[٤٦]

٤٥. شرح سليمان بن عبد الله الشاوي العبيدي البغدادي (١١٤٠هـ). [٤٧]

٤٦. شرح محمد محمود بن التلاميد التُركزي الشنقيطي (١٣٢٠هـ).[٤٨]

خامساً: الشروح الحديثة:

٤٧. شرح الشيخ حمزة فتح الله ضمن كتابه: "المواهب الفتحية".[٤٩]

٤٨. شــرح فــؤاد حســنين علــي، وقدم لهــا شــرحًا مقارنًا مع لغات ســامية أخرى[٥٠]

٤٩. شرح محمد ناجي القشطيني ضمن كتابه: «المختارات».[٥١]

٥٠. شرح السيد إبراهيم بن عباس الرضوي الحسني (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).[٥٢]

٥١. شرح محمد بديع شريف ضمن كتابه:» نشيد الصحراء».[٥٣]

٥٢. شــرح د. عبــد الحليم حنفي ضــمن كتابه:» شــعر الصــعاليك منهجه وخصائصه»، ثم أفرد الشرح بعد ذلك في كتابه:» لامية العرب للشنفرى شرح ودراسة».[٥٤]

٥٣. شرح يوسف اليوسف ضمن كتابه : «مقالات في الشعر الجاهلي».[٥٥]

٥٤. شــرح د. محمد علي أبو حمدة في كتابه: التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى. [٥٦]

٥٥. شــرح د. علي محسن مال الله ضــمن كتابه : «تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام».[٥٧]

٥٦. لامية العرب للشنفرى، بعناية ودراسة د.صلاح الدين الهواري. [٥٨]

٥٧. شــرح محمــود أبو ناجي ضــمن كتابه: "الشــنفرى شــاعر الصــحراء الأبيّ". [٥٩]

٥٨. شــرح لامية العرب (الشنفرية) للشيخ أحماد بن أبا الأبهمي الديماني. [٦٠]

٥٩. شرح الشيخ محمد عبد اللّه بن محمد سعيد بن أُبيَّاه الشنقيطي المُلقب "بُومِيَّة". [٦١]

٦٠. شرح وإعراب لامية الشنفرى، عبد الرحمن بن عوف كُونِي. [٦٢]

سادساً: الدراسات المعاصرة:

٦١. لامية العرب الكبرى، رضا الشبيبي. [٦٣]

٦٢. دراسة في لامية العرب للشنفرى، لغزيوي علي. [٦٤]

٦٣. من شــعرنا وشعرهم: الذئب بين الشنفرى والفرزدق والبحتري وألفريد دوفيني. [٦٥]

٦٤. لامية العرب بين النَّحل والتوثيق، عادل الفريجات. [٦٦]

٦٥. سريالية الصورة في لامية الشنفرى، ميّ مظفر. [٦٧]

٦٦. لامية العرب دراسة تاريخية نقدية، محمد مشعل الطويرقي. [٦٨]

٦٧. لامية العرب للشنفرى، عبد العزيز إبراهيم. [٦٩]

٦٨. القيم العربية في لامية العرب (دراسة موجزة بمقدمة كتاب: بلوغ الأرب في شرح لامية العرب)، محمد عبد الرزاق عرفان. [٧٠]

٦٩. لامية العرب أو رحلة التوحش (دراســة تطبيقية حول مفهوم الوحدة في النص الشعري)، د. سعود دخيل الرحيلي. [٧١]

٧٠. لامية العرب للشنفرى، د. زينب عبد العزيز العمري. [٧٢]

٧١. الشنفرى ولاميته في ميزان الشاهد النحوي، د.عبد الله علي محمد إبراهيم. [٧٣]

٧٢. رأيي في القصيدة المشهورة بلامية العرب، زكي ذاكر العاني. [٧٤]

٧٣. الصعلكة لدى الشنفرى ودلالتها الاجتماعية والنفسية، د.فضل العمَّاري. [٧٥]

٧٤. الراموز المقلوب الشنفرى أواخر القرن السادس الميلادي، أندريه ميكل [٧٦].

٧٥. ملامح المرأة في شعر الشنفرى الأزدي: قراءة بيانية، وجدان عبد الإله الصايغ. [٧٧]

٧٦. الجهود اللغوية والنحوية في شروح لامية العرب، بشرى عبد الرزاق العذاري. [٧٨]

٧٧. النص الجاهلي بين تلقِّيَيْن قديم وحديث..لامية العرب نموذجًا، د.عادل الفريجات. [٧٩]

٧٨. عذابات الشنفرى: قراءة في سيرته وشعره، فاروق أسليم. [٨٠]

٧٩. المسائل النحوية والتصريفية في شروح لامية العرب حتى أواخر القرن السابع الهجري..جمعًا ودراسة، أحمد بن عبد الله القشعمي. [٨١]

٨٠. أزل تهاداه التنائف أطحل..قراءة في لامية العرب للشنفرى، مبروك المناعي. [٨٢]

٨١. قراءة في لاميات الأمم: العرب والعجم واليهود والهنود، د.محمود الربداوي. [٨٣]

٨٢. شعر الشنفرى الأزدي..دراسة توثيقية وتحقيقية، محمود عبد الله الجادر.(٨٤)

٨٣. صوت الجسد الفاعل في شعر الشنفرى، عبد الكريم يعقوب.(٨٥)

٨٤. أثر البيئة في بنية الشعر الجاهلي من خلال معلقة طَرَفة ولامية الشنفرى، د.منى إبراهيم الدسوقي.(٨٦)

٨٥. اللغة الشعرية عند الشنفرى..دراسة وصفية تحليلية، البشير المناعي(٨٧)

٨٦. شعر الشنفرى دراسة أدبية من منظور لغوي، ابتسام حمزة العنبريّ(٨٨)

٨٧. فكرة الانتماء في لامية الشنفرى الأزدي، د.جاسم بن صالح الدليمي(٨٩)

٨٨. مخطوطة غميسة لكتاب نادر في شرح لامية العرب للشنفرى، د.عزة حسن. (٩٠)

٨٩. قراءة في لامية الشنفرى في ضوء علم اجتماع الأدب، د.عبد الله محمد عيسى الغزالي. (٩١)

٩٠. الجملة الاسمية في شعر الشنفرى..دراسة نحوية تطبيقية، أميرة أبكر خليل إسماعيل. (٩٢)

٩١. الذهنية الفردية بالمخيال الجمعي.. لامية العرب للشنفرى أنموذجًا، د.عبد الفتاح أحمد يوسف. (٩٣)

٩٢. لامية العرب للشنفرى..معجم ودراسة دلالية، د.ندى عبد الرحمن الشايع. (٩٤)

٩٣. الأسلوب في لامية العرب للشنفرى..دراسة في البنية اللغوية، رشيد بن قسيمة.(٩٥)

٩٤. جدلية الأنا والآخر في لامية العرب للشنفرى، د.أسماء شمس الدين(٩٦)

٩٥. الشنفرى: الصعلوك الذي خلع قومه، إبراهيم محمود الصغير . (٩٧)

٩٦. سـؤال النص وإشـكالية تقاطع النزوع الإنساني مع المرجعيات الجمعية داخل نص لامية العرب، د.عبد الفتاح أحمد يوسف. [٩٨]

٩٧. جدليـة العلاقة بـين لامية الشـنفرى وسـينية البُحـتُريّ: لوحتا الذئب وأنطاكيا نموذجًا، د.حسن فالح بكور. [٩٩]

٩٨. لامية العرب..توثيق وتأصيل، نزار عوني. [١٠٠]

٩٩. قراءة في لامية العرب للشنفرى الأزدي، د.أحمد درويش. [١٠١]

١٠٠. لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر، باسم إدريس قاسم. [١٠٢]

١٠١. فاعلية المعنى النحوي في إضـاءة النصـوص الشعرية..دراسة في لامية العرب للشنفرى، رشيد بن قسيمة. [١٠٣]

١٠٢. لامية العرب بين النفي والإثبات، عبد اللطيف حمودي الطائي. [١٠٤]

١٠٣. التشبيه في لامية العرب..دراسة نفسية، د.محمد أحمد أمين أحمد. [١٠٥]

١٠٤. دراسة نقدية في تسمية لامية العرب، د. سيد محمد موسوي. [١٠٦]

١٠٥. رؤية الإبداع الجمالية في لامية الشنفرى، د.منال عيسى. [١٠٧]

١٠٦. لامية العرب بين التواصـل والقطيعة..مقاربة حجاجية، د.عبد الرحمن أحمد إسماعيل كرم الدين. [١٠٨]

١٠٧. لامية العرب..دراسة نحوية نصية، د.عصام عبد المنصف أبو زيد. [١٠٩]

١٠٨. لامية العرب: سـيميائية الأمومة والسـؤال الطوباوي..بحث في مسـالك المعنى، د.محمد موسى العبسي. [١١٠]

١٠٩. البنيـة الإيقاعيـة في لامية العرب للشـنفرى، د.خالد بـن ميلاد محمد العود. [١١١]

١١٠. الإيقاع الصـوتي في لامية العرب للشنفرى..دراسـة أسلوبية إحصائية،

د.محمود حسين عبيد الله العزازمة.[١١٢]

١١١. مظاهر التمرد في الشعر الجاهلي..عنترة وطرفة والشنفرى أنموذجًا، د.سعدية حسين البرغثي. [١١٣]

١١٢. التشكيل الاستعاري والكنائي في لامية العرب، د.محمد أحمد أمين أحمد. [١١٤]

١١٣. الذئب والقطا في لامية العرب للشنفرى..دراسة تحليلية، د.عبد الجليل حسن صرصور . [١١٥]

١١٤. دلالة السيميائية في لامية العرب للشنفرى دراسة وتحليل، شهريار همتي، وجهانكير أميري، ومهدي بورآذار.[١١٦]

١١٥. قراءة جديدة لنشيد الصحراء، عوريب كاظم مجيسر. [١١٧]

١١٦. قراءة جديدة لنشيد الصحراء لامية العرب، إبراهيم علي شكر. [١١٨]

١١٧. القيم الأخلاقية في لامية الشنفرى، انتصار مهدي عبد الله الصديق. [١١٩]

١١٨. لوحة الذئاب في لامية الشنفرى، ظهير خضر الشعراني. [١٢٠]

١١٩. الدلالة الصوتية في لامية العرب للشنفرى، رمضان محمود محمد. [١٢١]

١٢٠. لغة الفردية والمكان..لامية الشنفرى نموذجًا، د.محمود سليم محمد هياجنة. [١٢٢]

١٢١. الهجرة إلى عالم الوحش في لامية الشنفرى..دراسة لسانية نصية، د.عاطف محمد كنعان. [١٢٣]

١٢٢. الصورة الشعرية في لامية العرب، د.البشير إبراهيم أبو شوفة. [١٢٤]

١٢٣. تحديد المعنى في شرح لامية الشنفرى: دراسة تحليلية د. طُلّبة عبد الستار مسعود. [١٢٥]

١٢٤. نزعة الاغتراب في شعر الشنفرى في ضوء المنهج النفسي، د. عمر محمد إبراهيم محمد [١٢٦].

الهوامش:

(*) تنظر العرب س٥٤، ج٣ و٤، رمضان وشوال ١٤٣٩هـ / مايو - يونيو ٢٠١٨م ص ص ٢٠٧ - ٢٣٤.

(١) تحصَّل على الماجستير عن رسالته: «**مقدمات الكتب الأدبية في الأندلس من القرن الخامس الهجري وحتى سقوط غرناطة**: دراسة تحليلية للنص الموازي»، تحت إشراف: د. عبد الحميد شيحة، وقد أُجِيزَت بتقدير: ممتاز، وذلك يوم الاثنين ٢٠١٧/٨/١٤م.

(٢) انظر: **سير أعلام النبلاء**، (٤٨٠/١٤)

(٣) **تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان (١٠٨/١).

(٤) بروكلمان (١٠٧/١)، ومنه نسخة بمكتبة برلين تحت رقم (٧٤٦٨) ضمن مجموع أوله رسالة المقصور والممدود لابن دريد، ثم شرح لامية العرب لمجهول، ثم شرح بانت سعاد لأبي البركات الأنباري، ثم قصيدة ثائية لابن دريد، وليس في شرح اللامية ما يشير إلى كونه لابن دريد، ولعل من نَسَبَه إليه نظر إلى أول المجموع وآخره. قلت: وعن هذه النسخة مجهولة المؤلف حققه د.محمود العامودي ونفاه عن المبرد ونسبه للتبريزي!!

(٥) بروكلمان (١٠٨/١)، وقد كتبه سنة (٦٩٨هـ)، واسمه: عقد درر الأدب في شرح لامية العرب، وله نسخة بخط المؤلف في أيا صوفية تحت رقم (٣١٤٥) في ٨٤ ورقة، وأخرى في تونس بالزيتونة تحت رقم (١٠٠٣٠) في ٤٧ ورقة، وأخرى بجامعة بطرسبرج تحت رقم (٧٣٢).

(٦) **فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي** (٣٨٧/٢).

(٧) سيزكين (٥٥/٢)، **نوادر المخطوطات العربية** في مكتبات تركيا (٢٩٧١/١).

(٨) **فهرس المخطوطات الأدبية** في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٩٠).

(٩) **جامع الشروح والحواشي**، عبد الله بن محمد الحبشي (٣ /٧٨٩).

(١٠) **فهرس المخطوطات الأدبية** في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٨٩).

(١١) **فهرس المخطوطات الأدبية** في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٨٩).

(١٢) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /٧٩٠).

(١٣) انظر مقدمة د.علي بن ناصر غالب في تحقيقه لشعر **الشَّنْفَرَى الأزدي** لمؤرج بن عمرو السدوسي، ص(١٣).

(١٤) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /٧٩٠).

(١٥) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩٠)، واسمه: الانتقاد على العلامة محمد الشنقيطي في رده على عاكش الضمدي.

(١٦) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩٠)، واسمه: حل المشكلات المنتدب في شرح لامية العرب.

(١٧) **سيزكين** (٢/٥٤)، وله نسخة بمكتبة جامعة استنابول تحت رقم (٨٧٤) في ١٥ ورقة، واسمه: **خلاصة الأدب على لامية العرب.**

(١٨) **سيزكين** (٢/٥٤)، وله نسخة بخط المؤلف بمكتبة أسعد أفندي تحت رقم (٢٧٩٨)، وأخرى بمكتبة عاطف أفندي تحت رقم [٢١٩٢] ضمن مجموع (١٧ب-٢٣ب)، مؤرخة ١١٠٣هـ.

(١٩) **سيزكين** (٢/٥٤).

(٢٠) **سيزكين** (٢/٥٤).

(٢١) **سيزكين** (٢/٥٥).

(٢٢) **سيزكين** (٢/٥٥).

(٢٣) **فهرس المخطوطات الأدبية** بدار صدام للمخطوطات، ص (٣٨٨).

(٣٤) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩٠-٧٩١).

(٣٥) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١)، واسمه: هامية الطرب في شرح لامية العرب.

(٢٦) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١).

(٢٧) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١).

(٢٨) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١)، واسمه: عود الطرب في شرح لامية العرب.

(٢٩) انظر: **شرح القصائد التسع** المشهورات لأبي جعفر النحاس، تحقيق د.أحمد خطاب (١/٢٧).

(٣٠) **خزانة الأدب للبغدادي** (٣/٣٤١)، بروكلمان (١/١٠٩).

(٣١) ذكره عصام الدين بن عثمان العمريّ في كتابه: **الروض النضر في ترجمة أدباء العصر**، تحقيق سليم النعيمي (١/٤٠٥).

(٣٢) طُبع بتحقيق د. محسن غياض، منشورات عويدات – بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.

(٣٣) **المنتخب في محاسن أشعار العرب المنسوب للثعالبي** لمؤلف مجهول من القرن الرابع، تحقيق د.عادل سليمان جمال، ص(٢٩١-٣٠٢)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣٤) طُبع أولا بعناية: محمود حسن زناتي سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، ثم بتحقيق علي محمد البجاوي، ص (٧٢-١٠٦)، دار النهضة، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م.

(٣٥) وقد شرح منها ثمانية عشر بيتًا فقط، وقد قام بجمعها في سلك واحد وحققها د.محمود العامودي

ونشرها بمجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد (١٣)، العدد الأول سنة١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٣٦) **بروكلمان** (١٠٥/١)، وقد قابلته على ست نسخ خطية وشارفت على إتمام تحقيقه، ضمن متطلبات الحصول على دبلوم علوم المخطوط من معهد المخطوطات العربية هذا العام ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

(٣٧) صدر أول مرة بعناية: عبد رسول البخاري مع الشرح المنسوب للمبرد وشرح ابن زاكور الفاسي بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠هـ، ثم بعناية محمد أمين الخانجي بالقاهرة ط٢، سنة ١٣٢٤هـ، وأخرى بعناية عبد المعين الملوحي تحت عنوان: **اللاميتان** (لامية العرب للشنفرى بشرح الزمخشري، ولامية العجم للطغرائي بشرح الصفدي) وزارة الثقافة والنشر بدمشق سنة ١٩٦١م، وحققه د.محمد إبراهيم حور، مطبعة سعد الدين بدمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٣٨) واسمه: **إعراب لامية الشنفرى**، طبع هذا الشرح أولا في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٣)، الجزء الأول، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، بتحقيق د.محمد خير الحلواني، ثم نشره مستقلاً بدار الآفاق الجديدة ببيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وحققه كذلك د.رجب إبراهيم الشحات، ونشره ضمن كتاب **دراسات عربية وإسلامية** مهداة إلى الشيخ محمود شاكر ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص(٢٤٣- ٢٧٩)، ويُعد شرح العكبري تلخيصًا لشرح الزمخشري السابق.

وحققه كذلك محمد أديب عبد الواحد جمران، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٣٩) **بروكلمان** (١٠٨/١)، **وتاريخ التراث العربي** لسيزكين (٥٣/٢)، واسمه: المنتخب في شرح لامية العرب، وقد حققه مؤخرا : د. إبراهيم بن محمد البطشان، ونشرته دار المنهاج بجُدة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، وانظر: يحي بن أبي طي الحلبي المؤرخ والأديب وكتابه: **المنتخب في شرح لامية العرب**، د.عمر عبد السلام تدمري، بحث منشور بمجلة تاريخ العرب والعالم ـ لبنان، مجلد (٣٥) عدد (٢٤٩)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص (٣ ـ ١٨).

(٤٠) منه نسخة بمكتبة فيض الله أفندي تحت رقم (٢١٢٩) ضمن مجموع (٩٢أ ـ ٩٦ب)، انظر: **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا** (١٧٢/١)، وقد حققه د.محمود العامودي، ونشره بمجلة جامعة النجاح الوطنية في غزة، المجلد (١٤) العدد الثاني، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ولا تصح نسبته إلى ابن مالك؛ فليس فيه ما يدل على كونه له، لاسيما وأن المصادر التي ترجمت لابن مالك ـ على وفرته وكثرتها ـ لم تنسب له هذا الكتاب، والأمر يحتاج إلى توثيق ودراسة.

(٤١) سيزكين (٥٣/٢)، وقد حققه د.محمود العامودي ونشره بمجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات بالأردن، في ٤٨ صفحة، المجلد(٣)، عدد (٢)، ص (١٤٧ ـ ١٨٩)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٢) واســمه: **إتحاف ذوي الأرب بمقاصــد لامية العرب**، وقد حققه د.محمد أمين المؤدب في رســالة الدبلــوم العــالي بكلية الآداب جامعــة الرباط بالمغرب في جزئين ســنة ١٩٩٧م، انظــر: من نوادر مخطوطــات المكتبة المغربية، صــ(١٩٤)، وطبعه بعد ذلك مؤخرًا بدار الأمان بالرباط وتوزيع دار الكتب العلمية بيروت.

(٤٣) ســيزكين (٢/٥٣)، واســمه: عنوان **الأدب** بشــرح لامية العرب، وقد حققــه د.محمود العامودي، ونشره بمطبعة المقداد بغزة ـ فلسطين ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٤٤) واســمه: **تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب**، صــدر أول مرة بعناية: عبد رســول البخاري مع الشرح المنسوب للمبرد وشرح الزمخشري بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠هـ، ثم حققــه د.محمود العامودي، ونشــره بمطبعة المقداد بغزة – فلســطين، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. وكذلك علي إبراهيم كردي في دمشق ١٩٩٥م.

(٤٥) **سيزكين** (٢/٥٤)، وقد حققه عصــام عكلة عبد القهار الكبيســي في رســالته للماجســتير بكلية التربية قسم اللغة العربية جامعة الأَنبار بالعراق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٤٦) واســمه: **نهايــة الأرب في شــرح لاميــة العــرب**، حققــه أولاً: د.عبد الله عبيد الغزالي، ونشــره في حوليات كليات الآداب بالكويت الحولية ١٢، الرســالة ٧٤، وذلك ســنة ١٤١٤هـ/١٩٩١م. ثم حققه بعد ذلك د.محمود العامودي، ونشره بدار البشير، غزة – فلسطين، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤٧) **ســيزكين** (٢/٥٤)، وقــد حققــه مهند مجيد برعي العبيدي في رســالته للماجســتير بكلية اللغة العربيــة جامعة بغــداد بالعراق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وانظر: مخطوط ســكب الأدب في شــرح لامية العرب وأهميته في اســتقراء تاريخ العراق خلال النصــف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، د.علي بن حســين البسَّام، بحث منشــور بمجلة **الدارة** السعودية في ٢٩ صفحة، المجلد (٣٥) عدد (٤)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص (١٥٥ ـ ١٨٣).

(٤٨) بروكلمان (١/١٠٨)، سيزكين(٢/٥٥)، واسمه: **إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب**، وقد حققه: رائد بن سعد الشلاحي، دار غراس – الكويت، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٤٩) **المواهــب الفتحيــة**، طبع بالقاهرة لأول مرة ســنة١٣١٢هـ/١٨٩١م، وأعادت طبعه مكتبة التراث بالقاهرة، بتحقيق أستاذنا د. محمود إبراهيم الرضواني (١/١٦٤ ـ ١٨٦).

(٥٠) في بحث نشــره **بمجلة كلية الآداب** – جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، في ٢٢ صــفحة، المجلد (١٠) الجزء (١)، ص (٤٥ ـ ٦٦)، ١٣٦٩هـ/١٩٤٨م.

(٥١) مختارات محمد ناجي القشطيني، دار الجمهورية بغداد، ص(٣٣٣-٣٧٤)، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.

(٥٢) وقد فرغ منه سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م، ونشرته محققا د. أسماء محمد حسن هيتو، دار الفارابي للمعارف - دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، وخرج في ٢٤٥ صفحة.

(٥٣) **نشيد الصحراء**، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.

(٥٤) **شعر الصعاليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص(١٦٠-١٧٨)، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

(٥٥) **مقالات في الشعر الجاهلي**، دار الحقائق - بيروت، ص(٢٠٩-٢٩٣)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٥٦) طبع هذا الشرح بمكتبة الأقصى بعمان الأردن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهي رسالة من القطع الصغير في (٨٤)صفحة، ثم طبعه مرة أخرى تحت اسم: **في التذوق الأسلوبي واللغوي للامية العرب**، بدار عمار بالأردن ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥٧) **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**، بغداد، ص(٤٠٧-٤١٨)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٥٨) طبعة المكتبة العصرية - صيدا بيروت، في كتيب من القطع الصغير يقع في ١٠٤ صفحة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٥٩) **الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ**، وزارة الثقافة الجزائرية، ص(١٠٥-١٣٤)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٦٠) وقد فرغ الشيخ من هذا الشرح في رمضان ١٣٩٢هـ/١٩٧١م، ولكنه طُبِع في ربيع الآخر ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. ويقع هذا الشرح في ٢٦ صفحة.

(٦١) ضمن كتاب: **الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية**، المشتملة على شرح قصيدة كعب ولامية الشنفرى والمعلقات السبع، قيدها د. وليد عبد الله المنيس، إصدارات مجلة الوعي الإسلامي بالكويت، العدد(١٠١)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص(٧٣-١٢٤).

(٦٢) وسمَّاه: جَوّبُ جوفِ الفَرى بشرح وإعراب لامية الشنفرى، وطبعته دار الميراث النبوي بالجزائر، في مجلد صغير يقع في ٢٥٢ صفحة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(٦٣) بحث منشور **بمجلة المجمع العلمي العربي** - دمشق، في ٤ صفحات، المجلد (٦) الجزء (١١ - ١٢)، ص (٥٥١ - ٥٥٤)، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

(٦٤) مقال منشور **بمجلة دعوة الحق المغربية**، في ٤ صفحات، عدد (٢) السنة (١٥)، ص (٩٨ - ١٠١)، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٦٥) بحث منشور **بمجلة: الآداب الأجنبية** - سوريا، في ١٢ صفحة، عدد (١٩٦)، ص (١٧١ - ١٨٢)، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٦٦) بحث منشور **بمجلة: المعرفة** - وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ١٤ صفحة، عدد (١٩٦)، ص (١١١ - ١٢٤)، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ثم نشره بعد ذلك في كتابه: إضاءات في النقد الأدبي،

منشورات دار أسامة ـ دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص(٥١ ـ ٧٤).

(٦٧) بحث منشور **بمجلة الأقلام**، السنة (١٨) العدد (٨)، ص (٢٤ ـ ٢٩)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

(٦٨) رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٦٩) نُشِر ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٧٠) وهي مستلة من رسالته للماجستير كما ذُكِر في المقدمة انظر ص (٩)، وتشغل هذه الدراسة ٢٢ صفحة، ص (٢٦ـ٤٧)، دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٧١) بحث منشور بمركز بحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض، في ٦٥ صفحة، عدد (٢٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٧٢) بحث منشور **بمجلة**: **كلية الآداب** ـ جامعة بنها، في ٤٢ صفحة، عدد (١)، ص (٢٧ـ٦٨)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٧٣) بحث منشور **بمجلة**: **كلية اللغة العربية** ـ جامعة الأزهر فرع الزقازيق، في ٤٦ صفحة، عدد (١٥)، ص (٣٠٠ ـ ٣٤٥)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٧٤) بحث منشور بمجلة آداب الجامعة المستنصرية بالعراق، العدد(٢٧)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٧٥) بحث منشور **بمجلة**: **كلية الآداب** ـ جامعة الملك سعود، في ٣٦ صفحة، المجلد (٨) العدد (٢)، ص (٢٤٣ ـ ٢٧٨)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٧٦) بحث منشور **بمجلة**: **العلوم الإنسانية** ـ البحرين، في ١٢ صفحة، العدد الأول، ص (٢١٧ ـ ٢٢٨)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧٧) بحث منشور **بمجلة**: **العرب**، في ١٧ صفحة، المجلد (٣٤) العدد (٥ـ٦)، ص (٣٥١ـ٣٦٧)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧٨) رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٩) بحث منشور **بمجلة**: **جذور** ـ النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، في ٤٨ صفحة، المجلد (٢) الجزء (٤)، ص (١٦٣ ـ ٢١٠)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨٠) بحث منشور **بمجلة**: **المعرفة** ـ وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ٢٠ صفحة، السنة (٣٩) عدد (٤٤٥)، ص (٢١٩ ـ ٢٣٨)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨١) رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) بحث منشور **بمجلة**: **حوليات الجامعة التونسية**، في ١٦ صفحة، العدد (٤٥)، ص (١٤١ ـ ١٥٦)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٣) بحث منشور **بمجلة: التراث العربي** - سوريا، في ٣٦ صفحة، المجلد (٢١) العدد (٨٣ - ٨٤)، ص (٨٨ - ١٢٣)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بحث منشور **بمجلة: المورد العراقية**، في ٨ صفحات، المجلد (٣٠) العدد (١)، ص (٥٣ - ٦٠)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) بحث منشور **بمجلة: جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية** - سوريا، في ٢٢ صفحة، المجلد (٢٥) الجزء (١٨)، ص (١١٩ - ١٤٠)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨٦) بحث منشور **بمجلة: كلية التربية** (القسم الأدبي) - جامعة عين شمس، في ٦٦ صفحة، المجلد (١١) العدد (١)، ص (١٤١ - ٢٠٦)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨٧) رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات - جامعة الجزائر، في ٣٤ صفحة، العام الدراسي ١٤٢٦ - ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م.

(٨٨) بحث نشر مفردًا في ٨٠ صفحة، وطبعه: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٨٩) بحث منشور **بمجلة: جذور**. النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، في ٢٤ صفحة، المجلد (١١) الجزء (٢٥)، ص (٦١ - ٨٤)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩٠) بحث منشور **بمجلة: التاريخ العربي** - المغرب، في ١٩ صفحة، العدد (٤١)، ص (١٣٧ - ١٥٥)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩١) بحث منشور **بمجلة: رسالة المشرق** - مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، في ٤١ صفحة، المجلد (٢٠) العدد (١ - ٤)، ص (٢٤٩ - ٢٨٩)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩٢) رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية - جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٩٣) بحث مقدَّم لمؤتمر النقد الدولي الثاني عشر وعنوانه: (تداخل الفنون الأدبية) - قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب - جامعة اليرموك - الأردن، في ٢٢ صفحة، المجلد (١)، ص (٨٥٨ - ٨٧٩)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٩٤) أصدرته مكتبة لبنان ناشرون، في مجلدة صغيرة من ١٦٧ صفحة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٩٥) رسالة ماجستير بقسم الأدب بكلية الآداب واللغات - جامعة محمد خيضر - بسكرة بالجزائر، في ١٨٠ صفحة، العام الدراسي ١٤٢٩ - ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م

(٩٦) بحث منشور **بمجلة: كلية الآداب** - جامعة بنها، في ١٠٨ صفحة، عدد (٢١) الجزء (١)، ص (١٩ - ١٢٦)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٩٧) بحث منشــور **بمجلة** المعرفة ســوريا، في ٩ صــفحات، عدد (٥٩١) السنة (٥١)، ص (٣٧-٤٦)، محرم ١٤٣٤هـ/كانون الأول ٢٠١٢م.

(٩٨) بحث منشور **بمجلة: بونة للبحوث والدراسات**. الجزائر، في ٧٢ صفحة، عدد (١١.١٢) الجزء (١)، ص (١٥ـ ٨٦)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. ونشره مرة أخرى مختصرًا بمجلة: عالم الفكر ـ الكويت، في ٣٢ صفحة، المجلد (٤٠) العدد (٣)، ص (١٧٧ ـ ٢٠٨)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٩٩) بحث منشور **بمجلة: اتحاد الجامعات العربية للآداب** بالأردن، في ٢٨ صفحة، المجلد (٧) العدد (٣)، ص (٥٦٣ ـ ٥٩٠)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٠٠) بحث منشــور **بمجلة: المعرفة**. وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ٨ صفحات، السنة (٤٩) العدد (٥٦٦)، ص (٣١٦ـ٣٢٣)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٠١) بحث منشــور ضمن كتابه: **في النقد التطبيقي محاورات مع نصوص شعرية ونثرية**، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة، ص (١٣ ـ ٢٩)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٠٢) بحث مطول يقع في حوالي ســتين صــفحة، نشر **بمجلة التربية والعلم** بالموصل، المجلد (١٨)، العدد الأول، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(١٠٣) بحث منشــور **بمجلة: أبحاث في اللغة والأدب** جامعة بســكرة بالجزائر، في ١٧ صــفحة، العدد (٧)، ص (٢٣١ ـ ٢٤٧)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(١٠٤) بحث منشــور **بمجلة: المجمع العلمي العراقي**، في ٢٤ صــفحة، المجلد (٥٩) الجزء (٢)، ص (١٢٣ ـ ١٤٦)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ثم نشــره مرة أخرى ـ مختصــرًا ـ بمجلة العرب في ١٤ صــفحة، جزء (٧ـ٨) السنة (٥٣)، ص(٣٩٣ ـ ٤٠٦)، صفر ١٤٣٩هـ/ نوفمبر ٢٠١٧م.

(١٠٥) بحث منشور **بمجلة: الدراسات الإنسانية بكلية الآداب** ـ جامعة دنقلة بالسودان، في ١٣ صفحة، العدد (٨)، ص (١٨٧ ـ ١٩٩)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(١٠٦) بحــث منشــور **بمجلــة دراســات في اللغــة العربية وآدابهــا** ـ إيران، في٢٠صــفحة، العدد(١١)، ص(١٣١- ١٥٠)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(١٠٧) بحث منشــور **بمجلة: جامعة البعث للعلوم الإنســانية** ـ ســوريا، في ٣٠ صــفحة، المجلد (٣٥) العدد (٩)، ص (١٥٩ ـ ١٨٨)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(١٠٨) بحــث منشور **بمجلــة: العلوم العربية** ـ عمــادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن ســعود الإسلامية، في ٥٧ صفحة، ص (١٣٧ ـ ١٩٣)، عام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(١٠٩) بحث منشــور **بمجلة: كلية الآداب** ـ جامعة طنطا، في ٥٠ صــفحة، العدد (٢٧) الجزء (١)، ص

(١ ـ ٥٠)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٠) بحث منشور **بالمجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، في ٨٤ صفحة، المجلد (١٠) العدد (٢)، ص (٧٩ ـ ١٢٦)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١١) بحث منشور **بمجلة: كلية الدعوة الإسلامية** ـ ليبيا، العدد (٢٨)، ص(٢٣٧ ـ ٢٦٦)، عام ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٢) بحث منشور **بمجلة: المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** ـ تصدرها جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، في ٣٧ صفحة، المجلد الأول العدد (٢)، ص (٤٩١ ـ ٥٣٧)، رجب ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٣) بحث منشور **بمجلة: الثقافة والتنمية** ـ وزارة الثقافة المصرية، في ٦١ صفحة، السنة (١٥) العدد (٨٣)، ص (١٧٣ ـ ٢٣٣)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٤) بحث منشور **بمجلة: العلوم الإنسانية** ـ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، في ١٣ صفحة، المجلد (١٥) العدد (٢)، ص (٢٢١ ـ ٢٣٣)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٥) بحث منشور **بمجلة: جامعة الأقصى** ـ غزة، في ٢٧ صفحة، المجلد (٩) العدد (١)، ص(٢٧ ـ ٥٣)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٦) بحث منشور **بمجلة: إضاءات نقدية** ـ جامعة آزاد الإسلامية بإيران، في ١٨ صفحة، السنة (٤) العدد(١٤)، ص(٦٩–٨٦)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٧) بحث منشور **بمجلة: كلية التربية الأساسية** ـ الجامعة المستنصرية بالعراق، في ١٦ صفحة، العدد (٨٨)، ص (٢٠٩ ـ ٢٢٤)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١١٨) بحث منشور **بمجلة: العربية والترجمة** ـ بيروت، في ١٤ صفحة، العدد (٢٣) السنة السابعة، ص(٢٠٣ ـ ٢١٦)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١١٩) بحث منشور **بالمجلة العلمية** لجامعة الإمام المهدي بالسودان، في ٢١ صفحة، العدد (٦)، ص (٥٣ ـ ٧٣)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١٢٠) بحث منشور **بمجلة: المعرفة** ـ وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ٩ صفحات، السنة (٥٤) عدد (٦٢٠)، ص (٢٥٣ ـ ٢٦١)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١٢١) بحث منشور **بمجلة: كلية دار العلوم** ـ جامعة القاهرة، في ٩٩ صفحة، العدد (٩٣)، ص (٦٩ ـ ١٦٧)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١٢٢) بحث منشور **بمجلة: دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية** ـ الأردن، في ١١ صفحة، المجلد (٤٣) العدد (٢)، ص (٧١٥ ـ ٧٢٥)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١٢٣) بحث منشور **بالمجلة الأردنية** في اللغة العربية وآدابها، في ٥١ صفحة، المجلد (١٢) العدد (٤)، ص (١٤٠ ـ ١٩٠)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١٢٤) بحث منشور **بالمجلة العلمية** لكلية التربية جامعة مصراته ـ ليبيا، في ٣٠ صفحة، المجلد الأول العدد (٥)، ص(٢٣٧ ـ ٢٦٦)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

(١٢٥) بحث منشور **بمجلة الأندلس** (إصدار خاص)، ٩٠ صفحة، المجلد الأول، (العدد ٣) ذو القعدة ١٤٣٧هـ/سبتمبر ٢٠١٦م.

(١٢٦) بحثٌ قدَّمه إلى المؤتمر الدولي الثاني: «التراث العربي الإسلامي: الرصيد والعمل والمثاقفة والحضور»، الذي نظمه معهد المخطوطات العربية بالتعاون مع مركزي: تحقيق المخطوطات بجامعة قناة السويس وإحياء التراث العلمي بجامعة بغداد، والذي انعقد بالقاهرة يوم الأربعاء والخميس ٥-٦ جمادى الثاني ١٤٣٩هـ/٢١-٢٢ فبراير ٢٠١٨م.

أحمد مطلوب وخديجة الحديثي
محطات من رحلة الحياة والكلمة

أ. د. نادية غازي العزّاوي (*)

(٣)

لعلّ أبرز ما يلحظه من يدقّق النظر في ثبت عنوانات مؤلفات الدكتور مطلوب تأليفًا وتحقيقًا ومراجعةً وعرضًا، أنّ منجزه رحب مترامي الأطراف، متنوّع الاهتمامات، لم يقف عند حدود التخصّص الدقيق على نحو ما نلمس عند أستاذتنا الحديثي، التي ظلت محافظة على مجال تخصّصها اللغوي. أمّا قلم د. مطلوب فغزير، ساح في مجالات متنوعة: البلاغة وتاريخ البلاغة، تاريخ النقد، التراجم والسّير، الكتابة الإبداعية في الشعر والنثر، فضلاً عن دراساته النقدية التطبيقية، التي تعاملت بأريحية مع النّصوص، فلم تقتصر على عصر أو حقبة أو اتجاه؛ لقد تنقّل بين النصوص التراثية والحديثة، بغض النظر عن أحكامه النقدية عليها، كتب عن شعر أبي حيان النحوي، والأخطل الصّغير، والقروي، ونازك الملائكة، وشعر إبراهيم السّامرائي، وكتب عن القزويني كما كتب عن زكي مبارك والجاحظ والآمدي وأبي هلال العسكري. فضلاً عن خوضه غمار

التأليـف المعجمـي؛ إذ ألّف عددًا من المعاجم التخصصـية، لعـل آخرها معجم ألـف ليلة وليلة، وسـأفرد له حديثًا مسـتقلاً في نهاية الفقـرة؛ لأهميته وانفتاحه علـى إمكانات مسـتقبلية دعـا إليها المؤلف، فهو يؤمن بحيوية الصـلة العضـوية بين القديم والجديد، والترافد الصـحيح فيما بينهما، كيف لا وهو مَنْ دأب على القـول: «المجدّد إن لم يصـدر عن التراث يظلّ بعيدًا عن الأصـالة؛ لأنّ التجديد قتْل القديم درسًا»[1]، وأكّد الفكرة في موضع آخر: «وإنّ المجدّد لن يقدر أن يُثبّت أقدامه في خضمّ الحياة الأدبية ما لم يقتل القديم درسًا وبحثًا، وينفذ إلى أعماق الدراسـات كلّها»[2]. كما يمكننا رصد عدد من المهيمنات على منجزه، مثَّل قسم منها بواعث ومنطلقات لاختيار موضوعات تآليفه؛ منها:

١- نزعتـه العروبية، وإيمانه بكلّ ما يمتّ إليها بصـلة: لغةً وقضـايا ورموزًا وشخصـيات وتاريخًا، فهو حريص على تسـليط الأضـواء عليهـا، وإبراز كلّ ما من شـأنه الكشف عن القِيم السـامقة الكامنة فيها، والأمثلة العليا التي أبرزتها، يلتقط الشـاردة والواردة مادامت تمتّ إلى هذه الأمة المشـرّفة التي ينتسب إليها هويةً وقلبًا وقلمًا معًا.

ومن المفيد أن أضع بين يدي القارئ الكريم نصّ الرّسالة الإخوانية التي بعثها الرّاحل إلى الشّاعر المهجري (جورج كعدي) عام ١٩٧٥م، ليلمس كيف يتصاعد من حروفها عبق العروبة بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنًى: «تسلّمتُ هديتك الثمينة (الديوان الجديد)، وسـررتُ به أيما سـرور، وحمدتُ الله الـذي وحّد بين قلوبنا على بُعـد الدّار، فأصـبحنا بنعمته إخوانًا. إنّ الصّـحارى الشاسـعات، والبحار الهادرات، والجبال الشّـاهقات، لم تحل في يوم من الأيام بين الإخوة العرب، وإنّ الذين تركوا ديارهم ظلوا أوفياء لها مخلصين. وقد علّمتنا الحياة أنّ أمة العرب خالـدة مهمـا غفـتْ أو كبتْ، وما تلـك إلاّ غفوة ترقُّـب أو كبوة توثُّـب، وأنّ ما في عروقنا من دماء عربية سـتظلّ الصـوت الهادر في سـبيل التحرّر والانعتاق. وقد تجلّـى ذلـك في (الديوان الجديد)، الـذي عكفتُ عليه وتأملـتُ كلماته، فإذا هو

إيمــان بالله وحبّ للوطــن وإخلاص للأمة. إنّك أيهــا الأخ الكريم لمن المجاهدين الأبــرار، والأبطال الأحــرار، الذين سـيخلدهم تاريخ هذه الأمة حينما ينصــف أبناءها المغتربين، وإنّ كلماتك ستورق، وإنّ أبياتك ستزهر، وإنّ قصائدك ستثمر بإذن الله، ويومئذ يفرح المؤمنون:

أخــي إنْ نــأتْ بـك بـوليفيا ... فـأنـت هـنـا الـشّـاعـرُ المُلْهَـمُ
كــأنّي أراك وأصـغـي إلـى ... نـدائـك والـشـوقُ قـد يُـلـهـمُ
وإنّ قـصـيـدكَ في صـدقـه ... لأقـوى مـن الـشّـكّ إذ رجّـموا
حننتَ إلـى الأرز حتى هفتْ ... جـبـال وغـنّـت لـهـا أنجـمُ
وصُغت ليعرب أسمـى هوًى ... يـظـلّ . كـمـا صـغـتَـه . يـبـسـمُ
وذلــك مــن شــرف بــاذخ ... نـمـا لـك مـا الـمـجـدُ إلاّ هـمُ
ظللتَ على غـربـة من نوًى ... تـغـنـي وداؤك لا يـرحـم
وتـبـقـى وتـبـقـى أبـيًّـا كـمـا ... عـهـدنـاك يـا أيـهـا الأكـرمُ
فـشـعـرك أخـلـد ممّـا بـنـوْا ... وحبّك أصدقُ بل أعظمُ»[٣]

وتبرز العروبة في تصـدّيه الشّـجاع لكلّ ما يخدش صـفاء اللغة العربية؛ من دعوات إلى العامية أو العجمة، أو إدخال أصوات جديدة على منظومتها الأصلية، أو التحويــر والتغيــير في حروفها، وغيرها من بدع شــاعت في مراحل مختلفة من تاريخنــا المعاصــر، كان لديه، مثله مثل أي غيور على عربيته، استشـعار دقيق لما تمثّله هذه الدعوات من مؤامرات خبيثة تسـتهدف محو الوجود العربي وتاريخه، باسـتهداف أهـم رموزه: هذه اللغــة العظيمة وعاء كتابنا المقدّسـ العظيم. حتى اختياره الشخصيات التي درسها، لم يجر الاختيار بمعزل عن نزعاتهم العروبية، فكانت الأصـداء تتجاوب فيما بينه وبينهم، تجد مصــداق ذلك في دراسـته عن الشاعر القروي، وشعراء المهجر الجنوبي، وزكي مبارك، الذي أعجب به شخصًا ونتاجًا وموقفًا، فقال عنه بإكبار: «نشـأ زكي نشـأة عربيــة، وعاش في بيئة ريفية تُقيم للإسلام والعروبة وزنًا، وتأصَّل حبّ العرب والإسلام في نفسه بعد أن التحق

بالأزهر الشّريف، ودرس العربية والفقه الإسلامي، وتخصّص في الجامعة باللغة العربية، وحصل فيها على ثلاث شهادات للدكتوراه، وكان لهذا أثر كبير في نزعته العربية التي تأصّلتْ وأصبحت عقيدة راسخة، وازداد إيمانه بالعروبة بعد عودته من باريس سنة ١٩٣١م، وأخذ ينشر الكتب والبحوث عن الأدب العربي، ممّا جعل الدكتور (إبراهيم ناجي) يلومه ويدعوه إلى الكتابة عن الأدب الفرنسي، ولكنّ الشاعر أبى ذلك؛ لأنّه نذر نفسه لخدمة الأمة العربية وقضاياها الفكرية، والدفاع عن العروبة... واتصل وهو في العراق بدعاة الوحدة العربية، وعمل من أجلها»[٤].

ومن المنطلق نفسه كتاباه عن القروي شاعر العروبة، وصور عربية من المهجر الجنوبي، وقد درس أشعارهم المفعمة بالرّموز العربية والإسلامية، مع أنّ عددًا غير قليل منهم ليسوا مسلمين، ولكنّ نبض العروبة جمع بينهم في مغتربهم، وهو بعض ما أثار إعجابه فيهم، فكان يطرب لأمثال قول (توفيق بربر):

في عروقي دمُ العروبةِ يجري وهي عندي أعزّ من أولادي
عربي أنا ورغم اغترابي لم أزلْ مولعًا بحبّ الضادِ[٥]

ودرس نقديًّا أثر المرجعيات التراثية في أشعارهم، فقد تتلمذوا على أساطين الشعر العربي الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، فلا غرابة إذا ما تركت بصماتها في صور هؤلاء الشعراء المعاصرين ومعجمهم اللفظي، وفي إيقاعاتهم. وقبل هذا وذاك رصد تجلّيات لغة القرآن في شعرهم: العبارات، الصّور، الأساليب.... إلخ، فوجد اقتباسات كاملة من السّور القرآنية في تلك النصوص، على نحو ما ورد في قصيدة (جورج صيدح) - مثلاً- المعنونة: (الأمير شكيب أرسلان)، المرصّعة باقتباسات مباشرة من (سورة مريم):

تتواصوْنَ بالجهاد كما أو صى وبالثأرِ (بكرةً وعشيا)
إنْ عكفتم على ثراهُ فناجوا روحَهُ تسمعوا (نداءً خفيّا)
شاوروهُ في أمركم واستمدوا من علي لسان صدقٍ عليا

وتستمرّ بقية الأبيات على هذه الشاكلة[٦].

وضــمن توجُّهــه هذا، وبحكــم تولّيه قرابة عقدين مســؤولية رئاســة الهيئة الوطنية العليا في العراق للحفاظ على لغة الضــاد، وعمله المتصــل في لجنة اللغة العربيــة في المجمــع العلمــي العراقي، ثم توليه منــذ عام ٢٠٠٧م رئاســة المجمع العلمي، فقد عُني عناية مباشــرة بقضــية التعريب، وألّف أكثر من دراسة عنها، وعــن أهميتهــا في الحياة الثقافيــة والجامعية، ومنها: كتابــه: حركة التعريب في العــراق، أورد فيه تفصــيلات غنية عن الجهود التي بُذلــت منذ ثلاثينات القرن العشــرين في المدارس والكليات، وفي المجلات والصّــحف، ثــم في أروقة المجمع العلمــي في تعريــب المصــطلحات الأجنبيــة الوافــدة، وعرض لمســائل دقيقة عن مفاهيــم: (الترجمة)، و(الدخيــل)، و (المولّد)، و (النحــت)..... والإجراءات المتخــذة بشــأنها، وخصّــص مباحث لتأصــيل قضــية التعريب، منهــا: (المعرّب والقرآن الكريم)، (المعرّب والاشــتقاق)، (المعرّب والقياس)، و(الآراء الخلافية في تعريب الأعلام) قديمًا وحديثًا، وناقش باستفاضــة جانبًا من قرارات المجامع العربيــة في هذه المســألة، وكانت لــه ردود على بعض العلماء فيمــا ذهبوا إليه في بعض هذه المســائل، ومنها رأي (د.عباس حسن) في تبنّي فكرة عالمية المصطلح، الذي قد يســوّغ عنده استعمال بعض الأصوات غير الأصيلة في لغتنا، وهو ما وجد فيه أســتاذنا محاذير معينــة، نبّه عليها في قوله: «فليس هناك مصــطلح عالمي، ولكنّ الذي رآه يرجع إلى أنّ اللغات الأوربية تصدر عن أصول مشتركة كاليونانية واللاتينية، ولذلك تتشــابه المصــطلحات أو تقترب، وأين هذا مــن اللغة العربية الاشــتقاقية ذات الأصــل المختلف عن أصــول اللغات الأوربية؟ إنّ دخول الألفاظ الأوربيــة في لغة من جنســها لا يفســدها كما يُفســد اللغــة العربيــة، وإنّ الركون إلــى الرّاحة التي دعا إليهــا موت للأمة ولغتها، فمتى ســهل الأمر أمام الباحثين الجاديــن، ومتى جاء العلــم رخاءً من غير عناء؟ إنّ الحفــاظ على العربية وبذل الجهود في وضع المصطلحات، والدقة في اختيار الألفاظ أهم ما ينبغي العناية به لتحتفظ الأمة بنقائها، وتصون كيانها، فلا تذوب في شعوب الأرض»(٧). وركّز على عرض جهود شخصــيات وجد أنّ من حقها على الأجيــال الجديدة أن تطّلع على أدوارهــم التاريخية الرّائدة في التعريب في العراق: أمين المعلوف، رزوق عيســى،

عزّ الدين التنوخي، عبدالمسيح وزير، جميل صدقي الزهاوي، الرّصافي، الأب الكرملي، محمد بهجة الأثري، د. جواد علي، محمد رضا الشبيبي، مصطفى جواد، د. جميل الملائكة..... وآخرين من العلماء.

وأنهى الكتاب بتأكيد ضرورة توافر مبادئ أساسية، لتسير عملية التعريب في مسارها الصحيح الشّمولي؛ منها: الإيمان المبدئي بالتعريب، والوعي بضرورته الملحّة بوصفه ركنًا رئيسًا في الحفاظ على الهوية العربية لأبنائها، وتفعيل هذا الوعي باتخاذ القرارالسّياسي الحازم بقانون ملزم لتطبيق التعريب في مفاصل حياة الشعب، وعقد الندوات والبرامج التوعوية والمؤتمرات، والتنسيق بين مراكز التعريب المختلفة في الوطن العربي، فضلاً عن توحيد الجهود بين المجامع العلمية المختلفة في بلادنا العربية[٨].

من مؤلفاته الأخيرة دراساته عن كتاب ألف ليلة وليلة، الذي توّجها بمعجم، حاول من خلال التحليل والعمل المعجمي أن يثبتَ بأدلّة نصية أنها عربية الأصول والفروع، من جوانب ثلاثة: البيئة العربية التي كانت مسرحًا جرت فيه أحداثها، ثم النزعة الإسلامية في التصوير والوصف، ثم أخيرًا الأسلوب. فقد وظّفت هذه الحكايات كثيرًا من الرموز والعبارات الإسلامية، استقصاها في التحليل، منها: عبارات البسملة والحوقلة والتسبيح، وأسماء الله الحسنى والفرائض الخمس، والقراءات القرآنيةالسّبع والعشر والأربع عشر، والقصص القرآني: آدم وحواء، قوم لوط، قصة النبي موسى وشعيب، قصة النبي سليمان وقدراته الخارقة، فضلاً عن جوانب أخرى تنهل من الثقافة الإسلامية من وجوه مختلفة.

وأكّد في مقدمة الكتاب: «وسألني سائل: ما لك ولهذه الدّراسات؟ قلتُ: ألم أنذر حياتي للحفاظ على سلامة اللغة العربية، وصون تراثها وازدهارها؟ ألا يعيبني أنني بعدما نلتُ ما نلتُ أنكص عن خدمة أمتي، وأشغل نفسي بما لا يقدّم ولا يؤخّر، أو بما يفسد العقول ويُعطّل القدرات؟ إنّ كتاب ألف ليلة وليلة أصابه الضّيم من الأجانب، وبعض العرب والمسلمين، أما يستحقّ الدّرس لإعادته إلى أرومته؟»[٩].

لم يتوصّل إلى تصوّره هذا بأحكام انفعالية مسبقة، ولكن بالدراسة التحليلية المتأنية، التي توّجها بمعجم عنوانه: معجم ألف ليلة وليلة، ضـمّ أكثر من (٥٠٠) لفظـة من ألفاظ الحضـارة في هذه الحكايـات، رتّبها ألفبائيًّا، وهـي تنتمي إلى تسـعة عشـر حقلاً دلاليًّـا: الملابس، العطـور، أدوات الزينة، الطعـام (الفواكه، الحلوى)، الشـراب، الأدوات والمواد، المقاييس والمكاييل، العملة، المهن والأعمال، الأمكنة، الحيوانات، الطيور والدواجن، النباتات، وسائل النقل.... وغيرها.

كان يـورد اللفظة مشـفوعة بنصّ أو أكثر مـن الحكاية، ثم يفسّـر المعنى، ويذكر معها بعض التعليقات التوضيحية المهمة، عن تاريخ دخول اللفظة، أو موتها واندثارها، أو بقائها مسـتعملة إلى يومنا هذا، مع تغير الدلالة حينًا أو ثباتها كما هي، ومنبّهًا أحيانًا على الاستعمال المجازي للفظة في النصّ المقتبس، وما فيه من مفارقات أحيانًا؛ كقوله:

- (البـاب العـالي): «.....مقرّ الصـدر الأعظـم رئيس الـوزراء في الدولة العثمانيـة في عهد السـلطان عبدالحميد الأول (١٢٠٤هـج- ١٧٨٠م)، وقد بقي عَلَمًا على رياسة الوزارة إلى أن انقرضت الدولة»(١٣).

- (البهلوان) «....المصارع، المشعبذ، ويراد به الحاكم أو المسيطر» (٢١).

- (الحصّة): «... المدّة من الزمن، برهة، لحظة، وتُستعمل الآن بمعنى زمن المحاضرة في التدريس» (٣٩).

ولم تخلُ تعليقاته من إشارات بلاغية؛ كقوله:

- (لخريطة): «... وعاء من جلد أو نحوه يُشدّ على ما فيه، ومن هذه أُخذتْ كلمة الخريطة التي هي رسم للكرة الأرضية ونحوها، ويبدو أنّ الخريطة بمعناها الحاضر كانت توضع في الوعاء (الخريطة)، فأُخذ الاسم منها على سبيل المجاز المرسل» (٤٥).

- وممّا يقع ضـمن المشترك اللفظي: (الدّسـت)، وقد قال عنها: «في هذين النصـين بمعنى القِدر الذي يُطبخ فيه. وتأتي الكلمة بمعنى الكرسـي، والكانون، والقاعدة» (٥٢).

ومن تعليقاته الخاصة ببعض أسماء الأعلام: ما ورد في تعليقه على لفظة (شمسة): «اسم امرأة، وكان الاسم مستعملاً في القرن العشرين» (٨١).

- (الطّفر): «سير يُشدّ به حزام السّرج على الدّابة، ويكون تحت ذنبها، وهو (التّفر) في العراق» (٩١).

- وممّا يندرج تحت التراكيب وليس الألفاظ المفردة: (عال العال): «...أي من أجود ما يكون، ولاتزال مستعملة حتى هذه الأيام» (٩٥).

- ومن ألفاظ الطعام التي أوردها في معجمه: (العصيدة)، وقال عنها: «.... تشبه الشوربة، وكانت تُصنع في العراق من الطحين والسّمن والماء» (٩٩).

- (المرسوم): «...الأمر المكتوب، والجمع (المراسيم)، ومنها الآن: (المراسيم الجمهورية)» (١٣٩).

وبالرغم من هذه التعليقات المفيدة، فقد مرّت كثير من الألفاظ الأخرى من غير تنبيه، مع أنها ما زالت متداولة في كلام الناس في أيامنا هذه، في العراق وبلاد الشام ومصر وبقاع أخرى، وبما يؤكّد فكرة السيرورة اللغوية، واستحالة اندثارها، مادام الخلَف يأخذ عن السّلف، والتواصل بين الأجيال قديمًا وحديثًا.

وقد أحصيتُ عددًا من هذه المواد اللغوية التي مازالت متداولة في كلام العرب لم ينبّه عليها المؤلف؛ منها:

الأزعر، الإسكافية، الإسطبل، الأفندي، البخت، البردعة، البرنس، البياض (بمعنى الجصّ)، التربة (بمعنى المقبرة)، التشويش، التقدمة (بمعنى الهدية)، الجزارة، الحاوي، الحرامي، الحشّاش، الحلاوة، الحوالة، الحوت، الحوش، الخان، الختمة، الخرج، الخولي، الداية، الدبوس، الدخان، الدرج، الدّهان، الدهليز، السّاعي، السّبحة، السُفرة، السّفوف، السّماط، السّيخ، الشرطة، الشطّار، الشّمعدان، الصّومعة، الصّيوان، الطاقية، الطيرة، العائلة، العرب، العريس، العريشة، العريف، العملاء، العيال، الغبرة، الغوطة، الغيط، القاعة، القانون (آلة موسيقية)، القرصة (رغيف الخبز)، القصعة، القماش، القنطرة،

القهــوة، الكباب، الكعك، الكوفية، المصــاطب، المطمورة، المقالي (جمع مقلاة)، المقصــورة، المكتــوب (أي الرّســالة)، المكسّــرات، الملاهــي، النقــوط، الهراوة، الهرس، الوزيرة، الوصيفة، الوطن، الوطواط، الوكالة، اليمام.

إنّ هــذا النمــط من المعاجم مفيد جدًا في اســتقراء الــكلام المولَّد، ومعرفة عصــور تداوله، وأصوله الفصيحة والدخيلة، وصلته بعربيتنا اليوم، وهو مشروع دعا المؤلف إلى استكماله، بمراجعة موسوعات العصور المتأخرة خاصة، والتنقيب والتحرّي فيها.

٢- جهوده في مجال المصــطلح: عُني الرّاحل بالمصــطلح؛ لأنّه القطب الذي تــدور عليه مادة العلم، والمفتاح المركزي الذي يســهّل الولوج الآمن والســليم إلى تلقّي مسائله بوضوح، ومن خلاله تتحدّد مقاصد الباحثين والمؤلفين بتركيز ودقة، وتنتقــل بيســر وانتظام إلى المتلقــين، وإهماله يؤدي إلى المشــكلات التي تواجهنا اليوم، بســبب الفوضى في استعمال المصطلحات، وما يترتب عليها من اضطراب الدلالــة، واللبس في الفهــم والإدراك. وبحكم عمله الطويــل في المجامع العلمية، ولاســيما المجمع العلمي العراقي، فقد كان على صلة مباشرة بالجهود المبذولة في وضع المصــطلحات الجديدة وصــناعتها وتوليدها، مؤكدًا ضرورة مراعاة جملة من الأسس الصحية والصحيحة في وضع المصطلحات، وضمان سيرورتها، منها:

- أهمية اتفاق أهل الاختصاص على دلالة المصطلح على الفكرة المرادة.

- وجــود المناســبة القويــة أو المشــابهة السلســة بين المعنى الجديــد والمعنى اللغوي، لتجنُّب الاســتيلاد القســري. إذا صــحّ الوصــف. فمثل هذه الحالة تؤْذن مسبقًا بفشل الاختيار.

- الاكتفاء بمصطلح واحد للمفهوم الواحد؛ للحيلولة دون التعدّد غير المسوّغ، وحرصًا على استقرار الاستعمال من غير ارتباك أو تداخل.

- العناية بالصياغة اللفظية للمصطلح، والميل إلى اللفظة المأنوسة، وتجاوز الحوشــي والغريــب، والثقيل على اللســان. وتفضــيل اللفظة المفــردة على خيار التركيب، أو العبارة المطوّلة.

- الاستفادة من الخبرة المتراكمة الواردة إلينا من تراثنا، واستثمار المصطلحات التراثية، وإعادة تفعيلها بما يضاف إليها من مفاهيم مستحدثة؛ فهجّر هذه المصطلحات من ضروب القطيعة المرفوضة بين القديم والجديد. فضلاً عن شروط وتوصيات فرعية أخرى دعا إلى الأخذ بها: عن النحت والاشتقاق، وشروط التعريب ومحدّداته[١٠].

وكان كثير الانزعاج من الفوضى في استعمال المصطلح في واقعنا الثقافي المعاصر، حتى صار كثير من المؤلفين يذيلون كتبهم بقوائم بالمصطلحات التي وردت فيها مع دلالاتها، وتتفاقم الحالة أكثر مع اختلاف المرجعيات الثقافية الأجنبية التي نهل منها هؤلاء المؤلفون، مّما يتّضح جليًّا في استعمالاتهم الاصطلاحية التي يشوبها التداخل والتناقض أحيانًا أخرى.

وقد أخذ على عاتقه وضع بعض اللبنات في هذا المجال، فكان معجماه: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الذي اشتمل على ألف ومئة مصطلح، ومعجم مصطلحات النقد العربي، وقوامه ثمانمئة وثمانية عشر مصطلحًا.

وهذان المعجمان - بحقّ - واسطة عقد منجزه؛ لما فيهما من إحاطة واستقصاء، وتفصيلات قيمة من المسائل الخلافية، وحسن اختيار الشّواهد الدّالة على مضمون المصطلحات، فأغلب المواد في المعجمين مكتنزة بالأمثلة المعزّزة للمادة المشروحة، وبما يجعل الفائدة مضاعفة للقرّاء؛ لأنّهم ليسوا في حاجة إلى المفاهيم النظرية المجردة فحسب، بل لا بد من أن تأتي مشفوعة بما يجلوها أمامهم، ويقرّبها إلى مداركهم.

لقد اختار مجال الاصطلاحين البلاغي والنقدي القديم؛ لتداخلهما في مراحل كثيرة في عدة قرون، كما اختار المجال التراثي؛ لأنه أراد أن يؤسس على نحوٍ صحيح منطلقًا من البداية، لكي يؤصّل لمن سيتلوه، وهو ما قصده بقوله: «إنّ صدور المعجمين دعوة مخلصة إلى وضع المعجم النقدي الحديث، وإذا كانا قد وقفا عند القديم، فذلك ما أريد لهما؛ ليكونا منطلقًا لا رسومًا تقيد الخطى»[١١].

كان تصنيفه هذين المعجمين لحظة من حلم قديم، طالما راوده وراود الباحثين المعاصرين، أعني: تأليف المعجم التاريخي الشّامل لألفاظ العربية، الذي يرصد التطور الدلالي للألفاظ، وحركة تداولها في النصوص بين مختلف العصور.

تخير الراحل بجهده الفردي الصّرف زاوية صغيرة من هذا الحلم العريض، فكان يجمع مواد المصطلحات البلاغية والنقدية وعينُه ترنو إلى الأمنية الكبرى، ولأنّ ما لا يدرك كلّه لا يتُرك بعضه، كما اعتاد أسلافنا أن يقولوا بهممهم العالية، وعلى نحو ما أفصح في قوله:

«وأول خطوة إلى التراث البلاغي دراسة مصطلحاتها وتطوّرها، وإبرازها بثوبها العربي الأصيل، ولن يتمّ ذلك إلاّ بوضع معجم يجمع جزئياتها، وينسّقها في عرض تاريخي يُظهر تطوّرها، ويحدّد معالمها، وقد ظهرت هذه الفكرة منذ سنوات طويلة، ولكنّ الوصول إلى وضع معجم كان حلمًا بعيدًا؛ لأنّ تاريخ البلاغة العربية طويل، ولأنّ القدماء لم يلمحوا التطور إلاّ بما يخدم أهداف الكتب التي ألّفوها؛ لأنهم لم يقصدوا إلى التاريخ قصدًا، ولم يسعوا إلى وضع معجم البلاغة التاريخي سعيًا، ولكنّ الدعوة إلى وضع معجم تاريخي للغة العربية ظلت تتردّد»[١٢].

وأخذ على أهل المجامع اللغوية والعلمية العربية اهتمامهم بألفاظ الحضارة والمخترعات الحديثة، أكثر من عنايتهم بالاصطلاحات اللسانية والنقدية والبلاغية؛ لأن الأولى تتصل بحياة الناس على نحو مباشر، ومتعلقة بحاجاتهم المادية والاستهلاكية اليومية، فضلاً عن حرص الجميع على تغطية مجالات التقدّم التقني والعلمي، بينما أهملت العلوم الإنسانية وجهازها الاصطلاحي، أو لم تجد الاهتمام المماثل، وعدّ ذلك من الإخلال وعدم التوازن الطبيعي بين اتجاهات المعارف، بل اتجاهات الحياة بعامة.

٣- ومن بواعث التأليف عنده أيضًا: مواجهة النسيان والإهمال الذي مُنيت

به بعض الشخصـيات؛ إذ انحسرت عنها أضواء الشهرة، وأغفلهم الدارسون، أو لم يتناولوهـم بالشـمولية المرجوّة، فالتأليف عند أسـتاذي في بعض جوانبه محو للنسـيان، أو إزالة للضـيم والإجحاف، لاحظ - مثـلاً - كيف تحدّث عن (جورج كعدي) في كتابه عن شـعراء المهجر الجنوبي في ثمانينات القرن الماضي: «وليس في الكتب التي تعرّضتّ لأدباء المهجر إلاّ أسطر قليلة أو إشارات عابرة إلى كعدي، قدّيس العروبة في بوليفيا؛ لأنّ تلك الكتب اهتمّت بمن اشتهروا، أو حامت حولهم الدعاية، ولم يكن جورج كعدي واحدًا منهم»(١٣).

وهو الدّافع نفسـه تقريبًا الذي حداه إلى الكتابـة عن (زكي مبارك)، الذي قـرأه في مرحلة مبكرة من حياته، وتأثر به إنسـانًا ومبدعًا، وآلمه أن يغفله النقاد في العقود الأخيرة، حتى كادت صفحته أن تطوى، فنبّه:

«وقد نسـيه مؤرخو الأدب، وهو الأديب الكبير الذي حارب الاستعمار، ونادى بالوحدة العربية، يوم كان لدعاة الإقليمية والتغريب حَوْل وطَوْل، وخاض من أجل ذلك المعارك مع الأقطاب... ودافع عن أصالة الفكر العربي، وندّد بدعاة الإقليمية وعملاء الاسـتعمار.. وكانت مواقفـه القومية والوطنيـة والوجدانية تعيش معي، وكنتُ كلّما مضيتُ في القراءة أزداد أسفًا على ما لقي من ظلم وإجحاف»(١٤).

حتى دراساته التي ألّفها في هؤلاء الأعلام، فإنّه كان يتخير الجوانب المجهولة من نتاجاتهم، أو المهملة التي لم تُسلّط عليها الأضواء على نحوٍ كافٍ.

لقد ألّف عام ١٩٧٠م كتابه الرّصافي: آراؤه اللغوية والنقدية، وقدّم له قائلاً: «لقد عرف الناس الرّصافي شاعرًا عظيمًا، ولم يعرفوه عالمًا لغويًّا وأديبًا لوذعيًّا؛ لأنّ معظم الدراسات التي صدرتّ والمقالات التي كُتبت، عُنيت عناية كبيرة بشعره وآرائه السّياسـية والاجتماعية، ومن هنا كان لابدّ من إظهار هذا الجانب المشرق وعرضه، ليدخل الرّصافي في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة»(١٥).

ولم يكتـفِ بذلـك لتحقيق هذا الهـدف، فجمع (مقالاته اللغويـة) ولملم نثار

جهوده؛ لتكون بين يدي: «الباحثين العرب في كلّ مكان، واستكمال صورة البحث الذي استمدّ أصوله منها، وحفظها في كتاب واحد، بعد أن تفرّقتْ في الصحف، وأصبحت بعيدة عن أيدي الدّارسين»[١٦].

وهكذا تضافرت البواعث الوجدانية والعلمية الأكاديمية في منجزه: كتبًا ودراسات ومعاجم، مكتوبة بلغة فصيحة علمية، عذبة حين تكتنفها العواطف واللواعج، كيف لا وقد جمع بين دقّة قلم العالِم، وبين طراوة قلم الشاعر، وهي مزية لم تتوافر لكثيرين من الأعلام.

٤- ومن آرائه المهمة: عدّه النصّ الأدبي، شعرًا كان أم نثرًا، وثيقة تاريخية وجغرافية وسياسية واجتماعية، لا غنى للباحث عنها، مع خصوصية الجانب الإبداعي الذي في الشعر، فهو يؤمن أنّ: «كتب التاريخ من أهم مصادر إعادة كتابته، ولكنها لا تغني وحدها في رسم جميع الصّور التي يسعى الباحث إلى أن يرسمها لحقبة تاريخية أو لحالة من الأحوال، ولابدّ - لإضاءة بعض الجوانب - من الرّجوع إلى مصادر أخرى تفتح الطريق أمام الباحث، وتجعله قادرًا على الموازنة والحكم، ورسم صورة جليَّة لحدث أو لحالة أو لواقع، والشعر من هذه المصادر التي تقدّم مادة نابضة بالحياة؛ لما فيه من جمال التعبير، وخيال التصوير، وقوة التأثير، ولأنّه يلقي ضوء على الأحداث، ويكشف عن جوانب ربّما أهملتها كتب التاريخ، وقد تُنبّه إشارات فيه إلى البحث والتنقير ومتابعة الأحداث في المظان المختلفة؛ للتأكّد منها، أو الاستعانة بها في رسم الوقائع والشخصيات، والتعبير عمّا في الضمائر، ممّا لم تستطعْ كتب التاريخ تصويره»[١٧].

وهكذا أفاد من شعر شعراء العصر العباسي الأول في استقراء ملامح تشكّل المدينة العباسية، وتحوّلات الحياة فيها، وبخاصة بغداد، كما أفاد من مؤلفات الجاحظ في الكشف عن طبقات خصبة من الحياة الاجتماعية في مدينة البصرة، لا نجدها في حوليات المؤرخين المعروفة، لأنّ عين الأديب المرهف وجدانيًّا ونفسيًّا غالبًا ما تستشعر بمجسّاتها الداخلية الرؤيوية الخاصة تفصيلات غنية، تفصح عن علاقاته الجدلية المركّبة تأثرًا وتأثيرًا بالمكان والزّمان والبشر من حوله.

الهوامش:

(*) الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية

(١) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: ص٧.

(٢) **القزويني وشروح التلخيص**: ص١٨.

(٣) **صور عربية من المهجر الجنوبي**، د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م: ص ١٦٩-١٧٠.

(٤) **عاشق بغداد**، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م: ص١٨١.

(٥) **صور عربية من المهجر الجنوبي**: ص٣٢.

(٦) م. ن: ص١٢٦، ١٢٧.

(٧) **حركة التعريب في العراق**، د. أحمد مطلوب، الكويت، ١٤٠٣هج/١٩٨٣م: ص ٤٥.

(٨) م. ن: ص ٢٣٥.

(٩) **ألف ليلة وليلة**: عروبتها، لغتها، شعرها، منشورات المجمع العلمي ١٤٣٣هج/٢٠١٢م: ص٣، ٤.

(١٠) **حركة التعريب في العراق**: ص٢٣٥.

(١١) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: المقدمة: ص (ح).

(١٢) م. ن: ص٧.

(١٣) **صور عربية من المهجر الجنوبي**: ص١٧١.

(١٤) **عاشق بغداد**، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م: ص٥- ٦.

(١٥) **الرّصافي آراؤه اللغوية والنقدية**، د. أحمد مطلوب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م: ص١٢.

(١٦) م. ن: ص١٣.

(١٧) **المدينة في التراث**، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، بغداد ١٤١٤هج/ ١٩٩٤م: ص٥.

كتاب «بحوث ومقالات في تاريخ المدينة المنورة»

بقلم الشيخ حمد الجاسر

يحوي هذا الكتاب بين دفّتيه ما عُني به علاّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في تاريخ المدينة المنوّرة من مقالات وأبحاث بلغت ٨٤٥ صفحة من القطع المتوسط، رُتبت موضوعاته ترتيبًا تاريخيًّا حسب نشرها، بجمع المتجانس من الموضوعات المفرَّقة، واختصَّ بالبحوث والمقالات التي بلغت ٢٦؛ لكثرة ما أنتجه الشيخ حمد عن المدينة: تحقيقًا وبحوثًا ومقالات له ولغيره، ونشرًا لما يخصها في الرحلات، علاوة على ما في كتبه بعامة عنها، واختتم الكتاب بفهرسة علمية دقيقة لما ورد فيه من الأعلام، والأسر والقبائل والأقوام، والبلدان والمواضع، والكتب، والصحف والمجلات.

وقد صدر هذا الكتاب عن مركز حمد الجاسر الثقافي بعد قراءة أوّلية للدكتور عبدالعزيز الهلابي، ثمَّ أولاه الدكتور عائض الرّدّادي عنايته مراجعةً وتدقيقًا، بما حباه الله من خبرة ودراية في تاريخ المدينة المنوّرة، بدت في نتاجه العلميّ الرّصين، الذي نال إشادة علاَّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ واستحسانه.

ويجيء هذا الإصدار في سياق العناية بالتّراث العلميّ لعلاّمة الجزيرة،

الذي ما زال المركز يزويه بتنضـيد ما ائتلف، وتنسيق ما اختلف في شتّى الحقول العلميّة من السِّير والتراجم، والتاريخ، والبلدان، والقبائل، والأنساب، والرَّحلات، والمراسلات؛ تسهيلاً لسبيل التزوّد منها، وحفظًا لهذه الذخيرة العلمية.

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء التاسع والعاشر – السنة ٥٥

الربيعان ١٤٤١هـ

تشرين الثاني–كانون الأول/نوفمبر–ديسمبر ٢٠١٩م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

ببليوجِرافية الأعمال التي تناولت المعجم التاريخي

د. محمد جمعة الدِّربىّ[١]

توطئة:

الببليوجرافيـة المنهجية أداةٌ للسـيطرة على مصـادر المعلومات التي تخدم البحث العلميَّ، ووسيلةٌ للاتصال العلميِّ وتحويل الإنتاج الفكري من ثروة ضائعة وركام مخـزون إلـى ثروة معرفية محدَّدة الملامح يسـهل الاعتماد عليها والإفادة منها.

وفـى نهاية عـام ٢٠١٨م أطلق المركز العربيِّ للأبحاث ودراسـة السياسـات المرحلـة الأولى من معجم الدَّوحة التاريخي للغة العربية (تضـمَّنتَ المرحلة زهاء مائة ألف مدخل معجميٍّ منذ أقدم نصّ عربيّ موثَّق إلى عام ٢٠٠ هجريَّة) ذلك المعجم الذي سـيكون – أو ينبغـي أن يكون- ديوانًا للغة العربيَّة يضـمّ مفرداتها وأساليبها، ويبيِّن تاريخ استعمالها أو إهمالها، وتطوُّر مبانيها ومعانيها منذ عربيَّة النقوش حتى وقت إصدار المعجم.

وعقب إطلاق المرحلة بساعات كتبتُ مقالًا قلتُ في نهاية الفقرة الأولى منه: «ومهمـا كانت المعابةُ والأخطاء والسـقطات في هذه المرحلة فسـيكتب التاريخ أن الدَّوحـة وعدتّ ونفَّذتّ»[٢]! ومن هـذه الأخطاء ما جاء في مقدمة المعجم في أثناء

التعريف به وذكر ميزاته بلفظ: « فلئن تعدَّدت محاولات إنجازه على نحو ما بينَّا في التمهيد[٣]، فإنَّ أيًّا من تلك المحاولات لم تنته بعرض (!) مادة المعجم أو جلّها أو بعضها أو حتى نماذج منها (!) سوى المعروف مما أنجزه فيشر، ونُسِب – على خلاف- إلى مشروع معجم تاريخيّ للغة العربيَّة»!

وهذه الفقرة محلّ نظر، وقد جاء الخلط من النشـرة التي أصـدرها مجمع اللغة المصري عام ١٩٦٧م بعنوان: (المعجم اللغوي التاريخي تأليف أ.فيشر)، ولا شك عندنا أن العنوان من صنع المجمع لا من صنع فيشر؛ لأن المجمع نفسه أصدر محتوى هذه النشرة عام ١٩٥٠م بعنوان (معجم فيشر مقدمة ونموذج منه)؛ وقد صـرَّح فيشـر في مقدمته بأن معجمه الذي أعدَّه ليس هـو المعجم التاريخيَّ الذي دعا إليه مجمعَ اللغة المصـري[٤]! ويلفت النظر في الفقرة السـابقة إغفال معجم الدوحـة للمحاولات التي جاءت بعد فيشـر، وبعضُـها فيه –بصـورة أو بأخرى- نماذج تطبيقية مبدئيّة للمعجم التاريخي!

ولعل خلوّ مصادر المرحلة الأولى لمعجم الدوحة من المحاولات السابقة عليه[٥] يستدعى عمل ببليوجرافية بهذه المحاولات[٦]. وهذا ما فكَّرت فيه اللجنة الرباعية المنبثقة عن لجنة المعجـم التاريخي للغة العربية باتحاد المجامع اللغويَّة[٧]؛ حيث جاء ضـمن اقتراحاتها عقب ندوة الشـارقة المنعقدة في ديسمبر ٢٠٠٦م « إعداد ملـفّ خاص بالبحوث التي أُلقيت عن المعجـم التاريخي منذ بداية العمل به»، بل صرَّح أحد أعضائها بأن الدراسات التمهيديّة للمعجم التاريخي أحد مصادره[٨]. وهـذه الببليوجرافية الإحصـائية ليسـت فقط مصـدرًا لمعجم الدوحـة، ولكنها خطوة لنقد البحوث التي كُتبت عن المعجم التاريخي، وبيان المكرَّر منها والمُجترّ.

وليسـ مـن المبالغة أن نقـول: إن جُلّ التراث العربي لا سـيما الدراسـات المعجميـة وما يتعلـق باللهجات وعلاقة العربية بغيرها مـن اللغات مورد للمعجم التاريخـي، ولكـن بعد إنشـاء مجمـع اللغة المصـري عام ١٩٣٢م حظـي المعجم

التاريخي بدراسات حملت عنوانه مباشرة ، ولا تخفى أهمية إحصاء هذه العناوين للمهتمين بالمعجم المنشود من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية، وهناك عناوين كثيرة غير مباشرة تخدم المعجم التاريخي، مثل: التطور اللغوي التاريخي للسامرائي، والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب، ولحن العامة والتطور اللغوي له، وتطور الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لصباح الحلبي، والألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم دراسة تاريخية معجميّة لعبد الكريم الزبيدي، وفى علم اللغة التاريخي للبدراوي زهران.

وهذه هي ببليوجِرافيَة الأعمال المكتوبة عن المعجم التاريخي العربي حسب الترتيب الهجائيّ المشرقيّ حتى تسهل الإفادة ويمكن الاستدراك(٩)، مع الاقتصار على العناوين العربيَّة(١٠) المباشرة السابقة على صدور معجم الدَّوحة(١١)، والعناوين المرتبطة بمعجم فيشر(١٢):

١. أساس البلاغة شبه معجم تاريخيّ في عصره- د. محمد محمد بنشريفة- جـ١٠٩- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٧م. (ص٦٣: ٧٢).

٢. الاستشهاد في المعجم اللغوي التاريخي(١٣)- مصطفى محمد صلاح- عالم الكتب- القاهرة- مصر ط١/٢٠١٢م. (٤٧٦ص).

٣. الاستيعاب في جمع مادة المعجم التاريخي للغة العربية- د. مصطفى اليعقوبي – ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٢٨٩: ٣٠٤).

٤. أسس إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ومبادئه- د.عبد العلى الودغيرى(١٤) – ضمن الجلسة الثالثة من : ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.

٥. أسئلة حول المعجم التاريخي – د. سليمان بن إبراهيم العايد – عدد ٩، ١٠–مجلة دراسات مصطلحية– معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس– المغرب ط١/ ٢٠٠٩– ٢٠١٠م. (ص٩٧: ١١٠)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص١٧٣: ١٨٤).

٦. إشكالات الجمع في العربية، من المعجم العام إلى المعجم التاريخي– د. الحبيب النصراوي – ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٢٥٩: ٢٨٨).

٧. الإطار التصوريّ والمنهجيّ لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية– عز الدين البوشيخي ورشيد بلحبيب ومحمد العبيدى – ضمن : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص١٧: ٣٢).

٨. أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية"[١٥]– مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)– فاس– المغرب، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة– القاهرة– مصر ط١/ ٢٠١١م. (٩٠٨ص).

٩. الألفاظ اليمانية وبناء المعجم التاريخي العربي (١٦) – د. حميد العواضي– ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٤٦٩: ٤٩٤).

١٠. إمكانات الاستفادة من المدونات المتوافرة لبناء المعجم التاريخي العربي– عبد المجيد بن حمادو– جزء من: المدونات العربية المحوسبة، دراسة مسحية– ضمن: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص ٢٨٤: ٢٩٠).

١١. الإنحــاء ومكانــة التغـيرّ اللغـوي في المعجـم التاريخــي للغـة العربية- د.منتصر أمين عبد الرحيم- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

١٢. إنشــاء مدونة المعجــم التاريخي، أبرز التحدِّيات التــي تواجهها المجامع العربيــة واتحادها[١٧]- د.على القاسـمي - جــ١١٣- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٨م. (ص٣: ٢٧). وبعض هذا البحث مكرَّر في الفصـل العاشر من كتاب القاسـمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ولكن لا يغنى أحدهما عن الآخر.

١٣. برنامج دراسي مقترح لإعداد محررين للمعجم التاريخي للغة العربية- د. محمد حسـن عبـد العزيز- ضـمن: المعجم التاريخي للغــة العربية، وثائق ونماذج. (ص٢٠١: ٢٠٤).

١٤. بطاقة المصـطلح في المعجم التاريخي- د. قاسـم طه - ضـمن الجلسة الخامســة مــن : ديباجة نــدوة المعجم التاريخــي للغة العربية قضــاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية[١٨].

١٥. بعض الإشـكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي- أ.الطيب البكّوش- عــدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص٣٨٧: ٤٠٨)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه. (ص٣٨٧: ٤٠٨).

١٦. بناء المعجم التاريخي للغة العربية واقتضــاءاته النظرية – د.عز الدين البوشـيخي- ضـمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظريــة والمنهجيــة والتطبيقية. (صــ٥٥٧: ٥٦٨)، ونشــر أيضًــا في: المعجمية العربية قضــايا وآفاق- مجموعة مــن المؤلفين- إعداد وتقديم

د.منتصر أمين ود.حافظ إسماعيل- سلسلة المعرفة اللسانية – دار كنوز المعرفة- عمان- الأردن ط١/ ٢٠١٤م.(جـ٢ ص٣٧: ٤٨).

١٧. التَّأثيل والتَّأصيل والمعجم التاريخي للغة العربية- د. نزيه قسيس: مقال على موقع الجبهة[١٩].

١٨. تاريخ المعجم التاريخي[٢٠]- د.على القاسمي – ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٤٧: ٧٠).

١٩. تاريخ المعجم التاريخي العربي(مُتَع) في نطاق العربية، المبادرات الرائدة[٢١] – د. محمّد رشاد الحمزاوى- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م.(ص١١: ٢٨) ، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي ،قضاياه ووسائل إنجازه(ص١١: ٢٨).

٢٠. التأريخ المعجمي والتطور اللغوي- د. عبد العلىّ الودغيري- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

٢١. التأريخ لمعجم اللغة العربية، أسئلة وإشكالات[٢٢]- د.عبد العلىّ الودغيرى- عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/ ٢٠٠٩- ٢٠١٠م.(ص٤٧: ٩٦)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص١٢٧: ١٧٢).

٢٢. تأصيل الجذور اللغوية في المعجم العربي، في سبيل معجم تاريخيّ للعربية- د.إسماعيل أحمد عمايرة[٢٣].

٢٣. التأصيل الساميّ ودوره في بناء المعجم العربي التاريخي د.عمر صابر عبد الجليل- الندوة الدولية الأولى لمختبر إعداد اللغة العربية-

اللســانيّات العربية المقارنة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ابن طفيل- القنيطرة- المغرب ط١/ ٢٠١٠م.(ص٩٥: ١٢٢).

٢٤. التجارب الســابقة لوضـع المعجم التاريخي للغـة العربية، معجم المرجع للعلايلـى أنموذجًـا[٢٤]- د.عبـد الرحمـن حسـن العــارف- ضـمن: أعمــال ندوة المعجـم التاريخي للغة العربية قضــاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٧٢٥: ٧٣٦).

٢٥. التجربة الإنجليزيّة في المعجم التاريخي وتحديات العنصـر البشريّ[٢٥] — د. عبـده الراجحيّ- جـ١٠٩- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة — مصر ط/٢٠٠٧م.(ص٥٩: ٦٢).

٢٦. تجربــة الجمعيــة المعجميــة التونسـية في إنجــاز المعجــم التاريخــي للمصــطلحات العلمية العربية- د. عبد العزيز أحميد[٢٦]-عدد ٩، ١٠- مجلة دراسات مصــطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلـوم الإنســانية بفاسـ- المغـرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م.(صـ٣١١: ٣٢٦)، وضــمن: أعمــال ندوة المعجــم التاريخــي للغة العربية قضــاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٧٩٩: ٨١٠).

٢٧. تجربــة معهــد الدراســات المصــطلحية في إنجــاز المعجــم التاريخــي للمصــطلحات العلميــة العربيــة[٢٧]- د. محمــد أزهــري- عــدد ٩، ١٠-مجلةسـ دراســات مصــطلحية- معهــد الدراســات المصــطلحية بكليــة الآداب والعلوم الإنســانية بفاس- المغــرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص٣٢٧: ٣٦٤)، وضــمن: أعمــال ندوة المعجم التاريخــي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٨١١: ٨٣٨).

٢٨. تراث لحن العامة مصــدرًا من مصــادر المعجم التاريخي[٢٨]- د.أحمد

محمـد قدور- عـدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعيـة المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص٢٦١: ٢٨٠)، وضمن ندوة: المعجـم العربي التاريخي، قضـاياه ووسـائل إنجازه (ص٢٦١: ٢٨٠)، وأعيد نشـره في مجلـة مجمع اللغة العربيـة الأردنيّ- مجلد ١٥- عـدد ٤٠ ط/١٩٩١م. (ص٨١: ١٠٦).

٢٩. تصميم قاعدة بيانات المعجم التاريخي للغة العربية- عبد الحق لَخواجة وآخرين- جزء من: التصـميم الحاسـوبيّ للجذاذة والمدونة والمرصد- ضمن: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص٣٨٨: ٣٩١).

٣٠. تصـور عـامّ في التدريـب على قضـايا المعجـم العربي التاريخـي[٢٩]- د. إبراهيم بن مراد- بحث مقدَّم إلى اللجنة الرباعية المنبثقة عن لجنة المعجم التاريخي للغة العربية باتحاد المجامع.

٣١. تطبيقات استعمال لسـانيات المدونات في إصدار المعجم التاريخي[٣٠]- د. جمعان عبد الكريم الغامدي- عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسـات المصـطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسـانية بفاس- المغـرب ط١/ ٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص١٣١: ١٤٨)، وضـمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضـاياه النظريـة والمنهجية والتطبيقية. (ص٣٠٥: ٣٢٠).

٣٢. تطـور المفاهيـم الاجتماعية والاقتصـادية في المعاجم اللغويـة العربية، أسـاس نظري وتطبيقي لوضـع أسـس المعجم التاريخي العربي- د. ليث شـاكر محمـود - ضـمن: أعمال نـدوة المعجـم التاريخي للغـة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص١٨٥: ٢٠٨).

٣٣. تقرير عن المنهج العلميّ المقترح لعمل المعجم التاريخي وما دار حوله من

نقاش وما كُتب عنه من ملاحظات[٣١]- د.محمد حسن عبد العزيز- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج.(ص١٩٥: ٢٠٠).

٣٤. تقرير عن اليوم الدِّراسيّ: المعجم التاريخي للمصطلح التربويّ من خلال التراث الإسلاميّ- د.السعيد الزاهري- عدد ٢- مجلة دراسات مصطلحية - معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٢م.(ص٣١١: ٣١٦).

٣٥. تقنيات الإفادة من المدونات المحوسبة في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية- المعتز بالله السعيد طه- ضمن : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية.(ص٣٣٥: ٣٦٨).

٣٦. التنوع اللغوي الزماني حول الإعداد للمعجم التاريخي العربي[٣٢]- د.محمد حلمي هليل ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

٣٧. التوجّه الذهني في بناء المعجم التاريخي للغة العربية واقتضاءاته النظرية- د. عز الدين البوشيخى-ضمن الجلسة الخامسة من : ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية[٣٣].

٣٨. توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين تحت عنوان « المعجم التاريخي للغة العربية»: أرشيف الإدارة العامة للتحرير والشئون الثقافية بالمجمع[٣٤].

٣٩. توصيات ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية- ألقاها مع البيان الختاميّ: د.عز الدين البوشيخى- ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٩٠١: ٩٠٤).

٤٠. توصيات ندوة المعجم العربي التاريخي- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص٥١١: ٥١٤)، وضمن: المعجم العربي التاريخي - بيت الحكمة- قرطاج- تونس ط/ ١٩٩١م. (ص٥١١: ٥١٤).

٤١. الجهود التأثيلية في المعاجم القديمة ودورها في إنجاز المعجم التاريخي، مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجًا[٣٥]- نور الدين غمام عمارة- ماجستير- كلية الآداب واللغات- جامعة مولود معمرى تيزى وزو - الجزائر ط/ ٢٠١٤م. (١٥٩ص).

٤٢. جهود معهد الدراسات المصطلحية في خدمة السنة المشرَّفة، نموذج: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية المُعَرَّفة- د. الشاهد البوشيخى – ضمن : كتاب الوقائع الخاص بندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجريّ إلى اليوم[٣٦]- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة ط١/ ٢٠٠٦م. (ص٨٠: ٩٩)، وضمن سلسلة: دراسات مصطلحية (٧)- مطبعة آنفو برانت- فاس- المغرب ط١/ ٢٠٠٩م، ثم نشره البوشيخى ضمن كتابه: دراسات مصطلحية[٣٧] - دار السلام- القاهرة- مصر ط/ ٢٠١٢م. (ص١٨٣: ٢١٦).

٤٣. حاجة المترجم إلى المعجم التاريخي للغة العربية- د.محمد الديداوى - ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٨٩: ١١٤).

٤٤. حاجة علوم الحديث لمعجم تاريخيّ للمصطلحات الحديثيّة-د. عبد الرحمن محجوبي- بحث مقدَّم إلى ندوة: قضايا المصطلح في العلوم الشرعية-مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)-فاس-المغرب

ط١/٢٠٠٩م، ونُشِر في عدد ١١، ١٢- مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/١١- ٢٠١٢م. (ص١٥٣: ١٧٠).

٤٥. حوسبة المعجم التاريخي للغة العربية: د. المعتز بالله السعيد- عدد ٧٤- مجلة اللسان العربي- مكتب تنسيق التعريب- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- الرباط- المغرب ط/٢٠١٤م. (ص٥٧: ١١٢).

٤٦. حول التوصيل الإلكترونيّ بين المعجم التاريخي للغة العربية وقاموس تراثها السيميائيّ[٣٨] الأصيل (كنز الضاد) — د. أمين عبد الكريم باربو- ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٨٤١: ٨٩٨).

٤٧. حول المعجم التاريخي للغة العربية- د. عبد الهادي التازي- أُلقي في ندوة حول المعجم التاريخي للغة العربية ١٧- ١٩/١٢/٢٠٠٦م بالشارقة[٣٩].

٤٨. حول المعجم التاريخي للغة العربية- د. كمال بشر- جـ١٠٩- مجلة مجمع اللغة العربية-القاهرة — مصر ط/٢٠٠٧م. (ص٣١: ٣٣).

٤٩. خطة المعجم التاريخي- د. إحسان النص، ود.شاكر الفحام- بحث مقدَّم في الدورة الثانية والسبعين- مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر[٤٠].

٥٠. خطوة نحو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، إضاءة منهجية — د.علي توفيق الحمد - عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص١٧٥: ٢٠٢)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية

والتطبيقية.(ص٦١٥: ٦٣٨).

٥١. خلاصة مشـروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية- د.علي القاسـمي- تقرير مقدَّم إلـى اللجنة العلمية للمعجـم التاريخي باتحاد المجامع[٤١].

٥٢. دائـرات المعـارف[٤٢] وصـلتها بالمعجم التاريخـي العربـي- أ. فرحات الدريسى- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/١٩٩٠م.(صـ٦١: ٧٨)، وضـمن ندوة: المعجـم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه(ص٦١: ٧٨).

٥٣. دائرة المعارف الإسـلامية أصـل من أصـول المعجم العربـي التاريخي- أ.أحمـد العايد- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونـس ط١/١٩٩٠م.(صـ٤١: ٦٠)، وضـمن نـدوة: المعجـم العربـي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه(ص٤١: ٦٠).

٥٤. دراسات معجمية، نحو قاموس عربيّ تاريخيّ وقضايا أخرى- عبد العليّ الودغيرى- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضـاء- الرباط- المغرب ط١/٢٠٠١م.(٢٨٦ص).

٥٥. دراسـة أسـس ومبادئ إنجاز المعجـم التاريخي للغة العربية- إسـحاق رحمانـي- عـدد ٢- مجلـة الجنـان- مركـز البحـث العلمـيّ- جامعة الجنان- طرابلس الفيحاء -لبنان ط١/٢٠١١م.(ص١٩١: ٢٠٥).

٥٦. دور العاميّـة والسـاميّات في المعجـم العربـي التاريخـي- د.فيديركـو كورينطى[٤٣]-عـدد ٥، ٦- مجلـة المعجمية- جمعيـة المعجمية العربية- تونـس ط١/١٩٩٠م.(صـ٢٣٩: ٢٤٦)، وضـمن ندوة: المعجـم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه(ص٢٣٩: ٢٤٦).

٥٧. ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية[٤٤]- فاس- المغرب عام ٢٠١٠م.

٥٨. رحلة في المعجم التاريخي- د.إبراهيم السامرائي- عالم الكتب- القاهرة- مصر ط١/١٩٩٩م. (٥٣٨ص).

٥٩. رسالة مفتوحة إلى اتحاد مجامع اللغة العربية (مجمع الخالدين)، لغتنا العربية ليست بحاجة إلى معجم تاريخي- رفيق حسن الحليمى- عدد ٥٠٢- مجلة الوعي الإسلامي- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت ط١/٢٠٠٧م. (ص٦٤: ٦٦).

٦٠. الشواهد في المعجم التاريخي، تاريخها، أغراضها، خصائصها، ضوابطها[٤٥]- د. علي القاسمي- جـ١١٠- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٧م. (ص٦٥: ٩٠).

٦١. شيخ المحقِّقين وعمدة الأدباء واللغويِّين حسين محمد نصار: معجم اللغة العربية التاريخي مشروع مع وقف التنفيذ- حوار د.أحمد عبد الباسط- عدد ٥٧٤- مجلة الوعي الإسلامي- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت ط١/٢٠١٣م. (ص٥٠: ٥٤).

٦٢. صعوبات الاستشهاد الشعريّ في المعجم العربي التاريخي[٤٦]- د. شوقي ضيف- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/١٩٩٠م. (ص٤٠٩: ٤١٨)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه (ص٤٠٩: ٤١٨).

٦٣. صناعة المعاجم التاريخية بألمانيا[٤٧]- د.عبد الرزاق مسلك -ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٦٧٣: ٦٨٠).

٦٤. صناعة المعجم التاريخي في فكر علي القاسمي- أ. كمال لعنانى- عدد٢٤- مجلة الممارسات اللغوية -جامعة مولود معمرى تيزى وزو- الجزائر ط١/ ٢٠١٤م. (ص٩٩: ١١٠).

٦٥. صناعة المعجم التاريخي للغة العربية(٤٨)- د. علي القاسمي- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- لبنان ط١/ ٢٠١٤م. (٦٤٥ص).

٦٦. الصناعة المعجمية العبرية التاريخية[٤٩]- د.آمال محمد ربيع- مجلد ١٨- عدد ١، ٢- مجلة رسالة المشرق- مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة- مصر ط١/٢٠٠٦م. (ص٥١: ١١٢).

٦٧. ضرورة توظيف علم التأثيل في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية[٥٠]- د. عبد الرحمن السليمان- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

٦٨. الضوابط المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي للغة العربية – د.الحسين كنوان[٥١]-عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/ ٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص١٤٩: ١٧٤)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٥٩٣: ٦١٤).

٦٩. العتاد اللسانيّ الحاسوبيّ لرقمنة المعجم التاريخي للغة العربية- د.عمر مهديوي- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

٧٠. على خطى المعجم التاريخي للغة العربية- د.عبد الهادى التازى- من بحوث مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين[٥٢].

٧١. فى الحاجة إلى معجم لغويّ تاريخيّ لدعم المنهاج المدرسي الخاص باللغة العربية[٥٣] – د.عباس الصوري. ضمن: أعمال

نـدوة المعجـم التاريخـي للغـة العربيـة قضـاياه النظريـة والمنهجيـة والتطبيقية. (ص١١٥: ١٢٤).

٧٢. في المعجم العربي التاريخي، نص تقرير مقدَّم إلى وزارة التربية والعلوم بتونس حول المشروع – د. إبراهيم بن مراد- ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية. (ص١٨٥: ١٩٤).

٧٣. في تأليـف المعجم أو القاموس التاريخي- د. إبراهيم بن مراد- ضـمن: تصور عامّ في التدريب على قضايا المعجم العربي التاريخي.

٧٤. في سـبيل معجم تاريخي، محاولة في التأصـيل[٥٤]- د.إسـماعيل أحمد عمايرة-ضـمن بحـوث نـدوة المعجم العربـي - مجلد ٧٨ جـ٣- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ط/٢٠٠٣م. (ص٧٥٥: ٧٨٤).

٧٥. في ضـرورة توظيـف علم اللغة المقـارن في تأليف المعجـم التاريخي للغة العربية- عبد الرحمن السـليمان- مجلد ٢١- عدد ٢- مجلة ترجمان- مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبد المالك السعدى- طنجة- المغرب ط١/٢٠١٢م. (ص١١: ٦٤).

٧٦. في مفهوم المدوَّنة والجـذاذة والمدخل في المعجم التاريخي للغة العربية- انظر: في مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاتِه على العربية.

٧٧. في مفهـوم المعجم التاريخـي وتطبيقاتِه على العربيـة - د. إبراهيم بن مـراد- بحث مقدَّم إلى نـدوة حول المعجم التاريخي للغـة العربية ١٧- ١٩/١٢/٢٠٠٦م بالشـارقة[٥٥]، ثم نُشِـر بالعنوان نفسـه في عدد ٣٠ – مجلـة المعجمية[٥٦]- جمعيـة المعجميـة العربية- تونـس ط١/ ٢٠١٤م. (ص٩: ٥٤).

٧٨. فيـم يفيدنـا الجـذر في بنـاء المعجـم التاريخـي للغـة العربيـة[٥٧]؟

د.عبدالرزاق بنور، ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٥٢٧: ٥٥٦).

٧٩. قاموس الغجر، المعجم التاريخي ومعه قاموس عربيّ غجريّ[٥٨]- دونالد كينديك وجيليان تايلور- ترجمة وتحقيق حنان صديق وداليا البدرى- دار شرقيات للنشر والتوزيع – القاهرة- مصر ط١/٢٠٠٥م. (٣٦٢ص).

٨٠. قراءة في كتاب: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية[٥٩] – د. عبد العزيز المهيوبى-عدد ٢- مجلة اللسانيات العربية-مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية- السعودية ط١/٢٠١٥م. (ص٢٢٦: ٢٣٢).

٨١. قصة المعجم التاريخي بين الأمل والعمل[٦٠]- د. محمد حسن عبد العزيز – ضمن كتابه: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج. (ص٤٠٠: ٤٠٥).

٨٢. قضايا التعريف الدلالية في المعجم العربي التاريخي- د. إحسان النص- ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية. (ص١٣١: ١٤٧).

٨٣. القضايا اللغوية النظرية والتطبيقية لمشروع بناء المعجم التاريخي للغة العربية كما وردت بكتاب: نحو معجم تاريخي للغة العربية[٦١]- د. خالد اليعبودي- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

٨٤. قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية- ع ٢٣- مجلة المعجميّة – جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/٢٠٠٧م. (٢٠٤ ص + ملاحق).

٨٥. قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي- د. عبد العليّ الودغيرى- عدد ٣٣ – مجلة اللسان العربي- مكتب تنسيق التعريب- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الرباط- المغرب ط١/١٩٨٩م. (ص١١٩: ١٣٤)، وعدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية (٦٢)- تونس ط١/١٩٩٠م. (ص٢١٥: ٢٣٨)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه (ص٢١٥: ٢٣٨).

٨٦. القواعد الأساسيّة[٦٣] في تأليف معجم لغويّ تاريخي- أ. إسماعيل مظهر- مجلد١٠٧ - جـ٤ - المقتطف، مجلة علمية صناعية زراعية- الناشر: محرِّر مجلة المقتطف ط/١٩٤٥م. (ص٣٠٩: ٣٢٣)، ونشره الدكتور محمد حسن عبد العزيز[٦٤] في كتابه المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج. (ص ٧٥: ٩١).

٨٧. قوانين التغيُّر اللغوي في المعجم التاريخيّ[٦٥]- د. علي القاسمي- عدد ٧٥- مجلة اللسان العربي- مكتب تنسيق التعريب- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- الرباط- المغرب ط/٢٠١٥م. (ص١٠٣: ١١٧).

٨٨. كتاب المقاييس لابن فارس مصدرًا للتعريف في المعجم العربي التاريخي[٦٦] – د. الحبيب النصراوي- ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية. (ص١٤٩: ١٦٦).

٨٩. كتب الغريب والمعجم التاريخي للعربية- محمود مبارك عبيدات- ضمن: أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغوية العربية- مجلد ٤١- عدد ٣- دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية- عمادة البحث العلمي- الجامعة الأردنية- الأردن ط١/٢٠١٤م. (ص٨٠٦: ٨٠٧).

٩٠. كتب اللحن ومصادر المعجم التاريخي للغة العربية[٦٧] – د. محمد شندول– ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٣٧٧: ٤١٦)، وعدد٣٣– مجلة الممارسات اللغوية –جامعة مولود معمرى تيزى وزو– الجزائر ط١/ ٢٠١٥م. (ص١١: ٥٨).

٩١. اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخي[٦٨]– أ. إسماعيل مظهر– عدد٤٠– مجلة المجلة– الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر– القاهرة– مصر ط/ ١٩٦٠م. (ص١٣: ٢٤)، وضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج (ص٩٢: ١١٨).

٩٢. اللغة المصطلحية في المعجم العربي التاريخي[٦٩]– د. عباس الصوري– جـ١١٠– مجلة مجمع اللغة العربية– القاهرة – مصر ط/ ٢٠٠٧م. (ص١١٥: ١٢٤)، ثم نشره في: من روائع النصوص المغربية– أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد مصطفى القباج– اتحاد كتاب المغرب ووزارة الثقافة وسلسلة المعرفة للجميع– الرباط– المغرب ط١/ ٢٠١٢م. (ص٢١٣: ٢٢٣).

٩٣. اللفظ الأعجميّ في معجم العربية التاريخي، ملاحظات حول قضيتي الجمع والوضع– د. إبراهيم بن مراد– عدد ٥، ٦– مجلة المعجمية– جمعية المعجمية العربية– تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص٢٨١: ٢٩٦)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه (ص٢٨١: ٢٩٦).

٩٤. مآخذ اللغويين المحدثين على المعاجم العربية والموجهات الإجرائية المقترحة لبناء المعجم التاريخي– د. عبد الكريم مصلح – ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية

والتطبيقية. (ص٦٣٩: ٦٥٦).

٩٥. مادة المعجم التاريخي للغة العربية- د.عبد الرحمن بودرع[٧٠]-عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص١١١: ١٣٠)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٢٤٥: ٢٥٨)، ثم نشر ببعض الزيادات فى: المعجمية العربية قضايا وآفاق- مجموعة من المؤلفين- إعداد وتقديم د.منتصر أمين ود.حافظ إسماعيلي- سلسلة المعرفة اللسانية – دار كنوز المعرفة- عمان- الأردن ط١/٢٠١٤م. (جـ٢ ص٤٩: ٨٦).

٩٦. محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية- د.محمد سويسى- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/١٩٩٠م. (ص٤٦٣: ٤٧٥)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه (ص٤٦٣: ٤٧٥).

٩٧. محضر[٧١] اجتماع ندوة في المعجم التاريخي في المدة ٣- ٥/ ١١/ ٢٠٠٩م.

٩٨. المدونات الحاسوبية وصناعة المعجم التاريخي العربي المختص- أ.أحمد برماد- عدد ٩- مجلة الذاكرة-كلية الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح - ورقلة- الجزائر ط١/٢٠١٧م. (ص١٠١: ١٠٨).

٩٩. المدونة المحوسبة وبناء المعجم التاريخي- عبد المجيد بن حمادو- جزء من: المدونات العربية المحوسبة، دراسة مسحية- ضمن: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص٢٧٣: ٢٨٤).

١٠٠. المدونة المحوسبة وصناعة المعجم التاريخي- لمى فائق جميل العاني- عدد ١١٥- مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد- العراق ط١/٢٠١٦م. (ص٣٥: ٦٠).

١٠١. مدونة المعجم التاريخي للغة العربية- حسن حمزة - ضمن : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص١٩٧: ٢٤٤).

١٠٢. مدونة معجم تاريخيّ للغة العربية، معالجة لغوية حاسوبية- المعتز بالله السعيد[٧٢]- دكتوراه- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- مصر ط/٢٠١٠م. (٣٥٠ص).

١٠٣. مدى الحاجة إلى معجم تاريخي- رفيق حسن الحليمي- عدد ٣٤٨- مجلة الوعي الإسلامي- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت ط١/١٩٩٥م. (ص٧٤: ٧٥).

١٠٤. مذكرات عن منهج المعجم التاريخي للغة العربية- د. محمد حسن عبد العزيز- من أعمال لجنة المعجم التاريخي[٧٣].

١٠٥. مراجعة كتاب نحو معجم تاريخيّ للغة العربية[٧٤]- على الحسين- مركز حرمون للدراسات المعاصرة ط/٢٠١٦م.

١٠٦. مراحل اللغة العربية وتنوعاتها والمعجم التاريخي- د.عبد المنعم السيد جدامي- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

١٠٧. مسوغات مشروع المعجم التاريخي للغة العربية— د. إبراهيم بن مراد- انظر: نص وثيقة أُعدَّت لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية حول مسوغات مشروع المعجم التاريخي للغة العربية.

١٠٨. مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية — د.إحسان النص- ورقة قدِّمت في ندوة الشارقة حول المعجم التاريخي للغة العربية ١٧-١٩/١٢/٢٠٠٦م[٧٥].

١٠٩. مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية- د.علي

القاسمي- بحث مقدَّم إلى ندوة حول المعجم التاريخي للغة العربية ١٧- ٢٠٠٦/١٢/١٩م بالشارقة[٧٦].

١١٠. مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مسيرة وتاريخ- د. إحسان النص- مجلد٨٢ - جـ١- مجلة مجمع اللغة العربية- دمشق- سوريا ط/٢٠٠٧م. (ص٢٩: ٥٨).

١١١. مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثة- محمود أحمد طحان- مجلد ١٢- عدد ٣١- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الكويت- الكويت ط١/١٩٩٧م. (ص٢٧٧- ٢٨٣).

١١٢. مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية المُعَرَّفة- د. الشاهد البوشيخى – ضمن: جهود معهد الدراسات المصطلحية في خدمة السنة المشرَّفة. (ص١٩٧: ٢٠٦).

١١٣. مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، دراسة تطبيقية[٧٧] – المحور الرابع ضمن: ندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية. (ص١٧٧: ٣٦٤).

١١٤. مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية[٧٨]- د.الشاهد البوشيخى- عدد ١- مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠١م. (ص٨١: ١٠٢)، وضمن سلسلة: دراسات مصطلحية(١)- مطبعة آنفو برانت- فاس- المغرب ط١/٢٠٠٢م. (٤٣ص)، وأُعيد نشره ضمن ندوة المعجم العربي في المجلد ٧٨ جـ٣ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ط/٢٠٠٣م. (ص٦٨٥: ٧٠٨)، وضمن كتاب : دراسات مصطلحية[٧٩]- د. الشاهد البوشيخى - دار السلام- القاهرة - مصر ط٢/٢٠١٢م. (ص١١: ٣٦).

١١٥. مشروع المعجم التاريخي ومصطلحات النقد العربي[٨٠]- د.الشاهد

البوشـيخى- بحث مقدَّم في دجنبر (ديسمبر) بدعوة من جمعية الطلبة الباحثين في الأدب واللغة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- ظهر المهراز- فاس- المغرب ط١/١٩٩٩م.

١١٦. مشـروع المعجم العربي التاريخي- محضـر جلسـة ١٧ فبراير ١٩٩٠م- د. محمد رشـاد الحمزاوي- ضـمن: المعجم التاريخي العربي، قضاياه وطرق إنجازه - جـ١٠٩- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصـر ط/٢٠٠٧م (ص٨٥: ٨٦).

١١٧. مشـروع لكتابة المعجـم التاريخي للمصـطلحات الطبية[٨١]- د.نشـأت الحمارنة- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- سوريا ط١/١٦- ٢٠١٧م. (مجلد ٨٩ جـ٤: ص١٠٥٣: ١٠٧٤)، (مجلد ٩٠ جـ١: ص٨٧: ١٠٨).

١١٨. مشـروع مدونة المعجـم العربي التاريخـي - د. إبراهيم بـن مراد[٨٢]- ضـمن ندوة: قضـايا المعجـم العربي التاريخـي النظريـة والتطبيقية. (ص٢٠١: ٢٠٤).

١١٩. مصادر مادة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية- د.سعيد المغناوى- ضمن: ندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية. (ص١٥١: ١٦٦).

١٢٠. المصطلح الفلسـفيّ ومنزلته في المعجم العربي التاريخي- أ.عبد الستار جعـبر- عدد ٥، ٦- مجلـة المعجمية- جمعية المعجميـة العربية- تونس ط١/١٩٩٠م.(ص٤٨٥: ٤٩٦)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه.(ص٤٨٥: ٤٩٦).

١٢١. المعاجـم العربيـة في ضـوء تكنولوجيا المعلومـات الجديـدة، إمكانيات اسـتثمار البرامج الآلية في بناء قاموس تاريخيّ للغة العربية- د.حسـن دردير- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

١٢٢. معاجم المعاني ودورها في بناء المعجم التاريخي للغة العربية – د.محمد

مشري- ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٣٤١: ٣٧٦).

١٢٣. المعجمات اللغويّة الفقهيّة وبناء المعجم التاريخي للغة العربية- د. دلدار عبد الغفور الكُردي - ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٤١٧: ٤٦٢).

١٢٤. المعجم التاريخي الجغرافيّ السياسيّ للدول والبلدان والمناطق(٨٣)- مسعود الخوند - صادر ناشرون- بيروت- لبنان ط/٢٠٠٤م. (٢٢٢ص).

١٢٥. المعجم التاريخي العربي، قضاياه وطرق إنجازه(٨٤)- د. محمد رشاد الحمزاوي- ج١٠٩- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة - مصر ط/٢٠٠٧م. (ص٧٣: ٨٤).

١٢٦. المعجم التاريخي العربي(٨٥)، مفهومه، وظيفته، محتواه - د.علي توفيق الحمد- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص٩٥: ١٤٦)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه. (ص٩٥: ١٤٦).

١٢٧. المعجم التاريخي، أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة ترتيبًا أبجديًّا- عبد العزيز بنعبد الله(٨٦)- مكتبة السلام- الدار البيضاء- المغرب(د.ت). (٨٠ص).

١٢٨. المعجم التاريخي بين الواقع والمأمول، منهج جديد لصناعة المعجم التاريخي في اللغة العربية- د.محمد البنداري- مجلد ٣ - المؤتمر العلميّ الدولي الثاني- كلية اللغة العربية بالزقازيق- جامعة الأزهر- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠١٠م. (ص١٨١٣: ١٨٤٤).

١٢٩. المعجم التاريخي في ضوء المعجمية الحديثة(٨٧)- د.محمد حسن عبد العزيز- مجلد ٢٢- عدد ٤٣- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف

والنشر- دمشق- سوريا ط١/٢٠١٢م.(ص٩١: ١١٢).

١٣٠. المعجم التاريخي للبلدان والدول[٨٨]- مسعود الخوند-مطبعة حبيب عيد- بيروت- لبنان ط١/١٩٨٢م، والمؤسسة اللبنانية للطباعة والنشر(٦٤٢ص).

١٣١. المعجم التاريخي للعربية، ماهيته ودوافع تصنيفه ومتطلباته وبذوره التراثية- د. صادق عبد الله أبو سليمان- جـ١٠٩- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٧م.(ص١١٧: ١٤٦).

١٣٢. المعجم التاريخي للغة الجورجية - د.داريجان غار داوادزه- ضمن الجلسة السابعة من: ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية[٨٩].

١٣٣. المعجم التاريخي للغة الروسية، قراءة وتعليق- د.حميد العزوى - ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٧١١: ٧٢٢).

١٣٤. المعجم التاريخي للغة العِبرية- د. أحمد شحلان - ضمن الجلسة السابعة من : ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية[٩٠].

١٣٥. المعجم التاريخي للغة العِبرية، دراسة في البواعث والخصائص[٩١]- د. خالد اليعبودي- - عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م.(ص٢٠٣: ٢٣٨)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٦٨١: ٧١٠)، ونُشر في عدد ١٩ - مجلة الممارسات اللغوية-جامعة مولود معمرى تيزى وزو- الجزائر ط١/٢٠١٣م.(ص٢٧٧: ٣١٤).

١٣٦. المعجم التاريخي للغة العربية- أ. أحمد شفيق الخطيب- جـ١٠٩- مجلة

مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٧م. (ص١٠٥: ١١٦).

١٣٧. المعجم التاريخي للغة العربية- د.عبد الرحمن الحاج صالح-جزء من: أنواع المعاجم الحديثة ومنهج وضعها- ضمن بحوث: ندوة المعجم العربي- مجلد٧٨ جـ٣- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ط/٢٠٠٣م. (ص٦٨٠: ٦٨٢).

١٣٨. المعجم التاريخي للغة العربية، إجراءات منهجية - د. صالح بلعيد- جـ١١٤- مجلة مجمع اللغة العربية-القاهرة –مصر ط/٢٠٠٨م. (ص١٤١: ١٨٤)، وعدد٢١- مجلة اللغة العربية- المجلس الأعلى للغة العربية[٩٢]- الجزائر ط١/٢٠٠٩م. (ص٤٨٩: ٥٣١).

١٣٩. المعجم التاريخي للغة العربية أمل وعمل- بكرى محمد الحاج- عدد٤- مجلة كلية اللغة العربية- جامعة أم درمان الإسلامية- السودان ط١/٢٠٠٩م. (ص١: ٢٢).

١٤٠. المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل- أ. يحياوى حفيظة- عدد ٢٩- مجلة الممارسات اللغوية-جامعة مولود معمرى تيزى وزو- الجزائر ط١/٢٠١٤م. (ص١٧٥: ١٩٦).

١٤١. المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل[٩٣]- د. محمد حسن عبد العزيز- جـ١٠٦- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٥م. (ص٢٥: ٤٧).

١٤٢. المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل، ضوابط منهجية- د.عبد الرحمن الإمام - ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٢٠٩: ٢٢٢).

١٤٣. المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح[٩٤]- مجموعة مؤلفين- إعداد وتنسيق د.منتصر أمين ود.خالد اليعبودي- مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية - السعودية ط١/٢٠١٦م. (٥٨٩ص).

١٤٤. المعجم التاريخي للغة العربية ضرورة حضارية- فاروق شوشة- بحث مقدَّم إلى ندوة حول المعجم التاريخي للغة العربية ١٧- ١٩/١٢/٢٠٠٦م بالشارقة(٩٥).

١٤٥. المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيرات الألفية- د.عبد العزيز التويجري- جـ١١٠- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٧م.(ص١٦٩: ١٨١)، وأُعيد نشره ضمن: اللغة العربية والعولمة- منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)- الرباط- المغرب ط/ ٢٠٠٨م.(ص٧٧: ٩٦).

١٤٦. المعجم التاريخي للغة العربية، مبررات المشروع- د. إبراهيم بن مراد- بحث مقدَّم إلى لجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع(٩٦).

١٤٧. المعجم التاريخي للغة العربية من خلال المعاجم العربية- د.خالد بوزياني ود.مسعود دادوان(٩٧) –ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.(ص٣٢١: ٣٤٠).

١٤٨. المعجم التاريخي للغة العربية ، هل تأخر إنجازه؟ - د. أحمد محمد الضبيب- بحث مقدَّم إلى ندوة حول المعجم التاريخي للغة العربية ١٧- ١٩/١٢/٢٠٠٦م بالشارقة(٩٨).

١٤٩. المعجم التاريخي للغة العربية ، هل نستطيع أن ننجزه بعد مائة عام؟(٩٩) - د. علي القاسمي- ضمن: فن تحرير المعجمات في مجمع اللغة العربية – مصطفى عبد المولى- دار الفلاح- الفيوم- مصر ط١/٢٠٠٧م. (ص١٢١- ١٢٦) ، وبعض محتوى هذا المقال مكرَّر في بحث القاسمي «الشواهد في المعجم التاريخي»، ولا يغني أحد العملين عن الآخر.

١٥٠. المعجم التاريخي للغة العربية، واقعه وآفاقه – د. يمينة مصطفاي- ضمن الجلسة الثامنة من : ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية(١٠٠).

١٥١. المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج(١٠١) – د.محمد حسن عبد العزيز – دار السلام- القاهرة- مصر ط١/٢٠٠٨م.(٤١٤ص).

١٥٢. المعجم التاريخي للغة العربية وشـروط قيامه- د.أحمد العلوي- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

١٥٣. المعجـم التاريخي للمصـطلحات الحديثية المعرفة – مـن أعمال معهد الدراسات المصطلحية-فاس- المغرب(١٠٢).

١٥٤. المعجـم التاريخـي للمصـطلحات الطبيـة(١٠٣) – د.نشـأت الحمارنـة واكتمال رجب- مجلد ٨٩ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـق- سـوريا ط/٢٠١٦م.(جـ٢ ص٥٠١: ٥٢٢)، (جـ٣ ص٧٩٧: ٨١٨).

١٥٥. المعجـم التاريخـي للمصـطلحات العربية، لمـاذا؟ وكيف؟-د.الشـاهد البوشـيخى-بحث مقـدَّم في اليوم الدراسـيّ (فى فبرايـر) عن المعجم التاريخي للمصـطلحات اللغويـة(١٠٤)- كلية الآداب والعلوم الإنسـانية- مكناس- المغرب ط١/١٩٩٩م.

١٥٦. المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنيّة المعرَّفة في تفسير الطبريّ(١٠٥)- د.فريـدة زمـرد- تقـديم د.الشـاهد البوشيخى-منشـورات معهـد الدراسات المصطلحية- سلسلة: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة(١)- مطبعة آنفو برانت- فاس- المغرب ط١/٢٠٠٥م. (٢٦٦ص).

١٥٧. المعجـم التاريخـي للمصـطلحات اللغويـة المعرفـة- من أعمـال معهد الدراسات المصطلحية- فاس- المغرب(١٠٦).

١٥٨. المعجـم التاريخـي للمصـطلحات النقديـة المعرَّفة- من أعمـال معهد الدراسات المصطلحية- فاس- المغرب(١٠٧).

١٥٩. المعجـم التاريخـي منهج وأمثلة – د. محمد حسـن عبـد العزيز- بحث مقدَّم إلى ندوة حول المعجم التاريخي للغة العربية ١٧- ١٩/١٢/٢٠٠٦م

بالشــارقة[١٠٨]. وهذه الأمثلة منشــورة ضــمن: نماذج مختــارة لمواد من المعجــم التاريخــي للغــة العربيــة ومصــادرها (ص٧٣: ١٠٧)، والمعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج. (ص٢٨٢: ٣١٥).

١٦٠. المعجــم التاريخــي واســتثمار المصــادر[١٠٩] - د. عبــد الرحمن بودرع- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

١٦١. المعجــم التاريخــي وشــروط إنجــازه- د. عبدالرحمن الحاج صــالح- أُلقى في ندوة حول المعجــم التاريخي للغة العربية ١٧- ١٩/١٢/٢٠٠٦م بالشــارقة[١١٠]، ثم نُشِــر في مجلد ٢ - عدد ٥- مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربية- الجزائر ط١/٢٠٠٧م. (ص٩: ٣٠).

١٦٢. المعجم التاريخي ومتطلَّبات المثقَّف المعاصر- د. محمود فهمي حجازي- جــ١١٠- مجلة مجمــع اللغة العربيــة- القاهرة – مصــر ط/٢٠٠٧م. (ص١٤١: ١٥٢).

١٦٣. المعجم العربي التاريخي (بحوث ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووســائل إنجازه، المنعقدة في تونس مــن ١٤: ١٧ نوفمبر ١٩٨٩م)- بيت الحكمة- قرطاج- تونس ط/١٩٩١م. (٥١٤ص).

١٦٤. المعجــم العربي التاريخي، مفهومه، وظيفته، محتواه- د.عبد المنعم عبد اللّه محمــد - عــدد ٥، ٦- مجلــة المعجمية- جمعية المعجميــة العربية- تونــس ط١/١٩٩٠م. (صــ١٥٩: ١٨٦)، وضــمن ندوة: المعجــم العربي التاريخي ، قضاياه ووسائل إنجازه. (ص١٥٩: ١٨٦).

١٦٥. المعجم الكبير للمجمع يغني عن المعجم التاريخي اللغوي[١١١]- د.ناصــر الديــن الأســد- جـ١١٠- مجلة مجمــع اللغة العربية- القاهرة- مصــر ط/٢٠٠٧م. (ص١٠٥: ١١٤).

١٦٦. معجم اللغة التاريخي وأهميته في الواقع الحضاريّ- فاطنة نهاري[١١٢]- عدد ٢- مجلة دراســات معاصــرة- مخبر الدراســات النقدية والأدبية

المعاصـرة- المركز الجامعيّ تيسمسـيلت- الجزائـر ط١/ ٢٠١٧م. (ص٦٢: ٦٨).

١٦٧. معجـم اللغـة العربية التاريخي بـين آمال الإعداد ومقدمـات الإنجاز- د.صـادق عبـد اللّه أبـو سـليمان- مجلد ٩- عـدد ١٧- مجلـة المجمع الجزائري للغة العربيــة- الجزائر ط١/٢٠١٣م. (ص٢٩: ٧٢). وانظر: ملخص معجم اللغـة العربية التاريخـي، بين آمال الإعـداد ومقدمات الإنجاز.

١٦٨. معجـم اللغـة العربية التاريخي مشـروع مـع وقف التنفيذ. انظر:شـيخ المحقِّقين وعمدة الأدباء واللغويِّين.

١٦٩. المعجم اللغوي التاريخي، قضـاياه وآفاقه- د.محمد رشـاد الحمزاوي- محاضـرات بيـت الحكمة- بيت الحكمة- قرطـاج- تونس ط/ ٢٠١٤م. (ص١٢١: ١٣٧).

١٧٠. المعجـم اللغـوي التاريخـي، مرئيات حـول المشـروع هيكليَّـة وتنفيذًا- أ.أحمد شفيق الخطيب- بحث مقدَّم إلى لجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع[١١٣].

١٧١. المعجـم اللغوي التاريخي منهجه ومصـادره[١١٤] - عبد الغنى أبو العزم -مؤسسة الغنى للنشر – الرباط- المغرب ط١/٢٠٠٦م.

١٧٢. المعجم الموسـيقيّ الكبير، معجم علميّ تاريخيّ موسـوعيّ يتناول تعريف مصـطلحات علم الموسـيقى والألحـان وأسـماء الآلات العربية وتراجم المشهورين من الأعلام منذ الجاهلية إلى القرن العشرين- غطاس عبد الملـك خشـبة- المجلس الأعلـى للثقافة- القاهرة- مصـر ط/٢٠٠٣م: ٢٠٠٦م. (جـ١: ٣٥٣ص، جـ٢: ٤٥٥ص، جـ٣: ٤٧٠ص، جـ٤: ٤٩٧ص).

١٧٣. معجم تاريخـيّ للأماكـن والبلـدان الجزائرية[١١٥]- نمـوذج للأعمال المنجـزة في هـذه الوحدة- مادة حصـن فرنسا (الباسـتيون)- ناصـر

الدين سـعيدونى، وبالعنوان نفسه- نموذج من أعمال فرقة بحث- عدد ٢، ٣ - بحـوث- جامعة الجزائر- الجزائر ط١/ ٩٤- ١٩٩٥م. (ص٥٣: ٥٦)، (ص٢١: ٢٨).

١٧٤. معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين[١١٦]- د.قتيبة الشهابى- منشورات وزارة الثقافة- مكتبة الأسـد- دمشـق- سـوريا ط/١٩٩٩م. (جـ١: ٣٥٥ص، جـ٢: ٣٣٩ص، جـ٣: ٣٩٠ص).

١٧٥. معجـم فيشـر، مقدمـة ونمـوذج منـه[١١٧]- مطبوعـات مجمـع اللغـة العربيـة- القاهـرة- مصـر ط/١٩٥٠م. (٩٦صـ)، ثم نشـره المجمع بعنـوان: المعجـم اللغـوي التاريخي- أ. فيشـر- من أول حـرف الهمزة إلـى (أ ب د)- ط١/١٩٦٧م. (١٠٩ص: تصـدير مذكـور ٢ص+ مقدمة فيشر٣٤ص+جدول رموز٢٠ص+معجم فيشـر٥٣ص)، ثم نشره المركز العربي للبحث والنشر[١١٨]- القاهرة- مصر ط١/١٩٨٣م.

١٧٦. المعـرب والدخيـل في المعجم اللغـوي التاريخي- د. حلمـي خليل - عدد ٥، ٦- مجلـة المعجمية- جمعية المعجميـة العربية- تونس ط١/١٩٩٠م. (صـ٢٩٧: ٣٤٧)، وضـمن نـدوة: المعجم العربـي التاريخي، قضـاياه ووسائل إنجازه (ص٢٩٧: ٣٤٧).

١٧٧. المعنى في المعجم التاريخي للغة العربية- د. عبد الكريم خليفة- جـ١٠٩- مجلة مجمـع اللغـة العربية- القاهـرة – مصـر ط/٢٠٠٧م. (ص٨٧: ١٠٤).

١٧٨. مفهـوم المعجـم التاريخي- ضـمن: منزلة المسـتدرك ومعجـم الملابس لدوزى (١٨٢٠- ١٨٨٣م) من التأريخ للفظ العربي- منجية منسية- عدد ٥، ٦ – مجلـة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/١٩٩٠م. (ص٨٣: ٨٤).

١٧٩. مقترح مشروع للمعجم التاريخي لاصطلاحات المحدِّثين- د. محمد السرار- ضمن: ندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية (ص١٦٧: ١٧٦).

١٨٠. مقدِّمات المعجم التاريخي- محمد الأوزاعى- عدد٢- مجلة التاريخ العربي- جمعية المؤرِّخين المغاربة- الرباط- المغرب ط١/١٩٩٧م. (ص١٥١: ١٧١).

١٨١. مقدِّمات في سبيل معجم جغرافيّ تاريخيّ واشتقاقيّ للأردن، محافظة الكرك نموذجًا[١١٩]- د.سلطان عبد الله المعانى- عدد ٥٢- مجلة المؤرخ العربي- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب- بغداد- العراق ط١/١٩٩٥م.(ص١٣٥: ١٥٤).

١٨٢. مكانة المصطلح بالمعجم التاريخي للغة العربية ودور المدونة في انتقاء المصطلحات وتعريفها- د. خالد اليعبودى- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

١٨٣. ملاحظات على مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية للأستاذ الدكتور علي القاسمي- د.إبراهيم بن مراد- بحث مقدم إلى اللجنة الرباعية المنبثقة عن لجنة المعجم التاريخي للغة العربية باتحاد المجامع[١٢٠].

١٨٤. ملخص معجم اللغة العربية التاريخي بين آمال الإعداد ومقدمات الإنجاز[١٢١]- د.صادق عبد الله أبو سليمان- مجلد ٩- عدد ١٨- مجلة المجمع الجزائري للغة العربية- الجزائر ط١/٢٠١٣م.(ص١٧٥: ٢٢٤).

١٨٥. من المعجم الخليليّ إلى المعجم التاريخي، نظرات في المعجم العربي- د.محمد جمعة الدِّربيّ- الحضارة للنشر- القاهرة- مصر ط١/٢٠١٧م.(١٩٠ص).

١٨٦. مناهج دراسة المصطلح النقديّ في الدراسات العربية الحديثة ومشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العربية[١٢٢]- د.الشاهد البوشيخي- بحث مقدَّم في ١٤- ١٥ يونيو عام ١٩٩٤م إلى مؤتمر النقد الأدبى الخامس لجامعة اليرموك بإربد- الأردن.

١٨٧. منزلة اللهجة التونسية في المعجم التاريخي العربي[١٢٣]، (واحة بلا ظل) نموذجًا- أ. محمد العروسى المطوى- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص٢٤٧: ٢٦٠)، وضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه(ص٢٤٧: ٢٦٠).

١٨٨. من قضايا التأصيل في المعجم العربي التاريخي المختصّ مصطلحات النحو العربي في مرحلة النشأة – د. حسن حمزة – ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية. (ص٥٩: ٨٥).

١٨٩. من قضايا الوضع في المعجم الفرنسيّ التاريخي، قاموس لوروبار التاريخي نموذجًا[١٢٤]- د.زكية السائح دحمانى- ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية. (ص١١٩: ١٣٠).

١٩٠. من مواد المعجم التاريخي الجمع في طائفة من الكلم القديم[١٢٥]- د.إبراهيم السامرائي- عدد ٥، ٦- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص١٨٧: ٢١٤)، وأعيد نشره فى: مجلد ٢٥- جـ٥، ٦ مجلة العرب- دار اليمامة- الرياض- السعودية ط١/ ١٩٩٠م. (ص٣٠٧: ٣٣٢)، وأُدرج ضمن ندوة: المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه(ص١٨٧: ٢١٤)، وضمن كتاب[١٢٦]: رحلة في المعجم التاريخي(ص٧١: ٧٩).

١٩١. منهج قاموس أكسفورد التاريخي في معجمة اللغة الإنجليزية على أسس تاريخية، دراسة وتقويم – د.أحمد البايبى- ضمن الجلسة السابعة من:

ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية[١٢٧].

١٩٢. المواد والمداخل في المعجم التاريخي (أصله أطروحة ماجستير بعنوان: المواد والمداخل في المعجم اللغوي التاريخي، المنهج والنماذج[١٢٨] – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ط/٢٠١٣م)- مصطفى يوسف عبد الحيّ-عالم الكتب- القاهرة- مصر ط١/٢٠١٤م. (٣١١ص).

١٩٣. موارد المعجم التاريخي للغة العربية ومنهجية توظيفها- د. المعتز بالله السعيد- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط/٢٠١٥م. (جـ١٢٩ص٢٣٨: ٢٨١)، (جـ١٣٠ ص٢٠٠: ٢٥١).

١٩٤. مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية- د.صالح بلعيد - عدد ٩، ١٠- مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص٢٧: ٤٦)، وضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٧١: ٨٨).

١٩٥. مؤلفات الجاحظ مصدرًا من مصادر معجم اللغة العربية التاريخي، دراسة في المستويات اللغوية- د. الحبيب النصراوى- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- سوريا ط/٢٠٠٩م. (٣٢٨ص).

١٩٦. نحو إطار عامّ لمدونة لغوية للمعجم التاريخي للغة العربية- عبد المحسن الثبيتيّ- ضمن : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص٢٩١: ٣١٤).

١٩٧. نحو المعجم التاريخي للغة العربية- د. عبد الكريم خليفة- جـ٩٩- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط/٢٠٠٣م. (ص٣: ٢٤).

١٩٨. نحو تصور لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية – د.محمد الينبعى – ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٢٢٣: ٢٤٢).

١٩٩. نحـو خطـة لإنجـاز القاموس العربـي التاريخـي في ضـوء التجربـة الفرنسـية[١٢٩]- عبد العليّ الودغيرى- ضمن : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية (ص٣٣: ٧٤) ، ونُشر أيضًا في العدد ٧٤- مجلة اللسان العربي- مكتـب تنسـيق التعريب- المنظمـة العربيـة للتربية والثقافـة والعلوم- الرباط- المغرب ط/ ٢٠١٤م. (ص١٥: ٥٦).

٢٠٠. نحـو قاموس تاريخيّ للمصـطلحات اللسـانية التراثيـة[١٣٠]- د.نوارى سعودى أبو زيد- ضمن: المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح.

٢٠١. نحو مشـاركة جماهيرية في جمع مـتن المعجم التاريخـي للغة العربية- د.صـادق عبـد الله أبو سـليمان- جـ١١٠- مجلة مجمـع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٧م. (ص١٥٣: ١٦٧).

٢٠٢. نحـو معجـم تاريخيّ ، اسـم المكان مثالاً- شـوقي المعـرى- مجلد ٢٤- عدد ٤٦- مجلـة التعريب- المركز العربي للتعريـب والترجمة والتأليف والنشر- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- دمشق ط١/ ٢٠١٤م. (ص٩١: ١١٤).

٢٠٣. نحو معجـم تاريخيّ للغة العربية[١٣١]- مجموعة مؤلفين- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- بيروت- لبنان ط/ ٢٠١٤م. (٤٣٩ص).

٢٠٤. نحـو معجـم تاريخـيّ للمصـطلحات القرآنيـة المعرَّفـة- د. الشـاهد البوشيخى- بحث مقدَّم في ندوة: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه – مجمع الملك فهد لطباعة المصـحف الشريف- المدينة المنورة- المملكة العربية السـعودية عام ٢٠٠٠م، ثم نُشِـر ضمن سلسلة: دراسـات مصـطلحية (٥) – مطبعة آنفـو برانت–فاسـ ط١/ ٢٠٠٣م، وضمن كتاب : دراسات مصطلحية[١٣٢]- دار السلام- القاهرة- مصر ط٢/ ٢٠١٢م. (ص١٢٧: ١٥٤).

٢٠٥. نحو معجم تاريخيّ لمصـطلح ونصوص فنون صـناعة المخطوط العربي

- إبراهيم شبوح- ضمن مؤتمر: صيانة وحفظ المخطوطات الإسلاميّة- أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي- ١٨-١٩ نوفمبر- لندن ط/١٩٩٥م. (ص٣٤١: ٣٩٤).

٢٠٦. ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية أيام ٢٢- ٢٤ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ الموافق ٨ - ١٠ أبريل ٢٠١٠م- إعداد د. محمد الدحمانى- عدد ٤- مجلة آفاق أدبية- دار الشئون الثقافية العامة- بغداد- العراق ط١/ ٢٠١٠م. (ص١٢٩: ١٣٧).

٢٠٧. ندوة المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه- ع٥، ٦- مجلة المعجميّة – جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (انظر: المعجم العربي التاريخي).

٢٠٨. ندوة حول المعجم التاريخي العربي- حميدة الصولى- عدد ٥٥- مجلة الحياة الثقافية- وزارة الثقافة والمحافظة على التراث- تونس ط١/ ١٩٩٠م. (ص١٢٠: ١٢٥).

٢٠٩. ندوة قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية-ع ٢٣- مجلة المعجميّة –جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ٢٠٠٧م. (انظر: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية).

٢١٠. ندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية- عدد ٤- مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/ ٢٠٠٥م. (٣٨١ص).

٢١١. نص وثيقة أُعدَّت لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية حول مسوغات مشروع المعجم التاريخي للغة العربية- د. إبراهيم بن مراد- ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية. (ص١٩٥: ٢٠٠).

٢١٢. النظام الأساسيّ لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية- د. علي القاسمي-

مشـروع نوقش وعُرض على لجنـة المعجـم التاريخي باتحـاد المجامع لتحديد هدف الهيئة والأجهزة العلمية والإدارية وغير ذلك مما يتصـل بإنجاز المعجم[١٣٣].

٢١٣. نظرية الرَّصف وآفاق بناء معجم تاريخيّ للتعبير الاصطلاحيّ العربي- علوش كمـال- عدد ٢٣- مجلـة الأثر- كليـة الآداب واللغـات- جامعة قاصدي مرباح- ورقلة-الجزائر ط١/٢٠١٥م. (ص٤٩: ٥٨).

٢١٤. نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصـادرها [١٣٤] - د. محمد حسـن عبد العزيـز- جـ١١٢- مجلة مجمـع اللغة العربية- القاهرة – مصر ط/٢٠٠٨م. (ص٧٣: ١٢٢)، وضمن: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج. (ص٢٨٢: ٣٢٩).

٢١٥. نمـوّ الجـذور اللغويـة، نظرات تأصـيلية في المـادة المعجمية في سـبيل معجم تاريخيّ للعربية[١٣٥]- إسـماعيل أحمـد عمايرة- مجلد ٢٦ عدد ٢- دراسـات العلـوم الإنسـانية والاجتماعية- عمادة البحـث العلميّ- الجامعة الأردنية- الأردن ط١/١٩٩٩م. (ص٥١٨: ٥٤٤).

٢١٦. نمـوذج أوّليّ للمعجـم التاريخـي للغـة العربيـة- عبـد الحـق لخواجة وآخرين- جزء من: التصـميم الحاسـوبيّ للجذاذة والمدونة والمرصد- ضمن: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. (ص٣٩٢: ٣٩٧).

٢١٧. نموذج جديد للمعجم التاريخي للغة العربية[١٣٦]- د. محمد حسن عبد العزيـز – عدد ٩، ١٠-مجلة دراسـات مصـطلحية- معهد الدراسـات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩-٢٠١٠م. (صـ١٥: ٢٦)، وضـمن: أعمـال نـدوة المعجـم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. (ص٣٣: ٤٤).

٢١٨. نموذج للتصـميم الحاسوبيّ للمعجم التاريخي للغة العربية- عبد الحق لخواجـة وآخرين-جزء من: التصـميم الحاسـوبيّ للجـذاذة والمدونة

والمرصد–ضمن: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية.(ص٣٨١: ٣٨٦).

٢١٩. وأمثلة أخرى للمعجم التاريخي[١٣٧]– د.محمد حسن عبد العزيز– ضمن: نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصادرها.(ص١٠٧: ١٢٢)، والمعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج.(ص٣١٦: ٣٢٩).

٢٢٠. وحدات المعجم التاريخي بين التحديد السِّميّ والافتراض التصوريّ– ضمن: تطور التعريف المعجمي من التحديد السِّميّ إلى الافتراض التصوُّريّ– د. منية الحمامى– ضمن ندوة: قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية.(ص..)

٢٢١. الوسائل والغايات من وضع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية– د.وهبة الزحيلى– ضمن: ندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية(ص١٣٧: ١٥٠).

الخاتمة:

إذا أراد المجلس العلميّ لمعجم الدَّوحة التاريخي أن يزدان معجمه بالتمام والإحسان اللَّذين يغذوهما تلاقح الأفكار وتضافر الآراء فعليه أن يفيد من هذه الببليوجرافية بتوفير نسخة من محتوياتها لكل محرِّر أو مراجع سيعمل في لجنة إعداد المعجم، وأرجو الإفادة من جهود فيشر سواء النظرية مثل التقرير الخاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية أو التطبيقيّة المتمثلة في نماذجه[١٣٨]، مع ضرورة مراعاة الانتقادات ومنها ملاحظاتي المنشورة في مجلة العرب بعنوان « معجم فيشر بين طبعتين مجمعيَّتين»[١٣٩]، ويجب البحث عما تفرَّق من جزازاته في ألمانيا، أو اقتناء نسخة مما بادر بعض الأساتذة الألمان في جامعة توبنجن بنشره من هذا المعجم مستعينين « بعدد من أهل التخصص في هذا الميدان، وقد خرجت أول كراسة منه سنة ١٩٥٧م من أول حرف الكاف»[١٤٠]، وإن غيَّرت الجامعة وجهة معجم فيشر وأسمته معجم العربية الكلاسيكية، ويجب

علـى المجلس العلميّ كذلك أن يفيد من تجربة جمعية المعجمية العربية بتونس في مشـروع المعجم التاريخي العربـي الذي انطلق « من أول جلسـة بتاريخ ٧ فبراير ١٩٩٠م، ووُضـع برنامج بحثٍ له ، ومن خصائصـه ونتائجه أن استقرأ كل الشعر الجاهلي، وكذلك جمهرة رسـائل العرب في جـزازات تتجاوز أربعين ألف جزازة في الحاسوب، وتمثّل هذه المبادرة محاولة تستحق الاعتبار والاستفادة منها»[١٤١]، بل أرجو من المجلـس العلميّ- إن أراد البداية الحقيقية لمعجم تاريخي- ما طلبه الأسـتاذ إسـماعيل مظهر من المجمع المصـري منذ أكثر من سبعين عامًا؛ حيث أوصـى المجمعَ بالحصـول على البحث الذي اتُّخذ أساسًا لوضع معجم أكسفورد الحديـث، والقواعد التي طُبعـت بعنوان « قواعد معجميَّة لغوية، أو الأسـس التي ينبغـي أن تُراعَـى في تحرير المعجـم الإنجليزيّ الحديث الذي تصـدره الجمعية اللغوية»[١٤٢].

وليـت المجلس العلمـيّ لمعجم الدوحة يفيد من أعمـال المجامع اللغوية ؛ فقد أصـدر مجمع اللغة العربيـة الأردنيّ بمكتبة لبنان ناشـرون ببيروت عام ٢٠٠٦م «معجـم ألفاظ الحياة العامـة في الأردن»؛ وهذا المعجم تجربـة رائدة في المعجم العربـي الحديـث من حيث الاعتمـاد على المنطوق بـدلًا من الاجترار؛ ولا شـك أنه – وإن لم يسـلم من سلطان التصـرُّف والمعيارية- مورد عظيم لمدونة المعجم التاريخـي[١٤٣]، كما أدخل هذا المجمع الأردنيّ- حسـب التقرير السـنويّ له لعام ٢٠١٠م – ثلاثين مصدرًا من دواوين الشعر الجاهلي، وأنجز طباعتها وتدقيقها، وأرسـلها إلى اللجنة المتخصصـة بالمعجم التاريخي باتحاد المجامع اللغوية الذي يرأسه رئيس المجمع المصري[١٤٤].

وفـي إمكان المجامـع اللغويـة- إن كانت حريصـة فعلًا علـى تنفيذ المعجم التاريخـي- أن تتعـاون مع الدوحة في اتجاه معاكس؛ بتنـاول الموادّ والمداخل التي أهملتهـا المرحلة الأولى من معجـم الدوحة مثل: المصـطلحات العلمية، أو بنخّل

وتفريغ المصادر التي أهملتها هذه المرحلة وعلى رأسها المخطوطات العربية، بل في إمكان اتحاد المجامع- إن كان يعرف معنى الوقت وقيمته- أن يبدأ في مرحلة أخرى تالية أو موازية للمرحلة الأولى؛ فالمشروعات العلميَّة تحتاج إلى إخلاص مع فضل علم ومال وشجاعة مع النفس؛ والحضارات تُبنَى بوضع لَبِنة إثر لَبِنة، والعمل من حيث انتهى الأولون والمتقدمون.

وليت مجمع اللغة المصري الموقَّر يُخرج ما عنده من جزازات لفيشر أو يعترف بضياعها حتى لا تتعلَّق آمال المهتمين بها(١٤٥)، وليته ينشر البحوث التي ألقيت في مؤتمر الدورة الثانية والسبعين ولم تُنشَر في مجلته(١٤٦)، وتوصيات المؤتمر التي يحتفظ بها أرشيف الإدارة العامة للتحرير والشئون الثقافية بالمجمع! ونرجو منه نشر محاضر اجتماعات المجلس العلميّ لاتحاد المجامع اللغوية، ومحاضر اجتماعات اللجنة الرباعية المنبثقة عن الاتحاد، وما قدِّم إلى هذه اللجنة من بحوث أو وثائق. ويجب على المجمع الموقَّر أن ينتهي- دون عجلة أو إهمال- من المعجم الكبير الذي شرع فيه عام ١٩٥٦م، وأن يحسِّن أداءه فيه بتعميق المصادر وترتيب المعاني والشواهد المتواردة على دلالة واحدة كي يكون نواة حقيقية للمعجم التاريخي(١٤٧).

وقد كشفت الببليوجرافية السابقة عن كثرة الأعمال التنظيريّة وثرائها، وتكرار عناوين بعضها(١٤٨)، بل تكرار نشر جُلّ العناوين في أكثر من وعاء(١٤٩)! وأرجو أن يسعد القرنُ الحالي بتنفيذ وفاعلية للمعجم المنشود حتى لا نضطرّ آسفين إلى إنشاد رجز عدنان(١٥٠):

القرنُ ماضٍ وانقضى معظمُه فهل يُرَى كوعدِهم مُعجمُه

الهوامش

(١) باحث معجمي ومحقِّق لغويّ – القاهرة.

(٢) وحوى إيّاحا في المعجم التاريخي العربي- د. محمد جمعة الدِّربيّ- عدد١٠- مجلة الربيئة- الرقيم العلميّ- الجزائر ط/ ٢٠١٨م. وقد خصَّصتُ الفقرة الثانية منه لانتقاد المجمع المصري الذي يرأسه رئيس اتحاد المجامع اللغوية.

(٣) لا يوجد تمهيد؛ وإنما هى كلمة المعجم، وليس فيها شىء عن المحاولات!

(٤) مقالى: معجم فيشر بين طبعتين مجمعيَّتين ص ٥٣٦ وفى خاتمة الببليوجرافية استدراك منى عليه. ويخلط كثيرون بين النماذج التي أعدَّها فيشر وبين المعجم الذي عرض فكرته على المجمع! راجع مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- مجلد ٧٨ جـ٤/١١٦٣، ومن العجيب قول الدكتور محمود فراج فى: دراسة تحليلية في المعجم اللغوي التاريخي الحديث ص١٣ إن فيشر " أخرج كتابه المعجم التاريخي(!) ليكون النواة لهذا المشروع الضخم، وجاء فيه بأمثلة لتتبُّع الكلمات ورصدها تاريخيًّا(!) مثل كلمة أبد(!) وغيرها من الأمثلة "، وزعم ص١٧ أن فيشر: " أعدَّ بحثًا عن المعجم اللغوي التاريخي ذكر فيه حوالى عشرين مادة "، وناقض كلامه فقال ص٨١: " المنهج(!) الذي وضعه المستشرق فيشر لا يهتمّ بفترة تاريخيّة تُعَدُّ جزءًا مهمًّا من تاريخ اللغة العربية وهى فترة الواقع اللغوي السامىّ "!

(٥) لم تخلُ مصادر المرحلة من المحاولات الممهِّدة لها فقط، بل خلتْ من التراث المخطوط، ومن مصادر مطبوعة مهمَّة مثل: تفسير الطبرى، والمعارف لابن قتيبة، والمحكم لابن سيده والمخصَّص له، ونهاية الأرب للنويرى! وليس في مصادر المرحلة شىء من كتب المجاز، ولا كتب معانى القرآن وإعرابه، ولا كتب المذكر والمؤنث، ولا الحواشى وشروح الشواهد، ولا كتب الرحلات، ولا شروح صحيح البخارى! ولا كتب المراجعات النقديّة الحديثة! وليس فيها أيضًا شىء من تراث ابن الأعرابىّ! وراجع الفقرة الأولى من مقالى: مراجعة معجميّة لنشرات المحكم- عدد١٢- مجلة الربيئة- الرقيم العلميّ- الجزائر ط/ ٢٠١٩م.

(٦) الكلمة بالتاء المربوطة تعنى العمل الذي يحصى المؤلَّفات في موضوعٍ ما ، وتُجمَع على ببليوجرافيات. أمّا (ببليوجرافيا) فتعنى العِلْم الذي يدرس إجراءات هذا العمل، ويمكن التمثيل أيضًا بكلمة (جغرافية) التي تعنى بالتاء الدراسة التطبيقية على بلد معيَّن؛ يقال: جغرافية مصر أو السعودية، وإن خفى هذا التفريق على المعاجم الحديثة مثل معجم اللغة العربية المعاصرة (ب ب ل ي و ج ر ا ف ي ا) جـ١/١٥٦، (ج غ ر ا ف ي ا) جـ١/٣٧٨! وأما مجمع اللغة المصري فقد أهملتْ معاجمه اللغوية الثلاثة كلمتى ببليوجرافيا وببليوجرافية! واضطربتْ بين جغرافيا وجغرافية؛ فجاءتْ

الكلمة بمعنى العِلْم في الوسيط جـ١/١٣١ بالتاء، وفى الوجيز ص١٠٨ والكبير جـ٤/٣٨٨ بالألف!

(٧) كانت اللجنة الرباعية تضمُّ - برئاسة الدكتور كمال بشر- الأساتذة الدكاترة: أحمد محمد الضبيب، وعلى القاسمي، وإبراهيم بن مراد، ، ومحمد حسن عبد العزيز. وكان المتوقَّع أن يتولَّى أحدهم الإشراف على المعجم التاريخي باتحاد المجامع، ولكنْ تولَّى هذه المهمة الدكتور مأمون عبد الحليم وجيه المتخصص في النحو والصرف والعروض، راجع: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية ص٥٤.

(٨) المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص١٧٢، ٢١٤ ولم أكتفِ بذكر هذا الكتاب في ترتيبه ، بل حرصتُ على تفريغ عناوينه الداخلية ؛ حيث يصعب إحصاؤها اعتمادًا على فهرسه! والدكتور محمد حسن يصف ندوة الشارقة بأنها مؤتمر! راجع الردّ في عنوان "مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية" من هذه الببليوجرافية.

(٩) أهملنا أداة التعريف في أول العنوان فقط، وآثرنا معاملة الهمزة المرسومة على الألف ألفًا، والهمزة المرسومة على الواو واوًا، واالهمزة لمرسومة على الياء ياءً، كما عاملنا الألف المقصورة في (مدى) ياءً.

(١٠) أمّا العناوين غير العربية – وهى مهمَّة- فنقوم بإعدادها في ببليوجرافية أخرى، وراجع مثلًا: أعمال ندوة المعجم العربي التاريخي ص٢٩: ٣٢، ص٣٤٩: ٣٦٠ ، وعدد ٢٣- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ط١/ ٢٠٠٧م. ص١١: ٣٤. واقتصرنا أيضًا على الأعمال المكتوبة لمكانتها في التوثيق البحثىّ دون المسجَّلة صوتيًا في أوعية أخرى مثل اليوتيوب ؛ حيث يسهل إحصاؤها؛ ولهذا لم نفرد مكانًا في الترتيب لمحاضرات البوشيخى التي سُجِّلت له على اليوتيوب مثل: "المعجم التاريخي للغة العربية"، و"نحو معجم تاريخيّ لمصطلحات النقد العربي"؛ راجع: https://www.youtube.com/watch?v=PHlvgsqtqmM

(١١) وهذا الشرط يُخرج بعض الدراسات مثل: دراسة تحليليَّة في المعجم اللغوي التاريخي الحديث- د.محمود فراج- دار غريب- القاهرة ط١/٢٠١٩م.(٨٥ص). وقد سبق انتقاد كلامه عن معجم فيشر، وستأتى انتقادات أخرى في موضعها من هذه الحواشى، وأشيرُ هنا إلى قوله ص١٩: "المعجم اللغوي التاريخي ينقسم إلى نوعين هما: ١- معجم لغوىّ تاريخيّ خاص بالألفاظ المستحدثة بالنسبة للغة العربية ذاتها دون الرجوع إلى السامية الأمّ(!) وفى هذا المعجم يتم رصد ألفاظ اللغة تاريخيًّا بتحديد عصر بداية ونهاية إلى(!) العصر الذي كُتب فيه المعجم(!) مثل فكرة أ.فيشر(!). ٢- معجم لغوىّ تاريخيّ خاص بالصيغة الأولى المرتبطة بواقع اللغة العربية ؛ أى: الصيغة الأولى التي احتفظت بها العربية وكانت هذه الصيغة في الساميّة الأمّ، ولكن هذا المعجم

يحتاج إلى فريق متكامل(!) لإنجازه "!

(١٢) معجم فيشر ليس معجمًا تاريخيًّا، لكنى أذكره لارتباط صاحبه بالدعوة إلى معجم تاريخيّ عربيّ؛ وجعلتُ العناوين المرتبطة به في موضع واحد بطريقة الببليوجرام.

(١٣) أصله أطروحة ماجستير بعنوان: الاستشهاد في المعجم اللغوي التاريخي، المنهج والنماذج - كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ط/٢٠١٠م ، وليس الموضوع من بنات أفكار صاحبه، لكن فرضه عليه د.محمد حسن عبد العزيز في كتابه المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص١٨ بلفظ: " الشاهد في المعجم التاريخي"! وقد أشرفَ على هذه الرسالة ثم ذكرها باللفظ نفسه بعد مناقشتها!! راجع: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٣٧. وفى عمل مصطفى محمد صلاح بضعة نماذج تطبيقية اجترَّها اقتداءً بنماذج أستاذه من المعاجم الحديثة مرتِّبًا الشواهد ترتيبًا تاريخيًّا دون تعرُّض لعربية النقوش أو النظائر الساميّة!!

(١٤) ذكره د. الدحمانى باسم " عبد العالى الودغيرى "! راجع مقاله: ندوة المعجم التاريخي ص١٣١، ولم يرد هذا البحث فى: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية!!

(١٥) ليس غريبًا احتواء هذه النشرة على عناوين غير مباشرة في المعجم التاريخي مثل: " لغة العامة في الصحاح "، ولكن العجيب حقًّا خلوّ النشرة – دون إشارة- من بعض الأعمال التي جاءت في ديباجة الندوة مثل: الأصول الصرفية المفروضة دراسة في تاريخ الكلمة(استحوذ نموذجًا)، بل خلت النشرة من عناوين مباشرة جاءت في الديباجة مثل: أسس إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ومبادئه ، وبطاقة المصطلح في المعجم التاريخي ، والمعجم التاريخي للغة الجورجية، والمعجم التاريخي للغة العِبرية- د. أحمد شحلان ، والمعجم التاريخي للغة العربية واقعه وآفاقه ، ومنهج قاموس أكسفورد التاريخي في معجمة اللغة الإنجليزية على أسس تاريخية، دراسة وتقويم!! والأعجب من ذلك أن بعض أبحاث هذه النشرة سبق نشره – دون إشارة - في عدد ٩، ١٠- مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م. (ص١٥: ٣٦٤). وفى شبكة صوت العربية بحث منسوب إلى الندوة باسم: دور نشر المعاجم التاريخية، دار لبنان ناشرون نموذجًا- د.جورج عبد المسيح! راجع: https:// www.voiceofarabic.net/ar/articles/٢٣٥٣

(١٦) في ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية بلفظ: " الألفاظ اليمانية وبناء المعجم التاريخي للغة العربية "!

(١٧) ذكره الدكتور محمد حسن عبد العزيز في كتابه المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج

ص ٣٨ باسم " إنشاء مدونة المعجم التاريخي، أبرز التحدِّيات التي تواجهها مجامع اللغة العربية واتحادها "؛ وذكر أيضًا أن هذا البحث جزء من تقرير القاسمي " خلاصة مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية ".

(١٨) ولم يــرد هذا البحث فــى: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضــاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية!!

(١٩) راجع: http://www.aljabha.org/index.asp?i=٧٣٣٧٦

(٢٠) ذكره د. الدحمانى في : ندوة المعجم التاريخي ص١٣٠ باسم " تاريخ المعجم التاريخي للغة العربية "؛ ويُربَط بصناعة المعجم التاريخي للغة العربية (ص٥٣: ٨٤).

(٢١) ما بين قوسين اختصار.

(٢٢) في النشــرة الأولى مــن هذا البحث ص٨٤ ذُكر كتاب الدكتور محمد حســن عبد العزيز " المعجم التاريخــي للغــة العربية وثائق ونماذج " بلفظ: " المعجم العربي التاريخي "؛ وفى النشــرة الثانية صــ١٦١ بلفظ: " المعجم التاريخي للغة العربية "؛ وفى النشــرة الأولى ص٩٤: " في تتبَّع... ...أن يتتبَّع "؛ وتم إصلاح الخطأ في النشرة الثانية ص١٧١؛ وانتهت النشرة الأولى بجملة "ويمكن البدء بالنموذج الثانى(!) في انتظار اكتمال المعلومات الضرورية للانتقال إلى النموذج الثانى(!) "، في حين انتهت النشــرة الثانية بجملة "ويمكن البدء بالنمــوذج الأول(!) في انتظار اكتمال المعلومات الضــرورية للانتقــال إلى النموذج الأول(!) "!! وفــى: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية ص٢٩٣ أن بحث الودغيرى منشور في العدد ٥٤ من التاريخ العربي ط/٢٠١٠م.

(٢٣) يُربَط بما سيأتى للدكتور عمايرة بعنوان " في سبيل معجم تاريخي، محاولة في التأصيل ".

(٢٤) اختصــره د. الدحمانى بلفظ: " التجارب الســابقة لوضع المعجم التاريخي للغة العربية معجم(!) العلايلى نموذجًا(!) "؛ راجع مقاله: ندوة المعجم التاريخي ص١٣٥.

(٢٥) ذكره مصــطفى يوسف بعنوان " تجربة إنجليزية... "؛ راجع المواد والمداخل في المعجم التاريخي له ص٣٠١.

(٢٦) كذا بألف وصــل في النشــرتين، وفى ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضــاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية، وعدد ١ - مجلة دراسات مصطلحية ص١٢٩.

(٢٧) ذكــره د. الدحمانــى في مقاله: ندوة المعجم التاريخي ص١٣٦ بلفظ: " معهد الدراســة "؛ وتتميَّز النشرة الثانية بتخفيف الهوامش.

(٢٨) يُربَط بعنوان " كتب اللحن ومصادر المعجم التاريخي للغة العربية " ، وقد فطن إلى هذه الفكرة وولف ديتريش فيشر في محاضرته التي ألقاها ١٩٨٤م بعنوان " كتب لحن العامة وأهميتها في

إطار علم اللغة التاريخي وعلم اللغة الاجتماعيّ "، ثم نشـرها في عدد ٣٥- مجلة البحث العلميّ- المعهد الجامعيّ للبحث العلميّ- جامعة محمد الخامس- الرباط- المغرب ط١/١٩٨٥م. ص٤٧٣: ٣٨٣.

(٢٩) كـذا في المعجـم التاريخي للغـة العربية، وثائق ونمـاذج ص ٢٣٤، وذكره ص١٧٠- ١٧٣ باسـم " تصور عامّ لبرنامج في التدريب على قضايا المعجم التاريخي "، وذكره ص٢٢ باسم" تصور عامّ في التدريب على قضايا المعجم التاريخي "!

(٣٠) في النشـرة الأولى من هذا البحث ص١٤١: " الإيقونات " بالكسـر مرة وبالفتح مرة أخرى! وفى النشـرة الثانية ص٣١٣ التزام بالفتح. وفى هامش النشـرة الأولى ص١٤٧ خطأ في عنوان كتاب" المعجـم التاريخـي للغـة العربية وثائق ونمـاذج "، وفى ترتيب صـفحات النقل عنه، وتم إصـلاح الخطأ في النشـرة الثانية. ووقع عنوان البحث بلفظ : " تطبيقات... في إصـدار المعجم التاريخي للغـة العربيـة "! في : http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠

(٣١) الصـفحة الأخـيرة منه بعنـوان: مقترحات وردت في أثناء مناقشـة المنهج العلمـيّ للمعجم أو في التقارير التي كُتبت عنه.

(٣٢) في مجلـة التخطيط والسياسـة اللغوية – عدد ٣ – ط١/٢٠١٦م. صـ٢٠٣ بلفظ " التنوع اللغوي الزمانى حول الإعداد للمعجم العربي التاريخي".

(٣٣) وبلفـظ " التوجيه " فـى: http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠ ، ولم يـرد هـذا البحـث فـى: أعمال نـدوة المعجم التاريخي للغة العربية قضـاياه النظرية والمنهجيـة والتطبيقية! ولعله هو المطبوع في أعمال الندوة بلفـظ: « بناء المعجم التاريخي للغة العربية واقتضـاءاته النظرية »، وراجع: http://www.profvb.com/vb/١٤٦٥٢٢-post١.html

(٣٤) العهـدة هنا على المحرِّر المجمعيّ الأسـتاذ مصـطفى يوسـف فى: الموادّ والمداخـل ص٣٠٢، ومن العجيب حقًّا عدم نشـر هذه التوصـيات في مجلة المجمع التي نشرت بحوث المؤتمر! ويمكن النظر أيضًا في توصيات مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والسبعين المنشورة في العدد الثالث عشر بعد المائة عام ٢٠٠٨م. ص١٢٥- ١٣٠ ففى هذه التوصيات أيضًا كلام يخص المعجم التاريخي.

(٣٥) يُربَط بـ " كتاب المقاييس لابن فارس مصدرًا للتعريف في المعجم العربي التاريخي ".

(٣٦) هكذا جاء اسـم الندوة في كتاب: دراسـات مصطلحية للبوشيخى ص١٨٤، ولكن وقع فى: تجربة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجاز المعجم التاريخي للمصـطلحات العلمية العربية ص٣٤٣

باسـم : " الجهود المبذولة في خدمة السـنة النبوية من بداية القرن الرابع(!) الهجريّ إلى اليوم "!!

(٣٧) علَّل البوشـيخى ص١٨٤ إعادة النشـر بأنَّ نشْـره في جامعة الشـارقة كان مشـوَّهًا ناقصًا مبتور الآخر!

(٣٨) بلفظ: " السيمائيّ " ! فى: http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠

(٣٩) راجع المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص١٧٣ ، ويُربَط بـ " مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية".

(٤٠) العهدة على الأستاذ مصطفى يوسف في : المواد والمداخل في المعجم التاريخي ص٣٠٢!

(٤١) هكذا في : المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص٣٨.

(٤٢) بلفـظ " دائـرة المعـارف الإسـلامية " ! فـى: http://www.iblatunis.org.tn/pmb/opac__css/index.php?lvl=notice__display&id=٤١٨٧٠&seule=١

(٤٣) كـذا، وورد في العـدد ١٤، ١٥ بلفـظ " فيديريكو كورينتي " ، وذكره مصـطفى يوسـف فى: المواد والمداخل في المعجم التاريخي ص٣٠٢ بلفظ " فيدير كورينطى " !

(٤٤) انظر: http://www.mobdii.com/

(٤٥) معظم هذا البحث مكرَّر في الفصـل الحادى عشـر من كتاب القاسمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ولكن لا يغنى أحدهما عن الآخر.

(٤٦) ذكره مصـطفى صـلاح فى: الاستشـهاد في المعجم اللغوي التاريخي ص ٤٧٣ بدون " الشعريّ"! وقلَّده مصـطفى يوسـف فى: المواد والمداخل في المعجم التاريخي ص٣٠٥ ! وورد بلفظ " صـعوبة " فـى: http://www.iblatunis.org.tn/pmb/opac__css/index.php?lvl=notice__display&id=٤١٨٧٠&seule=١

(٤٧) جاء في ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضـاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية بلفظ: " صـناعة المعاجم التاريخية في ألمانيا " ! وهذا البحث مباشـر من حيث العنوان، لكنه مسـاعد من حيث التطبيق؛ ويُربَط بـ " المعجم التاريخي للغة العِبرية، دراسة في البواعث والخصائص".

(٤٨) هـذا الكتاب خالص لصـاحبه؛ فليس فيه بحوث لغيره ، وما نُشِـر منه في أماكن أخرى وضـعناه في ترتيبه من الببليوجرافية. وقد ضـمَّ الكتاب خمسـة عشـر فصـلاً هى: ص٣٩ المعجم والمعجم التاريخـي، ص٥٣ تاريـخ المعجم التاريخي، ص٨٥ المعجم التاريخي للغـة العربية، ص١٣١ الكتابة

العربية ركيزة المعجم التاريخي، ص١٦٣ خطوات تصنيف المعجم التاريخي للغة العربية، ص١٧٣ أهداف المعجم التاريخي للغة العربية، ص٢٣٧ تحديد عصور تاريخ اللغة العربية، ص٢٤٩ مصادر المعجم التاريخي للغة العربية: المصادر الأساسية، ص٢٧٥ مصادر المعجم التاريخي للغة العربية: المصادر الثانويّة، ص٣٠٣ لسانيّات المدونة الحاسوبية وصناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص٤٠٣ الشواهد في صناعة المعجم التاريخي، ص٤٤٥ ترتيب موادّ المعجم التاريخي، ص٤٦٧ أنواع المعلومات في المعجم التاريخي، ص٥٧٥ التحليل الدلالىّ، ص٦٠٣ التعريف في المعجم التاريخي.

(٤٩) فيه تطبيق على معجم عبرىّ؛ وهو من البحوث المباشرة في العنوان المساعدة في التطبيق؛ ويُربَط بـ " المعجم التاريخي للغة العبرية، دراسة في البواعث والخصائص".

(٥٠) في مجلة التخطيط والسياسة اللغوية — عدد ٣ — ط١/٢٠١٦م. ص٢٠٤ بلفظ "في ضرورة توظيف علم التأثيل في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية".

(٥١) يوجد فروق قليلة بين النشرتين؛ وفى النشرة الأولى من هذا البحث ص١٥٣ خطأ وتكرار في الفقرة الأولى سلمت منه النشرة الثانية. ووقع اسم المؤلف بلفظ "حسين(!) كنوان" فى: http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠ ، وكذا في عدد ١ - مجلة دراسات مصطلحية ص١٤٩.

(٥٢) كذا ذكره الدكتور محمد حسن عبد العزيز فى: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص٣٧، ولم يُطبع في مجلة المجمع ضمن بحوث المؤتمر!!

(٥٣) في ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية بلفظ: " في الحاجة إلى تاريخ للمعجم اللغوي العربي المستعمل في المنهاج المدرسي"؛ وراجع: http://www.profvb.com/vb/post١-١٤٦٥٢٢.html

(٥٤) كذا ذكره د.عبد الكريم خليفة في العدد ٩٩ بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص٢٣، ويبدو أن هذا البحث أُعيد نشره باسم " في سبيل معجم تاريخيّ للعربية ، تأثيل الجذور اللغوية للمعجم العربي " في الجامعة الأردنيّة ٢٠٠٣ — ٢٠٠٤م ، وقد نُشر في العدد ٢ بمجلة أبحاث اليرموك ٢٠٠٥م؛ ويبدو كذلك أنه المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية باسم " تأصيل الجذور اللغوية في المعجم العربي، في سبيل معجم تاريخيّ للعربية "؛ وللعمايرة بحث بعنوان " في سبيل معجم تاريخيّ للغة العربية- نحو الجذور، نظرات تأصيلية في المادة المعجمية " - الجامعة الأردنية- الأردن ط/٩٦- ١٩٩٧م؛ ويُربَط بما سيأتى في ترتيبه بعنوان " نموّ الجذور اللغوية ، نظرات تأصيلية في المادة المعجمية في سبيل معجم تاريخيّ للعربية "؛ وراجع: http://www.m-a-arabia.com/site/٨٨٢٤.html

(٥٥) المعجـم التاريخـي للغة العربيـة، وثائق ونماذج ص٢٣٥، وذكره ص٢٢ باسـم " في مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته " ، ص١٧٠- ١٧٣ باسم " في مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية وتطبيقاته "، ص٤٠١، ٤٠٤ باسم " مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته على العربية "! ويُربَط بـ " مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية".

(٥٦) في هامش الصـفحة التاسـعة : " النص الأصـليّ لهذا البحث محاضـرة قدَّمناها في الندوة التي نظَّمها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في مدينة الشـارقة أيام ١٧- ١٩ ديسـمبر ٢٠٠٦م في موضوع (حول المعجم التاريخي للغة العربية) ، ولم يسبق لنا نشرُه، لكن الدكتور محمد حسن عبد العزيـز مـن كلية دار العلوم بالقاهـرة قد أخذه من وثائق مجمع اللغة العربيـة بالقاهرة؛ فلخَّص قسـمه الأول النظـريّ الخاص بمفهـوم المعجم التاريخي وتطبيقه على معجم فيشـر، ونشـره مع القسـم الخاص بدور جمعية المعجمية ومفهوم الجذاذة المعجمية المؤرَّخة والتمثيل له بجذر(ب ي ن) تامًّـا في كتابه: المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج- دار السـلام- القاهرة ٢٠٠٨م. صـ٢٣٥: ٢٤٢، وقـد نشـره دون علمنا أو إذن منـا! ونحن ننشـر الآن البحث موسَّـعًا تامًّا محيَّنًا مضافًا إليه بعض العناصر النى كوَّنت مادة محاضرة أخرى بعنوان (فى مفهوم المدوَّنة والجذاذة والمدخل في المعجم التاريخي للغة العربية) قدَّمناها في اجتماع خبراء المعجم التاريخي الذي انعقد بالدوحة بتاريخ ١٠ مارس ٢٠١٣م قبل أن يُطلَق على المشـروع اسم (معجم الدوحة التاريخي للغة العربيـة) ، ويتكـوَّن له مجلس علميّ يُشـرِف على إنجازه العلميّ. وقد أضـفنا في هذه المحاضـرة التمثيـل بجـذر (ب ر ح) "! وهـذا النصـ يُلقى ظلالاً مـن التوهين على كتاب مشـهور في المعجم التاريخي لأحد أعضاء المجلس العلميّ للمعجم التاريخي باتحاد المجامع؛ ويؤكد كلامَ إبراهيم بن مراد قولُ الدكتور محمد حسـن ص٢٣٦: " هـذا الجزء من البحث مخطوط باليد، وخطه لا يكاد يُقرأ، وقد راجعتُه على المصـادر، ووثَّقتُ شـواهده "!! وقد أشـرتُ إلى هذا في حوارٍ لى عن أخلاق المجمع وأثرها على المعجم التاريخي نشـرتْه جريدة اللواء الإسـلامي – السنة الثامنة - عدد ٣٧٢ - مؤسسة أخبار اليوم- القاهرة ط١/ ٢٠١٩م. ص٣.

(٥٧) ورد فـى: المعجمية العربية قضـايا وآفاق- مجموعة من المؤلفين- إعداد وتقديم د.منتصـر أمين ود.حافظ إسـماعيلى- سلسلة المعرفة اللسانية – دار كنوز المعرفة- عمان- الأردن ط١/ ٢٠١٤م. جـ٢/ ٣٤٥ بلفظ : " فيمَ تفيدنا معرفة ما وراء الجذر في إنجاز المعجم التاريخي العربي "!

(٥٨) هـذا الكتـاب مباشـر مـن حيـث العنـوان، لكنه مسـاعد مـن حيـث التطبيـق؛ لأنه أقـرب إلى التاريـخ، راجـع : http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb١٣٥٩٥٦-٩٦٠٧٣&search=books

(٥٩) يُربَط بـ : « القضـــايا اللغوية النظرية والتطبيقية لمشــروع بناء المعجــم التاريخي للغة العربية كما وردت فى... « ، و « مراجعة كتاب: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية ».

(٦٠) يُربَط بـ " المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل " للمؤلف نفسه.

(٦١) في مجلة التخطيط والسياسة اللغوية – عدد ٣ – ط١/٢٠١٦م. ص٢٠٧ بلفظ " القضايا اللغوية النظرية والتطبيقية لمشروع بناء المعجم التاريخي للغة العربية من خلال كتاب: نحو معجم تاريخي للغة العربية "، ويُربَط بـ " قراءة في كتاب : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية ".

(٦٢) ألقى الودغيرى هذا البحث في ندوة جمعية المعجمية المنعقدة في ١٤: ١٧ نوفمبر ١٩٨٩م، ثم نشره في مجلة اللسان العربي قبل أن تنشره مجلة المعجمية!

(٦٣) هذه القواعد- كما ذكر المؤلف في الهامش- " مستخلصــة من مقدمة معجم أكســفورد الحديث للغة الإنجليزية، ومقدمة إلى لجنة المعجم بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ".

(٦٤) وليته لم ينشــره؛ لما وقع في نشــرته من تصــرُّف أو تشــويه! واختصــره ص ٦٠ باســم " القواعد الأساسيّة في تأليف معجم تاريخيّ "!

(٦٥) ثم نُشِــر في كتاب: المعجم التاريخي للغة العربية رؤى وملامح- الســعودية ط١/ ٢٠١٦م ؛ راجع: مجلــة التخطيــط والسياســة اللغوية – عــدد ٣ – ط١/٢٠١٦م. ص٢٠٤ باســم " معالجة قوانين التغيُّر اللغوي في المعجم التاريحىّ "!

(٦٦) يُربَط بـ " الجهود التأثيلية في المعاجم القديمة ودورها في إنجاز المعجم التاريخي، مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجًا ".

(٦٧) يُربَط بعنوان " تراث لحن العامة مصدرًا من مصادر المعجم التاريخي ".

(٦٨) كــذا في المعجــم التاريخــي للغــة العربية، وثائــق ونمــاذج ، وذكره صــ ٣٥ بلفــظ: " اللغة العربية وحاجتها إلى معجم تاريخيّ (كذا!)

(٦٩) كذا في مجلة المجمع، وجاء في : المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص٣٧ بلفظ: " اللغة المصطلحية في المعجم التاريخي "!

(٧٠) ذكــره د. الدحمانــى في مقالــه: ندوة المعجم التاريخي ص١٣٢ باســم " عبــد الرحمن بودراع "! ويُربَط بما سيأتى بعنوان " المعجم التاريخي واستثمار المصادر ".

(٧١) وثمَّة محاضــر أخرى يجب على اتحاد المجامع نشــرُها! راجع: معجم اللغة العربية التاريخي بين آمال الإعداد ومقدِّمات الإنجاز ص٧٠.

(٧٢) ولهذا الباحث رســالة ماجســتير بكليــة دار العلوم بجامعة القاهرة عــام ٢٠٠٧م بعنوان " مدونة معجــم عربــى معاصــر، معالجة لغوية حاســوبية "، وله أيضًــا بحث " كيــف نبنى مدونة لغوية

موسَّـمة تركيبيًّا للغة العربية بطريقة نصـف آلية "- مجلد ١٩- عدد ٣- مجلة الدراسات اللغوية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض ط/٢٠١٧م.

(٧٣) المعجـم التاريخـي للغة العربية، وثائق ونماذج ص١٧٤، واختصـره صـ ١٣ بلفظ " مذكرات عن منهج المعجم التاريخي ".

(٧٤) راجـع: https://harmoon.org ، ويُربَط بــ « قراءة في كتاب: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية ».

(٧٥) كذا في بحث د. القاسمي – إنشاء مدونة المعجم التاريخي ، ويُربط بمشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مسيرة وتاريخ ، ويربط كذلك بالبحوث التي ذكر د.محمد حسن عبد العزيز أنها نُشرت ضمن المؤتمر المنعقد في ١٧-١٨/١٢/٢٠٠٦م بالشارقة ، راجع المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص١٧٠- ١٧٣ ، ولم يذكر د.محمد حسن بعضَ البحوث منها بحث إحسان النص! وذكَر أن المؤتمر- وهو عند القاسمي ندوة في ثلاثة أيام- في يومين اثنين! وأشير هنا إلى لفظ د.المعتز بالله السـعيد : " ندوة اتحاد المعاجم(!) العربية حول المعجم التاريخي للغة العربية، الشـارقة ٢٠٠٦م " راجع بحثه: حوسبة المعجم التاريخي للغة العربية ص١٠٦، واتحاد المجامع نفسه يصف أيام الشارقة بأنها الندوة الرابعة عشرة، راجع: اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في عيده الذهبيّ – الأمانة العامة- مطابع دار الجمهورية- القاهرة ط١/٢٠١١م.ص٥٥، ويؤسـفني وقوع كلمة " الإتحاد " هكذا بهمزة قطع ص٤١!!

(٧٦) يصـرّ د. محمد حسن عبد العزيز على وصف ندوة الشارقة بأنها مؤتمر!! راجع المعجم التاريخي للغـة العربية، وثائق ونماذج ص١٧٠- ١٧٣ ، ص٢١٢، وجاء فـي: نحو معجم تاريخيّ للغة العربية صـ٢٥١ باسـم " الخطـة العلمية للمعجـم التاريخي للغة العربيـة "! ويُربَط بـ " مسـيرة المعجم التاريخي للغة العربية ".

(٧٧) تضمَّن هذا المحور عناوين غير مباشرة في المعجم التاريخي؛ ولهذا اكتفينا بذكر عنوان المحور.

(٧٨) ذكرتُ في بداية الببليوجرافية أننى اقتصـرتُ على العناوين المكتوبة دون المسـجَّلة صـوتيًّا ؛ فلا يدخل معنا " مشـروع المعجم التاريخي للمصـطلحات العربية المعرفة – قدَّمه الشاهد البوشيخى بمعهد الدراسـات المصـطلحية بفاس ١٩٩٥م " ، هكذا ذكره البوشيخى في مراجع بحثه: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ص٧٠٧ ؛ وذكره في كتابه دراسات مصطلحية ص١٤، ١٩٣ على أنه مدارسة علمية ويومان دراسيّان في المعهد بعنوان " مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرفة "، وفى: تجربة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية ص٣٣٩ أن المدارسة العلمية كانت بعنوان "مشروع المعجم التاريخي

للمصـطلحات العلميـة المعرفـة"؛ ولا يدخل معنا أيضًـا العُروض والاقتراحات والأيام الدراسـية ورسـائل الدكتوراه التي توقَّف أصـحابها – لسبب أو لآخر– عن إنجازها؛ راجع ما ورد في التجربة ص٣٤٠ بلفظ: " مفهوم المعجم التاريخي للمصـطلحات العربية المعرفة– قدَّمه د.البوشـيخى"، صـ٣٤١ بلفـظ: " مراحل إنجـاز المعجـم التاريخي– قدَّمـه د.إدريس الفهرى، ومصـادر إنجاز المعجم التاريخي– قدَّمه د.سـعيد حليم ، ومشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الإدارية المعرفة"، ص٣٥٩ بلفظ: " المعجم التاريخي للمصـطلحات المعرفة في الفقه وأصـوله، والمعجم التاريخي للمصطلحات المعرفة في اللغة وعلومها".

(٧٩) فيه إشارة ص٢٣٤ إلى طبعة ثالثة للبحث في فاس– مايو ٢٠٠٤م.

(٨٠) تجربة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجـاز المعجم التاريخي للمصـطلحات العلمية العربية ص٣٤٢، ويبدو أن هذا البحث هو أسـاس المحاضـرة التي سـجَّلها البوشيخى على اليوتيوب باسم " نحو معجم تاريخيّ لمصطلحات النقد العربي"؛ راجع: https://www.youtube.com/watch?v=PHlvgsqtqmM

(٨١) هكـذا في المجلـد ٩٠ جـ١، وجـاء في متن المجلد ٨٩ جـ٤ بلفظ " للاصـطلاحات الطبية"؛ ويبدو لى أنه خطأ من الدكتور الحمارنة ؛ لأنه نشـر في العام نفسـه " مشـروع لكتابة المعجم التاريخي للاصـطلاحات الطبيـة" في مجلد ٤٠– عدد ٩٠ مـن مجلة مجمع اللغة العربيـة الأردنىّ ٢٠١٦م. (ص٢٠٥: ٢٦٦)؛ ويُربَط بالخطأ المشـار إليه في عنوان " المعجم التاريخي للمصـطلحات الطبية". وللحمارنـة بحـث في ديباجة ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضـاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية بعنوان " المصـطلحات الطبية وتاريخ ظهورها في المؤلفات التعليمية القديمة"، ولم يرد هذا العنوان في أعمال الندوة المطبوعة؛ وراجع: http://www.mobdii.com

(٨٢) له كلمة في مفتتح الندوة في مجلة المعجمية (ص١١: ١٦) بوصفه رئيسًا لجمعية المعجمية العربية بتونس، ورئيس مشروع مدونة المعجم العربي التاريخي.

(٨٣) هـذا الكتاب مباشـر من حيث العنوان، لكنه مسـاعد من حيث التطبيق؛ لأنه أقـرب إلى التاريخ والمواقع ، ويُربَط بالمعجم التاريخي للبلدان والدول.

(٨٤) كـذا في مجلـة المجمع، وذكره الدكتور محمد حسـن عبـد العزيز في كتابه المعجـم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص٣٧ باسـم: المعجم التاريخي العربي(متع) قضـاياه وطرق إنجازه؛ وقد يكون هذا تصرفًا منه أو من المجلة، والحمزاوى استعمل هذا الاختصار داخل بحثه.

(٨٥) ونُشِـر بعنـوان: المعجم التاريخي للغـة العربية ، مفهومه ، وظيفته ، محتـواه – مجلد ٩– عدد ١–

مجلة أبحاث اليرموك- سلسلة الآداب واللغويات- عمادة البحث العلميّ- جامعة اليرموك- إربد- الأردن ط١/١٩٩١م. (ص١٣٩: ١٧٩).

(٨٦) هكذا (بنعبد) متصلًا على الغلاف. والكتاب مباشر من حيث العنوان، لكنه مساعد من حيث التطبيق؛ لأنه أقرب إلى التاريخ.

(٨٧) معظم هذا البحث موجود — دون إشارة- فى: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص٢٥٧، ص٤٠٦: ٤١٢، وموجود أيضًا في بحث آخر للدكتور محمد حسن بعنوان "ثلاث محاولات لوضع معجم إليكترونىّ للغة العربية"- مجلة مجمع اللغة المصري ج١١٥/ ١٢٥: ١٥٠! ويؤسفنى وقوع بعض الأخطاء العروضية منها ما جاء ص ٩٤ = ٢٥٧: إلى راهب قد صام الله(!) وابتهل... ... كأن لم يصم الله(!) يومًا ولم يُصَلِّ! وهذا لا يستقيم في العروض ولا في المعنى؛ والصواب كما في ديوان امرئ القيس- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- مصر ط٣/١٩٦٩م. ص٤٦٧ "للّه"، و"يُصَلّ". ويمكن التمثيل أيضًا بما تكرَّر في النشرات الثلاث ص١١١ = ص٤١١ = ١٣٥: بدا منها حاجب(!) وضنَّت بحاجب! والعروض يوجب كما في ديوان قيس بن الخطيم — تحقيق د.ناصر الدين الأسد- دار صادر- بيروت ط٢/١٩٦٧م. ص٧٩: بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجب. ومن الخطأ المكرَّر أيضًا ما جاء ص١١١ = ص٤١١ = ١٣٦ بلفظ: رمّان مصر كأنه ذُرَة ... ...أكله(!) شاخص من الغصص! والصواب: "آكله"؛ كما في الديوان ويطلبه المعنى والوزن، راجع البيت ضمن ثلاثة أبيات من المنسرح في ديوان أسامة بن منقذ- تحقيق د.أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد- عالم الكتب- بيروت ط٢/١٩٨٣م. ص٢٠٨.

(٨٨) هذا الكتاب مساعد من حيث التطبيق، ويُربَط بالمعجم التاريخي الجغرافىّ السياسىّ للدول والبلدان والمناطق، وللخوند أيضًا: الموسوعة التاريخية الحغرافية.

(٨٩) لم يرد هذا البحث فى: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية!! وذكره د.الدحمانى في: ندوة المعجم التاريخي ص ١٣٥ بلفظ: "درجان غار داوادزة"، وكذا فى: http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠ ، وهذا البحث مساعد بغية الإفادة من موضوعه ومنهجه، ويُربَط بالمعجم التاريخي للغة العبرية، وراجع: http://www.profvb.com/vb/١٤٦٥٢٢-post١.html .

(٩٠) لم يرد هذا البحث فى: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية! وهو بحث مساعد، وانظر: المعجم التاريخي للبلدان والدول.

(٩١) من البحوث المساعدة مثل: المعجم التاريخي للبلدان والدول. ويوجد فروق طفيفة بين النشرتين،

مثـل: " إليعـاذر " بالكسـر صـ٢١١، وبالفتح ص٦٨٧، وفى ص٢١٣: " أصـدر المجمـع(!) اللغة العبرية "، وفى النشرة الثانية ص٦٨٨: " أصدر مجمع اللغة العبرية ".

(٩٢) يُفهَـم من مقال فاطنة (كذا بالنون) نهارى- معجم اللغة التاريخي وأهميته في الواقع الحضـارىّ ص٦٧ أن البحث منشور في سجل أعمال الندوة الدولية: العربية الراهن والمأمول- المجلس الأعلى للغـة العربيـة- الجزائـر ط١/٢٠٠٩م. ويُفهم مـن: أعمال ندوة المعجـم التاريخي للغـة العربية قضـاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٦٠٥، ٦١٠: ٦١١ أن لصالح بلعيد كتابًا باسم " المعجم التاريخي للغة العربية "!!

(٩٣) يُربَط بـ " قصة المعجم التاريخي بين الأمل والعمل " للمؤلف نفسه.

(٩٤) جاء عرض هذا الكتاب والتعريف به في مجلة التخطيط والسياسة اللغوية – السنة الثانية – عدد ٣ – ط١/ ٢٠١٦م. (ص٢٠٣: ٢٠٧)، وجاء عرضـه أيضًـا في مقال بمجلة لغتنا فى: https:// www.loghatona.ne ، ولكن وقع بلفظ "المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وتطلُّعات" فى: https://twitter.com/kaical١/status/٧٧٨٩٠٧٦٦٧٧٧١٣٩٢٠٠٠

(٩٥) يُربَط بـ " مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية".

(٩٦) راجع المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص١٦٦.

(٩٧) في ديباجـة نـدوة المعجم التاريخي للغة العربية قضـاياه النظرية والمنهجيـة والتطبيقية بلفظ: " دادون "!

(٩٨) يُربَط بـ " مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية ".

(٩٩) وبهـذا العنـوان ذكرتـه فاطنة (كـذا بالنون)، ثـم ذكرت عملًا آخر للقاسـمى بعنـوان " المعجم التاريخـي للغـة العربيـة "! راجـع مقالها: معجم اللغـة التاريخـي وأهميته في الواقع الحضـارىّ صـ٦٧، وراجـع: http://www. albadeeliraq.com ، http://www.iraqalkalema.com

(١٠٠) لم يـرد هذا البحث فى: أعمـال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضـاياه النظرية والمنهجية والتطبيقيـة!! وذكـره د. الدحمانـى في مقالـه: نـدوة المعجـم التاريخـي ص١٣٦ بلفـظ: " يامنة (!) مصـطفي(!) " كـذا بيـاء شـامية مع حـذف الألف! ووقع بلفـظ "يومنية مصـطفاى" فى: http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠ ، ولهذه الباحثة إشـارة إلى المعجم التاريخي عند فيشـر في تمهيد رسـالتها للدكتوراه: تشـكل بناء المعجم العربي دراسة وصـفية تحليلية، أنموذج الصوتيات الوظيفية- كلية الآداب واللغات- جامعة البليدة ٢ – الجزائر ط/٢٠١٣م.

(١٠١) هكـذا عنوانـه، وذكره الدكتور عبد العليّ الودغيري في النشـرة الأولى من: التأريخ لمعجم اللغة العربية، أسـئلة وإشـكالات ص٨٤ بلفـظ: " المعجم العربـي التاريخي "! وذكـره الدكتور محمود فراج في: دراسـة تحليلية في المعجم اللغوي التاريخي الحديـث ص٥٤ بلفظ: " المعجم اللغوي(!) التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج "! وقد قام الدكتور عبد العزيز أحميد بتقديم كتاب الدكتور محمد حسـن في العدد الثامن من مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلـوم الإنسـانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٨م.(صـ٢٣٥: ٢٤٨) دون أيّ تعرُّض لأخطاء الكتاب التي أشرتُ إلى بعضها في هوامش هذه الببليوجرافية!

(١٠٢) فـي: تجربـة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجاز المعجـم التاريخي للمصـطلحات العلمية العربيـة صـ٣٥٦ أن هـذا العمل " يقع في ثلاثة مجلدات، مرَّ بمرحلـة التحكيم والمراجعة من قبل لجنة من العلماء والأسـاتذة المتخصصـين... ... وبذلك أصـبح جاهزًا للنشـر، وأصبح بصيغته الحاليّة متجاوزًا لتجارب سابقة عرفها مجال التأليف في المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثة "، وأشار إلى هذا المعجم د. عبد الرحيم الرحموني في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٢٥.

(١٠٣) كذا في المتن. وفي فهرس محتويات جزأي المجلة باسم: المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبية! ويُربَط بـ " مشروع لكتابة المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية ".

(١٠٤) راجـع: تجربة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجاز المعجم التاريخي للمصـطلحات العلمية العربية ص٣٤٢.

(١٠٥) فـي: تجربـة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجاز المعجـم التاريخي للمصـطلحات العلمية العربية ص٣٥٨ أن هذا العمل جزء من مشـروع المعجم التاريخي للمصـطلحات القرآنيّة المعرَّفة الذي " قُطع فيه شوط كبير "، وسيفاد في إنجازه من " مشروع برنامج الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم " الذي أعدَّته مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع).

(١٠٦) أشـار إلى هذا المعجم د. عبد الرحيم الرحموني في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٢٥.

(١٠٧) فـي: تجربـة معهد الدراسـات المصـطلحية في إنجاز المعجـم التاريخي للمصـطلحات العلمية العربية ص٣٥٧ أن هذا المعجم " أصبح الآن جاهزًا للنشر، يقع في ثلاثة أجزاء في ٩٠٠ صفحة "، وأشـار إلى هذا المعجم د. عبد الرحيم الرحموني في: أعمـال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٢٥.

(١٠٨) راجع في هذه الببليوجرافية : مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية.

(١٠٩) يُربَط بما سبق للدكتور عبد الرحمن بودرع بعنوان " مادة المعجم التاريخي للغة العربية ".

(١١٠) انظر في هذه الببليوجرافية : مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية.

(١١١) كذا في مجلة المجمع، وكذا ذكره الدكتور محمد حسن عبد العزيز في كتابه المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص٧، ٦١، ثم ذكره ص٣٧ باسم: المعجم الكبير للمجمع يغنى عن المعجم التاريخي للغة العربية "! واختصره ص٢١ باسم " المعجم الكبير يغنى عن المعجم التاريخي" !

(١١٢) هكذا (فاطنة) بالنون.

(١١٣) راجع المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص١٦٦.

(١١٤) راجع: https://www.goodreads.com/work/editions/٤١٣٦٠٧٧٦

(١١٥) هذا مباشر في العنوان، لكنه مساعد من حيث التطبيق، ويُربَط بالمعجم التاريخي أهم الأحداث، والمعجم التاريخي للبلدان والدول، ومعجم دمشق التاريخي

(١١٦) هذا الكتاب مباشر في العنوان، لكنه مساعد من حيث التطبيق، ويُربَط بالمعجم التاريخي أهم الأحداث، والمعجم التاريخي للبلدان والدول، ومعجم تاريخيّ للأماكن والبلدان الجزائرية

(١١٧) في جُلّ الدراسات المعجمية الحديثة إشاراتٌ إلى جهود فيشر ودعوته إلى معجم تاريخيّ للغة العربية، ومن هذه الإشارات- وإن تفاوتت من حيث الاستقلال والقيمة : الاستشراق الألمانىّ وحركة التأليف المعجمىّ- رحاب صلاح إبراهيم- عدد ٦ - مجلة جسور، نشرة غير دورية محكمة- الناشر: د.محمد العبد بكلية الألسن- جامعة عين شمس- القاهرة ط/٢٠١٨م. ص٣٠٥: ٣١٨، وأسس بناء المعجم التاريخي للغة العربية عند فيشر وتجربة معجم اللغة الانجليزية، دراسة تقابلية- أ. يمينة مصطفاى- عدد ١٥- مجلة الممارسات اللغوية - جامعة مولود معمرى تيزى وزو- الجزائر ط١/٢٠١٢م.ص٦٣: ٧٩، وأعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي- عبد العزيز بن حميد الحميد- دكتوراه- سلسلة الرسائل الجامعية (١٢٦) -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ط١/٢٠١٢م.جـ٢/١٢٦، وأعمال المستشرقين في المعجم العربي، معجم فيشر ومعجم دوزى- د.عبد العزيز بن حميد الحميد- عدد ٩، ١٠-مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/٢٠٠٩- ٢٠١٠م.(ص٢٣٩: ٣١٠)، ثم نُشِر ضمن: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٧٣٧: ٧٩٨ ، ونُشِر جزء من أوله على شبكة صوت العربية بعنوان: المعجم التاريخي لدى المستشرق الألمانىّ أوجست فيشر، دراسة تقويمية!! وأوجست فِشر(!) مستشرق ألمانىّ اختصَّ باللغة العربية نحوًا وصرفًا ومعجمًا، عمل خمسين عامًا في جمع مادة المعجم التاريخي للغة العربية الفصحى- محمد عيد الخربوطلى- مجلد ٤٥- عدد ٥٤٣- مجلة الموقف الأدبىّ- اتحاد الكتاب العرب- سوريا ط١/٢٠١٦م.ص١٣٩: ١٥١، والبحث في معجم الأستاذ فيشر- محاضر جلسات

الـدورة ٣- مطبوعات المجمع- القاهرة ط١/١٩٣٨م.ص١٠٨: ١١٥، وتقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية – وضعه أ. فيشر – مجلد ١١٤ – جـ٣ – ملحق بالمقتطف، مجلة علمية صـناعية زراعية-الناشـر: محرِّر مجلة المقتطف- القاهرة ط/١٩٤٩م.ص٣: ٣٦ ، وتقرير عن معجم الدكتور فيشر- محاضر جلسات الدورة ١٦ – مطبوعات المجمع- القاهرة ط/١٩٧٤م. ص٣٧: ٤٧ ، والجهود المعجمية عند المستشرقين ، معجم فيشر التاريخي المنهج والأسس أنموذجًا- أ. وهيبـة وهيب- عدد ١٠- مجلة الممارسـات اللغوية- جامعة مولـود معمرى تيزى وزو- الجزائر ط١/٢٠١٢م.ص١٥١: ١٥٦ ، ودلالة السياق في معجم فيشر، مادة أخذ نموذجًا – د. محمد جمعة الدِّربـىّ- عدد يونيو- مجلة الأزهر- مجمع البحوث الإسـلامية- القاهرة ط/ ٢٠١٨م.ص١٨٣١: ١٨٣٤، وقرارات لجنة فحص جزازات الدكتور فيشـر- محاضـر جلسـات الدورة ١٦- مطبوعات المجمـع- القاهـرة ط/١٩٧٤م.ص٣٢٦: ٣٣٠ ، ومحاولة فيشـر المعجميـة- د.أحمد مختار عمر- ضـمن: البحث اللغـوي عند العرب- عالم الكتب- القاهرة- مصـر ط٧/١٩٩٧م. ص٣١٦: ٣١٩، ومعجم الأسـتاذ فيشـر- أ.بشـر فارس- مجلد ٨٧- جـ٥- مجلة المقتطف، مجلة علمية صـناعية زراعية-الناشـر: محرِّر مجلة المقتطف- القاهرة ط١/١٩٣٥م، ومعجم الدكتور أ. فيشـر، وصفه ونقده- عبد القادر المغربى- مجلد ٢٤ جـ٤ – مجلة المجمع العلميّ العربي – دمشـق ط/١٩٤٩م. ص٥٠٠: ٥١٤، والمعجم اللغوي التاريخي لفيشـر بين الضـياع ومحاولات الإحياء- د. محمد جمعة الدِّربـىّ- عـدد١٠٧- مجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- مصـر ط/٢٠١٧م. ص٢٩٧: ٣٣٧، ومعجم فيشـر- جـ٨- مجلة مجمـع اللغة العربية- القاهـرة ط١/١٩٥٥م.ص٢٥٢: ٢٥٣، ومعجم فيشـر بين طبعتين مجمعيَّتين- مجلد ٢٤- عدد ٧ ، ٨- مجلة العرب – دار اليمامة- السـعودية ط/ ٢٠١٨م.صـ٥٢٣: ٥٤٤، ومن التراث المجمعىّ مثال (أخذ) من معجم فيشـر- تقديم وعرض الأستاذ محمد شوقي أمين- جـ٤٢- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة ط/١٩٧٨م.ص٣٥: ٦٢ ، ومنهج أوغست فيشر في المعجم التاريخي- عبد العزيز بن حميد بن الحميد- ضمن : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية. ص٧٥: ١١٠، وراجع أيضًا بخصوص فيشر ومعجمه: مجلة المجمع- القاهرة ط١/١٩٤٨م. جـ٥/٩، ط١/١٩٥٣م.جـ٧/٣٨٥، ط١/١٩٥٥م.جـ٨/٥٠: ٥٥، ومحاضـر جلسـات المجمـع – مطبوعـات المجمع- القاهرة ط١/١٩٣٦م. الدورة ١ – صـ٣٣٣، ط١/١٩٣٧م. الدورة ٢ – ص٢٩، ١٣٦.

(١١٨) على الرغم من شـهرة النشـرة المجمعية الثانية رجع الدكتور محمد البندارى إلى نشـرة المركز العربي للبحث والنشـر، والعجيب أنه لم يُفِد منها في هوامش البحث!! راجع مراجع بحثه: المعجم التاريخي بين الواقع والمأمول، منهج جديد لصناعة المعجم التاريخي في اللغة العربية ص١٨٤٣.

(١١٩) هذا البحث مباشـر من حيث العنوان لكنه مسـاعد من حيث التطبيق؛ وانظر:المعجم التاريخي الجغرافىّ السياسىّ للدول والبلدان والمناطق.

(١٢٠) المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص١٧٠- ١٧٣، ص٢٢١، واختصره ص٢٢ باسم " ملاحظات على الخطة العلمية للمعجم التاريخي "!

(١٢١) يُربَط بـ" معجم اللغة العربية التاريخي بين آمال الإعداد ومقدمات الإنجاز".

(١٢٢) راجع: تجربة معهد الدراسات المصطلحية في إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية ص٣٤٢.

(١٢٣) وقع بلفظ: " منزلة اللهجة التونسية في المعجم العربي(!) التاريخي " في: http://www.iblatunis.org.tn/pmb/opac_css/index. php?lvl=notice_display&id=١٨٧٠٤&seule=١

(١٢٤) من البحوث المساعدة، ويُربَط بالمعجم التاريخي للغة العبرية، ومنهج قاموس أكسفورد التاريخي في معجمة اللغة الإنجليزية على أسس تاريخية، دراسة وتقويم.

(١٢٥) بلفظ" "من مواد المعجم العربي(!) التاريخي الجمع في طائفة من الكلام(!) القديم " في: http://www.iblatunis.org.tn/pmb/opac_css/index. php?lvl=notice_display&id=١٨٧٠٤&seule=١

(١٢٦) زعم د. محمد البنداري أن بحث السامرائي مطبوع ٢٠٠٣م! راجع بحثه: المعجم التاريخي بين الواقع والمأمول، منهج جديد لصناعة المعجم التاريخي في اللغة العربية ص١٨٣٧.

(١٢٧) لم يرد هذا البحث في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية!! وهو من البحوث المساعدة، ويُربَط بـ" من قضايا الوضع في المعجم الفرنسيّ التاريخي، قاموس لوروبار التاريخي نموذجًا "، وراجع: http://www.profvb. com/vb/١٤٦٥٢٢-html.post١، وبلفظ " اللبايبي " في: http://www. arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=٤٤٠

(١٢٨) هكذا في: http://lis.cl.cu.edu.eg/search×ara، وذكره مصطفى صلاح في كتابه: الاستشهاد في المعجم اللغوي التاريخي ص٣٨٠ باسم " المداخل والجذور في المعجم التاريخي، المنهج والنماذج "! وليس الموضوع من بنات أفكار مصطفى يوسف، لكن فرضه عليه د. محمد حسن عبد العزيز في كتابه: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص١٨ بلفظ: " ترتيب مواد المعجم التاريخي ومداخله "، ثم اختصره في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ص٣٧ بلفظ: " ترتيب مواد المعجم " منسوبًا إلى مصطفى رزق بدلًا من مصطفى يوسف! وتوجد انتقادات علمية كثيرة حول كتاب " المواد والمداخل "، راجعها في فصل " المعجم التاريخي بين النظرية والتطبيق " ضمن كتاب: من المعجم

الخليليّ إلى المعجم التاريخي، نظرات في المعجم العربي ص٩١: ١٦٦.

(١٢٩) وفيه " نموذج مختصر من مواصفات القاموس التاريخي العربي وخطة إنجازه ".

(١٣٠) في مجلة التخطيط والسياسة اللغوية – عدد ٣ – ط١/٢٠١٦م. ص٢٠٥ بلفظ " نحو قاموس تاريخيّ للمصطلحات اللسانية العربية التراثية "!

(١٣١) وقد قدَّم هذا الكتاب الدكتور رشيد سلاوى في عدد ١٣، ١٤- مجلة دراسات مصطلحية- معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- المغرب ط١/١٣- ٢٠١٤م. (ص٢٧٥: ٢٩٤)، ويُربَط بـ " القضايا اللغوية النظرية والتطبيقية لمشروع بناء المعجم التاريخي للغة العربية كما وردت بكتاب : نحو معجم تاريخي للغة العربية ".

(١٣٢) ذكر البوشيخى ص١٢٥ تواريخ مضطربة تتناقض مع ص١٢٩! وراجع: تجربة معهد الدراسات المصطلحية في إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية ص٣٤٣، ص٣٤٨ بلفظ: " نحو معجم تاريخيّ للمصطلحات القرآنية "!

(١٣٣) راجع: المعجم التاريخي للغة العربية ، وثائق ونماذج ص٤٠٢، والمعجم التاريخي للغة العربية، إجراءات منهجية- د. صالح بلعيد ص١٦٨.

(١٣٤) في هذا البحث أخطاء منها ص٧٥: " واختصصتُ هذا الكتاب(!) بأمثلة ثلاثة "؛ ولا وجود للأمثلة الثلاثة؛ ولكن الجملة اجترار من: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص٢٨٣، ومن الأخطاء أيضًا ص٧٧: " قد أفصل أحيانًا بين الشواهد، وأجعلها في مجموعتين، المجموعة الأولى للاستعمال الحقيقيّ، والثانية للمجازيّ... ... فلم أتمكَّن- مع ذلك – من فصل الاستعمال(!)"، وفى المعجم التاريخي للغة العربية ، وثائق ونماذج ص٢٨٥ " من فصل الاستعمالين ".

(١٣٥) يُربَط بما سبق للدكتور عمايرة بعنوان " في سبيل معجم تاريخي، محاولة في التأصيل".

(١٣٦) ليس صحيحًا أن النموذج جديد؛ فقد سبق نشره ضمن: نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصادرها (ص٨٢: ٩٠)، والمعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج (ص٢٩٢: ٢٩٩)! ويؤسفنى في النشرة الثالثة ص٢٠، والرابعة ص٣٨ سقوط كلمة (منها) في قول امرئ القيس: من الذَّرّ فوق الإتب(!) لأثَّرا!

(١٣٧) راجع : نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصادرها ص٧٥، والمعجم التاريخي للغة العربية ، وثائق ونماذج ص٣٨.

(١٣٨) من الغريب حقًّا عدم إفادة المعاجم الحديثة من جهود فيشر، حتى المعجم الكبير الذي بدأ فيه مجمع اللغة المصري عقب وفاة فيشر، وكذلك المعاجم التي أعدَّها د.أحمد مختار عمر – وهو يومئذ عضو بالمجمع المصري- بمساعدة فريق عمل كنتُ واحدًا منهم! راجع: الاستشهاد

بشعر المولَّدين والمعاصرين في المعجم الكبير- د.أحمد محمد الضبيب- مجلد٧٨ جـ٤- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ط/٢٠٠٣م.ص١٠٧٠- ١٠٧١، ومقالى: دلالة السياق في معجم فيشر ص١٨٣٣.

(١٣٩) ذكرتُ في الهامش الأول من مقالى ما يُفهَم منه أن الألمانى برجشتراسر Bergstrasser درَّس لبعض المصريِّين منهم د.رمضان عبد التواب! ولم أقصد هذا؛ فمن المعروف أن برجشتراسر مات ورمضان عبد التواب طفل دون الرابعة من عمره؛ وإنما قصدتُ أن د. رمضان جمع المحاضرات التي ألقاها برجشتراسر عام ١٩٢٩م في الجامعة المصرية باسم « التطور النحوىّ للغة العربية»، كما كتب د.رمضان بحثًا بعنوان « الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر» بمجلة مجمع اللغة المصري جـ٣٧/١٩٧٦م. ولم أذكر في مقالى ما وقع في النشرة الأولى لمعجم فيشر ص٦٨، والنشرة الثانية ص٢٧ بلفظ « المتنبىء» بهمزة على السطر! وفى النشرة الثانية ص(يب) بهمزة على الياء! ولم أذكر كذلك – ضمن أخطاء فيشر التي يؤخذ على المجمع عدم إصلاحها أو التنبيه عليها- قولَ فيشر ص١٤ من النشرة الأولى= ص١٢ من النشرة الثانية : « فإنه لم يؤخذ لا مِن لخْم ولا من جُذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط... ... ولا من تغلب واليمن(!) فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بَكْر لمجاورتهم للقِبط(!) والفُرس «! وربما يُعذَر فيشر حيث نقل النص عن المزهر للسيوطى- تحقيق: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى- المكتبة العصرية –بيروت- لبنان ط/١٩٨٦م.جـ١/٢١٢! ولكنَّ العجيب غفلة المجمع المصري مرتين عن فساد نشرة المزهر! فكيف لليمن أن تكون بالجزيرة مجاورة لليونان؟ وكيف لبكر أن تجاور الفرسَ في إيران وتجاور في الوقت نفسه القبطَ في مصر؟! لقد جاء النص واضحًا صحيحًا فى: الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطى- قرأه وعلَّق عليه د.محمود سليمان ياقوت- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- مصر ط/٢٠٠٦م. ص١٠٢- ١٠٣ بلفظ: « فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جُذام ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط... ...ولا من تغلب ، ولا النَّمِر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بَكْر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنَّبَط والفُرس «.

(١٣٠) المجمعيون في خمسة وسبعين عامًا ص٥٧٧، وراجع بمجلة المجمع المصري(معجم فيشر) جـ٨/ ٢٥٢، وراجع أيضًا جـ١١٤/١٥٧.

(١٤١) المعجم التاريخي العربي، قضاياه وطرق وإنجازه ص٧٥- ٧٦ والجذاذات، بالذال صحيحة، وراجع مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- مجلد ٧٨ جـ٤/١١٦٣.

(١٤٢) القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوىّ تاريخيّ ص٣١١، ٣١٤ ولم ينفِّذ المجمع وصيةَ إسماعيل مظهر فهل سينفِّذها المجلس العلميّ لمعجم الدوحة؟

(١٤٣) هل يستطيع المجمع المصري عمل معجم لألفاظ الحياة العامة في مصر ؟ وهل يستطيع اتحاد المجامع تطبيق الفكرة من أجل معجم موحّد أو شبه موحّد لألفاظ الحياة العامة في الوطن العربي؟ راجع الإشادة بمعجم الأردن في ندوة المعجم العربي بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مجلد ٧٨ جـ٣/٥٧٨– ٥٧٩، جـ٤/١١٦٣، وبحث فاطمة العليمات في : دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية– مجلد ٤١– عمادة البحث العلميّ– الجامعة الأردنية– الأردن ط١/٢٠١٤م. ص٨٢١: ٨٣٣.

(١٤٤) هل انتهت المجامع الأخرى من إدخال المصادر التي وزّعها عليها اتحاد المجامع؟ بل هل حافظ الاتحاد على عمل المجمع الأردنيّ ؟ راجع : نحو معجم تاريخيّ للغة العربية ص٦٧، ٢٢٢.

(١٤٥) فى: تقرير عن معجم الدكتور فيشر ص٤١: ٤٤ تصريحٌ من مجمع اللغة المصري بأن فيشر وهب المجمع جميع جزازاته ، وأن عدد صناديق الجزازات ستة وعشرون صندوقًا!! وعلى الرغم من كثرة جزازات فيشر وما جمعه فيها من شواهد كان " مصيرها إلى ركن قصيّ في مخزن للمرتجعات في المجمع "! راجع اعتراف د.محمد حسن عبد العزيز– وهو عضو بالمجمع– في كتابه: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص٤٠٠، وراجع اعتراف تلميذه الباحث بالمجمع د.مصطفى محمد صلاح فى: الاستشهاد في المعجم اللغوي التاريخي ص١٦، وراجع: أوجست فِشر(!) مستشرق ألمانيّ اختصَّ باللغة العربية نحوًا وصرفًا ومعجمًا، عمل خمسين عامًا في جمع مادة المعجم التاريخي للغة العربية الفصحى– محمد عيد الخربوطلى ص١٣٩: ١٥١ ففيه أن جذاذات فيشر بدَّدها المجمع المصري في أثناء انتقال داره من شارع القصر العينى! وراجع: التجربة الإنجليزيّة في المعجم التاريخي وتحديات العنصر البشريّ ص٦٠ للمقارنة بين صنيع المجمع المصري مع جزازات فيشر وصنيع جيمس موراى James Murray الذي أصبح محرِّرًا رئيسيًّا لمعجم أكسفورد عام ١٨٧٧م ؛ حيث « أقام ملحقًا حديديًّا ببيته ليكون مكانًا آمنًا للمواد المجموعة »! وفى المقابل يزعم د.محمود فراج فى: دراسة تحليلية في المعجم اللغوي التاريخي الحديث ص١٣ – وكذا ص٥٤– أن جزازات فيشر: « ما زالت في مجمع اللغة العربية إلى الآن»!!

(١٤٦) مثل: على خطى المعجم التاريخي للغة العربية – د.عبد الهادى التازى.

(١٤٧) زعم د.محمد حسن عبد العزيز فى: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج ص٤٠١ أن المعجم الكبير للمجمع يرتِّب شواهده ترتيبًا تاريخيًّا! وهذا غير صحيح؛ ويمكن التمثيل بما جاء في (د ب ب) جـ٧/٣٢–٣٣ حيث استشهد المعجم الكبير على معنى (دبَّ القوم إلى العدوّ) بشاهد لبشار بن برد(ت١٦٧هـ) ثم بشاهد للأخطل(ت٩٠هـ)! كما استشهد على معنى(دبَّت عقاربُ

فلان) بشاهد للنهشلى(أموىّ)، ثم بشاهد لذى الأصبع العدوانىّ(جاهلىّ)، ثم بشاهد لبشار! وبالغ د.محمد البندارى فزعم أن الطبعة الثانية من المعجم الوسيط- أشهر معاجم المجمع- توطئةٌ للمعجم التاريخي! راجع بحثه: المعجم التاريخي بين الواقع والمأمول، منهج جديد لصناعة المعجم التاريخي في اللغة العربية ص١٨٣١.

(١٤٨) راجع مثلاً : حول المعجم التاريخي للغة العربية، والمعجم التاريخي للغة العربية ، والمعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل.

(١٤٩) مثل: تراث لحن العامة مصدرًا من مصادر المعجم التاريخي ، وقضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي ، ومشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ، ومشروع لكتابة المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية ، والمعجم التاريخي العربي مفهومه وظيفته محتواه ، ومن مواد المعجم التاريخي الجمع في طائفة من الكلم القديم. والأعجب من ذلك تكرار النشر مع تعديل العنوان دون إشارة، مثل: في سبيل معجم تاريخي، والمعجم التاريخي في ضوء المعجمية الحديثة ، ونموذج جديد للمعجم التاريخي للغة العربية!

(١٥٠) معجم القرن العشرين العربي- د.عدنان الخطيب- مجلد ١٩- عدد ٥، ٦- مجلة العرب- دار اليمامة- السعودية ط١/ ١٩٨٤م. ص٣٨١.

القحفازي النحوي (شعره ونثره) جمعًا ودراسة

الأستاذ الدكتور حليم حماد سليمان

العراق – جامعة الأنبار – كلية التربية الأساسية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

من المعلوم أنّ القحفازي نحوي قبل أن يكون شاعرا، وقد حاولت في هذا البحث أن أجمع شعره معتمدًا على المصادر التي أشارت إلى ترجمة حياته ومنها:

مرآة الزمان، وتاريخ أبي الفدا ، والوافي بالوفيات ، وفوات الوفيات، والبداية والنهاية ، وبغية الوعاة، وشذرات الذهب، وغيرها من المصادر التي ذكرت حياة القحفازي.

والمنهج الذي سرت عليه في جمع شعره كان على النحو الآتي:

١. قمت بترتيب المصادر التي جمعت من خلالها شعره حسب قدم المصدر.

٢. أشرت في بعض الأبيات إلى اختلاف الرواية.

٣. قمت بضبط النصوص الشعرية من خلال الاعتماد على المصدر المأخوذ

منه النص الشعري أو الرجوع إلى المعاجم.

٤. قمت بترتيب القوافي ترتيبًا هجائيًّا وحسب الحركة الأخيرة (الضمة، والفتحة، والكسرة، السكون).

٥. أشرت إلى البحر الذي تنتمي إليه الوحدة الشعرية.

٦. بلغ مجموع أبيات هذا العمل الذي قمنا بجمعه (١١٥) بيتًا بين قصيدة ومقطوعة ونتفة.

٧. بلغ عدد الوحدات الشعرية (١٦) وحدة، وعدد الوحدات النثرية (٥) وحدات.

نظرات موجزة في حياة القحفازي

اسمه وكنيته ونسبه(١):

نجم الدّين أبو الحسن علي بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة الزّبيري القرشي الأسدي .

ولادته:

قال الصّفدي(٢): شيخ أهل دمشق في عصره خصوصا في العربية، قرأ عليه أهل دمشق، وانتفعوا به ولد في جمادى الأولى سنة ثمان وستين وست مئة وقيل: ست مئة وسبع وستين وقيل: ست وستين.

شيوخه(٣):

قرأ النحو على العلاء بن المطرّز، والفقه على الشمس الحريري، والأصول على البدر بن جماعة، والعربية على الشرف الفزاري، والمجد التونسي والمعاني والبيان على البدر بن النحوية، والميقات على البدر بن دانيال، وسمع الحديث على النجم الشّقراوي، والبرهان بن الدّرجي.

قال: ولم أصــنّف شيئًا لمؤاخذتي للمصــنّفين فكرهت أن أجعل نفسي غرضا غير أني جمعت منسكا للحج.

وله النظم والنثر والكتابة المنسوبة، ولي تدريس الركنية، ثم نزل عنها ورعا، وخطب بجامع تنكز.

قال ابن شــاكر الكتبي: ســمعته يومًا يقول لمنصــور الكتبي رحمه الله تعالى: يا شــيخ منصور، هذا أوان الحجاج، أشتري لك منهم مئتي جراب وأرميها خلف ظهرك إلى وقت موســمها تكســب فيها جملة، فقال: والله الذي يشــتغل عليك في العلم يحفظ حرافًا قدره عشر مرات. [فوات الوفيات ٣/ ٢٤]

وأضــاف ابن شــاكر: وقيل إنه لما عمر الأمير ســيف الدين تنكز، رحمه الله تعالى، الجامع الذي له بدمشــق المحروســة عينوا له شخصًــا من الحنفية يلقب بالكشك ليكون خطيبًا، فلما كان يومًا وهو يمشي في الجامع أجروا له ذكر الشيخ نجــم الدين القحفازي وذكر فضــائله، وأنه في الحنفية مثل الشــيخ كمال الدين ابن الزملكاني في الشافعية، فأحضره وتحدثا، ثم قال له وهم في الجامع يمشون: إيش تقول في هذا الجامع، فقال: مليح وصــحن مليح، ولكن ما يليق أن يكون فيه كشــك؛ فأعجب ذلك الأمير سيف الدين تنكز ورسم له بخطابة الجامع المذكور، ثــم بعد مدة رســم له بتدريس الركنية فباشــرها مديدة ثم نــزل عنها وقال: لها شرط لا أقوم به، ومعلومها في الشهر جملة، تركه تورعًا. [فوات الوفيات ٣/ ٢٤]

وكان يعــرف الاســطرلاب جيدًا ويحل التقــاويم، وكان فريد عصــره، وكان يشتغل في مذهب الحنفي، وفي «مختصر ابن حاجب» وفي «الحاجبية» و «المقرب».

ويعرفهمــا جيــدًا إلى الغاية، وفي « ضــوء المصــباح» وغيره مــن كتب المعاني والبيان.

وفاته[٤]:

تـوفي يـوم الأربعـاء في الرابع عشـر من رجب وقيل: في شـعبان سـنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وقيل: خمس وأربعين وسبع مئة.

شعره

قافية الباء

(١)

قوله وقد طلب منه في جارية اسمها قَلوب: السريع

عـاتـبَـنِـي في حـُبِّـكـمْ عـاذلٌ   يـزعُـم نُـصحي وهـو فيه كـذوبُ

وقـال: مـا في قلبِك اذكـرْهُ لي   فـقـلـت: في قَـلبِـي المُعنّـى قَـلـوبُ

التخريج: مسـالك الأبصار: ٧/٢٠٢. والوافي بالوفيات: ٢١/٥٩.وفوات الوفيات: ٣/٢٥، والدرر الكامنة: ٤/٥٦-٥٧.

(٢)

قال الصفدي: وكتبت مَعَه سؤالًا يتَعَلّق بالمعاني فِي قَوْله تَعَالَى: «حَتَّى إِذا أَتَيَا أهل قَرْيَة استطعما أَهلهَا» وَهُوَ من الطَّوِيل:

أَلا إِنَّمَـا الْـقُـرْآن أكـبر معجز   لأَفْضَل من يهدى بِـهِ الثَّقَلان

وَمِنْ جملَة الإعجاز كَون اختصاره   بـإيـجـاز أَلْـفَـاظ وَبـسـط معَان

ولـكنني فِي الْكَهْف أَبْصـرت آيَـة   بهَا الْفِكر فِي طول الزَّمَان عناني

وَمَـا ذَاك إِلاَّ استطعما أَهلهَا فقد   نـرى اسـتطعماهم مثله بِبَيَان

فَمَا الْحِكْمَة الغراء فِي وضع ظَاهر   مَـكَـان ضـمـير إِن ذَاك لشـان

فَكتب إلَيّ بِخَطِّه مجيبًا عَن الأول وَالثَّاني: مجزوء الرجز

يَا سائلي عَن نسبي ... ومولدي وأدبي
وَمَا قَرَأتُ فِي الْعُلو ... م من شريف الْكتب
وَمَا أخذتُ ذَاك عَنـ ... ـهُ من شُيُوخ مذهبي
وَغَيرهم مِمَّن حوى ... سر كَلَام الْعَرَب
وَمَا الَّذِي سمعته ... عَن النَّبِي الْعَرَبِي
صلى عَلَيْهِ الله مَا احْـ ... ـلَولك جنح غيهب
والمقتضى مني لَهُ ... لَا يأتلي فِي الطّلب
وَهْوَ خَلِيل فِي الرخا ... وعدة فِي الكرب
وهمه فِي جمع شمـ ... ـل الْفضل لَا فِي الشنب
وَمَا صَلَاح الدّين إلـْ ... لا فِي اقتناء الْقرب
هَذَا الَّذِي أوجب لي ... يَا صَاح كشف الْحجب
عَن محتدي ومولدي ... وفضلي المحتجب
فَقلت غير آمن ... من عائب مندب
مُخْتَصرا مُقْتَصرا ... معتذرًا من رهبي
مَا ستراه وَاضحا ... مرتسمًا عَن كثب
لَا زلت للفضل حمى ... ولبنيه كَالْأَبِ
تجمع شَمل ذكرهم ... مخلدًا فِي كتب
ذكرت شَيْئا صغته ... من شعري الْمُنْتَخب

وَمَـــا الَّـــذِي صنفته ... مــن كـتـب وخـطـب

لَـــوْلَا وجــوب حُــرْمَــة الـ ... قـصـد ورعـي الـرتـب

مَـــا قـلـت ذَاك خشـيَـة ... مــن حَـاسِـد مـؤنـب

يَـقُـول إِنِّي قلته ... مـفـتـخـرًا بـحـسـبـي

لـكـنـمـا الْـبُـخْـل بِمَـا ... سُـئِـلـت لَا يـحـسـن بِـي

التخريج: الوافي بالوفيات: ٢١/ ٥٩-٦٠.

قافية الجيم

(٣)

قال أبو الصفاء الصفدي: حكى لي نور الدين علي بن إسماعيل الصفدي، قال: أنشد الشيخ نجم الدين يوما لغزا للجماعة وهم بين يديه في الحلقة يشتغلون: الكامل

يا أيها الحبر الذي ... علم العروض به امتزج

ابن لنا دائرة ... فيها بسيط وهزج

ففكّر الجماعة فيها زمانا، فقال واحد منهم: هذا في الساقية. فقال له: درت فيها زمانا حتى ظهرت لك. يريد أنه ثور يدور في الساقية.

التخريج: مسالك الأبصار: ٧/١٩٩. وفوات الوفيات: ٣/٢٤. والوافي بالوفيات: ٢١/٥٨. برواية «الحير» مكان «الحبر».

قافية الدال

(٤)

وقال عند قدوم الحاج، وأنشدت بدار الحديث الأشرفية: الخفيف

يا نياق الحجيج لا ذقت سهدًا بعدها لا ولا تجشّمتِ وَخدا
لا فدينا سواك بالروح منا أنت أولى من بات بالروح يفدى
يا بنات الذميل كيف تركتن شعاب الغضا وسلع ونجدا
مرحبًا مرحبًا وأهلًا وسهلا بوجوه رأت معالم سعدى

التخريج: فوات الوفيات: ٣/٢٥.والوافي بالوفيات: ٢١/ ٦٤

(٥)

قال في رثاء أمين الدين ابن القبقابي: الخفيف

أسعدي يَا حمام قلبًا عميدا لدروس الْفِرَاق أَمْسَى معيدا

التخريج: الوافي بالوفيات:٥/١٧٣.

قافية الراء

(٦)

ومن شعره: المنسرح

يا منعما رمت شكر أنعمه فحال بيني وبينه الحصر
واتّفق الفكر واللسان معا عليّ واستعصيا ولا وزر
وأظهر العجز عن قيامهما بشكر ما لا يحصى ومنحصر
وبان لي في الإباء عذرهما ودافع الحق بالهوى بطر
والحرّ من دأبه وعادته يرقّ للحر حين يعتذر
وكيف لي بالذي أروم إذا لم يسعد النطق لا ولا الفكر

لكنني للحسود أذكر ما ... يخرج من ذاك صدره الوجر

سحب أياد سحّت على جرز ... فأنبت الشكر سحّها الحصر

وغادرت من نميرها غدرا ... لا آجنٌ ماؤها ولا كدر

أضحت ظلال الوداد وارفة ... به تهادى وأينع الثمر

في ضمن ذاك الحيا عقود ندى ... أصدافها السود حشوها الدّرر

يشرق منها الدجى مفصّلة ... بعنبر عرف طيبه عطر

تنعم ريّاه أنف كل فتى ... أذابه في حلى العلا غرر

وليس فيما وصفته عجب ... سيول غيث يزيدها بحر

يا ملبس الطّرس من بلاغته ... حلّة وشي نقوشها فِقَرُ

وغارسا فيه كل عارقة ... فرائد الجوهري لها ثمر

تودّ زهر النجوم من حسد ... لو أنّها في غصونها زهر

إذا تأملتها يقابلني ... من كل وجه من أفقها قمر

هذا وكم قلّدت عقود علا ... يمناك قيلا تحفّه زمر

وكم أمور أودعتها فغدت ... تشبه أرواح معشر قبروا

مالي وعدّي لما حويت وهل ... بالعدّ تحصى الرمال والمطر

لكن جداي لبعضها منن ... حمّلتها عاتقي لها خطر

وحثّني نحوها مقالك لي ... بأنني للجواب منتظر

فسقتُها سير وجهها يدها يمنعها كشفه لك الحقر

وكيف لا والذي آتيك به وطرفها بالحياء منكسر

هدية جلّ تمرها حشف إلى كريم جنابه هجر

فاقبل يسيري ولا تلم كرمًا منافقًا في ذراعه قصر

قد أعجزته عن القيام بما يلزم حالان: الضعف والكبر

التخريج: مسالك الأبصار: ٧/٢٠٢.

(٧)

ولما ظفر قازان سنة تسع وتسعين وستمائة ثم جاء في سنة اثنتين وسبعمائة فكسر، وقازان اسم القدر، فقال الشيخ نجم الدين: الرجز

لما غدا قازان فخارًا بما قد نال بالأمس وأغراه البطر

فجاء يرجي مثلها ثانية فانقلب الدست عليه فانكسر

التخريج: فوات الوفيات: ٣/ ٢٥. والوافي بالوفيات: ٢١/ ٦٤، والدرر الكامنة: ٤/ ٥٦.

قافية الزاي

(٨)

الخفيف:

يَا شهابًا أهْدى إلَيّ قريضًا خَالِيا عَن تعسف الألغاز

جَـــاءَنِي مُـــؤذنًـــا بـرقـة طبـع	حِـيـن رشـحـتـه بِـبَـاب الْـمَجَـاز

التخريج: الوافي بالوفيات: ٢١/ ٦٤.

قافية الضاد

(٩)

ومن شعره: السريع

حـاولـت مـن أهـــواه في قتـله	فـقـال مـا يـشـفـق مـن عـارضـي

فـقـلـت يـا بـدر الـدجـى مـذهـبـي	أنّيَ لا اعـتـدّ بـالـعـارضِ

التخريج: مسالك الأبصار:٧/ ٢٠٣

(١٠)

وَله: الوافر

أليـلـتـنـا الْـيَـتِـيـمَـة أَي قلب	سلبت مـن المتيم غـيـر راض

بِـلَـفْـظ مـثـل مـنـظـوم الـلآلـئ	يحاكي حسن منثور الرياض

التخريج: الدرر الكامنة: ٤/ ٥٧.

قافية العين

(١١)

ومن نظمه قوله في المنثور: الطويل

ولم أرَ في المنثور عرفا ومنظرا وفرط سخاء في جميع البدائع

تراه إذا السارون مرّوا بغفلة عليه مشيرا نحوهم بالأصابع

التخريج: مسالك الأبصار: ٧/٢٠٢.

قافية الفاء

(١٢)

وقوله: السريع

أضمرت في القلب هوى شادن مشتغل في النحو لا ينصف

وصفت ما أضمرت يوما له فقال لي: المضمر لا يوصف

التخريج: مسالك الأبصار:٧/٢٠٣، والوافي بالوفيات: ٢١/٥٩، وفوات الوفيات: ٣/٢٥، والدرر الكامنة: ٤/٥٧، بغية الوعاة: ٢/١٦٦، وشذرات الذهب: ٨/٢٤٩.

قافية القاف

(١٣)

وقوله، صدر كتاب إلى ابن نصحان حين سافر إلى البلاد المصرية: الكامل

يا غائبا قد كنت أحسب قلبه بسوى دمشق وأهله لا يعلق

إن كان صدّك نيلُ مصرٍ عنهم لا غرْوَ فهْو لَنا العَدوُّ الأزرقُ

التخريج: مسالك الأبصار:٧/٢٠٣، الوافي بالوفيات: ٢١/٦٥.

قافية الكاف

(١٤)

فَمن نظمه قصيدة نبوية أَولهَا: البسيط

يَا ربة السِّرّ هَل لي نَحْو مغناك ... من عودة أجتلي فِيهَا محيَّاك

أم هَل سَبِيل إِلَى لقياك ثَانِيَة ... لمغرم مَا مناه غير لقياك

لَهُ نوازع شوق بَات يضرمها ... بَين الجوانح والأحشاء ذكراك

لم ننسَ طيب لياليك الَّتِي سلفت ... وَكَيف ينساك صبٌّ بَات يهواك

يَا ربة الْخَال كم قد طل فِيك دم ... فَمَا أجل بِعرْض الْبيد قتلاك

أسرت بِالْحسنِ أَلْبَاب الْأَنَام فَمَا ... أعز فِي ذل ذَاك الْأسر أسراك

مَاذَا عساها ترى تنأى الديار بنَا ... لَو كنت فِي مسْقط الشعرى لجئناك

وَلَو تحجبت بالسمر الذوابل عَن ... زوار ربعك يَا سمرا لزرناك

ذلت لعزك أَعْنَاق الْمُلُوك فَمَا ... أعلاك يَا مُنْتَهى سولي وأغلاك

تهتكت فِيك أَسْتَار الْهوى وَلها ... لما بدا من خلال السّتْر معناك

يَا هَل ترى يسمح الدَّهْر المشتُّ بِمَا ... أرجوه من قرب مغناك لمضناك

وأجتلي من محياك الْجَمِيل ضحى ... مَا بَات يحكيه لي من حسنك الحاكي

من بعد حط رحالي فِي حمى أرج ... إِلَّا رجا بالمصطفى الْهَادِي الرضي الزاكي

خير الْخَلَائق طرًّا عِنْد خالقه ... وَخَاتم الرُّسُل ماحي كل إشراك

سباق غايات أقْصَى الْفضل والشرف الْـ ... أَعْلَى وراقي الْعلَا من غير إِدْرَاك

مهْدي المعارف مبدي كل غامضة   مسدي العوارف مردي كل فتاك
مُحَمَّد ذِي الْمقَال الصَّادِق الْحسن الـ   مصدوق فِي الْقَوْل مقصي كل أفَّاك
يَا نفسُ إِنْ بلّغتك العيسُ حجرتَهُ   وصافحت يمن ذَاك الرّبع يمناك
ونلت مأمولك الأقْصَى بلثم ثرى   أعتابه وَبلغت الْقَصْد من ذَاك
وَقمت بَين يَدَيْه للسلام على   أَقْدَام ذَلِك تذري الدمع عَيْنَاك
وَقد مددت يَد الإملاق طالبةً   سُؤَاله لَك عفوا عِنْد مَوْلاك
فقد بلغت المنى والسول فاجتهدي   هُنَاكَ واستنجدي لي طرفك الباكي
عساك أَن ترزقي عطفا عَلَيْك فَإِن   رزقت ذَاك فيا وَالله بُشْرَاك
وليهنك السعد إِذْ حطت رحالك فِي   ربع بِهِ لم تزل تحدي مطاياك
فثم أندى الورى كفا وأعظمهم   جاهًا وأرحبهم صَدرا لملقاك
وَخَيرهمْ لنزيل فِي حماه وأو   فاهم ذمامًا وأملاهم بجدواك
واحر قلباه من شوقي لرُؤْيَته   فقد تقادم عهد الشيق الشاكي
بِاللَّه يَا نفس كوني لي مساعدة   حاشاك أَن تخذليني الْيَوْم حاشاك
وجددي الْعَزْم فِي ذَا الْعَام واجتهدي   عَسى بذلك تخبو نَار أحشاك
فَإِن حرمت لقاه تِلْكَ معذرة   وَإِن ظَفرت بِهِ يَا نجح مسعاك
صلى عَلَيْهِ إِلَه الْعَرْش مَا قطعت   كواكب الْأُفق لَيْلًا برج أفلاك

التخريج: الوافي بالوفيات: ٢١/٦٣-٦٤، الدرر الكامنة: ٤/٥٦.البيت الأول فقط.

قافية اللام

(١٥)

قال الصـفدي: وَممَّا يلْحق بالشـعر الْمُتَقَـدّم مَا كتبته للْمولـى الْمَالِك جمال الدّيـن ابْن المرحوم عَلَاء الدّيـن بن غَانم حِين جَاءَني توقيـع بتدريس العذراوية بِخَطِّه وإنشـائه وَقد تصـدق بهَا ملك الْأُمَرَاء تغمده الله برحمته من غير سُؤال:

المجتث

وافـــــى إلَيّ كـتـــاب ... حُـلْـو مـن الــدّرّ خـالي

صـــاغـتـــه فـكـــرة سَـــار ... إلَـــى الـعـلى غـير سالي

يـســـري وَرَاء ســـراة ... تـشـتــاقـهـن الْمَـعَـالي

مـــرصـــع بـــلآلـــئ ... مـــشـــرف بمـــثـــال

مـن عِـنْـد أكْـــرم مـولـى ... يُـعْـطـي بِـغَـيْر سُـؤال

فَـمَـا رَآهُ صـديـق ... مـن الـصُّـدُور المـوَالي

إلَّا وَقَـــالَ سَـرِيـعـا: ... هَـــذَا بـديـع الْجـمـال

التخريج: الوافي بالوفيات: ٢١/٦٥-٦٦.

قافية النون

(١٦)

وقوله من أبيات أجاب بها الفاضل تاج الدين اليماني: المديد

بِـأبـي بـكـر خـصـصـت بهَـا ... مـن أخـي الإفـضـاَل والمـنـن

أقـبـلـت تـخـتـال في حـلـل ... وشـيـهـا مـن صـنـعـة اليـمـني

فـرعـهـا يمـلـي خـلاخـلـهـا ... مـا يـقـول الـقـرط في الأذن

التخريج: الوافي بالوفيات: ٥٩/٢١، ومسالك الأبصار:٢٠٣/٧. والدرر الكامنة: ٥٧/٤. (البيتان الثاني والثالث).

نثره:

(١)

ومن خطبه التي تلج القلوب، وتخرج إلى الإقلاع والإقلال من الذنوب قوله:

أيها الناس تأنّسوا في المكارم وسارعوا إلى المغانم، وجانبوا مكاسب المآثم؛ فإنها معادم، وأيقظوا عيون العزائم فإنّها نوائم، واغتنموا أوقات الطاعات فإنها مواسم. هذا، عباد الله، شعبان واحدة بكم ركائبه، مملوءة بمتاجر أعمالكم حقائبه، فالسعيد من زكّى فيه بالإخلاص مكاسب أعماله، والشقيّ من أضحت زيوف المعاصي رأس مال آماله. سحقا له من مغبون. ما أخسر صفقته! ومدلج في دياجي الأطماع ما أبعد شقّته، باع الباقي بما يفنى، واعتاض عن النفيس العالي بالأدنى. تبرّجت له الدنيا فأخلد إليها، وضمنت له كواذب الآمال سلامته المآل فاعتمد عليها؛ حتى إذا استرجعت منه الأيام ما وهبت، وأخلفته الآمال المواعد وكذبت، ورأى وجود أمانيه عدما، وصحة ظنونه سقما، عضّ على يديه ندما، وبكى بذلّ الدموع دَما، واستصرخ فلم يجد مسعدا ووجد منسي أعماله حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا.

التخريج: مسالك الأبصار: ٢٠٣/٧.

(٢)

وقوله:

اغتنموا أيام المهل قبل انقراضها. وداووا سقم النفوس بذكر هجوم الأجل قبل استحكام أمراضها، وروّضوها عن جماحها في الشهوات فإنّه لا نهاية لأعراضها. واعملوا ليوم لا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود عن والده. ولا

محيد لمن غلبت عليه الشّقوة عن مناهل عذابه وموارده، وابتهلوا إلى ربّكم في أوقات البركات؛ فما حرم فيها من قصده بركة مقاصده.

التخريج: مسالك الأبصار: ٧/ ٢٠٤.

(٣)

ومنها الخطبة التي خطب بها أول جمعة أقيمت بالجامع السيفي يشكر كافل الممالك الشامية، وهي:

الحمد لله منشئ أصناف الأمم وصانعها، ومؤلف أشلائها بعد العدم وجامعها، ومنطق جوارحها بما اخترجت وسامعها، وباعث هممها على الخير ووازعها ، ومجري سوابق آمالها في ميدان آجالها، نحو مطامع مطامعها الذي أجزل مواهب السعادة لمن شيّد بيوت العبادة، وشكر صنيع من قدح بالإحسان زناده؛ فوعده الحسنى وزيادة. وفضّل بقاع الأرض بعضها على بعض، فاعل في الشرف محلّها، وناط بها أسباب السيادة فاتخذها صالح عباده معاهد للعبادة. فطوبى لمن حلّها، وادّخر من القرب نفائس يحق في مثلها التنافس، ثم وفّق لها قوما كانوا أحقّ بها وأهلها.

أحمده على ما أسبغ من نعم زكت مغارسها فصفت ملابسها، وأولاه من منن صيغت مشارعها فنمت مراتعها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة أحكم الإخلاص بالقلب معاقدها، وصفّي من شوائب أكدار الشكوك مواردها، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، والكفر مخصبة مراتعه أهله بالأشقياء مرابعه، قد مدّ في الأرض خطاه، وتجاوز الحدّ في الطغيان وتخطّاه. فلم يزل صلى الله عليه وسلّم يهيج بنانه بجنوب الحق وضاه، وبيد طغاته رطى الأثمان وشباه ؛ حتى أصبح وارف زرعه غثاء، وأمسى أنس ربعه قواء، صلى الله عليه وعلى آله غدوة ومساء، صلاة يبلغهم بها من النعيم المقيم أملا ، ويحقّق لهم رجاء.

أيها الناس جدّوا في الطاعة قبل تعذّر الاستطاعة، وجذّوا حبائل الأطماع بمدى القناعة.

فكـم أطلعكم الدهـر تقلّبه على الحقائـق فأغفلتم اطّلاعه، وكم أسـمعكم لسـان حوادثه أبلغ المواعظ لو وعيتم إسماعه! فيالها غفلة شاملة، وأمنية باطلة، وأطماعـا كاذبـة. وآمالا خابية، وقلوبا عن العظات لاهية، وأسـبابا من التعلّلات واهيـة، فوجهوا رحمكم الله إلـى جهة الاعتبار عيون أفكارهـم، وانبوا إلى تأمل الإشـارات عنه أسماعكم وأبصـارهم؛ فإن من اسـتمع بخطوب الأيام غني عن خطب الأنام، ومن اقترع معالق الآثام استأذن على الانتقام.

التخريج: مسالك الأبصار: ٧/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٤)

ومن خطبة في رأس السنة:

الحمـد لله الذي لا تدرك عظمته ثواقب الأفهام، ولا يحيط بمعارف عوارفه خطـوات الأوهـام، ولا يبلغ مدى شـكر نعمه محامـد الأيام. الذي طرّز بعسـجد الشمس حواشي الأيام، ورصّع بجواهر النجوم حلّة الظلام، وفصّل بلجين الأهلة عقـود الشـهور والأعـوام. أحمده علـى نعمه الجلائـل العظام، ومننه الشـوامل الجسـام. وأشـهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة لا ينقص لها تمام، ولا يحقر لها ذمام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله وسوق الباطل قد قام، ومحبّ الضلال قد هام، وطرف الرشد قد نام، وأفق الحقّ قد عام. فجرّد سيف العزم وسـام «٤»، وعنّف على الغي ولام، واقتاد الخليقة إلى السـعادة بكل زمام. صلى الله عليه وعلى آله الخير الكرام، صلاة لا انفصال لمسابغها ولا انفصام.

التخريج: مسالك الأبصار: ٢٠٥/٧.والوافي بالوفيات: ٢١/٦٤-٦٥.

(٥)

وقوله في خطبة عيد الأضحى:

الحمـد لله العظيم شـأنه، العزيز سـلطانه، القديم إحسـانه، الذي أسـمع

دعوتـه إلـى عرفات عرفاته من كل طريق. قلّبتها قلوب أولي الإنابة، مسـرعة في الإجابـة، ووافتها مـن كل فجّ عميق. أحمـده على نعمته التي أحلّـت مغنى الغنى فتحلّت بفرائد الأجياد، ومننه التي بلغت مني المنى، وكل الأيّام بها أعياد. وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شـريك له، شـهادة لا يخلق الملوان جديدها، ولا تنال يد الشـك مشيدها. وأشـهد أن محمدا عبده ورسوله. أرسله رحمة للبرايا، ومحذرا من سـوء عواقب الخطايا، فطهّر من رجسها السجايا، وساق إلى محلها الهدايا، وبعث الهمم على الضحايا، صلى اللّه عليه وعلى آله المنزّهين عن الدنايا، صلاة لا تنفكّ سعادة في البكر والعشايا.

التخريج: مسالك الأبصار: ٢٠٦/٧، والوافي بالوفيات: ٦٦/٢١.

الدراسة الفنية:

موضوعات شعره:

من أهم الأغراض في شعر القحفازي:

١. المديح: إذ إنّه مدح النبي صـلى اللّه عليه وسـلم، فذكر خصاله الكريمة من صدق وغيره وذكر أيضا الشوق إليه وله في ذلك قصيدة نبوية منها قوله:

يَا ربة السِّرّ هَل لي نَحْو مغناك ... من عودة أجتلي فِيهَا محياك

أم هَل سَبِيل إِلَى لقياك ثَانِيَة ... لمغرم مَا مناه غير لقياك

لَهُ نوازع شوق بَات يضرمها ... بَين الجوانح والأحشاء ذكراك

لم ننس طيب لياليك الَّتِي سلفت ... وَكَيف ينساك صب بَات يهواك

الغزل: فقد تغزل بامرأة اسمها قلوب إذ قال:

عـاتـبـنـي في حـبّـكـم عـاذل يزعم نصحي وهو فيه كذوب
وقـال: مـا في قلبك اذكـره لي فقلت: في قلبي المعنّى قلوب

بناء القصيدة:

توزع شعر القحفازي بين القصائد والمقطوعات والنتف، وأطول قصائده تقع في اثنين وثلاثين بيتًا.

ومن حيث الجمل والتراكيب كان الشاعر منوّعًا في الأساليب، إذ استعان بعدد من الأساليب كالاستفهام والأمر والنهي والنفي وغيرها.

بناء اللغة:

من المعلوم أنّ الألفاظ في ارتباطها تكوّن في القصيدة صورًا ، هذه الصور تعطينا فكرة عن القضية التي تدور حولها الألفاظ، فمثلا في القصيدة النبوية التي مدح فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم أشار إلى ألفاظ تؤكد هذا المعنى منها:

(ذي المقال الصادق الحسن) (خير الخلائق) (صلى عليه إله العرش) وغيرها.

التشكيل الإيقاعي:

الفنون البديعية:

ومن الفنون البديعية التي لها حضور في شعر القحفازي هي:

الطباق: ومن أمثلته قوله:

وهـو خـليـل في الـرخـا وعـدة في الـكـرب

فالطباق نجده بين لفظتي الرخاء والكرب.

الإيقاع الخارجي: ويشمل الوزن والقافية.

١- الوزن:

سـار القحفازي متابعًـا بحور الخليل المعروفة، ويتقدمها السـريع فالطويل فالرجز فالكامل فالخفيف فالمجتث فالمديد فالمنسرح والبسيط.

٢- القافية:

حرص القحفازي على أن ينوع في القوافي فجاءت على النحو الآتي:

قافيـة الراء بالمرتبة الأولى، فالباء فالقاف، ثم اللام والعين والكاف والدال والضاد.

هوامش البحث:

(١) تنظـر ترجمته في: فـوات الوفيات ٣/٢٤-٢٥، محمد شـاكر الكتبي، تحقيـق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السـعادة، القاهرة. والوافي بالوفيات ٢١/٥٨-٥٩، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصـطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م. مسالك الأبصار٧/٢٠٤-٢٠٥، ابن فضل الله العمري، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م. الدرر الكامنة ٤/٥٥، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضـان، مجلس دائرة المعـارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند الطبعـة الثانيـة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. وبغية الوعاة ٢/١٦٦، السـيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضـل إبراهيـم، المكتبة العصـرية، لبنان. والدارسـ في تاريخ المدارس ١/٤٢١، عبـد القادر بن محمد النعيمي الدمشـقي ، تحقيق: إبراهيم شـمس الدين، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. وشـذرات الذهب ٨/٢٤٨، ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات ٢١/٥٩.

(٣) الدرر الكامنة ٤/٥٥، وبغية الوعاة ٢/١٦٦، وشذرات الذهب ٨/٢٤٨.

(٤) الوافي بالوفيات٢١/٥٩، وفوات الوفيات ٣/٢٥.

منهج التأريخ في مظهر التقديس للجبرتي

بقلم: محمد زغلول عامر

قـد يَظُنُّ البعضُ بـأن جذوة «علم واقعات العُمران»[١] الذي أسسـه ووضـع آلياتـه البحثية العالم الفَّذ «عبـد الرحمن ابن محمد ابن خلدون» (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ) في سـبعينيات القرن الثامن الهجري كانت قد انطفأت في غُضُـون القرنين التاليين لوضـع "ابن خلدون" لمُقدمته الشهيرة ، والتي حاول من خلالها البحث في أوّليَّات قيام الدول ، من خلال تَتبُّع العوائد والعوامل المؤدية بدورها لاعتبار أن الاجتماع الإنسـاني لابُد وأن يؤدي إلى قيام الـدول، باعتبار أن الدولة هي مناط تنظيم ذلك الاجتماع .

ولكن مُجرَّد مُطالعة عابرة لكتاب «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» للشـيخ العلاّمة «عبد الرحمن بن حسـن الجبرتيّ» (١١٥٥ – ١٢٣٧ هـ) ستُثبت بمـا لا يـدع مجالاً لأي ريـب أن جذوة "علـم واقعـات العُمران" العربي المنشـأ والمـورد لم تكن لتخفُت أبـداً ذلك الخفوت ، الذي ادعاهُ هـؤلاء القائلون بتراجُع النزعة الاجتهادية في الفكر العربيّ بحلول القرن العاشـر الهِجْريّ ، فقد أعلنت "الفلسـفة التأريخية الخلدونية" عن نفسـها في ذلك المؤلَف الحوليّ المُجدوَل ، الـذي وإن عبَّر عن رُقـيّ معرفي محَّصَ الحـدث التاريخي لدرجـة تثبيته داخل مُخَيِّلة قارئه ، إلا أنه كان وبحق أحد علائِم النشاط الحضاري العربي في غضون

القرنين الحادي عشـر والثاني عشر الهجريين ، اللذان شَهِدا بدورهما بدء ذلك الاحتكاك ذي الأبعاد المتعددة بين الحضـارتين الإسـلامية والغربية ، التي كانت الحملة الفرنسية أولى مراحل احتكاكهما المباشر.

ويبـدوا أن «عبـد الرحمن الجبرتي» كان قـد اطلَّع على إحـدى مخطوطات المُقدمة الشـهيرة التي ضـمتها المكتبـة الأزهرية القديمة ، التـي انتهبتها أيادي مستشـرقي الفرنسيس وتراجمتهم، فقد افتتح الشيخ عبد الرحمن كتابه «مظهر التقديسـ» بقوله: «اقتضـت الحكمـة الرَّبّانيّة والأسـرار الإلهية ، نصـب خليفة بـه يرتبط للعـالم نظامه ، وتجـري عليه بحسـب مُطابقة قوانين الشـرع أوامره وأحكامـه» ، وهـو ما يكاد أن يتطابق مع ما قال بـه «عبد الرحمن ابن خلدون» في مُقدمته الشـهيرة من كون البشـر محتاجين في اجتماعهـم إلى من يحملهم على مُقتضـى الأحكام ، ويمنع شـجور الخلاف بينهم ، إذ إن البشـر – بفعل ما فيهم من طبائع حيوانية يمكنهم أن تفضي بهم لظلم بعضهم بعضًا – يمكن أن يتقاتلوا على حاجيات معاشهم ، فتمتد أيديهم إلى متاع غيرهم ، بما يمكن أن يفضي بهم للشجار والتقاتُلِ فيما بينهم .

ويبـدوا أن تلك « الفَلْسَـفَةَ التاريخانيّة الخلدونيـة» كانت قد حكمت «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسـيس» منذ البداية ، حيث أن عُنوان الكتاب – بحد ذاته – قد حمل شـيئاً من ذلك التجريد الكُلي العام ، الذي اعتبره سيد فلاسفة الاجتماع " عبد الرحمن ابن خلدون" سِمَة العُلماء ، من حيث أن "عبد الرحمن الجبرتي" لم يكن ليستقر على وصف الوجود الفرنسي المُضطرب في أرض الكِنانة - الذي اسـتمر بين (١٢١٣ – ١٢١٦ هجرية) – بأنه شـكَّلَ دولة قائمة بذاتها، سـوى بعد أن رصـد بين صـفحات كتابه تلك النظامات القانونيـة ، والعُمرانية، والضرائبية ، والصحية التي حاول الفرنسيون فرضها على الشعب المصري، فقد تحدث "الشيخ الجبرتي" عن إنشاء الفرنسيين محكمة ضمَّت ستة من المسلمين وسـتة من غير المُسلمين، للفصل في الدعاوى المدنية بمُقتضى القوانين الوضعية،

التي استنبطها الفرنسيس بتحسين عقولهم على حد قول "الجبرتي" لتكون بديلاً للمحاكم القديمة والتي كانت تقضي وفق الشريعة المحمدية الغَرَّاء ، وقد وصف "الجبرتي" "المعلم ملطى" رئيس تلك المحكمة بـ"اللعين" ، بعد أن حاول مُساواة الرجل بالمرأة في مسائل المواريث ، إذ إن الرجل – في رأيه – أقدر على الكسب من المرأة بمُقتضى "التحسين العقليّ" ، والذي بنى عليه الفرنسيون قوانينهم الوضعيَّة ، التي استبدلوها بالقوانين الكَنَسيّة التي كانت سارية في بلادهم في عصر ما قبل الثورة الفرنسية ، بما يؤكد وفي نَسَق مُتصل تصور «عبد الرحمن الجبرتي» للأساسيات المُنظِّمة للبنيوية المُجتمعية من منظور إسلامي خالص، يقوم بدوره على الانطلاق من تقليد سابقيه من المشايخ ، الذين قوَّموا النزعة الاجتهادية في فكر ذلك العلامة المُجتهد ، والذي – وفي إطار تصوراته للبنيوية المُجتمعية التي حاول الفرنسيون إعادة بنائِها على وفق مذهبهم القائل بالتحسين والتقبيح العقليين – كان قد حاول فلسفة الوجود الفرنسي في مصر على أساس راسخ من مُقاومة إعمال العقل فيما وَرَدَ فيه نص ، حيث أثبت الشيخ مُخالفة "الجمهور الفرنسي" - كما كان الفرنسيون ينعتون أنفسهم في منشوراتهم للشعب المصري – لسائِرِ الأديان السماوية ، وذلك من قبيل قوله في شرح منشورهم الذي افتتحوه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ، ولا شريك في مُلكِهِ) : [إنهم (أي الفرنسيين) موافقون للملل الثلاث، ومُخالفون لهم بل ولجميع الملل ، موافقون للمسلمين في ذكر التسمية ونفي الولد والشريك ، ومُخالفون لهم في عدم الإتيان بالشهادتين وجحد الرسالة ، ورفض الأقوال والأفعال الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ، وموافقون للنصارى في غالب أقوالهم وأفعالهم ، ومُخالفون لهم في القول بالتثليث ، وجحد الرسالة أيضاً ، ورفض ديانتهم ، وقتل القسوس ، وهدم الكنايس ، وموافقون لليهود في التوحيد ، فإن اليهود لا تقول بالتثليث ، وإنما هم مجسمة مخالفون لهم في ديانتهم[٢]] ، ومن ثم فإنه يمكننا القول بأن «عبد الرحمن الجبرتي» كان لسان حال طبقة المُعممين الأزهريين ، الذين شَحَذَ الصف الثاني منهم الجماهير

للثورة ضد المُستعمر الفرنسي ، والذي حاول بحسب الشيخ تغيير معالم القاهرة بالهدم والبناء وإعادة توزيع السُكان وفق مُخطَّط إقامة مدينة فرنسية الطراز على النَسَقِ الباريسي على أنقاض القاهرة العربية ، وهو ما عَّبر عنه الجبرتي في سرده لمُجمل حوادث شهر جُمادى ١٢١٣ ، حين قال: «ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا جامع أبو هُريرة بالجيزة ، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدِّكة ، وشرعوا في ردم جهات حَوَالَيّ بركة الأزبكية» .

وقد ظهرت نزعة النقد الاجتماعي صارخة في تلك اللُغة شبه العامية ، التي أرَّخ بها «الشيخ الجبرتي» يوميات ذلك التفاعُلِ بين الفرنسيس وأهل مصر والشام ، بما يدُلُّ على التماس جودة توصيف الحدث التاريخي. ويبدو أن «عبد الرحمن الجبرتي» كان يأخذ على العامة بعض المآخذ ، فيما يتعلق بردود فعل طوائف منهم على «الهوجة» التي حدثت بفعل الزلزلة ، والتي أحدثتها هزيمة فرسان المماليك على أيدي المُرَبَّعات البشرية النابليونية في معركة إمبابة يوم السابعِ من صَفَر عام ١٢١٣ هـ ، وكيف أن «الجعيدية» و«أوباش الناس» نهبوا بيوت أُمراء المماليك بالقاهرة ، بما أدى بالفرنسيين لإعدام اثنين من هؤلاء «الجعيدية» في مُحاولة لإيقاف عمليات النهب في القاهرة ، التي فاقت الحد بفعل تلك «الهوجة»، التي عَّبَرَ عنها باحثوا الاجتماع المُعاصرين بـ «التغيُر في السلوكيات العامة بدافع من صدمة تصدم العقل الجمعي» ، بما يعني إمكانية نفي تُهمة «التأريخ المُرتبط بالرؤية الطَبَقية» عن الشيخ «عبد الرحمن الجبرتي»، الذي كان وبحُكم كونه ابنًا لأُسرة ثرية امتلكت الضياع والعقار يمكنه أن يفتقد القدرة على تشريح الحَدَث التاريخي انطلاقاً من عوامل موضوعية» ، إذ إن نقد الشيخ لبعض تصرفات عامة أهل زمانه لم تكن سوى مُحاولة لتحقيق الدِّقة في توصيف الحَدَث التاريخي وصولاً لتحقيق موضوعية تناوله ، وذلك من قبيل قوله واصفاً رَدَّات فعل السُّوقة على دخول الفرنسيس إلى القاهرة زرافات بعد انتصارهم في معركة إنبابة «إمبابة» [وانهمكوا «أي الفرنسيس » على أنواع الطعام مثل

الكلاب السعرانين ، فَفَجرَ السُّوقة ، وصَغَّروا الخُبز ، وطحنوه بترابه ، وباعوا البيضة بنصف فِضة[٣] ، بعد أن كانوا يبيعون كل أربع بيضات بنصف ، وفتح الناس عدة دكاكين بجوارهم يبيعون فيها أصناف المأكولات ، كالفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك ، وفتح نصارى الأروام «أي اليونانيين» عدة دكاكين لبيع المُسكرات ، وعدَّة خمامير وقهاوى، وطافت جماعة من النصارى في الأسواق تبيع العَرَقى كسُقاة الماء ، وصاروا يُنادون به في الأسواق بلُغَتِهِم ، وفَحَشَ ذلك جداً] .

ومِثلما تخيَّل بعضٌ من قارِئى آثار الجبرتي التاريخية أن ركاكة اللغة المُستخدمة في توصيفه لبعض فعاليات الحملة الفرنسية على مصر تُعَدُ دليلاً قاطعاً على ظَلاميّة العصر الذي نشأ فيه هذا المؤرخ الفذ ، فقد تخَيَّلَ البعض الآخر بأن جدولة «عبد الرحمن الجبرتي» لأحداث تواريخه على نفس النَسَقِ الذي اتبعه من سبقه من مؤرخى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديّ دلَّت على أنه لم يكن قط مؤرخاً كبيراً ، مُضيفين أن كتابات الجبرتي المُتعددة لاتعدو أن تكون محاولة للرصد الدقيق لتلك «الصدمة الحضاريّة» ، والتي يُعرِّفُها أساتذة التاريخ العام بالحملة الفرنسية على مصر والشام ، والحقيقة أن آثار الجبرتي التاريخية كانت قد تُرجمت إلى الفرنسية برغم وجود شهادات عديدة وضعها كثيرون من عُلماء وقادة الحملة الفرنسية على مصر والشام ، بما يُدَلِّلُ على اعتراف الفرنسيين بتلك المصداقية في تدوين وقائع تلك المُغامرة النابليونية على مصر وجوارها العربي ، التي اتسمت بها كتابات الجبرتي عن الحملة الفرنسية ، والتي كانت المرجع شبه الوحيد المُصاغ بلُغة الضاد الذي أدرك البُعد الحَقيقيّ لغزوة بونابرت ، والذي لم يكن مُجرد استعمار البلدان الشرقية وتحسين استغلال ثرواتها ، التي لم يستطع المماليك القادمين من بلاد الأبازة والكرجستان[٤] – في زعم نابليون – أن يُحسنوا استغلالها ، بل إن "عبد الرحمن الجبرتى" الذي ارتضع لِبان العلم عن أبيه الرياضى الفذ "حسن الجبرتي"[٥] وصديق

أبيــه اللُغــوى المُنعدم النظير «محمد مرتضـــى الزبيدي» كان قــد ربط بين تزلُف الفرنسيس لأبيه «الجبرتي الكبير» حين جلسوا بين يديه يتعلمون أصول الهندسة وعلــوم الحِيَلِ (الميكانيــكا) عام ١١٥٩ هـ من جانب ، وتلك المحاولات المُســتميتة مــن جانب عُلماء الحملة الفرنســية لفرضــ أنماط المعيشــة والتفكير الأوروبيين على النُخب المُثقفة من الأزاهرة القادمين من مُختلف بلدان الشــرق المُســلم من جهــة أُخرى ، بما عبَّرت عنه نزعة التحدى التي عبَّر بها قَلَم الجبرتي في وصــفه لحادثة «المِنطاد» [الذي زعم الفرنســيون أنه على هيئة مركب يجلس فيها أنفار من النـاس ويُســافرون فيها إلى البلاد البعيدة ، لكشف الأخبار، ، وغير ذلك من التمويهات الكاذبة ، بل ظَهَرَ أنها مثل الطيارات التي يعملها الفراشــون بالمواسم والأعيــاد] ، والحقيقة أن اختمــار فكرة التأريخ لدى «عبد الرحمن الجبرتي» لم تكن وليدة ذلك التدافع التاريخيّ ذي الشــكل التصادميّ والذي توَلَّدَ بدوره بفعل الحملة الفرنســية ، وإنما كان اختمارُها راجعاً بالأســاس لمُقترح بَعَثَ به «السيد محمد خليل بن على المُراديّ» مُفتى دِمشق حوالي جُمادى الأخرة عام ١٢٠٣هـ إلى إمام العربية في عصره «السيد محمد مرتضى الزبيديّ» بوضع رسالة عن أعلام المائة المُنصــرمة ، وكان الســيد الزبيديّ قد انتحى جانبــاً بتلميذه عبد الرحمن الجبرتــيّ بعد إلقائه درســاً في النحو بالأزهر وفاتحــه في أمر ذلك المُقترح ، فما كان مــن أمــر «الجبرتي» إلا أن بــدأ في إعداد مادة كتاب جامع عــن أبرز عُلماء المائة الأخيرة ، ولكن وفاة الشيخ الزبيديّ بالطاعون الذي اجتاح الديار المصرية عــام ١٢٠٥ هـ ثُم وفاة الشــيخ المُراديّ نفســه عام ١٢٠٦هـ كانــت قد أقعدته عن مواصلة تصنيف مادة الكتاب ، حتى كانت تلك الغزوة الفرنسية التي حدثت كما ذكرنا ســابقاً عام ١٢١٣هـ ، والتي ارتعدت لها فريصــة «عبد الرحمن الجبرتي» ، بما دَفَعَهُ لوضــع مادة هذا الكتاب في شكل ســبعمائة يومية أو أكثر أَرَّخت لأكثر من ألف يوم من وقائِع الغزو الفرنسي لمصر والشام ، والواقع أن بعض وقائع تلك اليَوميّات الســبعمائة كانت قد تأثرت بعض الشــيء ببعضــ الانفعالات الوقتية ، التي جَعَلت الشــيخ عبد الرحمن الجبرتي ينخدعُ لشــكل تلك المُحاكمة الشكلية ،

التي أعدم الفرنسيس بموجبها الشاب الأزهريّ «سليمان محمد أمين » الشهير بـ «سليمان الحَلَبيّ»[٦] بعد قتله لكبيرهم «الجنرال كليبير» ، لمُجَرَّدِ أن فعاليات مُحاكمة «سليمان الحَلَبيّ» حَمَلَت شكلاً من أشكال التنميق القضائيّ من سماع للشهود وبلاغة في خُطبة مُمثل الإدعاء الفرنسي ، ويبدو أن «الشيخ الجبرتي » كان يظُن بذلك المُجاهد أنه كان «أفاقيا» أو قاتلاً مأجوراً أتى إلى مصر لقتل «كليبير» لِقاءَ أجر معلوم . كما وأن ذلك التضاد الذي حمله توصيف الجبرتي للعُثمانيين في كل من كتابه «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» من جانب وتاريخه الجامع الموسوم «عجائب الآثارِ في التراجم والأخبار» من جانب آخر يمكنه أن يُدَلِّلَ على شيء من العَجَلة في استنباط النتائِج من مُقدماتها ، بما يُمكن أن يصفهُ البعض بأنه خطأٌ في تطبيق المنهج التاريخانيِّ الخلدونيّ الذي انتهجه الجبرتيّ ، إذ وصفَ الشيخُ الدولةَ العُثمانية في «مظهر التقديس» بـ المملكة الخاقانية وبهجة الدين والدُنيا» ، في حين أنه نَعَتهم بعد ذلك بأوصاف الظُلم والهَمَجيَّة في «عجائِبِ الآثار» ، بعد أن عاين آثار ظُلم «أوباش العساكر العُثمانيين» لأهالي مصر ، الذين عاشوا فترة اضطراب وانعدام لشكل الدولة في عصر ما بعد جلاء الفرنسيين عن مصر أواخر عام ١٢١٦ هـ .

المراجع :

(١) مُقَدِّمةُ ابن خلدون في ثلاثة أجزاء ، للشيخ العَلامة "ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي" – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٦ م .

(٢) مظهرُ التقديس بذهاب دولة الفرنسيس للعَلامة "عبد الرحمن ابن حسن الجَبَرتي" في جُزأين – طبعة دار العربي للنشر والتوزيع – القاهرة ، عام ١٩٩٨ م .

(٣) كتابُ التوفيقات الإلهامية في المُقارنة بين السنوات الهجرية والقبطية والإفرنجية ، تأليف اللواء بالجيش المصري "محمد مُختار باشا" – طبعة المطبعة الأميرية ببولاق عام ١٣١٧ هجرية .

(٤) "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" في سبعة أجزاء للعَلامة "عبد الرحمن الجبرتي" – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٢ م .

الهوامش :

(*) كاتب المقال باحث في التراث وشغل لفترة وظيفة مدير تحرير سلسلة تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة المصرية

(١) عبَّرت لفظة العُمران البشرى التى أطلقها الشيخ ابن خلدون على ذلك العلم المُتعلق برصد الظواهر المُجتمعية والتوصل لأوليات تلك الظواهر ، في سبيل حُسن تحليل ما يرد على ألسنة المؤرخين من أخبار السابقين ، وقد سَبَقَ الشيخ «عبد الرحمن ابن خلدون « بذلك العلم أفكار فلاسفة الغرب بنحو خمسة قرون ، إذ أن أول مُفكر غربى حاول التعاطى مع أسس ذلك العلم من واقع بحث الظواهر المجتمعية كان عالم الإجتماع الفرنسى «إيميل دور كايم» في أوآئل القرن العشرين .

(٢) كان في اتصال جمهرة أهل الحل والعقد من عُلماء الأزهر الشريف بالدعوة التى أطلقها الإمام «محمد ابن عبد الوهاب» إلى تخليص العقيدة الإسلامية مما شابها من بدَع وخُرافات أثرٌ كبير في تلك (المُعالجة الجبرتية) لذلك المنشور الفرنسى ، كما وأن الشيخ الجبرتىّ أظهرَ تعاطُفاً كبيراً في «عجائب الآثار»مع حُماة الدعوة السَلَفية من أل سعود ، بعد أن شن «محمد على « والى مصر حملته لأخذ نجد والحجاز منهم في غُضون العام ١٢٢٥ .

(٣) النصف فضة هو نقدٌ تُركىٌ يعود لأواخر القرن العاشر الهجرى ، وقد ضُربَ أولاً من الفضة بقيمة قدرُها أربعُ أقجات ، وسرعان ما اختلف مركز الأقجات باعتبارها وحدة النقد التُركية الصُغرى، حتى أصبحت الفضة تساوى ١ : ٤٠ من القرش ، وكانت تلك العُملة تُضرب في تُركيا ، ثم صارت تُضربُ في مصر وتُركيا على السوآء .

(٤) كان المماليك يُجلبون إلى مصر منذ القرن السابع الهجرى من بلاد القوقاز ، والتى تشمل الآن «جورجيا» ، وأجزاء من أرمينية ، وبلاد الشركس التابعة حالياً للإتحاد الروسى .

(٥) كان الشيخ «حسن ابن إبراهيم الجبرتىّ» نابغة عصره في علوم الرياضيات والفيزياء وغيرها من العلوم الكيميائية والفلكية ، ويُذكر أن «حسن الجبرتىّ» أو «الجبرتىّ الكبير» كان أول من صَّمم آلة فصل معملى لفصل العناصر من مُركباتها ، كما أنه صَّمم وبنجاح «آلة الكؤوس المنظارية» ، والتى تُعَّدُ أساس صناعة التليسكوبات الفلكية المُثَّبَتَة حالياً في أغلب المراصد الفلكية في العالم .

(٦) كان «سليمان الحَلَبىّ « طالباً أزهرياً يتلَّقى العلم بالأزهر قبل الغزو الفرنسى لمصر ، ثم عاد إلى بلده «حلب» حيث كان أبوه يعمل بتجارة المسلى قبل قدوم تلك الحملة لغزو الديار المصرية بنحو ثلاثة أشهر ، وكان قد أزمع أن يقتل الجنرال «كليبير» بعد أن عَلِمَ بينما كان يُجاور ببيت المقدس بتنكيله بأهالى القاهرة إبان ثورة القاهرة الثانية ، فاشترى خنجراً من مدينة غزة ، وارتحل إلى مصر مع قافلة كانت تحمل صابوناً نابلسياً ، ثم ظل يترقب الفُرصة لقتل كبير الفرنسيس ، حتى أخَذَه على حين غِّرة يوم االسبت الحادى والعشرين من مّحّرم الحرام عام ألف ومائتين وخمسة عشر .

رسالة في إعراب الشهادة
لحسن بن محمد السعيد العباسي
دراسة وتحقيق

د.أيمن غباشي محمود زغيب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وترسم بخطاه إلى يوم الدين، أمَّا بَعْدُ ...

فقد شاءت إرادة الله تعالى وعنايته بحفظ نسخة من : (رسالة في إعراب الشهادة) لحسن بن محمد السعيد العباسي ، جمع فيها من كلام المحققين ما قيل حول إعراب الشهادة المتناثر في بطون الكتب وذكر آراء النحويين في ذلك.

وقد سلك منهجًا مجملًا في الشرح والتوضيح ، فتناول جمع آراء المحققين في إعراب الشهادة، مع الإعراب والمعنى وصحة المبنى ، فذكر رأي الأخفش والمبرد والزجاج في إعراب لا إله إلَّا الله ، ونقل عن صاحب التصريح تعريف الخبر، ثم ناقش هل الجلالة علم ؟ وما إعرابه؟ وما العامل في البدل ؟ وهل يجوز النصب في

المســتثنى ؟ كل هذا تحدث عنه واستشهد له بآيات من الذكر الحكيم والقراءات القرآنية والشواهد الشعرية التي تدعم كلامه .

ومما دفعني لتحقيق هذه الرسالة عدة أمور منها :

١. أنَّها رســالة مختصرة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة ، تقع في لوحتين ، كل لوحة تشتمل على صفحتين . غير صفحة العنوان .

٢. موضــوع هذه الرســالة يتعلق بالشــهادة ، التي هي الركن الأول من أركان الإسلام ، كما جاء في الحديث الصحيح « بُني الإسلام على خمسٍ ، شهادة أنْ لا إله إلَّا اللّه ، وأنَّ محمداً رسول اللّه»[1] ولا يتحقق نفعها إلَّا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها والإعراب فرع المعنى كما يقولون .

٣. مؤلـف هـذه الرســالة هو : حســن بن محمد الســعيد العباســي لم يكن مشهوراً ، أو معروفاً ، وتحقيق هذه الرسالة يسهم في إبراز شخصيته النحوية من خلال رسالته الوحيدة التي تمثل نحوه واختياراته .

٤. إبراز جُهد المؤلف حين جمع شــتات ما قيل في إعراب الشــهادة من كلام المحققين وعلماء النحو البارزين .

٥. إغناء المكتبة العربية برسالة مختصرة وشاملة حول إعراب الشهادة ،

وقد جعلت هذا البحث من مقدمة وقسمين رئيسين هما : الدراسة والتحقيق.

أمَّا الدراسة فقد تكونت من ثلاثة مباحث :

المبحـث الأول : تناولــت فيه : اســم المؤلف ، ومولده ، وشــيوخه ، ومؤلفاته ، والتعريف بالرسالة، وبيان منهجه، ومصادره ، ونقله عن العلماء.

والمبحث الثاني : تناولت فيه : موقفه من الأصول النحوية : السماع والقياس والإجمــاع. وبيــان موقفه من الشــواهد : القرآنية والقــراءات والحديث النبوي الشريف والشعر، ومذهبه النحوي

المبحث الثالث : تناولت فيه ـ مقدمات التحقيق ـ

توثيق اسم الرسالة ، ونسبتها إلى مؤلفها ، وزمن تأليفها ، ونُسخ الرسالة ووصفها ، ومنهجي في تحقيق الرسالة.

وأما القسم الثاني : فهو النصُ المحقق . وقد حققتُهُ وَفْقَ منهج ارتضيته وهو يوافق ما عليه جُلة المحققين .

واللّه أسألُ أنْ أكون بهذا الجُهد المتواضع قد أسهمتُ في إحياء كتاب من كتب التراث خدمةً للغة القرآن الكريم ، وأنْ ينفع به الإسلام والمسلمين ، وما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكلت وإليه أنيب . والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه وسلمَّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول: الدراسة.

التعريف بالمؤلف :

١ـ **اسمه** : حسن بن محمد السعيد العباسي .

٢ـ **مولده** : ليس على النسخ ولا فيها ما يدل على سنة ميلاده ، أو وفاته ، وكتب التراجم تخلو من ذلك .

٣ـ **شيوخه** : نص المؤلف في بداية المخطوط على شيخ من شيوخه وهو (السيد أحمد بن محمد أبو الحارث) فقال :

«لمَّا أشارَ عليَّ من يُحبُ امتثال أمره ؛ لرفعة شأنه وعُلو قدره هو الفرد العلم في زمانه وحيد عصره وعمدة أوانه ، سيّد السادة الأشراف ، خلاصة القادة من آل عبد مناف ، السيد السند الوارث مولانا السيد أحمد بن محمد أبو الحارث ...»(٢)

وعند الترجمة له وجدتُ أنه مات بمكة في تاسع رجب سنة ست وثمانين وألف للهجرة ١٠٨٦هـ[٣]

وهذا يدل على أنَّ العباسي من علماء القرن الحادي عشر .

وهناك دليلٌ آخر : وهو ما وجدته على نسخة مخطوطة في جامعة أم القرى أنَّ ناسخ المخطوط هو : محمد بن إبراهيم بن عثمان بن محمد شاه الديوريكي ، فرغ من التأليف ١٠٠٧هـ [٤] وقد نسخ أكثر من مخطوط .

٤. مؤلفاته :

١. رسالة في إعراب الشهادة وهي النسخة التي نحققها . وسيأتي تفصيلها.

٢ . رسالة في شرح الأبيات الثلاثة وهي نسخة مخطوطة وإليك بيانها : الرقم التسلسلي : (١٩٤٠) الفن: (أدب) اسم الشهرة : ابن المفسر الدمشقي. نسخة في العالم رقم الحفظ ٢١٠٧ـ٨ اسم المكتبة : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .السعودية ـ الرياض خزانة التراث ١٩٤٠ مسلسل ١٢ شاملة صفحة ١

٥. **موضوع الرسالة** : حدد العباسي موضوع الرسالة بقوله :

لمَّا أشار عليَّ من يجب امتثال أمره ؛ لرفعةِ شأنه ، وعلو قدره ، هو الفرد العلم في زمانه ، وحيد عصره وعمدة أوانه سيِّدُ السادة الأشراف ، خلاصة القادة من آل عبد مناف السَّيد السند الوارث مولانا : « السيد أحمد بن محمد أبو الحارث» دام فضله ، وعلا ذكره ، أنْ أجمعَ شيئًا من كلام المحققين ، من فرائدِ عبارتهم، ونص إشاراتهم ؛ لِتَقَرَّ به العينُ ، ويُجْلى به عن القلبِ الغينُ على كلمة: «الشهادة «التي من تحصن بها نال الحسنى وزيادة ، وخُتم له بالسعادة ، مع الإعراب والمعنى ، وصحة المبنى ؛ فأجبته إلى ذلك طالباً من المولى أن أكون أحد السالك تلك المسالك ؛ رجاء الثواب لفضله العميم ، ومنِّه الجسيم ...»[٥]

٦ـ **منهج المؤلف في إعراب الشهادة:** على الرغم من أنَّ المؤلف قد سلك منهجاً مختصراً في الشرح والتوضيح إلاَّ أنَّه قد استوفى إعراب الشهادة إعرابًا مفصلًا ، ونهج منهجًا وافق فيه كثيرًا من النحويين .

أولاً ـ **من حيث الإيجاز والإطناب** .يميل العباسي إلى الإطناب في شرح القضايا التي يتحدث عنها فقد أطال في شرح أصل « لا إله إلا الله » واسترسل في تعليل رفع لفظ الجلالة : (الله) على البدلية من (إله) مع أنَّ الأول منفي ومبني على أنه اسم لا والثاني مثبت ومرفوع كما أفاض في الحديث عن الاستثناء، وأيضاً تحدث عن العامل في البدل وذكر أن العامل فيه هو العامل في المبدل منه.

ثانياً ـ **نسبة الآراء إلى أصحابها** . نسب العباسي الآراء إلى أصحابها في هذه الرسالة فذكر رأي الأخفش والمبرد والزجاج في «لا إله إلَّا الله» قائلاً : وقال الأخفش والمبرد «لا إله» كخمسة عشر فيكون لنفي الجنس وإله منصوب المحل على أنه اسمها ، وعند الزجاج أن حركة اسمها إعرابية فيكون منصوبًا لفظاً ، وعدم التنوين لا ينافيها ، فإنه ليس من لوازم الإعراب ، فيجوز انفكاكه عنه ، وعند البعض أنها لا تعمل فيه.(٦)

ثالثاً ـ **ترجيحاته** .لم يكن العباسي مجرد ناقل عن غيره ، بل إنه كان يزن آراء العلماء ، وأقوال النحويين ، فيختار منها ما يراه مناسبًا للأوجه الإعرابية التي تفيد المعني ، لأن نص كلامه أنه قال: مع الإعراب والمعنى وصحة المبنى ... ومن ترجيحاته أنه قال : وقد نصبوا المستثنى في مثل هذا المقام لكن الرفع أولى في قوله : [مَا فَعَلوه إلَّا قليلٌ] [إلَّا قليلا] » [النساء ٦٦](٧)

رابعاً ـ **عنايته بالضوابط والتعريفات النحوية** .ومن ذلك نجد أنه ذكر أن صاحب التصريح عرف الخبر بأنه : الجزء الذي حصل به أو بمتعلقه الفائدة التامة . ثم قال : وهنا لم تحصل الفائدة إلاّ بالمتعلق وهو المستثنى ؛ لأنه هو

المقصــود التام في نسـبة الوجود ، وإلاّ حرف اسـتثناء والمسـتثنى مرفوع على أنه بـدل من محل اسـم لا فإن قلت فكيف يكـون بدلاً مع أنه لا يصـدق عليه تعريف البدل...[٨]

خامسـاً ـ عنايته بالتعليل .للعلة أهمية عظيمة ومكانة عالية عند العباسـي، وقلما يذكر الحكم دون بيان عن علته فهو دائم التكرار للفظ (لـِ) أو (لأنَّ) أو (لأنَّه).

ومـن ذلـك قوله في (لا إله إلَّا اللّه) إنَّ (لا) نافية فيه بلا خلاف فيها وإله مبني معها ؛ لِتضمنه معنى «من» إذ التقدير: لا من إله ، ولهذا كان نصاً للعموم .

فـإن قلت هل لا قـدَّرت الإمكان ونفي الإمكان يسـتلزم نفي الوجود من غير عكس .

قلتُ : لأنَّه هنا أي : « لا إله » ردٌ لخطاب المشركين في اعتقاد وتعدد الإله في الوجود ؛ لأنَّ القرينة هي نفي الجنس عن الوجود دون الإمكان ، ولأن التوحيد هو بيان وجوده ، ونفي إله غيره، لا بيان إمكانه ، وعدم إمكان غيره.

فإن قلت : إنَّ الخبر : هو الجزء المتم للفائدة وقد تم بتقديرك موجودٌ .

قلنا لا نسـلم ذلك ؛ لأنَّ صـاحب التصـريح عرف الخبر بأنه : الجزء الذي حصـل به أو بمتعلقه الفائدة التامة ، وهنا لم تحصـل الفائدة إلاّ بالمتعلق ، وهو المستثنى ؛ لأنه هو المقصود التام في نسبة الوجود، [٩] فإن قلت فهل هذا كلام تام غـير موجب ؟ قلت نعم ، لأنَّ المراد من تمام الكلام هاهنا هو أن يكون المسـتثنى منه مذكورًا فيه. [١٠]

ومن مظاهر العلة عند العباسي أنَّ حكماً واحداً يُعَلَلُ بِأكثرَ من علة مما يجعل الحكم أكثرَ ثباتاً وأتمَّ توطيداً ، فلا يكاد يخلو حكم من الأحكام التي يذكرها من تعليل مناسب يكون في الغالب سبباً لترجيح وجه من الوجوه النحوية .

٧ـ مصـــادره ونقله عن العلماء . لِيس من اليســير الإلمام بالمصــادر المتعددة التي اســتفاد منها العباســي ، فلقــد أُتيح له الاطلاع على قــدر كبير من المعارف العربيــة خلفها الأســلاف ، فجاءت رســالته زاخرة بآراء العلمــاء ، فقد نقل عن الأخفش ، والمبرد ، والزجاج وعن صاحب التصريح دون أن يذكر اسمه.(١١)

موقفه من الأصول النحوية والشواهد، وبيان مذهبه النحوي .

يَعتـدُ العباسـيّ بأدلــة الاحتجاج التــي اعتمد عليهــا النـحويـون ، وذلك في استنباط القواعد النحوية ، كالسماع والقياس والإجماع ... (١٢)

أولاً ـ السماع : يأتي السماع في مقدمة هذه الأدلة ، وقد عني به ، وجعله أحد أدلتــه على قواعــد النحو . ومنه اعتداده بالقرآن الكــريم ، والقراءات القرآنية ، والحديث النبوي والشعر.

ثانياً ـ القياس : يعتمد العباسـي على الكثرة ، والاطراد ويجعل القليل شــاذاً لا يقاس عليه ، وظهر هذا الأصــل عند حديثه عــن إعراب أنّ مخففة من الثقيلة عاملة في ضــمير الشــأن المقدر ، كقوله : ﴿علم أن سيكون منكم﴾ [المزمل ٢٠] وكقول الشاعر :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أنْ [هالكٌ]كل من يحفى و [ينتعلُ] (١٣)

فقد قاس أنّ المخففة في الشهادة على أنّ المخففة في الآية والبيت .

وأيضاً استعمل القياس عند إعراب « عبده » في الشهادة فقال : وعبده مرفوع على أنه خبرها والإضــافة للتشــريف ، وللإشــعار بأنَّ للعبودية اعتباراً عند الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء ١]

ثالثاً ـ الإجماع : أعطى العباســي هذا الأصل قيمة ظاهرة في احتجاجه فإذا بــدا من أحد العلماء خروج على الإجماع رجح المؤلف الإجماع عليه . ويظهر جليًا التزامه بالإجماع بإغفاله الاســم أو إظهاره في شكل اعتراضات أو تساؤلات ومن

ذلـك قوله : «هـلَّا قدرت الإمكان ، ونفي الإمكان يسـتلزم نفـي الوجود من غير عكسـ ، قلـت : لأنَّ هنا أي : لا إله ردٌ لخطاب المشـركين في اعتقاد تعدد الإله في الوجود». (١٤)

فإن قلتَ : فهل الجلالة علمٌ ؟ قلت الظاهر أنها علم بشهادة إفادة التوحيد .

فإن قلتَ : ما العامل في البدل ؟ قلت العامل فيه هو العامل في المبدل منه .

فـإن قلـتَ: فهل هذا كلام تام غـير موجب ؟ قلت نعـم ؛ لأن المراد من تمام الكلام ها هنا هو أن يكون المستثنى مذكور فيه ...

وقال : ولا نافية فيه بلا خلاف .(١٥)

موقفه من الشواهد:

اعتمد العباسي في تثبيت القاعدة التي يسوقها على شواهد متنوعة ، إلاّ أنَّ شـواهده في الرسالة نثرًا كانت أم شـعرًا قليلة ، وقد تنوعت شواهده على النحو التالي : .

أولًا ـ القرآن الكريم : بلغ عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف خمس آيات ، فأول آية استشهد بها على الشهادة قوله تعالى: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلا اللّه﴾ [محمد١٩].

وعند إعرابه لقوله : (أشهد أن لا إله إلا اللّه) قال : أشهد فعل معرب عامله معنـوي وفاعله مسـتتر (١٦) فيه، تقديره: أنـا ، وأنْ مخففة مـن الثقيلة عاملة في ضمير الشأن المقدر ، كقوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ﴾ [المزمل ٢٠]

واستشهد بآية ثالثة وذلك عندما قال : لكن الرفع أولى في قوله: ﴿فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿إلَّا قليلًا﴾(١٧) [النساء٦٦]

وعند إعرابه لقوله : « أشـهد أنّ محمدًا عبده ورسـوله « قال : وأن مع اسمها

وخبرهـا منصـوبة المحل على أنه مفعول أشـهد ، وهو مع معمولـه جملة فعلية لا محل لها من الإعراب نحو : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر١]

وعند إعرابه لقوله « عبده » قال : عبده مرفوع على أنه خبرها ، والإضـافة للتشريف ، وللإشعار بأنَّ للعبودية اعتبارًا عند الله تعالى ، قال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾[الإسراء ١]

ثانيـاً ـ القـراءات القرآنية : استشـهد بقراءة واحدة عند قولـه تعالى: ﴿ما فعلوه إلا قليل ﴾ ﴿قليلاً ﴾[النسـاء٦٦] فقال : وقد نصـبوا المستثنى في مثل هذا المقام لكن الرفع أولى.[١٨]

ثالثاً ـ الحديث النبوي الشـريف : استشـهد العباسي بحديث واحد فقط في رسـالته فقال: وفي الحديث الصـحيح ، والنقل الوارد الصـريح على لسان سيد البشـر سيد ولد مضـر أنه قال: (لاإله إلا الله حصـني ، ومن دخل حصني أمن عذابي)[١٩]

رابعاً ـ الشـواهد الشعرية : استشهد بأربعة أبيات من الشعر في رسالته منها ما يذكر فيه البيت كاملاً ، وذلك كقول الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أنْ [هالك] كل من يحفى و[ينتعلُ][٢٠]

وقال عن تسمية محمدٍ ؛ لكثرة خصاله المحمودة دون أن يذكر اسم الشاعر:

بَلَغَ العُلَى بكمـالـــهِ كَشَفَ الدُّجَى بِجَمَالهِ
حَسُنَتْ جَميعُ خِصَالِهِ صَـلُّوا عـليـهِ وَآلهِ

وأحياناً ينسب الشعر لقائله فيقول : قال حسَّان :

وَشُقّ له مِن اسمهِ لِيُجِلَّهُ فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وقال الأعشى :

ما إنْ مدحتُ مُحَمَداً بِمَقَالَتِي ... بِمُحَمَدٍ ....[21]

وقد نَسَبَ هذا البيت للأعشى وهو لحسَّان

مذهبه النحويّ.

لم يُبْدِ العباسي مذهبه النحوي ، ولم يُشر إليه ، ولكننا إذا تمعنا في الأسلوب الذي اعتمد عليه في الإعراب ، رأينا أنه يعتمد على المنطق الجدلي ، فإن قالوا ، قلنا ، وكان عماده في ذلك : السماع والقياس والإجماع ، والعباسي كغيره من العلماء ، احتذى هذه الأصول ، وأغنى بها مادته العلمية.

ج- مقدمات التحقيق .

١- توثيق اسم الرسالة ، ونسبتها إلى مؤلفها:

وضَّحَ الشيح العباسي نسبة هذه الرسالة له فقال بعد أمَّا بَعْدُ ...

فيقول الملتجي إلى عفو ربِّ الناس: « حسن بن محمد السعيد العباس « ذو البضاعة المزجاة الفقير إلى مولاه ، لمَّا أشار عليَّ من يحب امتثال أمره ؛ لرفعة شأنه ، وعلو قدره ، هو الفرد العلم في زمانه ، وحيد عصره وعمدة أوانه سيِّدُ السادة الأشراف ، خلاصة القادة من آل عبد مناف السَّيد السند الوارث مولانا : «السيد أحمد بن محمد أبو الحارث » دام فضله ، وعلا ذكره ، أنْ أجمعَ شيئاً من كلام المحققين ، من فرائدِ عبارتهم ، ونص إشاراتهم ؛ لِتَقَرَّ به العينُ ، ويُجْلى به عن القلبِ الغينُ على كلمة « الشهادة » التي من تحصن بها نال الحسنى وزيادة، وخُتم له بالسعادة ، مع الإعراب والمعنى ، وصحة المبنى ؛ فأجبته إلى ذلك ... [22]

٢- زمن تأليفها :

ليس على النسخة ولا فيها ما يدل على سنة تأليف هذه الرسالة ، ولا يوجد

عليها تاريخ ميلاد أو وفاة لمؤلفها ، وكتب التراجم تخلو من ذلك .

٣ـ نُسَخ الرسالة المخطوطة ، ووصفها .

يوجد بين يديَّ نسختان من «رسالة في إعراب الشهادة» «لحسن العباسي»

النسخة الأولى: (المصورة) وهي نسخة مخطوطة مصورة ضمن مجموعة مخطوطات حصلت عليها من مكتبة المسجد النبوي الشريف أثناء زيارتي لمدينة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

رقم الحاسب ٧٥٢٠ رقم التصنيف ١ مجاميع

عنوان المخطوط : « رسالة في إعراب الشهادة » « أشهد أن لا إله إلا اللّه ...

اسم المؤلف حسن بن محمد السعيد العباسي

بداية المخطوط : الحمد للّه المستحق للعبودية ...

نهاية المخطوط : وويل لمن يعلم ولا يعمل ... من الروايات (هذا ما كتب على صفحة الرسالة)

النهاية في الرسالة : جملة معطوفة على جملة « أشهد أن لا إله إلا اللّه » وصلى اللّه على خير الأنام وأصحابه ...

نوع الخط : نسخ المقاس ٣٠×٤١سم

عدد الأوراق ٣ من ١ أ إلى ٣ أ عدد الأسطر ٢١ المقاس ٣١×٤٠

مصدر المخطوط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٤٠٠٦) الرياض

نوع الحفظ : مصور ورقي درجة الخط «جيد»

ملاحظات عامة : الخط جيد .

النسـخة : تامة واضـحة الخـط والتصـوير ، أُلحقت بها مسـألة فقهية لا مناسبة لها بموضوع المخطوط .

مكتبـة الحـرم النبـوي الشـريف « النحـو والصـرف والعروض « قسـم المخطوطات .

النسـخة الثانية : (الأصـلية) حصـلت عليها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

رقم ٤٠٠٦ ضمن مجاميع عدد الأوراق ٢ عدد الأسطر ٢١ المقاس ٢٤× ١٧,٥

المكتبة المصـور عنها المخطوط ورقمه فيها مشترى من غازي عبد المجيد ٩ قائمة ٥٣

الرسـائل التي في هذا المجموع تبدأ برسـالة في إعراب الشهادة لحسن بن محمد السعيد العباسي .

نُسخ أخرى وبيانات للمخطوط :

المكتبة الشاملة ـ خزانة التراث ـ فهرس المخطوطات ـ الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة ج١٦ ص ١

الرقم التسلسلي ٦٠١٥ الفن (نحو)

عنوان المخطوط : رسالة في إعراب كلمة الشهادة

اسم المؤلف : حسن بن محمد السعيد العباسي اسم الشهرة : العباسي

نسـخة في العالم اسـم المكتبة : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسـات الإسلامية

اسم الدولة : المملكة العربية السعودية اسم المدينة : الرياض

رقم الحفظ : ٣. ٢١٦٢ .٠

رقم ضبط : AU C ٠٩٢٠١٨٤٨٧٣٢

مصدر الفهرسة : AMAMara Sa RIAUC

المؤلف : العباسي . حسن بن محمد

العنوان : رسالة في إعراب الشهادة

مخطوطة حسن بن محمد السعيد العباسي

الوصف المادي ١٠ ص ٢٤×١٧ سم

البلد : المملكة العربية السعودية ـ المكتبة : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

رقم ضبط : AU C ١٣٢٠٣٤٦٠٠٩٥

مصدر الفهرسة : OQUARA SA RIAUC

المؤلف : العباسي . حسن بن محمد

العنوان : رسالة في إعراب أشهد أن لا إله إلا الله

مصدر : الكتروني حسن بن محمد السعيد العباسي

الموضوعات : اللغة العربية . نحو . مخطوطات

بيانات النشر : ٧١٧ ــ ١١٣٠

الوصف المادي : من ٣ ــ ١٠ ورقة رقمية ملف بدي إف

أوله : بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي ... أمَّا بَعْدُ فيقول ... لمَّا أشار عليَّ من يحب امتثال أمره .

نســخة تامة واضحة التصــوير ، بها آثار رطوبة . مرقمة . يوجد بها تعقيبات عليها . ضمن مجموع .

نســخ / محمد بن إبراهيم بن عثمان بن محمد بن شــاه حســين الديوريكي . فرغ من التأليف ١٠٠٧ هـ و(المشرف على الرسالة)

الديوريكي : محمد بن إبراهيم بن عثمان . ناسخ . مصدر الكتروني

المكتبة : جامعة أم القرى .

٤. منهجي في تحقيق رسالة في إعراب الشهادة

قــام عملي في هذه المخطوطة علــى المحافظة على النص المحقق ، والاهتمام به، ليخرج على الصورة التي وضعها المؤلف ، فلم أتدخل في نص الرسالة بتغيير أو إضــافة أو حــذف . والتزمــت قواعــد التحقيق المعتمدة عنــد الباحثين ، فجاء عملي في هذه الرسالة على النحو التالي :

أولًا . أُثْبَــتُ الَّنصَّ محققاً ، وعنيت بضــبطه ، كما أورده مؤلفه وفق القواعد الإملائيــة والنحوية ، واســتعملتُ علامات الترقيم المتعارف عليها ، التي توضــح النص، وتميز المعنى .

ثانيًا . ضــبطتُ الكلمات الموهمة ، والمستغلقة وشرحتُها ، وذلك بالرجوع إلى كتب المعاجم اللغوية الأصلية .

ثالثًا . أَتْمَمت ما أشــار إليه المؤلف بإشــارات عابرة من المسائل النحوية ، مع توثيقه من مظانه من الكتب الأصلية ، وذلك في الحاشية .

رابعًا: وَثَّقْتُ الآراء والأقوال والنقول بالرجوع إلى مصادرها الأصلية ، سواء أصــرح المؤلف بالمصــدر أم لم يصــرح ، أو بالرجوع إلى مظانها عند عدم العثور عليها .

خامسًا ـ خرجت الشواهد القرآنية ، وذكرت اسم السورة ورقم الآية .

سادسًا: ذكرت القراءات المتعلقة بالمسائل التي ذكرها المؤلف ، وخرجتها من مصادرها من كتب القراءات والمعاني والتفسير .

سابعًا ـ خرجت الأحاديث النبوية الشريفة ، من كتب الصحاح والسنن وغيرها ، مع إكمال ما كان ناقصاً .

ثامنًا: نسبت الشواهد الشعرية إلى قائليها مع ذكر البحر ، وذلك بالرجوع إلى الدواوين المطبوعة، مع تكملة الناقص من الأبيات ، وضبطها والإشارة إلى مصادرها .

تاسعًا: ترجمت بإيجازٍ للأعلام المذكورين في المخطوطةِ .

عاشرًا: نسبت الآراء التي لم يذكر المؤلف نسبتها ووثقتها من مصادرها ، وعلقت على ما يحتاج إلى تعليق من المسائل والآراء والإعرابات .

حادي عشر: وثقت التعريفات الواردة في الرسالة مع إكمال النص إنْ وجد .

ثاني عشر: فصلت ما أجمله المؤلف وأوضحت ما أبهمه استئناساً بالمصادر والمراجع.

ثالث عشر: جعلتُ آخر الدراسة نماذج مصورة من المخطوطة ، للعنوان والصفحة الأولى والأخيرة

د/ أيمن غباشي محمود زغيب(٢٣)



بداية المخطوط (الأصل)



نهاية المخطوط (الأصل)

القسم الثاني : النص المحقق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ المستحقِ للعبوديةِ ، والمنفردِ بالألوهيةِ عن الانفرادِ ، وسواهُ غيرُ معتد به ولا مراد ، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد ، وآله أئمة الهدى الأمجاد ، وأصحابه أولي الفضل والإرشاد ، ورضوان اللّه تعالى عليهم ، ومن تبعهم إلى يوم الدين . أمَّا بَعْدُ... [٢٤]فيقول الملتجي إلى عفو ربِّ الناسِ: «حسن بن محمد السعيد العباس»[٢٥] ذو البضاعة المزجاة [٢٦]الفقير إلى مولاه ، لمَّا أشار عليَّ من يحب امتثال أمره ؛ لرفعةِ شأنه ، وعلو قدره، هو الفرد العلم في زمانه ، وحيد عصره وعمدة أوانه سيِّدُ السادة الأشراف ، خلاصة القادة من آل عبد مناف السَّيد السند الوارث مولانا : « السيد أحمد بن محمد أبو الحارث » [٢٧] دام فضله ، وعلا ذكره ، أنْ أجمعَ شيئًا من كلام المحققين، من فرائدِ عبارتهم ، ونص إشاراتهم ؛ لِتَقَرَّ به العينُ ، ويُجْلى به عن القلبِ الغينُ[٢٨] على كلمة «الشهادة» التي من تحصن بها نال الحسنى وزيادة، وخُتم له بالسعادة ، مع الإعراب والمعنى ، وصحة المبنى [٢٩] ؛ فأجبته إلى ذلك طالباً من المولى أن أكون أحد السالك تلك المسالك ؛ رجاء الثواب لفضله العميم ، ومنِّه الجسيم.

قال اللّه تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ﴾ [٣٠]

وفي الحديث الصحيح ، والنقل الوارد الصريح على لسان سيد البشر ، سيد ولد مضر[٣١] أنه قال: [لا إله إلا اللّه حِصْنِي ، ومن دَخَلَ حِصني أَمِنَ عذابي] [٣٢]فهي الحصن الأكبر، وهِيَ عَلَمُ التوحيد التي من تحصن بها قد حصل له سعادة الأبد ، ونعيم السرمد [٣٣] فإعراب : ﴿أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللّهُ﴾ أشهدُ : فعلٌ معربٌ عاملهُ معنويٌّ[٣٤]وفاعله مستتر [٣٥] فيه تقديره « أنا » وأنْ مخففة من الثقيلة عاملة في ضمير الشأن المقدر ، كقوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ﴾ [٣٦]

وكقول الشاعر :

في فتيةٍ كسيوف الهِندِ قد علموا   أنْ [هالك] كل من يخفى و[ينتعلُ] [٣٧]

و «لا» نافية فيه بلا خلاف فيها ، و« إله » مبنيٌ معها ؛ لتضـمنه معنى « من » إذ التقديـر: لا من إله ، ولهذا كانت نصـاً للعمـوم ، كأنه نفى كل إله غير الله عز وجل من مبدأ ما يقدر إلى ما لا نهاية له مما يقدر فتدبر فأنه أمرٌ مقررٌ.

وقـال الأخفـش [٣٨] والمـبرد [٣٩] « لا إلهَ » كـ (خمسـةَ عَشَـرَ) فيكون لنفي الجنس وإله منصوب المحل على أنه اسمها[٤٠].

وعند الزجاج [٤١] أنَّ حركة اسـمها إعرابية ، فيكون منصـوباً لفظاً ، وعدم التنوين لا ينافيها ، فإنه ليس من لوازم الإعراب ، فيجوز انفكاكه عنه.

وعند البعض أنها لا تعمل فيه ، وهو وحده مرفوع المحل ، على أنه مبتدأ ، وأمَّا خبره فإنه محذوف بالاتفاق ، أي لا إله موجودٌ ، ويكثر حذفه.[٤٢]

فـإن قلت هل لا قدَّرت الإمكان ونفي الإمكان يسـتلزم نفـي الوجود من غير عكس .

قلـتُ لأنــه هنــا أي : «لا إله» ردٌّ لخطاب المشـركين في اعتقـاد تعدد الإله في الوجود ؛ لأن القرينة هي نفي الجنس على الوجود دون الإمكان ، ولأنَّ التوحيد هو بيان وجوده ، ونفي إله غيره، لا بيان إمكانه ، وعدم إمكان غيره ،

فإن قلت : إنَّ الخبر : هو الجزء المتم للفائدة [٤٣] وقد تم بتقديرك موجودٌ[٤٤]

قلنا لا نسـلم ذلك ؛ لأن صـاحب التصـريح [٤٥] عرف الخـبر بأنه : الجزء الذي حصل به أو بمتعلقه الفائدة التامة [٤٦]، وهنا لم تحصل الفائدة إلاّ بالمتعلق، وهو المسـتثنى ؛ لأنه هو المقصـود التام في نسـبة الوجود ، و «إلاَّ» حرف استثناء، والمستثنى مرفوع على أنه بدل من محل اسم لا .[٤٧]

فـإن قلتَ فكيـف يكون بدلاً مع أنه لا يصـدق عليه تعريف البـدل [٤٨] قلتُ لا نسلم عدم الصدق فإنه هو المقصود في نسبة الوجود المطلق ، وأمَّا النفي والإثبات العارضان عليه فلا كلام فيهما .

فإنْ قلتَ فهل الجلالة علمٌ ؟ [٤٩] قلتُ الظاهر أنها علم بشهادة إفادة التوحيد ، فلو لم يكن علماً ، لَمَا أفادت ، كقولنا : لا إلهَ إلا الرحمن .

فإنْ قلتَ أيّ بدل من الأبدال ؟ قلتُ قالوا على أنه بدل على معنى أنّ المستثنى فردٌ خاص من مفهوم الإله .

فـإنْ قلتَ هل يتصـور ها هُنـا بدل البعض ؟ قلتُ يتصـور مـن حيث النظر إلـى مفهوم إله . فـإن قلتَ هل يطلق عليه ؟ قلتُ الظاهر أنـه لا يطلق عليه حتماً لمادة الوهم ، ودفعاً للاشـتباه والالتباس، ولهذا صـور البحث في لفظ الاسـتثناء والمستثنى لا لفظ الجلالة .

فإن قلتَ قوله يتصور من حيث النظر إلى الأفراد يقتضي ذلك المهروب عنه. قلتُ : إنَّ التصـور والتعقل لا يسـتلزم الإمكان ، فضـلاً عن الوقـوع على أنَّ ذلك الجواب واردٌ على سبيل الحكاية والتقدير .

فـإنْ قلتَ فهـل يخالف هنا ما قـال أهل الكلام من أنَّ اللّه تعالى لا يوصـف بالمجانسـة . قلـتُ لا فإنَّ المراد من الجنس هناك المقـول على كثيرين المختلفين بالحقائق قولاً ذاتياً ، فالجنسية تقتضي إلى التركيب ، فامتنع اتصاف اللّه تعالى بها .

وأمَّـا المراد بالجنسـ هاهُنا فهو المقـول على ما تحته قولًا عرضـيًا ، فيكون المثبت بمعنى والمنفي بمعنى آخر ، فلا يتوجه ها هنا إشكالٌ أيضًا .

فإن قلت ما العامل في البدل ؟ [٥٠] قلتُ العامل فيه هو العامل في المبدل منه، وهو العامل المعنوي .

فإنْ قلتَ فهل يجوز النصب في المستثنى ؟

قلتُ لا شك في الجواز ، وقد نصبوا المستثنى في مثل هذا المقام لكن الرفع أولى في قوله تعالى : [ما فَعَلُوه إلاّ قليلٌ] (٥١)

فإنْ قلتَ فهل هذا كلام تامٌ غير موجب ؟

قلتُ نعم ، لأنَّ المراد من تمام الكلام ها هُنا هو أنْ يكون المستثنى منه مذكوراً فيه ، سواءٌ كان جميع أجزاء الكلام مذكوراً أم لا ولا مع اسمها وخبرها جملة اسمية مرفوعة المحل على أنها خبر ضمير الشأن ، وأن مع اسمها وخبرها منصوبة المحل على أنَّه مفعول « أشهدُ» وهو مع معموله جملة فعلية لا محل لها من الإعراب ، نحو : [إنَّا أعْطَيناك الكَوثر] (٥٢)

وإعراب « أَشْهَدُ أَنَّ مُحمداً عبدُهُ وَرَسُولُهُ»:

فـ « أَشْهَدُ» فعلٌ فاعله مستترٌ فيه ، و « أَنَّ » حرفٌ من المشبهة بالفعل ، فذلك مضمون الجملة، و « محمداً » منصوبٌ على أنَّه اسمها سُمي به لكثرة خصاله المحمودة .

بَلَغَ العُـلا بِكمالـهِ ... كَشَفَ الدُّجَى بجماله (٥٣)

حَسُنَتْ جَمِيع خصاله ... صَـلُّوا عليـهِ وآلـه

قال حسانُ :

وَشُقَ له من اسمه ليُجِلَهُ ... فَذُو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ (٥٤)

وقال الأعشى :

ما إنْ مدحتُ محمداً بمقالتي ... بمحمد ....(٥٥)

و« عَبْدُهُ » مرفوعٌ على أنه خبرها ، والإضافة للتشريف وللإشعار بأنَّ للعبودية اعتبارًا عند الله تعالى ، قال الله تعالى : [سُبْحَانَ الذي أَسْرى بعبدهِ ليلاً](٥٦)

فإنْ قُلتَ : لا شـك أنَّ المراد منه ها هُنا النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن أي معنى من معانيهِ يُناسب المقام ، فإنه يُقَالُ على معانٍ.

قلتُ الظاهر بمعنى أنَّ العبد الخاضع المتذللُ هو المناسب للمقام .

والواو في قولنا « وَرَسُوله » للعطف ، فائدته الدلالة على الاشتراك في المسند به. وفي هذا العطف الترقي ، فإنَّ كل رسولٍ عبد ، ولا كل عبد رسول ، والرسول إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام ، وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي ، فإنه أعم ، وأنَّ مع معمولها منصـوب المحل على أنهُ مفعول « أَشْـهَدُ » وهو مع معموله جملة معطوفة على جملة : « أشهدُ أن لا إله إلا الله » وصلى الله على خير الأنام ، وأصحابه الكرام.

قُوبِلَ خَطُّ المصنِّف والمُصنَّف.(٥٧)

الهوامش:

(١) ينظـر: صـحيح البخاري كتاب الإيمان باب ١ ج ١ ص ٨ ومسـلم كتاب الإيمـان باب قول النبي بني الإسلام على خمس ١/ ٣٤

(٢) اللوحة الأولى من المخطوط بعد صفحة العنوان ص٢ أ

(٣) ينظر : سـمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصـامي ت ١١١١هـ ط / القاهرة الأولى ١٣٧٩هـ ٣/ ٦٥ و٢/ ١٦ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٤٠٩

(٤) رقم ضبط المخطوط ١٣٢٠٣٤٦٠٠٩٥ AUC مصدر الفهرسة OQUARAAS RIAUC

(٥) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٢ أ

(٦) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٣ ب

(٧) اللوحة الثانية من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٤ أ

(٨) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٣ ب

(٩) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٣ ب

(١٠) اللوحة الثانية من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٤ ب

(١١) اللوحة الأولى من المخطوط بعد العنوان ص ٢ ب

(١٢) اللوحة الثانية من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٤ أ

(١٣) اللوحة الأولى من المخطوط بعد العنوان ص ٢ ب ورد في المخطوط (آلـك) و (ينتقل) وهذا تحريف وتصحيف وقد أثبت ذلك في التحقيق .

(١٤) اللوحة الأولى من المخطوط بعد العنوان ص ٢ ب

(١٥) اللوحة الثانية من المخطوطة بعد العنوان صفحة ٤ ب ، ٥ ج

(١٦) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد صفحة العنوان ص ١ أ

(١٧) اللوحة الثانية من المخطوط صفحة ٣ أ

(١٨) اللوحة الثانية من المخطوط صفحة ٣ أ

(١٩) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد صفحة العنوان ص ١ أ

(٢٠) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد صفحة العنوان ص ٢ ب

(٢١) اللوحة الثانية من المخطوطة بعد صفحة العنوان ص ٥ د

(٢٢) اللوحة الأولى من المخطوطة بعد صفحة العنوان ص٢ أ

(٢٣) أستاذ اللغويات (النحو ـ والصرف) المشارك بجامعة الطائف.

(٢٤) درج العلماء في مؤلفاتهم وكتبهم على أنه بعد البسملة ، والحمدلة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقولون : (أَمَّا بَعْدُ ...) ويأتون بالفاء بعدها ، وقد أعددت لهذا الأسلوب بحثاً بعنوان : " أسلوب " أما بعدُ " دراسة نحوية د/ أيمن غباشي زغيب ، وقد فصلت القول فيه ينظر : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية العدد الحادي والثلاثون المجلد الثالث للعام الجامعي ٢٠١٥

(٢٥) صاحب الرسالة في إعراب الشهادة

(٢٦) المزجاة : القليلة ينظر : الإتقان للسيوطي تحقيق مركز الدراسات القرآنية ٣/٩٦٥ والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي تحقيق محمد التنوخي ط / دار الكتاب العربي ط/ أولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م ص ٨٦ والمزجاة : اسم مفعول للفعل (أزجى) بمعنى أرسل . وهي صفة مجرورة وعلامة جرها الكسرة ينظر: إعراب يوسف ت عبد القادر أحمد عبد القادر تقديم د/ عبده

بدوي مكتبة السندس ط أولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م ص ١٨٢ ، ١٨٤ ووصف بالمزجاة ؛لأنها مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها لقلته ، ينظر : المسعف في لغة وإعراب سورة يوسف د/ف عبد الرحيم أمانة المؤسسة الإسلامية تشبناى الهند ص ١٩٧ وإعراب القرآن الكريم أد محمد الطيب الإبراهيم ط/ دار النفائس ص ١٩٧

(٢٧) كان آية في العقل والذكاء مرجعاً للأشراف في جميع أمورهم ، وإذا حكم بأمر لم يقدر أحد أن يستدرك عليه فيه شيئاً لحسن إحكامه وشدة أحكامه ، ولاه حسن باشا في طيبة ستة أشهر أو قريباً منها ، مات بمكة في تاسع رجب سنة ست وثمانين وألف للهجرة ، دفن في قبة السيد مسعود بن الشريف حسن ، ووضع عليه تابوت عظيم ، ينظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصيمي ت ١١١١هـ طبعة القاهرة الأولى سنة ١٣٧٩هـ ج٣ ص ٦٥ وينظر أيضاً ٢/١٦ و٣٣ و٣٦ و٦٠ و٦١ و٤٠٩

(٢٨) الغين : قال الفيروز آبادي وغين على قلبه غيناً تغشته الشهوة ، أو غطى عليه وألبس ، أو أغشي عليه . ينظر: القاموس المحيط مادة (غين) ص ١٢٢٩ ط دار الكتب العلمية

(٢٩) يجب على المعرب أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً ومركباً ؛ فإن الإعراب فرع المعنى . ينظر: مغني اللبيب ٢/٥٢٧ والإتقان ٤/ ١٢١٩ و١٢٢٠

(٣٠) سورة محمد آية ١٩ وينظر : إعراب القرآن للنحاس ٩٩٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/١٢

(٣١) مُضَر بن نزار كزُفَر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء وسمي بذلك ؛ لولوعه بشرب اللبن الماضر ، أو لبياض لونه . . ينظر: القاموس المحيط مادة (مضر) ص٥٠٠

(٣٢) حديث قدسي ٧٦ عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي" ينظر : الحلية ١/١٩١ و٣/١٩٢ والأحاديث المسلسلة ص٦٧ ولسان الميزان ٢/٦٣ والإبانة الكبرى رقم ٢٠٢١ وتاريخ بغداد ١١/ ٢٢٥ وعن علي بن أبي طالب. رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل عن الله تبارك وتعالى "لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي" والحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥/ ٤٦٢ ط / دار الفكر بيروت ت / على مشيري

(٣٣) قال الفيروز آبادي : "السَّرمَد" الدائم والطويل من الليالي ينظر القاموس المحيط ص ٣١٢

(٣٤) قال ابن مالك : ارفع مضارعاً إذا يُجَردُ من ناصبٍ وجازمٍ كـ " تَسْعَدُ "

إذا تجرد الفعل المضارع عن عامل النصب ، وعامل الجزم ، رفع ، واختلف في رافعه فذهب قوم إلى أنه ارتفع لوقوعه موقع الاسم ، فيضرب في قولك : زيد يضرب " واقع موقع " ضارب " فارتفع لذلك ، وقيل ارتفع لتجرده من الناصب والجازم وهو اختيار المصنف . ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤/ ٣

(٣٥) اللوحة الأولى من المخطوطة الصفحة الأولى أ .

(٣٦) المزمل ٢٠ قال مكي بن أبي طالب : " أنْ مخففة من الثقيلة ، والهاء مضمرة وسيكون الخبر ، والسين عوض من التشديد في النون ، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٤٢٢/٢ والإتقان للسيوطي ٣/ ١٠٥٨ و ١٠٥٩

(٣٧) البيت من بحر الطويل وهو للأعشى في ديوانه ٤١٧ و٤١٩ والكتاب لسيبويه ١/ ٢٨٢ و٢/ ٧٤ و٢/ ٧٤ و١٢٣ والمقتضب ٩/٣ و أمالي ابن الشجري ٢/٢ والإنصاف ١٩٩/١ والأصول ٣٢٩/١ وحجة القراءات ١/ ٣٣٣-٤٩٦ والمحتسب ٣٠٧/١ ومعاني الأخفش ٧/٢ والمفصل ١/ ٣٩٦ ومعاني القرآن للنحاس ٥٠٦/٤ وخزانة الأدب ١١/ ٢٧٦ والشاهد فيه " أن هالكُ " أي أنه ذكر العباسي (آلك) و (ينتقل) والوارد في المصادر السابقة :(هالك) و (ينتعلُ).

العرب: (يخفى) كذا في المخطوط، والصواب: يحفى؛ بالحاء، كما في المصادر والديوان.

(٣٨) الأخفش : هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١١هـ أو ٢١٤هـ والخفش صغر العين وضعف البصر خلقة أو فساد في الجفون بلا وجع ينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ٨٣/٢ وينظر إنباه الرواة للقفطي ٢٧٨/٢ ومعجم الأدباء ٢٤٨/١٣ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٣٨١ و رأيه في معاني القرآن ٢٤/١ و٢٥ وشرح الرضي على الكافية ٢١١/٢والارتشاف ٣/ ١٢٩٦

(٣٩) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي البصري اللغوي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ من مؤلفاته الكامل في الأدب والمقتضب ، ينظر السير ١٣/ ٥٧٦ وبغية الوعاه ٢٦٩/١ قال سيبويه : ولا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين ونصبها لما بعدها كـ نصب إنَّ لما بعدها ، وترك التنوين لما تعمل فيه لازم ؛ لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد ، نحو خمسة عشر ، ينظر: الكتاب ٣٤٥/١ والمقتضب ٣٥٨/٤ وترشيح العلل ١٥٤ والمغني لابن فلاح ٢٤٣/٣

(٤٠) وقال ابن هشـام : إنَّ " لا إله " كخمسـة عشـر . ينظر : مغني اللبيب ٣/ ٢٨٥ وقال السـيوطي : وقيل تركيبه معها تركيب خمسـة عشر ، بدليل زواله عند الفصل ، ينظر: الهمع ٢/ ١٩٩ الإتقان ٤/ ١١٥٩

(٤١) الزجاج : إبراهيم بن محمد بن السـري أبو إسـحاق البغدادي النحوي المتوفى سـنة ٣١١هـ من مؤلفاته : معاني القرآن وإعرابه والاشتقاق ينظر : إنباه الرواة ١/ ١٩٤ وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠ ورأيه في : معاني القرآن وإعرابه ٦٩/١

(٤٢) يحـذف خـبر لا النافية للجنس : إذا دل دليل على خبر "لا النافية للجنس فالأكثر حذفه ، عند الحجازيين ، وأوجب التميميون والطائيون حذفه ، ينظر : الكتاب لسـيبويه ٢٩٩/٣ والمقتضـب ٤/ ٣٧ والإيضـاح العضـدي ٢٥٥ والمفصل لا٢٩٢ وشـرح المفصل ١٠٧/١ وشرح الرضـي على الكافية ٣٣٨/١ ورصـف المباني ٣٣٧ وشـرح ألفية ابن مالك للهواري ٢/ ٧٢ وتوضـيح المقاصـد ٣٧٣/١ والمساعد ١/ ٣٤١ والهمع ٢٠٢/٢ وشرح الأشموني ٢/ ١٧ .

(٤٣) ينظر: شرح ابن عقيل ١/ ٩٥ قال ابن مالك :

والخبرُ الجزءُ المتمُ الفائدة كاللهُ برٌ والأيادي شاهدة

(٤٤) وقـد اختلـف في تقديـر الخـبر ، فقيل التقديـر : " موجود " أو " كائـن " أو " لنا " وعند كثير من المفسـرين أن التقدير : " لا إله بحق " ؛ لأن المعنى ، لا معبود مسـتحق للعبادة إلا الله ، وهذا التقديـر الأخـير أولـى ؛ لأن نفي المعبود مطلقاً ليس بصـادق ، فالعبادة لغـير الله واقعة ، كثيراً ، وقـد عُبـدت الأصـنام والأوثان ، قـال تعالى " ما نعبدهـم إلا ليقربونا إلى الله زلفـى " الزمر ٣ وادعـى فرعـون الألوهية " وقـال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري " القصـص ٣٨ وعُبدت الجن " وجعلوا لله شركاء الجن " الأنعام ١٠٠ ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح ٨٠٠/٢ وثمار الصـناعة ٣٤٧ ومفاتيح الغيب ٤/ ١٥٧ وشـرح المفصل ١/ ١٠٧ والإيضاح في شرح المفصل ١/ ٣٧٢والاسـتغناء ٣٠٨ والبحـر المحيط ١/ ٤٦٣ والدر المصـون ٢/ ١٩٧ ومغني اللبيب ٢/ ٥٧٣ والمرقاة ١٥٣ و ١٥٧ و١٦٦ ومعنى " لا إله إلا الله " ٧٤ والتجريد ٤٣

(٤٥) صـاحب التصـريح : هو زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري الشـافعي النحوي المصري المعروف بالوقاد وبصاحب كتاب التراكيب المتوفى سنة ٩٠٥هـ ينظر : الأعلام ٢/ ٢٩٧ وشذرات الذهب ٢٦/٨ ومعجم المؤلفين ٤/ ٩٦ وبدائع الزهور ٣/ ٤٢٥ والمدارس

النحوية ٣٥٩

(٤٦) ينظر : : شرح التصريح ١/ ١٩٨ تحقيق محمد باسل عيون السود منشورات محمد على بيضون ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

(٤٧) للعلماء في إعراب لفظ الجلالة " الله " أقوال :

أولًا - وجه الرفع : -

١- أنَّ لفظ الجلالة بدل من موضع لا مع اسمها ؛ لأنها عند سيبويه في محل رفع مبتدأ .

٢- أنه بدل من محل اسم لا ، قبل دخولها ؛ لأنه كان مبتدأ .

٣- أنه بدل من الضمير المستتر في خبر لا المحذوف .

٤- أنَّ إلاَّ بمعنى غير وتعرب :

أ- صفة لـ إله مرفوعة مراعاة لمحله قبل دخول " لا " مضافة إلى لفظ الجلالة والتقدير : " لا إله غير الله "

ب- خبر لـ " لا إله " ولا إله في محل رفع مبتدأ .

ج- إلاَّ الله في محل رفع مبتدأ خبره " لا إله "

د - إلا الله فاعل لـ إله سدَّ مسد الخبر ، وإله بمعنى مألوه .

ثانيًا - وجه النصب -

١- إلاَّ الله بمعنى غير الله صفة لاسم لا مراعاة للمحل .

٢- النصب على الاستثناء ، ولا يجوز أن يكون بدلاً من اسم لا ؛ لأن اسمها نكرة ولفظ الجلالة أعرف المعارف . والبدل على نية تكرار العامل

وأشهر هذه الآراء الرفع على البدلية من موضع لا مع اسمها ، أو من موضعها قبل دخول " لا " وهو الذي أرجحه ، ينظر : الكتاب ٢/٢٧٥ والمقتضب ٣٧٩/٤ ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٨ والمفصل ٣٠، ٧٠ والتبيان ١٣٢/١ ، ٢/ ٩١٤ وشرح المفصل ١/ ١٠٧ و ٨٩/٢ ، ٩١ والكافية في النحو ١/ ١١٢ وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/ ٢٩٣ وشرح التسهيل ٢/ ٥٦ -٢٩٨ والاستغناء ٣٠٧ وشرح الرضي على الكافية القسم الأول ٢/ ٧٦٣والبحر المحيط ١/ ٤٦٣ والارتشاف ٢/ ١٦٧ ، ٣١٢ والمساعد ١/ ٥٦٧ ، ٥٧٨ وشرح التصريح ١/ ٥٤٥

(٤٨) اللوحة الأولى من المخطوطة الصفحة الثانية ب

(٤٩) ذكر العلماء أنَّ المختار أنَّ هذا اللفظ اسم علم لله تعالى ، وأنه ليس بمشتق البتة ، ينظر : مفاتيح الغيب ١/ ٣٧ تفسير البسملة و تفسير الفاتحة ١٢١ و١٤٣ و١٤٤ والكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/٩٦ و٣٠٩٢ وغرائب التفسير ١/٧٥ وحاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ١/ ٦٠

(٥٠) ذكر النحاة أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه ، ينظر : الكتاب لسيبويه ١/ ١٥٠ و١٥١ و٢/ ٣٨٦ وارتشاف الضرب ٢/٦١٩ وأوضح المسالك باب النعت والأشموني ١/ ١٩٤ وشرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٨٠

وذهب جماعة من النحويين إلى أن العامل في البدل غير العامل في المبدل منه ... ينظر : أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ٢٦٥ و إملاء ما من به الرحمن سورة التوبة ٢/ ١٥ والإنصاف مسألة القول في أولى العاملين بالعمل في التنازع ١: ٨٢

(٥١) النساء ٦٦قرأ الجمهور " إلا قليل " بالرفع على البدل من الواو في فعلوه ، وقرأ ابن عامر : " إلا قليلاً " بالنصب علي الاستثناء ، وهي قراءة أبي ابن كعب وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ، وقراءة عبد الله ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ، ينظر السبعة ٢٣٥ ، وحجة القراءات ٢٠٧ ومشكل إعراب القرآن ١/١٩٥ والتيسير ٩٦ والعنوان ٨٤ والنشر ١/ ٢٥٠ وقال ابن هشام ووجه الاستشهاد مجيء ما قبل إلاَّ مسبوقاً بـ ما النافية " ما فعلوه " فيعرب ما بعد إلاَّ بدلاً من الضمير المتصل بالفعل ، بدل بعض من كل عند البصريين ، وذكر الشيخ خالد الأزهري : أنه على نية تكرار العامل ؛ إذ التقدير : ما فعلوه إلاَّ فعله قليل منهم ، وهو عطف نسق عند الكوفيين ، ينظر : أوضح المسالك حول الاسم الواقع بعد إلا وحكمه وشرح التصريح ١/٣٥٠ وينظر اللوحة الثانية من المخطوطة الصفحة الثالثة ج

(٥٢) الكوثر ١

(٥٣) الأبيات من بحر الكامل المجزوء وهي في كتاب عشرة النساء للنسائي باب ضرب الرجل زوجته ١/١٣٣ والسير والشمائل باب كيف أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/٣١٢

(٥٤) البيت من بحر الطويل ينظر : ديوان حسان تحقيق د/ وليد عرفات وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٢١ ط/ دار طيبة وتفسير البغوي ٢/١١٥ و ٨/٤٦٤ وتفسير السمعاني ٦/ ٣٥٠ والمطلع على ألفاظ المقنع ص٨ والنكت والعيون سورة الصف ٥/٥٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ١/٣٣٣ والجواهر النيرة باب الآذان ١/ ١٧٦

(٥٥) البيت قاله حسان للنبي صلى الله عليه وسلم وهو من بحر الكامل التام وتمامه:

لكن مدحت مقالتي بمحمد

ينظر محاسـن التأويل تفسـير القاسمي باب ١١٧ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تحقيق / علي عبد الباري عطية ٣١١/٢ سورة المائدة ط/ دار الكتب العلمية بيروت وتاج العروس من جواهر القاموس ٢٤١/١٦ والمثل السائر ٣٥٧/٢ النوع الثلاثون .

وقد نسبه الحسن بن محمد السعيد العباسي للأعشى خطأ

(٥٦) الإسراء ١

(٥٧) اللوحة الثانية من المخطوطة الصفحة الرابعة د

علاقة الأدب والنقد بالنفس والأحاسيس

الأستاذ بن عيني عبد الله

جامعة بومرداس الجزائر

تعريف الأدب:

يُجمع الدارســون على أنه لا يوجد تعريف جامــع مانع يعطينا المفهوم الوافي للأدب[١]، ومع ذلك لا نعدم أن نجد جملة من الدارسين تعطي تعريفا لهذا الفن، وتكاد التعريفات الخاصــة به تتقارب في الماهية الحقيقية له على اختلافها، ومن هذه التعاريف ما جاء به شــوقي ضيف من كون الأدب هو ذاك «الكلام الإنشائى البليغ الذى يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعرا أم نــثرا»[٢]، ويذهــب الرافعي إلى «أن الأدب هو حفظ أشــعار العــرب وأخبارها والأخــذ من كل علم بطــرف»[٣]، ومحمد مندور يقول بــأن «الأدب هو كل ما يثير فينا بفضــل خصائص صياغته إحساســات جمالية، أو انفعالات عاطفية أو هما معا»[٤]، أما قطب فيرى بأنه «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»[٥]، في حين يذهب أحمد الشــايب إلى أنه «الكلام الذي يصــور العقل والشعور تصويرا صادقا»[٦].

تعريف الأحاسيس والعواطف:

هــي جملة من الانفعالات التي تكون لها القدرة على نقل الصــورة الحقيقية

لمشــاعرنا إلى الآخرين، تتميز بكونها لا إرادية في الغالب، وتؤدي إلى اســتجابات لا إرادية للمواقف المختلفة، فيتولد عنها تحريك للســلوك الإنساني وتوجيهه نحو عمل ما(٧).

علاقة الأدب بالأحاسيس:

لا أحد ينكر أن أحاســيس الإنســان على صــلة وطيدة بما يصدره من إبداع، أي إن الأدب لا يســتغني بحال من الأحوال عن تلك العواطف التي تدور في جوانح المبدعين، فالمبدع عندما يلتقي بمؤثر ما يتولد له انفعال وشــعور بإزائه أي تتكون لديه تجربة شعورية، فينقلها لنا نقلا موحيا في صورة مثيرة للانفعال، هو انفعال مســتمد مــن الانفعال الــذي كان في نفســية المبــدع، ويمكن أن يكــون الانفعالان متشــابهين إلى حد كبير إذا كان المبدع عبقريا، وله القدرة على أن يجعل متلقيه يعيش التجربة الشعورية ذاتها(٨).

وهذا يعني أن الانفعال عند متلقي الإبداع يتماشــى مع ما وهب مبدع النص من قدرة على نقل انفعاله، وما شعر به اتجاه الشيء، فإن زادت الموهبه والمقدرة تنامــى الانفعــال لدى المتلقي، وكان شــعوره بالشــيء أكــبر، أمــا إن قلّت الموهبه والمقدرة فسيكون حتما الانفعال محدودا إن لم نقل ضعيفا.

إن «التجارب الشــعورية إذًا هي مادة التعبير الأدبي...وقد يبدو هذا واضحا في الشعر –والغنائي منه بصفة خاصة– ولكنه في الحقيقة متوافر في سائر فنون الأدب»(٩)، وذلك لأن الشــعر لغة القلب أما النثر فلغة القلب والعقل معا، وبالتالي فــإن الأحاســيس وكل مــا يدور في النفــس يكون أبــيَن وأظهر في الشــعر الغنائي الوجداني.

والطــرح على هذه الشــاكلة نجــده عند نقادنــا القدماء، فكثــيرا ما ربطوا الإنتاج الأدبي بالحالة الشعورية لمنتجه، وبحثوا في الإنتاج الشعري للشاعر ومدى قدرته على التعبير عن نفســية صــاحبه، بل جعلوا لكل شاعر حالة شعورية ينفرد

بها عن غير، ويتفوق عليهم في قرض الشعر حتى قيل «كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب. وزاد قوم: وجرير إذا غضب»(١٠).

وذلك لأن المشاعر النفسية لهؤلاء الشعراء مختلفة ومتفاوتة في الانفعال بالأشياء، فقد ينفعل زهير ويطرب لشيء من الأشياء يثيره، ولكن لا يرقى طربه إلى الأعشى الذي كان طربا على طول الخط، لأنه مدمن خمرة أفنى فيها حياته، والخمرة عامل مهم في الطرب، ولكنّه في الرغبة لا يدرك قدر زهير الذي عرف أنه ما رغب في أحد إلا مدحه بما فيه دون معاظلة، وفاق أقرانه في ذلك، ناهيك عن التفاوت بين الشعراء في المقدرة على النظم، واختلاف الموهبة الشعرية التي يتميز بها كل واحد.

وأتى العصر العباسي واستمر القول بفكرة ارتباط الأدب بخلجات النفس، وما يدور فيها من أحاسيس وعواطف، «إذ المؤكد أن كثيرًا من النقاد والبلاغيين العرب قد لمسوا مظاهر هذه العلاقة على نحو أو آخر؛ فانتبهوا إلى الظروف التي تواتي النفس فتنشئ الأدب كما أحسوا بتأثير الأدب في النفس وإثارة ألوان عدة من المشاعر، غير أن كتابات هؤلاء لم تتجاوز مرحلة الإحساس المبهم إلى الشرح الموضوعي، فلم يحددوا معالم التجربة الفنية، كما لم يشرحوا لماذا تتأثر النفس بهذا العمل الأدبي أو ذاك شرحا علميا موضوعيا. وربما استثنينا هنا عبد القاهر الجرجاني الذي حاول أن يشرح الدلالات النفسية لأشكال التعبير، ولكنه في الحقيقة لم يتجاوز الظواهر الفنية، فلم تتجاوز محاولته هذه مرحلة تأكيد الدور الذي تلعبه النفس في تشكيل العبارة»(١١).

إن القدماء أكدوا على أن هناك ظروفا معينة تلائم النفس، وتثير الأحاسيس فتنتج أدبا، كما تنبهوا إلى أن هذا الأدب يتمازج مع عواطف المتلقين وأحاسيسهم، وخير من مثل هؤلاء النقاد، وجاء بنظرة متفردة عن علاقة الإحساس بالأدب هو عبد القاهر الجرجاني؛ حيث أقر بأن الإبداع على صلة

وثيقة بالأحاسيس والمشاعر، وفي هذا يقول: «فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده»(١٢).

ولا شك أن الجرجاني يؤكد من خلال هذا القول على ارتباط الأدب بأحاسيس المتلقين، فاستحسان شعر الشاعر أو استهجانه مرده لا إلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر في الفؤاد، أمر لايُدرك بالأبصار، أمر متعلق بالشعور والانفعال، أمر يحسه المتلقي وهو يواجه الإبداع المثير، فالمبدع عند الإبداع يفرغ فيضا من الإحساس، ولا يتلقى هذا الإحساس إلا إحساس مشابه له في السمو والفيض.

وذهب ابن قتيبة قبله إلى كلام قريب من هذا حيث قال: «للشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب. وقيل للحطيئة، أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية، فقال: هذا إذا طمع»(١٣).

إنّ هناك أشياء تحرك أحاسيس الشاعر وتجعله يبدع في قرض الشعر، هي أشياء من العاطفة ذاتها في بعض الأحيان، وقد شهد بهذا حتى الشعراء على أنفسهم على غرار الحطيئة، الذي شهد لنفسه بالتفوق الشعري، وقدرته الفائقة على المدح إذا أغري بالعطايا الكثيرة، وسيطر عليه الطمع الذي يدفعه إلى الحصول عليها.

وإذا كان هناك ما يبعث على قول الشعر والانطلاق فيه، فإنه توجد «للشعر تاراتٌ يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريضه. وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب، ولا يُعرف لذلك سببٌ، إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاءٍ أو

خاطر غم. وكان الفرزدق يقول: أنا أشـعر تميم عند تميم، وربما أتت عليَّ ساعةٌ ونزع ضرس أسهل علي من قول بيت، وللشعر أوقاتٌ يسرعً فيها أتيه، ويسمح فيها أبيـه. منها أول الليل قبل تغشـي الكرى، ومنها صـدر النهار قبـل الغداء، ومنها يوم شـرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسـير. ولهذه العلل تختلف أشـعار الشاعر ورسائل الكتاب»(١٤).

فالشـاعر قد يتملكه العجـز التام، ويفقد القدرة على الإبداع وقول الشـعر، لظرف من الظروف يعترض صـفاء قريحته، ويخالط نفسـيته، فإن كان يشـعر بضـيق وفتـور رغبة، يغطي على أحاسـيس فلا يسـتطيع شـيء إثـارة انفعالاته؛ بـل إنـه في بعض أوقات اليوم حسـب ابن قتيبة يعجز الشـاعر عـن خوض غمار العملية الإبداعية، وذلك بسبب خمود يصيب العاطفة حتما إذ لا تجد ما يفعّلها، ويحركها فتبدع.

ويـرى ابن قتيبة أن بعض أوقات النهار قـد تكون عاملا في خمود العواطف، وانعـدام الانفعـال بالمؤثرات كيفمـا كانت، ومهما بلغت درجـة تأثيرها، وقد قال بشـر بن المعتمر في هذا: «خذ من نفسـك ساعة لنشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها لك؛ فإن قلبك في تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرق حسنا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصـدور، وأسـلم مـن فاحش الخطأ، وأجلب لكل غـرة من لفظ كريم ومعنى بديع»(١٥).

إن إبداع المبدع نابع من انفعال دار في جوانحه، وولد تجربة شعورية تمخض عنهـا نتاج موجه إلى المتلقـين وهو بدوره ينفعل ويعيش التجربة الشـعورية ذاتها ومن ثم يمكن القول إن الأدب يرتبط بأحاسـيس المبدع وأحاسيس المتلقين، وخير مثال على ذلك تمجيد العرب للشـعر لأنه كان يفعل بها وبقلوبها ما لا يفعله شيء آخـر، بحيـث كان يؤثر فيها، ويغير مسـار حياتها تغيرا له وزنـه في الحياة، لهذا كانت تقام الحفلات وتقدم التهاني عندما يبرز شاعر في قبيلة.

ولعل خير شهادة على تأثير الشعر بالقلوب ودغدغته لعواطف الناس، وتغييره

لسلوكاتهم، هو ما جاءت به أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: «ما خرج من القلب وقع في القلب، وما خرج من اللسان لم يتعد الآذان»[١٦]، فالشعر النابع من القلب، الممزوج بالعواطف المتأججة الصادقة في شعورها بالأشياء، دون شك سيكون محل قبول من طرف أحاسيس المتلقين، أي إن الانفعال بالشعور الصادق يكون أكبر وأكثر تأثيرا.

واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر حكمة في قوله: «إن من الشعر حكمة»[١٧]، إن الشعر علم وفائدة تضج بالحكم والفوائد الحياتية المختلفة، وهذا كله مغلف في ثوب من التعبير يسحر العقول، ويفتن القلوب، ويقلبها كيف شاء، وكأنها لا تعي إلا ما يرد عليها من شعر، على أن هذه الحكمة يجب أن تكسى ثوبا من البيان ينفث نفث السحر، فتبلغ غايتها في التأثير، وتحريك المتلقين إلى ما يراد منها، لهذا قال الرسول صلّى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا»[١٨].

وانظر كذلك قوله في شعراء الدعوة «هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل»[١٩]، كما أنه قال لحسان بن ثابت «اهجهم -يعني قريشا- فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام، في غلس الظلام، اهجهم و معك جبريل روح القدس، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات»[٢٠].

فالتجربة الشعورية الصادقة تقوّم السلوك، والتعبير الجيد عنها يسحر القلوب ويذهب بالنفس كل مذهب، وشعر حسان يكسر قلوب المشركين ويجعل معنوياتهم في الحضيض أكثر مما يفعل السيف والرمح؛ فحسان لوحده بتجربته الشعورية يمكن أن يفعل بالمشركين أكثر مما يفعل جيش بأكمله.

وقد شهد النقد العربي القديم صيحات كثيرة تقر بالفكرة ذاتها التي أقر بها ابن قتيبة والجرجاني، وهذا عند الآمدي وقدامة وابن طباطبا والقرطاجني وغيرهم، وذلك لكونهم هم أيضا ربطوا الإبداع بنفسية صاحبه، وما يدور فيها من عواطف وانفعالات، واقفين على الربط بين أحاسيسه وتجاربه الحياتية، وما يتبع ذلك من تعويض عن الإحساس بالنقص، مبرزين قدرة المبدع على تحريك

وجدان متلقيه، والتأثير فيه بل التأثير في عواطفه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القدماء، لم يستعملوا في هذا الباب كلمة إحساس أوعاطفة «فأنت تقرأ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة مثلا، فتجد فيه قول الشعر للرغبة أو الرهبة، ولكن لا تجد فيه كلمة عاطفة؛ لأنها لم تخترع إلا في العصر الحديث، وكذلك في كتاب العمدة لابن رشيق وفي غيره من الكتب»[٢١].

ولم يخرج الدارسون في العصر الحديث عن هذا النهج خاصة بعد ظهور علم النفس، الذي أكد على أن الأديب في حد ذاته حالة نفسية تصب كل ما تحس به في أعماقها، فهم بدورهم ربطوا الأدب بالإحساس والعاطفة وجعلوا تفسيراتهم للأدب تنطلق من نفسية المبدع.

ومن الأدباء الذين أكدوا على أن الإبداع الأدبي على علاقة وطيدة بالمشاعر سيد قطب، وهذا عند تعريفه للأدب الذي ذكرناه سابقا، حيث أشار إلى أن «التجارب الشعورية إذن هي مادة التعبير الأدبي...وقد يبدو هذا واضحا في الشعر -الغنائي منه بصفة خاصة- ولكنه في الحقيقة متوافر في سائر فنون الأدب. ونضرب مثالا بالقصة والتمثيلية، فالأدب لا يملك أن يعبر عنهما تعبيرا موحيا يثير انفعالنا ما لم يستحضر هو نفسه التجارب الشعورية لأبطالهما وحوادثهما وجوهما، وينفعل بهما انفعالا معينا»[٢٢].

وأحمد أمين بدوره يؤكد على هذه الصلة الوثيقة بين الأدب والعاطفة، مشيرا إلى أنها «عنصر هام وقد كثر في تعبير الأدباء المحدثين أن فلانا مشبوب العاطفة أو هو ذو عاطفة بليدة، وهذه العاطفة هي التي تمنح الأدب الصفة التي نسميها الخلود، فنظريات العلم ليست خالدة...وإذا كانت العواطف أساسا من أسس الأدب وهي التي تجعله خالدا، وكانت العواطف لا تتغير حبب إلينا قراءة الشعر مرارا. فنحن لا نمل من إعادة قراءة المتنبي أو أبي العلاء، على حين أننا نمل بسرعة من قراءة كتاب علمي متى كنا نعلم ما فيه»[٢٣].

ويورد الشـايب فكرة متممة لما سبق ومؤكدة على أن الأدب والأديب والمتلقين للأدب لا يسـتغنون بحـال من الأحوال عن الأحاسـيس والعواطـف، حيث يقول: «فـإذا قلنـا: إن العاطفة يجـب أن تكون صـادقة أردنا بهـذا أن الأديب يجب أن يحس في نفسـه الحزن أو الحماسـة أو الإعجاب الذي يطالبنا أن نحسه أيضا... فمن المشـكوك فيه أن يسـتطيع الأديب عرض العواطف القوية أو بعثها في نفوس قرائه دون أن يحسـها في نفسـه قوية؛ ثم ينفس عنها بهذا الأدب القوي التأثير، والشـاعر لايبكيك إلا إذا اسـتنفد ماء شؤونه ولا يشـجيك إلا إذا استطار الهوى بلبه، والعامل الفذ للظفر بالسلطان العاطفي على القراء هو انبعاث الشعر والنثر عن نفس منفعلة صادقة الشعور»[٢٤].

وهـذا يدفعنا إلى القول بأننا «ما دمنا قادرين علـى أن نعيش تجارب هؤلاء الأدباء -مرة أخرى- وننفعل بها كما انفعل أصـحابها، فإن هذا رصـيد يضـاف إلى أعمارنا، وزادٌ يضـاف إلـى أزوادنا في الرحلة القصـيرة المحدودة على هذا الكوكب»[٢٥]. فالأديب إذًا هو وسيلة تمكننا من أن نعيش حياة أطول، حياة تفيض بالتجـارب الحيـة المتنوعـة، تجـارب غذتها العاطفـة فجعلتها مفعمـة بالحياة، وجعلتنـا نلتفت إليها أحسـن التفـات ننهل منها، ونرتوي، فنتمكن من السـير في درب النجاة.

النقد الأدبي وعلم النفس:

عـرف العصـر الحديث ثورة علميـة منقطعة النظير نتج عنهـا ظهور علوم جديدة، افتن الناس بها، وانكبوا على دراستها وسبر أغوارها محاولين الاستفادة منهـا، وتطبيـق مبادئها، ونظرياتهـا في مختلف مجالات الحيـاة، ومن بين هذه العلوم علم النفس.

هذا العلم قد سخره الدارسون لخدمة الأدب ونقده، فكان أن درست الأعمال الأدبية من الوجهة النفسية، فسلط الضوء على صاحب العمل الأدبي، كما درست تجليات الحركة النفسية للأبطال داخل الأعمال الأدبية، وحاول الدارسون عموما

استعمال علم النفس في كافة المجالات المتعلقة بالعمل الأدبي.

وقد يعتقد البعض أن الدراسة النفسية للأدب عند العرب وليدة هذا العصر، ولم يعرفوها إلا عندما وفدت من عند الغرب، إلا أن هذا الاعتقاد قد جانب الصواب، إذ عرف العرب منذ القديم بعض المبادئ المتعلقة بالنفس وعلاقتها بالأدب، لهذا ذهب –كما قلنا آنفا– النقاد إلى ربط الأدب بالأحاسيس.

وعلى هذا يمكن القول إنه عند التأسيس للنقد الأدبي، وما تبع ذلك من رقي وتوسع في الدراسة والتحليل والنقد، قد عرف أسلافنا إرهاصات لهذه الدراسات النفسية، وهي دون شك مخالفة لما قدمه علم النفس الحديث، ولا ترقى أبدا إلى أن تكون نظرية علمية مكتملة، ولكن على الرغم من هذا فهي تقعيدات أولية، لها وزنها في مجال الدراسة الأدبية، وكان لها دور في ترقية الأدب العربي منذ القديم وتجلية الدراسة النقدية التي صحبته.

وهذا ما يقره سيد قطب حين يشير إلى أنها عبارة عن ملاحظات نفسية ولا ترقى بالضرورة إلى مصاف العلم المؤسس حيث يقول: «فأما تدخل الملاحظة النفسية بصفة عامة في الأدب ونقده فهي أقدم من ذلك بكثير في الأدب العربي، لأنها عاصرته منذ صدر الإسلام، إن لم يكن قبل ذلك، وتمشت معه في نموه حتى بدت في هيئة قواعد ونظريات على يد عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري»[٢٦].

إن هذا لا يعني أن هذه الملاحظات النفسية هي الجذور الأولى لعلم النفس وهي بمثابة بعض من أسسه، لأن هذا العلم بقواعده وطرائقه وما حدده من نظريات متعلقة بدراسة الأدب وليد العصر دون جدال، وما وجد في نقدنا العربي الحديث من استعانة بعلم النفس لدراسة الأدب هو مستلهم من الغرب، ولم يكن أبدا امتدادا للملاحظات النفسية التي توصل إليها الأسلاف وهم يدرسون الأدب[٢٧].

إن الدراسات النفسية للأدب أو بالأحرى الملاحظات النفسية –حسب سيد قطب–[٢٨] قد عرفت رقيا في العصر العباسي، وخاصة عند عبد القاهر الجرجاني، ومما قاله في هذا الباب: «فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده»[٢٩].

إن البصير المقصود من قول الجرجاني هو الناقد الحاذق الذي له قدرة فائقة على استحسان الشعر واستهجانه، نزولا أول الأمر عند ما يقع في القلب ويدور في خلجات النفس، والجرجاني يقيم ملاحظاته النفسية هذه بالنظر إلى المتلقي لا إلى المبدع، لأنه لم يكن يتحدث عن ملابسات الإبداع، وإنما كان يطرق عملية التأثير والظروف النفسية التي تعتري متلقي الأدب الجميل.

والقول بعلاقة الأدب بالنفس نجده أيضا عند أبي هلال العسكري حيث يقف الموقف نفسه تقريبا فيربط نقد الشعر بالملاحظة النفسية، وهذ عند حديثه عن الاستعارة مؤكدا على أن «فضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة»[٣٠]، إن القول تأكيد على وعي الناقد بدور الجانب السيكولوجي في عملية التلقين وهذا ما أقره محمد خلف الله، حيث يقول: «ظاهرٌ إذًا مما أوردناه أن التفكير السيكولوجي في النقد كان موجودا عند مؤلف آخر–غير القاضي الجرجاني– في القرن الرابع الهجري، بل إن هذا المؤلف نفسه (العسكري) يبني تصوره لفضل الاستعارة على فكرة التأثير النفسي»[٣١].

ونجد أن ابن طباطبا العلوي كذلك يوجه الشاعر، ويحرص على قيمة النفس وخلجاتها في تلقي العمل الأدبي بحيث إن الأدب يُبدع لها بالطريقة التي تجعلها تتأثر «والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما خالفه، ولها

أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب، وإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت»[٣٢]، أي إن العمل الأدبي يواجه أول ما يواجه بالسلاح النفسي، ومدى تقبل النفس لهذا العمل ثم ينظر إلى الجوانب الأخرى المكملة للطرح النفسي.

وليس ببعيد عن هذا رأي ابن قتيبة الذي أقام الكثير من الرؤى النقدية على الملاحظة النفسية ودورها في تقبل العمل الأدبي وتقييمه؛ وهذا عند حديثه عن الوقفة الطللية، حيث يقول: «ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجْد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعيَ به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لِما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل وإلف النساء...فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام، ولم يطل ويمل السامعين، ولم يقطع بالنفوس طلب المزيد»[٣٣].

إن الملاحظة النفسية التي توصل إليها ابن قتيبة من خلا ل دراسته للوقفة الطللية، هي أن النفوس البشرية تميل أكثر ما تميل عندما تجد حديثا عن النساء؛ لهذا فالشاعر ملزم باتباع هذا التوجيه النقدي، وذلك بالبدء بما يستميل النفس حتى تقبل على ما تبقى من القصيدة، ثم يكون الانتقال لموضوع آخر، على أن يكون تناول كل موضوع دون إطالة، بل يكون التناول بالاعتدال بين المواضيع المطروقة في القصيدة، بحيث تُحفز النفوس لطلب المزيد، وتتحقق إثارتها.

هذه ملاحظة استنبطها ابن قتيبة من دراسة شعر الجاهلين ولم يؤسس لها، بل إن الفكرة في منطلقها من ابتكار الجاهلي، فعلى سذاجة هذا الجاهلي وعفويته أدرك تمام الإدراك أن النفس تستمال بالمحبب إليها، والمقرب من أحاسيسها، وهذا يقود إلى القول بأن الشاعر في جاهليته ميز بين أقرب الأشعار إلى قلبه، وأكثرها تأجيجا لعواطفه، وأيقن أنه أكثر ما ينفعل ويتأثر عندما يطرق موضوع النساء، ومن ثَمَّ يمكن القول إن بوادر التنبه للأثر النفسي في الشعر

كان في الجاهلية، ولكن التنبيه لفكرة التنبه هذه لم يكن إلا على يد ابن قتيبة في الشعر والشعراء.

يمكن القول إن «الملاحظة النفسية في النقد القديم، قد عنيت بشيء من طوائف الأسئلة التي يثيرها المنهج النفسي في النقد الحديث، ويتصدى للإجابة عنها، وقد وصل بعضها إلى نظريات قائمة، واكتفى بعضها بملاحظات متفرقة، وكان للمنهج نصيبه على كل حال، من هذا النقد الموغل في بطون التاريخ»(٣٤).

أما في العصر الحديث فقد عرفت هذه الملاحظات النفسية قفزة نوعية، إذ لم تعد ضيقة بالشكل الذي كانت عليه عند نقادنا القدماء، وهذا نتيجة ازدهار العلوم وميلاد علم النفس الذي جاء به سيجموند فرويد مؤسس علم النفس، هذا العالم النمساوي تعمق في الدراسة النفسية وأسس لهذا العلم الجديد وحاول تطبيق الكثير من رؤاه على الإبداع بمختلف أشكاله، وكان للأدب الحظ الأوفر في هذا الاهتمام.

فهو يرى أن الإنسان يخفي مكبوتات في اللاشعور، وإبداع المبدعين ما هو إلا كشف عن هذه المكبوتات أو بالأحرى هو كشف عن اللاشعور، على أن الغريزة الجنسية لها الدور الأكبر في هذا الكبت، لهذا فسلوكات الإنسان يجب أن تفسر على أساس النزعة الجنسية لديه باعتبارها تمثل أكبر شق في اللاشعور(٣٥).

وما كان من نقادنا ودارسينا في العصر الحديث إلا أن استلهموا ما توصل إليه هذا العالم وتلاميذه من نتائج في باب دراسة النفس ودراسة الإبداع وحاولوا إسقاطها على الإبداع الأدبي العربي قديما وحديثا.

ومن هؤلاء نجد أمين الخولي الذي كانت له دراسة في باب النقد النفسي بعنوان «البلاغة وعلم النفس»، توصل من خلالها إلى ارتباط البلاغة بعلم النفس ودعا إلى ضرورة دراسة البلاغة على ضوء هذا العلم، ثم تليها دراسة محمد خلف الله «التيارات الفكرية التي أثرت في دراسة الأدب»، ودراسة بعنوان

«نظرية عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة»[٣٦].

كما أبدع كتابه الشهير "من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده"، حاول فيه التقعيد للدراسات العربية في باب علم النفس وأشار فيه إلى دوره في تقديم محاضرات علم النفس في مصر حيث يقول: "وفي سنة ١٩٣٨ أنشأت كلية الآداب بالقاهرة دراسة جديدة لطلبة الدراسات العليا بها، جعلت موضوعها (صلة علم النفس بالأدب)، وعهدت إلى الأستاذ الجليل أحمد أمين وإليَّ القيام على هذه الدراسة، فتقاسمنا العمل فيها، بعد أن استعرضنا جوانبها معا، وبعد أن حددنا وسائلها وأهدافها"[٣٧].

ثم أطل طه حسين معتمدا هذا المنهج في الكثير من كتبه، حيث قام بدراسات تحليلية نفسية لبعض الشعراء ومنهم أبو العلاء، إذ تعامل معه على غير المعتاد، وذلك ببحث حياة الشاعر وظروفه وأحداث عصره وتحليل قصائده تحليلا نفسانيا ذوقيا[٣٨]، وفي هذا يقول: «وأول ما أواجهك به من ذلك وأنا أقدر أنك ستلقاه منكرا له ثائرا عليه، هو أن اللزوميات ليست نتيجة العمل وإنما هي نتيجة الفراغ، وليست نتيجة الجد والكد، وإنما هي نتيجة العبث واللعب، وإن شئت فقل إنها نتيجة عمل دعا إليها الفراغ، ونتيجة جد جر إليه اللعب»[٣٩].

ثم تلاه العقاد في الكثير من الدراسات المتعلقة بالشخصيات ومن بينها (عمر بن أبي ربيعة)، و(جميل بثينة)، و(ابن الرومي حياته من شعره)، حيث تحدث عن مزاجه وأثره في إسرافه في كل شهواته، معرجا على وسوسته وتطيره وتشاؤمه وشذوذ أطواره، فهو حسب رأيه مختل الأعصاب غير أنه في أثناء العملية الإبداعية يكون في صحته العقلية التامة[٤٠]، ثم نجد لهذا المنهج اهتماما عند المازني في (حصاد الهشيم)، وكتابه (بشار)، كما كتب سيد قطب (التصوير الفني في القرآن الكريم)، و(كتب وشخصيات)[٤١].

ثم جاء عبد القادر المازني وتناول شخصية بشار بن برد الذي عرف بهجائه الحاد، وقد أرجع سبب ولوعه بهذا الغرض لا إلى الحقد والكراهية بل لشعوره

بالنقص لأنه كان كفيفا، ومن الموالى فعوّض هذا بلسان لاذع[٤٢].

وهذا دون أن ننسى مدرسة نفسية قامت بالكثير من الدراسات على ضوء علم النفس، وقد صبت كل اهتمامها على ملابسات العملية الإبداعية، وحاولت تحييد الظروف التي تحيط بالمبدع عند الإبداع، وقد أسسها مصطفى سويف «الذي يعتبر كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة) بمثابة نقطة الارتكاز الجوهرية لأعمال هذه المدرسة التي لم تلبث أن تشعبت بعد ذلك لدى تلاميذه، فكتبوا بحوثهم ودراساتهم اللاحقة عن بقية الأجناس الأدبية، كتب شاكر عبد الحميد (الأسس النفسية للإبداع الفني في القصة القصيرة)، وكتبت سامية الملة (الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح)، وتكونت في الثقافة العربية نواة مدرسة لعلم نفس الإبداع»[٤٣].

بقي أن نقول لقد كانت هناك دراسات عدة في العصر الحديث، ارتبطت ارتباطا وثيقا بما توصل إليه فرويد ولا مجال لحصرها، وركزت في دراستها على علاقة الأدب والنقد بالنفس والإحساس، وعلى هذا فإن الأدب لا ينفصل بحال من الأحوال عن نفسية مبدعه، ولا عن نفسية متلقيه، وهذه حقيقة تفطن إليها القدماء وأقرها النقد منذ القدم، غير أن التفطن مختلف بين القديم والحديث، أو قل إن نظرة الإنسان الحديث فيها نضج وتميحص أكثر من القديم، إذ لم يعد الدارس المحدث يتعرض للأدب بالملاحظة النفسية الساذجة، بل وضع قواعد، وسن سننا، أضحت مفاتيح تُمكن الأديب ودارس الأدب من التوغل في الإبداع، والكشف عن الملابسات النفسية التي تخللته كيفما كانت.

الهوامش

(١) ينظر أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة نهضة مصر، ط١٠، ١٩٩٤، ص١٦.

(٢) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ص٧.

(٣) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان بالقاهرة، ط١، ١٩٩٧، ص٢٤.

(٤) الأدب وفنونه: محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص٤.

(٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣، ص١١.

(٦) أصول النقد الأدبي: ص١٦.

(٧) ينظر النقد الأدبي: أحمد أمين، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ص ٣١. وأصول النقد الأدبي: ص١٨٠ وما بعدها.

(٨) ينظر النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص١٢، ١٣. والتفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط٤، ص٥.

(٩) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص١٦.

(١٠) العمدة: ابن رشيق، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٥، ١٩٨١، ج١/ص٩٥.

(١١) التفسير النفسي للأدب: ص٥، ٦.

(١٢) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص٥، ٦.

(١٣) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ت: مصطفى أفندي السقا، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٢، ص١٧.

(١٤) الشعر والشعراء: ص١٨، ١٩.

(١٥) الصناعتين: أبو هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٢، ص١٣٤.

(١٦) عيار الشعر: ابن طباطَبَا العلوي، ت: زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣، ص٥٤.

(١٧) المصدر نفسه: ص٥٣.

(١٨) المصدر نفسه : ص٥٤.

(١٩) العمدة: ج١، ص٣١.

(٢٠) المصدر نفسه: ج١، ص٣١.

(٢١) النقد الأدبي: ص٢٩.

(٢٢) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص١٦.

(٢٣) النقد الأدبي: ص٢٩.

(٢٤) أصول النقد الأدبي: ص١٨٠، ١٨١.

(٢٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص٢٠.

(٢٦) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص٢١٨.

(٢٧) ينظر المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(٢٨) وقد قال بفكرة ربط الجرجاني نقده بالنفس، أو ما يشبه علم النفس خلف الله عند حديثه عن فكرة التأثير الأدبي معتبرا أن "هذه النظرية التأثيرية في جودة الأدب جزء من تفكير سيكولوجي أعم، يطبع كتاب أسرار البلاغة كله بطابعه، فالمؤلف لا يفتأ يدعوك بين لحظة وأخرى إلى تجربة الطريقة النفسانية التي يسميها المحدثون الفحص الباطني...وإذن فنستطيع أن نقول هنا إن أحد التيارات التي أثرت في التفكير السيكولوجي الذوقي عند عبد القاهر، إنما انحدر إليه من شيخه ومواطنه أبي الحسن الجرجاني"، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: محمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧، ص٩٣، ١٠٣.

(٢٩) أسرار البلاغة: ص٥، ٦.

(٣٠) الصناعتين: ص٢٦٩.

(٣١) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقدة: ص١٠٥.

(٣٢) عيار الشعر: ص٥٣.

(٣٣) الشعر والشعراء: ص١٤، ١٥.

(٣٤) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص٢٣٥.

(٣٥) ينظر النقد الأدبي في آثار أعلامه: حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص٨١، وما بعدها.

(٣٦) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص٢١٨.

(٣٧) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: ص.د.

(٣٨) ينظر من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: ص٢١.

(٣٩) مع أبي العلاء في سجنه: طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٢، ص١٠١.

(٤٠) ينظر النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص٢٣٩.

(٤١) ينظر المرجع نفسه : ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٤٢) ينظر المرجع نفسه: ص٢٤٢.

(٤٣) مناهج النقد المعاصر: صلاح فضل، مريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص٧١، ٧٢.

محطات من رحلة الحياة والكلمة

(نظرات في منجز أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)

أ. د. نادية غازي العزّاوي (*)

(٤)

سأبدأ حديثي عن أستاذتنا الراحلة من مدخل مزدوج (ثقافي- إنساني)، عن صلتها الشّخصية الرّاقية بالوسط الأكاديمي، على اختلاف مشارب منْ فيه وميولهم، فالقِيم الأخلاقية العليا عندها هي العمدة في تعاملها مع البشر، هكذا كانت معنا نحن طلابها، وهكذا كان موقفها مع زملائها في الجامعة، ومع أغلب الوجوه الثقافية الأخرى. وهذه الصفحة من حياة الرّاحلة جديرة بأنْ تعمّق بالدراسة أكثر، إذا ما توافرت لدى الباحث رسائلها الشخصية، وتمّ اللقاء بالمقرّبين إليها.

وكمثال على ما ذكرتُ أذكر ما أوردته (د. حياة شرارة)، في كتابها عن سيرة الشاعرة الرّائدة (نازك الملائكة)، فكانت أستاذتنا الراحلة همزة الوصل، على نحو ما روت المؤلفة: «أخذتُ أسأل عمّن يعرف نازك، ويستطيع أن يزوّدني بعنوانها أو رقم تلفونها، ولكنْ لم يسعفني أحد في الوصول إلى بغيتي. وذات مرة

عرفتُ أنّ الدكتورة خديجة الحديثي على صلة وثيقة بها، فقد كانت تدرّس معها في جامعة الكويت لمدة سبع سنوات، وانعقدت بينهما أواصر الصّداقة، تنفست الصعداء، وشعرتُ أنني مسكتُ ببداية الخيط الذي سيقودني إليها....قالت لي الدكتورة خديجة....: لقد كنّا جيرانها في الكويت، وتربطنا بها وبزوجها علاقة متينة، فنزورها بلا مواعيد محدّدة مسبقًا على غير عادتها في استقبال الناس»[1].

ومن الطبيعي أن تنعقد أواصر وثيقة بين نازك وبين د. خديجة؛ فما أكثر المشتركات الإنسانية والعلمية بينهما: الالتزام الاجتماعي، النزعة العروبية، عشق العربية، لاسيما الدراسات اللغوية، التوجّه الإسلامي، القوة الناعمة - إذا صحّ الوصف - فخلف الدماثة والرّقّة اللتين تتحليان بها قوة إصرار وصلابة موقف.... وغيرها من تفصيلات غنية بدلالاتها.

من يُمعن النظر في مؤلفات الحديثي ستبرز أمامه جملة مهيمنات أيضًا؛ منها:

- كتاب سيبويه، الذي شكّل نقطة مفصلية في منجزها، فهو بمثابة المنجم الذي عكفت على التنقيب في طبقاته، يجتذبها إليه سببان متلازمان: عبقرية الرائد، وعبقرية متنه، بما فيه من: مغامرة التأسيس والتقعيد وإرساء الأصول الأولى، ريادة المصطلح، وريادة المعالجة، والاستثمار الذكي لجهود العلماء السابقين عليه. وظلّ الكتاب وصاحبه بالنسبة لها مصدرًا لأبحاث متصلة، متوالدة عن بعضها البعض، وعلى نحو ما عبّرت: «شُغلتُ بكتاب سيبويه منذ زمن بعيد يرجع إلى عهد الدراسة الجامعية الأولى، وحينما قدّر لي أن أخوض الدراسات العليا كان الكتاب أول ما لفت نظري، فعكفتُ عليه زمنًا أبحث الأبنية فيه، حتى إذا ما نضجت الفكرة، وتمّ البحث كان كتاب أبنية الصرف في كتاب سيبويه.... وكادت الأيام تطوي ما بيني وبين الكتاب حينما انصرفتُ إلى أبي حيان الأندلسي، أدرس حياته وآثاره ومنهجه النحوي. وحينما ألقيتُ القلم بعد

ذلك العناء شعرتُ بأنّ كتاب سيبويه في حاجة إلى الدرس والتحقيق، وبأنّ ما بدأتُ به منذ أعوام ينبغي أن يستمرّ، ويأخذ جانبًا آخر من جوانب الكتاب»[٢].

ألفت في أبنيته الصرفية، وفي أصول الشاهد عنده، وفي القراءات، وفي الضرورة، وفي العلة النحوية لديه، ودرست الفروق الدقيقة بين نسخه برواياتها المتنوّعة، وعرضت لمزايا طبعاته المتعدّدة، ثم رصدت شروحه رصدًا دقيقًا مطبوعها ومخطوطها، ومفقودها، وقد قسمت الشروح إلى ضروب:

شروح عامة لمجمل الكتاب، ذكرت تسعة وعشرين شرحًا مع تراجم مؤلفيها، ووصفت مناهجهم وصفًا يتراوح بين التفصيل للموجود منها، وبين الإجمال والعرض العام للمفقود، ونبّهت على أماكن وجود المخطوطات، وأرقامها وعدد صفحاتها. وفي هذا القسم ذكرت شروح كلٍّ من: الأخفش الأوسط، المازني، الأخفش الصغير، ابن السرّاج، المبرمان، ابن درستويه، أبي سعيد السيرافي، ابن سيد اللغوي، الرماني، علي بن عيسى الرّبعي، أبي العلاء المعري، ابن الباذش، الزمخشري، ابن يسعون، أبي بكر الخشني، ابن خروف، أبي البقاء العكبري، أبي الفضل الصفّار، أبي علي الشلوبين، ابن الحاجب، ابن الحاج، أبي بكر الخفّاف، ابن الضائع، عُبيد الله القرشي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبي عبدالله ابن الفخار، أبي حيان الأندلسي، أبي العباس العناني، والباقلاّني (ت٧٧٦هـ)[٣].

والضرب الثاني: الشروح التي وضعتْ على شواهد الكتاب، أوردتْ ثمانية عشر شرحًا، مع احتمال زيادة العدد بالعثور على مخطوطات جديدة، وهم: المبرّد، أبو إسحاق الزجّاج، أبو بكر المراغي، ابن النحّاس، مبرمان، أبو سعيد السيرافي، يوسف بن أبي سعيد السّيرافي، الخطيب الإسكافي، ابن جندل القرطبي، الأعلم الشنتمري، الزمخشري، ابن هشام اللخمي، أبو عبدالغني المصري، أبو البقاء العكبري، ابن معطٍ، الشلوبين الصغير، العيني عفيف الدين الكوفي[٤].

والضرب الثالث من الشروح: ما يندرج في النكت والتعليقات وليس الشرح الكلي، فوقفتْ على واحد وعشرين شارحًا؛ هم:

أبو عمر الجرمي، الزيادي، أبو حاتم السجستاني، المبرّد، أبو العباس ثعلب، الأخفش الصغير، أبو سعيد السيرافي، أبو يعلى الباهلي، أبو علي الفارسي، الرّماني، أبو نصر الصفّار، أبو العلاء المعري، الأعلم الشنتمري، أبو الحسن بن الطراوة، ابن الدهان النحوي، إبراهيم بن إسماعيل بن إسحاق، ابن الناصف القرطبي، ابن الزبير العاصمي، أبو علي الشلوبين، ابن الزبير، محمد بن علي الجذامي(٥).

فضلاً عن قسمين آخرين لمن ألّف كتابًا على كتاب سيبويه، وذكرت ستة من الأعلام: أولهم أبو عمر الجرمي، وآخرهم أبو حيان النحوي. والقسم الأخير من ألّف كتابًا في الرد على سيبويه، أو الاستدراك على ما أغفله، وذكرت خمسة: أولهم المبرّد وآخرهم عزّ الدين ابن جماعة(٦).

إنّ هدف الراحلة من الإحاطة بشروح الكتاب، الكشف عن الدور المحرك والفاعل الذي أثاره كتاب سيبويه في إثراء التأليف اللغوي والنحوي، فعلى مدى قرون كان متن سيبوية مثيرًا للجدل والرّد والاستدراك، وهذه فضيلة أخرى مع الرّيادة والتأسيس.

ليس هذا فحسب، فمن مظاهر عنايتها به أنها اعتمدته معيارًا أو مرجعًا للبتّ في كثير من التصوّرات والمسائل الخلافية، من ذلك - مثلاً - استنادها إليه في الحكم على قضية أصالة نشأة النحو العربي، ورفضها للقائلين بتأثره بمؤثرات أجنبية يونانية أو سريانية إلخ، لقد تحمّست كثيرًا لأطروحة المستشرق الفرنسي (جيرار تروبو) في بحثه الموسوم بـ (نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه)، وعدّته أبلغ رد عملي على القائلين بخلافه؛ لأنه اعتمد التحليل الإحصائي لما ورد في الكتاب من مصطلحات لغوية وصرفية ونحوية وصوتية خارج الشواهد القرآنية والشعرية، بوصفه الكتاب الأول في هذا المجال: ومعطيات نتائجه مهمة في تحديد الحكم في هذه القضية التأسيسية والمفصلية في موروثنا «فوجد أنّ عدد ما استعمل منها في العلم بمعناه الاصطلاحي ألف وستمئة لفظ، منها ما

يتعلق بالمفاهيم النحوية العامة، كأقسام الكلام وأنواع الألفاظ وأحوالها، ومنها ما يتعلق بالمفردات المختصّة بتركيب الجمل، وتشمل الألفاظ التي تُعنى بمواقع الألفاظ في الكلام ومجراها في ناحية العمل، ومنها المفردات المتعلقة بالتصريف، ومنها التي تتعلّق بالأصوات، وأخيرًا المفردات التي تتعلّق بالمنهاج وهي أكثرها، واستخلص من هذه الأعداد الكبيرة للألفاظ والمصطلحات المستخدمة في أصناف علم العربية الواردة في كتاب واحد هو كتاب سيبويه خطأ المستشرقين ومن تابعهم الذين اعتمدوا على بضعة مصطلحات وصلت إلى العشرة....فما تعني تلك العشرة بالنسبة إلى المئات والمئات من المصطلحات التي كانت متداولة في لغة العرب؟»(٧).

- عنايتها بالمصطلح، ومحاولة توحيده، وتأصيله، بإحياء المصطلحات التراثية وإعادة تفعيلها، لقد وقفت بين يدي كتابها المدارس النحوية على حزمة من المصطلحات التي استعملها المحدَثون: (مدرسة)، (مذهب)، (اتجاه)، وحاولت البحث عن بداياتها ودلالاتها عند القدماء، وموازنتها باستعمالات المحدَثين المستشرقين والعرب، بعد أن غربلت أقوالهم، وفحصت النصوص في ضوء آرائهم ومفاهيمهم، وأبانت عمّا يتخلّل بعضها من ثغرات وتداخل أو لبس، فانتهت الى أنه لا فرق فعليًّا وملحوظًا بين هذه الاصطلاحات: مدارس أو مذاهب أو مجموعات أو نزعات؛ فمهما تعدّدت التسميات واختلفت المناهج، فإنّ «الأصول المتبعة في هذا الدرس قائمة على الاستنباط للظواهر النحوية والصرفية الواردة في هذه اللغة وحصرها وإحصائها وتقسيمها.... فإنّ اختلافهم هذا لن يكوِّن نحوًا متعدّدًا مختلفًا متباعدًا، وإنما هو نحو عربي نابع من اللغة العربية الأصيلة نفسها.... ولم يكن الاختلاف بين البصريين والكوفيين اختلافًا نشأ عنه نحوان متعارضان، وإنما هو اختلاف في المنهج المعتمد، وفي النظرة الخاصة التي فرضتها كلٌّ من البيئتين.... أمّا اختلافهم في المصطلحات والتسميات، فلن يقدّم أو يؤخّر، ولن يغير من النحو شيئًا، فالتابع واحد سواء أسميناه صفة كما

شاع عند البصـريين، أم نعتًا كما يسميه الكوفيون... فلتكن (المدارس النحوية) أو (المذاهب النحوية) أو (الدرس النحوي) ما دامت كلها تلتقي في أصول واحدة تنبع من لغة عربية أصيلة»[٨].

إنّها لا تـرى جدوى علمية من تكثير المصـطلحات الدالة على مفهوم واحد، مادام مصـطلح واحد يمكنـه أن يُغني، فالترادف في الاسـتعمال الاصـطلاحي يربك ويشتت أذهان المتلقين.

وكما جمعـتْ بينهما الحياة، وربـط بينهما حبّ العربيـة وأهلها، وكما واءم بينهما القرطاس والقلم، فقد جمع الموت بينهما، فغادرا هذه الدنيا عام ٢٠١٨م، بفارق زمني يسـير (أيار، تموز)، كان المشهد الأخير لصورة أستاذي وأنا أعزيه ضعيفًا مرتعش الكفين محدودب الظهر، يتمتم بصوت خفيض: (لقد هدّتْ حيلي بفراقهـا)، لم يتحمّـل رحيلها وحدها قبله، فلحقها بعد شـهرين، ليظلا معًا كما كانا دائمًا معًا......

الهوامش:

(*) الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية

(١) **صفحات من حياة نازك الملائكة**، د. حياة شرارة، ط١، دار رياض الريس، ١٩٩٤م: ص ١٢.

(٢) **كتاب سيبويه وشروحه**، د. خديجة الحديثي، ط١، مطابع دار التضامن، بغداد ١٣٨٦هج/١٩٦٧م: ص٥.

(٣) م. ن: ص ١٥١- ٢٤٢.

(٤) م.ن: ٢٤٣- ٢٥٦.

(٥) م. ن: ٢٥٧- ٢٦٤.

(٦) م. ن: ٢٦٤- ٢٧٩.

(٧) **المدارس النحوية**، د.خديجة الحديثي، بغداد ١٤٣٤هج/٢٠١٢م: ص ٥٦.

(٨) م. ن، ينظر: ص ٣٢-٣٤.

تعقيب على مقالة د. (عبداللطيف بن ناصر الحميدان)

المعنونة «نشوء بلد الزبير النجدي أوائل القرن ١٢ هـ-١٨م»

والمنشورة في مجلّة **العرب** ج ٣و٤ س٥٥، رمضان-شوّال ١٤٤٠هـ/ أيّار(مايو)-حزيران(يونية) ٢٠١٩م

د. أحمد برهان الدين باش أعيان العبّاسي

شركة أرامكو السعوديّة

حضرة المكرم الأستاذ د. (أحمد محمّد الضبيب) حفظه اللّه

رئيس تحرير مجلّة (**العرب**) - (الرياض) - (المملكة العربيّة السعوديّة)

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

اطّلعت، في عدد مجلّتكم الموقّرة المرقّم ج٣و٤ س٥٥، والمؤرّخ رمضان وشوّال ١٤٤٠هـ/ أيّار(مايو) وحزيران(يونية) ٢٠١٩م، على مقالة د. (عبداللطيف بن ناصر الحميدان)، المعنونة «نشوء بلد الزبير النجدي أوائل القرن ١٢ هـ-١٨م»، وأودّ أن تسمحوا لي بالتعقيب على بعض مضامينها.

مع فائق التقدير

التعقيبات

ص ١٦٥ (أسباب النزوح من (البصرة) القديمة إلى (البصرة) الجديدة)

- إنّ سيّدنا الجد الشيخ (عبدالقادر فيضي بن عبدالواحد صفاء الدين بن عبداللّه ضياء الدين بن عبدالواحد الكبير آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى في مطلع عام ١٩٧١م، قد ذكر، فعلاً، أسباب نزوح أهل (البصرة) القديمة إلى (البصرة) الجديدة، في عدد من المقالات والكتب الّتي ألّفها، ونشر البعض منها، وكذلك في عدد من المحاضرات الّتي ألقاها. وهذه الأسباب هي كما أوردها الباحث د. (الحميدان) في مقالته موضوع تعقيبنا هذا.[١]
- وقد نقل الشيخ (عبدالقادر) بدوره هذه المعلومات عن عدد من المؤرّخين المعاصرين واللاحقين للحدث، ومن بينهم عدد من أسلاف أسرته، بما فيهم جدّ جدّه الشيخ (عبداللطيف بن ياسين بن محمّد بن شعيب آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى عام ١٨٣١م، وجدّ والده الشيخ (عبدالواحد الكبير بن عبداللطيف بن ياسين بن محمّد آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى عام ١٨٥٢م، وجدّه الشيخ (عبداللّه ضياء الدين بن عبدالواحد الكبير بن عبداللطيف بن ياسين آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى في مطلع عام ١٩٢٢م، ووالده الشيخ (عبدالواحد صفاء الدين بن عبداللّه ضياء الدين بن عبدالواحد الكبير بن عبداللطيف آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى عام ١٩١٩م، وشقيقه الأوسط الشيخ (ياسين سرّي بن عبدالواحد صفاء الدين بن عبداللّه ضياء الدين بن عبدالواحد الكبير آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى عام ١٩٤٢م، وعمّهما الأصغر الشيخ (محمّد أمين عالي بن عبداللّه ضياء الدين بن عبدالواحد الكبير بن عبداللطيف آل باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى في مطلع عام ١٩٢٨م، رحمهم اللّه جميعاً. يضاف لذلك كلّه، ما أوردته

أنا في كتابي المعنون «موسوعة تاريخ البصرة» (٤ أجزاء)، والمنشور في مطلع عامنا هذا، ١٤٤٠ هـ/٢٠١٩م، عن (دار الحكمة)، في (لندن).[٢]

لذا، فإنّ ما ورد في مقالة د. (الحميدان) من كوني أنا وسيّدي الجد الشيخ (عبدالقادر) رحمه اللّه لم نذكر أسباب النزوح في كتبنا هي غير صحيحة.

- ص١٦٧: اسم محلّة (المشراق) في (البصرة) القديمة
- فيما يخصّ محلّة (المشراق) الّتي هي سكن أسرة (آل باش أعيان العبّاسيّين) في(البصرة) القديمة والجديدة، فعلاً، قد كانت هناك في (البصرة) القديمة محلّة تسمّى (المشراق)، والّتي كانت محلّة دور سكن الأسرة العبّاسيّة، أسلاف أسرة (آل باش أعيان العبّاسيّين)، في تلك (البصرة) القديمة، والواقعة في نفس موضع (المربد) سابقاً، أي قضاء (الزبير) لاحقاً، (وهي المدينة، الواقعة قريباً من أنقاض (الأُبُلّة) القديمة)، الّتي أمر سيّدنا الخليفة الراشد الثاني، أمير المؤمنين (عمر بن الخطّاب) (رض)، الفاتح الإسلامي (عتبة بن غزوان) بتمصيرها عام ١٤هـ/٦٣٥م. وقد سكنها الأمراء العبّاسيّون، أسلاف أسرة (باش أعيان)، منذ أواخر القرن الميلادي الثاني عشر (أي، قبل سقوط بغداد على يد (هولاكو) المغولي بحوالي مائة عام).[٣] ويعتقد أنّ هذه المحلّة، أي، (المشراق) القديمة، كانت تقع بين (المربد) وقرية (ذراع)، ولكنّها كانت أقرب إلى (المربد)، على أرجح تقدير. لذا، فإنّ الأسرة العبّاسية، أسرة (آل عبدالسلام العبّاسيّين)، أسلاف آل (باش أعيان العبّاسيّين)، عندما قادت حركة انتقال أهالي (البصرة) القديمة إلى (البصرة) الجديدة، أسّست محلّة (المشراق) لسكنها ويقدّر عدد أفراد أسرة (آل عبدالسلام العبّاسيّين) بالمئات في تلك الفترة، وأسموها ب(المشراق) تيمّناً باسم محلّتهم الأصليّة الّتي تركوها في (البصرة) القديمة.[٤]

وهذا يجيب على تساؤل د. (الحميدان) عن وجود محلّة باسم (المشراق)

في (البصرة) القديمة.

- بروز أسرة (آل باش أعيان العبّاسيّين) في (البصرة) القديمة

كانت الأسـرة العبّاسـيّة في (البصـرة) القديمة (والّتـي عرفت لاحقاً بأسـرة (آل عبدالسـلام العبّاسـي)، وبعد حوالي قرن من انتقالها إلى (البصـرة) الجديـدة، أي، في حـدود عـام ١٥١٤م، عرفت باسـم (آل عبدالسـلام العبّاسـي الكوّازي)، ومنذ عام١٧٠٧م، عرفت باسـم (آل باشـ أعيان العبّاسـي)، كانـت هي إحدى الأسـر الثلاث الرئيسـيّة في (البصـرة) القديمة، مـن حيث المكانـة العلميّة والدينيّـة والاجتماعية والاقتصـادية. أمّـا الأسـرتان الأخريـان فكانتا عشـيرة (آل مغامس) المنتفقيّـين، والأسـرة الرفاعيّة العلويّة. وفي الواقع، فإنّ بعض المصـادر التاريخيّة المعاصـرة تشـير إلى أنّ الأسرة العبّاسيّة كانت هي الأبرز من بين هذه الأسـر الثلاث. وتنسب هذه المصادر للأسرة العبّاسيّة وعشيرة (آل مغامس) الدور الريادي في مشروع انتقال سكّان (البصرة) القديمة إلى (البصـرة) الحاليّة (الجديدة). وقد برزت الأسـرة العبّاسـيّة في (البصـرة) القديمـة منذ أواسـط القـرن الهجري السـابع (الميلادي الثالث عشـر)، حيث اشـتهر أحد أسلافهم، وهو الشـيخ (إبراهيم بن الأمـير محمّد نور الدين بن الأمير حسـين بن الأمير يوسـف بن الأمير هاشـم بن الخليفة العبّاسـي الثالث والثلاثين المستضيء باللّٰه)، بعلمه وزهده وورعه. والشـيخ (إبراهيم) توفّي في حدود عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، أي بعـد سـقوط (بغداد) والدولة العبّاسـيّة بأقلّ من نصـف قرن. وقد عـرف عن رجال هذه الأسـرة أثناء فترة سـكنهم (البصـرة) القديمة علمهـم وزهدهم وبناؤهم للمسـاجد وترميم قبور الصـحابة والتابعين والعمـل الخيري الاجتماعـي، والدفاع عن المظلومين ورعاية الضـعفاء، وإسـعاف المنكوبـين. وكمـا ذكرنـا آنفـاً، فـإنّ عدد أفـراد أسـرة (آل عبدالسـلام العبّاسـيّن) في (البصـرة) القديمة بلغ المئات على تقدير

عدد من المصادر التاريخيّة، المعاصرة واللاحقة.[٥]

- الشيخ (عبدالسلام الكبير الأوّل العبّاسي) ووالده يقودان مشروع الانتفال إلى (البصرة) الجديدة وبنائها

والجدير بالذكر أنّ الشيخ (عبدالسلام الكبير الأوّل بن علي الملقّب بالساري بن أحمد شهاب الدين بن محمّد العبّاسي)، كان، هو ووالده وسائر أفراد أسرتهما، أوّل من سكن (البصرة) الجديدة، حيث ساهموا، وبصورة رئيسيّة، في عمليّة تخطيط وتنفيذ مشاريع المباني الخاصّة والعامّة، والمساجد، والمشافي، والطرق، والمرافق الصحّيّة والخدمات المدنيّة العامّة في (البصرة) الجديدة. وكان ذلك في حدود عام ٨٠٠هـ/١٤٠٠م. وكان اسم والد الشيخ (عبدالسلام الكبير الأوّل) الشيخ (علي)، ولكنّه لُقِّب بال «ساري» لكونه أوّل من سرى بأهله من (البصرة) القديمة إلى (البصرة) الجديدة. وقد توفّي الشيخ (عبدالسلام الكبير الأوّل العبّاسي) في حدود عام ٨٣١هـ/١٤٣٠م، ودفن في نفس مقبرة سيّدنا الصحابي (طلحة بن عبيد الله) (رض) الواقعة شرقي (الزبير) حاليّاً. وقد لُقِّبَت أسرته منذ ذلك الحين بـ(آل عبدالسلام العبّاسي)، نسبة له ولما كان عليه من علم وريادة ووجاهة وبروز وقوّة في الشخصيّة في المجتمعين البصري القديم والجديد، وكذلك في سائر ولاية (البصرة) وماجاورها. أمّا الطريقة الكوّازيّة، فلم تظهر في (البصرة) إلاّ في حدود عام ٩١٩هـ/١٥١٤م، أي، بعد وفاة الشيخ (عبدالسلام الكبير الأوّل) بمائة وأربعة وثمانين (١٨٤) عام تقريباً، وكان من أوائل مريديها حفيد حفيد الشيخ (عبدالسلام الكبير الأوّل) وهو الجدّ الأعلى لأسرة (آل باش أعيان العبّاسيّين)، شيخ المشايخ الولي (عبدالقادر الكبير الأوّل العبّاسي بن ساري بن حسن الضاعن بن علي الأضيع آل عبدالسلام العبّاسي)، المتوفّى عام ٩٩١هـ/١٥٨٣م، وهو أوّل من لُقِّبَ بال(كوّازي)، وحملت

أسرته اللقب من بعده. وقد ورد ذكر هذه الأحداث المهمّة في كثير من المصادر، العراقيّة وغيرها، من إسلاميّة وغير إسلاميّة، بما في ذلك كتب وتقارير الرّحّالة العرب والأجانب. ومن بين من تطرّق لها الشاعر والكاتب البغدادي الشيخ (حسين العشّاري)، في تقاريظه الّتي وضعها في مخطوطة الشيخ (محمود بن إبراهيم بن طه بن ياسين باش أعيان الكوّازي العبّاسي)، المعنونة «بغية الأريب في وصال الحبيب» (فرغ من تأليفها في ربيع الأوّل ١١٣٩هـ/ تشرين الثاني نوفمبر ١٧٢٦م.[٦] [٧] [٨]

وهذا كلّه يدحض زعم د. (الحميدان) بأنّ أسرة (آل عبدالسلام العبّاسيّين) لم تبرز إلاّ بعد انتقالها من (البصرة) القديمة إلى (البصرة) الجديدة، وتبنّيها الطريقة الكوّازيّة.

- ص١٧٩: من هو (عبدالسلام بن عبدالقادر)

ذكر الباحث د. (الحميدان) في هذه الصفحة اسم (عبدالسلام بن عبدالقادر)، ولا أدري ما إذا كان يدرك من هو هذا (عبدالسلام بن عبدالقادر)، فللمعلوميّة، (عبدالسلام بن عبدالقادر) المذكور كان، هو وإخوته ووالدهم وأبناء عمومتهم، سادة (البصرة) وزعماءها الروحيّين والدنيويّين. إنّه الشيخ الولي (عبدالسلام الثاني بن شيخ المشايخ الولي عبدالقادر الكبير بن ساري بن حسن الأضيع آل عبدالسلام الكوّازي العبّاسي)، أسلاف أسرة (آل باش أعيان العبّاسيّين)، والمتوفّى في عام ١٠٣٤هـ/١٦٢٥م، والمذكور أعلاه.[٩]»[١٠]

وهذا للتوضيح ولمعلوميّة د. (الحميدان) وقرّائكم الكرام.

- ص ١٨٠: مصادر سيرة الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب)

ذكر الباحث د. (الحميدان) في هذه الصفحة أنّي، في بحثي عن زيارة الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب)، اكتفيت بالنقل من كتاب (الريكي) المعنون «لمع الشهاب في سيرة محمّد بن عبدالوهاب». وهذا ليس صحيحاً.

فقد اعتمدت أيضاً مصدراً آخر أحدث من كتاب (الريكي) وأكثر تفصيلاً، هو كتاب (حسين خلف الشيخ خزعل)، المعنون «سيرة الشيخ محمّد بن عبدالوهاب»، والمنشور عام ١٩٦٨م، والّذي قضى الباحث في تأليفه فترة طويلة، اشتملت على زيارات ميدانيّة متكرّرة وإقامات طويلة ومقابلات في (الرياض) و(القصيم) و(الزبير) و(البصرة).[١٢]

وهذا كلّه يدحض زعم د. (الحميدان) بأنّي نقلت المعلومات المتعلّقة بزيارة الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) مباشرة من كتاب (الريكي).

- لقاء الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) بمشايخ الطرق الصوفيّة في (البصرة)

كما شكّك د. (الحميدان) في هذه الصفحة بكون الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) كان يساهم بالمحاضرات في حلقات تدريس في جامع (البصرة)، كونه جاءها من (نجد) طلباً للعلم، وليس للتدريس. والحقيقة، أنّ طالب العلم بإمكانه أن يقوم بالتدريس بما لديه من علم سابق أو حاضر أو بما يكتسبه من علم أثناء طلبه للعلم، في نفس الوقت الّذي يطلب فيه العلم، وهذا أمر شائع ومتعارف عليه في كلّ زمان ومكان. وكأمثلة على ذلك، كان شيخ (محمّد عبدالوهاب) في (البصرة)، (محمّد المجموعي)، الّذي جاء إلى (البصرة) طلباً للعلم في حدود عام ١١١١هـ/١٦٩٩م، وحفيده، الشيخ (محمود بن عبدالكريم المجموعي)، من طلبة العلم الّذين أصبحوا من مشايخ التدريس. (نفس المصدر السابق).

- من هو (أنس بن درويش)

مجدّداً، لم يوضّح (الحميدان) للقاريء (وربّما لم يدرك) من هو الشيخ (أنس بن درويش)، وأيضاً يقتضي التنويه منّا، لمعلوميّتكم ومعلوميّة القرّاء الكرام، أنّ الشيخ (أنس) هذا هو (أنس بن درويش بن أحمد

بن شيخ المشايخ الولي عبدالسلام الثاني باش أعيان العبّاسي)، المتوفّى عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، والّذي كان زعيم (البصرة) الروحي والسياسي في زمانه، وقد أشاد بمواقفه الإنسانيّة ومكانته العلميّه المشهورة عدد من المؤرّخين المذكورين في المصادر السابقة أعلاه، إضافة إلى الرحّالة المحلّيّن والأجانب الّذين عاصروه.[١٣]»[١٤].

وهذا للتوضيح ولمعلوميّة د. (الحميدان) وقرّائكم الكرام.

- أخبار إقامة الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) في (البصرة)

يذكر المؤرّخ (حسين بن خلف آل شيخ خزعل) في كتابه المشار إليه أعلاه أن الشيخ (محمّد)، «لمّا صادفه بعض تجّار (نجد)، «عرفوه، ولكنّه أنكرهم»، بينما أخذ هؤلاء في التحدّث عنه في مجالس (البصرة)، وهم يُطرون على سعة علمه ومدى فطنته وفضله، وفي الوقت ذاته أخبروا أهل (البصرة) بدعوته في (نجد) إلى نبذ البدَع وترك المنكرات. وبعد ذلك، أرسل هؤلاء التجّار النجديّون إلى (ابن عبدالوهاب) من يستدرجه في الكلام، فلم يفلحوا. عندها، أخبروا عنه متسلّم (البصرة)، (عمر آغا)، فأرسل رئيس شرطته ليأتيه به، فجاءه. وعند وصوله لمجلس المتسلّم، قابله هذا الأخير بالمحبّة والإكرام، ووجده رجلاً فهيماً، عاقلاً، صاحب علم وأدب، وعلى جانب كبير من رجاحة العقل، فأكرمه، وهيّأ له مسكناً ومؤونةً، وصار يتردّد لزيارته في داره، وجعله من ندماء مجلسه. كما أخذ (عمر آغا) يحثّ أهالي (البصرة) على صحبة الشيخ (محمّد) والاقتباس من علمه، ورغّبهم في مجالسته. وكان من بين هؤلاء عدد من علماء وأشراف (البصرة)، مثل قاضي (البصرة) الشيخ (شهاب الدين الموصلّي) وأحد علمائها وكبار مشايخها الشيخ (أنس بن درويش باش أعيان العبّاسي).» ويضيف: «بلغت شدّة الزحام على حلقات الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) حدّاً جعل المكان يضيق بمن فيه، فنُصِبَ له كرسيٌّ ليجلس عليه في وسط المسجد لكي يدَرِّسَ الناس

ويعظهم منه. وبقي على هذه الحال أربعة (٤) أعوام، كان يلقي خلالها محاضرات في الحديث والتفسير، ويبدي فيهما آراءً فقهيّة واجتهادات لم تكن مألوفةً لعلماء (البصرة) وطلبة العلم فيها في ذلك الزمان. وكان مستاءً ممّا كان يراه ويسمعه من خرافات وبِدَع من بعض الجهّال، مثل الإفراط في تقديس قبور الأولياء والصالحين، والتوسّل إليهم، فبدأ بإنكار ذلك، وأخذ يدعو الناس لتركها. وقد نشأت من ذلك كلّه حوارات ومناقشات بينه وبين علماء (البصرة)، فكان يردّ عليهم بردود علميّة دقيقة، مستشهداً بأدلّة من القرآن والسنّة. وكان في ردوده هذه يركّز على تذكيرهم بأنّ صرف العبادات يكون فقط للّه وحده دون سواه، وأنّ تقديس الأولياء والصالحين إنّما يكون باتّباع هديهم وسلوك منهجهم، وليس بتقديس قبورهم. وقد رفع ذلك من قدره في أعين الناس.» ويقول (آل شيخ خزعل) في كتابه أيضاً: «بعد عامين من وصول الشيخ (محمّد) إلى (البصرة)، أي في عام ١٧٢٦م (١١٣٨هـ)، عُزِلَ المتسلّم (عمر آغا) عن (البصرة)، ليخلفه (جرجس آغا)، كما عُزِل القاضي (شهاب الدين الموصلي) ليخلفه الشيخ (حسين الإسلامبولي). وعندما علم القاضي الجديد (حسين الإسلامبولي) بخبر الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) وشهرته، أرسل إليه بأنّه يريد زيارته في اليوم التالي. وفي صباح الغد، ذهب الشيخ (حسين الإسلامبولي) مصحوباً بتلاميذه وحشمه، فاستقبلهم الشيخ (ابن عبدالوهاب)، ورحّب بهم، وعانق القاضي (الإسلامبولي)، وأجلسه في صدر المجلس.»[١٥][١٦].

- الحركات الصوفيّة في العالم الإسلامي

فيما يخصّ الحركات الصوفيّة، فإنّه من المعلوم أنّ حركات التصوّف بدت بالانتشار في العالم الإسلامي (السنّي، في الغالب)، منذ أواخر الدولة العبّاسيّة، حتّى بلغت ذروةً من ذرواتها خلال الفترة بين أوائل القرن الميلادي الخامس عشر وأواسط القرن الميلادي التاسع عشر،

ولكنّها كانـت وما زالت موجودة طيلة ذلك الوقت وحتّى يومنا هذا. وقد عرفت في مناطق متفرّقة من العالم الإسـلامي وعبر أزمنة متفاوتة من التاريخ الطريقة المولويّة والشـاذليّة والنقشبنديّة والكيلانيّة والسنوسيّة والرفاعيّـة، وغيرهـا. ومـن المتّفق عليه أيضـاً أنّ هذه الحـركات كانت تتفاوت فيمـا بينها في عدّة أوجه، كما أنّها تختلف فيما بينها في درجات البدع والشرك الّتي اعترت الكثير منها. ولكنّ الطرق الأصليّة التقليديّة كانت تلتزم التزاما تامّاً بتعاليم القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة، وبأداء كلّ الفرائض وتجنّب كلّ المحرّمات الشرعيّة، وكذلك باتباع السنن والنوافـل. وكان مريدوها وشـيوخها، في الغالب الأعمّ، من أهل السـنّة والجماعة، وينتمون لأحد المذاهب السـنّيّة الرئيسيّة المعروفة والمتعارف عليها، أي، الحنفيّة والشـافعيّة والمالكيّة والحنبليّة. وكانوا ينبذون البدع والشـركيّات، صـغيرها وكبيرها، ويتمسّـكون بأركان الإسلام الخمسة الصـحيحة، ولا يبدّلـون منها شـيئاً ولا يضـيفون إليها شـيئاً. ولكنّ ما ميّزهـا هو إقامتها لمجالس الذكر، واتّباع طـرق تقرّب مريديها إلى اللّه روحيّاً. كما سـاهم الصـوفيّون، شـيوخاً ومريدين، وبادروا في التصدّي لهجمات المغول والصليبيّين والصفويّين الفرس والمستعمرين الأوروبّيّين، كما تصـدوا لظلم وفسـاد الولاة والحكّام.. ووقفوا في أوجههم بشجاعة وصلابة. ورغم أنّ الكثير من هذه الطرق الصوفيّة أفرزت فروعاً انحرفت عن أصـولها وشـعائرها بل وحتّى عن معتقداتها، حتّى بلغ البعض منها حدّ الشـرك الأصـغر والبدع والخرافات والشـعوذة، إلاّ أنّ العبرة تبقى في الأصـول وليسـ في الفروع والانحرافات. والأمـر ذاته ينطبق على كلّ الأديـان والمذاهب والمعتقدات، في كلّ زمان ومكان. وقد بلغ انتشـار هذه الطرق الصـوفيّة في العالم الإسـلامي في فترة الـذروة حدّاً جعل كثيرًا من السـنة (وفي بعض الحالات النادرة، أيضًـا الشيعة)، ينتمون لإحدى هذه الطرق. وقد شمل ذلك الملوك والحكّام والولاة والسلاطين والعلماء والفقهاء والقضاة. وقد عرف عن أتباع الطريقة الكوّازيّة في (البصرة)

انصرافهم، إلى جانب الفرائض والنوافل والسنن والعلوم الشرعيّة، إلى أعمال الخير والجهاد. فقد كانوا يكفلون ويرعون الضعفاء والمساكين في المجتمع، سواء من بني البشر على اختلاف أجناسهم ومللهم ونحلهم، مثل اليتامى والأرامل والثكالى والفقراء والمرضى وأبناء السبيل والمظلومين، بل وحتّى الحيوانات السائبة والمظلومة والجائعة والضعيفة والمريضة. كما كانوا في مقدّمة صفوف المجاهدين والمدافعين عن حياض الدين و(البصرة) وما جاورها، وأهاليها.»[17][18] إضافةً لذلك كلّه، كان مريدو وشيوخ الطرق الصوفيّة عامّةً، والكوّازيّة في (البصرة) تحديداً، يبنون المساجد ويعتنون بالمآثر التاريخية فيها. كما كانوا يجاهدون ضدّ أعداء الدين وأعداء الوطن، فقد ساهم الكواوزة في (البصرة) وبادروا في التصدّي لهجمات الصفويّين الفرس والمستعمرين الأوروبّيّين. كما تصدوا لظلم وفساد الولاة والحكّام، ووقفوا في أوجههم بشجاعة وصلابة. وهذه الحقائق كلّها قد تمّ توثيقها في مصادر معاصرة لهم، ومحايدة. لذا، فإذا كان عالم أو طالب علم، مثل الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب)، يتحاشى مجالسة أو مخالطة الصوفيّين، على ما يزعم د. (الحميدان)، فإنّه في تلك الحالة لن يجد أحداً من العلماء والفقهاء يجالسه أو يحادثه في أرجاء العالم الإسلامي كلّه، لأنّ كلّ واحداً منهم لا بدّ أن يكون منتمياً لإحدى الطرق الصوفيّة في زمانه.[19][20][21].

- وهذا كلّه يجيب على تساؤل د. (الحميدان) حول كيفيّة تحمّل الشيخ (محمّد بن عبدالوهاب) الجلوس والتحدّث مع شيوخ الطرق الصوفيّة، وكأنّه بذلك يوحي بأنّ الشيخ كان يتحاشاهم كما كان يتحاشى الكفّار أو المشركين، وكأنّهم كانوا قلّة مستهجنة منبوذة، وقد بيّنّا له أنّ ذلك ليس كما يتصوّر، بل العكس هو الصحيح.

الهوامش

(1) «موسوعة تاريخ البصرة»، الشيخ عبدالقادر باش أعيان العباسي، ١٩٧٠م، نشر الجزء الأوّل فقط، والباقي مخطوط

(٢) "موسوعة تاريخ البصرة"، د. أحمد باش أعيان العبّاسي، ٢٠١٩م

(٣) "بحر الأنساب أو المشجّر الكشّاف لأصول السادة الأشراف"، محمّد بن أحمد بن عميد الدين الحسيني النجفي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، طبع عام ١٩٩٥م

(٤) "تاريخ البصرة"، كاظم جواد الساعدي، ١٩٥٩م

(٥) "تمائم الدرر في مناقب السادات الغرر"، يحيى بن إبراهيم البصرة، مخطوط، ١٦٦٥م

(٦) "الطبقات الاجتماعية القديمة الحاكمة والحركات الثوريّة في العراق"، د. حنّا بطاطو، ١٩٩١م

(٧) "زبدة التواريخ"، ١٨ مجلّد، الشيخ عبدالوحد صفاء الدين باش أعيان العبّاسي، (ت١٩١٩م)، مخطوط

(٨) "موسوعة تاريخ العراق بين آحتلالين ٦٥٦-١٣٣٥هـ/١٢٥٨-١٩١٧م"، عبّاس العزّاوي المحامي، طبعة ٢٠٠٤م

(٩) "مناقب الكواوزة"، الشيخ الولي علي بن الولي شيخ المشايخ عبدالقادر الكبير الأوّل آل عبدالسلام العبّاسي (ت١٦٣١م)، مخطوط

(١٠) "زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا أفر أسياب حاكم البصرة"، فتح اللّه بن علوان الكعبي، ١٦٧٠م، طبع عام ١٩٢٤م.

(١٢) "حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب"، حسين خلف آل شيخ خزعل، ١٩٦٨م

(١٣) "Travels through Arabia Deserta and other countries in the East", M. Carsten Niebuhr (d ١٨١٥)

(١٤) "تاربخ الآباء الكرمليّين" (١٧١٢م)، مخطوط

(١٥) "حياة الشيخ محمّد بن عبدالوهاب"، حسين خلف آل شيخ خزعل، ١٩٦٨م

(١٦) "لمع الشهاب في سيرة محمّد بن عبدالوهاب"، حسن بن جمال بن أحمد الريكي، ١٨١٨م

(١٧) "التاريخ"، ابن خلدون المغربي، (ت١٤٠٠م)

(١٨) "الدولة العبّاسيّة"، محمد الخضري بك، طبعة عام ١٩٨٦م

(١٩) "الشاهد الجلي في مناقب الشيخ علي" الشيخ يحيى بن ملاّ خليل بن عبدالله بن خاطر البصري ١٦٧٩م

(٢٠) "تمائم الدرر في مناقب السادات الغرر"، يحيى بن إبراهيم، ١٦٦٥م

(٢١) "الزبير في العهد العثماني ٩٧٩-١٣٣٣هـ/١٥٧١-١٩١٤م"، حسن علي عبيد القطراني، رسالة ماجستير، ١٩٨٨م

كتاب «في النقد الأدبي» للأستاذ الدكتور محمد الهدلق

يشتمل هذا الكتاب على ستة مواضيع في النقد الأدبي هي:

١.النقد الأدبي في عصر الرسول صلى اللّه عليه وسلم والخلفاء الراشدين.

٢. النقد الأدبي في مقامات الحريري.

٣.أسطورة يونانية في مقامة لبديع الزمان الهمذاني.

٤.قصيدة أبي إسحاق الإلبيري إلى باديس ابن حَبّوس الصنهاجي: دوافعها وتأثيرها على أهل غرناطة.

٥.دعوى سرقة الشعر بين السَّري الرَّفاء والخالديين.

٦.مآخذ ابن معقل الأزدي على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي.

صدر في ٢٠٥ صفحات من القطع الصغير، عن كرسي الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، وقد سبق للمؤلف التطرق إلى هذه المواضيع في أبحاث نشرها في مجلات علمية محكمة ثم عاد إليها ونقّحها وزاد فيها على ضوء ما وقف عليه من مصادر لم تكن مطبوعة وقت نشرها آنذاك.

ع٠ن٠م

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الحادي عشر والثاني عشر - السنة ٥٥

الجماديان ١٤٤١هـ

كانون الثاني-شباط/يناير-فبراير ٢٠٢٠م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكــون البحث داخلاً ضــمن اهتمامات المجلة، وهي الموضــوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من ســلامة اللغة، وحســن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد (ISSN) : ١٣١٩ -٢٦٧١

الفهرس

الأفضلية بين السيف والقلم في الشعر العربي

حسن شهاب الدين

تشـيدُ الأممُ حضاراتها بعلم بنَّاء يشـملُ كافةَ فروعِ المعرفةِ ولابد لها كذلك أن تحمي منجزها الحضـاريَّ بقوةٍ تقفُ في وجـهِ معاولِ الهدمِ التي تتربصُ بها، والأمــة العربيــة – كغيرهــا من الأمم – اتخــذت من القلم دربا إلــى بلوغ الغاية المنشودة من الرقي الحضاري القائم على العلم والمعرفة واستعانت أيضا بالسيف فاتخذت منه درعا تحمي به ما شـاده العلم، وقد شـاء الشاعر العربي أن يفاضل بين هاتين الأداتين في قصائده، ولعلَّ الشاعر العباسي أبا تمام كان أبا عذرة هذه المفاضـلة حيث افتتحَ قصـيدته الخالدة في عمُّورية بمطلعهــا الطنَّان الذي مال فيه إلى جهة السـيف، ولعلَّ هذا الفتح الجليل الذي قامت به جيوش المعتصــم في فتح أمنع مدن الروم هو الذي أملى على مُجدِّدِ الشـعر العربي هذه المفاضـلة؛ إلا أنها صــارت سُنَّة للشـعراء من بعده، فجاء المتنبي الأخلد وأعلن أيضا انضمامه لحزب السيف كأستاذه أبي تمام، وما زالت الشعراء تلقي بدلائها وترمي بآرائها فمنهــم مَنْ شــايعَ أبا تمام والمتنبي، ومنهــم مَن انطوى تحت لواءِ القلم وصــرَّحَ بهذا تصــريحا لا شــك فيه إذ رأى قصــبة يراع عمياء تهدي البرية على رأي ابن نباتــة الســعدي، ولابــد أن نقرر أن ليس كل الشــعراء مقتنع تماما بمــا أبداه من وجهة نظر، بل ربما كانت مكانة الممدوح هي التي تملي على الشاعر هذا الرأي أو

غيره، فمثلا إذا كان الممدوح أديبا أو شاعرًا أومن أصحاب القلم؛ أو ذا وظيفة في ديوان الأمير، فلابد حينئذ للشاعر أن يمحو آية السيف، ويجعل آية القلم مبصرة، أما إذا كان الممدوح بطلاً مغوارًا فالنتيجة معروفة، وهناك بالطبع من جمع بين الحُسنيين، وربما كان الشاعر واصفا حاله، وقارئا واقعه كالمتنبي مثلاً، وقد دفعتنا هذه الظاهرة إلى تتبعها لدى الشعراء في محاولة بسيطة لاستقراء أثر هذه الظاهرة في شعرنا العربي، فاخترنا عدة شعراء من فحول الشعر العربي ذوي الأثر، ورحنا نتتبع ما جادت به قرائحهم في هذا الشأن ولعلنا بذلك نسد ثلمة في البحث الأدبي، ونضع يدينا على طرائق تفكير الشعراء.

بين السيف والقلم

جاء السيفُ سابقا على القلم في شعرِنا العربيِّ بل واحتلَّ مكانًا رحبًا في الصفحات الأولى من ديواننا الخالد، واستولى على لحظات إبداع شديدة الصفاء في حياة هؤلاء الفرسان الجاهليين الذين كان السيف صاحبهم ورفيق حلهم وترحالهم كما عبر عن ذلك طرفة بن العبد بقوله[١]:

فَآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً ... لِعَضبٍ رَقيقِ الشَفرَتَينِ مُهَنَّدِ
أَخي ثِقَةٍ لا يَنثَني عَن ضَريبَةٍ ... إِذا قيلَ مَهلاً قالَ حاجِزُهُ قَدي
حُسامٍ إِذا ما قُمتُ مُنتَصِرًا بِهِ ... كَفى العَودَ مِنهُ البَدءُ لَيسَ بِمِعضَدِ

ويبدو ذلك طبيعيا في مجتمع أميٍّ، أو شبه أميٍّ، لم يعرف القراءة والتدوين إلا قليلا؛ لذا كانَ اتّكاء الشعراء على السيف في تشييد مجدهم الخاص، فتفننوا في وصفه. ويكفينا الوصف البالغ الذي أتى به شاعر مضر أوس بن حجر إذ يقول[٢]:

وَأَبيَضَ هِندِياً كَأَنَّ غِرارَهُ ... تَلأْلُؤُ بَرقٍ في حَبِيٍّ تَكَلَّلا
إِذا سُلَّ مِن جَفنٍ تَأَكَّلَ أَثرُهُ ... عَلى مِثلِ مِصحاةِ اللُجَينِ تَأَكُّلا

كَـأَنَّ مَـدَبَّ الـنَمـلِ يَـتَّـبِـعُ الـــرُبـى — وَمَـدرَجَ ذَرٍّ خـافَ بَـرداً فَأَسهَلا
عَـلـى صَـفـحَـتَـيـهِ مِـن مُـتـونِ جلائـهِ — كَفى بِالَّذي أُبلي وَأَنعَتُ مُنصُلا

أمـا القلم فكان يبدو على اسـتحياء في بعض المطالع الطللية حيث يشـبه به الرسم الدارس كقول المرقّش الأكبر(٣):

الـــدَّارُ قَـفْـرٌ والـرُّسُـــومُ كَـمـا — رَقَّـشَ فِي ظَـهْـرِ الأَدِيمِ قَـلَـمْ

وقول الأخنس بن شهاب (٤):

فَـلِابـنَـةِ حِـطـّانَ بـنِ قَـيـسٍ مَـنـازِلٌ — كَما نَمَّقَ العُنوانَ فِي الـرَقِّ كاتِبُ

ومن خالد الشعر بيت لبيد بن ربيعة الرائع(٥):

وَجَلا السُيولُ عَنِ الطُلولِ كَأَنَّها — زُبُـــرٌ تُجِــدُّ مُـتـونَـهـا أَقـلامُـهـا

وهكذا شالت كِفة القلم في الميزان ورجحت كِفة السيف إلا أن العصور التالية والأجيال البازغة سـتدرك قيمة القلم فقد انتشـرت القراءة في الجزيرة العربية وذلك بعد غزوة بدر بحكمة نبوية ساطعة. حيث كان على كل أسير يريد أن يفدي نفسـه أن يعلم عشـرة من المؤمنين وهكذا درج العرب على عادة القراءة، وعرفوا قيمة العلم، ونال الشـعراءَ شـيء من ذلك عظيم، ودأب الشعراء على ذكر القلم والكتابة، وشـيئا فشيئا بدأ القلم يزاحم السيف في مكانته، وفي دواوين الشعراء، على مرِّ العصـور، شـاهدُ عدلٍ ونظرة سـريعة في سِـفر الخريدة الخالد للعماد الأصفهاني مثلا – وهو يبسط جناحه على العصر الأيوبي بأكمله تقريبا – تطلعنا على مدى توسـع الشـعراء في وصـف القلم وعدة الكتابة وكأنها من مسـتلزمات قصـيدة المدح، ولكن لشيء ما لم يتطرق الشعراء منذ القدم للعلاقة بين السيف والقلـم جدِّيـا أو التساؤل عن أيهما صـاحب السـبق والفضـل في بنـاء دعائم الحضـارة، وكان على مُجدِّدِ الشعر أبي تمام حبيب بن أوس أن يكون فاتح الباب في المفاضـلة بينهما، فقال قصـيدته الرائعة التي يوحي مطلعها بإدراك الشاعر الواعي بأهمية الأداتين في الحياة، ولكن ذلك لم يمنعه من تفضيل السيف وبشكل

قاطع فقال[٦]:

السَيفُ أَصدَقُ أَنبـاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ

وظلَّ مطلعُ أبي تمام يشغلُ الشعراءَ فمنهم مَنْ يؤيد، ومنهم مَنْ يعارض. والطريف أنَّ منهم من اتخذ من كلمات البيت نفسه وسيلة التأييد أو المعارضة، فالصاحب شرف الدين يؤيد أبا تمام بكلمات بيته فيقول[٧]:

وَإِنْ أَتَتْ مِنْهُمْ كُتْبٌ مُؤَلَّفَةٌ ... فالسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِن الكُتُبِ

ولكن ابن نباته المصري يعارض هذا الرأي فيقول[٨]:

وكلَّمتنا سيوفُ الكتب قائلةً ... ما السيفُ أصدقُ أنباء من الكتب

وسوف نماشي الشعراء مقتبسين من دواوينهم ما يؤيد أو يعارض كل فريق ذاكرين حجج هذا ودلائل ذلك، منتهجين منهجا زمنيا في تقديم الشعراء بحسب سني وفاتهم.

ولكن من الأهمية بمكان أن نعرض لأبيات أخرى لأبي تمام استطاع بها أن يؤرخ لوصف القلم في الشعر؛ فصار كأنه السابق أيضا لهذا. وهي رغم عدم تعرضها للمفاضلة بين القلم والسيف إلا أنها أبيات اتكأ الشعراء عليها كثيرا، واتخذوا من تعبير «القلم الأعلى» الذي ابتكره شاعرنا سُلَّما يرتقون فيه لوصف القلم، وربما أيضا للمفاضلة بينه وبين السيف وهذه هي الأبيات[٩]:

لَكَ القَلَمُ الأَعلى الَّذي بِشَباتِهِ ... تُصابُ مِنَ الأَمرِ الكُلى وَالمَفاصِلُ

لَهُ الخَلَواتُ اللاءِ لَولا نَجِيُّها ... لَما احتَفَلَت لِلمُلكِ تِلكَ المَحافِلُ

لُعابُ الأَفاعي القاتِلاتِ لُعابُهُ ... وَأَريُ الجَنى اشتارَتهُ أَيدٍ عَواسِلُ

لَهُ ريقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقعَها ... بِآثارِهِ فِي الشَرقِ وَالغَربِ وابِلُ

فَصيحٌ إِذا استَنطَقتَهُ وَهوَ راكِبٌ ... وَأَعجَمُ إِن خاطَبتَهُ وَهوَ راجِلُ

إِذا ما امتَطى الخَمسَ اللِطافَ وَأُفرِغَت ... عَلَيهِ شِعابُ الفِكرِ وَهيَ حَوافِلُ

أَطاعَتهُ أَطرافُ القَنا وَتَقَوَّضَت ... لِنَجواهُ تَقويضَ الخِيامِ الجَحافِلُ
إذا استَعزَزَ الذهنَ الذَكيَّ وَأَقبَلَت ... أَعاليه في القرطاسِ وَهيَ أَسافِلُ
وَقَد رَفَدَتهُ الخِنصَرانِ وَشَدَّدَت ... ثَلاثَ نَواحيه الثَلاثُ الأَنامِلُ
رَأَيتَ جَليلاً شَأنُهُ وَهوَ مُرهَفٌ ... ضَنىً وَسَميناً خَطبُهُ وَهوَ ناحِلُ

وقد استوفى أبو تمام في أبياته أوصاف القلم، ولم يترك لغيره من الشعراء إلا الدوران في فلك أبياته، ولا يضيفون إلا بعض الرتوش التي أهملتها تلك اللوحة الرائعة، وقد ذكرنا هذه الأبيات في وصف القلم لأنها أُمٌّ ذلك الباب، كما ذكرنا أبيات أوس بن حجر في وصف السيف لنرى كيف تفرعت التشبيهات والأوصاف، وظلت متمسكة بالجذور الأولى التي غرسها المبدعان الكبيران، وأبو تمام صاحب هذا الغِراس هو رافع لواء أفضلية السيف؛ لذا ستكون محطتنا الأولى مع هذا الفريق بدون أن يكون ذلك رأينا الشخصي وإنما رأينا الشخصي هو ما ذكرنا في الكلمات الأولى من هذا البحث.

أفضلية السيف:

بقصيدة خالدة أرَّخ أبو تمام (٢٣١هـ) لانتصار العرب المسلمين على الروم وبلغت القصيدة مبلغا تستحقه من الشهرة فطارت على كلِّ لسان وصارت نشيدا حماسيا محفورا في الوجدان العربي وكم من شاعر رام التحليق بجناحيه في أفقه الرحب فقصر عن ذلك ،إلا أن أبا تمام قد ابتدع سُنة صار كأنه السابق إليها – كما سبق وذكرنا – في استخدام السيف والقلم معا والمفاضلة بينهما في الشعر وتبعه أيضا الشعراء في ذلك كل بحسب رأيه، وهذه هي أبيات شاعرنا الشهيرة[١٠]:

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ ... في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ
بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في ... مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

ونجد أنّ الشـاعر لم يصرح بلفظ القلم، وإنما اكتفى بالإشارة إلى أثر هذا القلم (الكتب)، وبذلك فتح أبو تمام ذلك الباب، وتبعه المتنبي (٣٥٤هـ) مصرحا هذه المرة بلفظ القلم، وفي لهجة حادة وإن تكن مريرة فقال[١١]:

ما زِلتُ أُضحِكُ إبلي كُلَّما نَظَرَت	إلى مَن اختَضَبَت أَخفافُها بِدَم
أُسيرُها بَينَ أَصنامٍ أُشاهِدُها	وَلا أُشاهِدُ فيها عِفَّةَ الصَنَم
حَتّى رَجَعتُ وَأَقلامي قَوائِلُ لي	المَجدُ لِلسَيفِ لَيسَ المَجدُ لِلقَلَم
اكتُب بِنا أَبَداً بَعدَ الكِتابِ بِهِ	فَإِنَّما نَحنُ لِلأَسيافِ كَالخَدَم
أَسمَعتَني وَدَوائي ما أَشَرتَ بِهِ	فَإِن غَفَلتُ فَدائي قِلَّةُ الفَهَم
مَن اقتَضى بِسِوى الهِندِيِّ حاجَتَهُ	أَجابَ كُلَّ سُؤالٍ عَن هَلٍ بِلَم

إذن فشاعر العرب الأكبر يصرح بلا مواربة أن المجد للسيف وليس للقلم، بل جعل القلم خادمًا للسيف، عاكسًا بذلك رأي ابن الرومي الذي رأى السيوف خادمة للأقلام، في أبيات رائعة تأتي في موضعها.

وبتوقيع الشاعر الفارس أبي فراس الحمداني (٣٥٧هـ) تأتي هذه الأبيات التي أبدعها إثر مناظرة بينه وبين الدمستق وهو في أسره. فقال له الدمستق: "إنما أنتم كُتَّاب ولا تعرفون الحربَ". فردَّ عليه أبو فراس بشجاعته المعهودة قائلا: "نحن نطأ أرضك مُنذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟" ثم قال قصيدته البائية الرائعة التي أولها[١٢]:

أَتَزعَمُ يا ضَخمَ اللَغاديدِ أَنَّنا	وَنَحنُ أُسودُ الحَربِ لا نَعرِفُ الحَربا

وفيها يقول منتصرا للسيف على القلم:

أَتوعِدُنا بِالحَربِ حَتّى كَأَنَّنا	وَإِيّاكَ لَم يُعصَب بِها قَلبُنا عَصبا
لَقَد جَمَعَتنا الحَربُ مِن قَبلِ هَذِهِ	فَكُنّا بِها أُسداً وَكُنتَ بِها كَلبا

ثم يعدد ضحايا حروب المسلمين فيهم قائلا له أن يسألهم:

أَلَم تُفنِهِم قَتلاً وَأَسـرًا سُيوفُنا وَأُسدُ الشَّرى المَلأى وَإِن جَمُدَت رُعبا
بِـأَقلامِـنـا أُجـحِـرتَ أَم بِسُيـوفِنـا وَأُسدَ الشَرى قُدنا إِلَيكَ أَم الكُتبا

وتبدو لهجة الشـاعر الساخرة من هذا الجاهل في ثنايا أبياته التي تشع قوة ومضاء.

وهـذا أبو الفرج الببغاء (٣٩٨هـ) من كبار شـعراء هذا العصـر يؤكد فكرة سابقيه بقوله[١٣]:

في عارِضٍ ضاقَتِ الأَرضُ الفَسيحَةُ عَن سُراهُ إِذ سالَ فيها سَيلُهُ العَرِمُ
كَـأَنَّـهُ الـلَـيـلُ لا قُـربٌ وَلا بُـعدٌ يَخفي عَلَيـهِ وَلا فَـجٌّ وَلا علمُ
يَهدي الغُبارُ إِلَيهِ الشَمسَ كاسِفَةً كَـأَنَّـهـا فيـهِ سِـرٌّ لَيسَ يَنكَتِمُ
شَـقَّ الغَضَـنفَرُ آجـامَ الـرِمـاحِ بِـهِ وَالمَـوتُ يُسفِرُ أَحياناً وَيَلتَثِمُ
فَراسَلَ الـدَهرَ في الأَعـداءِ عَزمَتَهُ وَكاتَبَ النَصرَ عَنهُ السَيفُ لا القَلَمُ

والشـاعر يبدأ بوصـف ذلك الجيش الذي سال في الأرض سيله العرم، ثم توسـل التشبيه ليهول أمر الجيش فصـوره بالليل المتسع بلا نهاية وكأنه متأثر بقول النابغة الذبياني[١٤]:

فَـإِنَّـكَ كَـالـلَـيـلِ الَّـذي هُـوَ مُـدرِكـي وَإِن خِلتُ أَنَّ المُنتَأى عَنكَ واسِعُ

ويبالغ أيضـا في وصـف غبار ذلك الجيش راسـمًا للشـمس الكاسفة صورة رائعة، جاعلاً منها سـرًّا ولكنه بادٍ غير منكتم، ويمضـي الشاعر البارع في وصف صورة ذلك الشجاع الذي يخوض آجام الرماح والموت هناك شخص يسفر أحيانا ويلتثـم أحيانا أخرى، حتى يصـل إلى بيته المنشـود الذي جعل السـيف أحق من القلم في مكاتبة النصر.

أما الشـريف الرضي (٤٠٦هـ) فيصـرح بأفضلية السيف في استرداد الحق فيقول[١٥]:

سَأَخطُبُها بِحَدِّ السَيفِ فعلاً ... إذا لَم يُغنِ قَولٌ أَو خِطابُ
وَآخُذُها وَإِن رُغِمَت أُنوفٌ ... مُغالَبَةً وَإِن ذلَّت رِقابُ

وفي بيتين له آخرين لا يبخس القلم حقه فيقول[١٦]:

إِنَّ الذَوابِلَ وَالأَقلامَ أَرشِيَةٌ ... إِلى العُلى لِمُلوك العُربِ وَالعَجَمِ
لَيسَ السُيوفُ عَنِ الأَقلامِ مُغنِيَةً ... الفَرِيُ لِلسَيفِ وَالتَقديرِ لِلقَلَمِ

إذن لابد من السيف والقلم معا لابتناء المكارم والعلى، فليست السيوف على فريها مغنية عن تقدير الأقلام.

ويفتتح ابن قلاقس (٥٦٧هـ) بائيته بتقديم السيف بلا مراء فيقول[١٧]:

نسخَ الجدُّ مقالَ اللعبِ ... ومحا السيفُ حديثَ الكتبِ

ويوافقه معاصره عمارة اليمني (٥٦٩هـ) في تفضيل السيف وإن كانت أبياته أكثر حدة فيقول[١٨]:

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلمِ ... وشفرةُ السيفِ تستغني عن القلمِ
وخير خلَّيكَ إن غامرتَ في شرفٍ ... عزم يفرق بين الساق والقدمِ
إن المعالي عروس غير واصلةٍ ... إن لم تخلّقْ ردائيها بنضح دمِ

والشاعر ذو وعي حاد بدور السيف ويؤكد أن شفرته تكفي وحدها، وصاحبها مستغنٍ بلا شك عن القلم.

ويأتي دور ابن المقرب العيوني (٦٢٩هـ) لا ليعلن ميله للسيف فقط ولكنه أيضا يسخر من القلم فيقول[١٩]:

مَلِكٌ حَمى جَنَباتِ المُلكِ مُعتَزِمًا ... بِالسَيفِ لا بِيَراعٍ غُطَّ في جَمَمِ
وَشَكلَةُ السَّيفِ أَمضى في العَدُوِّ وَإِن ... فُلَّت مَضارِبُهُ مِن شَكلَةِ القَلَمِ

وقد كان شاعرنا متشبِّعًا بهذه الفكرة، وهي حتما نتيجة لما لاقاه في حياته؛

لذا نسمعه يقول مرة أخرى[٢٠]:

مَلَكُوا الأقَالِيمَ العِظَامَ وَأهلَها بِالمُرهَفاتِ البيضِ لا الأقلامِ

ويهدر صوت ابن معتوق الموسوي (١٠٨٧هـ) وكأنه صليل السيوف التي تمحو آيتها آية القلم فنسمعه يقول[٢١]:

سيفٌ بهِ نُسَخُ التّوراةِ قد نُسِخَتْ وآيةُ السّيفِ تَمحو آيةَ القلَمِ

ونتوقف لدى ابن معصوم الحسني (١١١٩هـ) صاحب السفر الخالد سلافة العصر فنراه يفضل السيف أيضا في قوله[٢٢]:

يا متعبًا بنقوشِ الخَطِّ أنملَه وَساهرَ اللّيلِ لَم يَرقُد وَلَم يَنَمِ

دَع عَنكَ ما راحَت الأقلام تنقشُهُ في صَفحةِ السيفِ ما يُغني عنِ القلمِ

ويمضي ركب الشعر في عصرنا الحديث كاشفًا عن شعراء لا يزالون يؤمنون بأهمية السيف بل بأفضليته على القلم، رغم ما ترسله شمس العلم في عصرنا من أضواء بازغة، مخالفين بذلك الأغلبية المعاصرة التي رأت القلم خير وسيلة للتقدم، وأن لغة العلم أعلى صوتا من لغة السيف. وسنعرض لرأيهم ولكن على أن نرهف السمع لهؤلاء المبدعين الكبار، وأولهم عبد المحسن الكاظمي شاعر العرب (١٩٣٥م) في لاميته المجلجلة إذ يقول[٢٣]:

وَإن لَم يَكن حكم اليراع بعادلٍ فإنّ رجوع السيف في الناس أعدلُ

وَلَيسَ سواء وَالخطى تتبع الخطى غداة الوَغى شاكي السلاح وأعزلُ

وليس غريبًا على شاعر العرب أن تكون هذه لغته في قصيد ينثره على أقدام فلسطين ذات الحق الضائع ومطلع قصيدته الرائعة:

فلسطين إنّ القصدَ لا يتحوّل وإنَّ صعابَ الأمرِ سوف تذلّلُ

وهذا شاعر فلسطين الكبير إبراهيم طوقان (١٩٤١م) يخاطب في قصيدته المجاهد الأغر صلاح الدين الأيوبي فيقول له[٢٤]:

لَـــكَ فِي الـتـاريـخ أَيــــام غــرر كَتبت بِالسَيف لا بِالقَلَم

وللشاعر الرائد مصطفى الغلاييني (١٩٤٤م) مستنهضا بني وطنه هذان البيتان الرائعان[٢٥]:

هُبُّوا لِكَسْرِ قُيودٍ طالَ مَحْبِسُكُمْ فيها فأَنْتمْ حُماةُ المجدِ من قِدَم

لا يَدْفَعُ الخَطْبَ إنْ يَنْزِلْ بنا خُطَبٌ إنَّ الخَطيبَ خَطِيبُ السَّيْفِ لا القَلَم

وليكن شاعر العراق معروف الرصافي (١٩٤٩م) محطتنا الأخيرة لهذه الكوكبة المتألقة من شعرائنا الكبار الذين ساروا على نهج أبي تمام والمتنبي ورأوا أنَّ السيفَ أصدقُ أنباءً من الكُتُب ونختار له[٢٦]:

ألا انهض وشمِّر أيها الشرق للحرب وقبِّل غِرار السيف واسل هوى الكتبِ

ولا تغترر أن قيل عصر تمدُّن فإنَّ الذي قالوه من أكذب الكذبِ

ألستَ تراهم بين مصر وتونس أباحُوا حِمى الإسلام بالقتل والنهبِ

ونختار أيضا[٢٧]:

والمجدَ لا تَبنِه إلا على أسسٍ من الحديد وإلاّ فهو منهدمُ

لو لم يك السيف ربّ المُلك حارسه ما قام يسعى على رأس له القلمُ

وللرصافي حجته في ذلك وهي:

إن أسمعت ألسن الأقلام ظالمها بعضَ الصرير كمن يبكي وينظلمُ

فللحسام صليلٌ يرتمي شرراً مفتقًا إذن مَن في إذنه صممُ

هبِ اليراعة رِدء السيف تأزره فهل على الناس غير السيف محتكمُ

فالعلم ما قارنَته البيضُ مفخرةٌ والحقُّ ما وازرته السمر محترمُ

وإنما العيش للأقوى فمن ضَعُفت أركانه فهو في الثاوين مُختَرمُ

وسوف نرى أن الرصافي خالف ندَّه الزهاوي في رأيه إذ كان هذا الأخير يعترف بتقديم القلم على السيف .

أفضليَّة القلم:

يأتي ابن الرومي (٢٨٣هـ) على رأس الشعراء الذين رأوا للقلم فضلا على السيف وقد كرر رأيه في عدَّة مواضع من شِعره مما يذهب بنا إلى الاطمئنان أن هذا الرأي هو ما يعتقد فعلا ولم تكن ظروف المدح هي الداعية لذلك ومن أبياته في تفضيل القلم(٢٨):

إن يخدم القلمَ السيفُ الذي خضعتْ ... له الرقابُ ودانت خوفه الأممُ

فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يغالبُهُ ... ما زال يتبع ما يجري به القلمُ

كذا قضى الله للأقلامِ مذ بُريتْ ... أن السيوفَ لها مذ أُرهفَتْ خدمُ

وله أيضا مؤكدا فكرته الرائدة (٢٩):

لعمرُك ما السيفُ سيف الكميِّ ... بأخوفَ من قلم الكاتِبِ

كما أنه يرى القلم عدة النصر التي تغني عن السيف(٣٠):

فلتُنْصَرَنَّ على الطُّغاةِ به ... ولتُكْفَيَنَّ السيفَ بالقلمِ

ويحظى القلم بنصير كبير آخر هو البحتري (٢٨٤هـ)، شيخ الصناعة ورب البراعة كما يقال عنه، وهو معاصرٌ لابن الروميِّ وأكبر منه سنًّا، إلا أنه توفي بعده بعام واحد، وهو تلميذُ أبي تمام النَّجيبُ إلا في هذا الرأي، فلقد خالفه وذلك بقوله(٣١):

ما السَيفُ عَضباً يُضيءُ رونَقُهُ ... أَمضى عَلى النائِباتِ مِن قَلَمِه

وقد قدمنا ابن الرومي ليس فقط لأسبقية وفاته عن البحتري بل لوضوح فكرة تفضيل القلم عن نظيره البحتري. ورغم أن بيت البحتري في معرض المديح إلا أنه حمل لنا خلاصة رأي أحد كبار الشعراء العرب، بل أحد أركان الإبداع الشعري، ويأتي الشاعر الناقد أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) فيؤيد سابقيه، وإن أضاف لونا جديدا للوحة؛ فابن الرومي اكتفي بأن السيوف خدم للأقلام إلا

العسكري لا يكتفي بذلك بل يزيد على ذلك بقوله[٣٢]:

الكَتبُ عَقلُ شَـوارِدُ الكَلِم | وَالخَطُّ خَيطُ فَرائِدِ الحِكَم
بِالخَطِّ نُظِّمَ كُلُّ مُنتَثِرٍ | مِنها وَفُصِّلَ كُلُّ مُنتَظِم
وَالسَيفُ وَهوَ بِحَيثُ تَعرِفُهُ | فَرضٌ عَلَيهِ عِبادَةُ القَلَم

ومن كبار الشعراء ابن نباتة السعدي (٤٠٥هـ) الذي شايع القلم في أكثر من موضع مؤكدا فكرته، ومضيفا أيضا لونا جديدا، فهو لا يكتفي بتفوق الأقلام على السيوف وإنما يرى أيضا تفوقها على الرماح ونختار له هذه النماذج الأربعة التي ضمها ديوانه الكبير[٣٣]:

إذا طاعنوك بصُمِّ الرمَا | حِ طاعنتَ بالقَلَمِ المِدْعَسِ
ولم أرَ من قبلِهِ ناطِقًا | بفصلِ الخِطابِ ولم يَنْبِسِ

وله ..[٣٤]:

ما تصنَعُ البيضُ بالجماجِمِ ما | تصنعُ هذي الأقلامُ والوَرَقُ

و..[٣٥]:

وما بَرِحَتْ كتبهم بالعتَا | بِ تَقرعُ قلبَكَ حتى أَلَمْ
يَفُلُّونَ حدَّ الظُّبى بالرُّقَى | ولا يَبلُغُ السيف كيدَ القَلَمْ

وله أيضا[٣٦]:

تتظلمُ الأسيافُ من أقلامِهِ | فيكادُ يَرحَمُهُنّ من لم يَرْحَمِ

أما ابن بابك (٤١٠هـ) فيقف متحديا الفريق الآخر الذي يفضل السيف وينعتهم بالكذب قائلا[٣٧]:

كذب الزاعمون أن المعالي | في صدور المثقفات الدوامي
إنما المجد والندى والمساعي | والردى في أسنةِ الأقلام

ونتقدم خطوات لنستمع إلى أبي الحسن التهامي (٤١٦هـ) قاضيا على

المشرفية بأنها تطيع أوامر الأقلام[٣٨]:

لبِق الأَنامل بِالرماح وَطالَما | أَغنى عَن الأَرماح بِالأَقلام
ما قطّ قطُّ إِلى العدى قلماً له | إِلا وَناب به عَن الصمصام
قَلم يُقلم ظُفر كُلّ ملمَّة | وَيكفُّ كَفَّ نَوائِب الأَيّام

وفي أبيات كأنها لمعات البرق يشهد مهيار الديلمي (٤٢٨هـ) للقلم أنه أكثر شجاعة من السيف الجبان![٣٩]:

ويجبُن السيفُ فتسـ | ـتلُّ اليراعَ البطَلا
يبعثُ بأسُه الردى | إلى النفوس رُسُلا
يقصُّ عنك أخرساً | ما دقَّ أو ما أَشكَلا

ومن شعره أيضا[٤٠]:

وإذا انتضى الأَقْلامَ من أغمادها | طفقت تلَثَّم بالحيا الأسيافُ

وهذا رأي فيلسوف الشعراء وشيخ المعرة أبي العلاء (٤٤٩هـ) [٤١]:

لا تُهاوِن بِصَغيرٍ مِن عِدًى | فَقَديمًا كَسَرَ الرُمحَ القَلَم

ويأتي شاعر الشام في وقته ابن حيوس (٤٧٣هـ) ليدلي برأيه في أبيات صيغت بمهارة مضيفة لون الحبر الأسود الذي يكسو اللوحة ثوبا من الأنوار[٤٢]:

وَمُظَفَّرَ الأَقلام كَم أَردى بها | مَلِكًا وَرَوَّعَ جَحفَلاً جَرّارا
عَجَبًا لَها تَجري بِأَسوَدَ فاحم | يكسو الطُّروسَ ظَلامُهُ أَنوارا
تَمضي بِحَيثُ تُرى السُيوفُ كَليلَةً | وَتَطولُ حَيثُ تَرى الرِماحُ قِصارا

وهذا لسان أرجان ناصح الدين الأرجاني (٥٤٤هـ) يفضل القلم ويجعله على نحوله أمضى من السيوف في يد الشجعان[٤٣]:

قَلَمٌ ناحلٌ بِيُمْناهُ أَمضَى | من سُيوفٍ بيضٍ بأيمانِ شجْعه

مُـعْـجِـزٌ آمـنَـتْ بـه فُـضَـلاءُ الـدْ دَهْـرِ طُـرّاً لـه وللفَضْلِ شِرْعه

وله معارضا دالية الحصري الشهيرة[٤٤]:

وتـُديـرُ أنامِلُـه قَلَماً كَلِفاً بالمُلْكِ يُوَطّدُه

يَـقْـتَـصُّ وقـد حصَدوه له مَـن هـام عِداهُ فيَحْصُدُه

ويَزيـدُ مَضـاءُ مَضارِبه فَيُقصِّرُ عنه مُهَنَّدُه

وله..[٤٥]:

لـه قَـلَمٌ إن هَزَّه في كتابةٍ أبَرَّ على سَيْفِ الكمِيِّ المُصالت

ولابن الساعاتي (٦٠٤هـ) أبيات في تفضيل القلم أتى بها على وصف كثير وبدلا من أن يكتفي بتفضيل القلم على السيف فقط جعل سطوره كصفوف جحافل. ولابد لنا أن نتذكر أن الممدوح في هذه القصيدة هو القاضي الفاضل المتسنم ذروة البلاغة في زمانه وهي[٤٦]:

وذو القلم العذب اللغى العضب في الوغى إذا قيل: هل من قائلٍ أو منازلِ؟

إذا خاف منهُ نبوةً سنّ بالمدى ولم تتعاقبه أكفُّ الصياقلِ

ومن عجبٍ يهوى وينحل جسمهُ وما كلُّ من يهوى سواه بناحلِ

فهل صدرت عنهُ إلى كل مارقٍ سطورُ كتابٍ أم صفوف جحافلِ

جيادُ نزال كفهَّنَّ بشكله فأيُّ جيادٍ كفهَّا أيُّ شاكلِ

سواكنُ إلا في وغى فهي شُزَّبٌ عوادٍ على أعدائه بالطوائلِ

حوت ألفاتٍ كالعوالي مضافةً إلى كلّ لام أشبهت لام نابلِ

وليست حواشي طرسه غير ساحلٍ لبحر بنانٍ كلُّ بحرٍ بساحلِ

تراهُ لما يحتله من عجائب كعطف أخيه البحر جمَّ الأفاكلِ

فلو أمَّ ذاك اليمَّ سحبان وائل لما كان من ذاك الأتي بوائلِ

وفي مديح القاضي الفاضل أيضا يتعمد ابن سناء الملك (٦٠٨هـ) تفضيل القلم على كلٍّ من السيف والرمح في لمحة بالغة الذكاء نظرا لمكانة الممدوح

الأدبية فيقول[٤٧]:

وبكفه القلمُ الذي ... يَسْقي العُداةَ حمامَها

إن خطَّ حطَّم رُمْحَها ... أو صالَ فلَّ حُسامَها

ونجتاز العصر الأيوبي إلى العصر المملوكي، لنقف على رأي شعرائه ولابد أن يكون في مقدمتهم الشاعر الكبير صفي الدين الحلي (٧٥٠هـ) وهو من مؤيدي القلم بل ومن المغالين في تفضيله في أكثر من موضع منها [٤٨]:

في كفِّه القَلَمُ الَّذي خَضعَت لَهُ ... بيضُ الصَفاح وَفُلُّ حَدُّ شَباتها

وَسَطا عَلى الأَرماحِ وَهوَ رَبيبُها ... وَأَليفُها في الغاب عندَ نَباتها

قَلَمٌ فَرى كَبِدَ الأُسودِ وَما رَعى ... حَقَّ الجوارِ لَهُنَّ في أَجَماتها

ما شاهَدَ الأَملاكُ مَجَّةَ ريقِهِ ... إلا وَجَفَّ الريقُ في لَهَواتها

وأرى أن شاعرنا كان موفقا إلى حد بعيد في الجناس الذي زيَّن به البيت الأخير، وله أيضًا[٤٩]:

يَروعُ جُيوشَ الحادِثاتِ يَراعُهُ ... وَيُفني الأَعادي قَبلَ أَسيافِهِ الذِكرُ

ويفضله على الرماح أيضا..[٥٠]:

لَكَ القَلَمُ الَّذي قَصُرَت لَدَيهِ ... طِوالُ السُمرِ في حَربٍ وَسِلمِ

يَراعٌ راعَ بِالخُطَبِ الزَواهي ... جَسيمَ الخَطبِ وَهوَ نَحيفُ جِسمِ

فَفي يَومِ النَدى يَجري فَيُجدي ... وَفي يَومِ الرَدى يَرمي فَيُصمي

ويضيف صفي الدين الزرد إلى لوحتنا قائلا[٥١]:

لَكَ اليَراعُ الَّذي إن هُزَّ عامِلُهُ ... لَم تُغنِ عَنهُ صِلابُ البيضِ وَالزَرَدُ

ويوافقه معاصره شاعر المشرق ابن نباتة المصري (٧٦٨هـ) ويرى أن القلم يغني عن السلاح[٥٢]:

وذو القلم الذي إن قال أغنى ... عن استماع قعقعة السلاح

وله البيت الذي سبق وذكرناه والذي يتحدى به إمامه في الشعر[٥٣]:

وكلمتنا سيوفُ الكتب قائلةً ... ما السيفُ أصدقُ أنباءَ من الكتب

ونختار من شعراء الأندلس ابن زمرك (٧٩٥هـ) وهو على مخالفته أبا تمام لا يتورع عن استخدام تعبيره «لك القلم الأعلى» فيقول[٥٤]:

لك القلم الأعلى الذي طال فخره ... على المرهفات البيض والأسَل السُّمُرِ

تُقلِّد أجياد الطروس تمائمًا ... بصنفَيْ لآلٍ من نظام ومن نثر

تهيَّبَكَ القرطاس فاحْمَرَّ إذ غدا ... يُقلُّ بحورًا من أناملِكَ العَشْرِ

كأنّ رياض الطَرس خدٌّ مورّدٌ ... يُطَرِّزه وشيُ العذار من الحِبْرِ

فشارة هذا الملك رائقة الحُلى ... بألوية حمر وبالصُّحف الحمرِ

ويستخدم نفس التعبير شعار اليمن الهبل (١٠٧٩هـ) مخالفا أيضا صاحب التوقيع الأول بامتلاكه[٥٥]:

لكَ القَلم الأَعلَى الّذي إن سَلَلْتَهُ ... تخافُ سيوف الهندِ سطوة باسِهِ

ويتلوه معاصره الأمير منجك (١٠٨٠هـ) وهما يقفان سويا في مرحلة وسطى بين القدماء وشعراء عصر النهضة فيقول[٥٦]:

لَكَ القَلَم الَّذي يَزري مَضيًّا ... لَدى الأَحكام بِالعَضب اليَماني

ويترك ناصيف اليازجي (١٨٧١م) هذا البيت شاهدا على تفضيله للقلم ومكررا فكرة ابن الرومي[٥٧]:

هذا اليَراعُ الذي استخدَمتَ عامِلَهُ ... قامَتْ لَدَيهِ سُيوفُ الهِندِ كالخَدَمِ

إلا أن الرائد الكبير البارودي (١٩٠٤) يعد بحق أول شعراء النهضة عرضا للفكرة وربما كان عليه ذلك فهو موقظ الشعر من رقدته الطويلة ولذا حين أدلى برأيه بين السيف والقلم لم يكن مقلدا لليازجي بل كان صاحب فكر واعٍ ونظر ثاقب فقال[٥٨]:

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةُ الأُمَمِ فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ
كَمْ بَيْنَ مَا تَلْفِظُ الأَسْيَافُ مِنْ عَلَقٍ وَبَيْنَ مَا تَنْفُثُ الأَقْلامُ مِنْ حِكَمِ
لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمُ بِقَطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ لا بِسَفْكِ دَمِ
فَاعْكِفْ عَلَى الْعِلْمِ تَبْلُغْ شَأْوَ مَنْزِلَةٍ فِي الْفَضْلِ مَحْفُوفَةٍ بِالْعِزِّ وَالْكَرَمِ
فَلَيْسَ يَجْنِي ثِمَارَ الْفَوْزِ يَانِعَةً مِنْ جَنَّةِ الْعِلْمِ إِلا صَادِقُ الْهِمَمِ

أبيات تشع حياة ولغة مصفاة نخلتها القرون حتى صار صلصالها بيد البارودي؛فأبدع بها كيفماشاء.

ويأتي شوقي (١٩٣٢م) وناهيك بأمير الشعراء متمما عمل البارودي وشريكه في الخلود إن لم يكن سابقه، ليفضل القلم ويرى أننا في عصر العلم لا السيف فيقول(٥٩):

هَذا الزَمانُ تُناديكُم حَوادِثُهُ يا دَولَةَ السَيفِ كوني دَولَةَ القَلَمِ
فَالسَيفُ يَهدِمُ فَجراً ما بَنى سَحَراً وَكُلُّ بُنيانِ عِلمٍ غَيرُ مُنهَدِمِ
قَد ماتَ فِي السِلمِ مَن لا رَأيَ يَعصِمُهُ وَسَوَّتِ الحَربُ بَينَ البَهمِ وَالبُهَمِ
وَأَصبَحَ العِلمُ رُكنَ الآخِذينَ بِهِ مَن لا يُقِم رُكنَهُ العِرفانُ لَم يَقُمِ

ومن روائعه الخالدة(٦٠):

يَمضي وَيُنسى العالَمونَ وَإِنَّما تَبقى السُيوفُ وَتَخلُدُ الأَقلامُ

وله..(٦١):

وَأَعارَ واتِرلو جَلالَ يَراعِهِ فَجَلالُ ذاكَ السَيفِ عَنهُ قَصيرُ

ومن أشرف ما قيل في الشعر هذان البيتان من نهج البردة يردُّ بها شاعر العرب والمسلمين قول الجهلاء(٦٢):

قالوا غَزَوتَ وَرُسلُ اللَهِ ما بُعِثوا لِقَتلِ نَفسٍ وَلا جاؤوا لِسَفكِ دَمِ
جَهلٌ وَتَضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَةٌ فَتَحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتحِ بِالقَلَمِ

ويقف شاعر العراق الزهاوي (١٩٣٦م) وراء شوقي والبارودي متابعا لهما فيقول[٦٣]:

إنـــا بعصـــر فيـه بالـــ ـــعلـم تـســـود الأمـــمُ
كـم مــرة قـد غلـب الـسْـ ـسَـيفَ الجـرازَ القلمُ

وهذا شاعر الإسلام الخالد أحمد محرم (١٩٤٥م) يفضل القلم ويرى في العلم سرَّ الخلود[٦٤]:

مُرهَفُ الأقلامِ يأتي في الوغَى من جليل الفتحِ ما يُعيِي الحُساما
إنّ للعلـم لَسِـرّاً جللاً نستفيدُ الخُلدَ منه والدّواما

ونختتم بأحد كبار شعراء مصر وهو أحمد الكاشف (١٩٤٨م) الذي أيَّد فكرة سابقيه ببيانه الرائع فقال[٦٥]:

وأشدُّ من سيف الكميِّ وناره قلم يجادل أو لسانٌ يخطبُ

ومن خالد شعره[٦٦]:

وحسامُك الصمصامُ مُفْـ ـتقرٌ إلى القلمِ المبينِ

وبعد استعراض هذه النماذج لكبار شعرائنا لابد أن نشير إلى عدة ملاحظات منها:

أننا لم نذكر كل ما قاله الشعراء في هذا الصدد فهذا أمر يخرج عن الاستقصاء ولكننا عرضنا إلى ما يرسم لنا صورة توضيحية لا تفصيلية عن الموضوع محط البحث.

الأمر الثاني: أننا لاحظنا أن شعراء العصور المتأخرة كانوا اكثر إدراكا لفكرة القلم وخاصة شعراء عصر النهضة التي انتهى البحث لديهم وبالتالي مالت كِفة القلم عن السيف وهذا واضح من النماذج الشعرية وهو أمر لم نتعمده .

وأخيرا يبدي لنا البحث صورة رائعة لأمتنا العربية من خلال شعرائها،

فتبين شغف هذه الأمة بالعلم وأدواته، كما أنها تعرف للقوة قدرها في حفظ الحق.

الهوامش:

(١) ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ط٢ /٢٠٠٠- ص٥٤.

(٢) ديوان أوس بن حجر، تحقيق د.محمد يوسف نجم - دار صادر بيروت ط٣ ١٣٩٩-١٩٧٩ ص٨٤/٨٥.

(٣) ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر — دار صادر بيروت ١ /١٩٩٨ ص٦٧.

(٤) المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف القاهرة ط٦ ص٣٠٤.

(٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د.إحسان عباس- سلسلة التراث العربي (٨)- الكويت١٩٦٢ ص٢٩٩.

(٦) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ج١، تحقيق محمد عبد عزام دار المعارف القاهرة ط٥/ ص٤٠.

(٧) ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري، عني بتحقيقه د.عمر موسى باشا مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق لاط/ ص٨٧.

(٨) ابن نباتة المصري، ملتزم الطبع محمد القلقيلي ط١ بمطبعة التمدن بعابدين مصر ١٣٢٣/١٩٠٥ ص٤١.

(٩) ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج٣/ ص١٢٢ وما بعدها.

(١٠) المصدر السابق ج١/ص٤٠.

(١١) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ج٤ دار الكتاب العربي /بيروت — لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - ط٢/ص٢٩١/٢٩٢.

(١٢) ديوان أبي فراس الحمداني رواية ابن خالويه، ج٢، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه د.سامي الدهان المعهد الفرنسي بدمشق - بيروت ١٣٦٣/١٩٤٤ص٣٦.

(١٣) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تأليف أبي منصورعبد الملك الثعالبي النيسابوري ج١ شرح وتحقيق د.مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤٠٣-١٩٨٣/ ص٣٢٩.

(١٤) ديوان النابغة الذبياني، سلسلة ذخائر العرب (٢٥) تحقيق محمد أو الفضل إبراهيم دار المعارف ط ٢ص٣٨.

(١٥) ديوان الشريف الرضي، ج١، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدم له د.محمود مصطفى حلاوي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت لبنان
ط ١/ ١٤١٩-١٩٩٩/ص١٨٩.
(١٦) المصدر السابق ج٢ ص٣٢٦.
(١٧) ديوان ابن قلاقس تحقيق د.سهام الفريح مكتبة المعلا الكويت ط١/١٤٠٨-١٩٨٨/ ص٣٧٠.
(١٨) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى بتصحيحه هرتويغ درنبرغ مكتبة مدبولي القاهرة ط٢/١٤١١-١٩٩١ ص٣٥٢/٣٥٣.
(١٩) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج٢ تحقيق د.أحمد موسى الخطيب من إصدارات مؤسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠٢/ص٩٦٧.
(٢٠) المصدر السابق ص٨٦٨.
(٢١) ديوان ابن معتوق، دار صادر، عن نسخة قديمة ضبطه ووقف على طبعه المعلم سعيد الشرتوني اللبناني ص١٣.
(٢٢) ديوان ابن معصوم، حققه وأعد تكملته شاكر هادي شكر عالمالكتب مكتبة النهضة العربية ط١/١٤٠٨-١٩٨٨ ص٦٣٨.
(٢٣) الأعمال الشعرية الكاملة لشاعر العرب عبد المحسن الكاظمي، حققها ونشرها حكمت الجارحي دار الحكمة لندن ط١/٢٠٠٢ ص٤٩٦/٤٩٧.
(٢٤) قصيدة موسم النبي موسى، الأعمال الشعرية الكاملة، إبراهيم طوقان قدم له إحسان عباس وفدوى طوقان المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط٢/١٩٩٣ ص١٣٠.
(٢٥) ديوان الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ط١ /١٤١٣هـ - ١٩٩٣م / قصيدة صخرة الشمم ص١١٨.
(٢٦) ديوان الرصافي، أتم شرحه وصححه مصطفى السقا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٥ سلسلة آفاق عربية عدد نوفمبر وديسمبر (٨٤-٨٥)/٢٠٠٤ ص٤٨٠.
(٢٧) المصدر السابق ص٤٠١/٤٠٢.
(٢٨) ديوان ابن الرومي، ج٣، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج دار الكتب العلمية – بيروت ط٣/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م / ص٢٨٤
(٢٩) المصدر السابق ج١ ص١٠٥.
(٣٠) المصدر السابق ج٣ص٣٠٥.
(٣١) ديوان البحتريّ، المجلد٤، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي ط٣ دار المعارف/القاهرة ص٢٠٦٤.
(٣٢) ديوان المعاني، للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري، ج٢، شرحه وضبط نصه أحمد حسن

بسج دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١/١٤١٤-١٩٩٤ ص٤٢٣.

(٣٣) ديوان ابن نباته السعدي، ج٢، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية – سلسلة كتب التراث (٥٦) ١٩٧٧ ص٢٦٨.

(٣٤) المصدر السابق ج٢ ص٣٤٥.

(٣٥) المصدر السابق ج٢ ص١١٨.

(٣٦) المصدر السابق ج١ ص ٣٥٢.

(٣٧) يتيمة الدهر، مصدر سابق ج٣ ص١٤٧.

(٣٨) ديوان التهامي، شرح وتحقيق د.علي نجيب عطوي دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان١٩٨٦ ص٣٧٢.

(٣٩) ديوان مهيار الديلمي، ج٣، مطبعة دار الكتب المصرية باعتناء أحمد نسيم ط١/١٣٤٤-١٩٢٥ص١٤٥/١٤٦.

(٤٠) المصدر السابق ج٢ ص٢٨٠.

(٤١) شرح اللزوميات، ج٣، تحقيق مجموعة من الباحثين إشراف د.حسين نصار مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ص١٨٩.

(٤٢) ديوان ابن حيوس، المجلد الأول، عني بنشره وتحقيقه خليل مردم بك دار صادر بيروت ١٤٠٤-١٩٨٤ ص٣٠٧.

(٤٣) ديوان الأرجاني، المجلد الثاني، تقديم وضبط وشرح قدري مايو دار الجيل بيروت ط١/١٤١٨-١٩٩٨ ص٥٠.

(٤٤) المصدر السابق المجلد الأول ص٢٣٤/٢٣٥.

(٤٥) المصدر السابق ص١٥٠.

(٤٦) ديوان ابن الساعاتي، ج٢، عني بتحقيقه ونشره أنيس المقدسي منشورات كلية العلوم والآداب الجامعة الأمريكية في بيروت سلسلة العلوم الشرقية (١٢) ١٩٣٨/ص٢٩.

(٤٧) ديوان ابن سناء الملك، ج٢، تحقيق محمد إبراهيم نصر دار الكاتب لعربي القاهرة ١٣٨٨-١٩٦٩ ص٢٨٨.

(٤٨) ديوان صفي الدين الحلي، تقديم كرم البستاني دار صادر بيروت – لاط ص١٧٢.

(٤٩) المصدر السابق ص٣٧٨.

(٥٠) المصدر السابق ص٣٠٥.

(٥١) المصدر السابق ص١٣٤.

(٥٢) ديوان ابن نباته المصري، مصدر سابق ص١٠٣.

(٥٣) المصدر السابق ص٤١.

(٥٤) ديوان ابن زمرك الأندلسي، حققه وقدم له ووضع فهارسه د.محمد توفيق النيفر دار الغرب

الإسلامي ط١/١٩٩٦ ص٤٢٣.

(٥٥) ديـوان الهبـل أمير شـعراء اليمن، حققه أحمد بن محمد الشـامي الدار اليمنية للنشـر والتوزيع ط٢/١٤٠٧-١٩٨٧ ص٤٣٧.

(٥٦) ديوان منجك باشـا، تحقيق محمد باسـل عيون السـود منشـورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق٢٠٠٩ ص٦١.

(٥٧) ديوان ناصيف اليازجي، فهرسه ووقف على طبعه نظير عبود/ دار مارون عبود ١٩٨٣/ ص٢٨١.

(٥٨) ديوان البارودي، حققه وضـبطه وشـرحه علي الجارم ومحمد شـفيق معروف دار العودة بيروت ١٩٩٨ ص٥١١.

(٥٩) الشوقيّات، تحقيق وتبويب وضبط وتعليق د.علي عبد المنعم عبد الحميد/الشركة المصريّة العالميّة للنشر سلسلة الشعر والشعراء /ط أولى٢٠٠٠ قصيدة تحية للترك ص٣٠٧.

(٦٠) المصدر السابق قصيدة الأسطول العثماني ص٤٤٨.

(٦١) المصدر السابق قصيدة ذكرى هيجو ص٧٦٧.

(٦٢) المصدر السابق قصيدة نهج البردة ص٢٢٢.

(٦٣) ديـوان جميـل صـدقي الزهاوي، شـرح وتقديم انطـوان القـوَّال دار الفكر العربي بـيروت لبنان ط١/٢٠٠٤ ص٣٨٥.

(٦٤) ديـوان محرم،الجـزء الأول، السياسـيات٢،جمعه وحققه وشـرحه محمود أحمـد محرم،مكتبة الفلاح - الكويت ،ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص٦٧٨.

(٦٥) ديوان الكاشـف، دراسـة وتحقيـق وتعليق أ.د.محمد إبراهيم الجيوشـي الهيئة المصـرية العامة للكتاب١٩٧٨/ص٢٣١.

(٦٦) المصدر السابق ص٦٤.

نشأة مدينة زبيد وتطورها في تهامة اليمن

أ.د/ محمد عبده السروري

مقدمة: تمثل نشـأة المـدن أهمية كبيرة للخلافة الإسـلامية والدول التابعة لها، من حيث النواحي السياسـية والإدارية والعلمية والتجارية. ولذلك فإن نشأة المـدن تعـبر عن أهـم المعالم التـي تتطلبها الدولـة والحكام لأنها تعـزز حكمهم وسلطانهم.

وقد تعددت أهداف نشأة المدن الإسلامية وذلك بحسب الحاجة لاستخدامها، ومـن أهمهـا جعلها عواصـم للأقاليم أو البلـدان، وكذا جعلها مراكـز إدارية أو محطات تجارية أو موانئ أو غير ذلك.

ويتنـاول هـذا البحث موقع المدينة والتسـميات المتعددة التي سـبقت نشـأة المدينة، ومنها تسـمية المكان الذي ظهرت فيه مدينة زبيد، أهمها تسـمية القرية والمخلاف والقصبة و الكورة والمصر، ثم ظهرت تسمية المدينة كعاصمة للإقليم.

وتشـكل نشأة مدينة زبيد أهمية كبيرة لإقليم تهامة واليمن كله، كونها كانت عاصـمة للإقليم وعاصمة لليمن، وقد جاء اختيار موقع مدينة زبيد لوقوعها على طريق التجارة من عدن إلى مكة والشام وكذا طريق الحجاج إلى مكة.

ويتحدث البحث عن زمن نشأة مدينة زبيد، واسم أول من أنشاها وهو محمد بن زياد؛ والي الخلافة العباسية لتهامة، وذلك بداية القرن الثالث الهجري، وبالتحديد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، حسب ما أوردته المصادر اليمنية، رغم اعتراض بعض الباحثين المعاصرين على هذا التحديد.

ويذكر البحث أهم الشروط المطلوبة لنشأة المدن في العصر الإسلامي، ومنها زبيد ومن أهمها اعتدال هوائها، وقربها من المياه والمراعي والاحتطاب، وكذا قربها من الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى وقوعها على ملتقى طرق تجارية، وهذه الشروط كانت متوافرة في مدينة زبيد، لوقوعها على وادي زبيد وعلى الطريق التجاري الموصل إلى مكة والشام.

كما يتحدث البحث عن شكل بناء المدينة وتسويرها ومادة البناء فيها ومساحتها، بالإضافة إلى دور الإمارة فيها.

وعلى ذلك فقد كان الهدف الرئيسي من نشأة مدينة زبيد جعلها مركزًا إداريًّا ومقرًّا لحكام إقليم تهامة واليمن للخلافة العباسية، وذلك ما ذكره الخزرجي بقوله: «فجعلها ابن زياد دار ملكه ومستقر إقامته»[1]، هذا أهم ما جاء في البحث، ونستعرضه بالآتي:

زبيد واديًا: يعد وادي زبيد من أودية تهامة اليمن، وهو عبارة عن أراضٍ خصبة تقع على جانبي مجرى المياه القادمة من سلسلة من الجبال الشرقية لزبيد، وهذه المياه نوعان:

إحداهما: مياه العيون المتدفقة باستمرار طيلة أيام السنة، مع مراعاة أنها قد تقل أو تكثر بحسب غزارة موسم الأمطار.

والآخر: مياه سيول الأمطار التي تأتي إلى وادي زبيد بعد هطول الأمطار مباشرة على السلسلة الجبلية الشرقية لزبيد، وتعمل هذه المياه سواء مياه العيون

أو مياه سـيول الأمطار على ريّ أراضـي وادي زبيد؛ فينشأ من ذلك وادي خصب مليء بالمزروعات.

وكما هو معروف بأن تهامة تعني الأراضي المنخفضة، وهي الأراضي الواقعة بين سـاحل البحر وسلسـلة الجبال الممتدة عبر أرضـي اليمن والحجاز[٢]. فإنه نظـرًا لطول تهامة على امتداد سـواحل اليمـن والحجاز، وانحدار أراضـيه من الجبال إلى السـاحل، فإن جريان مياه العيون ومياه سـيول الأمطار الهاطلة على جبـال اليمن والحجاز تسـير منحدرة من الجبال حتى السـاحل، مشـكلة أودية تقطع أرض تهامة من جهة العرض[٣].

ولذلك فإن وادي زبيد من الأودية التي تقطع أراضي تهامة من ناحية العرض. كمـا أنه يقـع بين واديين هما وادي نخلـة جنوبًا ووادي رمع شـمالاً[٤]، ويمتد من سـهول الجبال المحاذية لبلاد ريمة ووصـاب حتى سواحل البحر الأحمر، ويقدر طول مساحته ما بين أربع مراحل[٥]، إلى خمس مراحل[٦].

ويشـير ابن المجاور إلى "أن جميع أراضـي زبيد كانت حمى مهلهل وكليب"، علـى اعتبـار أنّ بلـد مـوزع هـي "أرضـ مهلهـل وكليـب التـي وقعت بهـا حرب البسوس"[٧].

وفي القديم كان يطلق على وادي زبيد اسـم (الحصـيب) ذكر ذلك الجندي فقال: "وادي زبيد مشهور، وكان يقال له الحصيب"[٨].

ومـن المعـروف أن وادي زبيد مـن الأودية القديمة اسـمًا وجريانًا، ومما يـدل على ذلك أنه حينما قدم الأشـعريون إلى المدينة المنورة لإعلان إسـلامهم دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لزبيد بالبركة، في حديث أورده ابن الديبع عن الإمام البيهقي في دلائل النبوة يسـنده إلى عبـد الرازق عن معمر بقوله: (بلغني أنـه لما قدم الأشـعريون من اليمن على الرسـول صـل الله عليه وسـلم قال لهم:

من أين جئتم؟ قالوا: من زبيد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بارك الله في زبيد"، رددها ثلاث مرات وفي الرابعة بارك لرمع)[٩].

زبيد قريةً: اشتهر وادي زبيد في البداية بوصفه قرية تسمى الحصيب، وهي نسبة إلى الحصيب بن عبد شمس بن وائل[١٠]. ثم تحول اسم الحصيب إلى زبيد، وانحصر اسم الحصيب على قرية في وادي زبيد. وهي قرية للأشعريين[١١]، وقرية الحصيب من القرى القديمة لوادي زبيد، وذلك ما يتضح مما ذكره ابن المجاور من أن اسم زبيد ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن حيث قال له: (يا معاذ إذا وصلت إلى أرض الحصيب فهرول فإن بها نساء يشبهن حور العين)[١٢].

واستمرت قرية الحصيب إحدى قرى وادي زبيد لمدة من الزمن، ربما امتد ذلك إلى بداية القرن الثالث الهجري. وعلي الرغم من عدم تحديد موقع قرية الحصيب في وادي زبيد، إلا أنه من المرجح أن هذه القرية هي التي تحولت إلى مدينة زبيد فيما بعد. أو أنها نشأت على قرب من هذه القرية، فغلب فيما بعد اسم مدينة زبيد على قرية الحصيب فاندثر هذا الاسم وظهر اسم زبيد.

زبيد مخلافًا: لم يقتصر إطلاق اسم زبيد على وادي زبيد نفسه، بل اتسع هذا الاسم ليصبح مصطلحًا يطلق على أراضي واسعة سميت مخلاف زبيد، (والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع)[١٣]. وقد ظهرت هذه التسمية قديما عندما قُسِّمت اليمن إداريًّا إلى مخاليف، والذي بموجبه أصبحت زبيد أحد مخاليف اليمن[١٤]. وكما يتضح أن تقسيم اليمن إداريًّا إلى مخاليف ظهر قديمًا، من المرجح أنه يرجع إلى فترة ما قبل الإسلام. وظل اسم مخلاف يستخدم في العصر الإسلامي الأول لفترة من الزمن إلى أن تلاشت هذه التسمية وحلت محلها تسميات أخرى.

ولم يكن هناك حدود متساوية للمخلاف في اليمن. فقد يتكون المخلاف من

مناطق واسعة وقد يقتصر على مناطق صغيرة، وهذا يعتمد على شكل المنطقة من الناحية الجغرافية من حيث التضاريس من وجود جبال حاجزة بين المنطقة والأخرى، ووجود صحاري، وزيادة ونقص عدد السكان من منطقة إلى أخرى وغيره.

زبيد محجةً: نظرًا لأن الحج أحد أركان الدين الإسلامي الخمسة، فمنذ دخول الإسلام اليمن نشط طريق الحجاج القادم من مناطق اليمن المتعددة إلى مكة، ومنها الطريق المار من عدن عبر وسط تهامة. والذي يمر عبر زبيد، حيث أصبحت زبيد من أهم محطات قوافل الحجاج والتجار، وذلك لما تتمتع به من صفات تؤهلها لأن تكون محطة لقوافل الحجاج والتجار، مثل توفر المياه والأقوات وأماكن وقاية المسافرين من حرارة الشمس (الفندقة)، وهي ما يحتاجه المسافرون للحج والتجارة.

وبما أن المحجة هي الطريق التي يعبر فيها الحجاج إلى مكة، فإنه نتيجة لتزايد نشاط الحجاج والتجار في اليمن في صدر الإسلام فقد وجد في تهامة طريقان رئيسان لخدمة الحجاج والتجارة فيهما عدة محطات. أحدهما: طريق الساحل الذي يمر من عدن عبر عدة محطات منها المندب، والمخا، الخوخة، الأهواب، غلافقة، الحردة، الشرجة، والمعقر، عثر، حلى ، السرين، جدة، مكة.

والآخر: الطريق الذي يسمى طريق الجادة السلطانية، أو الطريق الرسمي للدولة، الذي يسير من عدن عبر عدة محطات، منها موزع، حيس، ثم زبيد، وفشال، القحمة، الكدراء، مقرة، المهجم، جيزان، الساعد، ثم يلتقي مع طريق الساحل، ويفترقان في السرين فيسير أحدهما إلى مكة والآخر إلى جدة[١٥].

ومن الواضح أن تسميات هذه المحطات حدث فيها بعض التغيير من عصر إلى آخر، فمثلا ماذكره الهمداني المتوفى سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) من أن محجة عدن السائرة إلى زبيد ثم مكة كانت تعبر عبر عدة محطات منها: المخنق،

الحجار، المسيل، عبرة، كهالة، الماجلية، المعقدية، ثم زبيد، المعقر، الكدرا، المهجم[16]، إلى أن تصل إلى مكة، أو أن هناك طرقًا قديمة وطرقًا حديثة.

وكما يتضح أن هذا التغير ناتج عن صفات اقتصادية وسكانية وجغرافية وسياسية وغيره من حيث توفر المياه والمؤن (الميرة) والفندقة والاسواق وتوفر الحماية، وقد استخدمت بعض هذه المحطات كمدن إدارية وسياسية. وعلى ذلك فإن زبيد ظهرت كمحطة لمحجة عدن منذ بداية دخول اليمن الإسلام. وازداد نشاطها أكثر عندما أصبحت طريق الجادة السلطانية وهي الطريق الرسمية لبريد الدولة الإسلامية بعبوره عبر زبيد، ثم ازدادت أهمية زبيد تظهر بوضوح عندما أصبحت مدينة إدارية وسياسية منذ بداية القرن الثالث الهجري وما تلا ذلك من قرون.

ومن ضمن من اهتمّ بإصلاح هذه المحجة أو الطريق التي تربط فيما بين حضرموت وعدن وزبيد ومكة، القائد الحسين بن سلامة المتوفى سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٥م)، الذي أنشأ الجوامع والمنارات والمحطات المتعددة من حضرموت إلى عدن ثم إلى مكة، في مسافة تبلغ عشرين مرحلة، بُني في كل مرحلة جامع ومأذنة وبئر[17].

زبيد قصبةً: القصبة تعني العاصمة[18]، أو المركز الرئيسي للبلد، وقد ظهر مصطلح القصبة ضمن التقسيم الإداري للأراضي الإسلامية. فمن هذه التقسيمات الإدارية تقسيم المقدسيِّ الأراضي الإسلامية إلى أربعة عشر إقليما، وضع الجزيرة العربية إقليما من هذه الأقاليم. أما اليمن فقد جعلها موضعًا واسعا وليس إقليمًا. كما عمل على تقسيم (توزيع) الأقاليم إلى كور وهي ما يعادل المصر وقسم الكورة أو المصر إلى عدة قصبات والقصبة إلى عدة مدن. وفي هذا الشأن قال المقدسي: "اعلم أنّا جعلنا الأمصار كالملوك، والقصبات كالحجاب، والمدن كالجند"[19].

وفي نطاق اعتبار زبيد قصبة هامّة لتهامة لابد لنا من استعراض تقسيم اليمن إداريًّا، فالمقدسي جعل اليمن قسمين، أحدهما: تهامة وقصبته زبيد، والآخر: نجد اليمن وقصبته صنعاء. وذلك مايوضحه بقوله: "وأما اليمن فقسمان ما كان نحو البحر فهو غور واسمه تهامة قصبته زبيد... وأما ماكان من ناحية الجبال فهو بلاد بارد يسمى نجد قصبتها صنعاء"[٢٠].

وهناك تقسيم آخر لليمن مشابه لهذا التقسيم، وهو أنها قسمت إلى قسمين، أحدهما: الجبال والآخر: التهائم[٢١]. كذلك وجد تقسيم ثالث لليمن لدى المؤرخين اليمنيين يقترب من تلك التقسيمات السابقة، وهو أن اليمن قسّم إلى يمنيين، أحدهما اليمن الأعلى وقصبته صنعاء، والآخر: اليمن الأسفل وقصبته زبيد[٢٢].

وكما يتضح أن هذه التقسيمات مشتقة من طبيعية اليمن الجغرافية، وهي أن المناطق الجبلية المرتفعة جُعلت قسمًا خاصًّا قصبته صنعاء، وأن المناطق المنخفضة وهي تهامة جُعلت قسمًا خاصًّا قصبته زبيد. كما يظهر أن هذه التسمية ظهرت عندما جعلت تهامة تابعة إداريّا لمكة، وذلك أواخر القرن الثالث الهجري. في حين أن الجبال ظلت إقليما مستقلاً بنفسه، وبالنسبة لتسمية اليمن الأسفل لم تظل محصورة في تهامة وحدها فقد شملت هذه التسمية مناطق أخرى من اليمن وهي مناطق جبلية مثل الجند وتعز وذي جبلة و إب. وربما يرجع ذلك إلى وجود دويلات مستقلة في هذه المناطق وظهور هذه المناطق عواصم لهذه الدويلات في تلك المناطق، مثل الدولة الصليحية التي جعلت عاصمتها ذي جبلة، والدولة الأيوبية والرسولية التي جعلت عاصمتها تعز.

ومن الواضح أن هناك تشابهًا فيما بين هذه التقسيمات الثلاثة سواء أ كان يطلق على هذين القسمين إما نجد اليمن أو تهامة اليمن، أو الجبال والتهائم، أو اليمن الأعلى واليمن الأسفل. فكل هذه التقسيمات تهدف إلى معنى واحد هو أن

زبيد قصبة للمناطق المنخفضة سواء سميت تهامة أو التهائم أو اليمن الأسفل. وأن صنعاء قصبة للمناطق المرتفعة سواء سميت نجد اليمن أو الجبال أو اليمن الأعلى.

وكما يتضح أن هناك ترابطًا فيما بين المدن والتقسيم الإداري، فلما كانت زبيد من أهم المدن التهامية سياسيًّا وإدريًّا فقد اعتبرت قصبته اليمن الأسفل، أو قصبته تهامة. ولما كانت صنعاء من أهم مدن الجبال فقد اعتبرت قصبته نجد اليمن أو الجبال أو اليمن الأعلى.

وكما يظهر أن هذه التقسيمات الثلاثة ظهرت عندما وجدت في تهامة اليمن دولة مستقلة، وذلك في القرن الثالث الهجري، وهي ظهور تبعية تهامة لمكة إداريا وظهور دويلات مستقلة في تهامة مثل الدولة الزيادية، ثم الدولة النجاحية، ثم دولة بني مهدي.

ويمكن اعتبار زبيد كقصبة لتهامة لأنها تميزت بعدة مميزات، منها كبر المساحة، وأنها محل إقامة ملوك اليمن أثنا حكم الدولة الزيدية والنجاحية وبني مهدي، وتوفر الرخاء الاقتصادي والمياه الحلوة، إضافة إلى وجود الأسواق والحمامات وغيره[٢٣]؛ وعلى ذلك فان زبيد ظهرت كقصبة عندما قسمت اليمن إلى قسمين.

زبيد كورةً: يورد الهمداني أن زبيد كورة تهامة[٢٤]. والكورة قد تعني المخلاف أو القصبة أو المصر أو المدينة؛ وهذه مصطلحات مترادفة مع وجود بعض الفوارق فيما بينهما.

ونستنتج من ذلك كله أن زبيد أطلقت عليها عدة أسماء؛ فأطلق عليها اسم وادي زبيد أو الحصيب ثم أطلق عليها مخلاف زبيد أو قصبة تهامة أو مصر تهامة، وذلك نتيجة لتطور مدينة زبيد التاريخي وتقسيمها الإداري والسياسي وغيره.

زبيد مصــرًا: وعلى الرغم من أنّ المقدســي يعتبر مدينة زبيد قصبة لتهامة إلا أنه يعود ويذكر زبيد أنها أحد الأمصار إلى جانب مدينة عثر ومدينة صنعاء، وكما هو واضــح فالمصــر لدى المقدســي أكبر من القصــبة، إذ يقول: «إنّا جعلنا الأمصار كالملوك، والقصبات كالحُجّاب، والمدن كالجُند». وعلى ذلك فإن هناك تطورًا في مفهوم مصطلح زبيد من قصبة إلى مصر.

وبالنســبة لتعريف المصــر لدى المقدســي فإنــه يقول عنه بأنــه «كل بلد حلّه السـلطان الأعظم، وجُمعت إليه الدواوين، وقلدت منه الأعمال، أو أضـيفت إليه مدن الأقاليم». أما الفقهاء فيعرفون المصر بأنه: كل بلد جامع تقام فيه الحدود، ويحله أمير، ويقوم بنفقته وبجمع رســتاقه. وعند أهل اللغة: المصــر كل ما حجز بــين جهتــين. وعند العوام: المصــر كل بلد كبــير جليل [٢٥]. وقد يعني التمصــير (نشأة المدينة) ويتضح ذلك من قول ياقوت الحموي عن مدينة قلهات في عُمان: "ولا أظنها تمصرت إلا بعد الخمسمائة" [٢٦].

ونستنتج من ذلك أن المصر هو المدينة الكبيرة التي توجد بها دواوين وجيش وأســواق. وذلك مايؤكده أصحاب اللغة بأن المدينة هي "المصر الجامع" [٢٧]، أي أنّ المصــر مدينة رئيسية لدولة مستقلة سواء أكانت هذه الدولة متسعة الأطراف والكبر أو محدودة المساحة، بخلاف القصبة التي تعتبر أحد المدن الرئيسية، أي أن المصــر عاصمة للبلد بكاملها، في حين أن القصبة عاصمة لأحد أقاليم البلد. أي أنّ البلد لها مصرٌ واحدٌ ولها عدة قصباتٍ.

زبيد مدينةً: المدينة في اللغة هي الحضــارة واتساع العمران. أو هي (المصر الجامــع) [٢٨]، والمدينة قد يكون حجمها صــغيرًا أو متوســطًا أو كبيرًا، وقد تكون المدينة نشأت لأهداف عسكرية أو سياسية أو إدارية أو تجارية أو غيره. وقد تكون المدينة مركزًا رئيســيًّا للإقليم أو المخلاف أو القصــبة أو البلــد أو الناحية. وقد تكون المدينة فرصــة تجارية للبلد؛ وعلى ذلك فما موقع مدينة زبيد من مسميات

هذه المدن المتعددة؟

تطور تدرج نشـأة مدينة زبيد من قرية إلى محطة لقوافل الحجاج والتجار، إلى مدينة لمخلاف أو قصـبة أو كورة أو مصـر كما سـبق ذكره، إلى أن أصبحت مدينة إدارية وسياسية منذ بداية القرن الثالث الهجري حسب ما ذكرته المصادر اليمنية. نوضح ذلك بالآتي:

ظهر اسـم زبيد بوصـفها مدينة في عدة مصادر، من ذلك أن الهمداني (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) ذكـر أن زبيد أحد مدن جزيرة العرب عندمـا ذكر أطوال مدن العرب المشـهورة وعروضها، حيث أوضح أن عرض مدينة زبيد كان يماثل عرض مدينـة ظفار؛ وهو ثلاثة عشـر درجة ونصـف. وطولها مئة وتسـع عشـرة درجة وربع[٢٩].

كذلك ذكر الوصـابي (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠) أن مدينة زبيد والمعقر والكدراء أو المهجم وبلجة كانت تحت حكم الأمير الجليل عبد الله بن يوسـف الشراحي، وهو الذي عاصـر الخليفة المأمون العباسـي، وهو الذي ظلَّ مواليًا للخلافة العباسـية بالدعوة لها وضرب السكة باسمها إلى حين امتناعه عن إرسال أي مقررات مالية لهم، واستمر مستقلا إلى أن سيطر على تهامة بنو زياد[٣٠].

سنة ظهور مدينة زبيد: تجمع المصادر اليمنية على أن سنة بناء مدينة زبيد كمدينة إدارية وسياسـية هي سـنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، وهي السـنة التي ظهرت فيها دولـة بني زياد في تهامة اليمـن بأمر من الخليفة المأمون العباسـي، إلاّ أنّ بعض المؤرخين يرون أنّ هذا التاريخ أو هذه السنة يكتنفها بعض الغموض من عدة نواح منها:

أولا: أن المصـادر الإسـلامية الهامة، مثل: الطبري وابن الأثير وابن كثير لا تذكر ظهور دولة بني زياد في تهامة اليمن في هذه السنة.

ثانيا: أن ظهور دولة بني زياد في هذا التاريخ لم تكن واضحة المعالم في المصادر اليمنية نفسها التي ذكر هذا التاريخ؛ لذلك رجّح كل من القاضي محمد الأكوع وعبد الرحمن الشجاع أن ظهور دولة بني زياد كان في بداية القرن الرابع الهجري، وليس في بداية القرن الثالث الهجري[٣١].

وعلى الرغم من وجود إشارة بأنّ آل الشراحي حكموا وصاب وتهامة ومن أهمهم الأمير عبد الله بن يوسف الشراحي الذي عاصر المأمون العباسي، وأن آل الشراحي ظلوا يحكمون تهامة حتى ظهور بني زياد، إلا أننا لا نستطيع الجزم بأنّ مدينة زبيد كانت مركزًا رئيسًا ومقرًّا إداريًا وسياسيًّا لآل الشراحي.

تأسيس مدينة زبيد إداريًّا وسياسيًّا: أوردت المصادر اليمنية عدة روايات تحكي كيفية ظهور مدينة زبيد كمدينة إدارية وسياسية، وهي مرتبطة بظهور دولة بني زياد كدولة مستقلة في تهامة اليمن، وتابعة للخلافة العباسية وهي الآتي:

الرواية الأولى: أورد ابن المجاور رواية فحواها أنه كان يخرج في أرض زبيد كل يوم ستمائة فارس يتقاتلون فيها، واستمر القتال بينهم إلى أن ملّ بعضهم بعضًا. ولذلك اتجه جمع من مشايخهم نحو العراق لعرض المشكلة على الخلافة العباسية لحلها، فوصلوا إلى بغداد في خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد الذي تولى الخلافة خلال الأعوام (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م) فلما وصلوا إليه شرحوا له حالهم وقضيتهم وقالوا له: «نحن قوم من الشاعر وجميعنا بنو عم ويجرى بيننا قتال». وعمل المأمون على حل الخلاف فيما بينهم بأن جعل إمارة البلاد لأكبرهم سنًا، ثم للذي يليه، ثم للذي يليه، وهكذا حتى آخرهم وهو الخامس. ولما اقتنعوا بهذا الرأي خرجوا من بغداد عائدين نحو تهامة اليمن، فمات أكبرهم في الطريق فأصبح الذي يليه هو المتولي للأمر، ثم مات الثاني، وهكذا إلى أن مات الرابع قرب زبيد. ونظرا لذلك تشاءم الخامس من

هــذا الحادث وموت الأربعة، فلما دخل زبيد عزل نفســه عــن الولاية، وولى زبيد أحــد أبناء عمومته، فجباها وأرســل بما جباه من أمــوال إلى بغداد مقر الخلافة العباســية. ولمــا قُتِل محمــد الأمين رفض هــذا الوالي طاعة الخلافة العباســية، فتغلب على ما تحت بدية من نفوذ وقطع إرسال الجباية إلى الخلافة العباسية في عهد المأمون وأصبح يجبي الخراج لصالحه.

الرواية الثانية: أوردها ابن المجاور أيضــا، وتحكى أن الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشــيد ولّى على تهامة اليمن محمد بن زياد بن محمود بن منصــور، فلما ســار محمد بن زياد نحو تهامة اليمن ووصــل أرض الحصيب وجد بها قومًا يقتتلون بها كل يوم إلى ضحوة النهار. فعمل على الإصلاح بينهم وحل خلافاتهم، وبعــد حــل خلافهم بنى له قصــرًا في غلافقة على ســاحل البحــر الأحمر، وهي فرضــة زبيد. ثم بــدأ يكون له دولة في تهامة اليمن. فاشــتري له ألف عبد، وقيل أنه جلب جمعًا عظيمًا من عســاكر العراق، وبعد أن صــار لديه جيش قوي، عمل على المكر بأهل الحصــيب، بالقضاء عليهم والاســتيلاء على السلطة في بلادهم عن طريق إقامة ضــيافة لهم، وهي أنه دعا كبار مشــايخ أرض الحصــيب وكبار قبائل الأشاعر إلى حضور مأدبة طعام أقامها إكراما لهم، فلما حضروا وانشغلوا بــالأكل والشــرب وهم في أمان هجــم عليهم عبيده بالســيف فقتلوهم جميعا ولم ينــج منهم أحد، ثم اتجه إلى مقاتلة من حوله من قبائل القرى المختلفة في أرض الحصيب، ولم يترك قتالهم حتى أذعنوا له بالطاعة والخضوع لسلطانه، ولذلك عمل على بناء دولته(٣٢).

الرواية الثالثة: أوردها عمارة وعدة مصــادر يمنيــة أخرى، وهي أنه بعد أن تمكن الخليفة العباســي المأمون من التغلب على أخيه محمد الأمين واستولى على الخلافــة، بــدأ يفتش عمّن وقف ضــده وحاربه، ومن وقف في صــف أخيه الأمين فجُلِب إليه كل من شكَّ فيه بهدف معاقبتهم والرواية كالآتي:

في سـنة ١٩٩هـ قدم إلى المأمون عدة رجال يقدرون بمائة رجل، منهم رجل من ولد عبيد اللّه بن زياد، ورجل من ولد سليمان بن هشام، ورجل من بني تغلب، فلما حضــروا إلى الخليفة المأمون حاورهــم ثم أمر بقتل الأمويين وهما الرجلان اللذان من ولد عبيد اللّه بن زياد ومن ولد سـليمان بن هشــام. وآنذاك عمل ابن زيـاد على اسـتعطاف المأمون بقوله له: مـا أكذب الناس يا أمـير المؤمنين، إنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو متورع عن سـفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا فإنّا لم نخرج يدًا عن الطاعة ولم نفارق في بيعتك رأي الجماعة، وإن كنــت تقتلنا عــن جناية بني أمية فيكم فاللّه يقول: «ولا تــزروا وازرة وزر أخرى»، وآنذاك استحسن المأمون كلام ابن زياد فعفا عنهم جميعا.

ثم أمر بضمهم إلى جيش وزيره أبي العباس، الفضل بن سهل؛ ذي الرياستين، أو أخيه الحسن بن سهل[٣٣].

وفي سـنة ٢٠٢هـ/٨١٧م وصل كتاب من عامل الخلافة العباسية على اليمن، يشرح فيه خروج قبيلة الأشاعر وعك في تهامة اليمن عن طاعة الخلافة العباسية؛ لذلك أراد الخليفة المأمون إرســال أحد رجاله للقضــاء على هذا الخروج، فطلب المأمون من وزيره الفضل بن سهل أن ينظر له من يوجهه إلى اليمن لسد خللها[٣٤]. فأثنى ابن سـهل عند المأمون على ثلاثة رجال هم: محمد بن زياد، وابن سليمان المرواني، والتغلبي. وأنهم من أعيان الرجال وأهل الكفاءة وأشــار إليه أن يبعثهم إلى تهامة اليمن، وأن يكون ابن زياد أميرًا وابن هشــام وزيرًا والتغلبي قاضـيًا أو حاكمًا ومفتيًا، وعلى ذلك خرج هؤلاء الثلاثة من بغداد نحو اليمن، فحجوا سـنة ٢٠٣هـ/٨١٨م ثم سـاروا نحو تهامة اليمن فوصلوا سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، ففتحوها بعـد عدة حـروب بينهم وبين العرب بها، ثم عملوا علـى اختطاط مدينة زبيد في شعبان سنة ٨١٩/٢٠٤م[٣٥]. تلك هي حكاية (قصة) ظهور دولة بني زياد وبداية اختطاط مدينة زبيد كما تحكيها المصادر اليمنية.

الرواية الرابعة: أوردها ابن خلدون، وتحكي أن محمد بن زياد قدم على المأمون مع وفد وجوه أهل اليمن، فاستعطف المأمون وضمن له حفاظه اليمن من العلويين [٣٦]، وكما هو واضح أن ابن خلدون اختصر الروايات الثلاث في رواية واحدة، وأضاف إليها حفاظ اليمن من العلويين.

أسباب اختيار مدينة زبيد: ظهرت روايتان بشأن اختيار مدينة زبيد وهما:

الرأي الأول: وهو أن السبب الذي جعل محمد بن زياد يتجه لاختيار مدينة زبيد هو وصية الخليفة المأمون العباسي له بأن يتخذ مدينة في بلاد الأشاعر بوادي زبيد [٣٧].

الرأي الثاني: هو أن محمد بن زياد بعد خروجه من مكة متجهًا نحو اليمن، عمل في كل منزل ينزله على فحص تربة أرضه لمعرفة خصوبة هذه الأرض وجودة رائحتها، وذلك بهدف اتخاذها مقرًّا لحكمه، واستمر على هذه الحالة بالفحص لكل أرض يمر بها إلى أن وصل إلى أرض الحصيب، فأخذ من أرضه كف تراب فشمّه، ولما رأى أنه صالح للإقامة به بجودة رائحته وخصوبة أرضه أمر أصحابه ورجال دولته أن يقميوا بها، وفسر ذلك لرجاله بأن أرض الحصيب هي أرض نزهة زبدة بلاد تهامة [٣٨]؛ لذلك السبب بنيت مدينة زبيد.

وعلى ذلك فإن بداية اختيار محمد بن زياد لزبيد كمدينة كان هدفه جعلها مدينة إدارية بالدرجة الأولى، إضافة إلى أنها كانت تعتبر محطة لقوافل الحجاج والتجار. ولم تتطور مدينة زبيد إلى مدينة سياسية إلا بعد أن ظهرت الدولة الزيادية كقوة مؤثرة في المنطقة، وذلك كما نرجح منذ بداية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة عندما تشكل تحالف سياسي فيما بين جعفر المناخي وابن زياد.

ومن المستنتج أنه نظرًا لاشتعال الحرب فيما بين عرب تهامة، وبالتحديد في

أرض الأشاعر في زبيد. وكذلك خروج عك القريبة من زبيد على نفوذ الخلافة العباسية، فقد اتجه هدف الخلافة إلى إرسال من يستطيع حل مشاكل تهامة اليمن، فأرسلوا إليها ابن زياد وابن هشام والتغلبي ليحلوا مشاكل أهل تهامة. وعمل هؤلاء الثلاثة على اختيار مقر مناسب لعملهم الإداري، فجاء اختيارهم على منطقة زبيد.

أرض مدينة زبيد: عند تخطيط مدينة زبيد كانت الأراضي التي اختبرت لتكون مدينة لزبيد عبارة عن خبت مليء بأشجار الأراك وعقدة طرفاء، ومن حولها انتشرت قصور وقرى جماعة أحدها المتامة والنفير من غربي البلد، وهما مدينتان عظيمتان، ومن جملة عظمتهما أنه كان يخرج منهما كل جمعة وخميس خمسمائة رقيص لزيارة الصالحين. والأخرى خنيجر شرقي البلد، بالإضافة إلى واسط ما بين الغرب والجنوب، والتي كان يخرج منها كل يوم ستمائة فارس يتلاقون في أرض زبيد للمحاربة، وظلوا في حرب مستمرة حتى مل بعضهم بعضا.

أما في القديم فقد كانت جميع أراضي زبيد عبارة عن حمى كليب ومهلهل، وكانت الأرض مخضرة دائما ذات رياض وأشجار ووحوش، فبقي ذلك الحمى على حاله ذلك إلى أن وقعت الحرب بين القوم أربعين خريفا. والمقصود بهذه الحرب هي حرب البسوس التي نشبت في بلد مهلهل وكليب وهي أرض موزع كما يذكر ذلك ابن المجاور، وامتدت إلى زبيد.

ثم تحولت تلك الأرض المخضرة إلى أرض قاحلة من جراء ردم وسد أعين المياه المنتشرة في أرض زبيد وما حولها. وذلك بفعل معن بن زائدة الشيباني كما يرجح ابن المجاور[٣٩].

موقع مدينة زبيد: تقع مدينة زبيد في موقع وسط بين الجبال والبحر؛ أي أن الجبال تقع شرق مدينة زبيد على مسافة نصف يوم (أي: ثلاثين كيلو مترًا) كما أن البحر يقع غربها على مسافة مماثلة وهي نصف يوم. وقد بنيت مدينة

زبيـد على سـفح وادي زبيد من الجهة الشـمالية له. فهي بذلـك تقع بين واديين أحدهما وادي زبيد المشـهور الذي يقـع جنوب زبيد، والآخر وادي رمع والذي يقع شـمال مدينة زبيد. وهما الواديان اللذان دعا لهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالبركـة. وبذلـك «فهي مدينـة مباركة بين واديـين مباركين»[٤٠]. كمـا أن مدينة زبيد تقع على طريق تهامة الوسـطى المسمى طريق الجادة السلطانية أو الطريق الرسمي للدولة، وهي الطريق الموصلة ما بين عدن ومكة عبر عدة محطات، منها حَيس ثم زبيد ثم فشال ثم القحمة ثم الكدراء أو المهجم[٤١].

شـروط اختيـار موقع مدينة زبيـد: من الشـروط الهامة التي سـاهمت في اختيار مدينة زبيد هي أنها تقع في منطقة زراعية خصـبة وهي وادي زبيد، ففيه الميـاه الجارية المتدفقة من العيون ومن السـيول التي تقـدم من الجبال المجاورة لزبيـد، كما يوجـد بها مراعٍ للدواب، وأشـجار للاحتطاب يسـتخدمها السـكان لمواقدهم، كذلك فهي ملائمة للسـكن لاعتدال هوائهـا، وذلك لأنها اختطت «في وضع طيب أصلاً ومحلاًّ وهواءً»[٤٢]. ولذلك فهي بنيت في مكان يوجد به عدد كبير من السكان، وهؤلاء السكان عامل مساعد لحماية المدينة من أي اعتداء خارجي عليهـا، الإضـافة إلى أنها تقع على الطريق أو المحجـة القادمة من عدن إلى مكة بقوافـل الحجاج والتجار، فتوجد بها الأسـواق والفندقة وغيره. وكذلك فهي تقع في موقـع على النصـف ما بين البحر والجبال؛ ولذلك كلـه فموقعها ملائم لبناء المدن.

وهي بهذه المواصـفات توافق شروط اختيار المدن عند المنظرين الإسلاميين الذين حددوا شروط اختيار المدن الإسلامية. بستة شروط هي:

١. سعة المياه المستعذبة.

٢. مكان المياه المستمدة.

٣. اعتدال المكان وجودة الهواء.

٤. القرب من المرعي والاحتطاب.

٥. تحصين منازلها من الاعتداء والدعار.

٦. أن يحيط بها سور يعين أهلها[٤٣].

كذلـك حدد ابن أبي الربيع ثمانية شـروط يجب على الحاكم مراعاتها عند اختيار أي مدينة هي:

١. أن يسوق إليها الماء العذب ليُشرب، حتى يسهل تناوله من غير عسف.

٢. أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.

٣. أن يبني فيها جامعًا للصلاة في وسطها؛ ليقرب على جميع أهلها.

٤. أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها؛ لينال سكانها حوائجهم من قرب.

٥. أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضدادًا مختلفة متباينة.

٦. إن أراد سـكناها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفًا له من سائر جهاته.

٧. أن يحوطها بسور؛ خوف اغتيال الأعداد، لأنها بجملتها دار واحدة.

٨. أن ينقـل إليها مـن أهل العلم والصـنائع بقدر الحاجة لسـكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها [٤٤].

شـكل المدينة: بنيت مدينة زبيد على شـكل دائري من اللبن والطين، ولذلك وصـفت بأنها «مدينة مدورة الشـكل عجيبة الوضـع»[٤٥]. وكما يتضح أن بناءها بهذا الشكل المدور يرجع إلى عدة أسباب منها أولاً: وجود مادة اللبن في وادي زبيد نظرًا لخصوبة تربتها ووجود المياه بها بكميات مناسبة. وعدم توفر الحجارة بها

أو قريبــا منها؛ لأن الحجار توجد في الجبال وهي على بعد نصــف يوم من زبيد. ومنها ثانيا: أن الشكل المدور مناسب لبناء الأسوار الممتدة، وذلك بهدف تماسك البناء وإعطاء الســور قوة، ومنها ثالثًا: أنها بنيت مدورة على شــكل مدينة بغداد ولذلك ســميت بغداد اليمن، وبناؤها بهذا الشــكل المدور يــدل على أنها بنيت في العهد العباســي، كما يتضــح أن الشــكل المدور لمدينة زبيد جاء عندما بني ســور مدينة زبيد، وذلك بعد اكتمال بناء المدينة.

تســوير مدينة زبيد: من الأهداف الأساسية لتســوير مدينة زبيد هي حماية ما بها من أفراد وحكّام وأموال وغيره. وفي البداية كانت مدينة زبيد غير مسورة وأول إشارة لوجود سور لمدينة زبيد من الناحية الزمانية لتتابع الأحداث ما ذكره الوصــابي (ت ٧٨٢هـ-١٣٨٠م) إذ ذكر في معرضــ حديثه عن الأمير عبد اللّه بن يوســف الشراحي أنه حكم مدينة زبيد وســورها والمعقر والكدراء والمهجم. وكان هذا الشراحي معاصراً للخليفة العباسي المأمون [٤٦]. ولكننا لا نستطيع أن نجزم بــأن مدينــة زبيد قد ظهر لها ســور في ذلك الوقــت وأن عبد اللّه بن يوســف قد اتخذها عاصــمة له. ولكن ما يمكن استنتاجه أن مدينة زبيد آنذاك كانت محجة أو محطــة لقوافــل الحجاج والتجــار؛ ولذلك فهي كانت مدينة غير مســورة، وأن عبارة التســوير جاءت متأخرة عن زمن الوصــابي في التأليــف، وذلك بعد ظهور سور لمدينة زبيد.

وتأتي أهم إشــارة لتسوير مدينة زبيد ما ذكره المقدسي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) الذي ذكر أن مدينة زبيد كان عليها "حصــن من الطين بأربعة أبواب"[٤٧]. ومن خلال ذلك يمكن أن نستنتج أن بداية تسوير مدينة زبيد جاء في بداية القرن الرابع الهجري، وذلك بعد أن تعرضت لهجمات علي بن الفضل في سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م، ومن المرجح أن أول من بنى سور المدينة هو الأمير الزيادي إبراهيم بن زياد الذي حكم زبيد منذ سنة ٣١٠ هـ حتى ٣٤٣هـ[٤٨].

وبالنسبة للمصادر اليمنية فهي تذكر أن أول من أدار سورًا حول مدينة زبيد هو القائد الحسين بن سلامة المتوفى سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣م)[٤٩]. ولكن من المرجح أن الحسين بن سلامة هو أول من جدد سور مدينة زبيد. ثم استمرت عجلة تجديد السور في عهد الكثير ممن تولوا الإمارة في زبيد، من ذلك تجدد سورها مرة أخرى في عهد الدولة النجاحية، في عهد وزارة من الله الفاتكي (٥١٧-٥٢٠هـ/١١٢٣-١١٢٦م)[٥٠]، ولما تمكن علي بن مهدي من الاستيلاء على زبيد سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، عمل ابنه مهدي بن علي على تحديد سور المدينة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م. وذلك نتيجة لتعرض السور للخراب من جراء محاصرة ابن مهدي للمدينة وضرب سورها أواخر الدولة النجاحية، وفي عهد الدولة الأيوبية عمل سيف الإسلام طغتكين على تجديد السور سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)[٥١]. كما عمل سيف الإسلام طغتكين على إدارة سور آخر بجانب سور مدينة زبيد السابق وجعله ذا طول واسع وأمر جنده أن يسكنوا ما بين السورين بدوابهم وأموالهم[٥٢].

مادة بناء السور: كانت المادة التي بني بها سور مدينة زبيد اللبن والطين[٥٣]. وكان ارتفاع السور يقدر بحوالي عشرة أذرع[٥٤]. ومن المنطقي أن يُبنى السور باللبن والطين لأن مادتي الطين واللبن هما المتوافر من مواد في وادي زبيد في حين أن الحجارة كانت بعيدة عن المدينة بحوالي ٢٥ كم أو نصف يوم، وبالنسبة لمادة بناء الأبواب وشراريف السور فقد بنيت من الحجارة[٥٥]، ويعد هذا من قبل التزيين للسور وحماية له من التآكل.

الأبراج: وهي من أهم العلامات المميزة للأسوار، وقد ذكر ابن المجاور أنه عدّ أبراج مدينة زبيد بنفسه فوجد أن عددها حوالي (مائة وتسعة أبراج) وحسب المسافة بين البرج والآخر فوجدها ثمانين ذراعًا. وقدّر مساحة البرج بحوالي (عشرين ذراعًا). إلا برجًا واحدًا فإنه وجده (مائة ذراع)، وبعملية حسابية لمساحة عدد الأبراج والمسافة فيما بينهم وجد ابن المجاور أن مساحة

دور مدينة زبيد تقدر بحوالي عشرة آلاف وتسعمائة ذراع[٥٦].

ومن الواضح أن لبناء أبراج سور مدينة زبيد هدفين أساسيين هما:

١. تقوية سور مدينة زبيد حتى لايسقط، نظرًا لطوله.

٢. وضع حاميات في هذه الأبراج لحراسة سور المدينة من أي تسلق له من قبل اللصوص والذعار، أو حماية المدينة من تسلق سورها من أي هجمات معادية قادمة نحو المدينة من الخارج.

الأبواب: مما لاشك فيه أن وجود الأبواب يقترب مع وجود سور للمدينة، وأول إشارة لهذه الأبواب ما ذكره المقدسي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) من أن لمدينة زبيد أربعة أبواب، كل باب ينفذ إلى جهة من الجهات الأربع الأصلية، وهي الشمال والجنوب والشرق والغرب. وذكر أسماء هذه الأبواب بحسب الجهة التي ينفذ إليها، وهذه الأبواب هي:

الباب الأول: وينفذ إلى الجهة الشرقية، ويسمى باب الشبارق؛ نسبة إلى قرية الشبارق، وهي من قرى وادي زبيد. ومنها يتجه إلى المناطق الجبلية مثل ريمة ووصاب وحصون قوارير والشرف وغيرها.

الباب الثاني: وينفذ إلى الجنوب، ويسمى باب عدن؛ نسبة إلى مدينة عدن جنوب تهامة، وهي المدينة التجارية الهامة لليمن.

الباب الثالث: وينفذ إلى الغرب، ويسمى باب غلافقة؛ نسبة إلى مدينة غلافقة المطلة على ساحل البحر الأحمر، وهي فرضة مدينة زبيد وواديها.

الباب الرابع: وينفذ إلى الشمال، ويسمى باب هشام عند المقدسي، ولعل الاسم الأصح لهذا الباب هو باب سهام؛ نسبة إلى وادي سهام شمال مدينة زبيد، أو باب الشام نسبة إلى شمال مدينة زبيد؛ لأن المناطق الشمالية لمدينة زبيد أو صنعاء ظل يطلق عليها الشام بما يعني الشمال، والمناطق الجنوبية لزبيد أو

صنعاء ظل يطلق عليها اليمن بما يعني الجنوب.

لم تظل مدينة زبيد محتفظة بأسماء أبوابها القديمة كما ذكرها المقدسي، بل تغيرت تسمية هذه الأبواب في المصادر اليمنية على النحو الآتي:

١. الباب الجنوبي: الذي كان يسمى باب عدن، تحول اسمه إلى باب القُرْتب؛ نسبة إلى قرية في وادي زبيد جنوب مدينة زبيد، وفيها يتجه إلى عدن أو يميل إلى الجبال الجنوبية لزبيد.

٢. الباب الغربي: الذي كان يسمى باب غلافقة، تحول اسمه إلى باب النخيل؛ نسبة إلى أرض النخيل المزروعة غرب مدينة زبيد.

٣. الباب الشمالي: الذي كان يسمى باب الشام، سمي باب سهام نسبة إلى وادي سهام الواقع شمال مدينة زبيد، وهذا الباب يعتبر (وجه المدينة وقرتها).

٤. الباب الشرقي: ظل يسمى بنفس اسمه القديم، وهو باب الشُبَارق؛ وذلك نظرًا لأنه سمي باسم المنطقة التي ينفذ إليها وهي قرية هامة من قرى وادي زبيد[٥٧].

ومن خلال عرض تلك الأسماء لأبواب مدينة زبيد نجد أن هذه الأسماء لها علاقة بقوة الدولة في تهامة وضعفها، أو مركزية دولة تهامة وعدم مركزيتها، إذ إن هذه الأبواب كانت تسمى باسم المناطق التي تصل إليها مركزية الدولة الحاكمة لزبيد، فلما كانت نفوذ حكومة زبيد تصل إلى عدن ثم إلى غلافقة وأطراف تهامة المسمى الشام سميت هذه الأبواب بأسماء أطراف المناطق التي تصل إليها نفوذ الدولة وسلطانها، ولما تغير هذا المفهوم، وأصبحت حكومة زبيد محصورة في زبيد وما حولها أو عندما ظهرت لعدن دولة مستقلة هي دولة بني معن وظهرت لبني طرف في شمال تهامة دولة مستقلة، وكذلك ظهور دويلات

مستقلة في صنعاء وذي جبلة وتعز، فضلاً عن بداية ظهور دولة ابن مهدي في سواحل زبيد مثل العنبرة وغلافقة وغيرها، أصبحت مركزية الدولة في زبيد لا تستطيع الوصول إلى هذه المناطق التي كانت ضمن أطراف تهامة. لذلك تبدلت أسماء هذه الأبواب بأسماء المناطق القريبة من مدينة زبيد. كما هو موضح سابقًا، إضافة إلى تزايد حركة نشاط السكان حول مدينة زبيد أجبر حكومة زبيد أن تسمي هذه الأبواب بأسماء القرى القريبة لمدينة زبيد نفسها؛ كي تكون أكثر دلالة ووضوحاً لهؤلاء السكان.

وبالمقارنة إلى كبر مساحة مدينة زبيد واقتصار مخططي هذه المدينة على فتح أربعة أبواب فقط نجد أن ذلك يهدف إلى تمكن من يحكم مدينة زبيد من حمايتها بسهوله ويسر، إذ إنهم لو فتحوا عدة أبواب في كل جهة سيصبح من الصعب عليهم حماية المدينة من أي هجمات خارجية قادمة من جهات اليمن المتعددة؛ ولذلك اقتصر فتحهم للأبواب الأربعة التي تنفذ إلى الجهات الأصلية، وذلك لضرورة عبور رعايا وموظفي وجند الدولة القائمة في مدينة زبيد من الجهات الأربع دون مشقة الدوران حول مدينة زبيد.

تسمية زبيد: أورد ابن المجاور عدة روايات بشأن تسمية زبيد بهذا الاسم معظمها لا نستطيع الركون إلى تصديقها، ولكن نستعرضها هنا لمعرفة الآراء المتعددة حول اسمها وهي كالآتي:

١. أن زبيدًا سُميت بزبيد لأن ملكًا من ملوك اليمن من التبابعة كان يسمي الزبا هَلَكَ؛ أي: بِيدَ. فسميت زبيد بالجمع بين اسمه (زبا) وكلمة (بيد) التي تعني مهلكة.

٢. سُميت زبيد باسم الناقة التي كان اسمها زبيد، التي كانت ترعى من جملة الإبل بين عقدة من الأشجار في تلك المنطقة، فلما عضت الناقة سمي الموضع باسمها زبيد.

٣. سُـميت زبيد باسـم امرأة كانت تسـمى زبيدًا، وكانت تسكن رأس وادي زبيد.

٤. سُـميت زبيد باسـم زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور كما يرجح ابن المجاور، وذلك في خلافة الأمين؛ لأنها هي التي سعت في بناء مدينة زبيد، وأن الذي بنى لها دارًا فيما بين زبيد ورمع هو محمد المنصـور بن زياد، الذي أرسله الأمين إلى تهامة اليمن.

٥. سُـميت زبيد بهذا الاسـم كونها كانت تتصـف بأنها زبـدة بلاد تهامة، وذلك على لسـان محمد بن زيـاد عندما تولى تهامة اليمن ووصـل إلى أرض الحصـيب، فأخذ من الأرض كف تراب فشـمّه فلما رآه طيبًا قال لأفراد دولته: أقيموا بنا هاهنا. فلما سألوه عن سبب ذلك قال لهم: لأن هذه الأرض أرض نزه، زبدة هذه البلاد. ثم سألوه عن دليل صحة كلامه فقـال: لأنها طيبـة بين واديين - يعني وادي زبيد وادي رمع - وعلي ذلك سـكنوا ذلك الموضع وبنوا مدينة سـموها زبيدًا، وما اشتق زبيد إلا لأنها الزبدة على ما جرى في اليوم الأول.

كذلـك أورد ابن المجاور رواية أخرى تقول: (إنما سـميت زبيد زبيدًا لأن لها واديا يسمى وادي زبيد، فسميت البلد باسم الوادي)[٥٨]. وهذه الرواية هي الأكثر ترجيحًا، ويؤيد هذه الرواية عدة مصـادر منها ورد أن زبيد "اسـم وادي باليمن للأشعريين، إليه تنسب المدينة، فيقال: مدينة زبيد؛ لأنها من أرضه"[٥٩]. ومنها ما أورده الهمداني من أنّ "مدينة زبيد سـميت باسـم الوادي نفسه"[٦٠]. وهذه الآراء الأخيرة التي تذكر أنّ تسـمية مدينة زبيد نسـبة إلى وادي زبيد هي الأكثر ترجيحًا والأكثر معقولية والأكثر صحة.

حجـم مدينة زبيد: تـدرج كبر حجم مدينة زبيد من قريـة بها عدة دور إلى مدينـة مخططة بهـا الكثير من المسـاكن والأسـواق وغيره، ففـي بداية مراحل

نشـأة مدينة زبيد كانت من «أكبر مدن اليمن بعد صـنعاء»(٦١). وكما يتضـح أن الوصـف يرجع إلى القرون الأولى للهجرة حتى القـرن الخامس الهجري. وذلك عندما كانت صـنعاء عاصـمة لولاة الخلافة العباسـية ثم لدولة آل يعفر والدولة الصليحية، فقد توسع الصليحيون في بناء مدينة صنعاء حتى صارت أكبر مدينة في اليمن. وبعد انتقال عاصـمة الصليحيين إلى ذي جبلة قلّت في صنعاء العمارة وقـلّ فيها السـكان، وفي هذا الوقت وما تلاه من قرون اتسـعت العمارة في مدينة زبيد فأصبحت أكبر مدن اليمن، وذلك ما يوضحه ابن الديبع بأن زبيدًا أصبحت "أعظم مدن اليمن وأكبر من صـنعاء"(٦٢). وكما يتضح أن ذلك الاتساع لمدينة زبيد في عهد الدولة النجاحية والدولة الأيوبية.

مسـاحة مدينة زبيـد: تعد المسـاحة من أهـم مميزات المـدن، وهي علاقة مميزة بين المدن الكبيرة والمدن الصـغيرة، وبالنسـبة لمساحة مدينة زبيد عندما كانت قاعدة هامة لحكام اليمن، كانت عبارة عن مدينة كبيرة وواسـعة. فوصف ابن المجاور مسـاحتها في أواخر حكم الدولة الأيوبية لليمن بأنها بلغت تسـعمائة وخمسـة وأربعين ميعادًا، إلا أن هذه المسـاحة لم تظل كما هي في منتصـف حكم الدولة الرسـولية فقد تناقصـت هذه المسـاحة بمقـدار الثلث؛ وذلـك نظرًا لأن عاصمة دولة بني رسول كانت هي مدينة تعز، وليس مدينة زبيد، ولذلك تقاصرت مسـاحة زبيـد، ففي زبيد سـنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م بلغت مسـاحتها حوالي سـتمائة وسـتة وثلاثين ميعادا(٦٣). أما بالنسـبة لابن الديبع فقد ذكر أن زبيدًا "مُسِحتْ سـنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م في عهد الدولة الأفضلية فجاءت مسـاحتها ستمائة وأربعة وعشـرين ميعادًا ونصـف ميعاد من غير اختبـار، وبعد الاختبار جاء مسـاحتها سـتمائة وثمانين ميعـادا(٦٤). وربما يعود ذلك إلى أن السـور التـالي لمدينة زبيد الذي بناه طغتكين لجنوده هو الذي تخرب وانتهى بسبب انتقال الجند إلى مدينة تعز لخدمة الدولة الرسولية.

دارة الإمارة: يعد دار الإمارة في أهم المعالم التي تعبر عن وجود سلطة إدارية أو سياسية في أي مدينة. وبالنسبة لمدينة زبيد فقد وجد بها عدة دور للأمارة. تعددت أسماء هذه الدور فالبعض يسميها (دار الملك) والبعض الأخر يسميها (قصر الإمارة) وبعضهم يسميها (الدار السلطانية)، وهذه الأسماء كلها تهدف إلى بناء دار كمقر للحكام في مدينة زبيد. وكما يبدو أن تعدد هذه الأسماء ناتج عن تعدد الدويلات التي حكمت تهامة اليمن، ونورد هنا دُورَ الإمارة التي سميت بهذه الأسماء في مدينة زبيد وهي:

أول إشارة إلى وجود دار للملك في مدينة زبيد هي الدار التي بناءها القائد شحار بن جعفر في عهد الدولة الزيادية، والتي سميت باسم بانيها وهي دار شحار أو دار الملك. وهي عبارة عن دار كبيرة ذات طول وعرض كبيرين. وكان بناؤها في مكان ملائم لمدينة زبيد، وهو مقاطع طريق المارة عبر زبيد؛ ولذلك بُني لهذه الدار بابٌ عالٍ جدًّا بحيث ينظر منه إلى من يعبر الطريق القادم إلى زبيد على بعد فرسخين. وكما يتضح أن بناء هذا الباب بهذا العلو من أجل إحكام مراقبة العابرين على الطريق، وذلك من أجل معرفة نوع الجيش القادم إلى مدينة زبيد أهو جيش صديق أم جيش عدو مهاجم لمدينة زبيد؛ لكي ينذر أهل المدينة للاستعداد لهذا الجيش المهاجم بالدفاع عن المدينة أو الهروب منها إلى الجبال والنجاة بأنفسهم أو غير ذلك. بالإضافة إلى ذلك معرفة وقت قدوم القوافل التجارية أو قوافل الحجاج.

ومن أجل حماية هذا البناء المرتفع و دار الإمارة هذه من الهدم والتخريب والتسلق من قبل أي جيش مهاجم. فقد بنى شخار بن جعفر حول داره هذه خندقًا عريضًا وعظيمًا، يحقق لهذه الدار الحماية والأمان لما بها من أموال وأنفس. وعن المادة التي بنيت بها هذه الدار فقد كان بناؤها بالآجر والجص، وكان بناؤها محكمًا ووثيقًا يوفر لها الحماية والأمان، وقد ظلت هذه الدار دارًا

يسكنها كل من يتولى حكم مدينة زبيد، نظرًا لحصانتها وكبرها وإحكام بنائها واشتماله على تحصينات ملائمة لمن يسكنها، وقد بقي باب هذه الدار الطويل قائمًا على حالته تلك إلى أن أمر بهدمه الملك المسعود الأيوبي يوسف بن أبي بكر سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، أو واليه على مدينة زبيد أبيك العزيزي، وبعد تهديمه أخذ آجره وبنى به دورًا له(٦٥).

لم تظل هذه الدار هي الدار الوحيدة التي بنيت في مدينة زبيد كدار للأمارة، بل استمر حكام تهامة في بناء دور متعددة لحكمهم، فقد بُنِيت في أواخر الدولة الزيادية دار أخرى للأمارة سميت (دار الملك) أيضا، وهي الدار التي سجن بها القائد نفيس مولاة الأمير الزيادي وعمته، قد ظلا بها مسجونين حتى ماتا. كذلك بنيت دار في مدينة زبيد في عهد حكم الدولة الصليحية لتهامة، سميت (الدار السلطانية) وهي الدار التي سكن جياش بجانبها عندما أراد استعادة نفوذه على مدينة زبيد من أيدي الصليحيين، كما أن جياشًا عندما ثار في مدينة زبيد تسلم دار الإمارة من الصليحيين بما فيها من أموال ومؤن. وفي عهد عبد الواحد بن جياش وُجِدت دار للإمارة في مدينة زبيد، وهي الدار التي استولى عليها عبد الواحد عندما ثار على ابن أخيه فاتك بن جياش(٦٦)، ويوضح العمري عن مساكن الحكام قوله: "وأما مساكن الملك فنهاية في العظمة وفرش الرخام والسقوف المدهون"(٦٧). كذلك وُجِدت دار للإمارة في عهد منصور بن فاتك سُميت (قصر الإمارة)، وهي الدار التي استدعى إليها الأميرُ وزيرَه أنيس الفاتكي لوليمة عندما شك بعدم إخلاصه لولايته وتآمره عليه، والتي أدت إلى قتل الوزير أنيس الفاتكي(٦٨)، وهكذا وُجِدت دار للإمارة في مدينة زبيد ثم استمرت عملية بناء دور للأمارة فيها في عهد الدولة الأيوبية والدولة الرسولية.

دور الحكام: مما لاشك فيه أن الأمراء والوزراء والقضاة وكبار رجال الدولة من قادة وغيرهم الذين حكموا تهامة عملوا على بناء دور خاصة لهم في مدينة

زبيد، التي كانت مركزًا رئيسًا لحكام دويلات تهامة اليمن، وهي غير الدور التي بنيت للدولة أو سُمِّيت بدور الإمارة، ومن ذلك الآتي:

من أهم الإشارات في بداية بناء الأمراء قصورًا لهم في تهامة ما ذكره ابن المجاور من أن محمد بن زياد - الذي ولّاه الأمين على تهامة اليمن - هو الذي بدأ في بناء قصر له، وكان ذلك عندما جاء ابن زياد إلى الحصيب؛ وهي زبيد، فوجد بها قوما يقتتلون في كل يوم إلى ضحوة النهار ويفترقون، فدخل بينهم وبنى قصرًا على باب غلافقة، وبعد ذلك جلب له جيشًا كبيرًا واستولى على مدينة زبيد، وعمل على اختطاطها وبناء دورٍ له(٦٩). استمر حكام تهامة يبنون لهم دورًا في مدينة زبيد طيلة بقاء الدولة الزيادية وما تبعها من دويلات مثل الدولة النجاحية وغيرها.

وفي عهد حكم الدولة الصليحية لتهامة اليمن بنى الأعز بن علي الصليحي (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) دارًا له في مدينة زبيد، سميت باسمه؛ أي: دار الأعز بن الصليحي، وذلك أثناء حكمه لتهامة اليمن نائبًا عن أبيه علي الصليحي، وهي الدار التي فرشها الوزير علي بن القم لجياش بن نجاح عندما تعاون معه لإعادة حكمه على تهامة اليمن، كما أن الوزير علي ابن القم كانت له دار في مدينة زبيد، وهي الدار التي كان الوزير وابنه يلاعبان جياش بها الشطرنج، والتي حصل بها التعارف بين الطرفين ثم التعاون على القضاء على حكم الصليحي في تهامة(٧٠).

وفي عهد اتساع نفوذ وزراء الدولة النجاحية، في أواخر عهدها، بنى عدة وزراء دورًا لهم في مدينة زبيد، من ذلك ما بناه الوزير أنيس الفاتكي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) الذي بنى له دارًا كبيرة أطلق عليها قصرًا كبيرًا. واتصفت هذه الدار أو القصر بالسعة والكبر حيث اشتملت على حجرات كبار، وكانت أرضية هذه الحجرات واسعة، إذ بلغ عرض كل قاعة ثلاثين ذراعًا، بما يعادل خمسة عشر مترًا. وبلغ عرض كل مجلس أربعين ذراعًا، ما يعادل عشرين مترًا،

أمـا طول القاعة والمجلس فقـد كان أكبر من ذلك. كما كان للحرة علم أم الأمير منصـور بن فاتك النجاحي دار لها وهي الدار التي تربى بها معظم وزراء الدولة النجاحيـة، وأيضـا كان للوزيـر مفلح الفاتكـي دار له في مدينة زبيـد وهي الدار التي قُتل بها ابنه منصـور بن مفلح الفاتكي غـدرًا من قبل الوزير إقبال الفاتكي بعد منحه الأمان. كذلك كان للوزير سـرور الفاتكـي دار له في مدينة زبيد، وهي الدار التي كان يجتمع إليها الكثير من الناس، ممن يرغبون في لقاء الوزير سرور لقضـاء حاجاتهم أو حل مشـاكلهم. وفي عهـد دولة بني مهـدي والدولة الأيوبية ودولة بني رسـول بُني الكثـير من الدور لمن كان يحكم تهامـة، ويتخذ من مدينة زبيد مقرًا له. كذلك كان لكاتب الوزير مفلح الفاتكي، وهو حمير بن أسـعد دارًا في مدينـة زبيد. وهي الدار التي تربى بها أغلب جواري وسـراري تهامة. وتعلّمنَ فيها (الغناء، والطبخ، وخزن الثياب، وعمل الطيب)[٧١].

وبالنسـبة لما حوته المدينة من جوامع ومسـاجد، ودورهـا في الحياة العلمية لمدينة زبيد، وكذا النشاط التجاري فيها من حيث وجود الأسواق التجارية وأنواع السـلع، وطرق المدينة وحواريها وحماماتها، والحرف الموجودة فيها، فقد تركتها لبحث آخر يعالج هذه الموضوعات.

الخاتمة: تعد نشأة مدينة زبيد من أهم المعالم التاريخية والحضارية ومنها الإدارية والسياسية والعلمية لإقليم تهامة ولبلاد اليمن وللخلافة العباسية، كون هـذه المدينة ظلت طيلـة وجود الخلافة العباسـية موالية لها سياسـيًّا ومذهبيًّا، ولم تخـرج عن طاعتها، وكان حكام مدينة زبيد ولاة يُمّنَحون تقليدًا من الخلافة العباسية بحكم اليمن، ولذلك أطاعهم زعامات قبائل بلدان اليمن وأقاليمها.

وقد أعطت نشـأة مدينـة زبيد إقليم تهامة دورًا كبيرًا في التاريخ السياسـي والحضـاري لليمـن، كما كان لنشـأة مدينة زبيد دورٌ كبير وأهميـة كبيرة لتاريخ الدولـة الزيادية في اليمن، والدول التي جاءت بعدها، وجعلت من زبيد عاصـمة لها.

ومن الواضـح أن شـروط نشـأة مدينة زبيد مثـل وجود الأراضـي الزراعية الخصبة جعلت مدينة زبيد تستمر عاصمة إدارية وسياسية للكثير من دول اليمن.

الهوامش

(١) الخزرجي، شـمس الدين ابو الحسـن بن ابي بكر ت(٨١٢ هـ): العسـجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصور، دار الفكر، دمشق، صورة ثانية ١٩٨١م ، ص ٩٧.

(٢) الحمـوي، شـهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجـم البلدان، دار إحياء الـتراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.، ص ٧٨.

(٣) الهمداني : الحسـن بن احمد بن يعقوب ت(٣٣٤ هـ): صفة جزيره العرب، تحقيق: محمد الاكوع، نشر مركز الدراسات اليمني، طبع بيروت ط٣، ١٩٨٣م.، ص١٣١.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب،١٣٢، ١٣١.

(٥) ابـن حوقـل: أبو القاسـم بـن حوقل، صـورة الأرض، منشـورات دار مكتبة الحيـاة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.، ص٣٢.

(٦) عمارة: نجم الدين ابو محمد عمارة بن ابي الحسـن الحكمي: النكت العصـرية في اخبار الوزارة المصرية، تحقيق هرتريغ درنبرغ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م.، ص٦٦.

(٧) ابن المجاور: محمد بن مسعود بن على ت(٦٣٠ هـ) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تحقيق: اوسكر لوفغرين، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.، ص ٩٣،٦٣.

(٨) الجندي: أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي (ت. بعد ٧٣٢هـ/ ١٣٢٢م).السـلوك في طبقات العلماء والملوك، جـ١ ، ٢، تحقيق محمد الأكوع، نشـر وزارة الاعلام اليمنيـة ٢٠/١، دار التنويـر للطباعة والنشـر، بيروت، ط١، سـنة ١٤٠٣هــ/ ١٩٨٣م. ،٢٢١،عن الاكليل ٢/٤٤.

(٩) ابـن الديبـع: عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشـيباني (ت. ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)، بغية المسـتفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبدالله الحبشـي. نشـر مركز الدراسـات اليمنية، صـنعاء ١٩٧٩م.، ص١٨ ، الجندي، السـلوك،٢٢٢، الخزرجي، شـمس الدين ابو الحسـن بن ابي بكر ت(٨١٢ هـ): العسـجد المسـبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصـور، دار الفكر، دمشق، صورة ثانية ١٩٨١م.، ص٦.

(١٠) الهمداني، صفة،٢٣٢.

(١١) الهمداني، صفة جزيرة العرب،٩٦.

(١٢) ابن المجاورة، صفة بلاد اليمن،٨٢.

(١٣) عمارة، تاريخ اليمن،٨٤.

(١٤) ابـن خرداذبـة، ابو القاسـم: عبيد الله بن عبـد الله ت(٣٠٠هـ) المسـالك والممالك، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م.، ص١٢٧،١٢٢.

(١٥) عمارة، تاريخ اليمن،٧٦-٨١.

(١٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب،٣٠٤.

(١٧) عمارة، تاريخ اليمن،٧١، الخزرجي، العسجد،١٠٠.

(١٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان،٥٠٣.

(١٩) المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد ابي بكر ت(٣٨٠ هـ): احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار احياء التراث، العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.، ص٥٥،٥٤.

(٢٠) المقدسي، احسن التقاسيم،٨٤،٧٤-٨٥.

(٢١) عمارة، تاريخ اليمن،٤٧، ابن المجاورة، صفة بلاد اليمن،٦٧.

(٢٢) الخزرجي، العسـجد،٥-٧، ابن الديبع: عبد الرحمن بن علي: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد الاكوع، مطبعة السعادة، القاهرة ، ١٩٧٧م.، ص٣٢-٣٦،٣٣.

(٢٣) جبار، ٧٠.

(٢٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب،٢٣٢.

(٢٥) المقدسي، احسن التقاسيم،٥٤-٥٥.

(٣٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٣٩٣.

(٢٧) المعجم، الوسيط،٥٧٦.

(٢٨) المعجم، الوسيط،٥٧٦.

(٢٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٨١.

(٣٠) الوصابي، تاريخ وصاب،١٠١، الشجاع،١٤٩.

(٣١) الجندي، السـلوك، تحقيق الاكوع، هامش،٢٢٢-٢٢٧، الشجاع: عبد الرحمن عبد الواحد، اليمن في عيون الرحالة، ط١، دار الفكر ، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٦٥-٦٨.

(٣٣) عمارة، تاريخ اليمن،٣٨-٤١، ابن المجاورة، صفة بلاد اليمن،٦٦، الوصابي الحبشي: وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحبشـي الوصـابي (ت. ٧٨٢هـ)، تاريخ وصـاب

المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق عبدالله الحبشي نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، طبع دار العودة، بيروت، ط١ ، ١٩٧٩م.، ص٢١، الجندي، السلوك ١/ ٢٢٠.

(٣٤) الجندي، السلوك ١/ ٢٢٠.

(٣٥) عمارة، تاريخ اليمن،٤٢-٤٥، ابن المجاورة، صفة بلاد اليمن،٦٦-٦٧، الوصابي، تاريخ وصاب،٢١، الجندي، السلوك ١/ ٢٢٠، ابن الديبع، قرة العيون،٣٢٠-٣٢٣.

(٣٦) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت. ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٩٨٢م. اليمن من ابن خلدون، ٥٥٩.

(٣٧) الجندي، السلوك،١/ ٢٢١، ابن الديبع، بغية المستفيد،٣٩.

(٣٨) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ٩٦.

(٣٩) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٦٤-٦٥.

(٤٠) ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٧-٤٨، ابن الديبع، بغية المستفيد،٤٣، ابن الديبع، قرة العيون،٣٢٢، عبد الرحمن عبد الله الحضرمي: زبيد العاصمة الأولى في اليمن بعد الإسلام، مجلة الحكمة عدد ١٥/ السنة الثانية، أغسطس ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ ، ص ٢٨.

(٤١) عمارة، تاريخ اليمن، ٧٨،ابن الديبع، بغية المستفيد،٤٣، ابن الديبع، قرة العيون،٣٢٢.

(٤٢) ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٧.

(٤٣) ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك،ص١٩٠،تحقيق ناجي التكريتي،دار الاندلس بيروت،ط٣،١٩٨٣م.

(٤٤) ابن أبي الربيع، سلوك المالك ، ص ١٩٢.

(٤٥) ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٧، ابن الديبع، بغية المستفيد،٤٣، ابن الديبع، قرة العيون،٣٢٢، الخزرجي، العسجد،

(٤٦) الوصابي، تاريخ وصاب، ١٠١.

(٤٧) المقدسي، احسن التقاسيم،٨٤.

(٤٨) ابن جرير، تاريخ صنعاء،٩١.

(٤٩) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ٧٣،الخزرجي، العسجد،١٠١، ابن الديبع، الفضل المزيد،٢٩، ابن الديبع، بغية المستفيد،٣٥، ابن الديبع، قرة العيون،٣٣١، الحضرمي، زبيد،٢٤.

(٥٠) عمارة، تاريخ اليمن،٢١٠، الحضرمي، زبيد،٢٤.

(٥١) الخزرجي، العسجد،، ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٩، ابن الديبع، بغية المستفيد،٣٥، ابن الديبع، قرة العيون،٣٣١، الحضرمي، زبيد،٢٤.

(٥٢) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٧٤.

(٥٣) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٧٤، ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٩.

(٥٤) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٧٤، ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٩.

(٥٥) ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٩،الخزرجي، العسجد،١٠٢.

(٥٦) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٧٤.

(٥٧) الخزرجي، العسجد،١٠٢، ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٩، ابن الديبع، بغية المستفيد،٣٥-٣٦، ابن الديبع، قرة العيون،٣٣١-٣٣٤، الحضرمي، زبيد،٢٥.

(٥٨) ابن المجاور، صفة يلاد اليمن،٦٩-٧٠.

(٥٩) الجندي، السلوك،٢٢١.

(٦٠) الهمداني، صفة جزيرة العرب،٢٣٢.

(٦١) البكري، أبو عبيدة (ت٤٩٦ هـ): المسالك والممالك، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة قرطاج- تونس، ط ١ ، ١٩٩٢ م ،ص ٣٦٥.

(٦٢) ابن الديبع، الفضل المزيد،٤٨.

(٦٣) الخزرجي، العسجد،١٠٢.

(٦٤) ابن الديبع، الفضل المزيد،٥٠.

(٦٥) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن،٧٨، الحضرمي، زبيد،٢٥-٢٦.

(٦٦) عمارة، تاريخ اليمن،٢٨٠, ٢٠٧،٢٠٤،٢١٠.

(٦٧) العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله ت(٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، د.ت.، ص١٥٢، القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الكتاب، الذخائر، ١٣٤، ط، ٢٠٠٤م.

(٦٨) عمارة، تاريخ اليمن،٢١٠.

(٦٩) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ٦٨-٦٩.

(٧٠) عمارة، تاريخ اليمن،٢٠٥-٢٠٦.

(٧١) عمارة، تاريخ اليمن،٢٢٢-٢٢٧.

أبيات التمثيل والاستئناس وأثرها في التقعيد النحوي

أ.د. عصام الكوسى

إنّ مـن يطالع مصـنفات النحويين يقف على مصـطلحات خمسـة تعاورها النحاة، وهي الاسـتدلال، والاستشـهاد، والاحتجاج، والتمثيل، والاستئناس. فهل لهذه المصطلحات دلالة واحدة أم أنَّ لكلٍّ منها مدلولًا خاصًا بها؟

إن الاسـتدلال والاستشـهاد يعنيان معنـىً واحدًا، ولم يميـز النحاة بينهما، فكلاهما يعني: استحضـار المسـموع من كلام العرب من أجل تقرير قاعدة ما أو تأكيدها،[١] بيد أن الملاحظ في مصنفات النحاة الأوائل شيوع مصطلح الاستدلال بكثرة في تقديمهم للمسموع الذي يستدل به، فسيبويه يقول: «والدليل على ذلك، ويسـتدل علـى ذلك، ويدلّك على ذلـك»[٢]. والفراء (٢٠٧هـ)[٣] يقول: «يسـتدل به، فذلك دليل، لاسـتدللت على ذلك»،[٤] والمبرد (٢٨٥هـ)[٥] يقول: والدليل على ذلك[٦]، وهذا يدلك على. وأبو بكر الأنباري[٧] (٣٢٨هـ) يقول: «لم يُقم عليه دليلًا تصـح به حجته»، وقال: «إلا بدليل يزيل اللبس عن السامعين»[٨] فالنحاة كوفيين وبصريين شاع هذا المصطلح بكثرة في كتبهم.

أما مصطلح الاستشهاد فقد كان نادرًا في مصنفاتهم، وقد وقفت عليه عند المبرد حينما قال: «الشـاهد على ذلك.. ويستشهدون على ذلك»[٩] وعند أبي بكر

الأنباري إذ قال: «فإنه لا يحتاج إلى شاهد، فجعل هذا شاهدًا لقوله...»[١٠] وقد شاع هذا المصطلح لدى النحاة المتأخرين أكثر من مصطلح الاستدلال.[١١]

أما مصطلح الاحتجاج فلم يكن شائعًا كالمصطلحين السابقين، ومن يدقق في أقوال النحاة يجد أنهم لم يستخدموا هذا المصطلح إلا في مواضع قليلة، باستثناء أبي بكر الانباري الذي استعمله بكثرة مساويًا بينه وبين الدليل.[١٢]

أما جُل النحاة فهم لم يستخدموه عبثًا، بل استخدموه في مواضع الخلاف النحوي، إما لدحض رأي أو لإثبات صحة رأي آخر، فنقرأ عند سيبويه قوله: «وهذه حجج سمعت من العرب، ذكر هذا حجة لقوله: «رُب رجل وأخيه، إلا انه يحتج الخليل بأن المعنى معنى اللام»[١٣] وعند الفراء قوله: «والكتاب أعرب وأقوى حجة من الشعر، وهذه حجة لمن كسر، ففي ذلك حجة، وليس هذا بحجة للكسائي».[١٤]

وعند المبرد قوله: «لا حجة في البيت، فلا يثبت إلا بحجة، حجة من رأى».[١٥] فهؤلاء النحاة لم يسلكوا هذا المنهج عن هوى في نفوسهم، وإنما ساروا على سنن القرآن الكريم، فقد استخدم هذا اللفظ إما لإبطال دليل أو لتقوية رأي، قال تعالى: ﴿ ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربّهِ أنْ أتاه اللّه المُلْكَ إذْ قال إبراهيمُ ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيي وأميتُ قال إبراهيم فإنَ اللّه يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فَبُهِتَ الذي كفر واللّه لا يهدي القوم الظالمين﴾[١٦] وقال أيضًا: ﴿ ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.[١٧]

أما مصطلحا التمثيل والاستئناس فهما استدلال بأمثلة يؤتى بها لتأييد قاعدة أو توضيحها، ولا يشترط فيها أن تكون مما يحتج به من الكلام.[١٨] وهي إما لشعراء محدثين وضعهم علماء العربية خارج حدود الاحتجاج الزمانية والمكانية، أو أن النحاة ذكروها للتقوية والتوضيح، وليس من أجل بناء القاعدة

قال سيبويه: «وزعم الخليل رحمه الله، حيث مثل نصب وحده وخمستهم، أنه كقولك أفردتهم إفرادًا فهذا تمثيل ولكنه لم يستعمل في الكلام، ومثل خمستهم قول الشماخ:[١٩]

أتتني سلَيْم قَضَّها بقضيضها تُمسِّح حولي بالبقيع سِبالها

كأنه قال: انقضاضهم، أي انقضاضًا، ومررت بهم قضهم بقضيضهم، كأنه يقول: مررت بهم انقضاضًا، فهذا تمثيل، وإن لم يتكلم به، كما كان إفرادًا تمثيلًا».[٢٠]

وقد رأت د. خديجة الحديثي أن أغلب شواهد سيبويه «التي لم ينسبها لم تكن تذكر إلا تقوية وتمثيلًا لما بني عليه الباب من الآيات القرآنية، أو الكلام الوارد عن العرب، أو الأمثلة التي سمعها ونقلت له».[٢١] وأظن أن هذا الرأي يفتقر إلى الدقة والموضوعية .

من خلال ما تقدم نستطيع أن نميز بين الشاهد والمثال، فالسمة الأولى للشاهد أنه من عصر الاحتجاج وتستنبط منه القواعد، أما المثال فلا يشترط فيه أن يكون من عصر الاحتجاج، ويأتي لتوضيح القاعدة وليس لاستنباطها، قال البغدادي[٢٢] (١٠٩٣هـ): مُعلقًا على قول الكميت[٢٣]:

طربت وما شوقًا إلى البيض أَطْربُ ولا لعبًا مني وذو الشيب يَلْعَبُ

« وأجاب الشُّمُنّي بأن المصنف لم يستشهد بالبيت على حذف الهمزة؛ وإنما مثل به له، والمثال لا يقتضي عدم احتماله غير الممثل له، بخلاف الشاهد فإنه يقتضي ذلك. والفرق بينهما أن المثال جزئي ذكر لإيضاح القاعدة والشاهد جزئي ذكر لإثباتها. وهذا الجواب فيه نظر فإن صريح كلام المصنف انه شاهد، فإنه بصدد الاستدلال لا التمثيل، وما أبداه من الفرق بين الشاهد والمثال صحيح في نفسه».[٢٤] والسمة الثانية التي نستخلصها من قول البغدادي أن الشاهد لا يمكن أن يؤول تأويلًا يخالف ما أتي بها من أجله، قال محمد محيي الدين عبد الحميد «ومتى جاز في هذا الشاهد هذان الوجهان لم يصلح أن يكون دليلًا على إحدى

اللغتـين بعينهـا، لأن الدليل متى تطرق إليه الاحتمال سـقط به الاسـتدلال».[٢٥]

وأكد هذا القول د. محمد عبدو فلفل في تعريفه للشاهد حين قال: «إنه دليل نصي يعود إلى ما عرف لدى النحاة بعصـور الاحتجاج، أتي به لبناء القاعدة ولا يمكن تأويله على وجه غيرها، وإلا عُد مثالًا وإن كان من عصور الاحتجاج».[٢٦]

ويمكننا أن نسـتخلص مما تقدم أن الفرق بين الشاهد والمثال واضح وجلي؛ فالأول تسـتنبط منـه القاعدة، أمـا الثاني فيذكـر للتأكيد على صـحة القاعدة وتوضـيحها.[٢٧] والعلاقة بينه وبين التقعيد هي علاقة مشابهة ومقاربة، ولا يفيد في إثبات التقعيد إثباتًا قطعيًا، وغياب الأول يفقد القاعدة مشروعيتها، أما غياب الثاني فلا يفقدها مشـروعتيها، إذْ لا يمثل التقعيد تمثيلًا مباشرًا، بل يكون هذا المسموع تابعًا لتقعيد آخر ومن باب آخر، ولكن يؤتى به لاشتماله على شيء يقارب التقعيـد في بعض عناصـره أو في سـلوك لغوي ما، حيث يتخذ التقعيد والمسـموع مسلكًا متشابهًا في تركيبهما.

من هذا الاسـتئناس ما يكون بقصـد توجيه حركة إعرابية ظاهرة أو تقدير إعراب لا يظهر، ففي حديث سيبويه عن إعراب المصدر بعد «إلّا» في مثل قولهم: «ما مَنَعني إلّا أن يغضـبَ عليّ فلانٌ» قال: «والحجة على أن هذا في موضع رفع أنّ أبـا الخطاب حدّثنا أنه سـمع من العرب الموثوق بهم من ينشـد هـذا البيت رفعًا للكناني:

لمْ يمنعِ الشُّربَ مِنهْا غَيرُ أَنْ نَطَقَتْ ... حمـامةٌ في غُصُونٍ ذاتِ أَوْقـالِ

وزعمـوا أنّ ناسًـا من العرب ينصـبون هذا الذي في موضـع رفـع، فقال الخليل، رحمه الله: هذا كنصـب بعضـهم «يوَمئذٍ» في كل موضع، فكذلك «غير أنْ نطقت» وكما قال النـابغة:

على حينَ عاتبتَ المشيبَ على الصّبا ... وَقُلْتَ أَلمّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازعُ

كأنه جعل «حين» و«عاتبت» اسمًا واحدًا».[٢٨]

فـإن دققنا في هذا المسـموع نجد أنّه ليس نصًـا في القاعـدة، فالعلاقة بين البيـت الأول وبين التقعيد تقوم على تجاذب «غير» وما بعد «إلّا» في الإعراب، فهو اسـتئناس وليس استشـهادًا، إذ لا سـبيل إلى إثبات أنّ ما بعد إلّا مرفوع في تلكم الحالة إلا بإثبات رفع «غير» التي تأخذ حكم المسـتثنى في الإعراب. وكذلك الأمر في المثال النثري والبيت الثاني ليس استشـهادًا؛ بل هو استئناس أيضًا، والعلاقة التي تربط بينه وبين المسـتأنس له علاقة مشـابهة، حيث بُنيـت «غير» كما بنيت «يومئذ» وكما بنيت «حين» وكان حقّها الجر، فهذا نظير ذاك.

إنّ الاسـتئناس يكـون مباشـرًا حينمـا تكون العلاقة واضـحة بـين التقعيد والمسـموع المستأنس به، وهي علاقة قائمة على المقاربة، بحيث يكون هذا المسموع مقاربًا للتقعيد في شـيء من عناصـره التركيبية، ونرى أن جّل القواعد المستأنس لها تقوم من باب التجويز الذي لا يتناقض مع الأصـول ،ففي حديث سـيبويه عن حذفُ التاء من الفعل قال: «واعلم أنه من قال: ذَهَبَ نساؤك قال: أذاهبٌ نساؤُكَ، ومـن قال:[٢٩] ﴿فمن جـاءه موْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾ قال: أجائـي موعظة، تذهب الهاء ههنا كما تذهب التاء من الفعل. وكان أبو عمرو يقرأ: ﴿خاشعًا أبصارُهم﴾،[٣٠] قال الشاعر، وهو أبو ذؤيب الهذلي:[٣١]

بَعيـدُ الـغُـزاةِ فمـا إنْ يَـزَالُ (م) مُضْـطَـمرًا طُـرَّتَـاه طَليحاوق

وقال الفرزدق:[٣٢]

وَكُـنَّـا وَرِثْـنـاهُ على عَـهْـدِ تُبـعٍ طويلًا سَواريه شديدًا دعائمُهْ

وقال الفرزدق أيضًا:[٣٣]

قَـرَنـبـى يـحـكُّ قَـفَـا مُـقْـرِفٍ لـئـيـمٍ مـآثـرهُ قُـعْـدُدِ

وقال آخر، وهو أبو زبيد:[٣٤]

مُسْتحنٌّ بها الرياحُ فما يَجتابُها (م) في الـظَّـلامِ كـلُ هـجـودٍ

.. وهــذا ﷺ الشــعر أكثر من أن أحصــيه لك، ومن قال ذهــب فلانة قال: أذاهب فلانة وأحاضر القاضي امرأةٌ». (٣٥)

إن جميــع هذه الأبيات ليســت نصًــا في حــذف التاء من الفعــل، بل جاء بها ليستأنس بجواز حذف التاء من الفعل، وإذا كان اسم الفاعل وغيره من المشتقات يعمــل عمــل فعله، ويجوز حــذف التاء منه يمكــن إذًا أن نحذفها مــن الفعل وهو الأصــل. فالعلاقة بين الفعل والمشــتقات هي علاقة مقاربة ومشابهة في عملهما، وهو استئناس مباشر للقاعدة التي يريد.

وقد يأتي الاستئناس أحيانًا غير مباشر، والعلاقة بين المستأنس له والمستأنس به هي علاقة مشــابهة أيضًــا، ولكنّ هذه المشــابهة لا ينظر إليها في ضوء تقارب التقعيد، بل ينظر إليها في ضوء تقارب التصرف بينهما، وهذا المسموع المستأنس به بصــورة غير مباشــرة هو في جملته خــارج على التقعيد، والهدف منه تســويغ المســتأنس له وقبولــه بالمقارنة مع المســتأنس به، ففي حديث ســيبويه عن حذف المفعــول مــن الحافظات والذاكــرات في قولــه تعالــى: (٣٦))والحافظين فروجهم والحافظــاتِ والذاكرين اللّه كثيرًا والذاكرات(ـ قال: «فلم يُعمل الآخر فيما عمل فيه الأول اســتغناءً عنه، ومثل ذلك: «ونخلع ونترك من يفجرك» وجاء في الشــعر من الاستغناء أشدّ من هذا، وذلك قول قيس بن الخطيم: (٣٧)

نَــحــنُ بمــا عـنـدنـا وأَنْـــتَ بما عِـنْـدَكَ راضٍ والــرأيُ مختلفُ

وقال ضابئ البرجمي:

فمـنْ يـكُ أَمْـسـى بالمدينة رَحْـلُـه فـــإني وقـــيـــارًا بــهــا لـغـريــبُ

.. فوضع في موضع الخبر لفظ الواحد، لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على أنّ الآخرين في هذه الصــفة، والأول أجود لأنه لم يضــع واحدًا في موضع جمع ولا جمعًا في موضــع واحد.» (٣٨) فسيبويه أورد هذه الشــواهد ليدلل على جواز حذف المفعول الذي هو فضلــة، وعلى عدم جودة حذف خبر المبتدأ لأنه عمدة فإذا كان

الــذي يســتحق عدم الحــذف تم حذفه، فجواز حــذف الذي يســتغنى عنه أولى، وبذلك سوّغ باستئناس غير مباشر حذف المفعول به.

إنّ العلاقــة بين المســتأنس له والمســتأنس به قد تبدو علاقة منفصــمة على المســتوى التقعيدي، حيث لا يكون المســتأنس به نصًا في المستأنس له، ولا يدخلان في بنية تقعيدية واحدة؛ بيد أن هذا المســتأنس به كان يفيد بصــورة غير مباشرة التقعيد المســتأنس له، حينما لا تســعف الذاكرة في استحضار الشاهد الذي يدلّ عليه بصورة مطلقة ومباشرة.

وثمة ملاحظة مهمة في هذا الســياق وهي أن المســموع الذي يأتي به النحوي استئناسًــا في موضــع «ما»، قد يأتي به هو أو غيره من النحاة شــاهدًا في موضــع آخر، ســواء أكان موضــع الشــاهد نفســه أم غيره، ومن ذلك قــول زهير بن أبي سلمى:

بدا لي أني لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئًا إذا كانَ جائيا

فقد جاء في موضع شاهدًا على إعمال اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفاعل،[٣٩] وجاء في مواضــع أخرى استئناسًــا للحمل على المعنى[٤٠] ،وفي موضع آخر شاهدًا للعطــف علــى التوهم».[٤١] فهذا الشــاهد وغيره دفع النحويين إلــى عدم التمييز بين المســموع الذي يأتي شاهدًا على التقعيد والمسموع الذي يُؤتى به للاستئناس، وأطلقوا على جميع هذا المســموع؛ ولا ســيما ما جاء في كتب المتقدمين من النحاة شــواهد،[٤٢] إذ كان من الصعوبة بمكان وسم هذا البيت بالشاهد أو بالمثال، ومع ابتعــاد النحويين عن عصــر الاحتجــاج وازدياد خرقهم للمقياســ الزماني ،من خلال إيرادهم شعرًا لشعراء من خارج عصر الاحتجاج، وسموا بالمولدين أصبح يطلق على هذه الأشــعار، أعني أشعار المولدين الذين توفوا بعد (١٥١هـ) ،أبيات التمثيل والاســتئناس لأنّ معظمها لم يأت لاســتنباط القواعد، بل لغرض توضيح هذا التقعيد وتأكيده.

تطوّر استخدام أبيات التمثيل والاستئناس:

حينما بدأ العلماء الأوائل في جمع اللغة جعلوا الفصاحة قبلتهم في كل ما يجمعون من إشعار ،ولذلك قسموا الشعراء على طبقات أربع تبعًا لسني وفاتهم، قال البغدادي: «وأقول الكلام الذي يستشهد به نوعان شعر وغيره، فقائل الأول قد قسمّه العلماء على طبقات أربع: الطبقة الأولى الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى، والثانية المخضرمون: وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان، والثالثة المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق، والرابعة المولّدون ويقال لهم المحدثون ،وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس.. فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعًا، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامهم... وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقًا، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم واختاره الزمخشري».[٤٣]

وتبعًا لهذا القول نجد أنّ النحاة الأوائل حاولوا أن يسيروا وفق هذا الإجماع في عدم الاستدلال لقواعدهم إلّا بأشعار الطبقات الثلاث الأولى، فمنْ يعد إلى مصنفات النحويين الأوائل و يتتبع التطور الزمني فإنه يجد أن أبا عمرو بن العلاء لم يكن يستشهد بأشعار الإسلاميين كالفرزدق وجرير، وكان يعدّ شعرهم مولدًا، وكان يقول: «لقد حَسُنَ هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره».[٤٤]

أما جيل العلماء الذي جاء بعده فقد احتج بشعر الإسلاميين، ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال: «ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج».[٤٥] وكان معظم النحاة متمسكًا بهذا المقياس وكانت غالبية شواهدهم لشعراء الطبقات الثلاث الأولى، بل كان من النادر الاستدلال بشواهد لشعراء من غير هذه الطبقات.

ومع تمسّـك النحاة بهذا المقياس نجد أنهم لم يستطيعوا أن يصمّوا آذانهم عن شـعر المولدين، فقد قيل إن سـيبويه احتج ببعض شـعر بشـار بن برد تقربًا إليه،(٤٦) وقيل إن المبردّ احتج بشيء من شعر أبي تمام في كتابه الاشتقاق.(٤٧)

إن استشـهاد سـيبويه بشعر لبشـار بن برد لم يثبت، أما الشاهد الذي نسب إلى بشار وهو قول الشاعر:(٤٨)

وَمَا كل ذي لُبٍ بمؤتيكَ نُصْحَهُ   وما كـلُ مـؤتٍ نُصْـحَهُ بلَبيبِ

فقد اختلف في نسـبته فنسـب إلى أبي الأسـود الدؤلي وإلى مودود العنبري، ولم ينسبه أحد من العلماء إلى بشار بن برد، وقد خلص د. خالد جمعة إلى أن «قصة استشهاد سيبويه بشعر بشار ليست ثابتة، ومن الجائز أن سيبويه كان يذكر بعض شـعر بشـار في مجالسه دون أن يقصـد إلى الاحتجاج به، بل لعَلّه كان يستخدمه للتمثيل».(٤٩)

وإذا كان استشـهاد سـيبويه بشـعر بشـار لم يثبت، فإنّ استشـهاده بشـعر غيره من المولدين حقيقة ثابتة. فقد استشـهد بخمسـة شواهد لشعراء أدرجهم اللغويـون العرب في قائمة المولدين؛ وهم: أبان اللاحقي (٢٠٠هـ) وخلف الأحمر (١٨٠هـ)، وأبو حية النميري (بعد ١٨٠هـ).

أما الجيل الذي جاء بعد سيبويه فلم يجد حرجًا في إيراد شعر بعض المولدين، وإن كان معظمـه لبيان المعاني، قال ابن جنـي: «إن المعاني يتناهبها المولّدون كما يتناهبهـا المتقدّمـون، وقد كان أبو العباس وهو الكثـير التعقب لجلّة النـاس احتج بشـيء من شـعر حبيب بن أوس (٢٣١هـ) في كتابه الاشـتقاق لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه فأنشد له:

لـوْ رأينـا التـوكيـدَ خُطّـةَ عَجْزٍ   ما شَفَعْنا الآذانَ بـالتثـويبِ»(٥٠)

وقد أفرد المبرد بابًا في "الكامل" حشـد فيه مجموعة من أشـعار المولدين ،قال فيها "حكيمة مستحسـنة يحتاج إليها للتمثل، لأنها أشـكل بالدهر ويسـتعار من

ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب". [51]

ومع اتساع الهوّة الزمانية بين نحاة القرون اللاحقة وبين النحاة الأوائل بدأت قيود الاحتجاج بشعر المولدين تضعف، وبدأ بعض النحويين يكسر هذه القيود، فأبو علي الفارسي احتج لأبي حية النميري ولأبي تمام في كتابه الإيضاح، [52] واحتج أيضًا بغير شاهد في باقي مصنفاته، وحاول بعض العلماء تسويغ احتجاج الفارسي بأشعار أبي تمام وغيره من المولدين عبر حجج واهية وغير مقنعة». [53]

أما أبو القاسم الزمخشري الذي وجد في الحدود التي وضعها النحاة شيئًا من التعسف فقد احتج بشعر أبي تمام ودافع عن صنيعه هذا بقوله: "وهو وإن كان محدثًا لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه." [54] ومع ذلك كان جلّ شواهده في الكشاف والمفصّل لشعراء من عصر الاحتجاج، وأشعار المولّدين التي أوردها في مصنفاته كانت في معظمها لشرح بعض المعاني أو لتخطئة بعض الشعراء المولدين ،كقول أبي نواس [55] (١٩٩هـ):

كأنّ صُغرى وكبرى من فواقعها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهب

قال ابن يعيش: "فأما قول ابن هانئ: فقد عابه بعضهم لكونه استعملها نكرة، وهذا الضرب من الصفات لا يستعمل إلا معرفًا". [56] وقال البغدادي: «على أنّ أبا نواس قد لحن فيه باستعمال «فُعلى» دون أل، ودون إضافة وأول من نبه على لحنه الزمخشري في المفصّل». [57]

وما إن جاء القرن السابع حتى غدت أشعار المولدين تظهر في مصنفات النحاة دون استحياء، وقد ظهر ذلك بوضوح في شرح المفصّل للخوارزمي [58] (٦١٧هـ) إذ حشد أكثر من سبعين شاهدًا من أشعار المولدين، وكان لأبي العلاء المعري الحظ الأوفر من هذه الشواهد. وكان في إيراده لهذه الشواهد مترددًا

فتارة يذكر أن الغرض من إيراده هذا الشاهد هو الاستئناس كقوله: «وإن شئت فاستأنس في هذا الباب بقول الفاضل أبي العلاء[٥٩] (٤٤٩هـ):

وَتَكْتُمُ فيه العاصفاتُ نفوسها   فلوْ عَصَفَتْ بالنَّبْتِ لمْ يتأودِ

وفي حديثه عن قول العرب "فاها لفيك" أي قبلتك الداهية،قال: ومما يؤنس من هذا الباب قول أبي الطيب[٦٠] (٣٥٤هـ):

[قَبّلْتُها وَدُموعي مزْجُ أدمعها]   وقبلتني على خوفٍ فمًا لفمِ»[٦١]

ومن ذلك أيضًا قوله: "الاستفهام يجري مجرى النفي، وذلك إذا كان إنكارًا ومما يستأنس به في هذا الباب قوله البحتري[٦٢] (٢٨٤هـ):

وِددْتُ وهلْ نَفْسُ امرئٍ بملومةٍ   إذا هي لمْ تُعْطَ المنى في ودادها

ألا ترى أنّه أدخل الباء في خبر المبتدأ الذي دخل عليه الاستفهام".[٦٣]

وفي أحايين أخرى كان يرفض الاستشهاد بأشعار المولدين، ومن ذلك ما قاله في بيت ربيعة الرقّي (١٩٨هـ):

لشتان ما بَيْنَ اليزيدين في الندى   يزيدِ سُلَيمٍ والأغرّ ابن حاتمِ

"هو ممّن لا يستشهد بشعره لأنّه مولّد".[٦٤]

وتارة كان يحتج بأشعار المولّدين مباشرة ففي حديثه عن الجملة الحالية التي يكون فعلها مضارعًا قال: "أمّا أن يكون مضارعًا ؛فإمّا مثبتًا فلا حاجة فيه إلى الواو.. وإمّا منفيًا، فيجوز فيه الأمران، إما بدون الواو كقول أعشى همدان:[٦٥]

[وكانَ سفاهةً منا وجهلا]   مسيري لا أسيرُ إلى حميم

وإمّا مع الواو فنظيره بيت أبي الطيب:[٦٦]

[أشكوُ النوى ولهمْ من عبرتي عجبٌ]   كذاكَ أشكو ولا أشكو سوى الكللِ»[٦٧]

وقال في تخفيف الهمز: "يقول الشيخ كما أنّ إبدال التاء من الواو غير كثير،

فكذلـك الإبـدال من هذه الهمزة، فإن سـألت: فكيف تصـنع مع هذا التضـييق الشديد بما حشي به أشعار المتقدمين والمتأخرين من تخفيف الهمزة نحو.. وبيت السقط:(٦٨)

أدنـى الـفـوارسِ مَـنْ يُـغيرُ لمغنَمِ   [فاجعلْ مُـغـارَكَ لـلـمكارم تُكرَمِ]

وإنما: أدنأ من الدناءة، ومنه بيت أبي تمام:(٦٩)

كـلِـفٌ بـربِّ الـحـمـدِ يَـزْعُـمُ أنّـهُ   لا يُـبـتـدى بـدءٌ إذا لـمْ يُـتْـمَـمَ»(٧٠)

وقال في النداء :إن "حرف النداء ينزل تنزيل الفعل، ولذلك انتصـب به المفعول المطلق وفي بيت العراقيات:(٧١)

فـيـالَ نـــزارٍ دَعْـــوَةً مُـضـريـةً   [بِحَيثُ الرُّدَيْنِيَّاتُ بالدمِ تَرْعُفُ](٧٢)

وقال في "أي" الموصولية : "ومما يكون فيه "أي" بمعنى الذي ما كان من الكلام مثل كلام أبي الطيب:(٧٣)

وَيَغْبط الأرضَ مِنْها حيثُ حل بها   وَيحسدُ الخيلَ منها أيها ركبا»(٧٤)

وقال في نيابة اللام عن الإضـافة: "وإن أردت أن تعرف نيابة اللام عن الإضـافة فتأمل بيت العراقيات:(٧٥)

همُ في الرضى كالماءِ يسترِي الظبي   وكالنار فيها حين يسلبُها السخْطُ

فاللام في السّخط لو لم تكن نائبة عن الإضافة لفسد المعنى برمته". (٧٦)

إن الخوارزمي في إيراده هذه الشـواهد وغيرها تبقى نظرته العامة إلى هذه الشـواهد أقل من نظرته إلى الشـواهد التي تنتمي إلى عصـر الاحتجاج، إذ إنّ هناك الكثير من الشواهد التي أوردها كان تبيان المعنى هو الغرض الرئيسي من إيرادها في مصنفه.

أمّـا ابن الحاجب (٦٤٦هـ) فقد أورد في أماليه عددًا من شـواهد المولدين، وكان العـدد الأكبر للمتنبي إذ أورد له خمسـة عشـر بيتًـا، كان الغرض منها إمّا

شرح معنى أو توجيهه وإمّا إعراب بعض المفردات ،ومن ذلك قوله:(١١)

وَلَـوْ قَلَمًا ألقيتُ في شقِّ رَأْسِـهِ   من السّقْمِ ما غيرتُ من خطِّ كاتبِ

قال ابن الحاجب: "يروى بالرفع والنصب، ولكنّ النصب هو الوجه؛ لأن "لو" حرف شرط يقتضي الفعل لازما مثل إن". (٧٧)

وقال المتنبي:(٧٨)

أبلى الهوى أَسَفا يَوْمَ النَّوى بَدَني   وَفرقَ الهَجْرُ بينَ الجفْنِ والوَسَنِ

قال ابن الحاجب: "أسفًا يجوز أن يكون مفعولًا من أجله، وكان القياس يقتضي مجيء اللام، إذ ليس هو لفاعل الفعل المعلل فيكون حذفها لضرورة الشعر". (٧٩)

وقال المتنبي:(٨٠)

أَمِطْ عَنْكَ تشبيهي بما وكأنما   فما أحد فوقي ولا أَحَدٌ مثلي

قال ابن الحاجب: "توهم أن "ما" للتشبيه وليس الأمر على ما توهم، ولا تعرف "ما" للتشبيه". (٨١)

وقال المتنبي:(٨٢)

أحيا وأَيْسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتَلا   والبينُ جارٍ على ضَعْفِي وما عَدَلاَ

قال ابن الحاجب: "يجوز أن تكون "أحيا" فعلًا مضارعًا حذف منه همزة الاستفهام للإنكار". (٨٣)

وقال المتنبي:

أحادٌ أم سُداسٌ في أُحادٍ   لُيَيْلَتُنا المنوطةُ بالتنادِ

قال ابن الحاجب: "يجوز أن تكون "أم" متصلة ويكون قد حذف الهمزة من "أحاد" ضرورة، ويجوز أن تكون "أم" منقطعة فيكون "أحاد" خبرًا". (٨٤)

أما ابن برهان العكبري(٨٥) (٤٥٦هـ) فقد كان مقلّا في استئناسه بأشعار

المولّديـن إذا ما قورن بغيره من معاصـريه، فقد أورد أربعة شـواهد، اثنين منها كانا لغرض المعنى، مثل قول أبي تمام:[٨٦]

خَـرْقَـاءُ يـلْعَبُ بـالعُقول حبابُها   كَـتَـلـعُّـبِ الأفْـعـالِ في الأسْـمـاءِ

الذي قال قبل إيراده: "والقياس في الأسماء أن تكون معمولة معربة مصروفة غير عاملة، فعملها استحسـان، والقياس في الأفعال أن تكـون عاملة مبنية، فإعرابها استحسـان قال الشاعر: وهو الطائي الأكبر [البيت]".[٨٧]

أمّا البيتان الآخران فقد أوردهما لقضايا نحوية، أحدهما عدّه من الضرورة الشعرية، ولم ينسبه مكتفيًا بالقول: "يقول محمد - يعني المبرد - إن ضرورة الشعر تسوّغ استعمال "عند" استعمال "زَيْدٍ" نحو قول بعض المحدثين:[٨٨]

كُـــلَّ عِـــنْـــدٍ لـــكَ عِـــنْـــدي   لا يُـــســـاوي نـــصْـــفُ عِـــنْـــدِ

وثانيهما أورده نقلًا عن ابن جني، فقد قال: "قال أبو الفتح عثمان بن جني: قال حبيب:[٨٩]

لَقَدْ لَبِسْتُ أميرَ المؤمنين بها   حَلْيا نظاماهُ بيتٌ سارَ أوْ مَثَلُ

غريبةٌ تونسُ الآدابُ وَحْشَتَها   فما تحلُ على قَوْمٍ فترتحلُ

القياس نصب "ترتحل" على قولك: "ما تأتينا فتحدثنا".[٩٠]

أما رضـي الدين الاسـترباذي (٦٨٦هـ) الذي شرح كافية ابن الحاجب فقد أورد شـواهد كثيرة من أشـعار المولّديـن، ففي حديثه عن تأخـير الخبر في قوله "سـلام عليك: خشـية اللبس قال: "وإنما تأخّر الخبر مع كونه جارًا ومجرورًا لتقـديم الأهـم وللتبادر إلى ما هو المراد، إذ لو قدمـت الخبر وقلت: عليك، فقبل أن تقول: "سـلام"، ربما يذهب الوهم إلى اللعنة، فيظن أنّ المراد: عليك اللعنة، ولهذا انخزل أبو تمام وترك الإنشاد على ما يحكي، لما ابتدأ القصيدة وقال:[٩١]

على مِثْلِها مِنْ أَرْبُعٍ وَملاعِبِ   أُذيلَتْ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ»[٩٢]

وفي حديثه عن مجيء الحال اسمًا جامدًا مؤولًا بمشتق استأنس بقول المتنبي:[٩٣]

بَـدَتْ قَـمَـرًا ومـالـتَ خُـوط بـانٍ وفـاحَـتْ عَـنْـبَرًا وَرَنَـتْ غـزالا

واستشهد بشعر المتنبي أيضًا في حديثه عن ضمير الشأن قال: "وقد يخبر عن ضمير الأمر المستفهم عنه تقديرًا، بالمفرد، تقول: هو الدهر، قال أبو الطيب:[٩٤]

هُوَ البينُ حتى ما تَأنى الحزائقُ ويـا قَـلْـبِ حتى أنـتَ ممـنْ أُفـارقُ

كأنه قال: أي شيء وقع من المصائب، فقال: هو البين".[٩٥]

ومما يدلّ على عدم تمييز الرضي بين شواهد عصر الاحتجاج وأشعار المولّدين أنه في مواضع كان يقدم أشعار المولّدين على أشعار من يحتج بشعره، ففي حديثه عن وجوب تقديم الفاعل على المفعول به إذا يقع بعد إلا قال: "فإذا ثبت هذا، فإن وقع معمول أخرى قبل "إلا" بعد المستثنى غير الثلاثة المذكورة. إمّا مرفوع أو منصوب، ولا يكون إلا في الشعر كقوله:[٩٦]

كأنْ لم يَمُتْ حيٌ سِواكَ ولمْ تقمْ عـلـى أحـدٍ إلّا عـلـيـكَ الـنَّـوائـحُ

وكقوله:[٩٧]

لا أَشْـتَـهـي يـا قَـوُم إلّا كـارهـا بـابَ الأمـيـرِ ولا دفـاعَ الـحـاجـبِ

أضمروا له عاملًا آخر من جنس الأوّل، أي: قامت النوائح، وأشتهي باب الأمير كارها".[٩٨] فالبيت الأول لأشجع السلمي (١٩٥هـ)، وهو من الشعراء المولّدين بينما البيت الثاني فهو لموسى بن جابر الحنفي، وهو من الشعراء الذين يحتج بشعرهم.

ومع ذلك نراه في موضع آخر يستشهد بشعرهم؛ وهو عالم أن الاستشهاد بشعرهم ليس مقبولًا، ففي حديثه عن أنّ "سواء" تسدّ مسدّ جواب الشرط في قولنا: "سواء عليّ أقمت أم قعدت" قال: "إن معنى سواء أقمت أم قعدت، ولا أبالي أقمت أم قعدت في الحقيقة واحد، ولا أبالي ليس خبرًا لمبتدًا، بل المعنى: إنّ

أقمت أو قعدت فلا أبالي بهما، وقول ابن سينا (٤٢٨هـ):

سِيّان عِنْدي إنْ بروا وإنْ فجروا ... فَلَيْسَ يَجْري على أَمْثالهم قَلَمُ

يقوي ذلك، وإن لم يكن الاستشهاد بمثله مرضيا". [٩٩]

وقد علّق البغدادي على استشهاد الرضي بهذا الشاهد بقوله: "ولا يخفى أن كلام ابن سيناء كما لا يصح الاستشهاد به لا يصح التقوية به ،على أنه لا يلزم من كون شيئين متفقين معنى اتفاقهما إعرابًا، وكأنّ الشارح المحقق لم يستحضر قول الفرزدق: [١٠٠]

لا يُنْقِصُ العُسْرُ بَسْطًا مِنْ أكفهم ... سِيّانَ ذلك إنْ أثـرَوا وإنْ عدموا

ولو استحضره ما عدل عنه" [١٠١]

إن ما فعله الرضي دفع النحاة من بعده إلى الأخذ بشواهده والاحتجاج بها، كما فعل أبو القاسم المرادي [١٠٢] (٧٤٩هـ) الذي احتج في كتابه بغير شاهد من أشعار المولدين، فقد احتج بقول أبي نواس: [١٠٣]

إنّ مَنْ سَادَ ثم سَاد أَبُوه ... ثُم قَدْ سَاد قَبْلَ ذلك جدُّهُ

على مجيء "ثم" لمجرد الترتيب في الذكر دون اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج "وهذا الشاهد احتج به الرضي على المسألة نفسها. [١٠٤]

واحتج المرادي على زيادة الباء في مفعول كفى بقول أبي الطيب: [١٠٥]

كفى بجسمي نُحولا أنّني رجلٌ ... لولا مُخَاطَبتي إيَّاك لَمْ تَرَني

وعلى كسر لام المستغاث به بقول أبي الطيب: [١٠٦]

فيا شَوْقِ ما أَبْقى ويالي من النوى ... [ويا دَمْعِ ما أجرى ويا قَلْبِ ما أصبى]

أما أبو حيان الأندلسي فقد ظل متمسّكًا بمقاييس النحاة الزمانية والمكانية أكثر من غيره من النحاة الذين عاصروه، وأما ما أورده من أبيات لبعض المولدين

فقد جاء بها ليست للاحتجاج وإنما لبيان المعاني أو للحديث عن زلات العلماء في تخريج بعض أبيات المولدين، أو في موضع الذم لهذه الأشعار، ففي حديثه عن زلات العلماء قال: "وقال الأحمر في قول أبي نواس:(١٠٧)

أَسْـرَع مِـنْ قَـول قـطـاةٍ قطَّا [يكتالُ خزانَ الصحارى الرقطا]

قال: أخطأ في قوله "قطّا" مشددة، إنما يقولون "قطا" مخففة، قال أبو محمد: أصاب أبو نواس وأخطأ الأحمر لإعجابه بنفسه وتوهمه أنه محيط بعلم العرب كله، وقدْ ذكر "قطّا" بالتشديد في شعر من هو حجة في العربية"(١٠٨). وأبو حيان لم يقبل به إلا لورود مثله في شعر من هو حجة في العربية.

وفي معرض حديثه عن إدخال اللام على "إنّ" قال: يضطر الشاعر فيدخل اللام قبل "إنّ" وذلك مع إبداله الهاء من الهمزة، وقد يضطر فيأتي بلامين، نحو "لهنك قائم" وهو قبيح، وقد جاء به بعض المولدين، وهو حبيب:(١٠٩)

أربيعنا في خمس عشرةَ حجةً حـقًـا لـهـنـكَ لـلـربيـع الأزهـرِ

فأبو حيان بين أن ذلك ضرورة قبيحة، وأظن أن سبب إطلاقه هذا الحكم مجيءهذه الضرورة في شعر المولدين الذين لا يحتج بأشعارهم.

أما ابن هشام الأنصاري فقد حشد في مصنفاته الكثير من أشعار المولدين وكان لأبي الطيب المتنبي الحضور الأبرز بين الشعراء المولدين ،إذ أورد له في "مغني اللبيب" وحده أكثر من ثمانية عشر بيتًا، يليه ابن دريد ثم أبو نواس.

إن منهج ابن هشام في إيراد هذه الأبيات لم يكن متسقًا ،فأحيانًا كان يورد أبيات المولدين للاستئناس بعد إن تسبق بشواهد قرآنية، أو بشواهد من عصر الاحتجاج، ففي حديثه عن زيادة الباء في اسم ليس المؤخر احتج بقوله تعالى:(١١٠))لَيّسَ البرَ بأنْ تُولوا(حيث قرئ بنصب البرَّ، واستأنس بقول محمود الوَرّاق: (٢٢٥هـ)(١١١)

أَلَـيْـسَ عَـجـيـبًـا بـأنَ الـفـتـى يُـصـابُ بـبـعـضِ الـذي في يـدَيـه

وفي حديثه عن تعلق الجار والمجرور بالفعل وبشبهه احتج بقوله تعالى:[112])أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم(، واستأنس بقول ابن دريد[113] (٣٢١هـ):

واشتعلَ المبيضُ في مسْوَدِّهِ   مثلَ اشْتِعَالِ النّارِ في جزْلِ الغَضَى

وفي حديثه عن نصب "ليت" للاسم والخبر احتج بقول العجاج:

يا لَيْتَ أيامَ الصبا رواجعا

واستأنس بقول ابن المعتز (٢٩٦هـ)[114]

مَرتْ بنا سحرًا طيرٌ فقلتُ لها: طوباك يا ليتني إياكِ طوباكِ

وفي حديثه عن إعمال "لا" العاملة عمل "ليس" بالمعارف احتج بقول النابغة الجعدي:[115]

وَحَلَّتْ سَوادَ القلْبِ لا أنا باغيًا   سِواها، ولا عَنْ حُبِّها مُتَراخيا

واستأنس بقول المتنبي:[116]

إذا الجودُ لم يُرزق خلاصًا من الأذى   فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا

وفي حديثه عن عطف ما حقه التثنية والجمع احتج بقول الفرزدق:[117]

إنّ الرزيةَ لا رزيةَ مِثلها   فِقْدانُ مِثْل محمدٍ ومُحمدِ

واستأنس بقول أبي نواس:[118]

أَقَمْنَا بها يومًا ويومًا وثالثًا   ويومًا له يومَ الترحلِ خامسُ

وأحيانًا كان يورد بيت الاستئناس بين شاهدين من عصر الاحتجاج، ففي حديثه عن حذف اسم "لكن" احتج بقول الفرزدق:

فَلَوْ كنتَ ضَبِّيًا عرفْتَ قرابتي   ولكن زنجيٌّ عظيمُ المشافرِ

واستأنس بقول المتنبي:[119]

وما كنتُ ممن يدخلُ العشقُ قلبهُ   ولكنَّ مَن يبصرْ جفونكِ يعشقِ

ثم احتج بقول أمية بن أبي الصلت:(١٢٠)

ولكنَّ منْ لا يلق أمرًا ينوبهُ بعدته ينزلْ به وهو أعزلُ

وأحيانًا أخرى كان يحتج بقول الشاعر المولد ومن ثم يورد شاهدًا آخر مما يحتج به ففي حديثه عن إضافة "إذ" إلى الجملة الفعلية، قال: "قد يحذف أحد شطري الجملة، فيظن من لا خبرة له أنها أضيفت إلى المفرد"(١٢١) واحتج بقول ابن المعتز:(١٢٢)

هل ترجعن ليال قد مضين لنا والعيش منقلب إذ ذاك أفنانا؟

ومن ثم أورد شاهدًا آخر للأخطل؛ وهو قوله:(١٢٣)

كانتْ منازلُ أُلَّافٍ عَهِدتُهُمُ إذْ نحنُ إذْ ذاكَ دونَ الناسِ إخوانا

ونراه في مواضع أخرى يحتج بأشعار المولدين فحسب، ففي حديثه عن دخول "ما" الكافة على حرف الجر الباء، احتج بقول مطيع بن إياس (١٦٩هـ): (١٢٤)

فَلئِنْ صِرْتَ لا تحير جوابا لبما قد ترى وأنتَ خطيبُ

وفي حديثه عن اقتران الجملة الاعتراضية بالواو مع تصديرها بالمضارع المثبت احتج بقول أبي الطيب:(١٢٥)

يا حاديي عيرها وَأَحْسَبنُي أُوْجَدُ ميتًا قبيلَ أفقدها

قفا قليلًا بها علي، فلاَ أقلَّ مِنْ نظرةٍ أزودُها

وفي حديثه عن معاني "كأنّ" قال إن من معانيها التقريب، قاله الكوفيون، وحملوا عليه "كأنك بالشتاء مقبل" و"كأنك بالفرج آتِ". وقول الحريري(١٢٦) (٥١٦هـ):

كأنّي بكَ تنحطُ [إلى اللحْدِ وتنْغَطّ]

وفي حديثه عن "لا" النافية للجنس، قال: "إنما يظهر نصب اسمها إذا كان خافضًا نحو: "لا صاحب جود ممقوت" وقول أبي الطيب:(١٢٧)

فلا ثَوْبَ مجدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابنِ أحمدٍ   علـى أحـــدٍ إلا بِـلُـؤْم مُـرَقَـعُ

أو رافعًـا نحو: "لا حسـنًا فعله مذموم" وناصـبًا نحو: "لا طالعًا جبلًا حاضـر" ومنه: "لا خيرًا من زيد عندنا" وقول أبي الطيب:(١٢٨)

قَـفَـا قـلـيـلًا بـهـا عـلـي فـلاَ   أقــلَّ مِــنْ نـظـرةٍ أزودهـــــا»(١٢٩)

وكان أحيانًا يورد بعض شواهد المولّدين لوصفها باللحن أو لتضعيفها، ففي حديثه عن وجوب حذف خبر المبتدأ بعد "لولا" لحّن أبا العلاء المعري في قوله:(١٣٠)

[يذيبُ الرعبُ منه كُلَّ عَضْبٍ]   فـلـولا الـغـمـدُ يمْـسـكُـهُ لَـسَـالا

وأورد أيضًـا عددًا من أبيات المولدين بقصد توجيه إعراب كلمة أو تأويل تركيب، ففي حديثه عن "أي" أورد قول أبي الطيب:(١٣١)

أيَّ يَــوْمٍ سـرَرْتـنـي بـوصـالٍ   لمْ تـرُعـنـي ثـلاثـةً بـصـدودِ

وقال: "ليست فيه" أي "موصولة، لأن الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة"(١٣٢) وفي حديثه عن «أم» أورد قول أبي الطيب:

أُحـــاد أمْ سُـدَاسٍ في أُحَــادٍ   لُـيَـيْـلَـتُـنـا الـمـنـوطـةُ بـالـتـنَـادِ

وقال: "فإنّ قدرتها متصلة، فالمعنى أنه استطال الليلة، فشكَّ أواحدة هي أم ست اجتمعت في واحدة فطلب التعيين.. وعلى هذا يكون قد حذف الهمزة قبل "أحاد" ويكـون تقديم الخبر، وهو "أحاد" على المبتدأ وهـو "لييلتنا تقديمًا واجبًا.. وإنّ قدرتهـا منقطعة فالمعنى أنه أخبر عن ليلته بأنهـا ليلة واحدة ثم نظر إلى طولها فشك، نجزم بأنها ست في ليلة فأضرَبَ".(١٣٣)

أمّا النحاة الذين جاؤوا بعد ابن هشـام فكان معظمهم شـراحًا لشواهد من سـبقوهم من النحاة ؛كالإمام العيني الذي شـرح شـواهد الألفية ،والشـيخ عبد القادر البغدادي الذي شـرح شواهد الكافية وشـواهد المغني، والشنقيطي الذي شرح شواهد الهمع. وكانت شواهد المولدين الذي وردت في مصنفاتهم قد تعرض لها النحاة من قبل ولم يأتوا بشواهد جديدة إلّا ما ندر.

قيمة شواهد التمثيل والاستئناس في بناء القاعدة النحوية

بينت فيما سبق أن العلاقة بين المستأنس له والمستأنس به هي علاقة تباينية على المستوى التقعيدي الظاهر، بيد أننا نجد على المستوى التقعيدي الداخلي أن أبيات الاستئناس أدت غرضين في آن، ولاسيما أبيات الاستئناس التي ينتمي أصحابها إلى عصر الاحتجاج، فهي من جهة قامت بتوضيح مستوى تقعيدي لم تسعف الذاكرة في استحضار المسموع الذي يكون نصًا فيه، فجاءت هذه الأبيات ووضحت القاعدة بالمشابهة والمقاربة أو بالتضاد والتعاكس، ومن جهة ثانية استنبط من هذه الشواهد عدد من القواعد أو مستويات تقعيدية أخرى، بقطع النظر عن هذه المستويات إن كانت هذه المستويات جائزة أو شاذة أو مرفوضة بالمقارنة مع مستوى التقعيد المطرد، وأعطت للنحاة متسعًا من الحرية الفكرية ليقلبوا وجوه التأويل وترجيح بعضها على بعض.

أما أبيات الاستئناس التي عد أصحابها من المولدين فيبدو أن الهدف من إيرادها لم يكن يتجاوز محاولة تسويغ المستأنس له وتأكيده، ولاسيما بعد اتساع الفرجة الزمانية بين المتعلمين والنحاة الأوائل، فأصبح المتعلم بحاجة إلى مزيد من الشواهد كي تترسخ القاعدة في ذهنه، فلم يجد النحاة المتأخرون بدًا من استحضار المسموع الذي كان سائدًا في عهدهم أو في عهد قريب منهم، فمفردات هؤلاء الشعراء وأساليبهم كانت معروفة ومفهومة، وليست غريبة عن أذهان الناس، فهي قد نالت قسطًا من التمدّن بحكم حياة شعرائها في المدن أو احتكاكهم بأهل الحضر.

وقد بينت أن معظم النحاة كان محرجًا مع هذه الشواهد، إذ تكمن الفائدة بها ولكنه لا يستطيع أن يعدها شاهدًا في الوقت نفسه، فكان بعضهم يذكرها ويذكر أن صاحبها مولد لا يحتج بشعره، بل إنّ بعضهم كان يوردها لإظهار خطأ الشعراء في بعض المواضع، الأمر الذي يدفع بالمتلقي الابتعاد عن هذا الخطأ، وبذلك يكون النحوي قد أوصل المتلقي إلى المستوى التقعيدي المطلوب بالتضاد.

أما القواعد التي أقامها بعض المتأخرين على بعض هذه الأبيات فهي قواعد فرعية، ولا تدخل في حيّز المستوى التقعيدي المطرد، ولكنها أعطت صورة واضحة عن تطور استخدام مفردات العربية وتراكيبها تبعًا للتطور الزمني، الذي ينعكس على كل شيء بما فيه استخدام اللغة التي هي أداة التعبير والتواصل بين البشر جميعًا.

الهوامش

(١) انظر معجم المصطلحات النحوية لـ. د. محمد سمير اللبدي ص ٦١ و٨٣ و١١٩، مؤسسة الرسالة، ودار الفرقان بيروت ط٢، ١٤٠٦ه١٩٨٦م.

(٢) انظر كتاب سيبويه ١/٨٣ ـ ٢٨١ ـ ٢٩٨ ـ ٣٥٩ و٢/١٦٢ ـ ١٧٣ ـ ٣٨٤...

(٣) من أعلام نحاة الكوفة، أخذ النحو عن الكسائي له مصنفات كثيرة في النحو واللغة والقرآن، انظر ترجمته في: إنباه الرواة ٤/١ – ١٧، القفطي (علي بن يوسف). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط١، ١٩٨٦. وإشارة التعيين ص ٣٤٧، اليماني (عبد الباقي بن عبد المجيد). تحقيق د. عبد المجيد دياب. شركة الطباعة السعودية، الرياض ١٤٠٦، ١٩٨٦م. وبغية الوعاة ٢٣٣، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال). دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩م.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١/١٧ و٣٠ و٣٥ و٣٦٢، تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي. عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٥) محمد بن يزيد، أبو العباس، قرأ كتاب سيبويه على الجرمي ثم المازني، له تصانيف كثيرة. انظر ترجمته في: إنباه الرواة٣/٢٤١-٢٥٣، وإشارة التعيين ص٣٤٢، وبغية الوعاة١/٢٦٩-٢٧١.

(٦) انظر المقتضب للمبرد ١/٧٩ ـ ١٣٦ ـ ١٠٥ ـ ٢٢٧ و٢/١٣٦ و٣/٣٦٣، المبرد. تحقيق عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب، بيروت، لاط، لات.

(٧) محمد بن القاسم، أحد أئمة الكوفة المشهورين له تصانيف كثيرة، انظر ترجمته في إنباه الرواة ٣/٢٠١ – ٢٠٩، وإشارة التعيين ص ٣٣٥، وبغية الوعاة ١/٢١٢ – ٢١٤.

(٨) انظر الزاهر للأنباري ١/٥٢ و١/١٣٨ و٢/٣٩٢، تحقيق حاتم صالح الضامن. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٢،١هـ١٩٩٢م. والأضداد له أيضًا ص ٢٧، ٢٢٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ط١، ١٩٦٠م.

(٩) انظر المقتضب ١/١٣٢، ١/٢٣٥.

(١٠) انظر الأضداد ٧٥، ١٩٦، ١٠٧، ٢١٠، ٢٥٢.

(١١) انظر شرح الكافية للرضي ١/١٨٨، تعليق يوسف حسن عمر. مؤسسة الصادق طهران، ١٣٩٨ه-١٩٧٨م. وشرح شذور الذهب لابن هشام ص ٣٦٣، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. لا ط، لات. وخزانة الأدب للبغدادي ١/٢١، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨١م، وطبعة دار صادر، بيروت، وهي المقصودة عند الإطلاق.

(١٢) انظر الأضداد ٢٩، ٣٣، ٣٧، ٤٦، ٣٠٧، والزاهر ص ٢/٢٠، ١/٥، ١/١٣، ١/٩٩، ٢/٤٧، ٢/٣٩٢.

(١٣) الكتاب ١/٢٥٥، ٢/٥٦ و٣/١٢٩، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

(١٤) معاني القرآن للفراء ١/١٤ و٢٤٧ و٣١١ و ٢/٢٩١.

(١٥) المقتضب ٢/٥٢ و٣/١٥٣ و٤/٣٦٧

(١٦) البقرة ٢/٢٥٨.

(١٧) آل عمران ٣/٦٥

(١٨) انظر معجم المصطلحات النحوية ص ٢٠٨.

(١٩) ديوان الشماخ ص٢٩٠، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٨م.

(٢٠) الكتاب ١/٣٧٤، وانظر ١/٣٢٣ و ٣٥٤.

(٢١) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه لـ د. خديجة الحديثي ص ١١٥، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٢٢) عبد القادر بن عمر، علامة بالأدب والتاريخ والأخبار من مؤلفاته خزانة الأدب، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٢/٤١.

(٢٣) شرح الهاشميات ص١٥، تفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي. تحقيق ونوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ط١٩٨٦،٢.

(٢٤) شرح أبيات المغني للبغدادي ١/٣٠-٣١، تحقيق عبد العزيز رباح؛ وأحمد دقاق. دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٧٣.

(٢٥) الانتصاف من الإنصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد على هامش الإنصاف لابن الأنباري ١/١٦، دار الفكر، لاب، لاط، لات.

(٢٦) عبد القادر البغدادي ومنهجه في شرح الشواهد لـ د. محمد عبدو فلفل ص ١٣٠، جامعة دمشق ١٩٩٠م.

(٢٧) انظر معجم المصطلحات الصرفية والنحوية ص ١١٩.

(٢٨) كتاب سيبويه ٢/٣٢٩-٣٣٠.

(٢٩) البقرة ٢٧٥/٢. وانظر معجم القراءات القرآنية ٢١٥/١، حيث قرأها الحسن وأبي: جاءته..." إعداد د. أحمد مختار عمر ود عبد العال مكرم. طبعة إيران، ١٤١٢ه، ١٩٩١م.

(٣٠) القلم ٤٣/٦٨، والمعارج ٤٤/٧٠، ولم أجد هذه القراءة في معجم القراءات القرآنية.

(٣١) شرح أشعار الهذليين ٢٠٢/١، صنعة أبي سعيد السكري، رواية أبي الحسن علي، حققه عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود شاكر، مكتبة دار العروبة القاهرة، لاط، لات. وله في الكتاب ٤٤/٢، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١٨/٢، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، لاط، ١٩٧٩م. وبلا نسبة في المقتضب ١٤٧/٢.

(٣٢) في ديوانه ٢٠٧/٢، دار صادر، بيروت، لاط، لات، وهي المرادة عند الإطلاق، وطبعة الصاوي، ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م. وله في الكتاب ٤٤/٢، وشرح أبيات سيبويه ٢٩٢/١.

(٣٣) في ديوانه ١٧٥/١، وله في الكتاب ٤٤/٢، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٩٦، وبلا نسبة في المقتضب ١٤٧/٢.

(٣٤) في ديوانه ص ٥٤، وله في الكتاب ٤٥/٢، وشرح أبيات سيبويه ٤٣٤/١.

(٣٥) الكتاب ٤٣/٢ ـ ٤٥.

(٣٦) الأحزاب ٣٥/٣٣.

(٣٧) في ملحق ديوانه ص ٢٣٩، تحقيق ناصر الدين الأسد. مكتبة العروبة، القاهرة، ط١، ١٣٨١ه-١٩٦٢م. وله في الكتاب ٧٥/١، والمقاصد النحوية ٥٥٧/١، للعيني، مطبوع مع خزانة الأدب، دار صادر، لاط، لات. ولعمرو بن امرئ القيس في شرح أبيات سيبويه ٢٧٩/١، ولدرهم بن زيد في الإنصاف ٩٥/١.

(٣٨) الكتاب ٧٤/١ ـ ٧٦.

(٣٩) الكتاب ١٦٥/١.

(٤٠) الكتاب ٢٩/٣، ٥١/٣، ١٦٠/٤.

(٤١) الكتاب ١٠٠/٣.

(٤٢) شرح الأعلم الشنتمري على ذيل كتاب سيبويه (ط. بولاق ١٣١٦هـ) ٣/١.

(٤٣) الخزانة ٣/١ـ٤.

(٤٤) الخزانة ٣/١.

(٤٥) الخزانة ٤/١.

(٤٦) انظر الأغاني ٢٠٧/٣، الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، ط٢، لات، وهي المرادة عند الإطلاق. وطبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م. والخزانة ٤/١،

(٤٧) انظر الخصائص ٢٣/١ ـ ٢٤، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لاط، لات.

(٤٨) لأبي الأسـود الدؤلي في ديوانه ص ٤٥، تحقيق محمد حسـن آل ياسـين. لا ناشـر، ط١، ١٩٨٢م. وشـرح أبيات سيبويه ٤٣٨/٢، وشـرح شواهد الإيضـاح ص ٦٣٦، ولأبي الأسود أو لمودود العنبري في شرح شواهد المغني ص ٥٤٢، وبلا نسبة في الكتاب ٤٤٣/٤، والهمع ٩٥/٢، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٣٢٧هـ.

(٤٩) شـواهد الشـعر في كتاب سـيبويه صـ ٢٩٨، د. خالد جمعة. مكتبـة دار العروبـة، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٥٠) الخصـائص ٢٤/١. والبيت في ديوان أبي تمام ١٢٦/١، شـرح الخطيب التبريزي. تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.

(٥١) الكامل في اللغة والأدب ٢٣٣/١، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد). مؤسسـة المعارف، بيروت، لاط، لات.

(٥٢) انظر الإيضاح ص ٣٣، ١٠٢.

(٥٣) انظر شـرح الإيضـاح لابن بـري ص ١١٢، ووفيات الأعيـان ٢٣٣/١، تحقيق إحسـان عباس، دار صادر، بيروت، لاط، لات.

(٥٤) الكشاف للزمخشري ٢٠٧/١-٢٠٨، مطبعة الاستقامة – دار الطباعة المصرية ١٩٨١م.

(٥٥) ديوان أبي نواس ٧٧/١، شرحه لإيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

(٥٦) شـرح المفصـل لابن يعيشـ ١٠٢/٦، وانظر مغني اللبيب ص ٤٩٨، تحقيـق د. مازن مبارك وعلى حمد الله. دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ.

(٥٧) شرح أبيات المغني ١٧٤/٦.

(٥٨) أبو محمد، مجد الدين القاسم بن الحسين، المعروف بصدر الأفاضل، من أعلام العربية له على المفصل ثلاثة شروح. انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٥٢/٢-٢٥٣.

(٥٩) سقط الزند ص ١١٣، وشرح المفصل للخوارزمي (التخمير) ص ٤٤٧/٤، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين. دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.

(٦٠) ديوان المتنبي ١٥٣/٤، شرحه لعبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٧هـ١٩٨٦م.

(٦١) شرح المفصل (التخمير) ٣١٤/١.

(٦٢) ديوان البحتري ٦٧٤/٢، تحقيق حسن كامل الصيرفي. دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.

(٦٣) شرح المفصل (التخمير) ٢٩١/١.

(٦٤) شرح المفصل (التخمير) ٢٥٤/٢.

(٦٥) له في دلائل الإعجاز ص ٢٠٩، تحقيق محمود محمد شـاكر. مكتبة الخانجي، مصـر، لاط، لات. والتخمير ٤٤١/١.

(٦٦) ديوان المتنبي ٣/١٩٩.

(٦٧) التخمير ١/٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٦٨) ديوان سقط الزند ص ١٢٦، لأبي العلاء المعري. شرحه د. عمر فاروق الطباع. دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. والتخمير ٤/٢٦٧.

(٦٩) ديوانه ٣/٢٥١، وروايته فيه: لم يبتدأ عرف، ولا شاهد فيه.

(٧٠) التخمير ٤/٢٧٦.

(٧١) العراقيات: جزء من ديوان الأبيوردي (٥٠٧هـ) ١/٤٣٧، تحقيق د. عمر الأسعد. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٧٢) التخمير ٤/٢١٤.

(٧٣) ديوانه ١/٢٤٣، ورواية الديوان: وتغبطُ الأرضُ... وتحسدُ الخيلُ...

(٧٤) التخمير ٢/٢١٧ ـ ٢١٨.

(٧٥) ديوان الأبيوردي ١/١٨٩، وصدره في الديوان هم في الرضى كالماء يَسْتَنُّ في الظبا..

(٧٦) التخمير ٢ / ٢٠ .

(٧٧) أمالي بن الحاجب ٢/٦١٥، عمرو بن عثمان،. دراسة وتحقيق فخر سليمان قدارة. دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٩. وانظر مغني اللبيب ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٧٨) ديوانه ٤/٣١٧.

(٧٩) الأمالي ٢/٦٤٨.

(٨٠) ديوانه ٣/٢٨١ وفيه: بما وكأنه..

(٨١) الأمالي ٢/٦٢٤.

(٨٢) ديوانه ٣/٢٨٢.

(٨٣) الأمالي ٢/٦٢٥.وهذا هو الصواب؛ فهو من شواهد حذف الهمزة.انظر مغني اللبيب ص٢٠.

(٨٤) الأمالي ٢/٦٧٦، وانظر أيضًا ٢/٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٣، ٦٦٢.

(٨٥) عبد الواحد بن علي، إمام في النحو واللغة. انظر ترجمته في إنباه الرواة ٢/٢١٣، وإشارة التعيين ص ١٩٩، وبغية الوعاة ٢/١٢٠.

(٨٦) ديوانه ص ١/٢٩.

(٨٧) شرح اللمع ١/١٥٩، للعبكري. تحقيق د. فائز فارس. منشورات قسم التراث العربي في الكويت، ط١، ١٤٠٤ه -١٩٨٤م.

(٨٨) لم أقف على قائله وهو في شرح اللمع ١/١٢٥.

(٨٩) ديوانه ص ٣/١٩ ـ ٢٠.

(٩٠) شرح اللمع ٢/٤٠٦.

(٩١) ديوانه ص ١/١٩٨.

(٩٢) شرح الرضي ١/٢٣٥.

(٩٣) ديوانه ص ٣/٣٤٠، وشرح الرضي ٢/٣٣.

(٩٤) ديوانه ص ٣/٨٢.

(٩٥) شرح الرضي ٢/٤٦٥.

(٩٦) لأشجع السلمي في ديوانه ص ٢٠، ضمن «الأشجع السلمي، حياته وشعره». د. خليل بنيان الحسون. دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م. وله في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨٥٨، والمقاصد النحوية ٣/٥٧٥، والخزانة ١/١٤٣.

(٩٧) لموسى بن جابر الحنفي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٦٣، والخزانة ١/١٤٥.

(٩٨) شرح الرضي ١/١٩٤ ـ ١٩٥.

(٩٩) شرح الرضي ١/١٩٤ ـ ١٩٥، وانظر الخزانة ٤/٤٦٤ ـ ٤٦٥.

(١٠٠) ديوانه ٢/١٨١.

(١٠١) خزانة الأدب ٤/٤٦٤.

(١٠٢) بدر الدين، الحسن بن قاسم من أعلام العربية، تتلمذ على أبي حيان الأندلسي وغيره، له مصنفات كثيرة. انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/٥١٧.

(١٠٣) ديوانه ص ١/٣٥٥، وروي فيه: «قل لمن ساد ثم ساد أبوه   قبله ثم قبل ذلك جده».

(١٠٤) الجنى الداني ص ٤٢٨، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نبيل فاضل. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م. وانظر شرح الرضي ٤/٣٩٠، ومغني اللبيب ص ١٦٠.

(١٠٥) الجنى الداني ص ٥٣.

(١٠٦) ديوانه ص ١/١٨٥، والجنى الدانى ص ١٠٣.

(١٠٧) ديوانه ص ٢/٩٣.

(١٠٨) تذكرة النحاة ص ٤٢٣، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

(١٠٩) ديوانه ٢/١٩٣، وتذكر النحاة ص ٤٢٩.

(١١٠) البقرة ٢/١٧٧.

(١١١) أمالي المرتضى ١/٦٠٨، الشريف المرتضى (علي بن الحسين). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م. ومغني اللبيب ص ١٤٩.

(١١٢) الفاتحة ١/٧.

(١١٣) شرح مقصورة ابن دريد ص ١٤، صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة

العربية، حلب، ط١، ١٣٨٩هـ -١٩٧٨م. ومغني اللبيب ص ٥٦٦.

(١١٤) ديوانه ٣٩٩/٢، شرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(١١٥) ديوانه ص ١٧١، وله في الجنى الداني ص ٢٩٣، وتخليص الشواهد ص ٢٩٤، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وتعليق عباس مصطفى الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦. وبلا نسبة في الهمع ١٢٥/١.

(١١٦) ديوانه ص ٤١٩/٤.

(١١٧) ديوانه ص ١٦١/١، ومغني اللبيب ص ٤٦٥، وشرح التصريح ١٣٨/٢، لخالد الأزهري. وبهامشه حاشية يس ين زين الدين. دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، لاط، لات. والهمع ١٢٩/٢.

(١١٨) ديوانه ص ٧/٢.

(١١٩) ديوانه ص ٤٨/٣.

(١٢٠) ديوانه ص ٤٣٣، تحقيق عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٢م. وله في الكتاب ٧٣/٣، والإنصاف ١٨١/١، وبلا نسبة في مغني اللبيب ص ٣٨٤.

(١٢١) مغني اللبيب ص ١١٧.

(١٢٢) ليس في ديوانه. وهو في الأغاني (ط. دار الثقافة) ٢٨٩/١٠ والرواية فيه: والدار جامعة أزمان أزمانا».

(١٢٣) ليس في ديوانه، ينظر: شرح ديوان الأخطل، صنفه إيليا سليم حاوي. نشر وتوزيع دار الثقافة، لبنان،١٩٦٨م. وهو في مغني اللبيب ص ١١٧.

(١٢٤) ديوانه ص ٣٨، ضمن شعراء عباسيون، وفيه: ربما قد ترى.. ولا شاهد فيه. تحقيق يونس أحمد السامرائي. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م. وانظر مغني اللبيب ص ٤٠٨.

(١٢٥) ديوانه ١٨/٢ ـ ١٩. وانظر مغني اللبيب ص ٥٢١.

(١٢٦) مقامات الحريري ص ٩٧، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ. وانظر مغني اللبيب ص ٢٥٤.

(١٢٧) ديوانه ٣٤٧/٢.

(١٢٨) ديوانه ١٩/٢.

(١٢٩) مغني اللبيب ص ٣١٣.

(١٣٠) ديوان سقط الزند ص ١٠٥، ومغني اللبيب ص ٧٠٢.

(١٣١) ديوانه ٤٤/٢.

(١٣٢) مغني اللبيب ص ١١٠.

(١٣٣) مغني اللبيب ص ٦٩، وانظر فيه أيضًا: ص ١١٩، ٢١١، ٢٩٤، ٣٥٤، ٤٩٨، ٥٤٨، ٧٠٣.

التشبيه المعيب في التراث العربي

الدكتور/ إبراهيم عبد الفتاح رمضان

كلية الآداب - جامعة المنوفية

الحمد لله، والصلاة والسلام رسول الله، وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فقد تحدث القدماء عن علامات جودة التشبيه، وذكروا منها أن يلتقط الشاعر وجه الشبه البعيد بين الأشياء المتباعدة، وعدوا ذلك أمارة حذق وتميز، وقد ورد في تراثنا من ذلك روايات كثيرة تثبت طرب السامعين إذا جمع الشاعر بين الأشياء المتباعدة، أو جمع بين الضب والنون كما يقولون؛ ورد في كتاب التشبيهات لابن أبي عون قوله: «ومنه التشبيه الواقع النادر كقول امرئ القيس في العقاب:

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطبًا ويابسًا لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالِ

وكقول عديّ بن الرقاع في وصف الثور البري:

تزجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ روقهِ قلم أصابَ من الدواةِ مدادَها»

وفي قصة بيت عدي بن الرقاع شيء طريف «قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: قلت قول عدي بن الرقاع العاملي، في صفة طرف قرن الرشا، وهو ولد الظبي، وتشبيهه بالقلم قال عدي:

تـزجـي أغــنَّ كــأنَّ إبــرةَ روقــه　　　قـلـم أصــاب مـن الــدواة مـدادهـا

ويروى أن جريرًا قال – وكان حاضـرًا – لعدي وهو ينشد هذه القصيدة: لما أنشد صــدر البيــت رحمته وقلت: هلك. فلمــا أكمَلَ عجزه حالت الرحمة حســدًا" [١].

وفي خزانة الأدب أن الفرزدق أيضــا كان حاضرا هذه الواقعة "وفي رواية أن هذه القصــة حدثت حين أنشــد عديٌّ بن الرقاع الوليدَ بن عبد الملك بحضـرة جرير والفرزدق قصيدته التي مطلعها:

عرف الديار توهما فاعتادها

حتى انتهى إلى قوله:

تزجي أغن كأن إبرة روقه

ثم شـغل الوليد عن الاستماع فقطع عدي الإنشــاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول؟ فقال جرير أراه يستلب بها مثلا. فقال الفرزدق: إنه سيقول:

قلم أصاب من الدواة مدادها

فلمــا عــاد الوليد إلى الاســتماع، وعاد عدي إلى الإنشــاد قــال البيت، فقال الفرزدق: والله لمّا ســمعتُ صــدر بيته رحمته، فلما أنشــد عجزه انقلبت الرحمة حســدًا»[٢]. قال عبد القاهر: «فهل كانت رحمته في الأولى والحســد في الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبه، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف»[٣].

ومن القصــص التي تشـهد لاقتناص الشــبه القريب بين الأشــياء المتباعدة أيضا هذه الرواية التي بطلها البحتري وأبو تمام، قال الآمدي: "وقد أخبرني أنا رجلٌ من أهل الجزيرة – ويكنى أبا الوضاح، وكان عالما بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهمــا – أن القصــيدة التي ســمعها أبو تمام من البحــتري عند محمد بن يوسف وكان أول اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التي أولها:

فيم ابتداركم الملام ولوعا؟

وأنه لما بلغ إلى قوله فيها:

في منزلٍ ضنكٍ تَخَالُ به القنا بين الضلوع إذا انحنين ضلوعا

نهض إليه أبو تمام فقبل بين عينيه، سرورًا به، وتحفيًا بالطائيّة، ثم قال: أبى اللّه إلا أن يكون الشعر يمنيًا"(٤).

فالنقاد –إذن– كانت تعجبهم هذه الأمور التي يتأنق فيها الشاعر، ويلتقط الشبه القريب بين الأشياء المتباعدة، لكنني ألاحظ في القصتين المذكورتين أن الذي أبدى إعجابه بالتشبيه هو في الحقيقة شاعر، ونقد الشاعر غير نقد الناقد، لأن الشاعر حين ينقد يعرف مدى المعاناة التي يقع فيها صاحبه. وفي الحالين السابقين كان الانفعال من الشاعر المتلقي عاطفيا؛ فجرير أعلن أنه حَسَدَ عديًّا، وأبو تمام لم يتمالك نفسه فقام وقَبَّلَ البحتري بين عينيه.

وقد عدد النقاد للتشبيه الجيد شروطًا أخرى غير هذا الشرط، بيد أنه ليس كل تشبيه تم فيه الجمع بين أمرين متباعدين يعد جيدًا؛ فقد يجمع الشاعر بينهما ولكن يعاب عليه هذا الجمع، ومن أمثلة ذلك قول أبي محجن الثقفي في وصف قينة:

وترفع الصوت أحيانًا وتخفضه كما يطن ذباب الروضة الغرد

فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب؟ وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده.

وكذلك نقول فيما ذكره ابن رشيق: "وقد استبشع قوم قول الآخر يصف روضًا:

كأن شقائق النعمان فيه ثياب قد روين من الدماء

فهذا وإن كان تشبيهًا مصيبًا فإن فيه بشاعة ذكر الدماء، ولو قال من العصفر مثلاً أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب إلى الأنس»(٥). ومن هنا كانت فكرة دراسة التشبيه المعيب للوقوف على الأسباب التي تجعل هذا التشبيه معيبًا، والصور التي ذكرها النقاد لعيب التشبيه، وجدير بالذكر أن هذه الدراسة سوف

تقف موقفًا ناقدًا لأقوال السابقين؛ مصوّبة من الأمثلة ما تراه صوابًا. ومخطّئة من الأمثلة ما تراه غير ذلك. ولسنا بحاجة إلى التذكير بأن العلوم الإنسانية – عموما- والأدب والنقد –خصوصا- عرضة لاختلاف الآراء؛ فقد يعجب البيت الواحد ناقدًا ولا يعجب آخر. ولا حد فاصلاً في هذا الأمر سوى الذوق، لكن يبقى شرط مهم يجعل النقد موضوعيًّا؛ وهو التعليل للحكم الذي يميل إليه الناقد، ولو كان هذا التعليل به شطط لكنه يبقى سببًا لإعجاب المعجب، ورفض الرافض، وبذلك نخرج من الأحكام العامة التي كان يطلقها السابقون دون تعليل.

والدراسة سوف تدور حول خمسة مباحث:

الأول: بُعْدُ الشبه بين الطرفين أو ضعفه.

الثاني: بشاعة المشبه به.

الثالث: عدم شهرة المشبه به بالوجه.

الرابع: حذف وجه الشبه الغريب.

الخامس: خطأ معنى في بيت فيه تشبيه.

المبحث الأول: بُعْدُ الشبه بين الطرفين أو انعدامه.

قد يشبه الشاعر شيئًا بآخر غير أنّ وجه الشبه لا يكون جامعًا بين الطرفين، أو يكون بينهما شبه ضعيف لا يقوى على الجمع بين المشبه والمشبه به، ومن هنا عاب النقاد هذا التشبيه لعدم الشبه أو ضعفه وفيما يلي أمثلة لهذا العيب الذي يسقطون التشبيه بسببه.

(١ / ١) قال ساعدة بن جؤية:

وما زلتَ ترجو نيل سلمى وودها ... وتبعد حتى ابيض منك المسايح

ملا حاجبيك الشيب حتى كأنه ... ظباء جرى منها سنيح وبارح

شبه الشعر الأبيض في حاجبيه بظباء سوانح وبوارح وليس هنالك وجه شبه واضح بين المشبه والمشبه به. يقول أبو هلال في معرض بيان عيب التشبيه: «وإذا شبه –أيضا– صغيرًا بكبير، وليس بينهما مقاربة، فهو معيبٌ أيضا، كقول ساعدة بن جؤية... وذكر البيتين»[٦]. وذكر ابن الأثير أن البيت معيب كذلك، يقول: «فمن ذلك قول بعضهم:

ملا حاجبيك الشيب حتى كأنه ... ظباءٌ جرت منها سنيحٌ وبارح

وكذلك قول الآخر يصف السهام:

كساها رطيب الريش فاعتدلت له ... قداحٌ كأعناق الظباء الفوارق

فإنه شبه السهام بأعناق الظباء، وذلك من أبعد التشبيهات»[٧]. ويلاحظ أن ابن الأثير عاب تشبيه الشعرات البيض التي في الحاجب حين شبهت بالظباء، وعاب أيضا السهام حين شبهت بأعناق الظباء. وعلى الرغم من عيب التشبيه في الحالتين إلا أنني أرى أن هذا العيب لم يأتِ من بُعْد الوجه بين الطرفين ولكن من المبالغة التي ضخَّمت الشعرات البيض في الحاجب فجعلتها ظباءً، بيد أنني أجد لها وجهًا إذ إن قرب الشعرات من العين يضخمها فترى الصغير كبيرًا، والمخاطب –ويقصد به نفسه على طريقة التجريد– قد ملأ الشيب حاجبيه ونزل على عينيه حتى صار الشعر الأبيض يخيّل إليه أنه يرى الظباء التي توليه مياسرها (سنيح)، وظباء أخرى توليه ميامنها (بارح). وقوله: «جرى منها سنيح وبارح» هذا كلام سائر أقرب إلى التعبير المسكوك، أو العبارة الجاهزة، وقد ورد هذا التعبير في كلام كثيرين؛ يقول عنترة:

طربت وهاجتك الظباء السوارح ... غداة غدا منها سنيح وبارح

وقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

جرى لي طير في حمام حذرته ... عليك ابن عمرو من سنيح وبارح

والعرب يجعلون السنيح ما يجري من جهة اليمين إلى اليسار فيعطيك مياسره من طير أو ظباء أو غيرها، وهذا يتفاءلون به، والبارح ما يجري من جهة اليسار إلى اليمين فيعطيك ميامنه، وهذا يتشاءمون منه. والقصد في البيت الذي معنا

الإشــارة إلى حالة الاضــطراب التي صار إليها الشاعر وقد صار إلى مرحلة سوء الكبر فأصــبح يرى غير الشيء شــيئا، ومن هنا أرى أنه لم يخطئ وليس التشبيه معيبًا. وكان أبو هلال قد تنبه لأصــل الوجه وهو تشــبيه صــغير بكبير، لكنه قال: وليس بينهما مقاربة، ونقل كلامه الدكتور بسيوني فيّود، وعاب التشبيه أيضا بأنه لا مقاربة بين الطرفين(٨). وقد أوضحت ما يقصده الشاعر وأن هذا التشبيه جيد لمناسبة الحالة النفسية التي يتحدث عنها الشاعر، فما زال يرجو ودَّ سلمى حتى شاب، وملأ الشعرُ الأبيضُ حاجبيه، وصار في حالة رثة لا يهتم فيها بإكرام شعره ولا كفّ الشــعر الزائد من حاجبيه، فصــار هذا الشــعر يخيّل إليه أشــياء؛ فيرى الشــعرات المبثوثات على أنها ظباء، وليســت كذلك، وإنما أوصــله إلى ذلك سوء الحال والغرام الذي لا يبرحه، على الرغم من كبر ســنه وشــيب شــعره، حيث لم يكن الشيب له زاجرًا ولا ناهيًا عن حب سلمى. أما تشبيه السهام بأعناق الظباء فليس الخطأ فيه من جهة الوجه، ولكن من المبالغة التي ألحقت الصــغير بما هو أضخم.

(١ / ٢) يرى ابن الأثير أن قول الفرزدق:

يمشون في حلق الحديد كما مشت   جرب الجمال بها الكحيل المشعل

بعيد الوجه، بمعنى أن الجامع بين الطرفين ليس واضــحًا، يقول ابن الأثير: «شــبَّه الرجالَ في دروع الزرد بالجمال الجُرْبِ، وهذا من التشبيه البعيد؛ لأنه إن أراد السوادَ، فلا مقاربة بينهما في اللون؛ لأن لون الحديد أبيض، ومن أجل ذلك سميت الســيوف بالبيض، ومع كون هذا التشــبيه بعيدًا، فإنه تشبيه سخيف»(٩). وقال المراغي عن تشبيه أبي نواس للحبب بصغار النمل: «هذا تشبيه بعيد ركيك، غث اللفظ بشعه، فهو قد شبه الحبب بنمل صغار ينحدر من جبل، وشبيه به قول الفرزدق:

يمشون في حلق الحديد كما مشت   جرب الجمال بها الكحيل المشعل

فقد شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب، وذلك من البعد بمكان؛ لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فيه، فإن لون حديد الدروع أبيض، وإن أراد شيئا آخر فليس بواضح مع ما فيه من السخف»[١٠]. وقال بسيوني فيود: «شبه الرجال في حلق الحديد بالجمال الجرب، وهو تشبيه بعيد؛ لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما في اللون، إذ الحديد أبيض. وإن أراد شيئًا آخر فهو غير واضح. ومع ما فيه من البعد ففيه سخف وغثاثة؛ لتنافيه مع الذوق والطباع السليمة»[١١].

ولعلنا لحظنا أن ألفاظ ابن الأثير قد أعيدت في كتب المتأخرين بعده، فترددت بنصها، والتعليل هو عينه، والحق أن البيت يحتاج إلى نظرة من جهة أخرى، فالسيف لامع وليس أبيض، وتسميته بالأبيض تغليب، وسبب عيب هذا البيت ليس في قضية اللون، وإنما في تشبيه الجيش بالجمال الجرباء، فهذا التشبيه من التشبيهات المنفرة؛ فليس هناك جيش يحب أن يشبه أفراده بالجمال المطلية بالقار؛ لأنها جرباء.

ويبدو أن ابن الأثير ومن جاء بعده لم يتنبهوا لقول الفرزدق: بها الكُحَيل المُشْعَل؛ وما توحي به كلمة المشعل التي تعني أن صاحب هذه الإبل قد أكثر من وضع القار عليها فصارت تلمع. وهذا يرجح أن التشبيه ليس به عيب من جهة اللون، ولكن من كونه منفرا، تنبو النفس عن استساغته. ويشهد لذلك أيضا ما نقله ابن عبد ربه من قول أفنون التغلبي[١٢]:

يمشون في حلق الحديد كما مشَتْ — أُسْدُ العرين بيوم نحس مظلم

والجمعُ من ذهلٍ كأنّ زَهاءهم — جُرْبُ الجِمَالِ يقودها ابنا قَشْعم

وواضح كل الوضوح أن الفرزدق قد أخذ منه المعنى، فالشطر الأول مأخوذ بنصه، بيد أن المشبه به مختلف، ولكن لا بد من التنبه إلى دلالة قوله: بيوم نحس مظلم، وما يفيد من دلالة اللون ودوره في أداء المعنى؛ كما أن كلمة زَهاء -بفتح الزاي- أسهمت في أداء المعنى لأنها تعني زهاء لون هذا الجمع. والمعنى

أن ألوانهم مثل ألوان الجمال الجرباء. وبيتا التغلبي أحســن من جهة المعنى؛ لأن ذكر اليوم النحس المظلم وطَّأ لذكر الجمال الجرب، فعددهم، وشكلهم، ومشيهم يشـبه الجمال التي صفتها كذا. والقصد تشبيه مِشية بمِشية؛ فبنو يشكر يمشون مِشـيةً فيهـا نزق وبســالة؛ لأنهم يحمون العرين، وبنو ذهل يمشـون مشـية فيها رزانة، وأمامهم قائدان يشـبهان النسور. وليس للفرزدق من فضل سوى أنه جعل البيتـين بيتًا واحدًا. وبذلك نرى أن بيت الفرزدق مأخوذ من غيره، وأن التشـبيه ليس معيبًا بسبب بعد الوجه بين الطرفين أو انعدامه، ولكن العيب كان بسبب كون المشـبه به منفرًا تشـمئز منه النفس؛ إذ إن تشبيه البطل الكمي بالجمل الأجرب يقبض النفس، ولا يجد له من يمتدح به شـرفًا، بل هـو إلى الذم أقرب، كما أننا نرى أن بيتي التغلبي أحسن وأفضل من بيت الفرزدق حيث مهد للتشبيه بما جعل المتلقي لا ينفر منه.

(١ / ٣) قال ابن شرف القيرواني:

غـيري جنـى وأنـا المعـاقب فيكم ... فكـأنني سبـابـة المتنـــدم[١٣]

عــاب ابــن رشـيق هذا البيــت، وأخذ النقاد كلامــه، وكرروه، فعاب الدكتور بسيوني فيّود هذا البيت: «لعدم تحقق وجه الشبه في المشبه به»[١٤]. ولكن وجد من يمتــدح البيت ويجعله من أبيات المعاني، ومن المبتكرات، ومن الإغراب، فكلام ابن أبي الإصبع يفيد استحسانه للبيت، وقد ذكر البغدادي في الخزانة ما يفيد الاستحسان كذلك، فبعد أن ذكر قصة ابن شرف مع ابن رشيق، وما كان من نقد ابن رشيق له قال: «وَهَذَا تدقيق فلسفي لا مدْخل لَهُ فِي الشّعْر»[١٥]. وأقول: إن اعتراض ابن رشـيق جيد، لكن يمكن القول أيضــا: قد يكون الجاني غير الإنسان ويكون ندمه على ما لم يقترف فيعض السـبابة، وقد يكون الجاني عضوًا آخر من أعضــاء الجسم ويكون العض للسـبابة... وهكذا يمكن إيجاد تعليلات أخرى ترد على ابن رشيق، ويبقى الشعر كالزهر يشم ولا يدعك، ولا يزيده التدقيق الفلسفي إلا تعقيدًا، ويذهب بروائه الوقوف عند أمور تدخل في خبايا العقل والفكر.

(١ / ٤) قال سلمة بن الخرشب:

تَـــأَوَّبَـــهُ خـيـــالٌ مِـــن سُـلـيـمَ كـمـا يـعـتـاد ذا الـدَّيـنِ الـغـريـمُ

يقول الدكتور محمد أبو موسى: «إن الجمع بين المتباعدين ليس أصلاً لحسن التشـبيه هكـذا بالإطـلاق، ولكنه يكـون إذا كان هذا الجمع صـحيحًا من ناحية مغزى التشبيه والمقصود منه؛ أعني وجود العلاقة الصحيحة القوية، ومن ناحية حسـن النفس بالطرفين مجموعـين؛ أعني أن يكون بينهما مناسـبة وملاءمة من جهة ما يثيران في النفس من مشاعر وأحوال»[١٦]. وقد نقل الدكتور أبو موسى من عبد القاهر قوله: «واعلم أنّي لستُ أقول لك: إنك متى أَلَّفتَ الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط، وهو أن تصيبَ بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهًا صحيحًا معقولاً، وتجد للمُلاءمة والتأليف السـويّ بينهما مذهبًا، وإليهما سبيلًا، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشـبيهك، من حيث العقل والحَدْس، في وضـوح اختلافهما من حيث العَين والحِسّ»[١٧].

فالشـاعر جمع بين تأويب الخيال وتأويب الغريم، ولا جامع بينهما إلا جامعًا عقليًّا يصـحح هـذا الشـبه؛ لأن الخيال يُلِحُّ على الشـاعر إلحـاحَ الغريم، وهذا يعني شـدة تعلقه به، ولكن الجمع ليس مسـتقيمًا من ناحية الحدس على ما ذكر عبد القاهر، وليسـت الملاءمة سـويّة. فالجمع بين تأويب الخيـال وتأويب الغريم فيـه فروق جوهرية يدركها الحس، فتأويب الخيال محمود، يتمنّى صـاحبه عدم مفارقتـه، وتأويب الغريم مبغوض مكروه، يتمنى ذو الدين ألا يرى الغريم. كذلك الفـترة التـي يتأوب فيها الغـرام طويلة مقارنـة بتأويب الغريم، فلـو كان الغريم ثقيـلاً لذهـب إلـى ذي الدين مرة كل يـوم، أما تأويب الغرام فهـو في كل لحظة. فيكون المشـبه أقوى في الصـفة من المشـبه به، وهذا عيب في التشبيه. وقس على ذلـك فروقًا أخرى لا يخطئها من يفكر في المعنيين. ومن هنا كان التشـبيه معيبًا على الرغم من أن بين الطرفين شـبهًا، لكنه شـبه غير صحيح من جهة الحدس والحس. فالشاعر قد جمع بين متباعدين إلا أن الوجه لا يسلم من النقد.

(١ / ٥) قال المتنبي:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها   وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

عاب خصوم المتنبي عليه هذا التشبيه فقالوا: أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره فكم عسى هذا الشحيح أن يقف على خاتمه، مهما بلغ شحُّهُ؟ والخاتم مما لا يخفى في التراب إذا طلب، ولا يصعب الحصول عليه إذا فتش عنه[١٨].

ولكن القاضي الجرجاني يرى أن المتنبي: «لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وإنما يريد وقوفًا زائدًا على القدر المعتاد خارجًا عن حد الاعتدال، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله، وعلى ما جرت به العادة في أضرابه، وقال: فهذا وجه لا أرى به بأسًا في تصحيح المعنى»[١٩]. وهذا يعني أيضًا أن المنظور البلاغي في النقد يوسع من دلالة القاعدة البلاغية ليحتوي المعاني المتداولة بين طرفي التشبيه في النص الشعري، وأخذ القاضي الجرجاني بهذا الاتجاه الأدبي في محاجة من يتوهم أن المعنى بظاهر النص الشعري، لأنه يرى: «أن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة» وهي رؤية توسع القاعدة البلاغية بتعدد الطرق التي تصوّر المعنى. وعليه فأغراض الشعراء في تشبيه الحالات وتمثيلها أغراض خاصة تستمد أوجه الشبه من ملحظ عميق يتعدى ظاهر الأشياء إلى أمر يقع في التصور والتخييل ويتحصل بضرب من التأول»[٢٠].

وكان أبو العلاء المعري قد احتج للمتنبي بقوله: «ووصف نفسه بطول الوقوف، وشبه وقوفه بوقوف شحيح ضاع خاتمه، فهو يطلبه، وينظر إلى الأرض لعله يظهر له، وقد جاء نحو من هذا في وصف الإبل، قال الراجز:

إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ

يبحثْنَ بَحْثًا كمُضِلَّاتِ الخَدَمْ

حتى تَوَافَيْنَ بنا إلى حَكَمْ»[٢١]

كما أن القاضي الجرجاني احتج للمتنبي أيضا بقوله: «وإنما هو كقول الشاعر:

رُبّ ليلٍ أمدّ من نفَسِ العا ... شِقِ طولًا قطعْتُه بانتِحابِ

ونحن نعلم أنّ العاشق بالغًا ما بلغَ لا يمتد نفسُه امتداد أقصر أجزاءِ الليل، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أنفاسٍ لا تُحصى؛ كائنةً ما كانت في امتدادها وطوله، وإنما مرادُ الشاعر أن الليل زائدٌ في الطول على مقادير الليالي كزيادة نفَسِ العاشق على الأنفاس؛ فهذا وجهٌ لا أرى به بأسًا في تصحيح المعنى، وإن كنتُ لا أرى أن يؤخَذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية ما لم يأخذْ نفسَه بها، ويتكلّف التعملَ لها، فيؤخذ حينئذ بحكمه، ويُطالب بما جنى على نفسه»[٢٢]. على أن الواحدي -وهو أحد شراح ديوان المتنبي- جعل وجه الشبه شيئًا آخر، يقول: «وقال أبو الفضل العروضي: لم يلتزم هذا السؤال بل نقول: لم يُرِد أبو الطيب قدرَ وقوف الشحيح، بل أراد صورة وقوفه؛ فشبه هيئة وقوف نفسه بهيئة وقوف الشحيح؛ وذلك أن الشحيح إذا طلب الخاتم احتاج إلى الانحناء ليقع بصره على الخاتم، ولو كان بدل الخاتم شيئًا أعظم منه كالخلخال والسوار لكان يطلبه عن قيام، فلا يحتاج إلى الانحناء، ولو كان صغيرًا كالشذرة والدرة لكان يطلبه قاعدًا، فهو يقول: إن لم أقف بها منحنيًا لوضع اليد على الكبد والانطواء عليها كوقوف الشحيح الطالب الخاتم»[٢٣].

كما أن الهاشمي كان قد استحسن هذا التشبيه في كتابه: جواهر البلاغة فقال: «ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بَلِيتُ بِلى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

يدعو الشاعر: على نفسه بالبِلى والفناء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصور لك هيئة وقوفه، فقال: كما يقف شحيح فقد خاتمه في التراب، من كان يوفّق إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون،

المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة، بحال شحيح فقد في التراب خاتمًا ثمينًا»[٢٤].

ومن خلال ما سبق نجد أن كثيرًا من النقاد قد أثنوا على البيت واستحسنوا هذا التشبيه، وأن الذين عابوا على المتنبي هذا التشبيه قد رد عليهم القاضي الجرجاني بأن المتنبي يريد وقوفًا زائدًا على القدر المعتاد خارجًا عن حد الاعتدال، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله. حيث لم يرتض دفاع المدافعين عن المتنبي بقوله: «وقد ذهب المحتجّون عنه في الاعتذار له مذاهبَ لا أرضى أكثرها، وأقرَبُ ما يقال في الإنصاف ما أقوله إن شاء اللّه تعالى»[٢٥]. ثم عقّب على ما ذهب إليه بقوله: «فهذا واللّه هو النقد العجيب الذي غفل الناس عنه، بل عموا وصموا» وقد نقل الدكتور بسيوني فيود رد القاضي الجرجاني ولم يشر إليه[٢٦].

(١ / ٦) قال الشاعر:

رب ليل أمد في نفس العا　　　شق طولًا قطعته بانتحاب

يروى هذا البيت للوأواء الدمشقي، وهو مذكور في كتب البلاغيين شاهدًا على صحة التشبيه في بيت المتنبي الذي يقول فيه: بليت بلى الأطلال. فقال الواحدي في شرحه لديوان المتنبي: «وقوف الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من وقوف غيره، فجاز ضرب المثل به... وقد علمنا أن أقصر ليل أطول من نفس العاشق، ولكن لما كان نفس العاشق أمدّ من نفس غيره، جاز ضرب المثل به، وإنْ لم يبلغ النهاية في الطول. وكذلك قول الآخر:

وليل كظل الرمح قصر طوله　　　دمُ الزِّقِ عنا واصطفاق المزاهر

لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية في الطول»[٢٧]. وذكر القاضي الجرجاني قريبًا من هذا الكلام فقال: «ونحن نعلم أنّ العاشق بالغًا ما بلغَ لا يمتد نفسُه امتداد أقصر أجزاءِ الليل، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أنفاسٍ لا تُحصى؛ كائنةً ما كانت في امتدادها وطولها، وإنما

مرادُ الشـاعر أن الليل زائدٌ في الطول على مقادير الليالي كزيادة نفَسِ العاشق على الأنفاس؛ فهذا وجهٌ لا أرى به بأسًا في تصحيح المعنى»[٢٨]. وفي سمط اللآلئ للبكـري مـا هو قريب من هذا الـكلام حيث يقول: «ونحن نعلم أن نفس العاشق بالغًا ما بلغ لا يمتد إلى أقل ما يتجزأ من دقائق سـاعة من سـاعات الليل، وإنما يريد أنه زائد على مقادير الليل كزيادة نفس العاشـق على الأنفاس، وكذلك قول ابـن الطثرية :ويـوم كظل الرمح ... وإنمـا يريد أن طوله يزيد علـى طول الأيام كزيادة طول ظل الرمح على طول ظل حامله»[٢٩].

وذكر الدكتور بسـيوني فيود كلام الواحدي مختصرا فقال: «فنفس العاشق مهمـا بلغ مـن الطول لا يمتد امتداد أقصـر أجزاء الليل، والشـاعر إنما أراد أن الليل زائد في الطول على مقادير الليالي، كزيادة نفس العاشق على الأنفاس»[٣٠].

ومن خلال كلام النقاد السابق نلاحظ أنهم قد أتوا بهذا البيت شاهدًا للبيت السابق، ولم يعبه أحد، وإن كان البلاغيون المتأخرون أمثال الدكتور بسيوني فيود قد ذكره في حديثه عن التشبيهات المعيبة، غير أنه لم يعبه بل أتى بالاحتجاج له، والدفاع عن صاحبه.

(١ / ٧) قال أبو نواس في الخمر:

وإذا مـا المـاء واقـعهـا	أظـهـرت شـكلا مـن الـغـزل
لـؤلـؤات يـنـحـدرن بـهـا	كـانـحـدار الـذرّ مـن جبـل

فشبّه الحبب في انحداره بنمل صغار ينحدر من جبل، وهذا من البعيد، على غاية لا يحتاج فيها إلى بيان وإيضاح. كما يقول ابن الأثير[٣١]. وجعله المراغي مـن القبيـح المردود فقال: «والقبيح هو ما لم يف بالغرض لعدم وجود وجه شـبه بين الشـبه والمشبه به، أو مع وجوده، لكن على بعد، وما أحق مثل هذا بالاستكراه والذم، وأي شيء أولى بنفور الطبع السليم منه، وذلك كقول أبي نواس [السابق] يصف الخمر فهذا تشبيه بعيد ركيك، غث اللفظ بشعه، فهو قد شبه الحبب بنمل صغار ينحدر من جبل»[٣٢]. ونقل الدكتور عبد العزيز عتيق كلام ابن الأثير[٣٣].

وعلى الرغم من وجود الشبه بين الطرفين إلا أن بشاعة المشبه به في هذا الموقف تلقي على السامع روحًا من الاشمئزاز، حيث إن الحال حال شرب، وتمتع بالخمر، وذكر النمل الصغير المنحدر من الجبل يجعل النفس تأنف، والقلب ينقبض، ذلك أن وجود النمل في المأكول أو المشروب من الأمور المستكرهة للآكل أو الشارب. ومن هنا كان هذا التشبيه ساقطا؛ «فإنه وإن كان مصيبًا لعين الشبه، فإنه غير طيب في النفس، ولا مستقر على القلب»(٣٤). وكان ابن الأثير قد ذكر أن هذا التشبيه من البعيد، وذكر المراغي أن سبب عيب التشبيه عدم وجود شبه بين المشبه والمشبه به. وأرى أن السبب في عيب هذا التشبيه هو بشاعة المشبه به.

(١ / ٨) قال المتنبي:

وجرى على الورق النجيع القاني فكأنه النارنج في الأغصان

قال العكبري في شرح هذا البيت: «لما قتلوا وتمزقت شعورهم على شجر الجبال اسودّت، ولما جرى على ورق شجر الجبال دماؤهم احمرّ، فصار لحمرته كأنه النارنج في الأغصان. وهو حسن»(٣٥). وجعل الثعالبي هذا التشبيه من الأشياء التي تفرد بها المتنبي «وهو أيضا مما لم يسبق إليه، وتفرد به، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام...» ثم ذكر البيت(٣٦).

على أن ابن الأثير قد عاب على المتنبي هذا التشبيه، فقال: "ومن التشبيهات الباردة قول أبي الطيب المتنبي [السابق]، وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم، وإذا قسمت التشبيهات بين البعد، والبرد حاز طرفي ذلك التقسيم"(٣٧). ووافقه على عيب التشبيه الصفدي واصفًا إياه بالتشبيه البارد، ثم قال: «أقول: لعمري إنه معذور في هذا، وهو من سقطات المتنبي التي ينحط فيها»(٣٨).

كما عاب أحمد مصطفى المراغي البيت قائلا: «إذ لا مشاكلة بين لون الدم ولون النارنج»(٣٩). فالسبب عند ابن الأثير والصفدي هو برودة هذا التشبيه، والسبب عند المراغي عدم المشابهة أو انعدام الوجه بين الطرفين. وأميل إلى رأي ابن الأثير دون رأي المراغي فالنارنج عند تمام طيبه يكون أحمر اللون، وقد

ذكر الصفدي من الأشعار ما يؤيد ذلك فقال: «ولما عكس أبو المطرف بن أبي بكر المخزومي معنى أبي الطيب في تشبيه نارنجة في نهر جاء حسنًا. فإنه قال:

ومنظرٍ أرّقني حسنه | من أزرق ينساب كالأرقم
أبصرته يحمل نارنجة | طافيةً حمراء كالعندم
ودرّجت ريح الصبا متنه | لمّا انبرت وهي به ترتمي

وقال ابن فتحون في ذلك:

والماء فوق صفائه نارنجةٌ | تطفو به وعجاجه يتموّج
حمراء قانية الأديم كأنّها | وسط المجرّة كوكبٌ يتوهّج

فأتى بالمعنى في بيتين، وأبو المطرف في أربعة فأطال.

وذكرت بقول أبي المطرف، قول القاضي عياض رحمه الله تعالى:

كأنّما الزرع وخاماته | وقد تبدّت فيه أيدي الرياح
كتائب تجفل مهزومةً | شقائق النّعمان فيها جراح»(٤٠)

المبحث الثاني: بشاعة المشبه به.

ومن عيوب التشبيه أن يكون المشبه به بشعًا تنفر منه النفس، ويشمئز منه الخاطر، وقد ذكر النقاد تشبيهات في غاية الجودة إذا نظرنا للوجه الذي يجمع بين الطرفين "المشبه والمشبه به" لكن لما كان المشبه به منفرًا سقط التشبيه، وصار معيبًا؛ فليس كل وجه يجمع بين الطرفين يستلزم جودة هذا التشبيه، وإنما لابد من النظر إلى المشبه به ومدى ملاءمته للصورة الكائنة مع المشبه. ومن أمثلة المشبه به المنفر ما يلي:

(٢ / ١) قال الشاعر:

كأن شقائق النعمان فيه | ثياب قد روين من الدماء

يقول ابن رشيق: (وقد استبشع قوم قول الآخر يصف روضًا:

كأن شقائق النعمان فيه | ثياب قد روين من الدماء

فهذا وإن كان تشبيهًا مصيبًا فإن فيه بشاعة ذكر الدماء، ولو قال من العصفر

مثلًا أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب إلى الأنس"[٤١]. اعترف ابن رشيق بأن وجه الشبه الجامع بين الطرفين وجه مصيب، وكان عيب التشبيه من وجه آخر؛ هو أن المشبه به منفر. وذكر نحوًا من ذلك الحموي في الخزانة فقال: «وعدوا من التشابيه التي هي غير بليغة، قول الشاعر في وصف الروض [ثم ذكر البيت] فهذا وإن كان تشبيهًا مضيئًا، فإن فيه بشاعة كثرة الدماء، التي تعاف الأنفس اللطيفة رؤيتها»[٤٢]. وذكر ابن حجة أن هذا تشبيه مضيء –وإن كنت أرى أن الأحسن منها مصيب وربما كان هذا تصحيفا من المحقق– لكنه أرجع سبب عيب التشبيه أيضا إلى بشاعة المشبه به. ومثل ذلك ذكر ابن معصوم في أنوار الربيع إذ عدّه تشبيهًا مستبشعًا، ثم علّق: «فإن الثياب المضرجة بالدماء مما تعاف الأنفس رؤيتها»[٤٣]. وعابه أيضا أحمد أمين في كتاب: النقد الأدبي[٤٤]. وكذلك قال الدكتور محمد أبو موسى: «قد يتحقق الجمع بين المتباعدين، ويقضي البلاغيون في التشبيه بالسقوط والضعف؛ وذلك إذا كان الجمع بين المتباعدين جمعًا صحيحًا من ناحية، وغير صحيح من ناحية أخرى؛ فالشاعر جمع بين شيئين متباعدين جدًا: شقائق النعمان والثياب المروية بالدم، والجامع الحمرة، وهي واضحة في الطرفين، ولكن هذا التشبيه تشبيه ساقط عند البلاغيين، أو مستبشع –كما قالوا– لإيحاش وحيه، ونبو موقعه من النفس»[٤٥].

ونخلص مما سبق إلى أن الجمع بين المتباعدين عنصر مهم من عناصر جودة التشبيه ولكن لابد من الأخذ في الاعتبار دلالة المشبه به، وما يوحي من إيحاءات، حتى لا يعاب التشبيه.

(٢ / ٢) قال أبو عون الكاتب:

تلاعبها كف المزاج محبة	لها، وليجري ذات بينهما الأنس
فتزبد من تيه عليه كأنها	غريرة خدر قد تخبطها المسُّ

قال ابن رشيق: "فلو أن في هذا كل بديع لكان مقيتًا بشعًا، ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئًا يشبه بزبد المصروع، وقد تخبطه الشيطان من المس؟!"[٤٦].

والمشـبه به منفِّر، لا تسرُّ النفس، بل يقبضها، في موقف الأنس الذي يتحدث عنه الشـاعر؛ فسبب سقوط هذا التشبيه بشاعة المشبه به. ويقول ابن حجة الحموي: «وتقرر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب؛ لأنها مع عقادة التركيب لم تسـفر عن كبير أمر. وقال ابن رشـيق، في العمدة: إن طريق العرب خولفت في كثير من الشعر إلى ما هو أليق بالوقت وأمسّ بأهله، فإن القينة الجميلة لم ترض أن تشـبه نفسـها بالذباب، كما قال أبو محجن. ومثلُ ذلك قول ابن عون الكاتب، فبشـاعة هذا التشـبيه تمجها الأذواق الصـحيحة، وتنفر منها الطباع السليمة، فإن أهل الذوق ما يطيب لهم أن يشربوا شيئًا يشبه زبد المصروع»(٤٧).

ومـن خـلال كلام ابن رشـيق وابن حجة نجد سـبب عيب التشـبيه هو بشـاعة المشـبه به حيث لا أحد –في موقف الشـرب– يحب أن يشبه له ما يشربه بزبد المصروع".

(٢ / ٣) قال الشنفرى:

تـراها كـأذنـاب الحسـيل صـوادرا ... وقـد نهلت مـن الـدمـاء وعلت

الحسيل: جمع حسيلة، وهي أولاد البقر. "شبه السيوف بأذناب الحسيل إذا رأت أمهاتها فجعلت تحرك أذنابها، والنَّهَل والعَلَل هنا للسيوف أي شربت وكررت الشرب من الدماء" (٤٨).

ويقول الدكتور: يوسـف خليف: "أما الشـنفرى فيستغل أولاد البقر في رسم صـورة غريبة، فهو يشبه سيوف رفاقه الصـعاليك مشرعة في أيديهم وهي تنهل مـن دماء أعدائهـم وتعل بأولاد البقـر الصـغار إذا رأت أمهاتها فجعلت تحرك أذنابها، وهي صـورة تسـتمد غرابتها من هذه المفارقة بين طرفي التشـبيه: أولاد البقر الصـغيرة، وسيوف الصـعاليك المخضـبة بالدماء"(٤٩). وعلى الرغم من إشـادة الدكتور يوسف خليف بهذا التشـبيه إلا أن الدكتور بسيوني فيود قد عاب على الشـاعر تشـبيهه هذا فقال: «شبه حركة السـيوف وقد ارتوت بدماء القتلى بحركة أذناب الحسيل عندما تلتقي بأمهاتها، فهي تحرك أذنابها فرحة باللقاء.

ووجه الشبه –وإن كان صحيحًا وبخاصة إذا اعتبرنا أن لون الدماء قد قرب بين لون الأذناب ولون السيوف، إلا أن الذوق السليم ينفر من مثل هذا التشبيه»(٥٠). وأرى أن هذا التشبيه الأولى به أن يكون سبب عيبه هو بُعْد وجه الشبه لا بشاعة المشبه به أو النفور منه. فأنا لا أرى شبهًا بين أذناب الحسيل والسيوف، ولو كانت عليها الدماء.

(٢ / ٤) قول مسلم بن الوليد صريع الغواني:

قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني: والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد:

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا	**وقد فاجأتها العين والستر واقع**
فغطت بكفيها ثمار نحورها	**كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع**

وهو حسن جدا"(٥١). وأثنى الثعالبي على هذا البيت فقال: «ثمار النحور: هي الثدي، من قَول مُسلم بن الْوَلِيد وَهُوَ من استعاراته الْحَسَنَة، أَخذه ديك الْجِنّ الحمصي فَقَالَ:

ظللت بهَا أجنى ثمار نحورها فتوسعني سبًّا وأوسعها صبرا (٥٢).

وعاب البيت ابن رشيق فقال: "وأجرى الناس هذا المجرى قول صريع الغواني على أنه لم يقع لأحد مثله، فهذا تشبيه مصيب جدًا، إلا أنهم عابوه بما بينت، وإنما أشار إلى قول النابغة:

ويخططن بالعيدان في كل منزل ويخبأن رمان الثدي النواهد(٥٣).

ونقل الدكتور محمد أبو موسى كلام ابن رشيق نصًّا في التصوير البياني(٥٤). ولعل وجه عيب التشبيه أن المشبه به منفِّر، فلا مقارنة بين منظر اليدين اللتين توضعان على الثديين، وهذا منظر محبوب، ومنظر الأيادي التي توضع فيها المجامع –وهي الحديد الثقيل الذي يوضع في يدي الأسير حتى لا يهرب. فبينما تنبسط النفس وتنشرح عند ذكر المشبه، إذا بها تنقبض وتضيق عند ذكر المشبه

به. ومن هنا عيب هذا التشبيه على الشاعر.

(٢ / ٥) وقال امرؤ القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

يقول ابن رشيق: "وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون إلا القليل عن مثلها استبشاعًا لها، وإن كانت بديعة في ذاتها، مثل قول امرئ القيس [السابق] فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة، وهي دودة تكون في الرمل، وتسمى جماعتها بنات النقا، وإياها عنى ذو الرمة بقوله:

خراعيب أمثال كأن بنانها بنات النقا تخفى مرارًا وتظهر

فهي كأحسن البنان: لينًا، وبياضًا، وطولًا، واستواءً، ودقة، وحمرة رأس، كأنه ظفر قد أصابه الحناء، وربما كان رأسها أسود، إلا أن نفس الحضري المولد إذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكأس:

تعاطيكها كف كأن بنانها إذا اعترضتها العين صف مداري

أو قول علي بن العباس؛ ابن الرومي:

سقى الله قصرًا بالرصافة شاقني بأعلاه قصري الدلال رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت يواقيت حمرًا فاستباح عفافي

وقول عبد الله بن المعتز:

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

كان ذلك أحب إليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس، وإن كان تشبيهه أشد إصابة"[٥٥]. فالمشبه به منفِّر ولذلك عيب على امرئ القيس هذا التشبيه، مع أن وجه الشبه متحقق في الطرفين. «فامرؤ القيس يقول: إن صاحبته تتناول الأشياء ببنان أو أصابع رخصة لينة ناعمة، ثم يشبه تلك الأنامل بدود الرمل أو المساويك المتخذة من شجر الإسحل. فقد يكون تشبيه البنان بهذا الضرب من الدود مصيبا من جهة اللين والبياض والطول والاستواء

والدقة، ولكنه في الوقت ذاته يحضر إلى الذهن صورة الدود، وفي ذلك ما فيه من نفور النفس واشمئزازها. ومن هنا يتطرق القبح إلى هذا التشبيه على إصابته. أما تشبيه البنان بمساويك الإسحل فجار مجرى غيره من تشبيهاتهم؛ لأنهم يصفونها بالأقلام والعنم وما أشبه ذلك. والبنان قريب الشبه من أعواد المساويك في القدر والاستواء ونعومة الملمس»[٥٦].

إذن ليس الجامع بين الطرفين هو –وحده– الذي يجعل التشبيه صحيحًا، وإنما لابد من ملاحظة إيحاء المشبه به، ومدى تأثيره في جودة التشبيه أو رداءته؛ فليست هناك امرأة تحب أن يشبه بنانها بالدود.

(٢ / ٦) قال العرجي:

يدب هواها في عظامي وحبها كما دب في الملسوع سم العقارب

فتشبيه دبيب الهوى في العظام بدبيب سم العقارب في الملسوع غاية في البشاعة. فالحب روح تسري في دم المحب، وتواصل قلبي يروى ظمأ العاشق، وليس سمًّا، يقتل الملسوع، وهلاكا يهلك المنهوش، كما أن الشاعر جعل السمَّ لعقرب، وأشد ما توصف به المرأة أن يقال لها: أنت عقرب. صحيح أن الشاعر يريد وجه شبه يجمع بين الطرفين؛ هو سرعة الانتشار وعموم الجسد، إلا أنه كان يمكن أن يعبر عنه بتشبيه آخر، إلا أنه آثر هذه الصورة التي تنفر، وهذا التشبيه الصادم للمحبوب، والمؤرق للنقاد كذلك؛ حيث سيسعى بعضهم إلى التماس وجه له، بينما سيخطئه آخرون. وأرى أن الشاعر مخطئ في هذا التشبيه؛ لأن المشبه به منفِّر وبه بشاعة لا توصف.

(٢ / ٧) قال أبو محجن الثقفي في وصف قينة:

وترفع الصوت أحيانا وتخفضه كما يطن ذباب الروضة الغرد

قال ابن رشيق تعليقًا على هذا البيت: "فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب؟ وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده"[٥٧]. وشرح الدكتور عبد العزيز عتيق كلام ابن رشيق قائلا: «فقد شبّه القينة وهي ترفع صوتها أحيانا، وتخفضه بالغناء

بطنين الذباب الغرد في الروضة. فهذا التشبيه وإن كان مصيبا لعين الشبه، فإنّه غير طيب في النفس، ولا مستقر على القلب. فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب، وأن يشبه غناؤها بطنين الذباب؟ ومع هذا فقد سرق أبو محجن هذا التشبيه، ولم يحسن استخدامه فقلبه وأفسده. أجل لقد سرقه من قول عنترة العبسي يصف ذباب روضة:

وخلا الذباب بها فليس ببارح   غردا كفعل الشارب المترنم

وشتان بين تشبيه وتشبيه. وأين قول أبي محجن من قول بشار في وصف قينة:

تصلى لها آذاننا وعيوننا   إذا ما التقينا والقلوب دواعي[٥٨]

وسأل السؤال نفسه أحمد أمين في كتابه النقد الأدبي[٥٩]. والبيت ضمن أبيات قالها في الخمر:

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت   وحال من دونها الاسلام والحرج

فقد أباكرها صرفا وأشربها   أشفي بها علتي صرفا وأمتزج

وقد تقوم على رأسي مغنية   لها اذا رجعت في صوتها غنج

وترفع الصوت أحيانًا وتخفضه   كما يطن ذباب الروضة الهزج

وواضح من الأبيات أنه يمدح القينة لا يذمها، وهنا يصبح سؤال ابن رشيق منطقيًّا، فكيف ترضى مغنية أن يكون صوتها كصوت الذباب؟ ومن هنا نقول: إن الوجه الجامع بين الطرفين صحيح، بيد أن المشبه به قبيح، وبشاعة هذا الطرف قد انسحبت منه إلى المشبه فعيب على الشاعر تشبيهه؛ ذلك أن القصد من التشبيه هو إلحاق ناقص بكامل، فكأن الذباب هو كامل الصفة في الغناء، والمغنية ملحقة به، وما من شك أن إيحاءات المشبه به تنتقل إلى المشبه لأنه الأصل في العملية التشبيهية كلها، وهو الذي يؤتى به لبيان حال المشبه، أو تقريره أو غير ذلك.

(٢ / ٨) قال النابغة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها   نظر السقيم إلى وجوه العود

قال ابن رشيق: "وكأني أرى بعض من لا يحسن إلا الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا المذهب، وقال: رد على امرئ القيس، ولم أفعل، ولكني بينت أن طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت، وأشكل بأهله. وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها   نظر السقيم إلى وجوه العود

على أنه تشبيه لا يلحق، ولا يشق غبار صاحبه، ولم يجد فيه المطعن إلا بذكر السقيم؛ فإنه رغب عن تشبيه المحبوبة به، وفضل عليه قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنها وسط النساء أعارها   عينيه أحور من جآذر جاسم
وسْنَان أقصده النعاس فرنَّقَتْ   في عينه سِنَةٌ وليس بنائم[٦٠].

وكان الأعلم الشنتمري قد أثنى على النابغة، واختار من شعره أبياتًا ذكر أنها من تفرداته، ومنها هذا البيت فقال: (ومن معانيه المبتدعة قوله:

نبئت أن أبا قانوس أوعدني   ولا قرار على زأر من الأسد

وقوله:...

حتى يقول: "وقوله:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها   نظر السقيم إلى وجوه العود

وقد أخذه أبو نواس فقال:

ضعيفة كر الطرف تحسب أنها   قريبة عهد بالإفاقة من سقم"[٦١].

كذلك جعله ابن سعيد الأندلسي من أغزل ما قالته العرب يقول: "ومن فرائد نسيبه قوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه … فتناولته واتقتنا باليد

نظرت إليك بحاجة لم تقضها … نظر السقيم إلى وجوه العود

لو أنها عرضت لأشمط راهب … عبد الإله صرورة متعبد

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها … ولخاله رشدًا وإن لم يرشد

زعم الهمام بأن فاها بارد … عذب مقبله شهي المورد

زعم الهمام ولم أذقه بأنه … عذب متى ما ذقته قلت: ازدد

تجلو بقادمتي حمامة أيكة … بردًا أسف لثاته بالإثمد

كالأقحوان غداة غب سمائه … جفت أعاليه وأسفله ند

والبيت الثاني عندهم من أغزل ما قالته العرب، وعابه الأصمعي لذكر السقم في صفتها» [٦٢]. ومن الواضح أن سبب عيب البيت هو تشبيه نظرة المحبوبة وهي فاترة اللحظ بنظرة السقيم. وكان الشاعر شديد الثقة بنفسه، وربما ذلك ما أوقعه في هذا التشبيه المعيب، يقول الأستاذ محمد الخضر حسين: (وربما أصيب الشاعر من اعتماده على براعته ومكانة سمعته، إذ كثيرا ما يستفيد الشاعر من المقام والشهرة، التي يدركها بين قومه، فيتلقون شعره باستحسان فوق ما يتلقون به شعر غيره، ممن لم يقم لهم صيت، وإن كان في نفسه أبعد أمدًا، وأحكم نسجًا. فكثرة الإجادة، وسعة الذكر قد تؤثر في همة الشاعر في بعض الأحيان، فيلقي القصيدة على علاتها، ولا يَحْمل نفسه على التدقيق في نقدها. ومن ثم ترى أكثر الذين يقعون في هذه العثرات إنما هم كبار الشعراء، والمكثرون منهم كأبي تمام والمتنبي ومن كان في طبقتهم.

ويؤكد لك أن سيئات الشعراء في هذا الصدد إنما لصقت بهم من جهة عدم نقدهم المعنى بعد أن تقذفه القريحة نقدًا وافيًا إما لضيق الوقت، أو اغترارًا بما ملكوا من البراعة، وأحرزوا من الشهرة، أن أحدهم قد ترسل قريحته معنى فيقع منه موقع الإعجاب حتى إذا أعاد النظر مرة ثانية انكشف له من مساويه ما يجعله في أسف على إذاعته، أو في ارتياح من عدم اطلاع الناس عليه. ومن المحتمل أن يصوغ الشاعر المعنى فتأخذ جهة الحسن بقلبه مأخذًا بليغًا ثم يعثر

في صـورته على وجه من الخلل، ولا يتمكن من تلافيه، وإكمال نقصــه إلا برفض الصـورة من أصـلها. وحيث يرى أن جهة الحسـن أرجح، ويرجو أن تسـبل على ذلك المغمز فضـل ردائها، فلا يشعر به الناقدون، يبقي صورة المعنى على حالها، ويجيزها للرواة، وهو بصير بعلتها. ولا أخال أن النابغة حين قال:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها　　　نظر السقيم إلى وجوه العود

لم يخدش عاطفتـه أن يضـع المحبوبة بمنزلة السـقيم، ولكنه عز عليه أن يضْـرِب عن هذا التشـبيه الذي لا يلحق شأوه، وإن وخزه لفظ السقيم في ضميره وخـزات بالغة)[٦٣]. وهذا التحليل جيد. فلا شـك أن النابغة كان يعلم ما في بيته من عيب لكنه ضن بهذه الصورة واحتملها على ما فيها من عيب.

المبحث الثالث: عدم شهرة المشبه به بالوجه.

مـن أغراض التشـبيه أن يبين المشـبه به حال المشـبه، أو يقـرر حاله، وهذا يسـتلزم أن يكون المشبه به معروفًا لدى السامع، وأن يكون أشهر من المشبه بهذا الوجه أيضًـا. ومن أسباب عيب التشبيه أن يكون المشبه أكثر شهرة من المشبه به بوجه الشبه. أو أن يكون غير مشهور بوجه الشبه. وسنذكر مثالا يكون فيه المشبه أعرف بوجه الشـبه من المشـبه به. ومثالا آخر يكون المشـبه به غير مشهور بوجه الشبه:

(٣ / ١ / أ) قال البحتري:

على باب قنسرين والليل لاطخ　　　جـوانبـه مـن ظـلـمـة بمـداد

البيـت جيد عند الآمدي في الموازنة، فبعد ذكـر عدة أبيات يقول: (وقد كرر في هـذه الأبيـات معنـى واحدًا في ثلاثة أبيـات متوالية، وهـذا لم يكن من عادته ومذهبه، ولا عرفت له مثله، وذلك قوله:

.... والليل لا طخ　　　جوانبه من ظلمة بمداد

وقوله:

.... خضبن مشيبًا نازلًا بسواد

وقوله:

.... لبوس حديد أو لباس حداد

وكان في بيت واحد من هذه الثلاثة الأبيات كفاية، ولكنه جاء بهذه الثلاثة المعاني لاختلافها)(٦٤). يقول عبد القاهر: (وإنما يمتنع هذا القلبُ في طرفي التشبيه، لسبب يعرض في البين فَيَمْنَعُ منه، ولا يكون من صميم الوصف المشترك بين الشيئين المشبَّه أحدُهما بالآخر، فمن ذلك، وهو أقواه فيما أظنُّ، أن يكون بين الشيئين تفاوتٌ شديد في الوصف الذي لأجله تُشبِّه، ثم قصدتَ أن تُلحق الناقصَ منهما بالزائد، مبالغةً ودلالةً على أنه يفضُل أمثاله فيه، بيانُ هذا: أن هاهنا أشياءَ هي أصولٌ في شدة السَّواد كخافية الغراب، والقارِ، ونحو ذلك، فإذا شبّهتَ شيئًا بها كان طلبُ العكس في ذاك عكسًا لما يُوجبه العقل، ونقضًا للعادة، لأن الواجب أن يُثبَت المشكوك فيه بالقياس على المعروف، لا أن يُتكلَّف في المعروف تعريفٌ بقياسه على المجهولِ وما ليس بموجود على الحقيقة، فأنت إذا قلت في شيء: هو كخَافية الغراب، فقد أردت أن تُثبت له سوادًا زائدًا على ما يُعهَد في جنسه، وأن تصحِّح زيادةً هي مجهولة له، وإذا لم يكن هاهنا ما يزيد على خافية الغراب في السواد، فليت شعري ما الذي تريد من قياسه على غيره فيه، ولهذا المعنى ضَعُف بيت البحتري:

على باب قِنَّسرينَ والليلُ لاطخٌ جَوَانبَه من ظُلمةٍ بمدادِ

وذاك أن المداد ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد، كيف ورُبَّ مِدَادٍ فاقد اللون، والليلُ بالسواد وشدّته أحقّ وأحرى أن يكون مثلًا، ألا ترى إلى ابن الرومي حيث قال السريع:

حِبْرُ أبي حفصٍ لُعَابُ الليلِ يَسيلُ للإخوان أيَّ سَيْلِ

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبّهه بالليل، وكأن البحتري نظر إلى قول العامّة في الشيء الأسود هو كالنِّقسِ، ثم تركه للقافية إلى المداد)[٦٥]. ونقل عبد المتعال الصعيدي كلام عبد القاهر في بغية الإيضاح[٦٦]. كما نقله أحمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية[٦٧].

يقول الخطيب القزويني في أغراض التشبيه: (وهذه الأربعة تقتضى أن يكون وجه الشّبه فى المشبّه به أتمّ، وهو به أشهر)[٦٨]. وفسر السبكي كلامه بقوله: (قال المصنف: إن (هذه الأمور الأربعة تقتضى أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو) أي المشبه «به» أى بوجه الشبه «أشهر»؛ لأن المشبه به كالمبيّن المعرّف للمشبه فليكن أوضح، لأن التعريف إنما يكون بالأوضح، وهذه العلة واضحة بالنسبة إلى اشتراط كونه أشهر، أما كونه فيه أتم، فهذه العلة لا تقتضيه، ثم كون وجه الشبه أتم ينافى ما إذا قصد بيان مقدار حاله، وهو أحد الأمور الأربعة، ثم كون وجه الشبه فى المشبه به أتم، لا اختصاص له بهذه الأربعة، بل كل تشبيه كان الغرض به عائدا للمشبه كذلك، كما صرح به السكاكى. والنظر يقتضيه أيضا، ولهذه القاعدة قال المعرى:

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك ... وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

ثم سيأتى من كلام المصنف ما يقتضى ذلك، ويخالف ما ذكره هنا.

وقد اعترض على هذه القاعدة بأن صلاة اللّه تعالى على نبيه محمد صلّى اللّه عليه وسلّم شبهت بالصلاة على إبراهيم صلّى اللّه عليه وسلّم فى قوله -عليه الصلاة والسّلام-: "قولوا اللهم صلِّ على محمد". وأجيب عنه بأجوبة مشهورة، تقتضى تسليم هذه القاعدة، ولذلك عيب على البحترى قوله:

على باب قنّسرين، واللّيل لاطخ ... جوانبه من ظلمة بمداد

فإن المداد قد يكون فاقد السواد الشديد، بخلاف الليل فإن سواده أبلغ، وهذا ليس تشبيها لفظيا بل هو استعارة.)[٦٩].

وواضح أن الشاعر شبه الليل بالمداد، والمداد ليس هو المثال في السواد، كما أنه ليس هو الغاية التي يضرب بها المثل في وجه الشبه. ومن هنا ضعف هذا التشبيه (الذي هو أصل الاستعارة) وعيب على البحتري.

(٣ / ٢ / ب) قال النابغة:

أتيتك عاريا خلقا ثيابي	على وجل تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها	كذلك كان نوح لا يخون

ذكر الجاحظ أن هذا البيت منحول على النابغة، ثم قال: (وليس لهذا الكلام وجه، وإنّما ذلك كقولهم: كان داود لا يخون، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام. وهم وإن لم يكونوا في حال من الحالات أصحاب خيانة، ولا تجوز عليهم، فإنّ النّاس إنّما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال ومن سائر أمورهم، كما قالوا: عيسى بن مريم روح الله، وموسى كليم الله، وإبراهيم خليل الرحمن، صلى الله عليهم وسلم. ولو ذكر ذاكر الصبر على البلاء فقال: كذلك كان أيّوب لا يجزع كان قولا صحيحا. ولو قال: كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمة أعطيت حقّها. ولو ذكر الاحتمال وتجرّع الغيظ فقال: وكذلك كان معاوية لا يسفه، وكان حاتم لا يفحش، لكان كلاما مصروفا عن جهته ولو قال: كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاما معروفا، ولكان القول قد وقع موقعه، وإن كان حاتم لا يعرف بقلّة الاحتمال، وبالتّسرّع إلى المكافأة.

ولو قال: سألتك فمنعتني، وقد كان الشّعبيّ لا يمنع، وكان النّخعيّ لا يقول: «لا»، لكان غير محمود في جهة البيان، وإن كان ممّن يعطي ويختار «نعم» على «لا». ولكن لمّا لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما، لم تصرف الأمثال إليهما، ولم تضرب بهما)[٧٠].

فالشاعر قد اختار في سيدنا نوح صفة لم يشتهر بها على الرغم من أن أنه قال على نفسه: إنه أمين في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾

(١٠٥) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾(١٠٦) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(١٠٧) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(١٠٨) غير أنه لم يشتهر بهذه الصفة، وكل الأنبياء أمناء، فلو قال: كذلك كان هود أو لوط أو شيث أو غير ذلك من الأنبياء ما ضر ذلك شيئًا. والأصل أن يكون المشبه به مشهورا بوجه الشبه؛ فنوح مشهور عنه طول العمر، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله... وهكذا. ومن هنا عيب هذا التشبيه الذي جاء بصفة –وجه شبه– لم يشتهر به المشبه.

غير أننا نلمح في هذا التشبيه دراية بالرسل السابقين من شاعر جاهلي، ألمح إلى أبعد الأنبياء زمنًا وهو نوح، كما أن له إشارات أخرى إلى أنبياء آخرين كما في قوله:

فَتلكَ تُبلِغُني النُعمانَ أنّ لهُ	فضلًا على النّاسِ في الأدنَى وفي البَعَدِ
ولا أرَى فاعلًا في النّاسِ يُشبهُهُ	ولا أُحاشي مِنَ الأقْوَام من أحَدِ
إلاّ سُليمانَ إذ قالَ الإلهُ لهُ	قُمْ في البريّةِ فاحْدُدْها عنِ الفَنَدِ
وخيِّسِ الجِنّ إنّي قد أذِنْتُ لهمْ	يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُفّاحِ والعَمَدِ

المبحث الرابع: حذف وجه الشبه الغريب.

من المقرر في باب التشبيه أن وجه الشبه إذا كان غريبا لا يمكن للمتلقي التوصل إليه وجب النص عليه. فإذا حذفه المتكلم وقع السامع في اللبس، وبالتالي يصبح التشبيه معيبا؛ لأن كل حذف لابد له من دليل، ولابد أيضا معه من أمن اللبس. ومن أمثلة ما حذف فيه الوجه فأوقع المتلقي في اللبس ما يلي:

(٤ / ١) قال الشاعر:

بل لو رأتني أخت جيراننا	إذ أنا في الدار كأني حمار

والتشبيه بالحمار يفهم منه البلادة والغباء، ولذلك قال المبرد: (وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه، فكقوله: إذ أنا في الدار كأني حمار فإنما

أراد الصحة، فهذا بعيد؛ لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره. وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ والسفر الكتاب، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ في أنهم قد تعاموا عنها. وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها، حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها) (٧١). وقد سمى المبرد هذا التشبيه: أخشن الكلام(٧٢).

واعتبر الدكتور بسيوني فيود هذا التشبيه معيبًا بسبب ذكر الحمار بإطلاق دون النص على الوجه، غير أنه أوّل البيت بوجه غريب لم يرده الشاعر فقال: (شبه نفسه بالحمار في شدة الغيرة؛ فهم يقولون: أغير من حمار) (٧٣). وهذا التأويل غير مقصود، وإنما يريد الشاعر أنه جلد قوي يعمل في خدمة أهل الدار. ونحن نقول ذلك في العامية المصرية؛ فإذا أريد التعبير عن مدى قوة الرجل قيل: هو حمار شغل. غير أنها لا تخلو من إهانة وعدم تقدير لعمله أحيانًا. وبالتالي فأنا أرى أن الوجه ليس الغيرة، فالكلام ليس فيه ما يفيد الغيرة من قريب أو بعيد، ووجه الشبه المحذوف يلقي على التشبيه ظلالًا من اللبس لا يتضح معه المقصود فيقع في النفس خلاف ما يريد الشاعر. يقول الدكتور محمد أبو موسى: (ويرد المبرد قول الشاعر يصف قوته وجلادته لصاحبته:

بل لو رأتني أخت جيراننا	إذ أنا في الدار كأني حمار

لأن الحمار يرد في سياق البلادة والغفلة والذلة، وشهر بهذه المعاني، وصار كأنه رمز لها، فإذا لوحظ فيه معنى آخر –وإن كان ثابتًا وصحيحًا- لم يسلم من العيب؛ لأن المعنى الأول وثيق الصلة باللفظ) (٧٤).

(٤ / ٢) قال أبو تمام:

أنت دلو وذو السّماح أبو	موسى قليب وأنت دلو القليب
أيها الدّلو لا عدمتك دلوا	من جياد الدّلاء صلب الصّليب

قال أبو هلال: (ومما عيب في هذا الباب "يقصد باب المماثلة" قوله:...

وذكـر البيتـين)[٧٥]. وعـاب البيتين كذلـك ابن الأثير فقـد علق عليهمـا بقوله: (ومراده من ذلك أنه جعله سببا لعطاء المشار إليه، كما أن الدلو سبب في امتياح المـاء من القليب، ولم يبلغ هـذا المعنى من الإغراب إلى حد يدندن أبو تمام حوله هـذه الدندنـة، ويلقيه في هذا المثال السـخيف، علـى أنه لم يقنع بهذه السـقطة القبيحة في شعره، بل أوردها في مواضع أخرى منه، فمن ذلك قوله:

مـا زال يـهـذي بـالمكـارم والـعلا حتـى ظننـا أنـه مـحـمـوم)[٧٦].

ومع حذف الوجه نجد للمشبه به إيحاءً قبيحًا، فليس يتحقق للممدوح شرف حين يشبه بالدلو، وقد كان أبو تمام والمتنبي جريئين في حديثهما إلى المدوحين، وربما يرجع ذلك إلى شهرتهما، أو إلى ثقتهما الزائدة بأنفسهما، كما ذكر محمد الخضـر حسـين قبل ذلك، وقد أراد أبو تمام أن يمدح فذم. وكان ابن سـنان قد ذكر أن من شـروط فصـاحة الكلمة ألا يكون قد شاع اسـتعمالها في معنى كريه؛ لأن الكلمة تمتزج بها الدلالات المختلفة امتزاجًا لا تتخلص منه حين تسـتعمل في غيره، فكلمة الدلو ترد بمعنى برج الدلو ففيها معنى الارتفاع والسـمو، ولكنها لما كانت تسـتعمل في الدلو المعروف لم يحسـن أن تشبه الرجل العظيم بالدلو. يقول ابن سنان: (ومن هذا النحو قول أبي تمام:

مـتـفـجـر نـادمـتـه فـكـأنـنـي لـلـدلـو أو لـلـمـرزمـين نـديم

فالدلـو ها هنا أحـد البروج ولا أختاره لموافقته اسـم الدلـو المعروف. وأنت تجـد بأقـرب تأمل فرق ما بين قول القائل لمن يمدحـه: أنت المرزم جودا، والجنة لمن تقصده الأيام عزا. وبين قوله: أنت الدلو كرمًا، والكنيف لطريد الدهر سعة. والمعنيان صـحيحان. وحُسْـن أحدهما وقُبْح الآخر ظاهر لا خفاء به)[٧٧]. بل قد يكون إيحاء المشبه به قويًا لدرجة أنه لو ذكر الوجه لم يستطع المتلقي أن ينتقل من إسار الوجه المشهور، كما في قول:

أنـت كالكلب في حفاظك للعهد وكـالـتيـس في قـراع الخطـوب

غير أن ذكر الوجه هنا هو الذي منع حراس المتوكل من الفتك بالشاعر، فذكر الوجه يكشف عن دخيلة الشاعر، أما ترك التشبيه مجملا لا وجه فيه فيجعل النفس تذهب فيه كل مذهب، غير أن تفسيره على الجانب أقرب إلى المتلقي، ولهذا يعاب التشبيه.

(٤ / ٣) قال المرار الأسدي:

وخال على خدّيك يبدو كأنّه ... سنا البدر فى دعجاء باد دجونها

قال قدامة بن جعفر: (من عيوب معانى الشعر «مخالفة العرف» والإتيان بما ليس فى العادة والطبع؛ مثل قول المرّار:

وخال على خدّيك يبدو كأنه ... سنا البدر فى دعجاء باد دجونها

فالمتعارف المعلوم أنّ الخيلان سود أو ما قاربها فى ذلك اللون، والخدود الحسان إنما هى البيض، وبذلك تنعت، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى)[٧٨]. ونقل المرزباني نقد قدامة للشاعر في كتابه الموشح[٧٩]. وقال أبو هلال العسكري: (ومن عيوب المعنى مخالفة العرف وذكر ما ليس فى العادة كقول المرار:

وخال على خدّيك يبدو كأنّه ... سنا البدر فى دعجاء باد دجونها

والمعروف أن الخيلان سود أو سمر، والخدود الحسان إنما هي البيض، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى)[٨٠]. وعاب هذا التشبيه ابن سنان أيضًا فقال: (وأما رديء التشبيه فكقول المرار ... لأن الخدود بيض، والمتعارف أن يكون الخال أسود. فتشبيه الخدود بالليل، والخال بضوء البدر تشبيه ناقض للعادة)[٨١]. كما عاب المظفر العلوي البيت فقال: (وينبغي للشاعر ألا يخالف الشعراء المتقدمين في عوائدهم إذا شبهوا، ومقاصدهم إذا أيقظوا ونبهوا، فإن ذلك مما يعاب به، ويعد من ذنوبه. ألا ترى العلماء كيف عابوا على المرار قوله:

وخال على خديك يبدو كأنه ... سنا البدر في دعجاء باد دجونها

والمعلـوم أن الخـال أسـود، والخد أبيضـ، فعكس المرار وجعل الخال كسـنا البدر نورا، والخد كالليل سـوادا، وهذا غير ما جرت به عادة الشـعراء في وصف الخـال)[٨٢]. وعاب البيت أيضًـا أحمد تيمور فقال تعليقًا على البيت: (فوصـف الخال بالبياض، والوجه بالسـواد، وهو خلاف المتعارف، اللهم إلا أن يكون حكى الواقـع، ولـو كان كذلك ما عابه عليـه أئمة الأدب ونقده الشـعر كالمرزباني وأبي هلال وقدامة وغيرهم)[٨٣].

وقد يكون سبب عيب النقاد للبيت هو حذف وجه الشبه؛ فربما قصد إلى الحجـم؛ فحجم الخـال في الخد كحجم القمر في الليـل. ويكون حذف الوجه هو الذي أوقع الشـاعر في هذا التناقض وجعل النقاد يعيبونه. لكن يبقى الشـاعر – حقيقة– قد جعل الخال أبيض والخد أسود، فخالف العرف والعادة، كذلك خالف الحقيقة.

(٤ / ٢) قال الشاعر[٨٤]:

كـأنّمـا الخـيـلان فـى وجـهـه ... كـواكـب أحـدقـن بـالـبـدر

شبه الشاعر الخيلان في وجه المحبوبة بالكواكب، والخيلان سود، والكواكب بيضـاء، فقلب الشـاعر الصـورة، وإن كان أخف من المرار في بيته السـابق؛ لأن الشاعر هنا جعل الخد أبيض حين شبهه بالبدر، أما المرار فجعل الخد أسود حين شبهه بالليل. وقد بيّن أبو هلال أنه يمكن التماس العذر للشاعر فقال: (ويمكن أن يحتج لهذا الشـاعر بأن يقال: شـبّه الخيلان بالكواكب من جهة الاستدارة لا من جهة اللّون. والجيد فى صفة الخال قول مسلم:

وخـال كخال البـدر فى وجـه مثله ... لقينا المنى فيه فحاجزنا البذل

وقال العباس بن الأحنف:

لخال بـذات الخـال أحسـن عندنا ... من النكتة السّوداء فى وضح البدر)[٨٥].

وفي دفـاع أبي هلال عن الشـاعر مـا يفيد قيمة ذكر وجه الشـبه حين يكون

الوجه غريبا غير معهود، ومع ذلك يبقى تشبيه الخال بالكوكب قلقًا في محله. ولا يقولن قائل: إن الكوكب مظلم بطبعه، وإنما يستمد نوره من الشمس. ذلك أن العرب قديما لم يكونوا يعرفون ذلك، حيث إن هذا من مكتشفات العلم الحديث.

المبحث الخامس: خطأ معنى في بيت فيه تشبيه.

قد يكون التشبيه نفسه غير معيب، لكن الشاعر في البيت الذي وقع فيه التشبيه قد أخطأ في معنى من المعاني، فيصبح البيت معيبًا وينسحب الحكم على التشبيه لأنه واقع ضمن البيت المعيب. ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

(٥ / ١) قال الكمّيت في وصف القِدْر:

كأنّ الغطامط من غليها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا

قال الجاحظ: (جعل الأراجيز التي شبهها في لغطها والتفافها بصوت غليان القدر، لأسلم دون غفار)[٨٦]. والشاعر يشبه صوت غليان القدر بالأراجيز، وليس يشبه الأراجيز بصوت القدر كما ذكر الجاحظ. وللبيت قصة ذكرها المبرد فقال: (وحدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبًا فاستمع له، فكان فيما أنشده:

وقد رأينا بها حورًا منعمة ... بيضًا تكامل فيها الدلُّ والشنبُ

فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصي خطأك، تباعدت في قولك: "تكمل فيها الدل والشنب". هلا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حُوة لعسٌ ... وفي اللثاث وفي أنيابها شنبُ

ثم أنشده في أخرى:

كأن الغطامط من جريها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال له: نصيب: ما هجت أسلم غفارًا قط، فاستحيا الكميت فسكت)[٨٧].

وقال ابن سنان: (ومما يَحتاج إليه التشبيه: أن يكون الأمر المشبه به واقعًا مشاهدًا معروفًا غير مستنكر؛ ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتمثيل من

الإيضاح والبيان. ولهذا عاب نصيب على الكميت قوله:

كـــأن الـغـطـامـط مــن غـلـيـهـا   أراجـيـز أسـلـم تـهـجـو غـفـارا

وقـال لـه: أخطأت ما هَجَتْ أسـلم غفارا قط. وأراد نصـيب من الكميت أن يكـون شـبّه بشـيء واقع معروف، وهـذا كما يقـال: كانت مناقضـة فلان وفلان مناقضةَ جرير والفرزدق. فيكون هذا الكلام صحيحًا. ولو قيل: كأن مناقضتهما مناقضـةُ الأحوص وعمـر بن أبي ربيعة لم يكن ذلك التشـبيه صـحيحًا. إذ كان المشبه به لم يقع)[٨٨].

وذكـر أحمد تيمـور أن (الكميت كانت لـه جدتان أدركتـا الجاهلية، فكانتا تصـفان له البادية وأمورها، وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية، فإذا شـك في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه، فمن هناك كان علمه. قلنا: وقد رأيت كيف لم يغنه وصـف الجدتين شـيئًا، فوقع فيما أحتاج إلى الاعتذار منه)[٨٩]. فالبيت فيه خطأ في المعنى لأن أسـلم وغفار لم يتهاجيا، لكن في البيت تشـبيه قد أصـابه من رذاذ هذا الخطأ المعنوي الذي رده أحمد تيمور إلى جهل الشـاعر بما يذكره؛ لبعده عنه.

(٥ / ٢) قال أيمن بن خريم:

فــإنــا قــد وجــدنــا أم بـشـر   كــأم الأســد مــذكــارًا ولــودا

ذكـر قدامة بن جعفر أن الشـاعر هنـا قد أخطأ بأن جعل أم الأسـود كثيرة الولادة، وهذا يخالف الطبيعة، فقال: "وقال أيضًا أيمن بن خريم في بشر:

فـلـو أعـطـاك بـشـر ألـف ألـف   رأى حـقًـا عـلـيـه أن يـزيـدا

وأعـقـب مـدحـتـي سـرجًـا خلنجاً   وأبـيـض جـوزجـانـيًـا عـقـودا

فــإنــا قــد وجــدنــا أم بـشـر   كــأم الأســد مــذكــارًا ولــودا

فجميع هذا المدح على غير الصـواب، وذلـك أنه أومأ إلى المدح بالتناهي في الجـود أولًا، ثم أفسـده في البيت الثاني بذكر السـرج وغيره، ثـم ذكر في البيت

الثالث ما هو إلى أن يكون ذمًا أقرب، وذلك أنه جعل أمه ولودًا، والناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر، ومنه قول الشاعر:

بغاث الطير أكثرها فراخًا ... وأم الصقر مقلات نزور"[٩٠].

وقال أحمد تيمور: "قالوا: أخطأ في أن جعل أم الأسد ولودًا؛ لأن الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج، والصواب قول كثير:

بغاث الطير أكثرها فراخًا ... وأم الصقر مقلات نزور

كذا في الموازنة والصناعتين، وهو المعروف والمشهور. ومثله ما أنشده صاحب اللسان في مادة (قَلَتَ) لبعضهم:

لنا أم بها قلتٌ ونزر ... كأم الأسد كاتمة الشكاة"[٩١].

وهذا نقد منطقي إذ إن أم الأسود لو كانت ولودا لاختل التوازن البيئي فالأسد في حياته يأكل حيوانات كثيرة، بل لا يكاد يخلو يوم حتى يقتل حيوانًا ويأكله، ولذلك جعل الله تعالى تناسل الأسود قليلا، وتناسل الحيوانات الأخرى كثيرا حتى يحدث هذا التوازن. ومن هنا جاء خطأ الشاعر.

(٥ / ٣) قال امرؤ القيس يصف فرسًا:

لها متنتان خظاتا كما ... أكب على ساعديه النمر

"يقال: هو خاظي البضيع، إذا كان كثير اللحم مكتنزه. وقوله: خظاتا، فيه قولان: أحدهما: أنه أراد خظاتان، كما قال أبو دواد، فحذف نون التثنية. يقال: متن خظاة، ومتنة خظاة. والآخر: أنه أراد خظتا، أي: ارتفعتا، فاضطر فزاد ألفًا. والقول الأول أجود. وقوله: كما أكب على ساعديه النمر، أراد: كأن فوق متنها نمرًا باركًا، لكثرة لحم المتن. اه. ولا يخفى أن هذا لا وجه له، والصواب ما قاله ثعلب، أي: في صلابة ساعد النمر، إذا اعتمد على يده"[٩٢]. ويقول أحمد تيمور: "ومما أخذ على امرئ القيس قوله في وصف فرس أيضًا:

لها متنتان خظاتا كما ... أكب على ساعديه النمر

ومعنى الخظاة: المكتنزة، أراد لها متنان كثيرا اللحم كساعدي النمر البارك في الغلظ، وليس هذا مما تمدح به الجياد، وإنما المستحب في المتن والوجه التعريق كما قال طفيل:

معرفة الألحى تلوح متونها

وفي اللسان. "ويستحب من الفرس أن يكون معروق الخدين قال:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سرحوب

ويروى: معرقة الجنبين، وإذا عرى لحياها من اللحم فهو من علامات عتقها، وفرس معرق: إذا كان مضمرًا، يقال: عرق فرسك تعريقًا، أي أجره حتى يعرق ويضمر ويذهب رهل لحمه" انتهى"[٩٣]. وذكر الرافعي أن «علماء المعاني والنحو والعروض انتقدوه جميعًا، وأخذوا عليه أشياء كثيرة، ولكن مات الانتقاد، وبقيت الألفاظ حية، حتى إن أكثر ما قالوه لا يعرف اليوم، ولم يورد منه شراح ديوانه إلا القليل؛ ولعلهم فعلوا ذلك ليتكافأ الانتقاد مع شهرة الرجل، وهؤلاء أصحاب البيان ما زالوا يطأطئون من الغدائر المستشزرات في كلامه، ويضربونها مثلًا في التنافر والثقل، ولكن «مستشزرات» هذه كانت قد رسخت قبلهم حتى لم يستطيعوا أن يحدروها عن منزلتها من الشهرة، وذلك من عجائب امرئ القيس، فإن له ألفاظًا وإن كانت أحجارًا، إلا أنها ثابتة من شهرته في جبل»[٩٤]. ويلاحظ أن العيب الذي عيب على امرئ القيس ليس في صلب التشبيه، ولكنه عيب في المعنى الذي بني عليه التشبيه؛ فإن لفظة «خظاتا» بها مشكلات نحوية ومعنوية؛ فالنحوية هي حذف النون من المثنى دون إضافة، والمعنوية فإنها تعني اكتناز اللحم وهي صفة ليست محمودة في الفرس. وصدق الرافعي في قوله: إنها لفظة تشبه الحجر.

(٥ / ٣) قال الشماخ يصف ناقته:

فنعم المعترى ركدت إليه رحى حيزومها كرحى الطحين[٩٥]

قال المرزباني في الموشح: "وقول الشماخ:

فنعم المعتزى رحلت إليه رحى حيزومها كرحى الطّحين

وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخفّ".

وقال أبو هلال: "وأخذ الأصمعيّ على الشّماخ قوله:

رحى حيزومها كرحى الطّحين

وقال: السعدانة توصف بالصّغر(٩٦). فقال من احتجّ للشماخ: إنما شبهها بالرّحى لصلابتها، كما قال:

قلائص يطحنّ الحصى بالكراكر"

وقال ابن رشيق: "وخطأ الشماخ في قوله في وصف ناقته: رحى حيزومها كرحى الطحين ظنه يصفها بالكبر، وهو عيب لا محالة، وإنما وصفها بالصلابة لا غير". وذكر أحمد تيمور وجه الشبه الذي كان سببًا في عيب البيت فقال: "الحيزوم: الصدر. والرحى الأولى: الكركرة، وهي ما يمس الأرض من صدر البعير إذا برك، شبهها في العظم بالرحى التي يطحن بها"(٩٧).

ومن الواضح أن سبب عيب هذا التشبيه حذف وجه الشبه الذي يجمع بين المشبه والمشبه به، ولو أن الشاعر ذكره لكان قد أعفى نفسه من مآخذ النقاد، ما جعل بعضهم يقدر هذا الوجه المحذوف فيجعله الصلابة، وليس العظم. وبالفعل لو كان وجه الشبه هو العظم لكان الشاعر مخطئًا؛ لأن الكركرة توصف بالصغر وليس بالعِظَم. أما إذا كان الوجه هو الصلابة فهذا مقبول؛ لأن الرحى من صلابتها يطحن بها الحب، وقد وصف الشاعر الآخر النوق بأنها تطحن الحصى بالكراكر، فقوى وجهة نظر من يدافعون عن الشاعر بأن الوجه هو الصلابة.

(٥ / ٤) قال أبو النجم الراجز:

أخنس في مثل الكظام مخطمهْ

قال ابن قتيبة: "وممّا أخذ عليه قوله في البعير:

أخنس في مثل الكظام مخطمه

والأخنس: القصير المشافر، وهذا عيب، وإنّما توصف المشافر بالسبوطة.

والكظام: القنىّ التي يجرى فيها الماء"(٩٨). وكرر ابن عبد ربه كلام ابن قتيبة في العقد الفريد(٩٩). كما نقل أبو هلال كلام ابن قتيبة كذلك في الصناعتين(١٠٠). وذكر محقق الصناعتين أن الكظام جمع كاظم، والكاظم من الإبل: العطشان اليابس الجوف. والمخطمة أي: المخطومة بالخطام، قال ابن سيده: والخطام كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به. وناقة مخطومة، ونوق مخطّمة شدد للكثرة، وخففت هنا للوزن(١٠١).

والعيب هنا في المشبه؛ حيث جعل البعير أخنس قصير المشفر، وهذا الوصف ليس صفة مدح للبعير، وإنما الأصل أن توصف المشافر بالطول، فمن الواضح هنا أن العيب في معنى ورد فيه التشبيه، وقد أخذ عليه النقاد هذا الخطأ وعابوه عليه، وإن كان الشاعر يصف الواقع، إلا أن النقاد طالبوه بالحالة المثالية. فقد يكون بعيره أخنس، وهو يصف بعيره الذي هذه حاله. أما النقاد فقد وضعوا صفات مثالية لكل عضو من أعضاء البعير وطالبوا الشعراء أن يلتزموا بها.

(٥ / ٥) قال بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته:

وصدر لها مهيع كالخليف ... تخال بأن عليه شليلا

وقال ابن رشيق: "وخطّأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته:

وصدر لها مهيع كالخليف ... تخال بأن عليه شليلا

لأن من صفة النجائب قلة الوبر"(١٠٢). وشرح البيت أحمد تيمور بقوله: «أي لها صدر واسع كالطريق في الجبل تخال عليه مسحًا من صوف، أو شعر، لكثرة ما عليه من الوبر. قال ابن رشيق في العمدة: إن الأصمعي خطأه فيه لأن من صفة النجائب قلة الوبر»(١٠٣). وواضح أيضًا أن تخطيء الأصمعي لبشامة بن الغدير

يقوم على ما اعتبره الأصمعي مثالا وحاكم إليه الشاعر، وقد يكون هذا الشاعر قد وصف الحال والواقع، وكان النقاد العرب قد وضعوا صفات مثالية لكل عضو من أعضاء الناقة والفرس، وطلبوا من الشعراء ألا يخرجوا عنها، وإلا اتهموهم بالخطأ. وليس من الواجب والحتم أن يكون من صفات النجائب قلة الوبر، وكذلك ليس من صفات البلادة كثرته، وإنما هو رأي الأصمعي، فيما يراه، ولا يزال النقد العربي متأثرًا بالآراء الذاتية؛ من مثل: هذا أغزل بيت قالته العرب، وهذا أمدح بيت، وهذا أوصف بيت... وهكذا، وقد سمَّوا بعض القصائد باليتيمة كقصيدة سويد بن أبي كاهل، وهذه أحكام ذاتية تأثرية، أقل ما يقال فيها أنها تعبر عن رأي شخصي، أو رؤية ذاتية للناقد، ولا يلزم منها أن تكون صوابًا على إطلاقها.

(٥ / ٦) قال عمر بن لجأ من أرجوزة وصف فيها إبله، فجعلها كالجبال في عظم الخلق، ثم قال في فحلها:

كالظَّرب الأسْوَد من ورائها
جرَّ العَجوزِ الثِّنيَ من خفائها

والظرب: الجبل الصغير، ولا يوصف الفحل بأنه أصغر من إناثه في الخلقة. وقد عاب ذلك عليه جرير فكان ذلك أحد الأسباب التي أوقعت المهاجاة بينهما[١٠٤]. وقد قال جرير لعمر: «وَأَنا أحتاج إِلَى أَن أسرق شعر عمر وَهُوَ الْقَائِل فِي إبله ووصفها حَتَّى جعلهَا كالجبال ثمَّ جعل فَحلهَا كالظرب وَهُوَ الْجَبَل الصَّغِير فِي الغلظ من الأَرْض»[١٠٥]. ومن سياق القصة يتضح لنا أن ابن لقمان –الذي دخل عليه عمر بن لجأ ليمدحه– قد أوقع بين الشاعرين، وواضح أن هذا الوصف معيب؛ لأن جريرًا قد عيّر به عمر بن لجأ، وهذا من الفطرة التي اعتاد الناس عليها، حيث لا يصح أن يوصف الفحل بصفة تجعله أقل من أنثاه. ولهذا العيب وجاهة بما ركب في الذكور من حب الظهور أمام الأنثى بالقوة والفحولة والمظهر الحسن.

(٥ / ٧) قال العجّاج، أو ابنه رؤبة:

كنتم كمن أدخل في جحر يدا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا

قال ابن قتيبة: "جعل الأفعى دون الأسود، وهي فوقه في المضرّة"(١٠٦). ومعنى البيت: أنكم ظننتم أنكم نجوتم من شر فوقعتم في شر أشد منه، كمن أخطأ الأفعى فلاقى الأسود. فجعل الأفعى أقل خطرًا من الثعبان الأسود. والأصل هو العكس؛ إذ الأفعى لا يعدلها في شرها وسمها شيء. والخطأ هنا ليس في التشبيه، ولكن في المعنى الذي بني عليه التشبيه. وهو خطأ يعود إلى أن الشاعر لا يعرف تفصيل هذا الأمر فهو يعرف الأفعى، ويعرف الأسود على وجه الإجمال، لكنه لا يعرف تفصيلا أيهما أشد شرًّا من الآخر. ومن الأمور المتفق عليها بعد الاطلاع على حياة البريّة أن الأفعى أشد بني جنسها على حياة الإنسان وغيره. ومن هنا كان هذا الخطأ واردًا. وكان ابن قتيبة محقًا في ذكر هذا المأخذ على الشاعر. وقد نقل النقاد كلام ابن قتيبة بعده بنصه.

(٥ / ٨) قال المسيّب بن علس في الناقة:

وكأن غاربها رباوة مخرم　　　وتمد ثني جديلها بشراع(١٠٧)

قال ابن قتيبة: "وأُخذ عليه قوله في الناقة:

وكأنّ غاربها رباوة مخرم　　　وتمدّ ثني جديلها بشراع

أراد: تمدّ جديلها بعنق طويلة. والجديل: الزمام. وأراد أن يشبّه العنق بالدّقل فشبّهها بالشّراع. قال ابن الأعرابيّ: لم يعرف الشراع من الدقل"(١٠٨). وقد رد ابن قتيبة هذا العيب واستشهد له بشعر لأبي النجم، فقال: «وليس هذا عندي غلطا، والشراع يكون على الدقل، فسمّى باسمه، والعرب تسمّي الشيء باسم غيره إذا كان معه وبسببه، يدلّ على ذلك قول أبي النّجم:

كأنّ أهدام النّسيل المنسل　　　على يديها والشّراع الأطول

أراد بقايا الوبر على يديهاوعنقها، فسمّى العنق شراعا"(١٠٩).

وعاب البيت أبو هلال لكنه عاب أيضًا على أبي النجم شعره، ثم عاد واعتذر له فقال: (أراد أن يشبّه عنقها بالدّقل، فشبّهها بالشّراع. وتبعه أبو النجم فقال:

كـــأنّ أهـــدام الـنّـسـيـل المنسـل   على يديها والشّراع الأطول

والجيد منه قول ذى الرمة:

وهـاد كـجـذع الـسـاج سـام يـقـوده   معرق أحنـاء الصّبيّين أشدق

وقـال أبو حاتم: الشّـراع: العنق، يقال: للعنق الشـراع والثليل والهادي، فإذا صـحّت هذه الرواية فالمعنى صحيح فى قول أبى النجم"[١١٠]. وقال أحمد تيمور: «أراد وصـف هذه الناقة بطول العنق. وتشبيهه بالدقل، وهو خشبة طويلة تشد في وسـط السفينة يمد عليها الشراع فقال: كأن زمامها ممدود بشراع لطول عنقها، فأخذوا عليه ذكره الشـراع بدل الدقل. وقال بعضـهم: إنما أراد بالشراع: الدقل إذ كان الشـراع منوطًا به، ومثله لا يعد خطـأ، ولمن يريد أن يخطئه من وجه آخر أن يقـول: أراد أن يمدحها فذمّها؛ لأن طـول العنق في الإبل هجنة عند أبي عمرو والأصمعي، وكانا يعيبان على رؤبة قوله في وصف بعير:

عـن دوســـري بـتـع مـلـمـلـمهْ   في جسم خدل صلهبي عممه

غير أن حمزة بن علي البصـري خطأهما في هذا الزعم فقال في التنبيهات: "قولهما طول العنق هجنة رد على كلام العرب المأثور، وشعرهم المشهور، لا على رؤبة وحده، وهذا سـبيلُ مَن رَكِبَه ضـلّ، ومن نصره جهل" ثم أورد قول من قال: (أبين الإبل عتقا أطولها عنقا) وسـاق عشرين شـاهدًا من كلام العرب تفند ما ذهبا إليه"[١١١].

ويلاحـظ أن المأخـذ الذي أخـذه النقاد قد فنده بعضـهم؛ كابن قتيبة الذي قال: وليس هذا عندي غلطا، والشـراع يكون على الدقل، فسـمّى باسمه. والتمس أبو هلال عذرًا لأبي النجم في بيته حين استشهد بكلام لأبي حاتم، على أن أحمد تيمور قد برأ المسـيب بن علس من الخطأ، ثم عـاد وخطأه من وجه آخر ثم دافع عنه. وبذلك نجد أن الشاعر غير مخطئ، إذا حملنا قوله بشراع على أنه الدقل، لعلاقة المجاورة.

(٥ / ٩) قال العجاج يصف بعيره:

كــأن عـيـنـيـه مــن الـغــــــؤور ... قلتان أو حوجلتا قـــارور

صـيـرتـا بـالـنـضـح والـتـصـبـيـر ... صلاصل الزيت إلى الشطور

البيت معيب عند ابن عبد ربه في العقد الفريد، حيث يقول: "الحوجلتان: القارورتان، جعل الزجاج ينضح ويرشح"[١١٢]. والبيت معيب أيضًا في الصناعتين[١١٣]. وقال أحمد تيمور: «القَلْتُ (بفتح فسكون): النقرة في الجبل تمسك بالماء. والحوجلة: القارورة. والصلاصل هنا: بقايا الزيت، شبه عينيه حين غارتا بقارورتين بقى ما فيهما من الزيت إلى نصفيهما بسبب النضح. قالوا: وقد أخطأ لأنه جعل الزجاج ينضح ويرشح، وإنما تنضح الجرار ونحوها»[١١٤].

والبيت الأول فيه تشبيهان: الأول تشبيه العينين الغائرتين بالقلتان؛ أي الحفرتين اللتين تمسكان الماء في أعلى الجبل، وقد وصل الماء فيهما من الغؤور إلى نصفيهما. وهذا تشبيه صحيح لا غبار عليه. أما التشبيه الثاني فهو تشبيه العينين بالحوجلتين؛ وهما القارورتان، اللتان بقى ما فيهما من الزيت إلى نصفيهما بسبب النضح. ومعلوم أن القارورة لا تنضح. إنما النضح يكون للآنية الفخارية كالجرار والقلل وغيرها. والخطأ هنا لم يكن في التشبيه ولكن في تفصيل متصل بالمشبه به.

(٥ / ١٠) قال المرّار بن منقذ يصف نخلًا:

كــأن فـروعـهـا في كـل ريـح ... جـوارٍ بـالـذوائـب يـنـتـصـيـنـا

يريد: (كأن هذه النخل إذا أمالتها الريح، وتلاقى سعفها، جَوَارٍ يتنازعن، ويتبارين بأن تأخذ الواحدة بناصية الأخرى. فذهب أبو عمرو والأصمعي إلى أن المرار لم يكن له علم بالنخل في وصفها بتقارب النباتات؛ لأن أفضل الغرس ما بوعِد بينه. ومما وضعته العرب على ألسنة الأشياء قول النخلة الأخرى:

أبـعـدي ظـلـي مـن ظـلـكِ ... أحـمـل حـمـلـي وحـمـلـك

وتبعهما أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات، فقال في تفسير هذا البيت: هذا من التقارب حتى ينال سعف بعضه سعف بعض، وذلك هو الحَصَر، أي التضايق.

ورد عليهم علي بن حمزة البصري في "التنبيهات" بكلام طويل خلاصته: أن الحصر تقارب ما بين الأصول، وهو مذموم، وخطَّأهم في زعمهم أن النخل يتناصى من الحصر؛ لأن سبيله أن يباعد بين غرسه، ولكن من جيد نعته أن يمتد جريده، ويكثر خوصه، ويتصل بعضه ببعض حتى لا ترى منه الشمس، ويمنع الطير من أن تشقه، وإنّ ما روى عن الأصمعي على لسان النخلة نقله عنه أبو حنيفة، وهو مخالف لما نقله عنه أبو حاتم فقال: "قال الأصمعي: في مَثَل للفرس والنبط: تقول النخلة لأختها: تباعدي عني، وأنا أحمل حملك وحملي" أي فلم يذكر فيه تباعد الظل. ثم صوّب قول المرّار وقال: لا شيء أحسن من هذا الوصف للنخل، واستشهد على صحة كلامه بقول ذكوان العجلي:

نواضر غلبًا قد تدانت رؤوسها ... من النبت حتى ما يطير غرابها
ترى الباسقات العم منها كأنها ... ظعائن مضروب عليها قبابها
بعيدة بين الزرع لا ذات حشوة ... قصار ولا صعل سريع ذهابها»(١١٥)

وأرى أن تخطيء أبي عمرو والأصمعي للشاعر ليس في محله، وأما متابعة أبي حنيفة لهما فليس بشيء إذ إن الذين يكتبون في علم النبات قديمًا كانوا يجمعون كل ما كتب عنه، سواء أكان المكتوب عنه دقيقًا أو غير دقيق. وأما رد علي بن حمزة فهو رد جيد أصاب به موضعه؛ حين قرر أن الحَصَر هو تقارب المنبت وهو معيب، أما تقارب السعف فليس فيه شيء، ويؤيد كلامه قول المرّار: جوارٍ بالذوائب ينتصينا. و"الذوائب" هي أعلى ما في الجارية، و"ينتصينا" أي تأخذ كل واحدة منهن بناصية الأخرى. وواضح أن أبا عمرو والأصمعي -وتبعهما أبو حنيفة- نظروا إلى الالتحام المفهوم من قوله: بالذوائب ينتصينا، ولم ينظروا إلى المعنى اللغوي للكلمتين. كما أن الشطر الأول يفهم منه بعض التباعد، فإن التلاحم لا يكون إلا مع هبوب الريح التي تميل بعض السعف ليلتحم مع سعف النخلة الأخرى.

(٥ / ١١) قال زهير بن أبي سلمى:

يحيل في جدول تحبو ضفادعه حبو الجواري ترى في مائه نُطُقا
يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغمّ والغرقا

ومعنى "يحيل: يصب. وحبو الجواري: وُثُوبُ الجواري والصبيان إذا لعبوا. والنطق: الطرائق التي تعلو الماء. شبهها بجمع النطاق؛ لأنها درجات يعلو بعضها بعضًا، ويكون ذلك مع كثرة الماء وهبوب الريح. والشربة: حُوَيْضٌ كهيئة المقطف يتخذ في أصل النخلة، فيملأ ماء لشرب النخلة. وطحل: أخضر إلى غبرة، جعل الشربات ذات ضفادع إشارة إلى أن ماءها لا ينقطع"(١١٦). وعاب ابن قتيبة البيت الثاني فقال: «وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغمّ والغرق، وإنما ذلك لأنّهنّ يَبِضْنَ فى الشطوط»(١١٧). وقال أيضًا: «إنما تخرج لما أعلمتك لا لما ذكَر من خوف الغم والغرق، وهذا البيت مما غلّط فيه زهير، والشربات شبيهة بالحياض في أصول النخل تملأ ماء لتشرب النخلة، واحدتها شَرَبَة»(١١٨). ونقل ابن عبد ربه كلام ابن قتيبة لكنه وضع كلمة «يبتن» موضع كلمة «يبضن» فقال: «وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق، وإنما ذلك لأنهن يبتن في الشطوط» (١١٩). وقال القاضي الجرجاني: «والضفادع لا تخاف شيئًا من ذلك»(١٢٠). وعاب البيت أيضا ابن سنان فقال: «وعيب على زهير قوله في الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقيل: الضفادع لا تخرج من الماء خوف الغم والغرق"(١٢١). وأما ابن رشيق فقد نظر للبيت نظرة مخالفة حاول فيها أن يصحح فهم قول الشاعر فحمل الكلام على المبالغة. فقال: «كذلك اعترفوا لزهير في قوله يصف الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغمر والغرقا

فقال: لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء، فكأنه مبالغة في التشبيه، كما قال الله عز وجل: (وإن كان

مكرهــم لتزول منــه الجبال) وقــال: (وبلغت القلــوب الحناجر) والقــول فيهما محمول على كاد. هكذا ذكر الحذاق من المفســرين، مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة، خوفًا على نفسها من الهلكة، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات، وإنما اقتدى فيه بقول أوس بن حجر:

فباكرن جونا للعلاجيم فوقه   مجالس غرقى لا يحلا ناهله"[١٢٢].

ومن الواضــح هنا أن الشــاعر لا يقصــد أن يكون كلامه على ظاهره، وإنما هــو تعبير كنائي؛ فهو لا يقصــد ظاهر اللفظ ولكن يقصــد مــا وراءه من معنى، فالكنايــة لفظ يطلقه المتكلم ولا يريده، ويســمعه المتلقي ويفهم منه غير ظاهره. فالشــاعر يريد أن يكني عن كثرة ماء هذه الشــربات. ومــن الملاحظ أن تخطيء الشاعر لم يكن في التشبيه ولكن في معنى مرتبط بالتشبيه؛ فالبيت الثاني إكمال للمعنى الذي ورد فيه التشبيه.

الخاتمة

لم يخص أحد من البلاغيين التشبيه المعيب بدراسة تصنف شواهده، وتذكر أســباب عيبه، وتناقش هذه الأســباب لتوافق ما تراه –حســب رؤيتها– صــوابا، وتخطِّــئ ما تراه خطأ. وقد نهضــت هذه الدراســة للقيام بهــذه المهمة. وتناولت الدراسة خمسة مباحث: الأول: بُعْدُ الشبه بين الطرفين أو ضعفه. الثاني: بشاعة المشبه به. الثالث: عدم شهرة المشبه به بالوجه. الرابع: حذف وجه الشبه الغريب. الخامس: خطأ معنى في بيت فيه تشــبيه. وقد توصلت إلى نتائج عديدة تلمح إلى أهمها تاركة ما تبقى لمطالعة البحث، والوقوف على دقائقه. ومن أهم النتائج:

١. اهتــم البلاغيــون بضــرورة التقــاط وجه الشــبه القريب بين الأشــياء المتباعدة، وعدوا ذلك أمارة حذق ومهارة.

٢. أن استيفاء عناصر التشبيه وحدها لا يكفي لجعل التشبيه حسنًا.

٣. جمعت الدراسة أقوال النقاد في البيت الواحد وناقشتها.

٤. من أسباب ضعف التشبيه أن يكون الوجه بعيدا لا يدرك إلا بعد جهد ومشقة.

٥. أن رغبة الشاعر في المبالغة الشديدة قد تجعل التشبيه معيبًا.

٦. قد تكون حالة الشاعر النفسية التي يمر بها هي السبب في الإتيان بتشبيه غريب يعيبه النقاد؛ كالحزن على الشباب المنصرم ونحوه.

٧. ذكر النقاد سببًا لعيب التشبيه وبالمناقشة تبين أنه سبب آخر، أو أن التشبيه ليس بمعيب.

٨. كان الهوى سببًا في عيب بعض التشبيهات وتصحيحها؛ فمن كره شاعرًا عاب عليه كل شيء، ومن أحب شاعرًا التمس له ما يصحح تشبيهه.

٩. قد يكون الشبه بين الطرفين متحققًا ويعاب التشبيه لأن المشبه به منفِّر، لا تقبله الأذواق السليمة.

١٠. أحد الأسباب التي توقع الشاعر في الخطأ ثقته الشديدة ببراعته وشهرته، أو اكتفاؤه بأول خاطر وعدم التنقيح.

١١. قد يكون سبب عيب التشبيه حذف وجه الشبه الملبس؛ فلا يعلم ماذا يريد من التشبيه؟

١٢. كان أبو تمام والمتنبي جريئين في حديثهما إلى الممدوحين، وربما يرجع ذلك إلى شهرتهما، أو إلى ثقتهما الزائدة بأنفسهما، ولذلك عيب عليهما شيء كثير.

١٣. قد لا يكون العيب في التشبيه نفسه، ولكن في المعنى الذي قصد فيه التشبيه.

وهناك نتائج أخرى مبثوثة في ثنايا الدراسة، أتركها للقارئ الكريم، على أن الدراسة قد رجعت لكثير من كتب التراث الأدبية والبلاغية واللغوية، واستخرجت

منها ما يتصل بنقطة البحث. وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا لكنه في جانب خدمة اللغة والعلم قليل. فإن أصابت فذلك ما رجاه الباحث، وإن كانت الأخرى فحسبها المحاولة.

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل

الهوامش

(١) أدب الكتّاب، أبو بكر الصولي، نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية، بمصر، المكتبة العربية، ببغداد، ١٣٤١هـ.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي، ١/ ٢٢٣، تحقيق: عصام شعيتو، ط١، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٩٨٧م.

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق الجزء الثالث: د. عبد الله المحارب، دار المعارف، ١٩٩٤م.

(٥) العمدة، ابن رشيق، ١/ ٣٠٠، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م..

(٦) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٢٥٧، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

(٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٢ /١٢٣، ت: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، د.ت.

(٨) علم البيان، د. بسيوني فيّود، ١٣٠، مؤسسة المختار بالقاهرة، ودار المعالم الثقافية بالسعودية، ط ٢، ١٩٩٨م.

(٩) المثل السائر، ابن الأثير، ٢/ ١٢٣، مرجع سابق.

(١٠) علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي، ٢٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(١١) علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/ بسيوني فيود، ١٢٩، مرجع سابق.

(١٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ١/ ١١٥، ت: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م. وأفنون من شعراء تغلب في الجاهلية، واسمه ظالم وقيل: "صريم بن معشر بن ذهل بن

تيم بن عمرو بن مالك" التغلبي. يقال: إنه مات بموضع يقال له: "الإلاهة" بطريق الشام، بلدغة حية، وأن كاهنا كان قد قال له: إنك تموت بمكان يقال له إلاهة، فمات به. ينظر: (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ١٨ / ٦٢، دار الساقي، بيروت، ط ٤، ٢٠٠١م).

(١٣) قال ابن أبي الإصبع "في تحرير التحبير": ومن الإغراب قول ابن شرف القيرواني:

غيري جنى، وأنا المعاقب فيكم ... فكأنني سبابة المتندم

لو لم يبغّضه عنده ابن رشيق، حين أنشده إياه وقال هل سمعت بهذا المعنى؟ فقال: سمعته، وأخذته أنت وأفسدته! فقال ممن؟ فقال: من النابغة الذبياني حيث يقول:

وكلفتني ذنب امرئٍ وتركته ... كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وأما إفساده فلأنك قلت في صدر بيتك: إنك عوقبت بجناية غيرك، ولم يعاقب صاحب الجناية؛ ثم قلت في عجز بيتك: إن صاحب الجناية قد شركك في العقوبة. فتناقض معناك: وذلك أنك شبهت نفسك بسبابة المتندم؛ وسبابة المتندم أول شيء يألم في المتندم، ثم يشركها المتندم في الألم؛ فإنه متى تألم عضو من الحيوان تألم كله؛ لأن المدرك من كل مدرك حقيقته؛ وحقيقته -على المذهب الصحيح- هي جملته المشاهدة منه، والمكويّ من الإبل يألم وما به عر ألبتة، وصاحب العر لا يألم جملةً. فمن ههنا أخذت المعنى وأفسدته. (تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، ت: د. حفني محمد شرف، ٥٠٩-٥١٠، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٣م).

(١٤) علم البيان، د. بسيوني فيّود، ١٣٣، مرجع سابق.

(١٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٦) التصوير البياني: دراسة تحليلية لمسائل البيان، دكتور: محمد أبو موسى، ١٢٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م.

(١٧) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ١٥١، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

(١٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني، ٤٧١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

(١٩) السابق.

(٢٠) معايير البلاغة: كيف تقرأ النص، أو كيف تجرّد الأنساق من مكنوناتها ودلالاتها؟ د. ماهر مهدي هلال، مقال على الشبكة الدولية (الإنترنت) من موقع: http://www.matarmatar.net/threads/٣٣٨٥٣/.

(٢١) اللامع العزيزي: شرح ديوان المتنبي، أبو العلاء المعري، ١١٣٥، ت: د: عبد الله بن صالح الفلاح، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٦ه.

(٢٢) الوســاطة بين المتنبي وخصــومه، علي بن عبد العزيز القاضــي الجرجــاني، ٤٧١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦م.

(٢٣) شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ٣٧٥، ت: فريدرخ ديتريصي، طبعة برلين، ١٨٦١م.

(٢٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد إبراهيم الهاشمي، ٢٤٦، ت: د: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ٤٧١، مرجع سابق.

(٢٦) علم البيان، د. بسيوني فيود، ١٣٢، مرجع سابق.

(٢٧) شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ٣٧٥، مرجع سابق.

(٢٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ٤٧٢، مرجع سابق.

(٢٩) سـمط اللآلي في شـرح أمالي القـالي، عبد الله بن عبـد العزيز البكـري، ٩٣٨، ت: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٣٥م.

(٣٠) علم البيان، د. بسيوني فيود، ١٣٢، مرجع سابق.

(٣١) المثل السائر، ابن الأثير، ١/ ٤٠٣، مرجع سابق.

(٣٢) علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، أحمد مصطفى المراغي، ٢٣٨، مرجع سابق.

(٣٣) علم البيان، د: عبد العزيز عتيق، ١٣١، دار النهضــة العربية للطباعة والنشــر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

(٣٤) العمدة، ابن رشيق، ٣٠١، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.

(٣٥) شــرح ديــوان المتنبي، أبو البقاء العكبري، ٥٢٧/٢، ت: د. عمر فــاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤٣٨هـ.

(٣٦) أبــو الطيــب المتنبي: وما له وما عليه، الثعالبــي،١١٣، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، د.ت.

(٣٧) المثل السائر، ابن الأثير، ١٢٤/٢، مرجع سابق.

(٣٨) نصرة الثائر على المثل السائر، صلاح الدين الصفدي، ٢٧٨، ت: محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م.

(٣٩) علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، أحمد مصطفى المراغي، ٢٣٩، مرجع سابق.

(٤٠) نصرة الثائر على المثل السائر، صلاح الدين الصفدي، ٢٧٨، مرجع سابق.

(٤١) العمدة، ابن رشيق، ٣٠٠، مرجع سابق.

(٤٢) خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ١/ ٣٩٨، ت: عصــام شـعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٤٣) أنوار الربيع في أنواع البديع، صـدر الدين ابن معصـوم، ٥/ ٢٣٤، ت: شـاكر هادي شكر، مطبعة

النعمان، النجف الأشرف، العراق، ط١، ١٩٦٩م.

(٤٤) النقد الأدبي، أحمد أمين، ١/ ٢٣١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م.

(٤٥) التصوير البياني، د. محمد أبو موسى، ١٢٤- ١٢٥، مرجع سابق.

(٤٦) العمدة، ابن رشيق، ٣٠١، مرجع سابق.

(٤٧) خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ١/ ٣٩٨، مرجع سابق.

(٤٨) في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ٤٤٢، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٤٩) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، ٣٠٠، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٨م.

(٥٠) علم البيان، د. بسيوني فيود، ١٣١، مرجع سابق.

(٥١) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، ١٥٣، ت: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

(٥٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ٣٣٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٥٣) العمدة، ابن رشيق، ٣٠٢، مرجع سابق.

(٥٤) التصوير البياني، د. محمد أبو موسى، ١٢٦، مرجع سابق.

(٥٥) العمدة، ابن رشيق، ١/ ٢٩٩- ٣٠٠، مرجع سابق.

(٥٦) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ١٣٢- ١٣٣، مرجع سابق.

(٥٧) العمدة، ابن رشيق، ١/ ٣٠٢، مرجع سابق.

(٥٨) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ١٣٣، مرجع سابق.

(٥٩) النقد الأدبي، أحمد أمين، ١/ ٢٣٢، مرجع سابق.

(٦٠) العمدة، ابن رشيق، ١/ ٣٠١، مرجع سابق.

(٦١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم الشنتمري، ١/ ١٨٠- ١٨١، ت: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ملتزم الطبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي، ط ٣، ١٩٦٣م.

(٦٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، ٥٧١، ت: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨٢م.

(٦٣) الخيال في الشعر العربي، محمد الخضر حسين، ٥٠- ٥١، المكتبة العربية في دمشق، ١٩٢٢م.

(٦٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ٣/ ٦١٥، تحقيق الجزء الثالث: د. عبد الله المحارب، دار المعارف، ١٩٩٤م.

(٦٥) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ٢٢٠- ٢٢١، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

(٦٦) بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، ٣/ ٤١٦، مكتبة الآداب، ط١٧، ٢٠٠٥م

(٦٧) معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، ٢/ ٢٠٩، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.
(٦٨) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ٢/ ٨١، ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م.
(٦٩) السابق.
(٧٠) الحيوان، الجاحظ، ٢/ ٣٨٠، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
(٧١) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ٣/ ٩٨، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
(٧٢) السابق، ونقل هذا الكلام د. أحمد مطلوب في: معجم المصطلحات البلاغية، ٢/ ١٧٨، مرجع سابق.
(٧٣) علم البيان، د. بسيوني فيود، ١٣٢، مرجع سابق.
(٧٤) التصوير البياني، د. محمد أبو موسى، ١٢٧، مرجع سابق.
(٧٥) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٣٥٦، مرجع سابق.
(٧٦) المثل السائر، ابن الأثير، ٣/ ١٨٥، مرجع سابق.
(٧٧) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ٨٥- ٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م.
(٧٨) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ٨٤، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.
(٧٩) الموشح، المرزباني، ٢٩٥، مرجع سابق.
(٨٠) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٩٦- ٩٧، مرجع سابق.
(٨١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ٢٥٤، مرجع سابق.
(٨٢) نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي، ٤٣٧، ت: د. نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٦م.
(٨٣) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٥٩، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥٠م.
(٨٤) البيت غير منسوب في: كتاب التشبيهات، ابن أبي عون، ٣٩٢، ت: محمد عبد المعين خان، مطبعة جامعة كمبردج، د.ت. وهو غير منسوب أيضا في: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٩٧، مرجع سابق. وكذا في: التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، ٦/ ٢٢٢، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
(٨٥) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٩٦- ٩٧، مرجع سابق. ونقل أحمد بن علي القلقشندي كلام أبي هلال في كتابه: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٢/ ١٩٩، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٣م.
(٨٦) البيان والتبيين، الجاحظ، ٢/ ٢٢٤، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧،

١٩٩٨م.

(٨٧) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ٢/ ١١٩، مرجع سابق. والقصة في الموشح للمرزباني، ٢٥٠، مرجع سابق. وفي الصناعتين لأبي هلال، ٩٨، مرجع سابق. وفي التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٧/ ٢٨٩، مرجع سابق. وفي تاريخ آداب العرب، الرافعي، ٣/ ٥٩، دار الكتاب العربي.

(٨٨) سر الفصاحة، ابن سنان، ٢٥٣، مرجع سابق.

(٨٩) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٥- ٦، مرجع سابق.

(٩٠) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ٧٣، مرجع سابق. ونقل كلامه أبو هلال في الصناعتين، ١٠٠، مرجع سابق. والمرزباني في الموشح، ٢٨٤، مرجع سابق.

(٩١) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٥- ٦، مرجع سابق.

(٩٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ٩/ ١٧٨، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٩٣) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور،١٩، مرجع سابق.

(٩٤) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي،٣/ ١٣١، مرجع سابق.

(٩٥) الرحى الأولى: كركرة البعير والناقة؛ أي: زور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض، وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة. وقيل هي الصدر من كل ذي خف. والحيزوم: الصدر، وقيل الوسط. (ينظر: الصناعتين، ١١٤).

(٩٦) العرب: السعدانة: هي بروز مستدير صلب في بطن البعير، إذا برك اعتمد عليها.

(٩٧) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور،٢٣، مرجع سابق.

(٩٨) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٢/ ٥٩٣، دار الحديث، القاهرة، ط٢،١٩٥٨م.

(٩٩) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ٦/ ٢١٦، مرجع سابق.

(١٠٠) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٩١، مرجع سابق.

(١٠١) السابق.

(١٠٢) العمدة، ابن رشيق، ٢/ ٢٤٨، مرجع سابق.

(١٠٣) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٢٦، مرجع سابق.

(١٠٤) لهذا الموضوع قصة رواها المرزباني في الموشح، قال: (وحدثني أحمد بن عبد الله، وعبد الله بن يحيى العسكريان، قالا: حدثنا العنزي، قال: حدثني علي بن إسماعيل اليزيدي، قال: أخبرني الأثرم، قال: أخبرني أبو عبيدة، قال: حدثني منتجع بن نبهان التيمي- ويقال من عدى- قال: دخل عمر بن لجأ على [ابن] لقمان الخزاعي- وكان على صدقات بنى تميم- فأنشده بيتا وهو قوله:

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة   ومن ذا الذى يرضى الأخلّاء بالبخل؟

فقال: لقد أنشدني هذا البيت جرير. فقال عمر: سرقه والله مني جرير. فقال: فبينا هو عنده إذ دخل

عليه جرير، فقال له ابن لقمان: من يقول هذا؟ فقد زعم عمر بن لجأ أنك سرقته منه. قال: فتنازعا. فقال جرير: أنا أسرقه منك، وأنت وصفت إبلك حتى إذا جعلتها مثل الهضاب، وصفت فحلها كالظّرب الأسود من ورائها؟. (الموشح، المرزباني، ١٦٩- ١٧٠، مرجع سابق. والقصة بتفاصيل أوفى وأكثر في: (شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ٢/ ٦٥٥- ٦٥٦، ت: محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط ٢، ١٩٩٨م). وكذلك في: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، ٢/ ٣٠١- ٣٠٢، مرجع سابق.

(١٠٥) خزانة الأدب، البغدادي، ٢/ ٣٠٢، مرجع سابق.

(١٠٦) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٢/ ٥٨٢، مرجع سابق. وبنحو هذه الألفاظ في: الصناعتين، أبو هلال، ٩٠، مرجع سابق. وكذلك في: الوساطة، القاضي الجرجاني، ١٣، مرجع سابق. وكذلك في: العقد الفريد، ابن عبد ربه، ٦/ ٢١٠، مرجع سابق. والبيت منسوب للعجاج أو ابنه رؤبة في كتاب: الحيوان، الجاحظ، ٢/ ٣٢٤، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ. أما بقية الكتب فنسبته إلى رؤبة.

(١٠٧) الغارب: مقدم السنام. والرباوة: ما ارتفع من الأرض والمخرم: منقطع أنف الجبل. والجديل: الزمام. وأصل الجدل: الفتل. وثنية: ما انثني منه. أراد: أنها طويلة العنق، تستغرق جديلها. وقوله: بشراع أي: بعنق طويلة.

(١٠٨) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١/ ١٧٥- ١٧٦، مرجع سابق.

(١٠٩) السابق.

(١١٠) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٧٢، مرجع سابق.

(١١١) أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٢٩- ٣٠، مرجع سابق.

(١١٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ٦/ ٢١٠، مرجع سابق.

(١١٣) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٩٠، مرجع سابق.

(١١٤) أوهام الشعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٣٠- ٣١، مرجع سابق.

(١١٥) أوهام الشعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، ٣٢- ٣٣، مرجع سابق.

(١١٦) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم الشنتمري، ١/ ٣٠٥- ٣٠٦، مرجع سابق.

(١١٧) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١/ ١٥١، مرجع سابق.

(١١٨) المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة، ٢/ ٦٣٩، ت: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن بالهند ط١، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م، ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(١١٩) العقد الفريد، ابن عبدربه، ٦/ ٢٠٥، مرجع سابق.

(١٢٠) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ١/ ١١، مرجع سابق.

(١٢١) سر الفصاحة، ابن سنان، ٢٦٢، مرجع سابق.

(١٢٢) العمدة، ابن رشيق، ٢/ ٢٥١، مرجع سابق. قال الجاحظ: (جون قال: يريد غديرا كثير الماء. قال: وإذا كثر الماء وكثر عمقه اسودّ في العين. والعلاجيم: الضفادع السود؛ وجعلها غرقى، يقول: هي فيما شاءت من الماء، كقولك: فلان في خير غامر من قبل فلان. وجعل لها مجالس حول الماء وفوقه، لأن هذه الأجناس- التي تعيش مع السمك في الماء -وليست بسمك- أكثر حالاتهن إذ لم تكن سمكا خالصا أن تظهر على شطوط المياه، وفي المواضع التي تبيض فيها من الدّغل [الشجر الكثيف الملتف]. وذلك كالسّرطان والسّلحفاة، والرّق [السلحفاة المائية]، والضفدع، وكلب الماء، وأشباه ذلك. (الحيوان، الجاحظ، ٥/ ٢٨٢، مرجع سابق).

أعلام في الظل:
عبدالله بن إبراهيم العسكر
(١٣٧٢-١٤٣٧هـ/١٩٥٢-٢٠١٦م)

عرفته في النادي الأدبي، وفي المجالس الثقافية، وفي زيارات بعض العلماء، وتكرر لقائي به في مجلس الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل - رحمهم الله - إذ كانت جلسته صباح الخميس، وتوثقت علاقتي به في اجتماعات دورية مع عدد من زملائه أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وبعد أن أصبح عضواً بمجلس الشورى تكرر لقائي به في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة، وكنا نقضي ساعات طويلة نهاراً في المعرض وفي المساء نتسامر في المنزل.

لقد وجدت في الأستاذ الدكتور عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله العسكر الصدق والوفاء واحترام الآخر مما حببني به، فصرت أزوره ويزورني ونتبادل الكتب، ونناقش بعض المواضيع الثقافية والاجتماعية التي نتناولها في كتاباتنا، وهو متخصص بالتاريخ وله ولع بمتابعة ما ينشر عن المملكة والجزيرة في الماضي منذ صدر الإسلام.

عندما كتبت عن معتمدي الملك عبدالعزيز ووكلائه في الخارج، اتصل بي وشجعني، وقال إن هذا الموضوع لم يسبق بحثه أو الكتابة عن هذه الشخصيات المنسية، وعندما فزت بجائزة الأمير سلمان (الملك) لدراسات تاريخ الجزيرة العربية لعام ١٤٢٧هـ بارك وشجعني على جمع ما كتب من مقالات في كتاب، وهكذا بعد أن وصلتني بعض المعلومات والوثائق والصور من أبناء وأحفاد من كتبت عنهم، هيأت الكتاب وأضفت له ترجمة لم يسبق نشرها للوزير عبدالله السليمان الحمدان، وبحكم أنه قد عمل لدى وكيل الملك في الهند عبدالله الفوزان شيخ تجار الهند. طلبت منه التقديم للكتاب فرحب، وكتب كلاماً جميلاً عن الكتاب ومؤلفه.

دعوته لزيارة مكتبة الملك فهد الوطنية والتسجيل معه (التاريخ الشفهي للمملكة) فلم يتردد، وكانت زيارته يوم ١٤٣٦/٢/٢٥هـ، وقد روى أهم المحطات في حياته، حيث ولد بالمجمعة عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، ونشأ وترعرع بها وتلقى مبادئ علومه بها، وفضل أن يواصل دراسته بالمدرسة الثانوية الأولى بالمجمعة رغم أن غيره يفضل المعهد العلمي لوجود مكافأة مالية للطلاب، معللاً بوجود مجالات تخصص كثيرة، وكان حريصاً على إتقان اللغة الإنجليزية.

انتقل للرياض ليلتحق بجامعة الملك سعود كلية التربية واختار التاريخ، وتخصص في (تاريخ الجزيرة العربية)، واختار بحثه الجامعي (الحالة الاقتصادية عند عرب الجنوب في العصر القديم) عام ١٣٩٤هـ.

ابتعثته الجامعة لدراسته في جامعة لوس أنجلس بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة.

وقد زار الشيخ حمد الجاسر في منزله بصحبة صديقه الدكتور حمد الدخيِّل – عند زيارته للمملكة في العطلة – ليستأنس برأيه حول تخصصه بتاريخ الجزيرة العربية وبالتحديد فيما يتصل بتاريخ اليمامة في عصر صدر الإسلام،

واختار اليمامة لأنها تقع في وسط نجد، وقدم أطروحته للدكتوراه عن تاريخها في القرن السادس والسابع بعد الميلاد، واستدرك قائلاً أنه عمل مدرساً في متوسطة ابن زيدون بالرياض مدة عام ١٣٩٥هـ، ثم عين معيداً في جامعة الملك سعود ليبتعث بعد ذلك لأمريكا، وأنهى مرحلة الماجستير عام ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، عاد بعدها لأمريكا لدراسة الدكتوراه بالجامعة نفسها، وحصل على الدكتوراه عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، بعد أن أجيز بحثه عن تاريخ اليمامة وهو (السياسة الإقليمية: دراسة حالة: اليمامة في القرنين السادس والسابع الميلاديين).

عاد للمملكة فأصبح عضو مجلس كلية الآداب، ورئيس قسم التاريخ، وعضو مركز البحوث بكلية الآداب، وعضو مركز الترجمة بجامعة الملك سعود، وعضوية عدد من اللجان في قسم التاريخ وفي الجامعة. ثم أصبح مستشاراً غير متفرغ لدى وزارة الثقافة والإعلام، ووزارة التعليم العالي، ودارة الملك عبدالعزيز، والهيئة العليا لتطوير الرياض، وعضو وفد المملكة لمؤتمر اليونسكو لمؤتمرات عدة، ومستشار لمدد متفرقة لمؤسسة الملك خالد الخيرية، إضافة لعضوية الجمعية التاريخية السعودية مدى الحياة، وجمعية دراسات الشرق الأوسط بأمريكا، وجمعية الآثار السعودية، والجمعية الجغرافية الأمريكية، واتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، وجمعية الشرق الأوسط في العصور الوسطى بأمريكا، وجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، واتحاد الآثاريين العرب بالقاهرة.

اختير عضواً بمجلس الشورى ولمدة ثمان سنوات، عمل خلالها رئيساً للجنة الشؤون الخارجية ثلاث مرات، إضافة لكتاباته الصحفية وبالذات مقاله الأسبوعي بجريدة الرياض، وله مقال بعنوان (شوريات) من مجلة الشورى.

قبل وفاته رحمه الله بأيام التقيته بمنزل الصديق مشاري بالغنيم احتفالاً بتعيين الدكتور معجب الزهراني مديراً لمعهد العالم العربي بباريس، فكان يحثه على فتح الأبواب والنوافذ ويوثق العلاقات الثقافية والفكرية بين أبناء العروبة

والفرنسيين، ومحو ما علق بأذهانهم من أن العرب إرهابيون، واتفقا على أن أول خطوة يخطوها معجب عند ذهابه إلى هناك أن يضع إكليلاً من الزهور في مكان الجريمة التي أرتكبها أحد الإرهابيين في نيس بفرنسا.

كنت مشاركاً معه قبل ثلاثة أشهر من وفاته – رحمه الله – في المهرجان الثقافي الخامس الذي اعتاد مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة أن يقيمه كل سنتين، وكان دورنا مع الدكتور فايز الحربي التحدث عن التاريخ الشفهي وأهمية رصده وحفظه قبل رحيل كبار السن فنفقد الكثير من مصادر التاريخ.

وكنت معه قبل أشهر نشارك بندوة ثقافية بمركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي بالرياض عن (تجربتي مع التأريخ الشفهي) بإدارة الدكتور عبدالله المنيف.

وكان كثيراً ما يهديني ما يؤلفه أو يترجمه من أعمال تاريخية. وكان رحيله المر يوم الخميس ٢٣/١٠/١٤٣٧هـ ٢٩/٦/٢٠١٦م بحادث مروري وهو خارج من مكتبة الإسكندرية.

- قال عنه زميله الأستاذ الدكتور سعد البازعي يرثيه في جريدة الشرق الأوسط: «.. وكان ذلك الرحيل لي فجيعة شخصية لقربي من الراحل ومعرفتي ببعض إنجازاته وأهميته من ثم للمشهد الثقافي في المملكة التي عمل من أجلها ومن أجل الوطن العربي والإسلامي إجمالاً بكل جهد وإخلاص... للدكتور العسكر حضور في المشهد الثقافي السعودي على ثلاثة مستويات: الأكاديمي أو العلمي، ومستوى الكتابة الصحفية إلى جانب الترجمة... المنجز الثقافي الذي سيُبقي الدكتور عبدالله في الذاكرة يتمثل في جانبين: كتاباته التاريخية عن منطقة اليمامة (نجد حالياً).. وموضوع عدد من الأبحاث والترجمات التي أنجزها، ويعد الدكتور العسكر من أبرز المختصين بتاريخ تلك المنطقة من الجزيرة العربية..

ترجم خمسة كتب: ١. التاريخ الشفهي لروبرت بيركس. ٢. دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي لناتانادي لونج باس. ٣. الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية لديفيد كمنز. ٤. النساء في التراجم الإسلامية لروث رودد. ٥. كتابة التاريخ في المملكة العربية السعودية العولمة والدولة في الشرق الأوسط لبورك ماتياس ديترمان. إضافة لرحلة فتح الله صايغ الحلبي.

إضافة لمؤلفات نذكر منها: ١. الحالة الاقتصادية عند عرب الجنوب، ٢. تحقيق التاريخ الإسلامي، ٣. المؤلفات النادرة عن المملكة، ٤. أطلس التاريخ السعودي بالاشتراك، ٥. معجم التاريخ السعودي، ٦. رجال حول الملك عبدالعزيز، ٧. تاريخ اليمامة في صدر الإسلام، إضافة لكثير من الأبحاث والدراسات والمقالات وغيرها.

- جمع الدكتور محمد المشوح من باب الوفاء ما كتب عنه من مراثي في الصحافة ونشرها بين دفتي كتاب بعنوان: (فقيد الثقافة والتاريخ د.عبدالله بن إبراهيم العسكر) صدر عن دار الثلوثية للنشر والتوزيع ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م بـ١٧٠ صفحة لـ٤٧ كاتباً.

إضافة لإعادة نشر ما سبق أن سجل أثناء إقامة حفل تكريمه في ثلوثية محمد المشوح مساء الثلاثاء ١٤٣٦/٢/٣هـ.

- ترجمت له مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بـ(موسوعة الشخصيات السعودية) ط٢، ج٢.

« حاصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس في أمريكا عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م، التخصص العام: تاريخ، التخصص الدقيق: تاريخ إسلامي والتاريخ الوسيط للجزيرة العربية، عمل استاذاً ورئيس قسم التاريخ

بجامعة الملك سعود، واستاذاً زائراً في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، وجامعة واشنطن في سياتل، وباحثاً علمياً في جامعة لندن وجامعة السوربون في باريس، عين عضواً بمجلس الشورى في ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م...إلخ».

ولعلي أشير على عجالة لكتابين أحدهما مترجم نشرا في دار جداول.

الأول: (الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية) تأليف ديفيد كمنز ط١، ٢٠١٢م، ٣٤٢صفحة.

« هذا الكتاب سياحة فكرية وتاريخية ماتعة تأخذ القارئ من وسط نجد وتعيده إليها بعد أن تطوّف به في ربوع الجزيرة العربية وخارجها، وهي سياحة علمية تجمع بين الفكر الديني والمذهبي وبين العمل السياسي في مفتتح العصور الحديثة للجزيرة العربية... ويحمد لهذا الكتاب استعماله مصادر نجد التاريخية في تفسير بعض مفاصل التاريخ العثماني ذات الصلة بالتاريخ السعودي والدعوة السلفية.

وقام المؤلف بفحص موضوعي للنقاشات الحادّة بين الدعوة السلفية وخصومها، واستطاع بمهنيِّة أن يفصل بين الحجج الكثيرة، وفور صدور الكتاب بطبعته الإنجليزية استقبل استقبالاً واسعاً".

الثاني: (تاريخ اليمامة في صدر الإسلام.. محاولة للفهم) تأليف الدكتور عبدالله إبراهيم العسكر، ط١، ٢٠١٢م، ٢٧٢ صفحة.

« لم يستقطب تاريخ اليمامة إلا كتابات قليلة، ومعظم ما كتب عنه يأتي في سياق حروب الردة أو مقروناً بتاريخ الحجاز، من هذا فلم يحظ بدراسة موسعة تشمل مدة زمنية طويلة كما هو الحال في هذا الكتاب، الذي يدرس تاريخ اليمامة قبل الإسلام، وفي صدر الإسلام، ويعالجه كمنظومة واحدة.

يرى مؤلف الكتاب أن تاريخ اليمامة في صدر الإسلام يحتاج إلى معاودة تبيّن

مجمله وتأثيره على تاريخ الجزيرة العربية وربما التاريخ الإسلامي برمته، ويبدو من غير المنطقي النظر إلى تاريخ اليمامة من زاوية الردة أو نبوءة مسيلمة، ذلك أن اليمامة منطقة واسعة وغنية بمقاييس القرنين السادس والسابع الميلاديين، وهي شهدت حراكاً سياسياً قبل الإسلام وبعده لا يمكن إغفاله.

محاولة تفسير تاريخ اليمامة من منظور جديد لم يسبق أن طُرق من قبل بشكل يتيح الوصول إلى نتائج غير مسبوقة، لهذا فحص المؤلف المصادر التاريخية والدينية والمذهبية والاقتصادية والجغرافية والأدبية والتراجم وكتب المال والخراج والسياسة وكتب اللغة والمعاجم وغيرها من أجل التقاط كل شاردة وواردة لإعادة بناء مجمل تاريخ اليمامة في صدر الإسلام، ثم طبق مفهوم النظرية الإقليمية لتفسير تاريخ اليمامة. لهذا فقد جاء عنوان هذا الكتاب بأنه محاولة لفهم تاريخ اليمامة في صدر الإسلام".

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

فهارس أعداد السّنة الخامسة والخمسين

١- الكُتّاب والمعلّقون.
٢- الموضوعات العامة.
٣- الأعلام.
٤- القبائل والأسر والجماعات.
٥- الكتب والمجلات والصحف.
٦- المواضع.

فهارس السنة الخامسة والخمسين

أولاً : الكتّاب والمعلقون

ثانيًا: الموضوعات العامّة

ثالثًا: الأعلام

رابعًا: القبائل والأسر والجماعات

خامسًا: الكتب والمجلات والصحف

سادسًا: المواضع